المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية



قام الطالب بالتصحيح المطلوب
د/ محمد سليمان داود

ابن الوزير
وآراؤه الاعتقادية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة

إعداد الطالب
علي بن علي جابر الحربي

إشراف
الاستاذ الدكتور/ محمد سليمان داود

لعام
١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين .

وبعد ..

فان من حكمة الله تعالى أن جعل الناس متفاوتين فى الأجسام والحواس والادراك ، والعلوم والعقول والذكاء والبلادة ، والنسيان وقوة الحافظة (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) (١) وغير ذلك من الغنى والفاقة ، والضعف والقوة ، والسقم والصحة ، والشجاعة والجبن (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ...) (٢)

كذلك التفاوت فى العلوم المختلفة ، فانك تجد هذا يجيد فنا معينا ، وهذا نبغ فى فن آخر من الفنون ، بل تجد التفاوت بين رواد الفن الواحد هكذا سنة الله - تعالى - فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (٣) .

وقد أنجب لنا التاريخ الاسلامى من أفلاذ أكباده رجالا بلغوا القمة فى شتى العلوم ، وفى الطليعة كبار الصحابة والتابعون ، والأئمة الأربعة ، وسائر علماء الاسلام والمسلمين ، ولا يخلوا زمان - بفضل الله تعالى - من المجددين والمجتهدين ، والمصلحين .

ومن هؤلاء صاحبنا ، وعالمنا ، بل عالم اليمن ابن الوزير - رحمه الله تعالى - الا أنه غير مشهور كغيره عند كثير من الناس .

ولقد كان الامام الشوكانى صريحا فى قوله : (ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكثرون العناية بأهل هذه الديار - أى اليمنية - لاعتقادهم فى الزيدية مالا مقتضى له ، الا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٩ .
(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٣) سورة الأحزاب : ٦٢ .

فان فى ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عددا يجاوز الوصف ...) (١)

ولا غرابة فى ذلك فقد طمس الزيدية آثار ابن الوزير ، ودفنوا محاسنه ، واذا كان الأمركذلك فمن ينقل محاسن الرجل الى الناس غير أهله ؟! كيف ومعاصروه قد سعوا جاهدين ، جماعات ووحدانا فى نصب العداوة له بكل مافى وسعهم ، ثقافيا واجتماعيا .

وقد حاول بعضهم الرد على ابن الوزير بماأسماه (العضب الصارم فى الرد على صاحب الروض الباسم) لمجهول فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وهذا الرد بعد خمسة قرون مضت لوفاة ابن الوزير يذكرنى بقول المتنبى :

واذا ماخلا الجبان بأرض ٥ ٥ طلب الطعن وحده والنزالا . (٢)

ومع هذا لم يستطع أن يسمى نفسه وابن الوزير متوسد التراب ، فكيف لو كان العكس ؟!

وهذا هو العامل الرئيسى - فى نظرى - فى طمس آثار ابن الوزير العلمية ، ومفاخره الأدبية ، فالزيدية كما وصفهم الشوكانى بقوله : (لهم عناية كاملة ورغبة وافرة فى دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهم) (٣)
وكان بعض حساد ابن الوزير وخصومه لايجهر له بالقول لأنه لا يقوى على مناظرته ، لما اشتهر به من شدة المعارضة ، وقوة الحجة .
ومعلوم أن الغالب على من فاق علماء عصره أن يحسده الكثير منهم .

فقد فاقهم بكل مافى هذه الكلمة من معان ، وان (العواصم والقواصم) لخير شاهد على ذلك ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، لأنى لم أقف مدة حياتى الماضية على مثل ماوقفت عليه فى (العواصم والقواصم) فلقد أدهشنى كثرة مايسرده فى المسألة الواحدة من الوجوه المختلفة ، والتنبيهات اللاذعة والإشكالات المحيّرة ، والإلزامات المفحمة والبراهين الصادعة ، العقلية منها والنقلية . هذا مع بعده عن الحاضرة والمراجع ، فكيف الأمر لو كان العكس ؟!

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨٣ مطبعة السعادة الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ
(٢) العرف الطيب مع شرح ديوان أبى الطيب المتنبى ص ٤٣٤ للشيخ ناصف اليازجى بيروت ط ثانية .
(٣) البدر الطالع جـ ١ ص ٦٠ .

وسأحاول فى هذه الدراسة - بعون الله تعالى - قدر الطاقة أن أضع بعض المعالم فى الطريق ، لآراء ابن الوزير ، ليهتدى بها القاصرون أمثالى ، وليتعمق فيها الرواد الماهرون للغوص فى اخراج آراءه ، على مايليق به ، وعزائى أن من فقد الماء تيمم بالتراب ، ولكن أرجو الله - تعالى - ألا يخرج هذا البحث عن بعض اغراض العلماء من التصنيف وهى :

استخراج شىء لم يسبق اليه ، أو جمع مفترق ، أو تكميل ناقص ، أو تهذيب مطوّل بدون حذف يخل بغرضه أو ترتيب مخلط ، أو شرح مبهم ، أو تبين خطأ ، أو تفصيل مجمل .(١)

هذا وقد تنبه بعض المحبين لنشر التراث الاسلامى ، ومنه تراث ابن الوزير ، المدفون - معظمه - فى مقبرة المخطوطات والمصورات والميكروفيلمات ، لا يطلع على ذلك الا النادر من الباحثين ، بل المضطرين منهم ، ومن هذا التراث (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) لابن الوزير ، وهو تحت الطبع والتحقيق وقد ظهر منه الجزء الأول بعد اكمال هذه الرسالة .(٢)

وقد حصل طالبان جامعيان على درجة الماجستير فى الشريعة الاسلامية مساهمة منهما فى نشر تراث ابن الوزير :

أولاهما بعنوان (ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى) طبع ونشر سنة ١٤٠٤هـ بعد أن كتبت معظم هذه الرسالة ، ولم أستفد منه رغم أنى اطلعت عليه اطلاع من يحب الاستفادة ، الا فى بعض العناصر فى : (موقف ابن الوزير من الابتداع) ، فالرجل يحسن الاقتباس ، ويجيد الانشاء ، وكان يكتفى فى غالب البحث بكلام ابن الوزير ، دون أن يرجع الى مصادره الأصلية التى صرح ابن الوزير أنه أخذ منها ، حتى بعض الأحاديث يكتفى بالاشارة الى كتب ابن الوزير التى نقل منها الكلام .(٣)

---

(١) أنظر التقريب لحد المنطق والمدخل اليه لابن حزم سنة ٤٥٦هـ ص ١٠ وايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣ ط بيروت دار الكتب العلمية .

(٢) بتحقيق شعيب الارناءوط دار البشير عمان سنة ١٤٠٥هـ .

(٣) من ذلك على سبيل المثال حديث : (اختصمت الجنة والنار) أشار الى مصدره : (الابانة للأشعرى) و (ايثار الحق على الخلق) لابن الوزير مع أن الحديث فى الصحيحين ، كما سأشير اليه عند الوصول اليه ان شاء الله تعالى .

===

وهكذا دواليك ، والرجل متأثر بالتصوف والفلسفة ، كما هو واضح فى كلامه ومراجعه . (١)

وأخراهما : بعنوان : (ايثار الحق على الخلق) لابن الوزير ، الجزء الأول منه تحقيق أحمد مصطفى .

وقد استفدت منه بعض التراجم لشيوخ ابن الوزير ، وبعض أسماء تلاميذه ولكن بدون تراجم .

وفيه من الأوهام مانسبه الى ابن الوزير من الرد على المعتزلة فى انكار التحسين والتقبيح العقليين ومنها رده على صاحب المحصول فى ذلك حيث قال : (وقد رد - ابن الوزير - رحمه الله - على المعتزلة فى مسائل كثيرة ، منها رده على صاحب المحصول فى انكار التحسين والتقبيح العقلى ، ردا لم يسبق الى مثله . (٢)

وهذا خلاف الواقع فالمعتزلة لا تنكر التحسين والتقبيح العقليين وانما الأشعرية تنكر ذلك ، لأن الشرع هو الذى يحسن ويقبح ، ومعلوم أن : (المحصول) للرازى سنة ٦٠٦ هـ وهو من أئمة الأشعرية ، والخطأ من طبيعة البشر ، وأنا واحد منهم ، وأرحب بكل نصح أو توجيه ، أو ارشاد الى خطأ واضح .

فكثرة الملاحظات والتعليق ، والردود على أى كتاب يدل على مدى مكانته وقيمته العلمية كما هو المعروف .

== كما ذكر كلام ابن القيم فى (حادى الارواح) نقلا عن ابن الوزير ، ولم يشر الى (الحادى) ، وهكذا تجد الصفحات المتتابعة مرجعه فيها كلام ابن الوزير . أنظر ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ من (ابن الوزير ومنهجه الكلامى) لرزق الحجر ، الدار السعودية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٤ هـ وستعرف مابذلته من جهد فى اسناد كلام ابن الوزير الى المصادر التى استقى منها عند القراءة والمقارنة .

(١) أنظر ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى لرزق الحجر بكامله .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير تحقيق أحمد مصطفى ص ٤٣ - الناشر الدار اليمنية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٥ هـ . مع مافيه من الأخطاء المطبعية والموضوعية الكثيرة ومع خلوه عن قائمة المراجع وقد قابل النسخة المطبوعة على مخطوطتين . أولاهما : مخطوطة صنعاء ، وثانيتهما : مخطوطة برلين .

الصعوبات التى واجهتنى أثناء البحث :

من المعلوم ان من أقدم على عمل قبل سبره وغوره ، فانه يجد من الصعوبات ، ماقد يعوق سيره ، ويكدر أفكاره . وأنا واحد ممن ينطبق عليه هذه الأمور :

الأمر الأول : أنى أقدمت على اختيار هذا الموضوع مضطرا ، لأسباب لا حاجة الى ذكرها الان ، بل لا علاقة لها بالعلم ، اذ كانت حالتى اثناء البحث كمن يريد أن يلتقط من شواطئ البحر مايقذفه الموج أثناء مده ، ويتركه وراءه أثناء جزره ، فيقذفه الموج الى الأعماق ، فهو لا يحسن الغوص فيلتقط بغيته من النفائس ، ولا يحسن السباحة فينجو بنفسه ، ولا سفينة ولا ساحل ، فهو رهين الأمواج المتلاطمة .

ومن كانت هذه حالته ، فهل يبقى له تفكير فى غير النجاة ؟! بل التفكير فى النجاة ضئيل الا أن يشاء الله ، إجابة دعوة المضطر اذا دعاه ، فقد نجى الله سبحانه ـ نبيه يونس عليه السلام ـ من الهلاك وهو فى ظلمات البحر وفى بطن الحوت ، لما علم صدقه فى دعاءه بـ(لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين)(١)

الأمر الثانى : طول الموضوع ، اذ ما عرفت أن كل فصل من فصوله يحتاج الى رسالة مستقلة الا فى أثناء البحث ، وسيعرف القارى هذا من خلال الرسالة .

الأمر الثالث : صعوبة الموضوع ، فان ابن الوزير نهج منهج أهل الكلام ، والجدال فى مسائل العقيدة وغيرها اذ كان مجيبا على خصمه المعترض بكتابه (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) .

والمجيب عند أهل الجدال ، انما يقفو آثار من ابتدأه ، ويتكلم على كلامه بمقتضاه ، فلا يصح عندهم اذا سلك المبتدئ المسالك الخطابية أوالجدلية ، أن يجاب بالأدلة القطعية والبراهين القوية ، والغرض عندهم من الجدال إلزام الخصم من معتقده أو قواعد مذهبه ، أو افحامه أو ارباكه ان كان قاصرا ، وهو يبني ـ عندهم ـ على مقدمات مسلمة عند الخصمين أو أحدهما أو عند الناس ، وسواء كانت حقة أو باطلة من غير بيان المختار ، وهذا ماسلكه ابن الوزير ـ غالبا ـ فى عواصمه وروضه ، وهذا من الغريب علىّ .

ومن كانت هذه طريقته ، فمن الصعب معرفة عقيدته ، وقد لا يصدق هذا من

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨٢

لم يمارس أساليب القوم وقديما قيل :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ٥٥ ولا الصبابة الا من يعانيها[1]

وهذا المنهج كنت أنفر وأنفر عنه أثناء دراستى الجامعية للمسائل العقدية ، على منهج أهل السلف ، المعتمد على الآيات والأحاديث الصحيحة ، والآثار عن الصحابة والتابعين ، الواضحة وضوح الصبح الصادق ، البعيدة عن الطرق الملتوية التى لا توصل الى المطلوب .

الأمر الرابع : ماكنت أتصور ابن الوزير — رحمه الله — بهذه المكانة العلمية ، فى شتى الفنون ، لأنى لم أطلع على هذه الأساليب أثناء اطلاعى على مقدمة (الروض الباسم) لأنها قراءة سطحية سريعة ، ومقدمة (ايثار الحق على الخلق) وهذا يكاد أن يكون خاليا من الأساليب الكلامية الجدلية .

الأمر الخامس : عدم حصولى على تراجم تستوفى حياة ابن الوزير ، وخاصة مرحلته الأولى ، لأن أهل بلده أهملوه ، ولذلك لم تنشر مصنفاته كما نشرت مصنفات الصنعانى والشوكانى ، واذا كان كذلك فمن الذى ينقل أحواله الى الآخرين ؟ ، وعليه فلا غرابة اذا جهل الناس حاله .

ولقد جهلنى بعض أهل العلم لما سألنى عن مصنفات ابن الوزير ، فأجبت بأن اعظمها ، وأهمها (العواصم والقواصم) فقال لى عن فوره : أنت أجهل من ... هذا لابن العربى فانظر كيف فاته ضبط الفرق بين اسمى الكتابين . وممن قال مثل هذا بعض كبار العلماء لكن بأخلاق العلماء وأساليبهم .

والغرض من ذكر هذا أن معظم مؤلفات ابن الوزير غير معروفة بين الأوساط العلمية فتعرف آراؤه منها ، وان وجد القليل فهو غير مشهور ولا مدرس .

الأمر السادس : عدم حصولى على نسخة كاملة واضحة من مصورات (العواصم والقواصم) الذى اشتمل على معظم علوم ابن الوزير .

الأمر السابع : عدم حصولى على تصوير ولو بعض المخطوطات من مؤلفات ابن الوزير ، الموجودة فى مكتبتى جامع صنعاء ، فلقد أنشأت ثلاث سفرات من مكة المكرمة الى صنعاء للغرض نفسه ، فلم أحصل على شئ سوى المعاذير من بعض المسئولين ، ومواعيد

---

(١) الصبابة ، رقة الشوق ، أو رقة الهوى ، كما فى القاموس المحيط للفيروزأبادى ج ١ ص ٩١ — الناشر مؤسسة الحلبى القاهرة .

عرقوب[1] من البعض الآخر .

ولا يسعنى الا أن أحكى بعض ماشكاه الشوكانى ـ اذ كان صريحا ـ فى كتابه (البدر الطالع) أثناء ترجمته لبعض علماء اليمن ، لما لم يجد تراجم وافية ، اذ يقول : (إن الزيدية مع كثرة فضلائهم ، ووجود أعيان منهم فى كل مكرمة على تعاقب الأعصار ـ لهم عناية كاملة ورغبة وافرة فى دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهم[2] ...) والله المستعان .

الأمر الثامن وهو أمرّها : وهو أن البياض قد حط بعارضى رحله ، وملكت يد الضعف زمام قواى ، وكأنى المعنى بقول الشاعر :

وهت عزماتك عند المشيب * وما كان من حقها أن تهى[3]

لهذا أقدم الى القارئ اعتذارى من خلل يراه ـ ان لم يكن منى كفرسى رهان ، فى هذا الاعتذار ، أو سبقنى فى هذا الميدان ـ أن يسده بإحكام ، دون عتاب أو ملام . أما من كان كذلك ، فلعله أن يعتبر بواقعه وتجاربه ، فيقدر من هذا حاله . بكثر الله خيراته .

ولولا مابى من الطموح فى طلب العلم ـ بعد عون الله تعالى وتوفيقه ـ لما بلغت المنزل .

ألا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب[4]

ولكن هذه بضاعتى مسوقة إليك ، وهذا فهمى معروض عليك ، لك غنمه وعلىّ غرمه ، ولك ثمرته وعلىّ تبعاته ، فان عدم منك شكرا فأرجو ألا يعدم منك عذرا ، وإن أبيت الا اللوم فبابه واسع مفتوح ، وعزائى أنى من البشر ، فمن ذا الذى ماوصم ، غير سيد البشر .

---

(١) مثل يضرب به فى خلف الوعد ـ وهو أن صديقا أتى عرقوبا هذا يسأله فقال له عرقوب : اذ أطلعت هذه النخلة فلك طلعها ، فلما أطلعت قال : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجدها ، ولم يعط السائل شيئا .
(أنظر مجمع الأمثال لابى الفضل أحمد بن محمد الميدانى سنة ٥١٨ هـ جـ ٢ ص ٣١١ تحقيق محمد محى الدين ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤هـ .

(٢) البدر الطالع فى محاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠هـ جـ ١ ص ٥٩ ـ ٦٠ مطبعة السعادة ط أولى سنة ١٣٤٨ هـ .

(٣) أنظر مجمع الامثال للميدانى جـ ١ ص ٥ تحقيق محمد محى الدين مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ .

(٤) البيت لابى العتاهية شاعر من شعراء العصر العباسى وهو من شواهد ابن هشام أنظر قطر الندى له مع الشرح لمحمد محى الدين ص ١٤٨ مطبعة السعادة بمصر

من حوافز البحث :

١ - اطلاعى على (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) لابن الوزير ولكن اطلاعا سطحيا . وكان لهذا العنوان الأثر البالغ فى نفسى لأن هوايتى كانت تميل الى التخصص فى الكتاب والسنة .

٢ - اطلاعى على (ايثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) لابن الوزير منذ زمن ثم جددت الاطلاع السريع تحت ظروف قاسية .

وبعد اطلاعى عليه جذبنى أسلوبه جذبا شديدا حتى تقدمت باختيار هذا الموضوع ، ولم أدر ما فى (العواصم والقواصم) لابن الوزير .

٣ - تشجيع بعض المشائخ بقوله : ألا تكتب عن عالم من علماء اليمن .

أهداف البحث :

١ - أريد أن أعرف مدى تطابق اسم الكتابين المذكورين على مسماهما ، ثم بيان ذلك لغيرى .

٢ - أريد أن أعرف عقيدة ابن الوزير الذى نشأ بين الزيدية فى صنعاء ثم أبيّن ذلك للناس فقد قال بعض العلماء إنه معتزلى ، وبعضهم قال إنه شيعى والحكم بهذا على مثل ابن الوزير ينبغى أن يصدر من خبير .

٣ - بيان ما عاناه ابن الوزير فى حياته العلمية ومدى نجاحه من عدمه فى خوضه المعارك الكلامية مع خصومه الزيدية وبيان أسباب تلك المعارك الكلامية ، وأهدافها ، ونتائجها .

أهمية البحث :

هذه الحوافز والأهداف ترشح الموضوع أن يكون ذا أهمية ، تستحق البحث - بغض النظر عن كونى أوفيت المقام حقه أولا ، فان من أفنى معظم حياته العلمية فى الذب عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام - ونشرها والدفاع عن أعراض أكابر حملتها ، وأفاضل الأمة ، والمناضلة لأهل البدع ، ونشر سائر العلوم الشرعية كما قال الشوكانى (فى أرض لم يألف أهلها ذلك لاسيما فى تلك الأيام)(١) من كانت هذه حاله فهو جدير بدراسة حياته وآرائه وبعثرة مقبورها وما اندثر منها .

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩٢ مطبعة السعادة ط أولى ١٣٤٨ هـ

منهجي في البحث :

١ - تتبعت كلام ابن الوزير وأسندته الى مصادره الأصيلة ، فكلام المحدثين أسندته الى كتبهم ، وكلام الفقهاء أسندته الى كتبهم ، والكلام الى كتب الكلام وهكذا ، إلّا النادر من كلامه الذى يشير الى مصدره ولم أجده فيه .

٢ - حاولت قدر الامكان عرض أفكار ابن الوزير بأسلوب خال عن مصطلحات أهل الكلام والجدال ، ماعدا المعارك الكلامية بين ابن الوزير وخصومه - فلم أجد بدا من استخدام لغة القوم ، على مضض من محاكاتهم .

٣ - حاولت المقارنة - قدر الامكان - بين كلام ابن الوزير وبين سائر أئمة السلف وخاصة شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن كثير ، فقلما تجد رأيا لابن الوزير إلا وهو مدعم برأى ابن تيمية وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة ، وهذا هو المنهج التاريخي المقارن .

٤ - وأحيانا أثبت رأى ابن الوزير فى مسألةٍ مّا، ثم أدعمه بأقوال من سبقه من أئمة الحديث وأهل السنة والجماعة . كما فعلت فى مبحث الأسماء والصفات ، فقد أكثرت من ذلك بما يوهم التكرار ، وقد ركزت على هذا المبحث لما يترتب عليه من الأهمية مع التعرض لمعظم آراء ابن الوزير فى مسائل العقيدة ، والقواعد العامة ، وضمنت منهجه ومميزاته كثيرا من آرائه المتناثرة .

٥ - اذا وجدت حديثا غير محكوم عليه - فى غير الصحيحين - لا تطمئن نفسى حتى أجد الحكم عليه من أئمة الحديث الأعلام .

٦ - اذا لم أجد ذلك أبحث سند الحديث المطلوب ، حتى أقف على ماقيل فى رجاله من مقال لأهل هذا الشأن . وبناء على قواعد هم التى وضعوها أستطيع الحكم على السند ، علما بأن الحكم على صحة السند لا يستلزم صحة المتن كما تقرر، أما الحكم على المتن فهذا يكاد أن يكون متعسرا أو متعذرا عند بعض أهل هذا الفن - كما سيأتى بيانه - غير أنى تجاسرت أو تطفلت فى بعض الحالات - وهذا قليل جدا - على الحكم على المتن ، ولكن بعد جهد شاق وطويل .

٧ - اذا لم أقف على شيء من كلام أئمة هذا الشأن ينص على درجة الحديث، وعجزت عنه نقلته وعزوته الى مصدره ولزمت السكوت، وبهذا أكون برئت من العهدة، فقد نهج هذا المنهج فطاحل من العلماء كما هو معروف.

٨ - أقتطف الشواهد - أحيانا - من النصوص للاكتفاء والاختصار كما فعل البخارى فى صحيحه، وغيره.

٩ - سلكت - غالبا - عند الاستدلال بالنصوص المذهب القائل: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

١٠ - سلكت أسلوب الأدب واللين - عند اختلاف وجهات النظر بينى وبين ابن الوزير وغيره من علماء الاسلام والمسلمين لأنا بالنسبة لهم كالحثالة، بل نحن عالة عليهم رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء.

١١ - تكرار النصوص بأنواعها عند الحاجة والمناسبة اقتداء بأئمة الحديث وغيرهم من علماء الاسلام.

١٢ - أكثرت من الاحالات فى كثير من المناسبات للأغراض الآتية:

أ - الربط بين القضايا والمسائل السابقة واللاحقة فى نفس الرسالة.

ب - تفاديا لكثرة التكرار.

جـ - قصد الاختصار.

بيان ذلك أن أى نقطة فى البحث - مثلا - قد سبقت مستوفاة، فأقول: قد سبق هذا فى موضع كذا

أو أن نقطة من البحث عرضت فى فصل من الفصول والأليق باستيفاء الكلام عليها فيما بعد فأقول: وسيأتى هذا مفصلا فى كذا.

وهكذا وأرجو الله أنى وفقت فى هذا.

١٣ - اذا أطلقت شيخ الاسلام فالمراد به أبو العباس أحمد بن تيمية ٧٢٨هـ.

١٤ - اذا أطلقت الحافظ فالمراد به أحمد بن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ.

١٥ - اذا أطلقت القاموس فالمراد به القاموس المحيط للفيروزآبادى.

١٦ - اذا أطلقت المصباح فالمراد به المصباح المنير للفيومى.

١٧ - أحيانا أذكر المرجع والمؤلف فى الصلب، ثم أشير الى الجزء والصفحة فى الهامش، وقد أذكر المؤلف فى الصلب ثم أشير الى المرجع فى الهامش.

١٨ - اكتفيت ببيان المعلومات عن المصادر عند أول ذكرها فى البحث واذا ثمة نقص فهو مستوفى فى قائمة المصادر .

١٩ - حاولت قدر الطاقة ترتيب الأفكار باعتبار الزمن ، مالم تكن نصوصا لغيرى فأنقلها كما هى ، وقد تنسجم الأفكار دون ترتيب الزمن .

٢٠ - أثبت تاريخ الوفيات لمعظم الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الرسالة ، لما يترتب على ذلك من الفائدة للباحث .

تقسيم البحث :

وقد قسمت الرسالة الى مقدمة ، و ثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : ترجمة ابن الوزير ، وفيه مباحث :

الأول : ذكرت فيه : مولده - اسمه - نسبه - كنيته - لقبه .

المبحث الثانى : مكانة أسرته العلمية وشهرتها بذلك قديما وحديثا ، وأن المكتبات الاسلامية وغيرها تزخر بمؤلفاتهم المخطوطة منها والمطبوعة .

ثم أشرت الى مكانة آل الوزير السياسية فى الأوساط اليمنية ، منذ عهد الامام العفيف الجد الخامس لابن الوزير .

كما أشرت الى نشأة آل الوزير ، وأنه نبغ منها أئمة مؤلفون .

ومجتهدون وسياسيون ، ولا تزال تحتفظ بمكانتها السياسية داخل اليمن ، وخارجه الى يوم الناس هذا .

ثم أشرت الى نشأته فى أسرة مرموقة ، لها مكانتها العلمية والسياسية .
وأن ابن الوزير نشأ مع ذلك بين كراسى العلماء ، وتربى بين أعينهم ، ولم يزل - منذ عرف شماله من يمينه - مشمرا فى طلب العلم ، متنقلا فى رتبة الشيوخ .

المبحث الثالث : حياته العلمية وقد قسمتها الى مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة الطلب المبكر ، وهو البحث عن العلوم العقلية ، بعد حفظ القرآن الكريم ، وبعض المتون ، وفى هذه المرحلة استغرق حدة نظره وباكورة عمره فى البحث عن الكلام والجدال ، والنظر فى مقالات أهل الضلال .

وسبب ذلك أن أول ماقرع سمعه ، ورسخ فى طبعه وجوب النظر وان من قلد فى الاعتقاد فقد كفر ، ومازال يرى - على حد تعبيره - كل فرقة من المتكلمين تداوى أقوالا مريضة ، وتقوى أجنحة مهيضة ، فلم يحصل من ذلك على طائل ، وتمثل فيهم قول القائل :

كل يداوى سقيما من مقالته * * فمن لنا بصحيح مابه سقم

المرحلة الثانية : الرجوع الى دراسة الكتاب والسنة بعد أن قال فى نفسه لابد أن تكون فيهما براهين وردود على مخالفى الاسلام ، وارشاد ، وتعليم لمن اتبع الرسول - عليه الصلاة والسلام - فتدبر ذلك ، فوجد الشفاء كله ، وانشرح صدره ، وصلح أمره ، وزال - على حد تعبيره - ماكان مبتلى بها ، وأنشد متمثلا :

فألقت عصاها واستقر بها النوى * * كما قر عينا بالإياب المسافر.[1]

المرحلة الثالثة : مرحلة التأليف ، والمناظرات ، والمراسلات ، بل الجوابات ، فى الدفاع عن السنة النبوية الصحيحة ، اذ ترسل عليه شيخه ، وألد خصومه برسالة لم ينصف فيها - حينما أعلن ابن الوزير الاجتهاد ورفض التقليد ، والتمسك بالسنة النبوية الصحيحة - لما فيها من الطعن فى السنة الصحيحة ، وفى كثير من قواعد العلماء .

وفى هذه المرحلة اكتملت شخصيته العلمية ، وذاع صيته بين العلماء

---

(١) البيت لمعقر بن حمار البارقى كذا فى نوادر المخطوطات مجموعة أولى جـ ١ ص ٣٢٠ تحقيق عبد السلام هارون

الأكابر والأصاغر ، الى حد وصفه به الشوكانى اذ قال : (ان الذى يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعا فى ذات واحدة ، لم يبلغ علمهم الى مقدار علمه ... ولو قلت : ان اليمن لم ينجب مثله ، لم أبعد عن الصواب) (١)

وكانت ثمرة دفاع ابن الوزير تأليف (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) فى تلك الجبال العوالى والاودية الخوالى .

المبحث الرابع : تحدثت فيه عن الحالة الدينية والثقافية ، والخلافات العقدية بين الطوائف اليمنية الاسلامية وغيرها منذ أواخر القرن الثالث الهجرى لمّا بثت الدعوة الباطنية سمومها فى معظم المناطق اليمنية ، عن طريق دعاتها الملحدين المحرفين للشريعة الاسلامية ، كما أرست الزيدية دعائمها فى (صعدة) وضواحيها ، مع ما تحمله من الاعتزال ، وكما ظهرت الأشعرية فى بعض المناطق الأخرى .

وقد بلغت النزاعات الطائفية بين أتباع الأئمة الأربعة — فى اليمن — أوجها ، بشتى أنواعها ، وبين الزيدية أنفسهم فى مسائل الامامة وما يتعلق بها .

وكانت العلوم العقلية — فى نظر أصحابها — السلاح الذى لايكل حده فى معترك الانظار ، أما العلوم السمعية فهى شعار البلداء والمغفلين وهكذا دواليك حتى عصر ابن الوزير ، ولما اشتد الخطب وعظم الهول نهض يدعو الى الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ، اذ فيهما هداية البشرية ، وكل ماتحتاج اليه فى معاشها ومعادها ولا مانع من استخدام العقل فيما له فيه مجال .

كما نهض ابن الوزير يدعو الى ترك الاساليب المنطقية اليونانية ، لما فى القرآن الكريم من الغناء الكامل عن تلك المصطلحات اليونانية ، وأنه أساس لاستنباط البراهين العقلية ، وصنّف كتابا بعنوان (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) .

ثم تحدثت عن حركة التأليف فى عصر ابن الوزير ، وأشرت الى بعض كبار المؤلفين اليمنيين من أوائل القرن الثانى الهجرى الى عصر ابن الوزير من الشافعية والحنفية والزيدية ورتّبت المؤلفين الذين عاصروا ابن الوزير فى قائمة حسب وفياتهم ، وذكرت نماذج من مؤلفاتهم مع ذكر أماكن المخطوطات وأرقامها .

ثم تحدثت عن مكانة العلم والعلماء فى عصر ابن الوزير ، ومنافسة الأئمة

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩٢ .

الزيدية والسلاطين الرسولية وغيرهم فى ذلك •

ثم تحدثت عن الحالة الخاصة بابن الوزير ، وأنها مكونة من الحالة الثقافية والنفسية ، والسياسية المشوبة بشىء من الموالاة في الدفاع عن امام عصره •

المبحث الخامس : الحالة السياسية فى عصر ابن الوزير ، أشرت فيها الى أن الشرارة الاولى للصراع الدامى هى الصراعات العقدية ، وذكرت الدويلات التى تعاقبت فى اليمن بالويلات على أهله منذ مطلع القرن الثالث الهجرى الى عصر ابن الوزير بين سلاطين اليمن الأسفل وأئمة الزيدية من جهة ، وبين هوءلاء والباطنية من جهة أخرى بل كانت الحرب تشتعل بين الآخوة ، وأبناء العم، بل بين الآباء ، والأبناء من أئمة الزيدية •

ثم ذكرت أهم الاحداث السياسية والدامية فى عصر ابن الوزير التى أسفرت عن نصر الامام الذى كان يواليه ابن الوزير وهزيمة منافسه على عرش الزيدية فى صنعاء ، وأحد خصوم ابن الوزير •

المبحث السادس شيوخ ابن الوزير : وقد رتبتهم فى قائمة على حسب الوفيات ، وترجمت لكل منهم ترجمة موجزة وذكرت بعض من ترجم لابن الوزير مرتبا اياهم على حسب الحروف الهجائيـــــة •

المبحث السابع : تلاميذه : وقد رتبت تلاميذه على حسب الحروف الهجائية أيضا ، ولم أتمكن من ترجمتهم فاكتفيت بالاحالة على (طبقات الزيدية) •

المبحث الثامن موءلفاته : وقد وضعتها فى قائمة على حسب الحروف الهجائية ، المطبوعة منهـا والمخطوطة مع الاشارة الى المكتبة الموجودة فيهـا ، وأرقامها وذكرت بعض مميزات قالها بعض العلماء فيها ، واقتطفت من بعضهـا مقتطفات يسيـــرة بعضهـا من أول المخطوطة ، وبعضهـا أشرت الى مضمونها ، وبعضهـا غير صحيحة النسبة الى ابن الوزير كما بينته •

المبحث التاسع : ثناء العلماء عليه وابتعادا عن تهمة التعصب، حكيت كلام العلماء المعتبرين من المتقدمين والمتأخرين • كالحافظ ابن حجر العسقلانى ، وتلميـــذه السخاوى ، والموءرخ البريهى ، والامير الصنعانى ، والامام الشوكانى • وغيرهـــم من شيوخ ابن الوزير وتلاميذه ، مرتبا اياهم على حسب الوفيات •

المبحث العاشر : عزلته الاخيرة التى صنف فيها (أنيس الأكياس فى الاعتزال عن الناس) وكتاب (العزله) و (ايثار الحق على الخلق) وهو آخر مصنفاته وذكرت المبررات

التى يراها ابن الوزير للعزلة فى بعض الأوقات والأزمان مع الاشارة الى بعض الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك ، وأن هذه العزلة ليست من نوع اعتزال أهل التصوف الذين لا يرون النظر ، وطلب العلم ، ثم ذكرت وفاته ـ رحمه الله ـ فى هذه العزلة عن عمر يبلغ أربعا وستين سنة وسبعة أشهر إثر موجة من الطاعون اجتاحت معظم اليمن .

المبحث الحادى عشر : منهجه العلمى ، تحدثت فيه عن منهجه فى (العواصم) ومختصره (الروض الباسم) .

وأنه سلك مسلك المناظر الذى يسلك طريقة من ابتدأه ، ويتكلم بلغته واصطلاحه ثم المنهج المتبع فى أساس المناظرة ، والمراسلة ، وهو ايراد كلام الخصم أولا ، ثم التعرض لنقضه ثانيا .

كما ذكرت طريقة أخرى يسمونها التقريح بالكلام ، على سبيل الموعظة مع ذكر الشروط المتبعة فى هذا .

أما كتابه (ايثار الحق على الخلق) فقد نهج فيه غير هذا المنهج الجدلى ، لأن قسوة طباعه من آثار الكلام والجدال قد هدأت ، وأثار عاطفته الدينية ما رآه من التباعد والتباغض والتفسيق والتكفير بين طوائف المسلمين المختلفين فى أصول الدين ، فقد حاول التوفيق بين الأقوال ، ورد الخلافات الى المذهب الحق .

ثم تحدثت عن عوامل الاختلاف فى نظر ابن الوزير ، كما بينت أن ابن الوزير سلك طريقة السلف فى العقيدة ، اذ جعل الكتاب والسنة المصدر الاساسى لاستنباط العقائد ، والوقوف عند المتشابه ، الذى لا يعلمه الا الله ـ وخاصة مبحث الاسماء والصفات ـ ومنه الكلام فى ذات الله عز وجل ـ على جهة التصور أو الاحاطه والقول بعدم المجاز الا عند وجود احدى القرائن الثلاثة المقررة .

كما بينت أنه سلك فى اثبات وجود الله تعالى طريقة القران طريقة السلف الصالح ، وهى دلالة الفطرة ، دلالة الأنفس ـ دلالة الآفاق ، دلالة المعجزات ، وقد ضمنت منهج ابن الوزير هذا كثيرا من آرائه المتناثرة فى العقيدة وغيرها ، ومن ذلك منهجه فى التفسير ، والتعريف بمراتب المفسرين ، ومراتب التفسير ومايتعلق بذلك .

المبحث الثانى عشر : ميزاته الفكرية ، وقد بينت فيه أنه يذكر كلام خصمه ، ثم ينسفه

نسفا ، لكثرة مايورد عليه من الاشكالات المحيرة ، والمعارضات الشديدة ، والتنبيهات اللاذعة ، والحجج القوية ، يورد فى المسألة الواحدة مايبهر لب قارئه ، من ذلك مسألة قبول خبر فساق التأويل وكفاره ،أتى فى ذلك بالعجب العجاب .

ثم أشرت الى أنه جمع فى مسألة القدر ووجوب الايمان به سبعة وعشرين حديثا ومائتى حديث ، كما ذكرت أنموذجا من كلامه فى الأفعال والدواعى المتعلقة بمسألة القدر ، وبسط الكلام فى اثبات الرؤية فى مقدار ثمانين ورقة فى (العواصم) ونقل ٤٩ صفحة عن ابن القيم من (الحادى) ، وأورد فى ذلك سبعة وعشرين حديثا . وأورد فى إثبات حكمة الله تعالى فى أقواله وأفعاله مايقارب مأة آية فى (العواصم)

كما ذكرت أن ابن الوزير اذا تكلم فى المسألة الواحدة أشبعها بحثا ، لا فى علم من العلوم فحسب ، بل فى علوم شتى . وأنه اذا تكلم فى فن من الفنون ظن القارىء أنه لا يجيد غيره حتى اذا انتقل إلى فن آخر يتعلق بالمسألة ذاتها يظن القارىء ما ظنه أولا ، وهكذا كما قال الشوكانى : (وهو ـ أى ابن الوزير ـ اذا تكلم فى مسألة لا يحتاج الناظر بعده الى النظر فى غيره فى أى علم كانت) .(١)

كما أشرت الى أنه متأثر بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لكثرة ما ينقله ويحكيه عنهما . فقد ينقل عن ابن تيمية فى المسألة الواحدة مايقارب سبعين صفحة .

وأشرت الى أمانته العلمية فى النقل والدقة وعمق التفكير ، والتصنيف من حفظه غالبا ، وثقته بنفسه وتطبيق المبدأ القائل : لاعبرة بمن قال ، وانما العبرة بما قال ، كائنا من كان ، والحق يعرف بالمقال لا بالرجال .

الباب الثانى : الغرق الدينية فى عصر ابن الوزير : وفيه فصول :

الفصل الأول : التفرق وأخطاره المؤدية الى التفسيق والتكفير .

ذكرت فيه لمحة ضمنتها خطر التفرق وأسبابه ـ فى نظر ابن الوزير ـ وأن الذى وسع دائرة الخلاف بين طوائف المسلمين هو :

١ ـ البحث عما لا يعلم ، والسعى وراء مالا يدرك فى الطريق التى لا توصل الى الغرض.

٢ ـ تفسيق وتكفير الطوائف بعضها بعضا ، نتيجة اعتقاد كل طائفة أنها على الحق وأن غيرها على الباطل .

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩١

٣ — تعلق أهل الزيغ والابتداع بالمتشابه ، وجعله دليلا على ماهم عليه من البدع ، مع جدالهم عنه أشد الجدال .

ثم أشرت الى العوامل الرئيسية للابتداع فى نظر ابن الوزير وهى :

١ — تنكب طريقة السلف الصالح ، طريقة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، والفطرة التى فطر الله الناس عليها .

٢ — الزيادة فى الدين بتجويز المبتدعين خلو كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام — عن بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها — كما يزعمون — ولو بالنظر الدقيق .

٣ — النقص من الدين برد النصوص والظواهر الى المجاز ، بدون موجب قاطع للتأويل .

٤ — التصرف فى عبارات الكتاب والسنة ، بالعبارات المبتدعة وسيأتى هذا مفصلا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع ...) .

ثم ذكرت حديث افتراق الأمة بعدة ألفاظ عن جماعة من الصحابة بما فيه زيادة (كلها فى النار الا واحدة) .

وأشرت الى ماقيل فيها من التصحيح والقدح بايجاز وأن ابن الوزير قدح فيها قدحا شديدا ، وتجاوزت المسألة لعدم وقوفى على قدح ابن الوزير ، ثم وقفت عليه بعد البحث الشديد ، وليتنى لم أقف عليه ، فقد كلفنى وقتا وجهدا — بعد انتهائى من كتابة الرسالة — لايعلمه الا الله عز وجل ولولا الأمانة العلمية وأداؤها لاكتفيت بما سبق ، ولتركت الاستدراك ، ولكنى حاولت — قدر الطاقة — تحقيق الكلام ، فاتسع البحث ، وقادنى الى مالم يكن فى الحسبان وهى مسألة التكفير الخطيرة .

ثم تحدثت عن حكم أصحاب البدع المستنبط من زيادة (كلها فى النار الا واحدة) وهل البدع تخرج أصحابها من الملة أو لا ؟ ، وهل المراد بالأمة فى قوله عليه الصلاة والسلام (وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) هى أمة الدعوة أو أمة الاجابة ؟ وهل هذا الوعيد للثنتين والسبعين فرقة — على القول بصحة الزيادة المذكورة — يقتضى التأبيد أم لا ؟

واذا قيل إنه غير أبدى هل هو نافذ ، أم فى المشيئة ؟ وقد بينت الأجوبة عن هذه الأسئلة فى موضعها مع ذكر كلام بعض أهل العلم فيها .

ثم تحدثت عن مسألة التكفير ، وموقف ابن الوزير منها ، وتقسيمه التكفير ،

وأن المشكل عنده كفر التأويل لمن التزم بأركان الاسلام ، وأنه حصل له التوقف ، وعدم التكفير ، وأيد ذلك بعدة وجوه ذكرت البعض منها بايجاز .

ثم ذكرت الأطراف المتنازعة فى المسألة وتفصيلا لابن تيمية .

ثم حققت الكلام فى المسألة، توصلت الى تصحيح الزيادة التى قدح فيها ابن الوزير ومن معه . والى التوفيق بين الأدلة ، والقواعد التى ذكرها ابن الوزير، وبين الزيادة المذكورة التى ظاهرها التعارض لعدة وجوه ذكرتها هناك .

ثم أشرت الى من يستحق التكفير ممن لايستحقه ، بالاطلاق لا بالتعيين كما هو مذهب السلف . ثم ذكرت تنازع الفرق الاسلامية على الفرقة الناجية المشار اليها فى حديث افتراق الأمة .

ثم اشرت الى الضوابط التى تميز بين الطوائف الاسلامية ، ثم الى فصل النزاع بين الطوائف المذكورة بالفصل النبوى من هم يارسول الله ؟ (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابى) .

الفصل الثانى السلفية فى اليمن — وقد أشرت الى فضائل أهل اليمن ، وبعض أعلام الحديث منهم ، ومن تخرج منهم فى علم الحديث على أيدى بعض الصحابة وخلفهم جماعة من التابعين من أهل اليمن ، ولا زال هذا العلم منتشرا فى مدن اليمن وسواحله وجنوبه حتى ماقبل عصر ابن الوزير فحلت العلوم العقلية مكان السمعية ، وبلغ الخلاف والجدال القمة ومعظم الطوائف تخطىء بعضها بعضا ، وتكفرها لما تنكب معظمهم المنهج السلفى وجنحوا الى التعصب ونبذ الاجتهاد ، وكاد أن ينطفىء نور الحق ، ثم تحدثت عن موقف ابن الوزير من الانحراف عن منهج السلف .

ثم تحدثت عما قام به ابن الوزير من التجديد والدعوة الى كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وترك التعصب والجمود ، وحمل لواء الاجتهاد ، ثم أشرت الى ماحصل له من المشاق فى سبيل ذلك وما حصل له من الانتصار بعون الله تعالى .

الفصل الثالث المعتزلة : وموقف ابن الوزير منها تحدثت عن ظهورها فى اليمن ، ومتى تسربت اليه وعلى يد من ؟ كما ذكرت أصولهم الخمسة المعروفة ، وأجلت موقف ابن الوزير منهم لفصل (الزيدية) لما بينهما من الارتباط القوى مل الاتفاق .

الفصل الرابع : الزيدية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها : بينت من هم الزيديـة ؟ ومتى اطلق عليهم هذا اللقب ، وهل الزيدية فى اليمن هم الاصل ، أم غيرهم ، واذا كانت الثانية فمتى دخلت اليمن ، ومن الذى أسسهـا ونشر أفكارهـا ، وهل كانت لهم دولة ؟ .

ثم تحدثت عن فرق الزيدية فى اليمن ورجحت أنهـا من الشيعة وبينـت أصولهم الخمسة وهى أصول المعتزلة ذاتهـا ما عدا المنزلة بين المنزلتين عنـد المعتزلة فقد استبدلها معظم الزيدية بمسألة الامامة ، وبينت موقف ابن الوزير من كل أصل من أصولهم الخمسة وأن موقفـه موقف أهل السنة والجماعة ماعدا الاصل الرابع المختلف فيه بين المعتزلة والزيدية وهو الامامة . فلابن الوزيـر آراؤه الخاصة وستأتى فى فصل خاص من الباب الثالث ان شاء اللـه .

وقد عقدت مقارنة بين المعتزلة والزيدية ، كانت نتيجتهـا أن معتقـدات الزيدية خليط من عقائد المعتزلة ، كما فى أصولهم الخمسة ، ومن الشيعـة الامامية القائلين بالنص على امامة الثلاثة على والحسنين ، والمعتزلة تقول طريقـه الامامة الاختيار كما تحدثت عن الارتباط بين المعتزلة والزيدية فوجدت المعتزلة هى الأم الحنون التى غدت وتغذى الزيدية بأفكارها من مهدها الى لحدها إلا من شاء اللـه منهم فالزيدية فى اليمن معتزلة فى كل الموارد الا مسألة الامامه .
أما فى الفروع فهم هادوية — غالبا — وفيهم أئمة مجتهدون .

الفصل الخامس : الأشعرية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها : وقد بينت فيه أطـوار الامام أبى الحسن الاشعرى الثلاثة وعقيدته فى كل منها ، وجزمت بأن الابانـة لأبى الحسن الأشعرى بعد أن ذكرت البراهين على ذلك .

ثم تحدثت عن ظهور المذهب الأشعرى فى اليمن ، من الناحية التاريخية ، وذكرت الخلاف فى ذلك .
ولم أجـد لابن الوزير موقفا معينا مع أشعرية اليمن ، لأن معظمهم كانوا فـى سواحل اليمن وجنوبه ، تحكمهم دويلات خارجة عن حكم أئمة الزيدية فـى المناطق الجبلية .
أما موقف ابن الوزير العام من الأشعرية ، فله مواقف متنوعة .
تارة يقف منهم موقف الحكم ، بينهم وبين خصومهم المعتزلة ، وتارة يقف موقـف

المدافع عنهم ، وتارة موقف الخصم ، وتارة موقف المتألم المتحسر على الفرقة التى أدت الى التفسيق والتكفير بين طوائف المسلمين .

وقد ذكرت مثالا واحدا من مواقف ابن الوزير من الاشعرية عموما ، وهو الكلام على حكمة الله تعالى مع ذكر معناها عند ابن الوزير وعند أهل الكلام مع مقارنة بين غلاة الاشعرية الذين رجحوا نفى الحكمة ، وغلاة المعتزلة الذين زعموا أنهم يعلمون تفاصيلها ، كما أشرت الى ان القدح فى الحكمة عند ابن تيمية واتباعه ، يتطرق الى النقص فى الربوبية ، وهذا يحتمل الكفر ويضارعه ، ثم تحدثت عن منهج ابن الوزير فى اثبات الحكمة ، بالنصوص القرآنية والاسماء الحسنى وأسئلة وجوابات . من ذلك ماورد فى تعليل خلق السموات والأرض ، وما ورد فى تعليل العذاب بالأعمال والاستحقاق ذكر ابن الوزير فى (العواصم) أكثر من مأة آية كلها تدل على اثبات حكمة الله تعالى ، ومن ذلك الآيات الدالة على أنه لايكون فى مخلوقات الله تعالى شر من جميع الوجوه بل لابد من خير كامن فى ذلك الشر . ثم ذكرت نماذج من السنة النبوية الصحيحة الدالة على ذلك .

كما تحدثت عن مناقشة ابن الوزير لأدلة نفاة الحكمة ورجحت أنه لا وجه لنفاة الحكمة فى استدلالاتهم على نفى الحكمة ، مدعما ذلك بقول كبار المفسرين ، ومن حججهم إيلام الاطفال والبهائم ، ودوام العذاب الأخروى ، وهذا معظم ما جرأهم كما فى نظر ابن الوزير على القول بأن الله تعالى يريد الشر المحض لا لحكمة ولا غاية .

ومن حجج نفاة الحكمة شبهة الأطفال الثلاثة ذكرتها على صورة مناظرة بين الأشعرى والجبائى ، كان المنقطع فيها الجبائى .

كما ذكرت نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات والوساوس ، وذكرت الدواء الذى وصفه ابن الوزير لهذه الأمراض .

ثم ذكرت الحكمة فى خلق الأشقياء عند ابن الوزير ، وأنها ترجع الى سبعة أمور تفصيلية وأمر جملى .

ثم ذكرت حاصل المسألة .

<u>الفصل السادس — الباطنية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها</u> : بدأته بمقدمة تتضمن فضائحهم ، واتفاق علماء المسلمين على تكفيرهم وكذبهم فى انتسابهم لاهل البيت عليهم السلام .

ثم تحدثت عن ابتداء أمر الباطنية في اليمن على يد على بن الفضل الحميرى ومنصور اليمن بتوجيه من ميمون القداح المجوسى منطلقة من عند قبر الحسين بن على بالعراق .

ثم تحدثت عن آثار على بن الفضل السيئة ، وذكرت أنموذجا من كلامه ، أو من كلام شاعره ، وفيه إبطال الشريعة ، وتحليل المحرمات .

ثم أشرت الى موته مسموما .

ثم خلفه في الدعوة الى الباطنية الصليحيون ، وأعلنوها من حراز .

ثم ذكرت مجمل تعاليم هذه الباطنية ، وأثرها السىء ، بمقتطفات من كلام الحمادى اليمانى .

ثم بينت مراحل دعوتهم الخبيثة ، وما يخدعون به عوام الناس بأقوالهم المزخرفة ، المحرفة لكتاب الله — عز وجل — على غير وجهه .

ثم أشرت الى موقف ائمة الزيدية وغيرهم من الباطنية ، ثقافيا وعسكريا .

ثم تحدثت عن موقف ابن الوزير منهم ، وهو موقف كل مسلم غيور على دينه وأمته ، وذكرت نماذج من تأويلهم الباطل قرر ابن الوزير أثناءها أن كفرهم معلوم عند جميع المسلمين كما ذكرته عن علماء المسلمين في مقدمة هذا الفصل .

الباب الثالث : آراء ابن الوزير الاعتقادية ، وفيه فصول :

الفصل الاول : الالهيات ، وفيه تمهيد ومباحث .

أما التمهيد : فقد بينت فيه أن التدين أمر فطرى فى الانسان ، وأن الشياطين اجتالت الناس عن دينهم مع ذكر الأدلة الصحيحة على ذلك ، كما بينت أن الاقرار بالصانع أمر فطرى ، وأن الجحود أمر طارىء على الفطرة ثم أشرت الى شبهة الملحدين المنكرين وجود الله — عز وجل — ورددت عليهم من نوع ما يؤمنون به .

وأما المبحث الأول : فقد بينت فيه معانى الفطرة بيانا مستفيضا ، كما ذكرت أقوال الكثير من العلماء لمعانى الفطرة الواردة فى الكتاب والسنة ، مع مناقشة الاقوال وأدلتها ، وترجيح الراجح منها .

وبينت ما يتعلق بذلك من الكلام فى أولاد المشركين ، وترجيح ابن الوزير أنهم فى الجنة ، مع ذكر الأدلة الصحيحة الصريحة على ذلك .

كما تحدثت عن مسألة الامتحان يوم القيامة ، لمن مات فى الفترة ، والمجنون والهرم والصغير ، وكثرة الخلاف فى ذلك ، وأن بعض العلماء رجح انكارها ، لعدم صحة الأحاديث الواردة — عندهم — فيها ، ولأن الآخرة دار جزاء لا تكليف فيها ، ورجح بعضهم صحة ذلك ، لصحة الأحاديث الواردة فى ذلك .

ثم حاولت الجمع بين الأقوال لمعانى الفطرة ومتعلقاتها ، وأشرت الى منشأ الخلاف فى ذلك .

وهو أن بعض الأقوال مأخوذة من المعانى اللغوية ، وبعضها من المعانى الشرعية ، وبعضها متعلق بالقدر .

المبحث الثانى : طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع : أشرت فيه الى طرق اثبات الصانع عند المتكلمين والصوفيين ، ونقد ابن الوزير وغيره لطريقة المتكلمين ، ثم أجبت على ماقد يرد على كلام ابن الوزير هنا من أنه ينكر النظر ، وكتبه مشحونة به ، من أنه انما ينكر النظر الذى ليس للعقل فيه مجال ، وأنه ممن يستخدم النظر فى فهم النصوص ، وأن الفرق بين النظرين أن المتكلمين أول مايبدءون به النظر ، وابن الوزير أول واجب عنده على المكلف الايمان بالله ثم يأتى النظر فى مراحل متأخرة ، ثم أشرت الى تأييد بعض العلماء اعتراض ابن الوزير لطريقة المتكلمين .

ثم ذكرت طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع ، وهى طريقة الأنبياء ، حيث وصفها بأنها أصح الطرق وأوضحها وقد صنفها الى أربع طرق وسماها دلالات ، وكلها دل عليها القرآن الكريم .

الأولى الفطرة : وقد سبق الحديث عنها ، وبدأ بها لأنها من أوضح المعارف ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء إنه ضرورى لايحتاج الى نظر .

الطريقة الثانية : دلالة الأنفس لما فى الانسان من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ، وذلك يدل على أن هنالك صانعا حكيما وقد ذكرت كثيرا من الأدلة التى ساقها ابن الوزير من القرآن الكريم على ذلك ، ثم أشرت الى أطوار الانسان المسلسلة من الطين الى أن يصير انسانا فى أحسن تقويم ، مع ذكر الأدلة على ذلك ، وأشرت الى خروج الطفل من ذلك المكان الضيق من غير اختيار من المولود والوالدة ، وهو فعل محكم لابد له من فاعل مختار وغير ذلك من العجائب فى المراحل كما أشرت الى الرد على الطبائعيين القائلين بأن هذه المخلوقات من صنع الطبيعة ولو كان كذلك لجاز أن تكون لنا دور معمورة ، أو مصاحف مكتوبة ، أو ثياب محوكة أو حلى مصوغة بغير بانٍ ولا كاتب ولا حائك ولا صانع ، ثم أشرت الى ميزات الانسان وأفضلها .

الطريقة الثالثة : دلالة الآفاق ، وهى على حد تعبير ابن تيمية وغيره دلالة الاختراع والعناية ، وبعضها فى لغة عصرنا ماتسمى بالطقس والأحوال الجوية وذلك مايحدث ويتجدد فى العالم من طلوع القمرين والكواكب ، وغروبها ، والرياح والنجوم الثوابت منها والمعالم ، وتغيير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال ، الحاملة للماء الكثير ، مع ذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة ، وذكر أقوال بعض المفسرين لبعضها وهذه الأمور وغيرها من نظر فيها نظر عاقل منصف تحتم عليه التصديق بأنه لاصانع لها الا الله سبحانه وتعالى .

الطريقة الرابعة : دلالة المعجزات طريقة القرآن وطريقة الأنبياء ذكرت فيها أن النظر فى المعجزات هو ما اختاره الله تعالى لخليله عليه السلام — حين طلب أن يطمئن قلبه ، — عليه السلام — حين أراد أن يفحم خصمه .

وهى الطريقة التى آمن بها السواد الأعظم فى زمن خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وفى زمن موسى من السحرة وغيرهم •
كما أشرت الى استنكار ابن الوزير طريقة غلاة المتكلمين بالاكوان والأعراض لأنها غير ذوات حقيقية عند المحققين بل غير طريقة القرآن الكريم التى ذكرت المعجزة لأنها تدل على الرسالة والوحدانية •
ثم عقدت مقارنة بين كلام شيخ الاسلام وابن الوزير فوجدت الافكار بعضها من بعض•

كما ذكر ابن الوزير كثيرا من القرائن الدالة على صدق الأنبياء عليهم السلام، واتفاقهم فيما أخبروا به من أن لهذا العالم صانعا ومدبرا حكيما وكمّل تلك الطرق والدلالات بدلالة الايمان على وجود الله عز وجل — عند الشدائد كايمان قوم يونس لما رأوا العذاب ، وايمان فرعون حين شاهد الغرق ، وهذا من طبيعة النفوس عند شدة الخوف •

المبحث الثالث : طريقته فى اثبات الاسماء والصفات • وقد بدأته بمقدمة موجزة أشرت فيها الى خطورته ، فكم من أقدام زلت فيه الى الهاوية ، ولم ينج الا من سلك طريقة السلف الذين يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تشبيهه ولا تعطيل ، على ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[1] ففى أول الآية رد على المشبهة ، وفى آخرها رد على المعطلة ، يضاف الى ذلك قوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) •[2]

ثم ذكرت تصوير ابن الوزير لقبح الاختلاف والتأويل الذى وصل اليه غلاة المتكلمين ، وكثرة الكلام فى هذه القضية حتى سمى الخوض فيها بعلم الكلام •

ثم تحدثت عن منهج ابن الوزير فى اثبات الاسماء والصفات ، فقد تبنى المنهج الجملى ، لأنها من الأمور الخبرية ، المتفق على الاعتقاد الجملى فيها وهو ما أقره ابن تيمية وغيره من السلف •

وقد دعمت ماذهب اليه ابن الوزير من المنهج الجملى فى الاسماء والصفات بأقوال أئمة السلف المشهورين ، وهو امرار آيات وأحاديث الصفات ، كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل وقد أشرت الى شىء من التفصيل على هذا الاجمال من كلام أهل السلف • كما اشرت الى أن التفويض المطلق ليس من عقيدة السلف ، وانما التفويض عندهم فى علم الكيفية والاحاطة • وأن ابن الوزير

---

(١) سورة الشورى آية (١١)
(٢) سورة طه آية (١١٠)

قد صرح بأن الكلام فى ذات اللـه على جهة التصور أو الاحاطة ، على حد علم اللـه تعالى من المتشابه الممنوع الذى لايعلمه الا اللـه تعالى .

كما ذكرت أن ابن الوزير يستنكربشدة قول القائلين بأن أسماء اللـه تعالى وصفاته مجاز ولغيره حقيقة . ثم حققت الكلام فى الجهة والتحيز ، كما حققت الكلام فى القديم ، والقدم .

ثم عقدت مقارنة بين عقيدة ابن الوزير بحروفها وبين عقيدة ابن تيمية بحروفها فى هذه المسألة فوجدتهما متفقين فى الأصل ، مع مالكل منهما من الامتيازات

الفصل الثانى : الغيبيات : أشرت فيه الى أن (الغيبيات) لاجدال فيها بين ابن الوزير وخصومه ، ماعدا مصير مرتكب الكبيرة . والحديث عن الغيبيات هو الحديث عن القيامة الصغرى والكبرى ، وما يشمل ذلك من الأهوال ، والحديث عن الجنة والنار ، فقد أسند ابن الوزير الى ابن تيمية وأسلافه وأتباعه القول بفناء النار ، وأن الغزالى قد أشار الى نصرة قولهم ، وهذه المسألة تحيّر فيها كثير من أرباب العقول ، وهى عند شيخ الاسلام مسألة عظيمة كبيرة كما حكاها ابن القيم وعنده أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ، وعند ابن الوزير هى أم المتشابهات ، ومحارة علماء المعقولات والمنقولات ، ولقد عانيت فى البحث عن ذلك معاناه شديدة لا يعلمها الا اللـه — عز وجل — ثم من عاناها ، ومما زاد الطين بلة استفاضة هذا عن شيخ الاسلام كما أشرت الى أنه من المحتمل اطلاع ابن الوزير على حادى الأرواح فوهم فى اسناده الى ابن تيمية ومعلوم أنه لابن القيم . فقد ذكر المسألة والخلاف فيها مع ذكر الأدلة ، وان فى أبدية النار قولان للسلف والخلف ، ونصر القول بفنائها ، وأيده بالأدلة الشرعية والعقلية ، ثم ذكر أقوال الذين قطعوا بدوام النار ، وأدلتهم السمعية والعقلية ، من ستة أوجه ، ولم ينصرها كما نصر القول بفنائها ، وأيد القول بفناء النار من خمسة وعشرين وجها شرعية وعقلية قوية تحيّر العقول ، ومع هذا لم يجزم بفنائها بل حصل له التوقف فى آخر الامر ، وهو ماذهب اليه ابن الوزير ، وألف فيه مؤلفا خاصا سماه (الاجادة فى الارادة) تزيد عن ألف بيت كما أشرت الى أن توقف ابن القيم هذا تشم منه رائحة الرجوع ، وقد رجع بالفعل كما صرّح بعدم فناء النار فى الوابل الصيب .

ثم ذكرت ما يستنتج من كلام ابن القيم وابن الوزير مع المقارنة بين كلامهما .
كما أشرت الى أنهما وهما فى اسناد ذلك الى شيخ الاسلام ابن تيمية ، وان هذا الوهم لايحط من مكانتهما العلمية .
ثم ذكرت مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير ، وعلقت على ما يحتاج الى التعليق وذكرت فيه مذهب ابن الوزير فى المسألة وهو التوقف لأنها أم المتشابهات عنده ، وهو منهج من مناهج السلف عند المتشابه .

ثم وجدت كلاما لابن القيم بعد هذا العناء الشديد قد يرفع الوهم عن أحد الشيخين ابن القيم وابن الوزير .
ثم تحدثت عما أشار اليه الصنعانى من أن ابن تيمية حامل لواء القول بفناء النار ، وحاشد خيل الأدلة ورجلها وبينت أن هذا الكلام غير مسلم لأن مستنده (الحادى) وهو لابن القيم .

وفى النهاية رجحت ما ذكرته سابقا من عدم قول ابن تيمية بفناء النار لعدة وجوه بينتها فى موضعها .

الفصل الثالث : النبوات : وقد ذكرت فيه أنه ركن من أركان الايمان ، وأن التكذيب ببعض الأنبياء يستلزم التكذيب بجميعهم وأن الكلام فى النبوات من أوضح العلوم لتطابق دلائل المعجزات ، وليس لمنكرى النبوات من الشبه ما يثير الشبهات وانما قدحت البراهمة فى الشرائع بنحو ذبح البهائم ، وهذا جهل فاحش فالذى خلقها هو الذى أباحها .
كما أشرت الى مؤيدات أمر النبوات وذكرت حكم التفريق بين الأنبياء ، بأنه كفر بنص القرآن الكريم .
كما تحدثت عن معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وتقسيم ابن الوزير لها الى حسية ، وعقلية ، وتقسيم الحسية الى ثلاثة أقسام :
١ — الأمور الخارجة عن ذاته .
٢ — الأمور الذاتية .
٣ — الأمور الصفاتية: وقد أشرت الى بعض التفاصيل فى ذلك .

كما ذكرت تقسيم ابن الوزير للمعجزات العقلية الى ستة أقسام ذكرتها بايجاز من ذلك اخباره بالمغيبات الماضية والمستقبلة ، وجعلها قسمين :

القسم الأول : ماورد فى القرآن الكريم وقد ذكرت من ذلك نماذج •

القسم الثانى : ماورد فى السنة ، وذكرت منه نماذج أيضا ، كما أشرت الى نماذج من المؤكدات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعض شهادة الكتب السماوية السابقة ، وأن انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام يستلزم الطعن فى الربوبية •

الفصل الرابع : المعارك الكلامية فى الدفاع عن أصحاب العقيدة السلفية ، وذم الاساليب الكلامية • وفيه تمهيد ومسائل •

أشرت فى التمهيد الى إسباب تلك المعارك منها بلوغ ابن الوزير درجة الاجتهاد ، وتمسكه بالسنة النبوية • وقد اقتطفت ما يناسب المقام من الرسالة التى اعترض بها عليه أحد شيوخه حسبما وصفها ابن الوزير • وقد تضمنت القدح فى صحة الرجوع الى الكتاب والسنة ، والآثار الصحابية ، والقواعد الأصولية وفى عدة قضايا ومسائل ، حواها كتاب (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) وقد ذكرت منها بعض المسائل كأمثلة على ذلك وبناء على قواعد الجدليين سأقتطف الاعتراض ثم الاجابة :

المسألة الأولى : اتهام المعترض الزيدى الامام أحمد بالتشبيه ، روى ذلك عن علماء الزيدية وغيرهم ، وقد ذكرت اجابة ابن الوزير عن ذلك بأسلوب جدلى الزامى ومفحم وخلاصة الجواب :

إما أن يقصد المعترض بذلك القدح فى حديث الامام أحمد أو تكفيره ؟، إن كان الأول فإنه لم يصح لأمور :

١ ـ الاجماع المنعقد على قبوله فى الحديث ، لاجماع المسلمين على صحة الصحيحين ، والامام أحمد إمام مصنفيهما ، بل اليه المرجع فى توثيق ثقاتهما •

٢ ـ الاجماع على الاعتداد بخلافه ، وعدم الانعقاد بدونه وذلك فرع عن ثقته وأمانته ، وكتب الزيدية مشحونة بمذاهبه ، واشتغل علماؤهم بحفظ أقواله ، ولو كان مجروحا لم يحسن ذلك منهم •

٣ ـ إنّ روايات الزيدية وغيرهم معارضة باجماع أهل الحديث على براءته من التشبيه •

وإما ان أراد المعترض التوصل بذلك الى تكفير الامام أحمد ، فهذا لا يصح لأمور منها :

١ — عدم انعقاد الاجماع بدونه كما سبق .

٢ — اذا كان التشبيه عند المعترض مستفيضا عن أحمد فما باله يملى على طلبة العلم مذاهبه ، وهلّا أملى عليهم مذاهب الباطنية وقولهم إن للأنثى مثل حظ الذكر ؟ .

٣ — معارضة ذلك باستفاضة نزاهته عن ذلك عند أهل السنة ، وهم أخص به .

٤ — ان التكفير من المسائل القطعية ، ويحتاج مدعيه الى التواتر الصحيح .

المسألة الثانية : الكلام فى رؤية اللـه عز وجل — فى الآخرة ، وقد ذكرت فيها مانسبه المعترض الى الشافعى من أن القول بالرؤية طوق عليه الاحتمال بكيف أو بلا كيف ، لأن المعترض ينكر الرؤية .

ثم ذكرت اجابة ابن الوزير بالأسلوب الجدلى تذكر عدة اشكالات ، ومقدمات ، وفصلين ، ضمنهما أقوال المثبتين لرؤية اللـه عز وجل ، فى الآخرة من أهل السنة ، وذكر أدلتهم ، كما ذكر أقوال المنكرين لها من الجهمية والمعتزلة ، وأدلتهم وفندها ، وقرر اثبات الرؤية ووقوعها فى الآخرة ، وعرّج على قول الأشعرية بصحة الجمع بين نفى الجهة ، وصحة الرؤية .
كما سرد الاحاديث الدالة على الرؤية سبعة وعشرين حديثا عن سبعة وعشرين أو ثلاثين صحابيا ، وشواهدها عن أكثر من ثلاثين صحابيا فى أكثر من ثمانين حديثا ، وهذا ما فعله فى (العواصم) كما نقل كلام ابن القيم فى (حادى الأرواح) المتعلق بهذه المسألة كله ، ثم قررت اثبات رؤية اللـه تعالى فى الآخرة اثباتا لايقبل الجدل ، الا عند الجهمية والمعتزلة ، ومن سلك طريقهم مع الزامهم ما ألزمهم به ابن الوزير ، وهو التشكيك فى صحابة الاسلام ، والتابعين لهم باحسان الذين رووا أحاديث الرؤية وقالوا بصحتها فى الآخرة .

المسألة الثالثة : وصم أئمة الحديث بالبله والجمود لعدم تأويلهم آيات الصفات وأحاديثها ، ودفاع ابن الوزير عنهم وفيه العجب العجاب .

ذكرت فيه وهم المعترض أن الذكاء من خصائص المعتزلة ، وأن أجنحة أهل

الحديث عن النهوض لفضيلة الكلام — كما فى زعمه مقصوصة — لما بهم من البله وجمود الفطنة ولعدم ممارستهم الجدل ، والهدف من ذلك القدح فى السنة النبوية الصحيحة .

كما بينت دفاع ابن الوزير الذى يبض فيه وجوه أهل الحديث بل زادها بياضا على بياضها ، وشوه وجوه أهل الكلام ، على ما بها ، بتلك التقريعات الجدلية اللاذعة ، وما أدراك ماتلك التقريعات الجدلية اللاذعة ، التى تورد المعترض فى مهاوى الارتباك ، وقد تورده اعتراضاته إن استلزمها موارد الهلاك ، وهى تقريعات كثيرة مبسوطة فى (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) تترك أهل الكلام صرعى ، كأنهم أعجاز نخل منقعر ، وتشيد بأهل الحديث ، حتى ترفعهم الى أعلى القمة ، ولله الحمد والمنه .

كما بينت أن ابن الوزير أثبت رجوع هؤلاء — وهم فحول اهل الكلام والجدال — من كلامهم أنفسهم كما فى (العواصم) وقد وثقت كلام ابن الوزير هذا من كتب هؤلاء النظار ، ومن كتب غيرهم المعتمدة عند أهل العلم بحيث لا يبقى شك فى صحة ذلك ، وقد اقتطفت بعضا من تلك النصوص التى ذكرها ابن الوزير فى (عواصمه) و (روضه) ليعلم مدى حيرتهم وحسرتهم وصدق رجوعهم ، وقد ختمت تلك التقريعات بأن اختيار أهل الحديث لترك الكلام ، والتأويل ليس يلازمه البله وجمود الفطنة ، وانما يلازمه ذلك ، لو كانوا بذلوا جهدهم فى تفهمه ، وتعلم أساليب الجدال ، فكلّ منهم الحدّ ، ولم يساعدهم الحظ ، وليس الأمر كذلك ، فانما تركوه لما ورد فى القرآن الكريم ، من الأمر بالاقتداء برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولما ورد فى الحديث من النهى عن البدع ، ولحديث : (ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل) ولما فى الصحيحين مرفوعا : (إن أبغض الرجال الى الله الألد الخصم) .

ثم ذكرت أبياتا لابن الوزير منفرة عن المنطق ، وذلك لما طلب منه بعض الطلاب أن يدرس عليه المنطق فقال :

. . . .

كم من فتى منطقى الذهن ما خطرت ... بالبال منه اصطلاحات القوانين

وكم فتى منطقى كافر نجس ... كالكلب بل هو شر منه فى الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة ... فهما ويسخر من طه ويس

ومما قال ايضا فى هذا المعنى :

منطق الأولياء والأديان ... منطق الأنبياء والقرآن
ولأهل اللجاج عند التمارى ... منطق الأذكياء واليونان

الفصل الخامس : آراوءه فى الامامة والسياسة :
وفيه تمهيد ومبحثان

ذكرت فى التمهيد معنى الامامة والسياسة .
كما أشرت الى اهمية الامامة ، وبينت طريقة اختيار الامام ، والخلاف فى ذلك مع ذكر الأدلة منذ يوم السقيفة المشهور فى التاريخ ، كما أشرت الى حكم الامامة ، وأنه لا خلاف فى وجوبها فى الجملة ، وانما الخلاف هل هو بالشرع أو بالعقل أو بهما ، وممن رجح وجوبها بالعقل ابن الوزير ومن معه .
ثم ذكرت شروط الامامة والخلاف فيها مع ذكر الأدلة ، وأن مسألة الامامة ذات وجهين : اعتقادية باعتبارات، وفقهية اجتهادية باعتبارات

المبحث الأول : امامة الجائر والخروج عليه بين ابن الوزير وخصمه المحترض بأن فقهاء الاسلام يجوزون امامة الجائر — وأنهم شيعة يزيد قاتل الحسين ، واجابة ابن الوزير عن ذلك مطولة مقارنة . بأقوال فقهاء الاسلام من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم ، بل أئمة المذاهب المانع منهم والمجوز .

كما ذكرت استشهاد ابن الوزير على جواز الخروج — عند الفقهاء — على من فحش ظلمه كيزيد بخروج الحسين بن على — على يزيد ، وابن الزبير وأهل المدينة على بنى أمية ، وزيد بن على على هشام بن عبد الملك ، وأن هوءلاء تأولوا حديث (وألا ننازع الأمر أهله) على أئمة العدل ، وأيد هذا بعدة أوجه .
كما ذكرت تفصيل الكلام فى استشهاد الحسين وفى يزيد وموقفه منه من كلام ابن تيمية .
ثم ذكرت أن خصم ابن الوزير جهل موضع الخلاف بين الزيدية والفقهاء ، وهو

النسب العلوى الفاطمى عند الزيدية والقرشى عند الفقهاء ، ثم بينت موضع الخلاف فى ذلك ، وإلزام الزيدية موافقة الفقهاء حسب أصلهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

المبحث الثانى : حكم الولاية لأئمة الجور فى نظر ابن الوزير وهى محل النزاع الحقيقى — ذكرت أدلة الفقهاء على جواز أخذ الولاية من أئمة الجور ، وذكرت ماعارضهم به المعتزلة والزيدية من الأدلة ومناقشتها ، وأشرت الى تفصيل الشوكانى فى ذلك •

ثم ان الفقهاء وإن قالوا بصحة أخذ الولاية من أئمة الجور فلم يجعلوهم مثل أئمة العدل من جميع الوجوه •

ثم بينت غلط المعترض على الفقهاء حيث ظن أنهم يصوبون أئمة الجور فى قتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس على حسب رأى ابن الوزير •

ثم أشرت الى ان ابن الوزير توصل الى جواز أخذ الولاية من أئمة الجور لما فيها من المصالح العامة للمسلمين • وأن ابن الوزير قد صنّف مصنفا خاصا فى هذه المسألة سماه (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) فى الدفاع عمن وصم المنصور هذا بأنه غير كفء للامامة لعدم توفر شروطها فيه عند الزيدية ، وأهمها الاجتهاد والنسب •

وأن ابن الوزير أجاب : بأن الاجتهاد ، بل أقله — فى نظره — أمر خفى ، قد اشتد الخلاف بين علماء المسلمين فى تفسيره وتيسيره أوتعسيره ، وانه لو كان الاجتهاد شرطا فى الإمامة ، كالوضوء شرط فى الصلاة لقضت العادة بذكره عند بيعة الخلفاء • • • •

وأن المعتبر فى الكتاب والسنة — فى نظر ابن الوزير — العدل وترك الجور ، لورود الثناء على العادل ، والذم والوعيد للجائر ولم يرد الثناء على الامام العالم ، والوعيد للجاهل •

كما علقت على هذه المسألة تعليقا موسعا محققا ضمنته الخلاصة والنتيجة •

الفصل السادس : موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد ، وقد أشرت فيه الى معنى الابتداع والتقليد •

كما ذكرت فيه أن منشأ معظم البدع — كما فى نظر ابن الوزير — يرجع الى أمرين :

أحدهما : الزيادة فى الدين باثبات مالم يذكره الله — تعالى — ورسله عليهم السلام — من مهمات الدين الواجبة .

ثانيهما : النقص منه بنفى بعض ما ذكره الله — تعالى — ورسله ، بالتأويل الباطل ، ويلحق بهما التصرّف فى الدين بالعبادات المبتدعة ، ثم ذكرت أنواع الزيادة فى الدين كما قررها ابن الوزير .

ثم ذكرت من أسباب الزيادة فى الدين ، تجويز خلو كتاب الله — عز وجل — على زعم أهل البدع — وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ، ولو بالنظر الدقيق ، عند أهل الكلام .

وهذا ممنوع عند أهل الاثر لعدة وجوه ذكرت أهمها :

كما تحدثت عن الامر الثانى : وهو النقص من الدين ، وهو رد حقائق النصوص ، والظواهر الى المجاز ، من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل ، ثم اقتطفت نماذج من ذلك — حسبما قرره ابن الوزير على سبيل الاختصار .

ثم تحدثت عن الامر الثالث وهو التصرف فى عبارات الكتاب والسنة ، بالعبارات المبتدعة ، وأن هذا عند التحقيق يرجع الى الامر الأول وهو الزيادة فى الدين .

ثم ذكرت أن ابن الوزير يمنع التعبير بغير ما عبّر به الكتاب والسنة ، لجواز الخطأ ، على العلماء فى فهم المعنى ، أو التعبير عنه أو فيهما معا لوجوه ذكرت بعضا منها :

ثم بينت أن ابن الوزير لم يمنع من ذلك مطلقا ، وانما يمنع منه حيث يضر ويستغنى عنه بعبارات الكتاب والسنة التى لاتحتاج الى تفسير مع تفاصيل بينتها فى موضعها .

ثم بينت طريقة ابن الوزير فى تفسير القرآن الكريم ، مع بيان الفرق بين التفسير والتحريف ، والتأويل والتبديل ، وأن للتفسير عنده مرتبتين :

الأولى : مرتبة الصحابة .

الثانية : مرتبة التابعين .

وأن مراتب التفسير عنده سبعة انواع كما بينتها .

ثم ذكرت الأصول التي تقوم عليها الزيادة في الدين ، والنقص منه ، والملحق بأولهما .

وأنها تقوم على أصلين :

أحدهما : سمعي وهو اختلاف المتكلمين في معرفة المحكم والمتشابه ، والتمييز بينهما ، حتى يرد المتشابه الى المحكم .

ثانيهما : عقلي وهو اختلافهم ، هل يعلمون تأويل المتشابه ؟ ثم اختلافهم في تأويله على تسليم أنهم عرفوا المتشابه ثم ما سبب وقوع المتشابه على العقول من حيث الحكمة ، كما ذكرت لمحة عن المحكم والمتشابه في القرآن الكريم كما في نظر ابن الوزير ، ثم تحدثت عن تقسيمه التأويل المعروف عن ابن تيمية ، واستدراكه وجها رابعا .

ثم بينت العلاج الذي وصفه ابن الوزير للابتداع والتقليد .

أما الخاتمة : فقد ذكرت فيها ملاحظاتي الطفيفة الضعيفة على عالمنا عالم اليمن ابن الوزير التي ان دلت على شيء فانما تدل على علو مكانته العلمية ، كما ذكرت فيها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث .

وبهذا أكون قد أنهيت موضوع الرسالة ، ولي في الله عز وجل — أمل كبير ، أن يوفقني لإعطاء الموضوع حقه في القريب العاجل ان شاء الله تعالى .

أما هذه الرسالة فهي كبعض الخطوط العريضة لفتح الباب ، أو كمعالم يهتدي بها الباحثون الى الوصول الى الغرض المنشود ومعلوم أن الخطأ والنسيان من طبيعة الانسان ، فالكمال لله وحده ، وقد بذلت جهدي الضعيف المضني راجيا من الله عز وجل أن ينفعني به أولا والمسلمين ثانيا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ، ومن دعى بدعوته الى يوم الدين .

هذا وإن من حق العلم عليّ أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير — بعد الشكر لله تعالى — الى فضيلة الأستاذ الجليل الدكتور **محمد سليمان داود** — استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) ، وفي لفظ : (لا يشكر الله من لم يشكر الناس . [1]) فقد تفضل

---

(١) سنن أبي داود مع عون المعبود جـ ١٣ ص ١٦٥ ، سنن الترمذي بتحفة الاحوذي جـ ٦ ص ٨٧ ، ٨٨ وقال هذا حديث حسن صحيح .

بالاشراف على هذه الرسالة حتى ظهرت على ماهى عليه ولقد فتح لى صدره الرحب ، وأعطانى من أوقاته الغاليه ، وزودنى بتوجيهاته وارشاداته القيمة المنهجية منها والعلمية ، داخل الاشراف وخارجه ، أسأل الله — عز وجل — أن يجزيه عنى كل خير ، وأن يبارك فى حياته ويهبه الصحة والعافية ، وأن يجعله ذخرا للعلم وطلابه ، كما أسأل الله — عز وجل — أن يمنحه المزيد من العون والتوفيق لخدمة الاسلام والمسلمين ، حتى يلقى الله رب العالمين انه ولىّ ذلك والقادر عليه •

هذا ولا يفوتنى أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور سليمان دنيا اذ كان المشرف الاول على هذه الرسالة فجزاه الله عنى خير الجزاء •

كما أننى أشكر جامعة أم القرى على ماتفضلت به علىّ من منحة ثمينة للدراسة فيها وما وفرته لى من وسائل وامكانات حتى تمكنت من اعداد هذا البحث العلمى المتواضع ، جزا الله القائمين عليها خير الجزاء •

الباب الأول

ترجمة ابن الوزير

مولده .

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه .

مكانة أسرته العلمية .

نشأته .

طلبه العلم ـ حياته العلمية .

الحالة الدينية والثقافية فى عصر ابن الوزير .
الحالة السياسية في عصر ابن الوزير
شيوخه ـ من ترجم له .

تلاميذه ومؤلفاته .

ثناء العلماء عليه ـ مكانته العلمية .

عزلته الأخيرة .

وفاته .

منهجه العلمى .

مميزاته الفكرية .

مولــــده :

ولد ابن الوزير في شهر رجب سنة ٧٧٥ هـ بهجرة الظهراوين في شظب ، أحـد جبال اليمن الشاهقـة في (السوده) هكذا اتفق المؤرخون اليمنيو ن وغيرهم (١) ، ولم يخالف في ذلك الا السخـاوي ، فانه قال : ولد ابن الوزيـر تقريبا سنة ٧٦٥ هـ وهذا التقريب بعيد ، والصواب الأول ، وصاحب البيـت أدرى بما فيه .

ومثل ذلك ماذكره صاحب هدية العارفين ، حيث قال : إنه ولد سنة ٧٦٥ هـ وأبعد من ذلك ماذكره صاحب تاريخ اليمن الثقافي حيث قال : انه ولد سنة ٦٧٥ هـ ولست أدرى أهذا خطأ مطبعي أو وهم . (٢) ؟ !

اسمه ونسبه وكنيته :

هو أبو عبد اللـه أصغر أخوانه سنا . الامام الكبير العلامة ، الأصـولـي النحوي المتكلم البليغ المحدث الحافظ الحجـة المجتهد المطلق محمـد ابن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن محمد العفيف بن مفضـل بن الحجاج بن علي بن يحى بن القاسم بن الامام الداعي يوسف بن الامـام

---

(١) تاريخ بني الوزير للهادي الوزير خ في مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٤١ ، مجاميع ورقـة ٣٥ وما بعدها والبدر الطالع في محاسن من بعـد القرن السابع للشوكاني جـ ٢ ص ٨١ مطبعة السعادة بالقاهرة ط أولى سنة ١٣٤٨ هـ ، طبقات الزيدية خ في مكتبة جامع صنعاء الغربيـة رقم ٢٢٦ للشهاري تاريخ ورقـة ٣٠٠ وما بعدها ، ومقدمـة ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٣ مطبعة المعاهد بمصر دون تاريخ ، والعواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ ورقـة ١٧٨ يوجد في مكتبة مركز البحث العلمي بجامعـة أم القرى منه نسخـة ميكروفيلم . كاملة عن مكتبة أحمد الثالث تركيا رقم ٣٢ عقيدة وبعضهـا عن جامعـة استانبول رقم ٢٤٣ ـ ٢٤٤ حديث ، والجزء الرابـع منـه رقم ٢١٠ وهو الآن تحت الطبع والتحقيق وتوجد عدة نسخ منـه فـي صنعـاء مكتبة الجامع الغربية رقم ٧٦ وأخرى رقم ٤٣٥ كلام ، ومكتبـة العبيكان بالرياض ، والارشاد الهادي في ترجمة أخيه الهادي ورقـة ٥ صورة عن دار الكتب المصرية رقم ٥٨٧ عقائد تيمور والأعلام للزركلـي جـ ٥ ص ٣٠٠ ط بيروت ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة جـ ٨ ص ٢١٠ ـ ٢١١

(٢) الضوء اللامع للسخاوي جـ ٤ ص ٢٧٢ ط بيروت وتاريخ اليمن الثقافي لأحمد

===

المنصور بالله يحى بن الناصر أحمد بن الامام الهادى يحى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه •

وهذه السلسلة موضع اتفاق أيضا بين المؤرخين والمترجمين (١) لابن الوزير الا ما خالف فيه السخاوى حيث وهم فى ترجمته وقال : محمد بن ابراهيم بن على بن المرتضى بن الهادى بن يحى بن الحسين بن القاسم ، وذكر النسب الى على رضى الله عنه فجعل المرتضى بن الهادى وجعل الهادى بن يحى بن الحسين ، وهذا وهم واضح ، لانه أسقط معظم السلسلة بين المرتضى والهادى - كما ترى - والهادى لقب ليحى بن الحسين . وتبعه فى هذا الوهم صاحب (معجم المؤلفين) (٢) .

لقبـــــه :

واشتهر بلقب ابن الوزير ، وهذا اللقب كما ذكره ابراهيم بن على الوزير من أحفاد الهادى الوزير المعاصرين - هو أن الامام محمد العفيف - الجد الخامس لصاحبنا ابن الوزير - لما بويع بالامامة فى الوقت الذى بويع فيه الامام المنصور عبد الله ابن حمزة سنة ٦١٤ هـ فى مكان آخر - تخلى عن الامامة كى تتفق الأمة على البيعة لابن حمزة المذكور فأطلقت عليه الأمة العفيف ، واشترط عليه الامام المنصور المؤازرة له فكان وزيرا فأطلق عليه هذا اللقب ، ومن هنا نشأت أسرة آل الوزير أجداد صاحبنا ابن الوزير (٣) ، كما يلقب أيضا بعز الدين .

===شرف الدين ج ٤ ص ٢٧٢ ط الكيلانى ، هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادى ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩١ وما ذكره رزق الحجر من أن ابن العماد الحنبلى ترجم لابن الوزير فى شذرات الذهب فوهم •

(١) أنظر المراجع السابقة الاجزاء والصفحات ذاتها •

(٢) أنظر الضوء اللامع للسخاوى ج ٦ ص ٢٧٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٨ ص ٢١٠ •

(٣) هذه المعلومات زودنى بها السيد ابراهيم بن على الوزير ، نقلا عن السلسلة الذهبية فى تاريخ بنى الوزير ولم أقف عليها - فعليه العهدة •

مكانة أسرته العلمية :

مما لا شك فيه أن أسرة آل الوزير مشهورة بالعلم قديما وحديثا ، شاهد ذلك أن المكتبات الاسلامية وغيرها تزخر بموءلفاتهم المخطوطة منها والمطبوعة، لاسيما مكتبتا الجامع الكبير بصنعاء وغيرهما من المكتبات العامة كمكتبة دار الكتب في صنعاء ومكتبات جامعة صنعاء ، والخاصة كمكتبات آل الوزير التى تحدثت عنها مجلة الحوادث في مقابلة أجراها مندوبها مع السيد ابراهيم ابن على الوزير — من أحفاد أخى ابن الوزير — فيقول : (كانت لدى آل الوزير خلال سبعمأة عام مكتبة باسمهم فى الجامع الكبير — أى فى صنعاء — ..... وقد ظلت هذه المكتبة عامرة بالكتب حتى العقد الأخير فى القرن الثانى عشر الهجرى ، ولكنها نقلت الى بيت السيد — يعنى نفسه — على بعد عشرين كيلومترا من صنعاء حيث أصابها الضياع .

أما المكتبة الخاصة التى كان يملكها الامام محمد بن عبد الله الوزير سنة ١٣٠٧هـ والتى أوقفها على ذريته ، واستمرت حتى ثورة سنة ١٣٦٧ هـ فقد صودرت عقب فشل تلك الثورة ، وعبثت بها الأيدى ، وتسرب معظمها الى ايدى ذوى النهب والسلب ، وما بقى منها — وهو الاقل — نقل من القصور الملكية الى مكتبة الجامع الكبير ، التى تضم خزانته ذخائر المخطوطات وذلك عقب انقلاب سنة ١٣٧٥ هـ

كانت المكتبة تضم مخطوطات بعضها كتب قبل أكثر من ألف عام ، وكثير منها بخطوط الموءلفين ، لا أدرى كم كان عدد المخطوطات ولكنها كانت تقدر بنحو خمسة آلاف مخطوطة (١))

فلا غرو إذا برز صاحبنا ابن الوزير ، فانه نشأ فى بيت علم ، فذاك والده السيد ابراهيم بن على بن المرتضى سنة ٧٨٢هـ بعد أن ترك خلفه أربعة من الأولاد هم الهادى ، وصلاح ، ومحمد صاحبنا وفاطمة .

كانت له اليد الطولى فى فنون العلم ، وكان شاعرا بليغا ، خطيبا مصقعا ، تقيا ورعا ناسكا ، ومع هذا كان يوءثر الفقراء بطعامه ، وطعام أهل بيته ، يلبس شملة من الصوف ، فاذا جن الليل وضعها على أولاده .

---

(١) مجلة الحوادث عدد ١٣١٤ / ١٣ / ٨ يناير سنة ١٩٨٢م .

ومن شعره :

وجدنا هذه الأجسام تملى ٥ ٥ ٥ الأدلة للعقول على الحدوث
يعاودها اجتماع وافتراق ٥ ٥ ٥ ونيطت بالتحرك والمكوث
أتعقل أنها من غير شىء ، ٥ ٥ ٥ أقيمت فى الأماكن والحيوث (١)

وهذا أخوه الكبير الهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ برع فى عدة علوم وصنّف تصانيف سيأتى ذكر بعضها فى الحالة الثقافية فى عصر ابن الوزير فى حركة التأليف وله نظم ، وصفه الشوكانى بأنه "فى غاية الحسن ومنه القصيدة البديعة فى الكعبة .

ومن شعره أيضا هذه الأبيات :

رضيت بدين المصطفى ووصيه ٥ ٥ ٥ وأصحابه أهل النهى والفضائل
هم قادة القادات بعد نبيهم ٥ ٥ ٥ الى مشرع الحق الروى السلاسل

الى أن قال :

ولم يعجز الصديق بعد وفاته ٥ ٥ ٥ عن الحرب بل ساد الهدى بجحافل
وتابعه الفاروق فاشتد ركنه ٥ ٥ ٥ وسار بهم فى الحق سيرة عادل
وتمم ذو النورين سعيا مباركا ٥ ٥ ٥ وعم جميع المسلمين بنائل
وقام بأعباء الخلافة بعدهم ٥ ٥ ٥ علىّ فأمسى الدين راسى الكلاكل
عليك بهدى القوم تنج من الردى ٥ ٥ ٥ وتعلو بهم فى الفوز أعلى المنازل (٢)

وفى هذا الترتيب للخلفاء الأربعة ــ رضى الله عنهم ــ دلالة مخالفة لمذهب الزيدية الآتى بيانه فى موضعه ، وأنه يقول بالوصيه .

وهذا أخوه الذى يلى الهادى فى السن ــ صلاح بن ابراهيم ت سنة ٨١٠ هـ مهر فى فنون العلم : البلاغة والأدب واللغة العربية ، وله فى الفقه يد قوية ،

---

(١) ملحق البدر الطالع لمحمد بن محمد زباره ص ٨ ، وتاريخ بنى الوزير ترجمة ابراهيم بن على الوزير .

(٢) مجموع ٣٢٠ ورقة ٥ فى مكتبة الجامع الغربية بصنعاء ، والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٣١٦ ــ ٣١٧ .

وفى آخر عمره انقطع للعبادة والذكر — بعد أن حج حجتين ماشيا — لزم مسجد الهجرة فى شظب يقوم فيه بعض الليل ومعظم النهار ، لا يكلم أحدا ، وأذن فى ذلك المسجد عشرات السنين وكان من مذهبه تربيع الاذان فى أوله وكان قد طلب من الامام ولاية فرآه مراهقا فكتب له ولاية قال فيها : (قد جعلنا للولد صلاح الدين ولاية فى المصالح) فقال : يا مولانا أما المفاسد فأنا لا أحتاج فيها الى ولاية ، فتبسم الامام وأعجب بكلامه . (١)

وهذه أختهم فاطمة بنت ابراهيم كانت شريفة فاضلة ، توفر لها مثل ما توفر لاسرتها من العلم والزهادة ، ولما بلغت سن الزواج خطبها جماعة من السادة الى أخيها الهادى ، فاستشار الامام الناصر ، فأشار بزواجها من السيد المرتضى بن أبى الفضائل فزوجها اياه .

كذلك والدتهم الشريفة حورية بنت أحمد بن صلاح بن الهادى لها حظ من هذه الخصال .

وكذلك ابن صاحب هذه الدراسة عبد الله بن محمد له حظ وافر من العلم ، فقد برع فى الفروع الفقهية وأصولها وله مؤلفات ذكرها صاحب تاريخ بنى الوزير . (٢)

---

(١) أنظر تاريخ بنى الوزير فى ترجمة صلاح وملحق البدر الطالع لزبارة ص ١٠٤

(٢) تاريخ بنى الوزير فى صنعاء ترجمة ابن الوزير .

مكانة أسرته السياسية :

مما لا شك فيه أن ابن الوزير ينتمى الى أسرة عريقة علما وحسبا ونسبا وجاها وسلطانا .

أما السلطان ، فقد سبقت الاشارة اليه فى لقبه من تخلى الامام محمد العفيف عن الامامة حين بويع بها لتوفر الشروط فيه فتركها حقنا لدماء المسلمين ، وهكذا الشخصية الاسلامية توءثر المصالح العامة على الخاصة ، وتوءثر التواضع على التعالى على الناس ، وتوءثر على نفسها لمصلحة الاسلام والمسلمين ، وهو بهذا يستحق اللقب الذى أطلقته عليه الأمة يومها بالعفيف ، يالها من عفة حقنت دماء المسلمين ، فكم من أرواح أزهقت ، وكم من دماء سفكت ، وأموال نهبت ، وأعراض هتكت فى سبيل الحصول على مثل هذا المنصب ، وليت الاحفاد تبعوا الاجداد ، ليت ما حصل هنا ، حصل بين الامامين ـ المتنافسين على عرش الزيدية فى صنعاء ، المهدى أحمد بن يحى المرتضى سنة ٨٤٠ هـ ، والناصر على بن صلاح الدين سنة ٨٤٠ هـ ـ فى عصر ابن الوزير فكم من معارك طاحنة دارت بينهما ، استمرت أعواما عديدة نتيجة المنافسة على السلطة . وسيأتى الكلام على هذا فى (الحالة السياسية) ان شاء الله تعالى .

ومن حكم الديار الزيدية فى اليمن من اسرة آل الوزير الامام المنصور محمد بن عبد الله الوزير فقد دعا لنفسه بتكليف من أعيان عصره سنة ١٢٧٠هـ الى أن توفى سنة ١٣٠٧ هـ وذلك بعد وفاة الامام المنصور أحمد بن هاشم بن محسن سنة ١٢٦٩ هـ وقد وصفه الموءرخ اليمنى الواسعى بانه بلغ فى العلم درجة الاجتهاد ، وانه أعلم أهل عصره ، وانه صلح شأن المسلمين على يده ، وذكر كلاما كثيرا فى مدحه نظما ونثرا ، ونظمه الحبشى فى سلك (حكام اليمن الموءلفون المجتهدون) (٢) وذكر مصنفاته وأرقامها .

---

(١) أنظر تاريخ اليمن لعبد الواسع الواسعى ص ٢٤٧ ـ ٢٥٢ هـ الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط رابعة ١٤٠٤هـ وقد ذكر رسالة الامام المنصور الوزير الى جميع أهل اليمن وهى تدل على علمه وارادته جمع الامة حين كثر التناكث وتخلت الأمر من يده ، وأنظر حكام اليمن للحبشى ص ٢٧٢ وما بعدها بيروت ط أولى ١٣٩٩ هـ .

ومنهم السياسى الكبير عبد الله بن أحمد الوزير الذى استولى على عرش اليمن فى صنعاء بضعا وعشرين يوما سنة ١٣٦٧ هـ ثم قتله الامام أحمد بن يحى حميد الدين سنة ١٣٨٢ هـ قتله مع عدد كبير من أبناء اليمن ثأرا لوالده الامام يحى بن محمد حميد الدين ، المقتول اغتيالا فى ٨ من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ .

ولا تزال هذه الأسرة تحتفظ بمكانتها السياسية ، داخل اليمن ، وخارجه الى يوم الناس هذا . (١)

نشأته :

ان ابن الوزير نشأ فى أسرة مرموقة لها مكانتها العلمية والسياسية كما سبق شيء من ذلك فى الحديث عن أسرته وان أسرة كهذه الأسرة لجديرة بأن تجعل فى طلب العلم ونشره شغلها الشاغل .

وإنّ تتبع تاريخ بنى الوزير ليبين هذا بوضوح .

وهذا المسلك الذى سلكوه هو امتداد لطريقة رئيس أسرتهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومن هنا فلا غرابة فيما طبع عليه ابن الوزير فى عمره المبكر من حب العلم والعلماء ، وحفظ القرآن الكريم والمثابرة على حضور مجالس العلم والعلماء .

وهاهو ذا ابن الوزير يصف لنا هذه النشأة العلمية بين أسرته وشيوخه فيقول : (وانى لما نشأت بين كراسى العلماء الأكابر ، وتربيت بين أعين أهل البصائر ، رتبت رتوب الكعب فى مجالسة العلماء السادة ، وثبتّ ثبوت القطب فى مجالس العلم والافادة ولم أزل منذ عرفت شمالى من يمينى مشمرا فى طلب معرفة دينى ، أتنقل فى رتبة الشيوخ من قدوة الى قدوة ، وأتوقل فى مدارس العلوم من ربوة الى ربوة ، لم يزل يراعى للطائف الفوائد نواطق ، وبنانى للطائف المعارف قواطف ، لم يكن حتما أن يرجع طرف نظرى عن المعارف خاسئا حسيرا

---

(١) هذه الأحداث وقعت وأنا فى الثامنة عشرة من العمر فأنا مصدر من مصادرها التاريخية ، لأنى من أبناء اليمن أعرفها جيدا ، ولكن انظر للتأكيد على سبيل المثال فرجة الهموم والحزن للواسعى ص ٤٢٧ وما بعدها ، ورياح التغيير فى اليمن لأحمد محمد الشامى ص ٢٣٥ وما بعدها ، والاعلام للزركلى جـ ٤ ص ٧٠ .

ولم يجب قطعا أن يعود جناح طلبى للفوائد مهيضا كسيرا ، ولم يكن بدعا أن أتنسم من أعطارها روائح ، وأتبصر من أنوارها لوائح ، أشربت قلبى محبة الحديث النبوى . . . فكنت ممن يرى الحظ الأسنى فى خدمة علومه ، وتمهيد ما تعفى من رسومه . . . والمحاماة عنه والحث على اتباعه والدعاء اليه (١) .

هذا وما ينبغى التنبيه اليه أن ما تقتضيه العبارة التى وردت فى أواخر هذا النص السابق ذكره ، من أن قلب ابن الوزير أشرب حب الحديث النبوى ، لا تتعارض مع ما سيأتى فى (حياته العلمية) من أنه استغرق باكورة عمره فى فن الكلام والجدال بيان ذلك أنه كثيرا ما يتحسر على أيام شبابه وقوة نشاطه التى أفناها فى كدورة فن الكلام وكان يتضرع الى الله تعالى تضرع مضطر محتار متمثلا بقول الشهرستانى :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ٥°٥ وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر ٥°٥ على ذقن أوقارعا سن نادم (٢)

قضى معظم شبابه فى تحصيل العلوم العقلية وغيرها من العلوم - ماعدى الحديث النبوى وعلومه - وكان متطلعا بل متعطشا لهذا العلم النبوى الشريف ، ولم يجد عند شيوخه فى بلاده ما يروى ظمأه اذ هم مكبون على تحصيل العلوم العقلية بل إنهم ليصمون أصحاب الحديث بالبله والبلادة ومن هناك قرر ابن الوزير الرحلة لطلب الحديث الى أرض الحجاز فاستعرض علماء الحديث بمكة المكرمة فوجد بغيته فى شيخ الحديث وعلومه آنذاك محمد بن ظهيرة سنة ٨٤٧ هـ . وسيأتى مزيد بيان فى حياته العلمية ان شاء الله تعالى .

---

(١) العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم جـ ١ - المقد مقررقة ١ . ومختصره الروض الباسم لابن الوزير جـ١ ص ٥ المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .

(٢) نهاية الأقدام للشهرستانى بعد البسملة والحمد له ص ٣ حرره وصححه الفرد جيوم بدون ذكر الطبع ولا التاريخ .

طلبه العلم ـ حياته العلمية :

لقد وفق ابن الوزير فى حبه العلم والعلماء ، والاستفادة منهـم . فقد كان كما هو واضح من موءلفاتـه ، مشغولا بطلب المعارف ، موءثرا لملازمة الأكابر من العلماء والبحث عن حقائق مذاهب المخالفيـن ، والتفتيش عن أعذار الغالطين ، والدفاع عن سنة سيد المرسلين ،وخاتم النبيين محمد صلى اللـه عليه وآله وسلم .
ومن هنا يمكن تقسيم طلبه العلم ، أو حياته العلمية الى مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة الطلب المبكر وهو البحث عن العلوم العقلية ـ بعد حفظ القرآن الكريم ، وبعض المتون ـ كما هو المقرر عند أهل الكلام ، من أن أوّل واجب على المكلف النظر أو الشك كما هو معروف عن المعتزلـة ، أو النظر المنبنى على المقدمات والنتائج ، كما هو المقرر عند معظـم الأشعريـة .
وسيأتى بيان هذا فى الكلام على التفرق وأسبابه فى الفصل الأول مـن الباب الثانى ان شاء اللـه تعالى .

والآن ندع ابن الوزير يصف لنا هذه المرحلة اذ يقول : (قـد ذهبت أيام شبابى ، ولذاتى ، وزمان اكتسابى ، ونشاطى لكد ورد علم الكلام والجدال ، والنظر فى مقالات أهل الضلال ، حتى عرفت صحـة من قال :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ٥ ٥ ٥ وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائـر ٥ ٥ ٥ على ذقن أوقارعا سن نـادم (١)

ويمضى قائلا : وسبب ايثارى لذلك وسلوكى لتلك المسالك أن أول ماقرع سمعى ، ورسخ فى طبعى وجوب النظر ، والقول بأن من قلد فـى الاعتقاد فقد كفر ، فاستغرقت فى ذلك حدّة نظرى ، وباكورة عمـرى ، ومازلت أرى كل فرقـة من المتكلمين تداوى أقوالا مريضة ، وتقوى أجنحـة

---

(١) أنظر البيتين للشهرستانى فى نهاية الاقدام فى علم الكـلام بعد البسملة والحمد له ص ٣ .

مهيضة [١] فلم أحصل على طائل ، وتمثلت فيهم بقول القائل :

كل يداوى سقيما من مقالته ٥٥ فمن لنا بصحيح مابه سقم [٢])

هذه هي المرحلة الاولى المستفادة من هذا النص ، مرحلة التحصيل التى جمع فيها ابن الوزير بين أصول الدين وأصول الفقه وفروعه منها : (شرح الأصول الخمسة) للقاضى عبد الجبار بن أحمد ، وهو معتمد الزيدية فى الديار اليمنية ، و (الخلاصة) و الغياصة و (تذكرة ابن متّوية) المتكلم فى علم اللطيف كما يقولون — ومختصر المنتهى لابن الحاجب ، وطالع كتب آبائه الكرام فى هذا الفن ، كالمجزى للامام أبى طالب يحى بن الحسين الهارونى وصفوة الاختيار للامام المنصور عبد الله بن حمزة فى أصول الفقه وغير ذلك.

وكذلك موءلفات جده السيد العلامة يحي بن منصور العفيف ، ومصنفات السيد العلامة حميدات بن يحى حميدات القاسمى ، ومثل كتاب (الجامع الكافى) للسيد عبد الله بن محمد الحسنى فى فقه الزيدية وكتاب (الجملة والألفة) لقائد علماء الزيدية ، وقدماء الشيعة محمد بن منصور المرادى ، وعرف ماوقع فيه الخلاف بين هوءلاء والمعتزلة ، وعرف قول المتكلمين وضعفه ، فى قولهم : إن من لم يعرف الله تعالى بأدلتهم المبنية على المقدمات المنطقية فهو كافر ، ومثل مانص عليه شيخ البهاشمه وتبعه عليه أصحابه ، من قولهم : انما يعلم الله من نفسه مايعلمونه [٣] ، وهو رد لقوله تعالى : " ولايحيطون به علما " [٤]

وسيأتى رد ابن الوزير على هذا الكلام الشنيع فى (المحارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

---

(١) من هاض العظم ، أى كسره بعد الجبور فهو مهيض : الصحاح للجوهرى ج ٣ ص ١١١٣ تحقيق احمد العطار القاهرة ط ثانية ١٣٩٩ هـ .
(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ مقدمة ورقة ٦ .
(٣) طبقات الزيدية للشهارى خ جـ ٣ وترجمة ابن الوزير فى أواخر المجلد الثانى من العواصم — وتاريخ بنى الوزير خ صنعاء ورقة ٣٥ وما بعدها .
(٤) سورة طه ١١٠ .

المرحلة الثانية : الرجوع الى دراسة الكتاب والسنة ، وهذا مستفاد من قولـه :
(... فرجعت الى كتاب اللـه ـ تعالى ـ وسنة رسوله ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم . وقلت : لابد أن تكون فيهما براهين ، وردود على مخالفي الاســلام وتعليم ، وارشاد لمن اتبع الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فتدبرت ذلك ، فوجدت الشفاء كله دقه وجله ، وانشرح صدرى . وصلح أمرى ، وزال ما كنت بـه مبتلى ، وأنشدت متمثلا :

فألقت عصاها واستقر بها النوى (١) كما قر عينا بالاياب المسافـر) (٢)

قلت : وصدق ابن الوزير فكتاب اللـه ـ تعالى ـ فيه الهدى والنور
" إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا " (٣)

عن علىّ مرفوعا : " ألا انها ستكون فتن فقلت : ما المخرج منها يا رسول اللـه ؟ قال كتاب اللـه فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركـه من جبار قصمه اللـه ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلـه اللـه ، وهو حبل اللـه المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الاهواء ... من قال به صدق ، ومن عمل به أجـر ، ومـن حكم به عدل ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم) (٤)

وهذه المرحلة هى التى قرأ فيها ابن الوزير التفسير وعلومه ، والحديـث وعلومه ، وهى التى رحل فيها الى (تعز) لطلب الحديث عن الشيخ نفيـس الدين العلوى ، وأجازه فى الأمهـات الست وغيرها من كتب الحديث ، وفـى

---

(١) النوى له عدة معان والمراد به هنا التحول من مكان الى آخر القاموس المحيط للفيروز أبادى ج ٤ ص ٣٩٧ .
(٢) العواصم والقواصم (لابن الوزير) المقدمة ورقة ٦ والبيت لمعقر بن حمار البارقى
(٣) سورة الاسراء : ٩ .
(٤) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٢١٨ ـ ٢٢١ تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان الناشر صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة وقال الترمذى هذا حديث غريب لانعرفـه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول وفـى حديث الحارث مقال كذبه الشعبى ، ورمى بالرفض وفى حديثه ضعف كذا فى التحفة الجزء والصفحة ذاتها ولكن معناه صحيح

التهذيب للحافظ المزى وغيره من كتب الرجال. وفيها رحل الى مكة المكرمة لطلب الحديث وعلومه أيضا فقرأ على الشيخ ابن ظهيرة محدث الحرم المكى الشريف بل محدث الحجاز فى زمانه ، وأجازه فى الرواية عنه فى كثير من كتب الحديث . (١)

المرحلة الثالثة : وهى التى أكتملت فيها شخصيته العلمية ، وذاع صيته بين العلماء الأكابر والأصاغر الى حد قرره الشوكانى قائلا : (ان الذى يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعا فى ذات واحدة ، لم يبلغ علمهم الى مقدار علمه) ، بل قرر ابلغ وأرفع من هذا التقرير العلمى وهو قوله : (ولو قلت إن اليمن لم ينجب مثله لم أبعد عن الصواب (٢)) .

وهذه هى نتيجة المرحلتين السابقتين ، وهى مرحلة التأليف والمناظرات ، والمراسلات ، بل الجوابات فى الدفاع عن الكتاب والسنة ، وأئمة الاسلام ، لمّا ترسل (٣) عليه العلامة على بن محمد بن أبى القاسم سنة ٨٣٧هـ أحد شيوخ ابن الوزير وألد خصومه فقد ترسل عليه برسالة لم ينصف فيها كما سيأتى نحتها فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى ، وذلك حينما أعلن ابن الوزير الاجتهاد ورفض التقليد ، وكان من ضمن الاعتراضات فى تلك الرسالة الطعن فى السنة النبوية الصحيحة تارة ، وفى كثير من قواعد العلماء تارة ، وفى الطعن على ابن الوزير تارة ، ولكنه صرف النظر عما يخصه ، وتصدى للذب عما يختص بالسنن النبوية ، والقواعد الاسلامية ، وكانت ثمرة هذا تأليف (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) (٤)

---

(١) ترجمة ابن الوزير خ فى صنعاء ورقة ٣٥ وما بعدها وترجمة ابن الوزير فى أواخر المجلد الثانى من العواصم ورقة ١٩٥ ، وطبقات الزيدية خ للشهارى ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها . وقد بحثت عن تاريخ هذه الرحلة الى شيخ الحرم هذا ولم اقف عليه

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩٢ .

(٣) ترسل : ألقى الكلام تهاونا أ هـ قاموس للفيروز آبادى ج ٣ ص ٣٨٤

(٤) أنظر مقدمة العواصم والقواصم لابن الوزير ورقة ٦ / ١٠ ، والروض الباسم له ج ١ ص ٩ / ١٠ ، وطبقات الزيدية للشهارى ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها .

وهاهوذا ابن الوزير يصف لنا حالته الخاصة به أثناء تأليفه لهذا الكتاب العظيم ، وهو فى تلك الجبال العوالى ، والبوادى الخوالى ، البعيدة، بل الخالية عن الناس ، ليس له فيها أنيس الا البوم والقطا ومحبرته ودفتره وقلمه ، وما يحمل ـ وكم عساه يحمل ـ من الكتب ، وما يختزنه فى حافظته ، كما يصف السبب أيضا لتلك الرسالة فيقول : (لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة تناولتنى الألسنة البذيئة من اعداء السنة النبوية ، ونسبونى الى دعوى فى العلم كبيرة ، وأمور غير ذلك كثيرة حرصا على ألا يتبع ما دعوت اليه ، من العمل بسنة سيد المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والسلف الصالحين ، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس ما زالوا هكذا .

ماسلم الله من بريته ولا نبى الهدى فكيف أنا .) (١)

ثم شرع ابن الوزير فى الرد على شيخه السابق ذكره بكتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) ولكنه فى أثناء الجواب كان بعيدا عن المصادر العلمية ، فكيف يتأتى له ذلك فى العزلة ؟ يقول ابن الوزير فى هذا : (ومن أين يتأتى ذلك أو يتهيوء لى وأنا فى بواد خوالى ، وجبال عوالى) ثم أنشد هذه الأبيات يصف حالته فى العزلة عن الناس للتصنيف ؟ :

فحينا بطود تمطر السحب دونه ... أشم منيف بالغمام موءزر
وحينا بشعب بطن واد كأنه ... حشا قلم تمسى به الطير تصفر
اذا التفت السارى به نحو قلة ... توهمها من طولها تتأخر
أجاور فى أرجائه البوم والقطا ... فجيرتها للمرء أولى وأجدر
هنالك يصفو لى من العيش ورده ... والا فورد العيش رنق مكدر
فان يبست ثم المراعى وأجدبت ... فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولا عار أن ينجو كريم بنفسه ... ولكن عار اعجزه حين ينصر
فقد هاجر المختار قبلى وصحبه ... وفر الى أرض النجاشى جعفر (٢)

---

(١) الروض الباسم لابن الوزير جـ ١ ص ٩ .
(٢) الروض الباسم لابن الوزير جـ ١ ص ١٠ .

ومن هذا النص يتضح أن هذه المرحلة : مرحلة التأليف والمناظرة ، والمراسلة ، قضى معظمها ابن الوزير ، فى قمم الجبال وكهوفها ، وبطون الأودية ، وشعابها ، يؤيد ذلك ما أخبرنى به من له علم بأحواله من أسرته ، أنه صنّف (العواصم والقواصم) فى جبل من جبال بنى مسلم (١) ، وبعضهم أخبرنى أنه صنفه فى كهف فى جبل نقم (٢) ، ولا مانع — فى نظرى — من أن يكون بعضه هنا وبعضه هناك ، وقد وهم محقق (مقدمة ايثار الحق) فى حكاية هذه الأبيات فى عزلته الأخيرة أثناء تأليفه (ايثار الحق) والصواب أن هذا فى أثناء تأليفه (العواصم والقواصم) لأن هذه الأبيات ذكرها فى مختصره (الروض الباسم) ولما سيأتى فى ذكر مؤلفاته أنه ألفه سنة ٨٠٨ هـ وفى عزلته الأخيرة صنف (ايثار الحق) سنة ٨٣٧ هـ كما أشار الى ذلك ابن الوزير فى الكتاب نفسه (٣) والأمر سهل ان شاء الله تعالى . كما تصدر للتدريس فى هذه المرحلة برهة من الزمن تتلمذ على يديه الكثير من أنحاء اليمن .

---

(١) من بلاد بريم .

(٢) جبل مطل على صنعاء بل متصل بها من الجهة الشرقية .

(٣) مقدمة ايثار الحق بتحقيق أحمد مصطفى ص ٣٠ ، وأنظر الايثار لابن الوزير ص ٧٧ .

ـ الحالة الدينية والثقافية في عصره

لما يدرس الباحث الحالة الدينية والثقافية فى اليمن ابتداء من أواخر القرن الثالث الهجرى الذى كثرت فيه الدعوات المتنافسة بل المتعارضة يجد أن اليمن قد بات مشحونا بالخلافات الدينية العقدية وغيرها ·

كما يجد المناطق الجبلية الشمالية والشرقية حصنا ، بل مستودعا للتشيع ـ غالبا ـ الذى هو موالاة على بن ابى طالب وبنيه رضى الله عنهم ، ومن ذلك معاداة أعدائه الخارجين عليه ، ومعارضة كل الأفكار المخالفة لأفكارهم ، مهما كان صاحبها ·

وكان رؤساء هذه الدعوة ، أئمة الزيدية ، منذ بدأ تاسيس المذهب الزيدى وولته على يد الامام القاسم بن ابراهيم الرسى ٢٤٤ هـ وحفيده الامام الهادى يحى بن الحسين بن القاسم سنة ٢٩٨ هـ العلويين فى صعدة ونجران يومها ، وما يليهما · كما سيأتى بيانه فى فصل (المعتزلة والزيدية) ان شاء الله تعالى ·

كما يجد أن الدعوة الباطنية بثت سمومها فى معظم المناطق اليمنية عن طريق دعاتها الضالين الملحدين المحرفين للشريعة الاسلامية ، كما سيأتى تفصيله فى فصل (الباطنية فى اليمن ···) ان شاء الله تعالى ·

كما يجد أيضا شرارة الاعتزال تطايرت وتتطاير من صعدة فصنعاء الى ضواحيهما فتشتعل فى سائر المناطق الجبلية الشمالية والشرقية اشتعال النار فى الهشيم ، ثم تضع عصاها ويستقر بها المقام هناك ·

كما تظهر الأشعرية فى بعض المناطق الأخرى ، فتدور فى السواحل والجنوب من البلاد حيث تحط رحالها ومناهجها ـ الآتى بيانها فى فصلها ـ هناك ·

هذا ومما يحسن التنبيه إليه أن مادة هذا البحث متداخلة مع مادة فصل (السلفية فى اليمن وموقف ابن الوزير منها) ـ الآتى ذكرها فى الباب الثانى من هذه الرسالة ـ متداخلة تداخلا شديدا أحيانا لفظيا ، وأحيانا معنويا ، فلا يتهمنى القارئ بالتكرار فقد جرت بذلك عادة العلماء الأخيار ، وان تركت شيئا ـ حسب رأى القارئ ـ مما وعدت به فى الآتى فأرجوا ألا

يتهمني بمواعيد عرقوب (١) فانه اذا رجع عند المناسبة يجد صحة هذا ان شاء الله تعالى والله الموفق ٠

النزاعات بين الطوائف :

مما لا شك فيه أن لوجود الخلافات في الآراء ، وتشعب الأفكار ، وتصادم النظريات ، في أي شعب من الشعوب لا سيما فيما يتعلق بالعقيدة ، وعلوم الشريعة ايضا ، لدليل حي على رسوخ الامة ، في اعتناق المبادىء الاساسية ، وتعلقها بالبحث العلمي ، والاستنباط العقلي ، والتحرر الفكري ٠

ومما لا يستطيع أحد إنكاره أن اليمن لها دور هام في بناء الحياة في الجاهلية والاسلام وكان لنشاطها العقلي والعملي أثر بالغ في تشييد صرح الحضارة وصنع التاريخ من ذلك قصة (سبأ) المشهورة في القرآن الكريم ٠

وفي اليمن — كما سبق شرحه — عدة مذاهب عقائدية أو عقدية اسلامية ماعدا الباطنية فهي دخيلة على الاسلام كما يأتي تقرير ذلك في فصل (الباطنية) ان شاء الله تعالى ٠

وتعتبر هذه المذاهب نقطة البدء بالنسبة لتراث اليمن الاسلامي ، ودراساته من الناحية الفكرية ٠

الا أنه من المؤسف جدا ما أدت اليه هذه النزاعات الطائفية الآتي بيانها في الحالة السياسية لان للدول في طي العلوم ونشرها أثر كبير كما هو معروف ٠

وقد كانت صنعاء تضم مجموعة من أتباع المذهب السني ، كالحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، بيد أن الغالبية في صنعاء وما إليها ، هم أتباع المذهب الزيدي ، الذين كان أئمتهم يشترطون على البلاد التي كانوا يستولون

---

(١) مثل يضرب به في خلف الوعد سبق بيانه في ص ٧

عليها أن يكون حي على خير العمل من ألفاظ الأذان وأن الصلاة خير من النوم بدعة في حين قابلهم أهل السنة بالعكس وغير ذلك من المسائل الفرعية وانتشر المذهب المالكي والحنفي والشافعي في سواحل اليمن وجنوبه ، وكانت (زبيد) تحتضن أكثر من مذهب إلا أن الغالب هو المذهب الشافعي . (١)

وكانت النزاعات الطائفية في أوجها ، الأمر الذي أدى بالشافعية الى انكار المذهب الحنفي القائل بالرأي وربما تسبب بعض الشافعية في متابعة اتلاف كتب الحنفية وكانت مدرسة المذهب الشافعي مستقلة عن مدرسة المذهب الحنفي في زبيد وغيرها في عهد الدولة الرسولية لما وقف أحد فقهاء الحنفية للملك المنصور بن رسول قائلا له مافعل بك أبو حنيفة حيث لم تبن لأصحابه مدرسة (٢) والشافعية في اليمن وان كانوا الى الحنابلة أميل ، الا أنهم لم يوافقوهم في جميع معتقداتهم في الصفات وغيرها .

ومع هذا فكان للمذهب الحنبلي مكانته في اليمن السافل ، ومنه لواء (إب) ، فقد حصر العلامة أحمد بن محمد البريهي سنة ٨٣٣هـ (٣) وقف كتبه ، على أتباع عقيدة الامام أحمد بن حنبل ، ووقف الجندي المؤرخ صاحب (السلوك) كتبه - وعددها ثمانون كتابا - على أهل السنة ، ولا حق فيها لمبتدع ، بلغ بهم الأمر الى أنه كان يكتب بعض العلماء ، ومنهم الفقيه

---

(١) أنظر طبقات الفقهاء لابن سمرة الجعدي ص ٧٩ - ٨٠ وما بعدهما تحقيق فؤاد سيد بيروت ط ثانية سنة ١٤٠١ هـ وحياة الأدب اليمني في عصر بني رسول للمؤرخ عبد الله الحبشي ص ٥٢ - ٥٣ وزارة الاعلام اليمنية ، والعقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي عني بتصحيحه محمد بسيوني عسل مطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، والشوكاني مفسرا لمحمد حسن الغماري ص ٥٣ دار الشروق للنشر والتوزيع ط أولى سنة ١٤٠١هـ .

(٢) أنظر طبقات الخواص لأحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي الحنفي سنة ٧٩٣ هـ ص ١٧١ - ١٧٢ طبع الميمنية بمصر دون تاريخ وهذا الفقيه هو أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري سنة ٦٦٤ هـ .

(٣) هو أحد معاصري ابن الوزير (أنظر ترجمته في طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي اليمني ص ٩٩ وما بعدها تحقيق عبد الله الحبشي مركز الدراسات والبحوث اليمن صنعاء .

محمد بن مضمون سنة ٦٣٣ هـ ـ على كل كتاب هذه الأبيات :

وقف حرام وحبس دائم الابـــد ... بقاء رجاء ثواب الواحد الصمــد
على الحنابلة المشهور مذهبهم ... من آل بيت أبى عمران ذى الرشد (١)
لاحظ فيه لبدعى يخالفـــنى ... أو كان معتقدا ماليس معتقدى (٢)

فقد ذهب الحبشى الى أن غالبية فقهـاء اليمن كانوا ياخذون بعقيــدة الامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ حتى زمن الجَنَدى سنة ٧٩٣ هـ حتى القرن الثامن الهجرى ، الذى ولد فيه ابن الوزير ، وانتقل بعض العلماء الى اعتقاد المذهب الأشعرى . لكنهم لايتظاهرون به خوفا من جهال بلادهم .

وأنها قد جرت احتكاكات ومنازعات بين الحنابلة ، والأشاعرة ـ شديدة ، أدت ببعض العلماء الى الهجرة خارج اليمن (٣) إذ كان فقهـاء الحنابلة فى أول أمرهم من أكثر الناس محاربة لعقيدة أبى الحسن الاشعرى حتى وصـــل

---

(١) المراد به السلفى الكبير يحى بن أبى الخير العمرانى سنة ٥٥٦ هـ قال عنه الجعدى انتشر علمه فى البلدان ، وجاوز البحر مع السودان وسارت بتصانيفه الركبان فى اليمن والشام وهو الذى ناظر المعتزلة وأفحمهـــم ورد عليهم بكتاب (الانتصار فى الرد على القدرية الاشرار) ضد الكتــاب الذى صنفه القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام سنة ٥٧٣ هـ المعتزلى وأسماه (الدامغ للباطل فى مذهب الحنابل) طبقات فقهاء اليمـــن ص ١٨٠ وما بعدها طبقات الزيدية خ صنعاء .

(٢) حياة الأدب اليمنى ص ٦٨ .

(٣) صرح الحبشى فى حياة الادب اليمنى ص ٥٤ بأن أول احتكاك مباشـر بين الحنابلة والاشاعرة فى اليمن عندما خرج الفقيه طاهر بن يحـــى العمرانى عن مذهب والده السلفى السابق ذكره وهذا وهم لاشك فيــه لانه أسنده الى طبقات فقهـاء اليمن والذى فيه هو ما جرى من المناظرة بين الفقيه طاهر السلفى وبين الفقيه الحنفى محمد بن أبى بكر المدحدح بين يدى عبد النبى بن على بن مهدى فقطعه واستظهر عليه . أنظر الطبقات ص ١٨٨ وقد فرح والده بذلك فرحا شديدا كما فـــى المصدر نفسه .

الأمر ببعضهم الى أن يحرم إعارة كتبه لفقهاء الاشعرى ، ويوصى بذلك فى وصيته — كما سبق قريبا — ويكتب على ظهر كتابه :

هذا الكتاب لوجه الله موقوف ٥٥٥ نبا الى الطالب السنى معروف
ما للاشاعرة الضلال فى حسبى ٥٥٥ حق ولا للذى فى الربع معروف (١)

قلت : وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

أولا : إن هذا صريح فى تضليل الاشعرية الصادر من خصومهم الحنابلة ، وقد سبق فى الابيات الثلاثة قصر وقف الكتب على الحنابلة ولاحظ فيها لصاحب البدعة لكن من المراد به هل هو الحنفى الماتريدى (٢) أو الاشعرى ؟ وبالرجوع الى القاعدة الاصولية فى رد المجمل الى المفصل بتبين الأمر بأن المراد بالبدعى هنا : الاشعرى للتصريح بذكر الأشاعرة — والله أعلم .

ثانيا : ان القول بأن فقهاء الحنابلة فى أول أمرهم ، كانوا من أكثر الناس محاربة لعقيدة أبى الحسن الأشعرى يحتاج الى تحرير دليل

فان كان المراد من ذلك محاربة عقيدة الأشعرى فى طوره الثانى — كما سياتى بيانه فى فصل (الاشعرية) فهذا وارد لأن الحنابلة أتباع الامام احمد بن حنبل ، وهو من كبار أئمة الحديث ، والسنة ، وحلقة من السلسلة السلفية وعقيدة الاشعرى فى طوره الثانى لا تتفق والعقيدة السلفية ، يعرف ذلك أهل هذا الفن وخاصته .

ثالثا : إن هذه الخصومة بين الحنابلة والأشاعرة فى اليمن — كما قررها الحبشى — تدل دلالة واضحة على أن العقيدة الاشعرية التى انتشرت فى اليمن هى عقيدة الاشعرى فى طوره الثانى ، والا فما فائدة الخصومة ؟

رابعا : وان كان المراد بهذه المحاربة لعقيدة الاشعرى فى طوره الثالث ، فالواقع يرفض هذا رفضا باتا فقد رجع الاشعرى عن طوره الاول ، وهو الاعتزال

---

(١) السلوك للجندى ورقة ١٠٢٦ يوجد بمكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم ٣٠٨ تراجم وتاريخ ، وحياة الادب اليمنى للحبشى ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) هو أبو منصور الماتريدى سنة ٣٣٣ هـ نسبة الى محلة بسمرقند .

وعن الثانى أيضا ـ وهو ما عليه الأشاعرة فى اليمن وغيره ـ الى الطور الثالث السلفى ، الذى صرح به فى كتابه (الابانة) و (مقالات الاسلاميين) بانه يقول ما يقول به الامام احمد وسائر اهل الحديث ، وسيأتى نص كلامه فى الكلام على اطواره الثلاثة فى فصل (الاشعرية) ان شاء الله تعالى .

كما حصلت مناظرات بين الزيدية انفسهم معظمها تدور حول أصول الدين ومسألة الامامة وما يتعلق بها ، ومما حكاه ابن الوزير المناظرة التى حصلت بين الامامين المهدى أحمد بن يحى والمنصور على بن صلاح الدين شان الإمامة ولم يذكر الحكم ولا النتيجة . (١)

أما المناظرات والمراسلات بين ابن الوزير وخصومه فحدث ولا حرج وسيأتى بعضها فى ثنايا هذه الرسالة .

انهماك المعتزلة الزيدية فى العلوم العقلية :

لما كانت العلوم العقلية كما فى نظر أصحابها ـ السلاح الذى لايكل حده فى معترك الانظار ، تزاحم عليها طلابها بالركب ، وتنافسوا فيها على قصب السبق ، لما تلقوه من شيوخهم من الحث والتشجيع على الاغتراف من هذا المنهل والاخذ منه بالحظ الاوفر ، لأن النبوغ فيه مئنة الذكاء ، والنجابة ، كما أن العجز عن تحصيله علامة البله والبلادة ، ومع هذا فإن الانقسام العنيف بلغ القمة فمعظم الطوائف يخطوء بعضها بعضا ، وقد تكفرها أو تفسقها جريا وراء أهل الكلام وتقليدا ، وبهذا يكونون قد تنكبوا المنهج العلمى السلفى الصحيح ، بل وتنكبوا منهج الائمة الزيدية من أسلافهم الذين اعتنوا عناية كاملة ، بالاجتهاد ، والدعوة اليه ، ونبذ التقليد .

وقد اشتهر فى موءلفاتهم أنه لايرشح أحد للامامة الا اذا توافرت فيه عشرة شروط ، منها الاجتهاد والتحرر من التقليد .

فى خضم هذه التيارات العقلية ، والمعارك الجدلية ، انغمس معظم الزيدية ، اتباعا لمنهج المعتزلة ـ الام الحنون ـ العقلى ، وتقديمه على

---

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٦٥ . مطبعة المعاهد بمصر بدون تاريخ .

السمع ، أو تأويله على حسب ما تقتضيه عقولهم ، كما سيأتى فى فصل (المعتزلة) وفى (المعارك الكلامية) وفى (موقف ابن الوزير من الابتداع ...) ان شاء الله تعالى .

انغمسوا فى خضم هذه التيارات ، واعرضوا عن العلوم السمعية المنزلة على خاتم المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل عارضوا ذلك وصنفوا فى التحذير من الاعتماد على تلك العلوم السمعية السماوية بحجة أنها لاتكفى، وليتهم وقفوا عند هذا الحد ، فقد ذكر الشوكانى ماهو افظع من هذا حيث يقول اثناء ترجمته ليحى بن الحسين بن القاسم الشهارى (وقد تواطأ هو وتلامذته على حذف أبواب من " مجموع زيد بن على " وهى مافيه ذكر الرفع والضم والتأمين ونحو ذلك ، ثم جعلوا نسخا ونتوها فى الناس وهذا أمر عظيم وجناية كبيرة ، وفى ذلك دلالة على مزيد الجهل وفرط التعصب)(١)

وقد راجعت نسختين من (مجموع زيد بن على) فوجدت ذكر الرفع ولم أجد الضم والتأمين وهذه من الاشياء التى نقمت على ابن الوزير اذ عمل بها وخالف مذهب الزيدية، والله المستعان .

ابن الوزير يدعو الناس الى الكتاب والسنة :

وعند ما اشتد الخطب ، وعظم الهول ، نهض ابن الوزير يدعو الى الرجوع الى كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ففيهما هداية البشرية ، وكل ما تحتاج اليه فى معاشها ومعادها أما العقل فلا مانع من استخدامه فيما له فيه مجال ، من فهم تلك النصوص التى نزلت من عند الله ـ عز وجل ـ العليم الخبير بما يصلح عباده ، الحكيم فى أقواله وأفعاله وسيأتى بيان هذا فى (منهج ابن الوزير العلمى) وفى مبحث (إثبات الصانع) ان شاء الله تعالى .

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ، وأنظر مجموع زيد بن على ص ٩٠ وما بعدها ، ويسمى (مسند الامام زيد) ط بيروت ط أولى سنة ١٤٠١ هـ والروض النظير شرح مجموع الفقه الكبير لأحمد حسين السياغى جـ ١ ص ٦٢٦ جـ ٢ ص ٣ وما بعدها ط مكتبة المؤيد بالطائف ط ثالثة سنة ١٣٨٨ هـ .

كما نهض ابن الوزير يدعو الى ترك الاساليب المنطقية اليونانية لما في القرآن الكريم من الغناء الكامل عن تلك المصطلحات اليونانية ، وأنه أُساس لاستنباط البراهين العقلية ، وأُلف في ذلك كتابا ردا على من ادعى من المعتزلة وغيرهم قصور القرآن العظيم عن الوفاء بالدلالة على إثبات الربوبية والتوحيد والنبوات ، وعلى زعمهم أن الله ـ عز وجل ـ لا يعلم من ذاته الا ما يعلمونه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (١) .

وسمى هذا الكتاب القيم : (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) الذى وصفه الشوكاني بقوله : (وهو كتاب في غاية الافادة والاجادة ، على أسلوب مخترع ، لا يقدر على مثله الا مثله) (٢) .

كما وصفه الاستاذ خليل هراس بأنه كتاب لم تر العيون مثله . (٣)

ابن الوزير يصف التيارات المنحرفة :

والآن ندع ابن الوزير يصف لنا هذه التيارات الفكرية المنحرفة في عصره فيقول : (إنه نبغ في هذا الزمان من عادى علوم القرآن ، وفارق فريق القرآن ، وصنف في التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيان ، في معرفة الديان ، وأصول قواعد الأديان ، وحث على الرجوع في ذلك الى معرفة قوانين المبتدعة واليونان ، منتقصا لمن اكتفى بما في معجز التنزيل من البرهان ، مقبحا لتلقي كثير من محكماته بالقبول والايمان ، لا جرم أن الله تعالى وإن وصفه لقوم هدى ، فقد وصفه بأنه على قوم عمى ، فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع الى ذاته ولخلل يعود على بين آياته ، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم ، لما في قلوبهم من العمه والعمى ، والرداءة والردى ، فكأنهم المنافقون ريبا وخبثا وبهتانا حين قالوا : (أيكم زادته هذه ايمانا) (٤) .

---

(١) سورة الكهف : ٥ .
(٢) البدر الطالع للشوكاني جـ ٢ ص ٩١ .
(٣) أنظر الشوكاني مفسرا للغماري ص ٤٧ .
(٤) سورة التوبة جزء من الآية : ١٢٤

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا (١)

ثم ان ابن الوزير ليتعجب من سخافة عقول هؤلاء الذين يتعاطون العلم بذات الله — جل وعلا — وصفاته وأنهم يعلمونها كما يعلمها علام الغيوب ، ويعلمون تأويل جميع المتشابهات ، مع منعهم غيرهم من الاعتماد فى التوحيد على الآيات المحكمات وأمهات المتشابهات ، فهل هذا إلا مضادة للمعقول ، ومناقضة للمنقول ؟ (٢) .

وما أحسن قول ابن الوزير فى هذا المعنى بقوله :

منطق الاولياء والاديان   منطق الانبياء والقرآن
ولأهل اللجاج عند التمارى   منطق الأذكياء واليونان

وقوله فى موضع آخر :

كم من فتى منطقى الذهن ماخطرت   بالبال منه اصطلاحات القوانين
وكم فتى منطقى كافر نجس   كالكلب بل هو شر منه فى الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة   فهما ويسخر من طه و يس

وقد سبقه شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ الى هذا المعنى بأوجز عبارة وأوضح دلالة بقوله : منطق اليونان لايستفيد منه الغبى ولا يحتاج اليه الذكى . (٣)

حركة التأليف فى عصر ابن الوزير :

ان المجتمع العلمى اليمنى — كغيره من المجتمعات الاسلامية — قد سجل له التاريخ من العلماء المجتهدين المؤلفين وغير المجتهدين عددا لايستهان به منذ مطلع القرن الاول الهجرى ، كأبى موسى الاشعرى وأصحابه وغيرهم ، ومن التابعين طاوس بن كيسان الذى ولى القضاء فى صنعاء والجند سنة ١٠٦ هـ ، ووهب بن منبه سنة ١١٠ هـ وأخيه همام بن منبه سنة ١٣٢ هـ وحنش بن عبد الله الصنعانى سنة ١٣٢ هـ ، ومعمر بن راشد ١٥٣ هـ ، وهشام ابن يوسف الصنعانى ، قاضى صنعاء سنة ١٩٧ هـ والامام المرحول اليه

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ٨ - ٩ والبيت للمتنبى

(٢) الترجيح له ص ٩ ، وانظر كلام المؤرخ اليمنى عبد الله الحبشى فى موضوع الاشادة بموقف ابن الوزير هذا فى حياة الادب اليمنى ص ٩٥ — ٩٦ .

(٣) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٣ مطبعة معارف لاهور باكستان ١٣٩٦هـ

من الآفاق ، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى صاحب المصنف المشهور سنة ٢١٢ هـ وغير هوءلاء كثير ، وستأتى الاشارة الى هوءلاء الأعلام فى فصل (السلفية فى اليمن) ان شاء الله تعالى .

ومن يبحث عن حالة اليمن العلمية يجد أنها فى نهضة مستمرة فى شتى الفنون ، لكن ـ مع الأسف ـ هذه النهضة محصورة فى بعض المدن اليمنية لاحظ فيها للبوادى والقرى إلا من رحل منهما لطلب العلم الى أى مدينة واستمرت هذه النهضة الى عصر ابن الوزير لاسيما فى الديار الهادوية ، من الزيدية ، فان لهم عناية كبرى بالتأليف وقلما يرشح عندهم احد للامامة الا اذا بلغ درجة الاجتهاد والتأليف ، فكان هذا من أعظم الحوافز على التأليف .

وقد اطلعت على عدد هائل من المخطوطات اليمنية فى مكتبتى جامع صنعاء بعضها ـ وللاسف ـ تعبث بها الحشرات لايسمح لمن يريد التصوير أو التحقيق ، فى كثير من فنون العلم فى عصر ابن الوزير وقبله وبعده ، ومن خلال اطلاعى على كتب الفقه للزيدية ظهر لى أنهم يميلون فى الفروع الى الاحناف مع اجتهاد فى كثير من القضايا ، وأما الاصول فسيأتى الافصاح عنها فى فصل (الزيدية) ان شاء الله تعالى وسأذكر نماذج من نوابغ الموءلفين الذين عاصرهم ابن الوزير من عدة مناطق فى اليمن مرتبين حسب الوفيات .

العلماء الموءلفون فى عصر ابن الوزير :

١ ـ الملك الافضل الرسولى عباس بن على بن داود سنة ٧٨٧ هـ سرد موءلفاته تقى الدين الفاسى فى العقد الثمين منها :

ا ـ الالغاز الفقهية . ٢ ـ بغية ذوى الهمم فى انساب العرب والعجم يوجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة المجمع العلمى العربى بدمشق ، وأخرى فى مكتبة برلين برقم (٩٣٨١) ٣ ـ العطايا السنية والمواهب الهنية فى المناقب اليمنية فى التراجم مرتب حسب الحروف توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية برقم (٣٥١) تاريخ ، وأخرى مصورة فى نفس الدار رقم (١٢٩٧٥) ـ ٤ ـ نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء وهى رسالة فى

سياسة الدولة (١) .

٢ ـ الامام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي سنة ٧٩٣ هـ أحد أئمة الزيدية ـ ٢ ـ رسالة كتبها عقب إمامته الى أهل مكة قال عنها الهادي الوزير أودع فيها من أصول الدين ما يشهد له بالسبق في هذا المضمار ـ ٣ ـ شرح نوابغ الكلم للزمخشري (٢) .

٣ ـ أبو بكر بن علي الحداد الزبيدي الحنفي سنة ٨٠٠ هـ من موءلفاته ـ ١ ـ شرح مختصر القدوري صغير ـ ٢ ـ شرح مختصر القدوري كبير ـ ٣ ـ تفسير الحداد (٣) .

٤ ـ المطهر بن محمد المطهر ت سنة ٨٠٣ هـ وقيل سنة ٨٠٢ هـ من موءلفاته ـ ١ ـ الدر المنظوم الملفوف بالعلوم مخطوطة بمكتبة الجامع صنعا رقم (٣١٤) أدب ـ ٢ ـ الروض الباسم الى السيد محمد بن القاسم) ذكر فيها أسباب دعوته وقيامه بالامامة مخطوطة في مكتبة الجامع الغربية مصادرة رقم (٤٣) مجاميع . (٤)

٥ ـ اسماعيل بن العباس بن علي الرسولي سنة ٨٠٣ هـ من موءلفاته ـ ١ ـ (فاكهة الزمن ومفاكهة ذوي الآداب والفطن في اخبار من ملك اليمن) ويسمى ايضا (مرآة الزمن في تخالف اخبار اليمن) ـ ٢ ـ (في تاريخ اليمن من ظهور الاسلام الى نحو سنة ٨٠٢ هـ) توجد منه نسخة

---

(١) العقد الثمين لتقي الدين الفاسي سنة ٨٣٢ هـ ج ٥ ص ٩٤ ـ ٩٦ تحقيق فوءاد سيد مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٥ هـ والعقود اللوءلوءية ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) حكام اليمن للحبشي ص ١٦٠ بيروت ط اولى سنة ١٣٩٩ هـ ، وأئمة اليمن للموءرخ زبارة الصنعاني ص ٢٦٠ ـ ٢٧٨ والاعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٨٧ .

(٣) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ١٦٦ .

(٤) البدر الطالع ج ٢ ص ٣١١ وغاية الاماني ليحي بن الحسين ج ٢ ص ٥١٥ وحكام اليمن للحبشي ص ١٦٣ ـ ١٦٨ ، والاعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٥٤ .

مخطوطة في انجلترا بمكتبة مانشستر[١].

٦ ـ السيد صلاح بن جلال بن صلاح الدين بن محمد بن المهدى سنة ٨٠٥ هـ من مؤلفاته : ١ ـ تتمة شفاء الامير الحسين) فى الفقه ، حشاه الشوكانى بـ(وبل الغمام على شفاء الاوام)[٢].

٧ ـ السيد الهادى الوزير اخو صاحبنا ابن الوزير سنة ٨٢٢ هـ من مؤلفاته : ١ ـ كفاية القانع فى معرفة الصانع ـ ٢ ـ (الطرازين المعلمين فى فضائل الحرمين المحرمين) ـ ٣ ـ (السيوف المرهفات على من ألحد فى الصفات) ـ ٤ ـ (نهاية التنويه فى إزهاق التمويه) ـ ٥ ـ كاشفة الغمة عن حسن سيرة امام الأمة) ـ ٦ ـ كريمة العناصر فى الذب عن سيرة الامام الناصر) وهى رد على من اعترض على الامام صلاح الدين بقلة العلم ، فكان من جملة الجواب ، أنه قد أحرز من العلم كتاب الله تعالى ، وتفسيره ، ونظر فى الحديث النبوى ومعرفة رجاله وما قيل فيهم من جرح وتعديل .[٣]

٨ ـ اسماعيل بن أبى بكر بن عبد الله ابراهيم الشافعى المعروف بالمقرىء الزبيدى سنة ٨٣٧ هـ من مؤلفاته ـ ١ ـ الروض) مختصر الروضة ـ ٢ ـ (الارشاد) فى فروع الشافعية .[٤]

---

(١) العقود اللؤلؤية للخزرجى جـ ٢ ص ١٦٣ وتاريخ حضرموت للبكرى جـ ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٥ وانباء الغمر لابن حجر جـ ٣ ص ٤٦٤ ط الهند ، وتاريخ عدن ص ١٠١ ـ ١٠٤ وتاريخ ثغر عدن لأبى مخرمة ص ٢٠ ـ ٢١ ط بريل ليدن ١٩٣٦ م وفرجة الهموم والحزن للواسعى ص ١٩٥ .

(٢) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٣) البدر الطالع جـ ٢ ص ٣١٦ ـ ٣١٧ وانباء الغمر لابن حجر جـ ٧ ص ٣٧٢ والضوء اللامع للسخاوى جـ ١٠ ص ٢٠٦ غاية الأمانى للشهارى ص ٥٦٠ .

(٤) البدر الطالع جـ ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٥ .

٩ـ الشريفة دهماء بنت يحى المرتضى أخت الامام المهدى أحمد بن يحى سنة ٨٣٧هـ ، من مؤلفاتها ـ ١ ـ (شرح الأزهار) فى أربعة مجلدات ـ ٢ ـ (شرح مختصر المنتهى) لابن الحاجب فى أصول الفقه ـ ٣ ـ شرح لمنظومة الكوفى) فى الفقه والفرايض. (١)

١٠ـ السيد على بن محمد بن أبى القاسم بن محمد أحد شيوخ ابن الوزير سنة ٨٣٧هـ أشهر مؤلفاته (تجريد الكشاف) . (٢)

١١ـ الامام المهدى أحمد بن يحى المرتضى أحد أقران ابن الوزير ومنافسيه وكلاهما من أسرة واحدة سنة ٨٤٠هـ بلغت مصنفاته سبعون مصنفا إلا مصنفاء فى شتى الفنون منها ـ ١ ـ (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) خمسة أجزاء فى عدة فنون حوت مقدمته كتبا فى أصول الدين وأصول الفقه ولا نطيل الكلام فى تعدادها فقد كفانا مؤنتها الحبشى فى كتابه (حكام اليمن المؤلفون المجتهدون) المطبوعة منها والمخطوطة فى المكتبات الاسلامية وغيرها ، وقد أشار الى ارقامها تسهيلا للباحث فارجع اليه . (٣)

١٢ـ السيد الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن على الحسين العلوى الشافعى ، المعروف بالأهدل سنة ٨٥٥هـ من مؤلفاته ـ ١ ـ (الرسائل المرضية فى نصرة مذهب الأشعرية ، وبيان فساد مذهب الحشوية) (٤) ... تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن) (٥)

---

(١) البدر الطالع جـ ١ ص ٢٤٨ .
(٢) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٤٨٥ .
(٣) البدر الطالع جـ ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٦ وحكام اليمن للحبشى ص ٣ ١٧ ـ ١٩٩ وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعى ص ٢٠٣ ـ ٢٠٦ وقد سرد البعض من مؤلفاته والأعلام للزركلى جـ ١ ص ٢٦٩ ، وغاية الامانى للشهارى جـ ٢ ص ٥٣٨ .
(٤) سيأتى معنى الحشوية فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .
(٥) البدر الطالع جـ ١ ص ٢١٨ .

اما موءلفات ابن الوزير فسياتى ذكرها ان شاء اللـه تعالى فى مبحث خاص.

وبالجملة فقد ازدهر عصر ابن الوزير بالتاليف فى شتى الفنون ومنها الفلك والطب والبيطرة والزراعة وغير ذلك مما شحنت به كتب التراجم والتاريخ فى اليمن .

مكانة العلم والعلماء فى عصر ابن الوزير :

فى عصر ابن الوزير كان يحكم اليمن دولتان متنافستان ثقافيا وسياسيا هما الدولة الرسولية فى الساحل والجنوب عاصمتها (تعز)، والدولة الزيدية وعاصمتها (صنعاء)، وهذه المنافسة بل المنازعة احوجتهم ـ كما هو معروف ـ لمن يوءيدهم فى المجالات العلمية والثقافية ، ومن ناحية اخرى يدافع عنهم ما يهاجمهم به خصومهم فكانت للعلماء مكانة قد تساوى المكانة السياسية بلغ بهم الامر أن احدهم كان يخاطب الملك الرسولى : يا فلان كثر شاكوك وقل شاكروك ، فإما عدلت وإما انفصلت ، فيتقبلها الملك برحابة صدر وتسامح ، لكن هذا التسامح اما أن يكون لأسباب سياسية ، لما للعلماء من المكانة عند الشعب ، او لمكانة العلم والعلماء هذا يعلمه اللـه، إلا ان اشتغال ملوك الدولة الرسولية بالتأليف يرجح مكانة العلم والعلماء لديهم ، وشدة حرصهم على الانتساب الى العلم والعلماء وهذا واضح من موءلفاتهم التى ذكرها الموءرخون اليمنيون ، كما انتشر التعليم والمدارس وطلب شيوخها من داخل البلاد وخارجها وتقررت لهم المقررات المادية المشجعة على ذلك ، كما تتلهذوا على كثير من علماء زمانهم، وهذا يدل على تكريم العلم والعلماء ، والتشجيع على البحث العلمى، وكان اذا فرغ الموءلف من تأليف كتاب يحمل الكتاب على الرءوس فى موكب على المستوى الشعبى والرسمى ملفوفا بين أثواب الحرير فى أطباق الفضة تحفّه العلماء من بيت مصنفه الى باب الملك ، ويقتنيه فى خزانته بعد الأمر باستنساخه ، ويعطى الجائزة الثمينة لمصنفه (١) . وكانت للصوفية لدى الدولة الرسولية

---

(١) انظر التفاصيل فى حياة الادب اليمنى فى عصر بنى رسول للحبشى ص ٥٠ ـ ٦٢ وما بعدها ، والصوفية له ص ٤٧ ، وغاية الامانى ليحى ابن الحسين القاسم جـ ٢ ص ٥٦ ٢ وما بعدها و ص ٢٧ ٥ .

مكانة العلماء بل أرفع بعكس مكانتهم عند أئمة الزيدية فانهم كانوا يخافونهم خوفا شديدا بعد ان قتل الامام صلاح الدين محمد بن على سنة ٧٩٣ هـ الفقيه الصوفى أحمد بن زيد الشاوري وولده وجماعة من أصحابه، قيل أنه كان يقبح الامام صلاح، فهجاه الفقيه اسمعيل بن أبى بكر المقرى، سنة ٨٣٧ هـ بقصيدة مطلعها :

أرانى الله رأسك يا صلاح ٥٥ تداولها الأسنة والرماح (١)

أما معاصروا ابن الوزير فى الديار الزيدية ، ودولتها ، التى عاش فى ظلها ، فقد توفرت لها الأسباب المشجعة على البحث العلمى والنشاط العقلى ما يكسبها التفوق على الدولة الرسولية وعلمائها ، لان من طبيعة المذهب الزيدى الاشتغال بالعلوم واجادتها، وبلوغ درجة الاجتهاد هى المرشح لمنصب الإمامة مما يجعلهم يسعون جادين فى التحصيل والبحث العلمى ، ولكن ليس هذا هو الحافز الوحيد، فكما كان ملوك الدولة الرسولية — كما أشرت قريبا — يقربون العلماء ويشجعونهم ويغدقون عليهم الاموال ، ويستعينون بهم فكذلك أئمة الزيدية ، وهذا ابن الوزير يصف الامام المنصور امام زمانه بقوله :

(ان الامام المنصور نشر محاسن كتب الحديث ، وجمع نفائسها، وعرف غرائبها، ولم يشتهر التدريس فى الديار الزيدية اليمنية مثل ما اشتهر فى زمانه) . (٢)

وذلك مما ساعد على النهضة العلمية الحقيقية حتى امتلأت الخزائن والمكتبات من مصنفات الزيدية. (٣)

---

(١) أنظر الصوفية والفقهاء فى اليمن للحبشى ص ٥٥ — ٥٦ . توزيع مكتبة الجيل الجديد بصنعاء سنة ١٣٩٦ هـ ، وطبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص لاحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدى الحنفى ٨٩٣هـ ص ٢٤ ، ٢٥

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ — المقدمة ورقة ١٩ .

(٣) راجع على سبيل المثال التحفة العنبرية خ لابى علامة ، وطبقات الزيدية للشهارى خ ، والبدر الطالع للشوكانى تجد تراجم كثير من الزيدية .

الا أنه من المؤسف ظلت كتبهم محصورة بينهم الى عصرنا الحاضر مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، ولم ينتشر منهـا الا النزر اليسير من مؤلفات ابن الوزير والمقبلى والصنعانى والشوكانى الذى لازال من مؤلفاته ١٨٩ مخطوطة فى مكتبتى جامع صنعاء الغربية التابعة للآثار ، والشرقية التابعـة للأوقاف ، ولو زاد البحث عنهـا لا رتفع العدد (١) .

وينطبق على الزيدية ما وصفهم به الشوكانى من هذه الخصيصة التـى امتازوا بهـا على سائر الفرق الاسلامية وهى قوله يصف الزيدية : (... لهم عناية كاملة ورغبة وافرة فى دفن محاسن أكابرهم ، وطمس آثار مفاخرهـم ... وانى لاكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التى كانت سببا لدفن سابقهم ولاحقهم ، وغمط رفيع قدر عالمهم وفاضلهم ، وشاعرهم، وسائر أكابرهم ... (٢)) .

وأنا بدورى شخصيا أؤكد ما قاله الشوكانى ، وانه الواقع المريـر المستمر فلقد كابدت المشاق فى الحصول ولو على نسخة واحـدة لم يسمـح المسئولون بتصويرها، أنشأت السفر ثلاث مرات من مكة الى صنعاء لنفس الغرض لم أرجـع — وأنا ابن اليمن — الا بخفى حنين(٣) ، ولم أجـد لهم مبررا سـوى كتمان العلم ، فعليهم أن يتحملوا تبعـات الوعيد على كتمانه عن طلابــه ، واللــه المستعان .

الحالة الخاصة بابن الوزير :

أما الحالة الخاصة بابن الوزير فانك تجدها — بعد البحث مكونة مـن أمرين رئيسين :

أحدهما : ثقافى علمى مشوب أحيانا بحالة نفسية ، والآخر سياسى ، مشوب بالولاء والدفاع ، وشىء من التعصب الشخصى بل الموالاة الشخصية .

---

(١) أنظر هذه الارقام فى الشوكانى مفسرا رسالة دكتوراه للغمارى ص ٨٢ــ ٩٥
(٢) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٦٠ .
(٣) مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة مجمع الامثال للميدانى جـ ١ ص ٢٩٦ .

أما الثقافي ، فانه كان يعيش – كما سبق – في جو مشحون بالنزاعات الطائفية ، وانهماك معظم العلماء في العلوم العقلية ، والإعراض عن العلوم السمعية السماوية ، وتنافس النابغين في التأليف ، ولما كانت جل الطوائف بل كلها يخطئ بعضها بعضا ، وقد تكفرها نتيجة سعيها وراء أهل الكلام أهل الاهواء والبدع كان يتحسر على هذه الفُرقة والتقاطع .

ولما رأى ابن الوزير هذا الجو المحيط به قرر أنه لم يكن بد من المقاومة لهذه التيارات الفكرية ، فشمر عن ساق – بعد توفيق الله اياه – واتجه يناظر ويراسل ويدعو الى الرجوع الى كتاب الله – عز وجل – وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

وقد كان هو ذاته قد أفنى شبابه ، في المصطلحات الكلامية اليونانية ، ثم تداركته الالطاف الالهية فرجع عن ذلك الى العكوف على علوم الشريعة ، فكان أول ما تبين له وجه الحق في بعض المسائل الفرعية كالتأمين ، والضم ، والتّورك ، أما أصول الدين فلا اجتهاد فيها فقد اكتفى بمنهج السلف المنبثق عن الكتاب والسنة – كما سيأتي في ثنايا هذه الرسالة ان شاء الله تعالى – وما زال يترقى في العلوم الشرعية حتى بلغ درجة الاجتهاد ، فقام عليه علماء الزيدية ، وعلى رأسهم العلامة على بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخه في التفسير وأصول الفقه ، فترسل عليه برسالة اعترض عليه في اجتهاده لتعذره في نظره – أو تعسره ، فوجد ابن الوزير في نفسه من ذلك الاعتراض القاسي ، فان المعترض لم يكن منصفا – وهذا يهيج طبيعة ابن الوزير التي كان يشكو منها كثيرا ويتضرع الى الله – عز وجل – أن يداوي قاسي طباعه ، وسيأتي بيان هذا في (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى . والاجتهاد مما تذهب اليه الزيدية ، وقد سبقه أئمة منهم عدّدهم في مقدمة (العواصم والقواصم) ولم ينكر عليهم أحد حتى جاء ابن الوزير فبلغ درجة الاجتهاد ، فقامت قيامتهم فتوالت المراسلات والمناظرات والجوابات حتى بلغت نتائجها أن رد ابن الوزير على شيخه المذكور ، بكتابه الموسوم بـ (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) .

وستأتى نماذج منه فى (منهج ابن الوزير العلمى) و (مميزاته الفكرية) ان شاء الله تعالى .

وجالت المناظرات والمراسلات بين ابن الوزير وشيخه فى عدة فنون من العلم (١) سنذكر ما يتعلق بموضوع بحثنا هذا، وأما الامر الثانى السياسى الخاص بابن الوزير ، فقد ظهر لى من خلال البحث أنه قضى حياته السياسية فى تأييد الامام المنصور ، على بن الامام الناصر صلاح الدين ، أحيانا مهاجما خصومه ومنافسيه — وعلى رأسهم الامام المهدى — على عرش الزيدية فى اليمن ، اذ هو المستحق أن يتربع على عرش صنعاء يومها — فقد توفرت فيه شروط الامامة على مذهب الزيدية ، ولم تتوفر للامام على بن صلاح الدين ، كما سيأتى بيان ذلك فى الحالة السياسية — ان شاء الله تعالى — وأحيانا يقف ابن الوزير موقف المدافع عن امامة على بن صلاح ، من العلماء القادحين فى إمامته .

وموقف ابن الوزير هذا لايكاد يظهر ميله ، بل موالاته لصاحبه ولشدة مناظرته وجداله المتمثل فى كتابه (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) الآتى ذكر شئ منه فى فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله تعالى — لايكاد يظهر ذلك الا ... بالمقارنة العلمية بين مكانة كل من الامامين المتنافسين ، فتجد كفة المنصور تطيش ازاء كفة المهدى المثقلة بالعلم والمصنفات البالغ عددها ٦٩ مصنفا ، ومع هذا فلا زال ابن الوزير

---

(١) انظر العواصم والقواصم جـ ١ — المقدمة ، وتاريخ بنى الوزير خ لاحمد ابن الوزير — ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير ، والعواصم آخر المجلد الثانى ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله الوزير ورقة ١٧٩ ، وتاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير خ ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير وترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٥٦ والبدر الطالع جـ ١ ص ٤٨٥ جـ ٢ ص ٩١ — ٩٣ رقم تاريخ بنى الوزير ٤١ ورقة ٣٥ .

مستمرا فى دفاعه ومناظرته عنه ، فكم جرت بينه وبين الامام المهدى من مناظرات واسئلة وجوابات تتعلق بالامامة ، وفى النهاية لم يجب الامام المهدى على خمسة وعشرين سوءالا وجهها ابن الوزير إليه . يوم كان الامام المهدى مقيما بثلأ ، (١) فقال ابن الوزير فيها :

أعالمنا هل للسوءال جواب ... وهل يروى العطشان منك عباب ؟

وهل تجلى الظلماء منك بصائر ... تدل عليها سنة وكتاب ؟

وهل حسن منى اذا كنت سائلا ... أم البحث يابحر العلوم يعاب ؟

وهل جاء فى شرع التناصف أنه ... يكدر من صافى الوداد شراب ؟

وهل غركم منى الخمول فانما ... أنا السيف خبرا والخمول قراب ؟

وهل يزدرى بالسيف من أجل غمده ... ويحقر من وهى المحل عقاب ؟ (٢)

وهذان البيتان الأخيران يدلان — كما ذكرت — على قسوة طباع ابن الوزير ، وسيأتى اكثر من هذا فى الاسلوب الجدلى فى (المحارك الكلامية) وفى منهجه أيضا ، فقد صرح بنفسه فى عدة مواضع من موءلفاته وتضرع الى الله أن يداوى قاسى طباعه وزاد هذا موالاة ابن الوزير لصاحبه الامام على بن صلاح الدين مع أنهم من اسرة واحدة .

وفى آخر الأمر وصفه ابن الوزير والشوكانى بأوصاف تدل على أن الله تعالى جعل فيه وفى إمامته خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين ، كما سيأتى بيانه فى (الحالة السياسية) ان شاء الله تعالى .

وفى النهاية ذابت هذه الخصومة بينه وبين المهدى أحمد وبين السيد على بن محمد بن أبى القاسم أحد شيوخ ابن الوزير أولا ، وأحد خصومه بل أشدهم أخيرا ، وسائر خصوم (٣) ابن الوزير وزالت الوحشة على يد القاضى

---

(١) قرية تبعد عن صنعاء ٤٠ كيلو تقريبا من الجهة الشمالية الغربية .

(٢) أنظر المصادر السابقة ذاتها والتحفة العنبرية خ لمحمد بن عبد الله أبو علامة ورقة ١٤٢ فى مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٥٦ — ٥٧ تاريخ .

(٣) ومنهم الامام على بن الموءيد ولكنها خصومة يسيرة لم تدم طويلا لانه وقف معه فى فَلَلَة ولم يكن بينهما شىء من المضايقات الا يسيرا .

محمد بن اسمعيل الكنانى ، وحصلت بينهم اجتماعات وطيبة نفوس فاعتذر كل من صاحبه وقبل اعتذاره، وقيل ان هذا كان على يد الهادى الوزير بعد إلحاح على اخيه ابن الوزير فقبل وزالت الجفوة ، وطلب شيخه من ابنه صلاح أن يدرس علم المعانى والبيان على ابن الوزير .(١)

ولكن — مع الاسف الشديد — ورث الأبناء والأحفاد أحقاد هذه الخصومة جيلا بعد جيل حتى القرن الثالث عشر الهجرى — بل الى قرننا الخامس عشر الهجرى — فقد حاول بعض الزيدية الرد على ابن الوزير بكتاب أسماه (الغضب الصارم فى الرد على صاحب الروض الباسم) (٢) لمجهول فى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى .

وهذا الرد بعد خمسة قرون مضت يذكرنى بقول المتنبى (٣) :

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

ومع هذا لم يستطع أن يسمى نفسه ، وابن الوزير متوسد التراب ، فكيف لو كان العكس . . ؟!

وقد كان بعض حساده لا يجهر له بالقول ، لانه لا يقوى على مناظرته ، لما اشتهر به من شدة المعارضة وقوة الحجة .

وحساد ابن الوزير قد سعوا جاهدين جماعات ووحدانا فى نصب

=== قال فيها ابن الوزير أبيات رقيقة منها :

لو شئت أبكيت العيون معاتبا * * وألهبت نيران القلوب رقائقا
ولكننى اصبحت لله طالبا * * واصبحن منى الترهات طوالقا

أنظر العواصم والقواصم ج ٢ ورقة ١٨٩ .

(١) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير ورقة ٣٨ وطبقات الزيدية للقاسم ابن ابراهيم الشهارى ج ٣ ورقة ٣٠١ وما بعدها ، وأنظر الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٢٠٤ ومطلع البدور ومجمع البحور لاحمد بن أبى الرجال فى ترجمة ابن الوزير ج ٤ توجد منه نسخة فى مكتبة مركز البحث العلمى .

(٢) يوجد فى مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٩٤ حديث .

(٣) العرف الطيب شرح ديوان ابى الطيب المتنبى للشيخ ناصف اليازجى بيروت ط ثانية .

العداوة له بكل مافى وسعهم ثقافيا وسياسيا واجتماعيا ، لكنهم باءوا بالفشل ، إلا أنه كان يتضايق من كثرة الاحتكاك فيفضل الخروج الى البوادى والجبال الخوالى كى يصفو له الجو ويتفرغ للتأليف والعبادة كما سيأتى فى (العزلة) . وفى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

الحالة السياسية فى عصر ابن الوزير

ان التيارات الفكرية الآنفة الذكر ، قد لعبت دورا هاما فى اليمن ، شأنها شأن كل بلد اسلامى تعددت فيه المذاهب ، واختلفت فيه النظريات ، فكثيرا ما تتعدى البحوث العلمية ، والافكار العقائدية أو العقدية مجالها العلمى والنظرى الى اضطرابات نفسية ، ونزاعات طائفية .

وقد تتطور أحيانا الى عصبية وخلاف ، وتباعد ، وافتراق ، بل وتفسيق وتكفير ، كما هو عادة أهل الكلام بسبب الخوض ، فى مواقف ومحاراة لاتدركها العقول ، بل ليست مكلفة بها ، وما ذلك الا نتيجة الإعراض عن منهج القرآن الكريم ، منهج السلف الصالح ، وصدق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ يقول : " ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا " (١)

وقد تتطور هذه الافكار والخلافات عن مجالها العلمى والنظرى الى

---

(١) سنن أبى داود مع عون المعبود كتاب الأدب جـ ١٣ ص ٣٥٤ ـ الناشر المكتبة السلفية ، والنهاية لابن الاثير جـ ١ ص ٣٢٢ تحقيق الزواوى والطناحى الحلبى ط أولى سنة ١٣٨٣ هـ ومعنى الحديث : أن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ، ويتكلف العالم الى علمه مالا يعلم فيجهّله ذلك ، والحكم على الحديث فى سنن أبى داود مقرر فى علوم الحديث كما صرح بذلك أبو داود لانه ذكر فيه الصحيح وما يشبهه وما يقاربه أنظر جـ ١ مقدمة ص ٥ وعلوم الحديث لابن صلاح ص ٣٣ تحقيق نورالدين عتر مطبعة الاصيل حلب ١٣٨٦ هـ فقد قرر ابن الصلاح أن ما سكت عنه أبو داود فهو صالح للاحتجاج .

صراع دموى بل حرب طاحنة وقودها أبناء البلد الواحد ، كما هو مشهور فى تاريخ اليمن وغيره لأن الشرارة الاولى للصراع الدموى هى الصراع النظرى وإلا فما الداعى الى الصراع الدموى ؟

ألا ترى أن كل فئة من الفئات المتناحرة تعتقد أنها على الصواب وأن غيرها على الباطل فتصمد حتى الموت أو النصر من كانت عقيدتها راسخة سواء كان هذا الرسوخ على الحق أو الباطل ، أما من كانت عقيدتها عكس ذلك فسرعان ما تهتز وتنهار ، وتنهزم ، وأما الاولى فهى وان انهزمت وقتيا من الناحية المادية فانها تعمل فى خفاء حتى تتمكن من الوثبة على عدوها وهكذا دواليك .

الصراع الدامى على السلطة ونتائجه :

ولما كانت الصراعات بين الطوائف الدينية فى اليمن عريقة ، كانت الصراعات السياسية الدامية بين الأئمة الزيدية ، حكام اليمن الأعلى — المتمركزين فى (صعدة) و (صنعاء) و (ذمار) وبين السلاطين والأمراء من قبل الأمويين والعباسيين والأيوبيين — حكام اليمن الأسفل وسواحله وجنوبه — المتمركزين فى (عدن) و (تعز) و (زبيد) — حامية الوطيس منذ القرن الثالث الهجرى ، واليمن فى نكباته المتتالية الى ما بعد ثورة الجمهورية العربية اليمنية سنة ١٣٨٢هـ . فلقد بلغ الانقسام والتمزق باليمن ، الى أن كانت تحكمه عدة دويلات فى عصر واحد ، بل تصارع عليه مستنزفة دماءه ، مزهقة لأرواحه ، بلغ الامر فى الديار الزيدية أن يخرج أكثر من امام يدعو لنفسه فى قطر واحد ، وكانت أول دولة للزيدية ، أسست على يد الامام الهادى يحيى بن الحسين ، حينما خرج الى اليمن فى المرة الثانية سنة ٢٨٤هـ بدعوة من اعيان (صعدة) و (صنعاء) و (نجران) آنذاك ، لما اشتدت وطأة الباطنية وكثر الفساد فى البلاد على تفاصيل وخلاف يأتى بيانه فى فصل (الزيدية) ان شاء الله تعالى .

وقد لقى الهادى يحى بن الحسين سنة ٢٩٨ هـ معارضة شديدة ، من عمال العباسيين على اليمن ، لأن ائمة الزيدية كانوا يعلنون الدعوة لانفسهم بخلاف غيرهم ، فالدولة الزيادية ، واليعفرية — مثلا — كانوا يعلنونها باسم

العباسيين ، والباطنية الاولى باسم المهدى عبيد الله بن ميمون القداح ، والباطنية الثانية باسم الخليفة المستنصر الفاطمى بل العبيدى فى مصر أنذاك الآتى بيانه فى فصل (الباطنية) ان شاء الله تعالى .

ومما ساعد على ضراوة الموقف السياسى فى اليمن ، واستمراره، بُعدُه عن عاصمة الخلافة ،وكثرة جباله الشاهقة المنيعة ، الوعرة المسالك حتى على أهلها ، فكيف بغيرهم ؟ ثم ان الجزء الساحلى المواجه للبحر الاحمر ، هو المنفذ التجارى ، والمدد العسكرى لملوك اليمن الاسفل ، بل همزة الوصل بين اليمن والعالم الخارجى ، لذلك فان أئمة الزيدية تعتبر التخلى عنه فصلها عن العالم الخارجى ، وفى ذلك فقدان لقوتها المادية والعسكرية . ولن تتخلى عنه أهله ، وعلى رأسهم الملوك ، لانهم يختلفون مع الزيدية الجبلية فى الأصول والفروع ، ومعلوم أن الاختلاف مدعاة للقلق والاضطراب ، وإليك قائمة موجزة للدول المتناحرة على اليمن خلال ثلاثة عشر قرنا :

١ ـ الدولة الزيادية ، ومركزها (زبيد) من سنة ٢٠٥ الى سنة ٤٠٢ هـ ، وكانت تدين بالولاء للعباسيين ، وهم من اصل حبشى .

٢ ـ الدولة اليعفرية ، ومركزها (شبام صنعاء) من سنة ٢٢٥ الى سنة ٣٩٣هـ وكانت تدين بالولاء للعباسيين أيضا .

٣ ـ الباطنية بزعامة على بن الفضل الخنفرى الحميرى من سنة ٢٦٨ وقيل ٢٧٧ هـ الى سنة ٣٠٣ هـ وكان فى أول أمره داعية للمهدى بن القداح ثم استقل بالدعوة وتغلب على معظم اليمن الاعلى ، وتمركز فى (المذيخرة)

٤ ـ الدولة النجاحية ، وهى التى خلفت الزيادية فى (زبيد) من سنة ٤٠٣هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وينتمون الى الأحباش .

٥ ـ الدولة الصليحية الباطنية ، وقد تغلبت على معظم اليمن ، جباله ، وسهوله ، شماله وجنوبه ، من سنة ٤٣٩ هـ الى سنة ٥٣٢ هـ بزعامة على ابن محمد الصليحى وكان داعية للمستنصر الفاطمى ، بل العبيدى صاحب مصر .

٦ ـ الدولة الزريعية فى عدن من سنة ٤٧٠هـ الى سنة ٥٦٩ هـ .

٧ ـ دولة بنى حاتم الهمدانيين فى صنعاء من سنة ٤٩٤ الى سنة ٥٦٩ هـ

٨ ـ دولة بنى مهدى نسبة الى موسسها على بن مهدى الرعينى الحميرى من سنة ٥٥٣ الى سنة ٥٦٩ هـ .

٩ - الدولة الأيوبية نسبة الى صلاح الدين الأيوبى من سنة ٥٦٩ الى سنة ٦٢٦ هـ .

١٠ - الدولة الرسولية على الساحل والجنوب وعاصمتها (تعز) من سنة ٦٢٦ الى سنة ٨٥٨ هـ نسبة الى رسول، لقبا واسمه محمد بن هارون أحد وزراء الأيوبين فى مصر ، وقيل ينتهى نسبه الى زيد بن كهلان ابن سباء الأكبر كان محظوظا عند الخليفة العباسى آنذاك وكان قد أرسله الى مصر والشام فى عدة مناسبات فأطلق عليه هذا اللقب .

١١ - دولة بنى طاهر فى جنوب اليمن من سنة ٨٥٨ الى سنة ٩٣٣ هـ .

١٢ - الولاة العثمانيون فى المرة الأولى فى سنة ٩٤٥ هـ .

١٣ - أئمة الزيدية منذ أسس دولتها الامام الهادى يحى بن الحسين سنة ٢٨٤ هـ أوجده القاسم على خلاف سيأتى فى فصل (الزيدية) الى سنة ١٣٨٢ هـ وعددهم ٦٧ إماما، آخرهم البدر بن الامام أحمد حميد الدين ، منهم ٥٩ حسنيون واثنان حسينيون والباقى ينسبون الى الحسن بن زيد بن على رضى الله عنهم أجمعين . (١) وهم حسينيون أيضا

---

(١) أنظر التفاصيل فى غاية الأمانى تاريخ القطر اليمانى ليحى بن الحسين القاسم الشهارى جـ ١ ص ٣٠ - ٤٢ تحقيق عاشور وزميله والمخلاف السليمانى للعقيلى جـ ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ من منشوران دار اليمامة الرياض ط ثانية ، واليمن عبر التاريخ لأحمد شرف الدين ص ١٨٧ - ٢٤٥ ط ثالثة سنة ١٤٠٠ هـ ، وتاريخ اليمن للواسعى ص ١٦٢ وما بعدها الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط رابعة سنة ١٤٠٤ هـ ، ومقدمة السيل الجرار للشوكانى جـ ١ ص ٦ وما بعدها والفتح العثمانى الأول لمصطفى سالم ص ٢٩ معهد البحوث والدراسات العربية ط ثانية سنة ١٩٧٤م ، والاكليل للهمدانى جـ٢ ص ١٧٨ وما بعدها تحقيق محمد على الاكوع بدون ذكر الطبع ، والعسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك لابى الحسن على ابن الحسن بن أبى بكر الخزرجى صورة عن مخطوطة جـ ٤ ص ٤٨ - ٥٩ - ٧٧ - ٨٩ - ١٠٣ وبالجملة أنظر الجزء الرابع ان أردت بأكمله ففيه تفاصيل ما تضمنته هذه الدويلات من ويلات الى سنة ٨٥٨هـ وهو الزمن الذى انتهت فيه الدولة الرسولية .

وكان لسان حال الأئمة والسلاطين والأمراء هوءلاء يقول :

ولأضربن قبيلة بقبيلة ولأملأن بيوتهن نياحـــا

وهكذا تعاقبت هذه الدويلات بالويلات على اليمن ، بعضها كما تراها في التاريخ السابق كانت في عصر واحد ، أما أئمة الزيدية فهم سلسلة لم تنقطع مع هذه الدويلات حتى قضت عليها الثورة اليمنية السابقة الذكر . ومن العجب في تاريخ أئمة الزيدية أن الحرب كانت تشتعل بين أبناء العم والأخوة بل بين الآباء والأبناء أبناء الصلب ، منهم على سبيل المثال الامام شرف الدين سنة ٩٦٥ هـ وابنه المطهر فقد وقعت بينهما حروب طاحنة على الإمامة حتى سعى بينهم بالاصلاح على تفويض المطهر في جميع الأمور ، وألقيت اليه مقاليد الحكم (١) وحصلت بينه وبين الولاة العثمانيين معارك شديدة حواها التاريخ اليمني وخاصة كتاب الفتح العثماني الأول لمصطفى سالم .

وهكذا استمر الصراع السياسي الدموي في اليمن - وغالبا ماكانت المنازعات والعداوة تحددها القبائل وتحميها - حتى السنة التي ولد فيها ابن الوزير سنة ٧٧٥ هـ والحرب على أشدها بين الامام صلاح الدين محمد بن على ٧٩٣هـ أحد أئمة الزيدية وبين الملك الافضل الرسولي من جهة ، والاشراف في تهامة و(حرض) من جهة ، و (الباطنية) من جهة أخرى . وقد شدد صلاح الدين هذا على الباطنية ، فأوقع بهم وقائع منكرة ، واستولى على معظم بلادهم وحصونهم وأجلاهم عنها .

أما الحرب بينه وبين ملوك بني رسول في تهامة والجنوب فقد استمرت سجالا ، ولا ننسى ماكان بين بني رسول والمعازبه في الوجه البحري من القتال .

وأما . باطنية همدان ، وهي أشدها حينذاك ، فقد وقع الصلح بينهم وبين صلاح الدين ، سنة ٧٨٨ هـ على إنهاء الحرب بشروط على الباطنية

---

(١) أنظر فرجة الهموم والحزن للواسعي ص٢١٣ - ٢١٨ كذلك ما حصل بين الملك الاشرف الرسولي وأخيه المؤيد وأنظر حكام اليمن للحبشي ص ١١٥ .

الهمدانية ، منهـا عدم موالاة الاشراف الذين كانوا يحكمون صنعاء ، لأن مقره(*) كان (بذمار)(١) .

ولم يستول على صنعاء الا في سنة ٧٨٣ هـ بعد تدابير وحيل عظيمـة توصل بها الى قبض صنعاء بدون قتال ودارت الحرب رحاها بين الامام صلاح الدين وبين حران الباطنية سنة ٧٩٠ هـ هزم فيها جيش الامام لصعوبـة طرقهـــا .

وهكذا استمرت المعارك في عدة جبهـات يقود بعضها الامام صـلاح الدين بنفسه ومعه الاعيان ومنهم الهادى الوزير أخو صاحبنا حتى توفى الامام سنة ٧٩٣ هـ وكان وزيرا للامام صلاح الدين ولابنه على بن صلاح الدين فسمـى ذو الوزارتين قال الشوكاني في الثناء على الامام صلاح الدين : (ملك غالب اليمن واستقر بصنعاء وعظمت دولته ، واشتدت صولته ، وغزا الى بلاد سلاطين اليمن الاسفل ، ودوخ بلادهم ، وكان جيّد الرأى قوى التدبير ، كثير الجنود ، حسن السياسة كثير العدل متورعا ، متعففا ، عالى الهمة ، مديم الذكـر والعبـادة ، ودرّس العلم وتقريب أهله ، وقد زلزل الباطنية وهدّ أركانهـم ، وسفك دماءهم ، ونهب أموالهم ، واستمر على ذلك حتى مات سنة ٧٩٣) (٢)

وعصر ابن الوزير مملوء بالاحداث السياسية الدامية لايتسع المقام لذكر جلهـا فضلا عن كلهـا ولكن نكتفى بذكر واحـد من تلك الاحداث :

أهم الاحداث في عصر ابن الوزير :

سبق أن ذكرت ما مضمونه أن اليمن غرقت في بحار من الدماء تارة فـي سبيل بسط السلطة بعضهـا على بعض في الجبال والسهول ، بين أئمـة

---

(١) أنظر التفاصيل في غاية الامانى تاريخ القطر اليمانى للشهارى ج ٢ ص ٥٢٤ — وما بعدها والبدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٢٢٦ . وتاريـخ اليمن للواسعى ص ٢٠٢ وحكام اليمن للحبشى ص ١١٥ — ١٦٠ ومابعدها .

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٢٢٦ وتاريخ اليمن للواسعى ص ٢٠٣ ، وحكام اليمن ص ١٦٠ وما بعدها وطبقات صلحاء اليمن للمؤرخ عبد الوهاب البريهى ص ١٩ .

(*) الضمير عائد على الامام صلاح الدين الزيدى .

الزيدية وبنى رسول وغيرهم ، وتارة فى قتال الباطنية — قتلهم الله — وهذه تعد من حسنات أئمة الزيدية — ان هم احسنوا النية — ان شاء الله تعالى ، وغير ذلك من الصراعات الداخلية .

وصاحبنا ابن الوزير عاصر اربعة من أئمة الزيدية المتصارعين على الامامة التى انشغل بها الناس قديما وحديثا ، أما انشغال الزيدية بها فحدث ولا حرج وسيأتى بيان مذهبهم فى فصل (الامامة والسياسة) من الباب الثالث فى هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

كما عاصر ابن الوزير عددا من ملوك اليمن الاسفل بنى رسول ، ومنهم اسماعيل بن العباس الرسولى ، الذى حكم اليمن الاسفل من سنة ٧٧٨هـ الى أن توفى سنة ٨٠٣ هـ .

ومما يثير الدهشة ان الصراع الدموى الآتى ذكره بين شخصين من أسرة واحدة ، هما المهدى احمد بن يحى سنة ٨٤٠ هـ وعلى بن صلاح الدين سنة ٨٤٠ هـ وهو أهم الاحداث السياسية فى عصر ابن الوزير وباشرها ثقافيا وسياسيا ، وإليك هذا الحدث الأليم بايجاز :

لما توفى الامام الناصر صلاح الدين محمد بن على سنة ٧٩٣ هـ اضطربت اليمن ، وكثرت فيه المحن ، و انتشر الخلاف فى جميع الاطراف ، والسبب فى ذلك حداثة سن ولده القائم بعده ، وهو على بن صلاح الدين ، وعدم إحرازه لكثير من شروط الامامة فى المذهب الزيدى ، ومن أهمها الاجتهاد ، مع وجود من هو أولى منه بالإمامة ، لتوفر شروطها فيه ، وهو الامام المهدى أحمد بن يحى المرتضى — الذى يلتقى نسبه مع ابن الوزير فى الجد الثالث ، فقد كان علّامة الوقت الذى لا يسبق ، صاحب التصانيف التى عليها مدار مذهب الزيدية عامة ، وأهل البيت خاصة ، كان متفننا فى العلوم ، بلغت مصنفاته ٦٩ مصنفا او تزيد ، فعندها تشاور علماء (صعدة) وعلى رأسهم القاضى العلامة عبد الله بن حسن الدوّارى سنة ٨٠٠ هـ — احد شيوخ ابن الوزير — الملقب — عند الزيدية — بسلطان العلماء ، بلغت مكانته ألا يبايع الائمة إلّا بعد حضوره ، وهذا ما حصل بالفعل عند دعوة الامام المهدى المذكور ، ومعارضة الامام على بن صلاح الدين ، فان أمراء الدولة أرسلوا له من صنعاء

الى صعدة وبعد وصوله اتفق مع خاصة الامام الناصر صلاح الدين من الوزراء والامراء ، ووجوه الدولة على أن تكون البيعة لابنه على بن صلاح الدين .

ولما بلغ الخبر علماء صنعاء وأعيانها انزعجوا ، وفزعوا إلى من يقوم بالامامة ، فاجتمعوا فى مسجد جمال الدين المعروف فى صنعاء ، وعينوا الامام المهدى أحمد بن يحى المرتضى ـ بعد حديث طويل ـ لإحرازه شروط الامامة عند الزيدية ، ولما عرف أرباب الدولة ما وقع من بيعة الامام المهدى سارعوا الى بيعة ولد الامام الناصر على بن صلاح ، وتلقب بالمنصور بالله ، وأجابه كثير من الشيعة والسادة ، ومنهم السيد الهادى بن ابراهيم الوزير ، وأخوه السيد محمد بن ابراهيم الوزير صاحب هذه الدراسة ، والسيد على بن محمد ابن أبى القاسم أحد شيوخ ابن الوزير ، وغيرهم من الاعيان وحصلت مناظرة بين آلامامين المذكورين حكاها ابن الوزير فى (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) (١) ولم يذكر النتيجة ، ولست أدرى هل هى قبل الحرب أو بعده ؟ وما هو المسوغ من لمبايعة إمامين فى إقليم واحد فى آن واحد ؟ وقد ثبت فى الخبر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما " (٢)

فأما الامام المهدى أحمد بن يحى المرتضى ، ومن تابعه من العلماء ، فانهم خرجوا عقب البيعة من صنعاء بلا فصل الى بيت بوس) (٣) لأنهم

---

(١) الترجيح ص ٦٥ وانظر البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ١٢٢ وما بعدها ٣٨١ وما بعدها ٤٨٥ ـ ٤٨٧ وبلوغ المرام للعرشى ص ٥٢ وغاية الامانى ليحى الحسين الشهاوى جـ ٢ ص ٥٣٨ وحكام اليمن للحبشى ص ١٦٠ وما بعدها ١٧٣ وتاريخ اليمن للواسعى ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ وما بعدهما والتحفة العنبرية خ لابى علامة ورقة ١٤٣ وما بعدها والاعلام للزركلى جـ ١ ترجمة المهدى لدين الله احمد بن يحى ص ٢٦٩ .

(٢) مسلم جـ ٣ كتاب الإمارة باب اذا بويع لخليفتين ص ١٤٨٠ .

(٣) هو جنوب صنعاء يبعد عنها بنحو ثلاثة كيلومترا .

رأوا أن تكون الدعوة من هناك ، وبالفعل أعلنوها من ثم ، فبلغ الخبر الى صنعاء فسرعان ما خرج جند الامام المنصور أفواجا ، فأقاموا الحصار على بيت (بوس) هذا ، ورموه بالعرادة [١] حتى تقطع ما حوله من الاشجار ، ولبثوا فى الحصار قدر ثلاثة عشر يوما ، قتل خلالها عدة قتلى من الفريقين ثم وقع الصلح على أن يرجع الجميع الى صنعاء وتحكيم العلماء ، وعلى رأسهم الدوّارى ، صاحب (صعدة) وحينما وصلوا صنعاء لم يحصل الوفاء ، فرجع من ناحية باب شعوب [٢] هو ومن معه فى الليل الى بنى شهاب ، فأجابوا دعوته ، وامتثلوا أوامره ، وجرت أحكامه ، فبعث الامام على بن صلاح الدين بعض قواده لقتاله فهزم جيش على بن صلاح وأطاعه كثير من القبائل المجاورة لصنعاء ، ومنها (كوكبان) و (ثلأ) و (آنس) و (الطويلة) وراسله بعض رؤساء القبائل ، والاشراف ، واستدعوه الى (صعدة) ، فلما علم الامام المنصور بذلك خافوا منه فراسلوا من يثقون فيه لتثبيطه . فرجع فأقام فى (رصابه) جهة معبر ، فخرج جيش المنصور من صنعاء على غرة ، فلم يشعر المهدى الا وقد أحاطوا به فلما تيقن أنه لا طاقة له بهم صالحهم على سلامة من معه من العلماء ، ويسلم نفسه اليهم فلما وصلوا مسجد معبر نقضوا العهد ، وقتلوا من كان معه ، وثمانية من العلماء ، وسلم منهم جماعة أسروا معه ، وقيدوه بقيود ثقيلة ، ثم سجن بقصر صنعاء سبع سنين ، وصنف فى السجن (الأزهار) ثم خرج بعناية الموكلين بحفظه ليلا إلى حصن (ثلأ) ثم طلب الناس منه القيام بالامامة ، فرجح التأخير حتى يختبرهم ، ثم انضم الى على بن المؤيد الذى كان قد دعى الى نفسه وتحالفا ضد المنصور فتقدما الى (صعده) وما أن علم بجيش المنصور خرج منها ، ثم تلاشى الامر ، وتثبط الناس عن نصرته ، فأراح نفسه عن السياسة وعكف على التصنيف حتى توفى سنة ٨٤٠ هـ [٣] .

---

(١) آلة من السلاح القديم أصغر من المنجنيق يوضع فيها حجر كبير ثم يرمى به . قاموس جـ ١ ص ٣١٣ .

(٢) الجهة الشمالية لصنعاء .

(٣) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ١٢٥ — ١٢٦ والمصادر السابقة ذاتها الاجزاء والصفحات .

هذا ماذهب اليه الشوكانى ومن معه من المؤرخين اليمنيين من قصة خروج المهدى . وذهب بعضهم الى أن خروج الامام المهدى من الحبس كان على يد الهادى بن ابراهيم الوزير بعد أن رد الامام المنصور شفاعة كثير من العلماء وذلك لما للهادى الوزير من المكانة عند الحكام ، لاسيما الامام المنصور ، وممن ذهب الى هذا صاحب (غاية الأمانى) وصاحب (فرجة الهموم والحزن) وغيرهما ، قال الواسعى : (وقد نقم العلماء الأعلام على على بن صلاح فى تعديه على الامام المهدى بالحبس ، وقد نصحه العلماء بتخليته لعلو رتبته فى العلم والفضل ، وسبقه بالدعوة ، ومبايعة العلماء له فلم يقبل حتى كتب له السيد العلامة الهادى بن ابراهيم الوزير قصيدة قال فى آخرها :

وان السيد المهدى منكم	بمنزلة تحق له الفخامة
ألم يك جدك المهدى خالا	له وكفى بذلك من رحامه
نصيحة وامق خدن شفيق	مجد ليس يحتاج القسامة
فانى والحديث ذو شجون	وليس يليق فى الدين الحشامه
أخاف اذا استمر القيد فيه	تجىء مقيدا يوم القيامة
فيسألك الاله بأى ذنب	تقيده وتحبسه ظلامه
ولا تسمع إلى من قال فيه	بترك القيد واطرح الملامه (١)

ويمكن الجمع بين القولين بأن شفاعة الهادى الوزير فى فك القيد وابقائه فى الحبس مكرما حتى خرج على الوصف الذى ذكره الشوكانى .

وأما الامام على بن صلاح الدين فقد تمكنت خلافته فى الديار اليمنية كما قال الشوكانى (وعظمت سطوته ، وكثرت جيوشه ، وبعد صيته) (٢)

---

(١) فرجة الهموم والحزن للواسعى ص ٢٠٤ وغاية الأمانى للشهارى جـ ٢ ص ٥٥٣ وتاريخ بنى الوزير ترجمة الهادى الوزير للهادى الوزير الصغير ابن صارم الدين فى مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٤١ مجاميع .

(٢) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٤٨٧ .

ولكن لم يصف له الأمر الا فى أواخر سنة ٨٣٤ هـ لأنه كان فى صراع د ائم مع سلاطين اليمن الأسفل وغيرهم ممن ذكرنا، وقد جعل الله فى إمامته الخير والبركة فى آخر عهده ، فانه دفع أهل الظلم ، وأحسن الى العلماء ، وقمع رؤس البغى ، مع اشتغاله بالمعارف العلمية كما ذكرت فى الحالة الثقافية والله اعلم بالسرائر .

شيوخـــه :

أخذ ابن الوزير – رحمه الله تعالى – العلم على أكابر علماء اليمن (صنعاء) و (صعدة) و (تعز) وسائر المدن اليمنية ثم رحل الى (مكة المكرمة) طلبا لمزيد من العلم، وبالأخص طلب الحديث وعلومه وقد أجازه الكثير منهم كما سياتى بيانه، وسأشير الى ترجمة شيوخ ابن الوزير إشارة خفيفة للدلالة على مكانته العلمية ، وقد أكتفى بالاشارة الى مصادر تراجمهم، ولابن الوزير اسانيد متصلة من شيوخه فى الحديث الى الامهات ذكرها الشوكانى فى كتابه (أتحاف الاكابر باسناد الدفاتر) ومن اشهر شيوخه الذين تشد اليهم الرحال العلماء الآتية أسماؤهم ، وقد رتبتهم على حسب الوفيات :

١ – محمد بن أحمد بن ابراهيم الطبرى سنة ٧٩٥ هـ ولد بمكة وسمع بها – وكان من بيت صلاح ورواية وعلم . (١)

٢ – عبد الله بن الحسن بن عطية بن محمد الدّوارى الصعدى الزيدى سنة ٨٠٠ هـ الملقب بأمير العلماء الزيدية فى عصره، كان بحرا فى غالب العلوم ، وقصده الطلاب من كل ناحية من الديار الزيدية ، له مصنفات منها (شرح جوهرة الرصاص) و (الديباج النظير) قال الشوكانى : (ليس لأحد من علماء عصره ، ما له من تلامذة ، وقبول الكلمة ، وارتفاع الذكر ، وعظيم الجاه ، بحيث كان يتوقف الناس عن

---

(١) الدرر الكامنة فى أعيان المأة الثامنة لابن حجر العسقلانى ج ٣ ص ٣٩٤ حققه محمد سيد جاد المولى مطبعة المدنى بدون تاريخ ، والعقد الثمين للشريف الفاسى محمد بن أحمد بن على الحسنى ج ١ ص ٢٨٠ – ٢٨١ تحقيق فؤاد سيد طبع القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .



بيعة الأئمة حتى يحضر) (١) من أبرز تلامذته ابن الوزير قرأ عليه في أصول الفقه وفروعه . (٢)

٣ ـ السيد الناصر بن أحمد بن الامام المطهر بن يحى سنة ٨٠٢ هـ كان اماما في المعقول والمنقول ، مرجوعا اليه في الفروع والأصول ، وعنه أخذ ابن الوزير وغيره وأجازه فيما صح له سماعا ومناولة ، من ذلك (أصول الأحكام في معرفة الحلال والحرام) للامام أحمد بن سليمان و (أمالى أحمد بن عيسى بن زيد بن على) و (شرح النكت والجمل) للقاضي جعفر بن احمد الصنائى و (المنهاج الجلى على مذهب زيد بن على) و (مجموع زيد بن على) وبالجملة أجازه في رواية سائر كتب الخزانة المهدية خزانة الامام المهدى محمد بن المطهر (٣) بصنعاء .

٤ ـ محمد بن أحمد بن الرضى ابراهيم المعروف بأبى اليمن الشافعى سنة ٨٠٩ هـ اجاز له مجموعة من العلماء من اهل مصر والشام ومكة ولى الإمامة بمقام ابراهيم بعد أخيه المحب . (٤)

٥ ـ أبو الحسين محمد بن الحسين القطب القسطلانى المكى سنة ٨١١ هـ سمع من محمد بن عثمان الطبرى وعدد من المشايخ . (٥)

٦ ـ نور الدين على بن مسعود بن على بن عبد المعطى الانصارى الخروجى المكى سنة ٨١٣ هـ سمع من ابراهيم النحاس وغيره بمكة . (٦)

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ ، جـ ٢ ص ٨١ وطبقات الزيدية خ جـ ٣ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

(٢) أنظر طبقات الزيدية خ بصنعاء جـ ٣ ص ٣٤٥ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ ورقة ١٩٥ وملحق البدر الطالع ص ٢١٩

(٤) العقد الثمين للشريف الفاسى جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٥) طبقات الزيدية خ جـ ٣ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ والعقد الثمين للفاسى جـ ٢ ص ٨ ـ ٩ .

(٦) العقد الثمين للفاسى جـ ٦ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ والضوء اللامع للسخاوى جـ ٦ ص ٣٨ .

٧ ـ جار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن أبى المعالى الشيبانى المكى الحنفى الملقب بالجلال سنة ٨١٥ هـ سمع من شهاب الدين الهكارى ، ونور الدين الهمدانى ، وعز الدين بن جماعة وخليل المالكى وغيرهم . (١)

٨ ـ محمد بن عبد الله بن ظهيرة سنة ٨١٧ هـ محدث الحرم الشريف بمكة المكرمة ، ولد بها ونشأ بها ، برع فى الفنون وانتهت اليه رياسة الشافعية ببلده ، ولقب بعالم الحجاز ، سمع على الشيخ خليل المالكى ، ومحمد بن سالم الحضرمى ، والعز بن جماعة ، والموفق الحنبلى ، واستمر ناشرا للعلم بعد الستين من عمره نحو أربعين سنة ، رحل اليه الطلاب وتزاحموا ، وممن أخذ عنه الحافظ بن حجر العسقلانى ، وصاحبنا ابن الوزير ، وأجازه الشيخ المذكور فى كل ما تجوز له وعنه روايته وذلك فى موسم الحج سنة ٨٠٧ هـ . (٢)

٩ ـ الهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ أخو صاحب هذه الدراسة ، أخذ عن عدد من علماء اليمن ، ورحل الى مكة لسماع الحديث ، فسمع (جامع الأصول) على الشيخ محمد بن ظهيرة السابق ذكره وبرع فى عدة علوم ، وصنف تصانيف سبق ذكر بعضها فى الحالة الثقافية درس عليه صاحبنا ابن الوزير علم الأدب بما فيه اللغة العربية والمعانى والبيان . (٣)

١٠ ـ سليمان بن ابراهيم بن عمر العكى العدنانى الزبيدى التعزى الحنفى الشهير بنفيس الدين العلوى سنة ٨٢٥ هـ شيخ المحدثين فى بلاد

---

(١) العقد الثمين للفاسى جـ ٣ ص ٤٠٧ .

(٢) العقد الثمين للفاسى جـ ٢ ص ٥٣ ـ ٥٨ ومطلع البدور لابن أبى الرجال ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ١٩٦ .

(٣) طبقات الزيدية خ جـ ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨١ ـ ٣١٦ ـ ٣١٧ .

اليمن وحافظهم ، أجازه البلقيني وابن الملقن ، والمناوى وغيرهم ، وأخذ عنه الناس ، وارتحلوا اليه من الآفاق ، وتتلمذ له مالا يحيط به الحصر ، ومنهم ابن الوزير الذى منحه اجازة فى كتاب (الجمع بين الصحيحين) للحميدى الأندلسى الظاهرى ، وفى الصحيحين ، وسنن أبى داود ، والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وصحيح ابن حبان ، وابن خزيمة ، ومسند الشافعى وسنن البيهقى ، والتهذيب للمزى وغير ذلك من كتب الحديث والرجال ، والاجازة طويلة . (١)

١١ – على بن أحمد بن محمد سلامه المكى الشافعى المعروف بابن سلامه سنة ٨٢٨ هـ سمع بمكة على الفقيه خليل المالكى والقاضى عز الدين بن جماعة ، ورحل الى بغداد ، وسمع بها ، والى الشام ومصر ، وبيت المقدس ، وسمع بها ، وأذن له فى الافتاء والتدريس الامام سراج الدين ابن قاضى شهبه فقيه الشام (٢) .

١٢ – الشريف محمد بن أحمد بن على الشهير بالفاسى المكى سنة ٨٣٢ هـ المالكى مذهبا ، شيخ الحرم المكى فى عصره سمع من ابن صديق والنويرى وغيرهما ، بلغ عدد شيوخه كما ذكرهم الشوكانى وغيره خمسمأة شيخ ، درس وأفتى ، دخل اليمن ودمشق ومصر ، وصنف ، منها (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) و (العقد الثمين) وحدث بالحرمين ودمشق وسمع منه ابن الوزير فى الحديث وعلومه . (٣)

---

(١) راجع نص الاجازة فى أواخر المجلد الثانى من العواصم والقواصم لابن الوزير خ فى ترجمته ورقة ١٩٥ وما بعدها ، وانظر البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٢٦٥ .

(٢) العقد الثمين للفاسى جـ ٦ ص ١٣٩ والضوء اللامع للسخاوى جـ ٥ ص ١٨٣ – ١٨٤

(٣) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ١١٤ ومقدمة ترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان لمحمد بن محمد زباره الحسنى الصنعانى ص ٤ والاعلام للزركلى جـ ٥ ص ٣٣١ ، وطبقات الزيدية خ ٣ ص ٣٤٥ .

١٣ ـ محمد بن حمزة بن مظفر سنة ٨٣٦ هـ من علماء الزيدية ، من مؤلفاته (لآلى التفسير الوافية) خ مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ١١٩ . و (المقاليد) فى التفسير خ فى أربعة اجزاء جمع فيه اللغة والاعراب والبلاغة والاستنباط ، وكان من مؤيدى الامام على بن المؤيد أحد منافسى الامام على بن صلاح الدين . (١)

١٤ ـ على بن عبد الله بن احمد بن ابى الخير اليمنى سنة ٨٣٦ هـ قرأ عليه ابن الوزير فى اصول الدين واصول الفقه ، لانه كان المشار اليه فى صنعاء فى الكلام والاصول ، له تصانيف فى الكلام والتصوف يقال انها بلغت اربعين مصنفا . (٢)

١٥ ـ على بن محمد بن ابى القاسم سنة ٨٣٧ هـ صاحب (تجريد الكشاف) التفسير المشهور ، كان شديد الحرص على المذهب الزيدى أخذ عنه ابن الوزير أصول الفقه والتفسير ، ولما بلغ درجة الاجتهاد ورفض التقليد ، قام عليه شيخه المذكور ، وترسل عليه برسالة تدل على عدم انصافه ومزيد تعصبه كذا وصفها الشوكانى .

وأجاب ابن الوزير عن هذه الرسالة بـ (العواصم والقواصم) الكتاب المشهور الذى قال عنه الشوكانى (لم يؤلف فى الديار اليمنية مثله (٣)) ـ وسيأتى بيان هذا فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

١٦ ـ حسين بن محمد القرشى العلفى ، شيخ الحديث فى عصره بصنعاء ، كان يرحل اليه لطلب الحديث ، وانتفع به طلبة العلم الشريف ، وكان سنده عاليا ، وكان على جانب عظيم من الزهد والعبادة . (٤)

---

(١) انظر مصادر الفكر الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٢١ ـ ٢٢ والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨١ ومقدمة ترجيح إساليب القرآن ص ٣ وطبقات الزيدية لابراهيم بن القاسم الشهارى ص ٣٤٥ .

(٢) انظر مصادر الفكر الاسلامى فى اليمن للحبشى ص ٢٧٨ وترجيح اساليب القرآن لابن الوزير ص ١٠٥ هامش والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨٦ .

(٣) البدر الطالع للشوكانى جـ ١ ص ٤٨٥ جـ ٢ ص ٨١ وطبقات الزيدية لابراهيم ابن القاسم الشهارى جـ ٣ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٧ .

(٤) طبقات صلحاء اليمن للبريهى ص ٢٥ ـ ٢٦ وقال لم اتحقق تاريخ وفاته الا أنه كان موجودا فى اوائل الماة الثامنة .

من ترجم له :

ترجم لابن الوزير كثير من العلماء المعتبرين وسأرتبهم على حسب الحروف الهجائية أذكر منهم من يلي :

١ ـ ابراهيم بن محمد بن القاسم الشهارى (١) من علماء القرن الثانى عشر الهجرى .

٢ ـ ابراهيم بن على الوزير (٢) (معاصر) .

٣ ـ الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى (٣) ت سنة ٨٥٢ هـ .

٤ ـ أحمد حسين شرف الدين (٤) (معاصر) .

٥ ـ أحمد بن صالح بن أبى الرجال (٥) سنة ١٠٩٢ هـ .

٦ ـ أحمد محمود صبحى (٦) (معاصر) .

٧ ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صارم الدين ابراهيم (٧) سنة ٩٨٥ هـ .

٨ ـ اسماعيل باشا البغدادى (٨) .

٩ ـ صديق حسن خان القنوجى (٩) . الهندى سنة ١٣٠٧ هـ ، وما ذكره من ان الحافظ ترجم لابن الوزير ترجمة حافلة ... فوهم لانها خاصة بتراجم أعيان المأة الثامنة وابن الوزير توفى فى المأة التاسعة ولم أجده فى الدرر .

١٠ ـ عبد الله محمد الحبشى (١٠) (معاصر) .

---

(١) أنظر طبقات الزيدية خ صنعاء ج ٣ ص ٣٤٥ وما بعدها للشهارى

(٢) أنظر دراسات عن المجدد الاسلامى ... محمد بن ابراهيم الوزير ص ١ ـ ١٤

(٣) أنظر أنباء الغمر بأبناء العمر ج ٧ ص ٣٧٢ للحافظ بن حجر

(٤) أنظر تاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٥) أنظر مطلع البدور ومجمع البحور خ ج ٣ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ .

(٦) أنظر كتاب الزيدية ص ٣٠٢ وما بعدها

(٧) أنظر تاريخ بنى الوزير خ صنعاء ترجمة محمد بن ابراهيم الوزير ، للهادى الوزير

(٨) أنظر الذيل على كشف الظنون ج ٤ ص ٢ ١٥ وهدية العارفين ج ٦ ص ١٩١

(٩) أنظر التاج المكلل ص ٣٤٠ وأبجد العلوم ج ٣ ص ١٩٠ لصديق حسن خان

(١٠) أنظر حياة الادب اليمنى فى عصر بنى رسول ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ودراسات فى التراث اليمنى ص ٤٥ وما بعدها ط بيروت ، للحبشى

١١ — عبد المتعال الصعيدى (١) .

١٢ — عبد الوهاب البريهى المؤرخ اليمنى (٢) سنة ٩٠٤ هـ .

١٣ — محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٣) سنة ٩٠٢ هـ .

١٤ — محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير (٤) سنة ٨٩٧ هـ .

١٥ — محمد بن على الشوكانى (٥) سنة ١٢٥٠ هـ وما ذكره من أن التقى الفاسى ترجم لابن الوزير فى العقد الثمين فقد بحثت عنه بحثا شديدا ولم اجده فى المجلدين اطلاقا .

١٦ — محمد محى الدين عبد الحميد (٦) .

١٧ — محمد بن محمد زباره الحسنى (٧) .

١٨ — الهادى بن صارم الدين الوزير (٨) سنة ٩٢٣ هـ .

---

(١) أنظر المجددون فى الاسلام ص ٣٤٣ وما بعدها لعبد المتعال الصعيدى دار الحمامى للطباعة .

(٢) أنظر طبقات صلحاء اليمن ص ١٩ وما بعدها للبريهى

(٣) أنظر الضوء اللامع للسخاوى ج ٦ ص ٢٧٢ .

(٤) أنظر ترجمة ابن الوزير خ صنعاء ورقة ٢ وما بعدها وأنظر أواخر المجلد الثانى من العواصم والقواصم لابن الوزير ورقة ١٧٩ .

(٥) أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٨١ وما بعدها .

(٦) أنظر مقدمة توضيح الافكار ص ٦٦ وما بعدها لمحمد محى الدين عبد الحميد

(٧) أنظر مقدمة ترجيح أساليب القرآن لمحمد زباره ص ٢ وما بعدها .

(٨) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير خ صنعاء ورقة ٣٧ وما بعدها .

تلامذتـــه :

بعد ان تبحر ابن الوزير — رحمه اللـه تعالى — وبعد صيته انتصب لنشر العلم ، وتصدر برهة من الزمن للتدريس ، فقد هرع اليه الطلبة من كثير من انحاء اليمن ، واقتبسوا من فوائده ، ونهلوا من مورده ، وازدحموا ، فالمورد العذب كثير الزحام ، ولم يكن بين يدى ، ولا القريب منى من المصادر ما يكفى للالمام بتلامذة ابن الوزير ، ولا لتراجمهم وتواريخهم ، لذلك ساكتفى بالاشارة الى الذين تمكنت من الاطلاع عليهم ، مرتبا اسماءهم على حسب الحروف الهجائية لعدم ضبط تواريخ بعضهم وهم :

١ — أحمد بن عمر الكسيح .

٢ — حسين بن محمد الشظبى .

٣ — صلاح بن الامام المنصور على بن صلاح الدين سنة ٨٤٩ هـ فى المعانى والبيان .

٤ — صلاح بن على بن محمد بن ابى القاسم سنة ٨٤٩ هـ فى المعانى والبيان .

٥ — عبد اللـه بن محمد بن ابراهيم الوزير ، نجل صاحب هذه الدراسة .

٦ — عبد اللـه بن محمد بن المطهر النحوى .

٧ — عبد اللـه بن محمد بن سليمان الحمزى .

٨ — الامام المنصور على بن صلاح الدين سنة ٨٤٠ هـ . (١)

٩ — الامام الناصر صلاح الدين محمد بن على سنة ٧٩٣ . (٢)

---

(١) اضطربت اقوال المترجمين والمؤرخين اليمنيين فى هذا فبعضهم ذكر انه من شيوخ ابن الوزير ومنهم الشوكانى فى البدر الطالع ج ١ ص ٤٨٧ حيث ذكر ان ابن الوزير ذكر انه اخذ عن هذا الامام والراجح عندى — واللـه أعلم — أن ابن الوزير من إقرانه إن لم يكن من شيوخه لانهما ولدا فى سنة واحدة كما سبق بيانه وما قاله ابن الوزير من أنه أخذ عن هذا فيحمل — على فرض صحته — على أنه من باب الدفاع عنه لما طعن فى إمامته لعدم توفر شروطها فيه مع وجود من توفرت فيه وسياتى هذا فى (الإمامة) ان شاء اللـه تعالى .

(٢) فى النفس شىء من تلمذة الامام الناصر لابن الوزير لأن وفاته ~~٧٩٣~~ ٧٩٢ وابن الوزير فى الثالثة والعشرين من عمره اذ مولده سنة ٧٧٥ هـ .

١٠ ـ محمد بن عبد اللـه بن الهادى الوزير سنة ٨٩٧ هـ (١) .

موءلفاتـــه :

صنف ابن الوزير رحمه اللـه ـ المصنفات الحديدة ، البديعـة المفيدة المستوعبة لكثير من فنون العلم ، الدالة على طول نفسه وسعة اطلاعه ، ونفاذ بصيرته ، وشدة معارضته للخصم وقوة حجته أثناء الجدال والمعارضة ، كما تدل ـ فى معترك الانظار ـ على أنه من ارباب الاجتهاد المطلق وسيأتـى شاهد ذلك فى (منهجه العلمى) و (مميزاته الفكرية) وفى ثنايا هـذه الرسالة ، وفي مؤلفاته .

وسأذكر ما اطلعت عليه من ذلك مرتبا على حسب الحروف الهجائية :

١ ـ (الآيات البينات لقوله تعالى " يضل من يشاء ويهدى من يشاء " (٢))

خ فى صنعاء مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم ٥٣ ـ ١١٩ مجاميع .

---

(١) انظر التفاصيل عن هوءلاء الاعلام طبقات الزيدية فى مكتبة الجامع صنعاء رقم ١٢٤ ـ ٢٢٤ تاريخ ، اذ لم أتمكن من نقل جميع المعلومات حـال اطلاعى عليه ، ولم يسمح لى بالتصوير ، فقد توسع فيه وجعله ثلاثـة أجزاء الجزء الاول فى أسماء الذين رووا عن ائمة أهل البيت وهـذه هى الطبقـة الاولى ، والجزء الثانى فيمن بعدهم الى نهاية القـرن الخامس الهجرى ، وهذه هى الطبقـة الثانية ، والجزء الثالث من القرن السادس الى عصره القرن الثانى عشر الهجرى وهذه هى الطبقة الثالثة ورتبه على حروف الهجاء وبعض هوءلاء ذكرهم الشوكانى فـى البدر الطالع فى حروفهم وذكر بعضهم محمد زباره فى ملحق البـدر الطالع وأنظر مقدمة الترجيح له ومقدمة توضيح الافكار لمحى الدين عبد الحميد ص ٧١ .

(٢) هكذا فى الفهارس وفى الاصل ، ولعل الصواب واللـه أعلم : الايات المبينات فهو أوضح من ناحيتى اللغة والمعنى .

٢ — (الإجادة فى الإرادة) قصيدة تزيد على ألف بيت ذكرها ابن الوزير فى عدة مواضع من كتبه ، ولم أطلع عليها كاملة حسب هذا العدد ، وإنما وجدت منها أبياتا متناثرة يذكر منها ابن الوزير مجموعة عند المناسبات . وسيأتى مقتطفات منها فى (الغيبيات) من الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

٣ — (الاجوبة المذهبية عن المسائل المهدية) خ فى مكتبة الجامع الغربية صنعاء رقم ٧٥ — ١٣٧ — ١٥٩ مجاميع .

٤ — (الأمر بالعزلة فى آخر الزمان) خ صنعاء مكتبة الجامع الغربية رقم ٥٨ — ٩١ — ٩٦ مجاميع ، أوله بعد البسملة والحمد له وبعد فهذا مختصر مفيد فى مرجحات العزلة ، فى بعض الاوقات والأزمان ، لبعض أهل .الايمان منتزع من صحيح السنة وآيات القرآن ، وتوجد نسخة أخرى فى المكتبة ذاتها رقم ٨٣ تصوف ، واشتهر هذا الكتاب بعنوان : (أنيس الاكياس فى الاعتزال عن الناس) .

٥ — (ايثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق من اصول التوحيد) ، ألفه سنة ٨٣٧ هـ توجد منه عدة نسخ خ فى مكتبة جامع صنعاء رقم ١٧ — واخرى رقم ١٨ علم الكلام .

وهذا الكتاب كما قال الشوكانى : (غريب الاسلوب مفيد فى بابه) (١)

ووصفه محمد محى الدين عبد الحميد بانه :

(كتاب جليل القدر ، عظيم الفائدة (٢)) .

وقال احد علماء الشام : (لا تحضرنى عبارة تفى بوصف هذا الكتاب ، وانما اقول بوجه الاجمال ، انه كتاب لم ينسج على منواله ، ولم يأت احد من المتكلمين بمثاله ، ولم اقل ذلك رجما بالغيب ، والعيان اكبر شاهد (٣)) .

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩١ .

(٢) مقدمة توضيح الافكار جـ ١ ص ٦٨ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ترجمة مختصرة لابن الوزير ص ٤٦٧ ط بيروت .

وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣١٨ هـ بدار الكتب العلمية بيروت ونشره دار الباز .

وتقدم بتحقيق مقدمته احمد مصطفى حسين صالح لنيل درجة الماجستير بجامعة الامام محمد بن سعود ، ثم طبعتها ونشرتها الدار اليمنية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٥هـ على مافيها من أخطاء هامة يجب التفطن لها . وسياتى بيان منهج ابن الوزير فى هذا الكتاب الجليل ، عند الكلام على (منهجه العلمى) . ان شاء الله تعالى . وهذا الكتاب صنفه فى العزلة فى اواخر حياته .

٦ — (بحث عما ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم ، من الآيات الدالة عليه — عز وجل — وصدق أنبيائه من الخوارق) ذكره صاحب مطلع البدور [١] وغيره .

٧ — البرهان القاطع فى اثبات الصانع ، وجميع ما جاءت به الشرائع) صنفه سنة ٨٠١ هـ هكذا عنوانه كما فى النسخة التى بايدينا المطبوعة بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .

وفى البدر الطالع للشوكانى [٢] : (البرهان القاطع فى معرفة الصانع) ، وهو الصواب ، لان صنفه سماه بهذا العنوان فى كتابه (العواصم والقواصم) و (الترجيح) [٣] الاتى ذكرهما ، وصاحب البيت أدرى بمافيه ستاتى الاشارة الى طريقته فيه فى (منهجه فى البحث العلمى) ان شاء الله تعالى .

٨ — (التأديب الملكوتى) وهو مختصر فيه عجائب وغرائب هكذا فى ترجمة ابن الوزير [٤] ، وقد بحثت عنه ولم أقف عليه وذكره صاحب كتاب الزيدية . [٥]

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبى الرجال خ ترجمة ابن الوزير رقم ٢٦٧

(٢) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩١ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ المقدمة ورقة ٧ جـ ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٨٦ والترجيح ص ١٠٧ .

(٤) العواصم أواخر المجلد الثانى ورقة ١٨٦ .

(٥) أنظر كتاب الزيدية لاحمد صبحى ص ٢٠٧ .

كما ذكره محمد محى الدين فى مقدمة توضيح الأفكار (١) . شرح تنقيح الانظار، وقال صاحب مطلع البدور سنة ١٠٩٢ هـ (قال السيد صلاح الدين ابن أحمد ، لم أجد هذا الكتاب فى الخزانة ، ولا والدى ، وانما وجدت منه وريقات يسيرة من مسودته ، نادت الاسف عليها) (٢) .

كما ذكره أيضا القنوجى الهندى فى (أبجد العلوم) (٣) ووصفه بأنه مختصر فيه العجائب والغرائب، وذكر غيره وقال غالبها عدى .

٩ — (التحفة الصفية شرح الابيات الصوفية) مطلعها :

تقدم وعدكم فمتى الوفاء ٥٥ وطال بعادكم فمتى اللقاء

الابيات للهادى بن ابراهيم الوزير ، والشرح لأخيه صاحب هذه الدراسة خ فى مكتبة الجامع صنعاء رقم ١٩ مجاميع ونسخة أخرى رقم ٣٥ ، وأخرى رقم ٨٣ تصوف فى المكتبة ذاتها ، وقد كان سمى هذا الشرح (النسمات النجدية فى النغمات الوجدية) .

١٠ — (تحرير الكلام فى مسألة الروية ، وذكر مادار بين المعتزلة والأشعرية) خ مكتبة الجامع الغربية رقم ٣٥ — ١١٥ — ١١٧ — ١١٩ مجاميع أولها بعد البسملة ، الحمد لله الذى تنزه عن المحدثات فى ذاته وصفاته ، وتقدس عن الرضا بالمكروهات من أفعال عصاته ...

١١ — (تخصيص آية الجمعة)خ فى مكتبة الجامع الغربية صنعاء رقم ٩٧ — ٢١٤ـ٢١٦ مجاميع .

١٢ — (ترجيح دلائل القرآن على دلائل اليونان) هكذا سماه ابن الوزير كما فى (العواصم والقواصم)

وكل من ترجم لابن الوزير سمّاه بالعنوان الاخير وطبع به ايضا .

(ترجيح أساليب القرآن على اساليب اليونان) وهو كما قال الشوكانى : (فى غاية الإفادة والإجادة على أسلوب مخترع لايقدر على مثله إلا مثله) (٤)

---

(١) جـ ١ — المقدمة ص ٦٩ .

(٢) مطلع البدور خ لابن أبى الرجال جـ ٤ ترجمة ابن الوزير ص ٢٧٥ .

(٣) أبجد العلوم للسيد صديق حسن خان الهندى ص ٦٩١ ط بيروت .

(٤) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩١ .

ووصفه الاستاذ خليل هراس بأنه كتاب لم تر العيون مثله[1] وما أحسن قول ابن الوزير فيه :

كم من فتى منطقى الذهن ما خطرت ... بالبال منه اصطلاحات القوانين
وكم فتى منطقى كافر نجس ... كالكلب بل هو شر منه فى الهون
يرى وساوس أهل الكفر منقبة ... فهما ويسخر من طه ويس[2]

وقد اختصره ناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله بن الملا سنة ١٠٥٢هـ فى ٣٣ ورقة خ فى مكتبة جامع صنعاء .

قال محمد بن عبد الله بن الهادى فى ترجمة ابن الوزير[3] : (وما أحسن قوله فيه :

منطق الاولياء والاديان ... منطق الانبياء والقرآن

الى ان اكمل عشرة أبيات على هذا الوزن والقافية .

وقال ابن أبى الرجال[4] فى الثناء على هذا الكتاب (انه كتاب مفيد وختمه بعشرة أبيات) وذكر منها هذا البيت وبيتين بعده وقد فتشته مرارا ولم أجدها فيه ، بل وجدتها فى (العواصم والقواصم) الآتى ذكره ومختصره (الروض الباسم)[5] ولعلها حذفت من قبل المشرف على الطبع ، أو من النساخ الذين أشربوا فى قلوبهم حب المنطق لأن الابيات المحذوفة ضد المنطق والمناطقة ألا ترى مافى الأبيات الثلاثة من التنديد ؟! .

١٣ — (التفسير النبوى) خ فى المكتبة الغربية بالجامع رقم ١١٩/٩١/٨٥ مجاميع .

وسيأتى بيان منهج ابن الوزير فى التفسير فى (منهجه فى البحث العلمى) ان شاء الله تعالى .

---

(١) انظر الشوكانى مفسرا للدكتور الغمارى ص ٤٧ دار الشروق .
(٢) الترجيح لابن الوزير ص ٤٢ وقد أوجز هذا المعنى ابن تيمية بقوله : (المنطق لايستفيد منه الغبى ولا يحتاج اليه الذكى فى رده على المنطقيين ص ٣ .
(٣) ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله بن الهادى ابن الوزير خ مكتبة الجامع الغربية صنعاء رقم ٥٢ من ورقة ١٤٤/١٢٦ والعواصم جـ ٢ ورقة ١٨٦ .
(٤) مطلع البدور رقم الترجمة ٣٦٧ صورة بحوزتى .
(٥) العواصم والقواصم جـ ٢ ورقة ١٥٦ — الروض الباسم جـ ٢ ص ٢٩٠ .

١٤ — تنقيح الانظار فى علوم الآثار) صنفه ٨١٣ هـ ، وشرحه الأمير الصنعانى سنة ١١٨٢ هـ . ب (توضيح الافكار لمعانى تنقيح الأنظار) فى مجلدين ، وحققه محمد محى الدين عبد الحميد ، وقدم له بمقدمة طويلة مفيدة ، وقال : (ان لهذا الكتاب ثلاث مميزات :

الاولى : ذكره مذاهب الزيدية وأصحابها ، بجانب ذكره لمذاهب غيرهم ، من أهل الملة الاسلامية ، بحيث يظهر بأدنى تأمل من وافقهم الزيدية فى كل مسألة من مسائل هذا العلم ، ومن خالفهم فيها .

الثانية : جمع اصطلاحى علماء أصول الفقه ، وعلماء اصول الحديث ، بحيث لايحتاج المطلع على هذا الكتاب الى الاختلاف الى كتب الفريقين ، ويبين وجوه الاتفاق بين الاصطلاحين ووجوه الافتراق .

الثالثة : راجعة الى نفس المؤلف ، وقدرته العلمية ، وانه بلغ مرتبة الترجيح ان لم نقل كما قال بعض من ترجم له أنه وصل الى مرتبة الاجتهاد المطلق ، وقد مكنته هذه المقدرة العلمية أن يوازن بين الآراء المختلفة ، ويذكر ما يلزم على بعضها من اللوازم الفاسدة ، ويزيف بعض هذه الاراء ويقوى بعضها الاخر . (١)

١٥ — جواب محمد بن ابراهيم الوزير على فقهاء أبيات حسين فى تقدير الدرهم ، والاوقية خ فى مكتبة الجامع الغربية رقم ٤ مجاميع) .

١٦ — جواب من سأل عن اختلاف المعتزلة والأشعرية فى حمد الله تعالى على الايمان وقد بحثت عنه فوجدت الاسم دون المسمى .

١٧ — (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) ألفه سنة ٨٠٥ هـ دفاعا عن إمامة الامام على بن صلاح الدين خ مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٩٦ — ١١٩ مجاميع .

١٨ — (ديوان المرتضى) خ المكتبة ذاتها رقم ١٢٠ — ١٣٠ مجاميع فيه شعر حسن منه فى الدعاء الى السنة وترك البدعة .

---

(١) مقدمة توضيح الافكار لمحمد محى الدين عبد الحميد جـ ١ ص ٧٦ .

والرد على من عجز الرب — سبحانه — عن اللطف بهداية العصاة فمنه قوله :

دين الاله من الضلال حنيف	ومن الفواحش والفسوق نظيف
ما فيه إجبار ولا نصب ولا	رفض ولا حشو ولا تكييف
فمن القواعد أنه عدل حكيم	في القضاء بمن يشاء لطيف
وبحكمة يختص منهم من يشاء	بالفضل عدلا ليس فيه يحيف
أوليس علّمنا نقول له اهدنا	والنور منه والهدى مألوف ؟
أيقول هذا وهو ليس بقادر	يمضيه اذ يدعو به الملهوف ؟
الله أكبر ما بهذا جاءنا	وحي ولا عقل ولا تكليف
ويقلب الله القلوب كما أتى	في الذكر والأخبار فيه ألوف (١)

١٩ — (حصر آيات الاحكام الشرعية) جمع فيه من الآيات القرآنية المتعلقة بالاحكام الشرعية ستا وثلاثين ومأتى آية خ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم ٨٥ — ٩١ — ١١٩ مجاميع • وقد شرحه العلامة الحسين ابن محمد بن القاسم في مؤلف (منتهى الغرام) •

٢٠ — رسالة جليلة في ثلاث مسائل : الفطرة من البر : حمى الاراك : نكاح اليتيمة خ مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٣٢ مجاميع •

٢١ — (رسالة زكاة الفطر) خ المكتبة ذاتها رقم ١٨٤ — ٢٣٧ — ٢٤٤ مجاميع

٢٢ — (رسالة شريفة) جواب سؤال يتعلق بحديث " ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام (٢) " خ في مكتبة الجامع الغربية رقم ١١٩ مجاميع •

٢٣ — رسالة في تقرير حمد الله تعالى على الايمان خ المكتبة ذاتها رقم ٣٥ مجاميع •

٢٤ — رسالة تعقب فيها ابن حجر في علم الأثر خ المكتبة ذاتها رقم ٤٧ مجاميع •

٢٥ — رسالة في إقامة الجمعة بغير إمام خ المكتبة ذاتها رقم ٣ مجاميع وفي الشرقية رقم ٧٥ مجاميع •

---

(١) ديوان المرتضى لابن الوزير ورقة ٢ — ٣ •

(٢) مسلم في كتاب الإيمان باب إن الله لاينام ص ١٦١ — ١٦٢

٢٦ — (الروض الباسم) مختصر (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم) .

طبع سنة ١٣٨٥ هـ فى المطبعة السلفية ومكتبتها ونشره قصى محب الدين الخطيب وعلق عليه بتعليقات خفيفة جمع فيه المؤلف مابين علم الحديث ، والكلام والجدال وهو اسم دل على مسماه — لكنه روض باسم لأصحاب الحديث، صحراء قاحلة بل كالحة فى وجوه الخصوم المعتزلة ، ومن نهج نهجهم من الزيدية .

ولذلك رد على هذا الكتاب بعنوان (العضب الصارم فى الرد على صاحب (الروض الباسم) لمجهول تاريخ تأليفه سنة ١٢١٤ هـ خ فى المكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم ٩٤ حديث .

— (رياض الأبصار فى ذكر الأئمة الاقمار والعلماء الأبرار)

قد وهم بعض الناس فى إدراج هذا الكتاب فى سلسلة مؤلفات ابن الوزير والصواب أنه لأخيه الهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ وقد اشار الى هذا العلامة المقبلى فى العلم الشامخ كما سيأتى فى فصل (الزيدية) ان شاء الله تعالى .

وقد وقفت عليه فى مكتبة جامع صنعاء الغربية خ للهادى الوزير رقم ١٣٥— ١٤٣ — ١٩٧ مجاميع . وهو شرح منظومة تشتمل على أئمة الزيدية ، بدء فيها بأمير المؤمنين على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ، مدح فيها الأئمة حتى عصره ومنهم أئمة المعتزلة ، من ذلك قوله :

وبالعلماء السابقين وإننى	سآتى على أعدادهم ذكر مجمل
بواصل والبصرى، وعمرو وجاحظ	وعلامهم سيف الجدال المصقل (١)
كذاك ابو عثمان وهو الذى غدا	طويلا لما فى كفه من تطول

ومن هؤلاء الذين وهموا فى اسناد (رياض الابصار) لابن الوزير : اسماعيل باشا البغدادى والدكتور احمد محمود صبحى فى كتابه (الزيدية) واحمد مصطفى محقق (مقدمة ايثار الحق على الخلق)

---

(١) المراد به أبو الهذيل العلاف .

لابن الوزير ورزق الحجر فى كتابه (ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى[1]) .

٢٧ــ (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) ألفه سنة ٨٠٨ هـ وهو فى العزلة جمع فيه بين علم الحديث والكلام والجدال ، وهو أربعة أجزاء ضخمة ، وقد وهم من قال ثلاثة أجزاء ، كالزركلى[2] خ يوجد فى مكتبة الجامع الغربية بصنعاء رقم ٧٦ وأخرى فى المكتبة ذاتها رقم ٤٣٥ كلام ، وثالثة فى مكتبة الشيخ الحبيكان بالرياض ، ورابعة فى مكتبة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ميكروفيلم رقم ٣٢ عقيدة مصورة عن مكتبة احمد الثالث بتركيا ، وأخرى مصورة عن مكتبة جامعة استانبول بتركيا ج ١ رقم ٢٤٣ ج ٢ رقم ٢٤٤ ج ٣ رقم ٢٤٥ ج ٤ رقم ٢١٠ ــ الفن الحديث وخامسة فى جامعة محمد بن سعود فاتنى رقمها .

قال محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير من إشهر تلامذة ابن الوزير : (ثم انه رحمه الله تعالى ختم كتابه بهذه الأبيات :

وقال ابن ابى الرجال : (وختمه بأبيات نحو اثنى عشر بيتا)[3]

١ ــ جمعت كتابى راجيا لقبوله	من الله فالمرجو منه قريب
٢ ــ رجوت بنصر المصطفى وحديثه	تكفر لى يوم الحساب ذنوب
٣ ــ ومن يتشفع بالحبيب محمد	الى الله فى أمر فليس يخيب
٤ ــ فياحافظى علم الحديث لى اشفعوا	الى الله فالرب الكريم يجيب
٥ ــ لعل كتابى أن يكون مذكرا	لكم بالدعا للعبد حين يغيب

---

(١) أنظر هدية العارفين فى اسماء المؤلفين للبغدادى ج ٦ ص ١٩١ وكتاب الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٢٠٧ ومقدمة ايثار الحق على الخلق تحقيق أحمد مصطفى ــ رسالة ماجستير ــ ص ١٩ ــ الدار اليمنية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٥هـ وابن الوزير اليمنى ص ١٠٨

(٢) الاعلام للزركلى ج ٥ ص ٣٠٠ ووهم ايضا فى قوله : طبعت منه قطعة والصحيح أنه تحت الطبع منذ أربع سنين تقريبا .

(٣) ترجمة ابن الوزير خ بمكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٥٢ والعواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ص ١٨٤ ومطلع البدور لابن ابى الرجال ترجمة ابن الوزير ج ٤ ص ٢٧٥ .

٦ — ولا سيما بعد الممات عسى به   يبل غليلي أو يكفر حـــوب
٧ — ولا تغفلونى إن بليت فودكم   وإن بليت منى العظام قشيب
٨ — ومهما رأيتم من كتابى قصوره   فستراه غرا فالقصور معيب
٩ — ولكن عذرى واضح وهو أننى   من الخلق أخطئ تارة وأصيب
١٠ — وقد ينثنى الصمصام وهو مجرب   وينكسر المران وهو صليب
١١ — ولكننى أرجوه ان حل داركم   جلا منه ورد بالأجاج مشوب
١٢ — يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى   اليكم تلقى طيبكم فيطيب

ولم أجد هذه الابيات فى آخر الجزء الرابع من العواصم والقواصم من النسخة الموجودة بين يدى المصورة عن نسخة جامعة أم القرى ، وإنما هى فى الجزء الثانى وهذا الكتاب الجليل هو نتيجة الاعتراضات ، والمراسلات ، والمناظرات بين ابن الوزير وخصمه السيد العلامة على بن محمد بن أبى القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخ ابن الوزير وسيأتى نماذج من هذه الاعتراضات فى المعارك الكلامية ان شاء الله تعالى وقد اشتمل على فوائد من العلوم قد لا توجد فى غيره من الكتب ، وصفه ابن أبى الرجال بقوله : (يشتمل على مالم يشتمل عليه كتاب ولا يحتاج الناظر فيه الى غيره) (١)
كما وصفه الأمير الصنعانى بقوله : (وقد ساق فى العواصم من الآيات والأحاديث مافيه مقنع للناظر ، وسكوت القلب ... للمناظر ... ووشحه بفوائد وفرائد ، لا توجد الا فيه ، ولم تخرج إلا من فيه (٢)) .
وقد اشتهر ابن الوزير عند كثير من المترجمين له بصاحب (العواصم والقواصم) ومنهم السيد صديق حسن خان القنوجى (*) الهندى سنة ١٣٠٧ هـ وهذا الكتاب جدير بأن ينعته الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ بقوله : (يشتمل على فوائد فى أنواع من العلوم ، لا توجد فى غيره من الكتب ، ولو خرج هذا الكتاب الى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن واهله ، ولكن

(*) أنظر التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ص ٣٤٠ وأبجد العلوم ص ١٩٠ ط بيروت .
(١) مطلع البدور ومجمع البحور لاحمد بن ابى الرجال جـ ٤ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ وهى فى حوزتى .
(٢) توضيح الافكار للصنعانى تحقيق محمد محى الدين جـ ٢ ص ٢١٣ .

أبى ذلك لهم ما جبلوا عليه من غمط محاسن بعضهم لبعض، ودفن مناقب افاضلهم) (١) وكفى بهذه الشهادات الخالدة من هؤلاء الاعلام شرفا خالدا لهذا الكتاب العظيم ، بل الكتاب ذاته خير شاهد على ذلك.

٢٨ — (فتح الخالق فى مادح رب الخلائق) خ وقد شرحه الأمير الصنعانى شرحا بعنوان (مجمع الحقائق والرقائق) والجميع فى مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٦٩ تصوف وطبع منه مختارات بعنوان المدائح البهيـة تحقيق المؤيد والجرافى .طبع بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ .

— (فوائد فى ذكر آيات الهداية والاضلال فى القرآن) خ بمكتبة الجامع الغربية وهى أربع ورق وصفحة اطلعت عليها وفاتنى رقمها .

٢٩ — الفلك الدوار المحيط باطراف دلائل المحتار خ فى مكتبة الجامع ذاتها رقم ٤٩ مصادرة مجاميع من ص ٦ — ٨٦ .

وقد التبس الأمر على بعض المترجمين لابن الوزير ، والمفهرسين أيضا وأدرجه فى سلسلة مؤلفاته . والصواب أنه لصارم الدين ابراهيم بن محمد ابن عبد الله بن الهادى الوزير سنة ٩١٤ هـ ، وقد صورته من بعض المكتبات الخاصة بمدينة حجة وسلمته الى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى .

٣٠ — (قبول البشرى بالتيسير لليسرى) فى الرخص طبع فى مصر سنة ١٣٤٩هـ وخ فى صنعاء المكتبة الغربية رقم ٩٦ — ١١٤ — ١١٩ .

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩١ وصدق الشوكانى لان هذه الخصيصة مستمرة الى يوم الناس هذا ، فلقد عانيت منهم ما عانيت فى سبيل الحصول على تصوير بعض المخطوطات المتعلقة بصميم بحثى لما انشأت سفرا قاصدا من مكة المكرمة للغرض ذاته وأحسن ما لقيته تأجيل الطلب الى عام قابل لاعذار باردة وعند وفاء الاجل لم أجد لهم عذرا غير ما وصفه الشوكانى فلقد كان ظنى بهم خيرا ، وعندها أدركت أنها مواعيد عرقوب وطبيعى ان ارجع بخفى حنين لما سبق ولأننى وهابى ولكن هذه المخطوطات صورها موجودة فى بعض الجامعات صورت زمن العثمانيين وبعد الثورة اليمنية بقليل أثناء الضغط السياسى يومها ولكن يأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الناقمون فالعواصم تحت الطبع .

٣١ ـ (القواعد) في أصول الفقه خ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم ٦٢ ـ ٩٦ ـ ١٠٠ مجاميع • وتوجد منه نسخة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية •

٣٢ ـ (كتاب العزلة) خ مكتبة الجامع رقم ٢٨ مجاميع أوله بعد البسملة وبعد فان طرق الخير مازالت تزداد وعورة ، وهو غير الكتاب الآنف الذكر بعنوان (الامر بالعزلة في آخر الزمان) فهما مختلفتان كما ترى فالاول لفظه غير لفظ هذا الا ان المضمون متقارب ، وهو مبررات العزلة •

٣٣ ـ كتاب في الرد على صاحب النهاية والمحصول ذكره ابن الوزير في كتابه (ايثار الحق على الخلق) • كما ذكره تلميذه محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير في ترجمته في أواخر المجلد الثاني في العواصم والقواصم ورقة ١٧٩ • وبحثت عنه فلم أجده والمراد بصاحب النهاية والمحصول الرازي سنة ٦٠٦ هـ أحد أئمة الاشعرية ، وقد وهم محقق (مقدمة ايثار الحق على الخلق) [1] بقوله : (وقد رد رحمه الله يعني ابن الوزير على المعتزلة في مسائل كثيرة منها رده على صاحب المحصول في (انكار التحسين والتقبيح العقلي) والمعتزلة لا تنكر التحسين والتقبيح العقليين •

٣٤ ـ (كتاب المبتدا) أشار اليه ابن الوزير بل صرح باسمه هذا في العواصم والقواصم ج ١ ورقة ١٦٢ • وبحثت عنه فلم اقف عليه •

٣٥ ـ (اللآلئ المتسقات في نظم الورقات) خ بمكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٢ ـ ٢٤٧ ـ ٢٥٢ تصريف •

٣٦ ـ (مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق) خ بالمكتبة الغربية بالجامع رقم ١١ ـ ٨٥ ـ ٩١ مجاميع •

٣٧ ـ (مختصر في علم الحديث) خ بالمكتبة ذاتها رقم ٧٣ ـ ١١٩ •

٣٨ ـ (مختصر في علم المعاني والبيان) بحثت عنه ولم أقف عليه الا في بعض الفهارس •

---

(١) المقدمة ذاتها ص٤٣ تحقيق احمد مصطفى حسين •

٣٩ ـ مسائل شافيات وبالمطالب وافيات ، فيما يتعلق بآيات كريمات قرآنية تدل على الله المعبود وصدق انبيائه أولها بعد البسملة : هذا تنبيه مفيد على ما ذكره الله فى القرآن الكريم من الآيات الدالة عليه ،عز وجل ـ وعلى صدق إنبيائه خ مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ٩٢ ـ ١١٩ مجاميع .

٤٠ ـ (نصر الاعيان على شر العميان) وهو رد على أبى العلاء المعرى كما قال صاحب مطلع البدور فى ترجمة ابن الوزير ، فى تعداد مصنفاته : (ومنها كتاب نصر الأعيان على شر العميان) ردا على أبى العلاء المعرى قال فيه ما لفظه : قد ولع أهل الجهل والغرة بانشاء الابيات المنسوبة الى ضرير المعرة ... وانما سلك قائلها مسلك سفهاء الفاسقين والزنادقة المارقين) ومطلع الرد :

من شأن من لم يدر بالاسلام والخوض فى متشابه الاحكام (١)

وذكره محقق (مقدمة ايثار الحق على الخلق) لابن الوزير ، وأنه حول ابياته المتعلقة بتقليد أصحاب المذاهب . (٢)

وقد بحثت عنه ولم اقف عليه .

٤١ ـ ذكر ابن الوزير فى كتابه العواصم والقواصم ج ٣ ص ١٢١ بانه أفرد الحنيفية السمحة والنهى عن الرهبانية بموءلف خاص ، وبحثت عنه ولم أجده .

٤٢ ـ وذكر أيضا فى كتابه (ايثار الحق على الخلق) ص ٩ ٩ أنه أفرد الحكمة فى العذاب الاخروى فى جزء لطيف نقله من كلام ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ وابن القيم سنة ٧٥١هـ وزاد عليه ، وقد بحثت عنه ولم اقف عليه ولا فى الفهارس . ولعل الجزء اللطيف هو (الاجاده) السابق ذكرها ،

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لابن ابى الرجال ج ٤ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ ولعل الصواب : ماشان من لم يدر بالاسلام ؟

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ـ المقدمة ١٨ تحقيق احمد مصطفى حسين .

الآتى مقتطفات منهـا فى (الغيبيات) فى الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء اللـه تعالى ، لأن ابن الوزير كثيرا ما يدندن (١) حول دوام العذاب وعدمه فى حق الأشقياء . وسيأتى هذا مفصلا فى (الغيبيات) ان شاء اللـه تعالى .

ثناء العلماء عليه ومكانته العلمية :

إن ابن الوزير — رحمه اللـه — مع ما ستراه له من المكانة العلمية — غير مشهور عند كثير من الناس حتى عند اليمنيين أنفسهم ، ما عدى خـواص علماء الزيدية ، ومنهم الذين ترجموا لابن الوزير .

وبما أن ثنائى على ابن الوزير ، قد يعرضنى للتهمة بالتعصب (٢) له ، فسأترك المجال فى هذا لغيرى — ما عدى مواضع اللزوم — بأن أحكى كـلام العلمـاء المعتبرين ، من المتقدمين والمتأخرين ، كالحافظ بن حجر العسقلانى وتلميذه السخاوى والمؤرخ البريهى وابن أبى الرجال ، والأمير الصنعـانى ، والامام الشوكانى ، وغيرهم من شيوخ ابن الوزير ، وتلاميذه مرتبا اياهم علـى حسب الوفيـات .

١ — ونبدأ بشيخ ابن الوزير فى الحديث قاضى قضاة الشافعية فى عصره محدث الحرم المكى الشريف وعالم الحجاز الشيخ محمد بن عبد اللـه ابن ظهيرة سنة ٨١٧ هـ لما راى من ابن الوزير — كما قال الهـادى الوزير الصغير — : (مالم تره عينه ولا سمعته اذنه عن أحد من اهل زمانه ، مع انه فى مكان يجتمع فيه الناس من طوائف المسلمين ، وأهـل المذاهب أجمعين . قال لابن الوزير — وفى تعبير الشوكانى : (قال للسيد : ما احسن يا مولانا لو انتسبت الى الامام الشافعى ، أو أبى حنيفة

---

(١) دندن الرجل إذا اختلف فى مكان واحد مجيئا وذهابا اهـ نهاية ابن الأثير جـ٢ ص ١٢٧

(٢) قد يقال ان هذا الكلام فتح لباب التهمة وهو من باب قول أخوة يوسف لأبيهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) اية ١٧ من سورة يوسف وليس الامر كذلك ، وانما هو من باب قول بعضهم : من نقل فقد برئ من العهـدة .

وفى تعبير الهادى الوزير : لو أنك تمت كمالك بتقليد الامام محمد ابن ادريس الشافعى .

فغضب وقال : لو احتجت الى هذا النسب والتقليدات ما اخترت غير الامام القاسم بن ابراهيم سنة ٢٤٤ هـ أو حفيده (*) الهادى سنة ٢٩٨ هـ.

قلت : وهذا يدل على مكانة ابن الوزير العلمية وبلوغه درجة الاجتهاد ورفض التقليد، تصريحا أمام شيخ المحدثين فى الحرم المكى الشريف ، وفى ملأ من الناس ، لان التمذهب اذ ذاك بلغ درجته القصوى اذ كان لكل مقام من المقامات الأربعة إمام خاص ، وقد كوتب ابن الوزير فى ذلك من عدة نواحى ، وكان الجواب واحدا مسكتا ، كما صرح بذلك ابن أبى الرجال وذكر القصة السابقة (١) .

٢ — ولما سئل عنه اخوه الهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ أحد شيوخه فى علم الادب وعن مدى مكانته العلمية ، ومما قاله السائل : يا مولانا السيد محمد عالم اليمن ، فقال : وعالم الشام (٢) .

ومما قاله أخوه العلامة المذكور بمناسبة شفاء ابن الوزير من مرض شديد ألمّ به ـ أبياتا نقتطف منها مايلى :

بشرى بها فيه العلوم كلامها	وحديثها وحلالها وحرامها
وأصولها وفروعها وبيانها	وبديعها وغريبها ونظامها
بمحمد شفيت وزال سقامها	وبه شفاء الداء من أسقامها (٣)

٣ — وهذا نفيس الدين العلوى سنة ٨٢٥ هـ من علماء (تعز) أحد شيوخ ابن الوزير فى الحديث وعلومه قال فى مقدمة اجازته لابن الوزير فى

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لاحمد بن صالح بن أبى الرجال خ صنعاء ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ .

(*) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير سنة ٩٢٣ هـ خ ورقة ٣٧ ، والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩٠ .

(٢) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير ورقة ٣٥ .

(٣) العواصم والقواصم جـ ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٩١ وترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله بن الهادى خ مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٥٢ — ٦٩ مجاميع .

مسموعاته وما يجوز له روايته :

(هو الامام حقا ، والمجتهد صدقا ، الفائق على اقرانه من الاغصان النبوية والافنان المصطفوية ... والموفق فى اجتهاده ، جمال العترة النبوية محمد بن ابراهيم بن على المرتضى ... (١)) .

٤ ـ ولما سئل عنه شيخه السيد العلامة على بن محمد بن أبى القاسم سنة ٨٣٧ هـ أحد شيوخ ابن الوزير فى التفسير وأصول الفقه أجاب قائلا : (هو أزكى الناس قلبا ، وأذكاهم لبا ، كان فوءاده جذوة نار تتوقد ذكاء ، وغيره أكبر منه سناء، ومثله وأصغر ، من علماء زمانه لم يبلغوا هذا المحل) (٢) .

ولما سمع مختصر المنتهى لابن الحاجب على شيخه المذكور أدهشه كما قال محمد بن عبد الله الوزير أحد تلامذة ابن الوزير : (ما رآه من صفاء ذهنه ، وحسن نظره ، وألمعيته وبلاغته ... فكان يطنب فى الثناء عليه ، ويرشد طلبة العلم اليه (٣)) .

قلت : ولكنه لما تبحر ابن الوزير فى العلوم ، وبلغ درجة الاجتهاد ، ثار عليه شيخه هذا ، فكان من ألد خصومه ، وترسل عليه برسالة سيأتى الحديث عنها فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

٥ ـ وقد أثنى على ابن الوزير الحافظ بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ فى أنبائه أثناء ترجمة أخيه الهادى الوزير بقوله : (وله أخ يقال له محمد ابن ابراهيم ، مقبل على الاشتغال بالحديث ، شديد الميل الى السنة بخلاف أهل بيته (٤)) .

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله الوزير ورقة ١٩٥ وخ صنعاء السابق ذكرها .
(٢) مطلع البدور ومجمع البحور خ لابن ابى الرجال ترجمة ابن الوزير ورقمها ٣٦٧ .
(٣) العواصم والقواصم جـ ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٨٧ ـ وتاريخ بنى الوزير خ ترجمة ابن الوزير .
(٤) انباء الغمر بابناء العمر لابن حجر جـ ٧ ص ٣٧٢ .

وقد التمس الشوكانى العذر للحافظ عن توفية المقام حقه بقوله : (لأن صاحب الترجمة — أى ابن الوزير — كان اذ ذاك صغيرا ... ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحر فى العلوم لأطال عنان قلمه فى الثناء عليه ، فانه يثنى على من هو دونه بمراحل ، ولعلها لم تبلغ أخباره اليه .[1]) .

قلت : كيف لم تبلغ أخبار ابن الوزير الى الحافظ ، وقد تتلمذا فى الحديث على الشيخ المحدث محمد بن عبد الله بن ظهيرة — السابق ذكره — فى رحاب المسجد الحرام ، صرح بذلك الشوكانى نفسه فى ترجمته للشيخ ابن ظهيرة هذا ، وهذا نص كلامه :

(ومن جملة من أخذ عنه العلم — أى عن ابن ظهيرة — الحافظ بن حجر ، والعلامة محمد بن ابراهيم الوزير[2]) .

وكيف يكون ابن الوزير اذ ذاك صغيرا ، وقد أجازه ابن ظهيرة هذا فى سنة ٨٠٧ هـ فى موسم الحج ، وعمره اذ ذاك اثنان وثلاثون عاما لأنه ولد كما سبق سنة ٧٧٥ هـ الا أنه من المحتمل أنهما تتلمذا على الشيخ ابن ظهيرة ولم يلتقيا والله أعلم .

٦ — وقد مدح ابن الوزير جماعة من الشعراء منهم الاديب البليغ أحمد بن قاسم ابن على الشهير بالشامى من أدباء القرن التاسع وكان بحرا زاخرا بعلوم الزيدية والتاريخ فقال فيه شعرا نختار منه مايلى :

ألم بمحمود السجايا محمد	يعنك وان صالت عليك المهالك
فتقتبس الانوار من نور علمه	وتلتمس الازهار وهى ضواحك
هو البحر علما بل هو ابن رطلعة	هو القطر جودا وهو للمجد مالك
كفاه كتاب الله والسنة التى	أتانا بها من صدقته الملائك

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨٣ .
(٢) البدر الطالع جـ ٢ ص ١٩٢ .

ولم يتبع نعمانهم وابن حنبل ... ولا مايقول الشافعى ومالك
فأعلام أهل البيت ردعلومهم ... ومازال يحكى ضعفها وهو ضاحك
وماذاك انكار لمشهور فضلهم ... ولكنه فى منهج الحق سالك (١)

٧ — وممن أثنى على ابن الوزير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى القاهرى الشافعى سنة ٩٠٢ هـ بقوله : (... وتعانى النظم فبرع فيه وصنف فى الرد على الزيدية (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) واختصره فى (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) وغيره ، ذكره التقى بن فهد فى معجمه ، وأنشد عنه قوله : أى قول ابن الوزير :

العلم ميراث النبى كذا أتى ... فى النص والعلماء هم وراثه
......
ماورث المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه
فلنا الحديث وراثة نبوية ... ولكل محدث بدعة احداثه

وكان لقيه له بمنزله فى صنعاء سنة عشر (٢) ...) أى من القرن التاسع وعمره اذ ذاك خمس وثلاثون سنة .

ويعلق الشوكانى على هذا بأنه (انما اقتصر على رواية هذا الشعر ، مع أن فى شعر صاحب الترجمة — أى ابن الوزير — ماهو أرفع منه بدرجات لأن لقاءه له كان فى سنة ٨١٦ هـ ، وقد نظم بعد ذلك نظما كثيرا جدا ، وارتفعت طبقته فى العلم . (٣)) .

قلت : وهنا تفاوت كبير ، بين ما ذكره السخاوى والشوكانى ، من لقى ابن فهد لابن الوزير وهو ستة أعوام . وفى لقى ابن فهد لابن الوزير دلالة على مكانته العلمية اذ قصده ابن فهد ورحل اليه .

---

(١) طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهى عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهى اليمنى ص ٢٠ — ٢١ ومطلع البدور لابن أبى الرجال خ صنعاء ، جـ ٤ ترجمة ابن الوزير .
(٢) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوى جـ ٦ ص ٢٧٢ ط بيروت .
(٣) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨٢ .

كما يعلق الشوكانى أيضا على ترجمة السخاوى الضئيلة لابن الوزير كما فعل شيخه الحافظ فى عدم اعطائه حقه فيقول :

(وكذلك السخاوى لو وقف على (العواصم والقواصم) لراى فيه ما يملأ عينيه وقلبه ، ولطال عنان قلمه فى ترجمته ولكن لعله بلغه الاسم دون المسمى ، ولا ريب أن علماء الطوائف ، لايكثرون العناية بأهل هذه الديار ، لاعتقادهم فى الزيدية مالا مقتضى له ، الا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال [١] ...) .

٨ — كما أثنى على ابن الوزير الفقيه البارع يحى بن رويك الطويلى الزيدى بقصيدة شعرية نختار منها مايلى :

....

ولا سيما عز دين الهدى	وقطب رحا الشرف الهادوى
محمد المرتدى بالكمال	وسالك كل صراط سوى
وانسان عين بنى المرتضى	ودرة عقدهم اللوء لوءى
ورافع أعلام علم الحديث	وناصب عرش الهدى المنهوى
وناشر سنة خير الأنام	وقد كان منشورها منطوى
تجرد فى بعث مقبورها	وانقاذ ماكان منها تُوى [٢]
فلله درك من سيد	على كل مكرمة يحتوى [٣]

٩ — وهذا السيد محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير سنة ٨٩٧ هـ من أشهر تلامذة ابن الوزير ينعت شيخه المذكور بقوله : (هو شيخنا وامامنا ... السيد الامام المحدث الاصولى ، النحوى ، المفسر ، المتكلم ، الفقيه ، البليغ الرحلة [٤] ، الحجة السنى ، الصوفى ،

---

(١) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) من التوى وزان الحصى ، وقد يمد ، وهو الهلاك أ هـ ، المصباح المنير للفيومى ج ١ ص ٨٧ ط الحلبى .

(٣) العواصم والقواصم ج ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٩١ — ١٩٢ ولم اقف على تاريخ وفاته ، ويبدو أنه من معاصرى ابن الوزير .

(٤) الرحلة بضم الراء واسكان الحاء ومنه فلان عالم رحلة اى يرتحل اليه من الافاق أ هـ أساس البلاغة للزمخشرى ص ٣٢٩ .

فريد العصر ، ونادرة الدهر ، وخاتمة النقاد ، وحامل لواء الاسناد ، وبقية أهل الاجتهاد ، بلا خلاف ولا عناد ، كشاف أصداف الفرائد ، قطاف أزهار الفوائد ، فاتح اقفال الطرائف ، مصيب شواكل المشكلات بنوافذ أنظاره (١) ... .

قلت : وفى بعض عبارات هذا النعت مبالغة كقوله : بقية أهل الاجتهاد فقد جاء بعده علماء مجتهدون كالمقبلى والصنعانى والجلال والشوكانى وغيرهم من علماء الأقطار .

ثم ان الوصف بالصوفى ، لا يتلائم مع الوصف بالسنى الا أن يراد بالتصوف الزهد والعزلة عن الناس فى بعض الاوقات . وسيأتى الكلام على ذلك فى (مرحلة العزلة) كما ستأتى الاشارة الى ذلك فى طرق اثبات وجود الله تعالى ، ومنها طريقة الصوفية .

وابن الوزير من المحاربين للبدع وأهلها فكيف يحاربها ، وهو متلبس بها ؟ وسيأتى هذا فى (موقفه من الابتداع) ان شاء الله تعالى .

١٠ــ وهذا ما وصفه به المؤرخ البريهى سنة ٩٠٤ هـ احد علماء الحنابلة (٢) فى اليمن اذ يقول : (كان إماما يرجع اليه فى المعضلات ويقصد لايضاح المشكلات اجمعت العامة من أهل بلده على جلالته ، واحترامه ، وتفضيله واكرامه ، ولزومه طريق السنة ، ورفضه لاهل البدعة ... وكان داعية الى السنة ، وأكثر تاليفه فى ذلك ككتاب (العواصم) فى اربعة مجلدات ، يشتمل على تحقيق مذهب السلف ، واهل السنة ، والرد على المبتدعة فى الذب عن إئمة الفقهاء الأربعة ... وله شعر رائق ..) (٣)

١١ ــ وقال العلامة الهادى الوزير الصغير بن صارم الدين ابراهيم بن محمد ابن عبد الله بن الهادى الوزير الكبير سنة ٩٢٣ هـ يصف صاحبنا

---

(١) العواصم والقواصم جـ ٢ ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد الله الوزير أول الترجمة و خ صنعاء .

(٢) راجع تحقيق هذا فى (النزاعات بين الطوائف) فى الحالة الثقافية فى عصر ابن الوزير ص

(٣) طبقات صلحاء اليمن للبريهى ص ١٥ ــ ٢٠ .

ابن الوزير بقوله : (... وله فى علوم الاجتهاد المحل الأعلى ، والقدح المعلى ، بلغ مبلغ الأوائل ، وصنف وألف ، وجمع وقيد ، وبنا وشيد ، وكان اجتهاده اجتهادا مطلقا ، لا كاجتهاد بعض المتأخرين فان ذلك يسمى ترجيحا (١)) .

١٢ — أما المؤرخ والمترجم الكبير العلامة أحمد بن صالح بن أبى الرجال سنة ١٠٩٢ هـ فانه اثنى على ابن الوزير بما هو آت :

(هو السيد الحافظ خاتمة المحققين محمد بن ابراهيم ... الشهير بابن الوزير ، المحيط بالعلوم من خلفها وامامها والحرى بأن يدعى بإمامها وابن إمامها كان سباق غايات وصاحب آيات وغايات بلغ من العلوم الأقاصى واقتادها بالنواصى ... ترجم له الطوائف ، وأقر له المؤالف والمخالف . (٢)) وذكر ثناء لغيره على ابن الوزير حاصله : ان هذه الدرجة التى بلغها ابن الوزير لم يبلغها أقرانه لتمكنه من معرفة الحديث وعلومه وتبحره فى السمعيات . (٣)

١٣ — أما الأمير الصنعانى سنة ١١٨٢ هـ فقد اكتفى بهذه العبارة الموجزة المملوءة بالمعانى وهى قوله : (الامام الحافظ العلامة النظار محمد ابن ابراهيم الوزير) وقال فى الثناء على (العواصم والقواصم) لابن الوزير : (وقد ساق فى العواصم من الآيات والاحاديث ما فيه مقنع للناظر ، وسكون القلب للناظر ... ووشحه بفوائد وفرائد لا توجد الا فيه ولم تخرج الا من فيه (٤)) .

---

(١) تاريخ بنى الوزير للهادى الوزير الصغير خ مكتبة صنعاء ورقة ٣٥ .
(٢) مطلع البدور لابن ابى الرجال خ بالمكتبة الشرقية بجامع صنعاء رقم ١١٢ .
(٣) انظر مطلع البدور لابن ابى الرجال خ ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ .
(٤) توضيح الافكار للصنعانى جـ ١ ص ١٠ جـ ٢ ص ٢١٣ .

١٤ ـ وقال الشهاري الزيدي : من علماء القرن الثاني عشر : (... وكان ابن الوزير متبحرا في علم الرواية ، ومعرفة الرجال ، وأحوالهم في النقد والاعتدال ، وغير ذلك ، وكان أذكى الناس ... كأن فؤاده جذوة نار تتوقد ، وهو الخبير ... الماهر في كل مقصد (١)) .

١٥ ـ وأما الامام محمد بن علي الشوكاني سنة ١٢٥٠ هـ فقد أطال عنان قلمه في الاشادة بمكانة ابن الوزير العلمية ووصفه بالامام الكبير المجتهد المطلق ، وأنه تبحر في جميع العلوم ، وفاق الاقران ، وانه اذا تكلم في مسالة لايحتاج الناظر بعده الى النظر في غيره من أي علم كانت ، ويسموا به الثناء على ابن الوزير حتى وصل به الى مستوى ابن حزم ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، بل فوق ذلك في بعض المباحث اذ يقول : (وكلامه لايشبه كلام أهل عصره ، ولا كلام من بعده ، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية ، وقد ياتي في كثير من المباحث بفوائد لم يات بها غيره كائنا من كان . (٢)) .

أتظن هذه الشهادة من قاضي قضاة القطر اليمني ، المطابقة لشهادة الأمير الصنعاني مجازفه ؟ !! وهل يليق هذا بمكانتهما العلمية ؟ ! ، اذا حاك شيء من ذلك في نفسك فارجع الى مؤلفات ابن الوزير لاسيما (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ومختصره (الروض الباسم) تجد ما يملاعينيك ، ويثلج صدرك ، ان كنت من اهل الانصاف فليس الخبر كالعيان فلقد أوقع بخصومه المعتزلة ما اوقعهم به الامام أبو الحسن الاشعري سنة ٣٣٠ هـ لما نكس اعلامهم وادخلهم في اقماع السمسم ، وفضحهم وأبدى عوارهم كما فضح الباطنية ابو حامد الغزالي سنة ٥٠٥ هـ ومحمد بن مالك الحمادي اليماني من علماء القرن الخامس الهجري كما سياتي بيان هذا في الكلام على المعتزلة والاشعرية

---

(١) طبقات الزيدية خ صنعاء للشهاري جـ ٣ ص ٣٤٧ .
(٢) البدر الطالع للشوكاني جـ ٢ ص ٩١ .

والباطنية والمعارك الكلامية .

ويصف الشوكانى : موقف ابن الوزير الشجاع من المحنة التى امتحن بها من أهل عصره وما صنعوه من القلاقل ، والثوراة التى كانوا يثورون عليه مرة بعد مرة ويهجونه بالقصائد الشعرية ، يصفه بما يدل على أنه كان قوى الجأش ، صادق العزيمة ، رفيع المكانة العلمية فيقول : (... وكان يجاويهم ، ويصاولهم ، ويجادلهم ، فيقهرهم بالحجة ولم يكن فى زمنه من يقوم له ، لكونه من طبقة ليس فيها أحد من شيوخه فضلا عن معارضيه) ولم يكتف الشوكانى بهذا الوصف بل يترقى الى القمة فيقول : (والذى يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعا فى ذات واحدة ، لم يبلغ علمهم الى مقدار علمه ، وناهيك بهذا) (١) .

١٦ — وممن أثنى على ابن الوزير من علماء الهند السيد صديق حسن خان القنوجى سنة ١٣٠٧ هـ بقوله : (كان فريد العصر ، ونادرة الدهر ، خاتمة النقاد ، وحامل لواء الاسناد ، وبقية أهل الاجتهاد ، بلا خلاف ولا عناد ، رأسا فى المعقول والمنقول إماما فى الفروع والأصول (٢)) .

١٧ — كما أثنى على ابن الوزير جماعة من المتأخرين والمعاصرين ، منهم الصعيدى فى كتابه (المجددون فى الاسلام) ولكنه ثناء متناقض حيث قال : (تبحر — أى ابن الوزير — فى جميع العلوم ، وفاق الاقران ، واشتهر صيته بين علماء عصره ، وكان شديد الميل لأهل السنة ، على خلاف أهل مذهبه من الزيدية ، لانه كان لا يتقيد بالتقليد ، بل يؤثر الكتاب والسنة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب — الى أن قال : — ومضى ابن الوزير ينظر فى الاصول والفروع نظر مجتهد غير مقلد ، فكان يزاحم الأئمة الأربعة ، ومن بعدهم فى اجتهادهم ، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة فى مقالاتهم ، وكان أهل مذهبه يثورون عليه ثورة بعد ثورة ، فلا يؤثر هذا فى مسلكه بالتمسك بالكتاب

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩٢

(٢) أبجد العلوم للقنوجى جـ ٣ ص ١٩٠ .

والسنة ، ولو خالف مذهبهم — الى أن قال :— وابن الوزير يعد بهذا من مدرسة ابن حزم وابن تيمية ، فلم يكن راضيا عن الخوض فى علم الكلام ، بل كان الاولى عنده ترك الخوض فيما لا تمس الحاجة اليه .
— الا أنه خلط فى كلامه بقوله : لم يتخلص تخلصا كاملا من مذهبهم ، فكان شأنه فى هذا ، كشأن ابن حزم وغلبة مذهب الظاهرية عليه ، وشأن ابن تيمية ، وغلبة مذهب الحنابلة عليه ، بل تناقض فى كلامه بقوله : وكل موءلفات ابن الوزير تدور فى هذه الدائرة ، وتنحو فى الاجتهاد نحوا ظاهره التجديد ، وباطنه الجمود ، وعلل بهذا التعليل العكسى إذ يقول : (اذ كان يدفعه الى معاداة من لا يتمسك بالنصوص على ظواهرها وإلى النفرة ممن يستعين فى فهمها بأساليب غير الاساليب التى اتبعها سلف الأمة — الى أن قال :— وهذه نزعة جمود تخفى فيه أيضا تحت ما كان يتظاهر به من كراهة الجمود والتقليد ، وظهرت نزعة الجمود فيه نحو غير العلوم الدينية من علم الفلك والطب والهندسة والحساب والجبر... وقد تأثر ابن الوزير فى هذا بابن تيمية ، ومع هذا أبى ابن الوزير الا أن يختم حياته بالخروج على المدرسة التى سار على نهجها من كراهة التقليد (١) .)
قلت : وفى نظرى انه يكفى فى الرد على هذا الكلام ذكره فقد هدم مابنى وشيد بيده ، ثم ان كتب ابن تيمية فى غير العلوم الدينية تكذب هذا . منها على سبيل المثال مجموع الفتاوى وغيره ، أما ابن الوزير فقد شهد له فطاحل العلماء بالاجتهاد والنفرة من التقليد والابتداع واذا كان ابن الوزير ينفر من الاستعانة فى فهم النصوص بأساليب غير الاساليب السلفية فما بعدها الا الاساليب اليونانية التى رد على أهلها بكتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) وماذا بعد الحق الا الضلال وسائر كتب ابن الوزير تناقض كلام الصعيدى الأخير .
١٨ — ومن المعاصرين الذين اثنوا على ابن الوزير صاحب كتاب الزيدية بقوله : (ان ابن الوزير كان فريدا فى نوعه بين جميع من عالج

---

(١) المجددون فى الاسلام لعبد المتعال الصعيدى ص ٣٤٣ — ٣٤٦ .

موضوعات علم الكلام ، لايشبه كلامه كلام أحد سبقه ، أو عاصره ، لا بين الزيدية فحسب ، بل بين فرق المسلمين جميعا ، سواء فى تحرى الحق ، أو فى نزاهة القصد ، وذلك ما أكسبه تقدير المخالفين قبل الموافقين (١) .

١٩ — وما قاله المؤرخ والكاتب اليمنى المعاصر عبد الله محمد الحبشى بعد أن ذكر جمود العلماء على التقليد ، ونبذ الاجتهاد ، مع أن المذهب الزيدى منذ تأسس يقرر الاجتهاد فيقول : (... ولكن لم تظهر دعوة الاجتهاد صريحة الا فى القرن التاسع الهجرى وقد حمل لواءها العلامة المجتهد محمد بن ابراهيم الوزير ، ووضع فى هذا الصدد رسالة قيمة بعنوان : (القواعد فى الاجتهاد (٢)) .

٢٠ — ومن هؤلاء أيضا السيد أحمد حسين شرف الدين فى كتابه (تاريخ اليمن الثقافى (٣)) و (تاريخ الفكر العربى الاسلامى فى اليمن) بقوله : (اجمع مؤرخوا اليمن وعلماؤها على صحة اجتهاده وغزارة علمه) والحبشى أيضا فى كتابه (دراسات فى التراث اليمنى) وفى (مجلة اليمن الجديد (٤)) وغير ذلك من الكتب والمجلات والصحف . وهذا بغض النظر عما ذكره بعض المترجمين والمفهرسين كالزركلى فى الأعلام (٥) ، وعمر كحالة فى (معجم المؤلفين (٦)) واسماعيل باشا البغدادى فى ذيل كشف الظنون (٧) وفى (هدية العارفين (٨) فى أسماء المؤلفين) وغيرهم وغيرهم .

---

(١) كتاب الزيدية للدكتور احمد محمود صبحى ص ٦٢٥ — الناشر مكتبة المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٨٠م .
(٢) حياة الادب اليمنى فى عصر بنى رسول للحبشى ص ١٠٨ — ١٠٩ .
(٣) ج ٤ ص ٢٧٢ مكتبة الجيلانى .
(٤) العدد الخامس رجب ١٣٩٢ هـ اغسطس ١٩٧٢م تصدرها وزارة الاعلام اليمنية .
(٥) ج ٥ ص ٣٠٠ بيروت .
(٦) ج ٨ ص ٢١٠ — ٢١١ .
(٧) ج ٣ ص ١٥٢ ج ٦ ص ١٩٠ .
(٨) ج ٦ ص ١٩١ .

والحاصل ان ابن الوزير كما قال الشوكانى : (إنه رجل عرفه الأكابر وجهله الأصاغر ، وليس ذلك مختصا بعصره ، بل هو كائن فيما بعده من العصور الى عصرنا هذا ، ولو قلت ان اليمن لم تنجب مثله ، لم أبعد عن الصواب وفى هذا الوصف مالا يحتاج الى غيره [١]) .

أما أنا فلا أدرى ما اقول بعد كلام الأعلام الآنف الذكر ، وما تركته أكثر بكثير مما ذكرته ، وقد قيل : لا عطر بعد عروس ، فكيف أصف من وصفوه بانه يزاحم أئمة المذاهب الاربعة فمن بعدهم من المجتهدين ، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة فى مقالاتهم ، ويتكلم فى الحديث بكلام أئمته المعتبرين ، مع احاطته بحفظ غالب المتون ، ومعرفة رجال الأسانيد ، شخصا ، وحالا ، وزمانا ، وتبحره فى جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف بماذا أصف ابن الوزير بعد هذا — وله هذه المكانة ، بل المهابة فى نفوس خصومه حتى بعد مماته اذ رد عليه مؤلف مجهول بـ (العضب الصارم) فى الرد على صاحب (الروض الباسم) .

إن ثنائى عليه يترجمه الجهد الذى بذلته فى إبراز هذه المكانة العلمية ، وتنظيم هذا الثناء من فطاحل العلماء ، وما سوف أخرجه من مناهج ومميزات ، وأفكار لابن الوزير فى هذه الرسالة بقدر الطاقة ان شاء الله تعالى .

أما الاستيعاب فكيف يتاتى فى بحث محصور نظاما وزمانا — وهو يورد فى المسألة الواحدة على خصمه ما يقارب المأتين من الإشكلات المحيرة ، وعشرات المعارضات الشديدة ؟ ، والتنبيهات اللاذعة ، والالزامات المفحمة ، والبراهين المقنعة العقلية منها والنقلية ، والوجوه المتنوعة ، ولقد أنصف الشوكانى وأحال على ملىء — ومن أحيل على ملىء فليتبع — لمّا قال : (ومن رام أن يعرف حاله ، ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته فانها شاهد عدل تدل على علو طبقته ، فانه يورد فى المسألة الواحدة من الوجوه ما يبهر [٢] لب

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩٢ .

(٢) من باب نفع أ هـ مصباح جـ ١ ص ٧١ .

مطالعه ، ويعرفه بقصر باعه بالنسبة الى علم هذا الامام كما يفعله فى (العواصم والقواصم) فانه يورد كلام شيخه السيد العلامة على بن محمد ابن أبى القاسم فى رسالته التى اعترض بها عليه ، ثم ينسفه نسفا ، بإيراد ما يزيفه به من الحجج الكثيرة التى لا يجد العالم الكبير فى قوته استخراج البعض منها (١) . وستأتى الاشارة الى هذا فى منهجه ومميزاته ومعاركه الكلامية ان شاء الله تعالى .

هذا ومن الملاحظ على بعض العبارات فى الثناء على ابن الوزير ـ كما سبق ـ التى يطلقها بعض التلامذة على شيوخهم ، يستوى فى هذا تلامذة ابن الوزير وغيرهم فى عصر من العصور ، كقولهم خاتمة المحققين أو خاتمة الحفاظ أو خاتمة المجتهدين ثم يأتى الله ـ بعد ذلك العصر ـ بمجتهدين وحفاظ ومحققين ، وهذا تعبير لا يخفى مافيه من التحجر على الله ـ عز وجل ـ فلا يخلو زمان او مكان من هؤلاء الذين يفتح الله عليهم الى عصرنا هذا مطلع القرن الخامس عشر الهجرى . إلا أنه ليس أحد كأحد يفعل الله سبحانه ما يشاء ويختار .

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩٠ ـ ٩١ .

عزلته الأخيرة :

سبقت الاشارة الى أنه صنف (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبى القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) و (ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) في العزلة ، ولكنها كانت عزلة غير مستمرة ، يتزود الليالى والايام ذوات العدد ثم يرجع .

أما هذه العزلة الأخيرة التى توفى فيها فهى مستمرة الى أن لقى ربه ، وصنف في ذلك كتابين أيضا أحدهما بعنوان :
(أنيس الأكياس في الاعتزال عن الناس) والثانى : (كتاب العزلة) وقد سبق ذكرهما في ذكر مؤلفاته .
والصواب أن آخر مؤلفاته (ايثار الحق على الخلق) كما سبق بيانه في مؤلفاته .

ومن المبررات التى يراها ابن الوزير للعزلة أن لها في بعض الاوقات ، والأزمان — لبعض أهل الايمان — مرجحاتها من الكتاب والسنة ، في حق من لم يتعين عليه فرض يوجب تركها ، من جهاد ، أو تغيير منكر أو تعلم أو تعليم أو مانع شرعى ممن تجب طاعته شرعا ، كأحد الوالدين ، أو إمام أو قاضى ، أو خصم له عليه حق واجب ، أو حق مسلم لازم أو راجح — خوف الفتنة في الدين ، ذكر في ذلك آيات من القرآن الكريم ، واورد خمسين حديثا من السنة الصحيحة في العزلة وفضلها ، وأيد ذلك بسبعة عشر وجها [1] ، وقال البخارى : (باب العزلة راحة من خُلّاط السوء) وذكر بعض ما ذكره ابن الوزير من الاحاديث ، كما ذكر الحافظ كلاما لبعض السلف على استحباب العزلة، منهم : عمر بن الخطاب بقوله : (خذوا حظكم من العزلة) [2] .

وقد قسم شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ العزلة الى مشروعة وبدعية ، وان البدعية هى المشتملة على عبادات أو اذكار غير مشروعة ،

---

(١) أنظر مقدمة كتاب العزلة لابن الوزير خ صنعاء الورقة الاولى أولها وبعد فهذا مختصر مفيد .
(٢) فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١١ ص ٣٣٠ — ٣٣١ .

المولدة للأحوال الشيطانية ، وأن المشروعة ما كان مأمورا بهـا أمر ايجاب او استحباب كاعتزال الأمور المحرمة ، وهذا من الواجب ، واعتزال الناس فى فضول المباحات ، وما لاينفع بالزهد فيه وهو مستحب •

كذلك اذا أراد الانسان تحقيق علم أو عمل فتخلى فى بعض الأماكن مع المحافظة على الجمعة والجماعة • وذكر بعض الأدلة القرآنية والحديثية التى استدل بها ابن الوزير على ذلك • (١)

ان معظم حياة ابن الوزير قضاها فى العزلة التى رجحها على مخالطة الناس أحيانا ، لانه خبر الحياة بتجاربه وعلاقاته باهل زمانه ، لكنها تفرغ للدفاع عن الكتاب والسنة •

وفى هذه العزلة الأخيرة أخذته الحيرة والتفكير بين الانعزال عن الناس أو مخالطتهم والصبر على أذاهم • وهاهو ذا يصف لنا هذه الحيرة التى تتجاذبه دواعيها ، فلا يدرى لأيها يستجيب •

يصف ذلك قائلا :

١ — (تارة وعيت : (فتول عنهم فما أنت بملوم) (٢) (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) (٣) (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيء لكم من أمركم مرفقا) (٤).

٢ — وتارة أسمع : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتتبع به شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) (٥)

---

(١) أنظر التفاصيل القيمة فى مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية المجلد الثانى ج ٤ — ٥ ص ٢٥٦ وما بعدها علق عليها وصححها جماعة من العلماء باشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى سنة ١٤٠٣هـ•

(٢) سورة الذاريات : ٥٤ •

(٣) سورة مريم : ١٦ •

(٤) سورة الكهف : ١٦•

(٥) رواه البخارى ج ١ كتاب الإيمان باب من الدين الفرار من الفتن ص٠ ١ج٨ كتاب الفتن باب التعرب فى الفتنة ص٤ ط استانبول بتركيا ، ومسلم ج٣ كتاب الامارة

===

(أتمروا بينكم بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رايت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا موءثرة ، وإعجاب كل ذى راى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العوام [1]) .

(واعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أنك تعض على جذر شجرة حتى يأتيك [2] الموت وانت على ذلك [3]) .

(والزم بيتك ، وخذ ما تعرف ، واترك ما تنكر) [4]

(ليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك [5]) هكذا ذكره ابن الوزير فى (ترجيح اساليب القرآن [6]) متصلا بعضه ببعض ، ولقد كلفنى — رحمه الله تعالى — جهدا غير قليل فى تتبع فقرات هذا النص فقد جمع فيه عدة احاديث من الصحيحين والسنن ومسند أحمد وغيره وذلك يوهم أن هذا النص — حديث واحد من مصدر واحد ،

=== باب فضل الجهاد ص١٥٠٣ — ١٥٠٤ نشر وتوزيع دار الافتاء بالمملكة تصحيح وترقيم محمد فوءاد عبد الباقى سنة ١٤٠٠ هـ

(١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ٨ تفسير سورة المائدة ص٤٢٤ — ٤٢٥ وقال هذا حديث حسن غريب تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة وقال ابن كثير فى تفسيره جـ ٣ ص٢٠٨ قال الترمذى هذا حديث حسن غريب صحيح تحقيق غنيم وزميليه ط الشعب ، ولست ادرى من اين نقل هذه الزيادة؟ ، وسنن أبى داود مع عون المعبود جـ ١١ كتاب الملاحم ص٤٩٤ — ٤٩٥ تحقيق عبد الرحمن عثمان الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط ثانية سنة ١٣٨٩ هـ وسنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب الفتن ص ١٣٣٠ — ١٣٣١ تحقيق محمد عبد الباقى جـ ا ط الحلبى .

(٢) فى الصحيحين : (حتى يدركك الموت) .

(٣) البخارى جـ ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوة ص١٧٨ جـ ٧ كتاب الفتن باب كيف الامر اذا لم تكن جماعة ص ٩٣ ولفظه : (اذا لم تكن جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها ....) ومسلم جـ ٣ كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٦ .

(٤) سنن أبى داود مع عون المعبود جـ ١١ كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ص٤٩٩ .

(٥) مسند أحمد جـ ٤ ص١٤٨ — ١٥٨ — ١٥٩ من حديث عقبة .

(٦) ترجيح اساليب القرآن على إساليب اليونان لابن الوزير ص٦٠ مطبعة المعاهد بمصر قدم له زيادة سنة ١٣٤٩ هـ .

ويمضى ابن الوزير فى وصفه هذه الحيرة بقوله :

(٣) (وتارة أتأمل قول على عليه السلام : ووالله لولا رجائى الشهادة عند لقاء عدوى ، لوقد حم[١] لى لقاؤه لشخصت عنكم ثم لا أسأل عنكم ، ما اختلف جنوب وشمأل ، وشاع فى هذا المعنى وذاع ، حتى نظمه البلغاء على أساليب تهتز لها الطباع ، وتلتذ بها الاسماع مثل قولهم :

كيف التخلص والبسيطة لجة ... والجو أسحم بالمصائب مثجم

أسرج وألجم فى الفرار فكلهم ... فيما يسوءك مسرج أو ملجم

وقوله :

نهيتك عن خلاط الناس فاحذر ... أقاربك الادانى واحذرنى

صديقى ما هويت لك اقترابا ... وصنتك عن مخالطتى فصنى

وقوله :

وما عفت وردى لارتواء وجدته ... بنفس ولكن المياه أجون

فلا تشغلنى بالحديث وخلنى ... وأشجان قلبى فالحديث شجون

فعقدت على ذلك اعتقادى ، وعزمت على لزومه ، بعد أن همت فى كل وادى ، وقنعت من الغنيمة بالاياب ، حتى سلمت فى سفرى من الذئاب ، المدلسة بلبس الثياب ، وإنها والله بدليل العقل والحس ، أخبث نوعى هذا الجنس ، لا سيما من كان ظاهره بالزهادة متحليا ، وباطنه من حلية الاخلاص متخليا . [٢])

ثم قال : (فبقيت فى هذه المدة المديدة سنين عديدة :

قد أعتزلت الرافضى جانبا ... والناصبى والمجترى والمجبرى

واعتضت عن خطاب كل جاهل ... خطاب فكرى أو خطاب دفترى

وقلت لا تغتر بإفكى خبرى ... فقد نبذت كل خل مفتر[٣] .)

---

(١) حم — بمعنى قرب ودنى أ هـ المصباح المنير للفيومى ج١ ص ١٦٥

(٢) ترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٦٠ — ٦١ .

(٣) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٦١ .

ومن رقائق شعره فى بعده عن الناس ، وانقطاعه أبيات كتب بهــا الى الامام المهدى أحمد بن يحى المرتضى عقب دعوته بالامامة • منها قوله :

أعاذل دعنى أرى مهجتــى ... أزوف الرحيل ولُبس الكفــن
وأدفن نفسى قبل الممــات ... فى البيت أو فى كهوف القنن (*)
فأن كنت مقدتيا بالحسيــن ... فلى قدوة بأخيـه الحســن
فقد حمد المصطفى فعلـــه ... لاطفائـه لنار المحـــن
ولو كان فى فعله مخطئـــا ... لما كان للمـــدح معنى حسن
وأقبل مافى حديث الرســو ... ل من ذكر موج بحار الفتــن
وأن السلامة فى الاعتـــزا ل ... جاءت بذا مسندات السنن (١)

واستمر ابن الوزير فى الاعتزال عن الناس ، وترك مجالس التدريس ، وعاتبه على ذلك الناس ، فلم يعبأ بذلك بل أجــاب قائلا ومبررا :

لامنى الأهل والأحبة طــرا ... فى اعتزالى مجــالس التدريس
قلت لاتعذلوا فما ذاك منــى ... رغبة عن علــوم تلك الـدروس
هى رياض الجنات من غير شك ... وسناها يزرى بنور الشمـــوس
غير أن الرياض تأوى الأفاعــى ... وجوار الحيات غيـــر أنيس
حبذا العلم لو أمنت وصاحبـ ... ـت إماما فى العلم كالقـــاموس
غير أنى خبرت كل جليـــس ... فوجدت الكتاب خيـــر جليس
فدعونى فقــد رضيت كتابــى ... عوضا لى عن أنس كل أنيس (٢) •

ومن هنا يظهر أن اعتزال ابن الوزير ليس من نوع اعتزال أهل التصوف الذين لايرون النظر وطلب العلم • وستأتى الاشارة الى هذا فى طرق اثبــات الصانع فى الباب الثالث ان شاء اللــه تعالى •

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ ورقــة ١٨٨ •
(٢) العواصم والقواصم جـ ١ ورقة ١٦٢ والترجيح له ص ٦٢ •
(*) القنن بقاف مضمومة ونونين أولاهما مفتوحة : جمع قنة بضم القاف أعلــى الجبل مثل قله كذا فى الصحاح للجوهرى جـ ٦ ص ٢١٨٤ •

ثم يصف ابن الوزير نهاية ما وصل اليه بعد هذه الحيرة والشكوى فيقول :
(وفى هذا المقام بنيت دار المنى ... وفطمت نفسى عن الطمع فى الناس ، حتى طعمت لذة اليأس ، ولم أقل :

ولابد من شكوى الى ذى حفيظة يواسيك أو يأسوك ، أو يتألـم

ولكن قلت : (انما أشكو بثى وحزنى الى اللـه) (١) وأقبلت على ربى وحـده ، وأخلصت له تفويضى وتوكلى ، وأنشد :

وكادر سرورى لايفى بندامتـى على ماضى من عمرى المتقـادم (٢)

ومن هنا نستطيع أن نستخلص أن الاسباب التى أدت بابن الوزير الى العزلة عن الناس معظم حياته ، وفى هذه المرحلة الاخيرة بالذات شىء من قسوة طباعه ، فقد اعترف ابن الوزير بهذا وكان يتضرع الى اللـه ـ عزوجـل ـ أن يداوى قاسى طباعه ، بالاضافـة الى عدم وجود الصديق الصدوق ، الخالى عن الجفاء ، والنفـاق ، القائم بما للاخـوة من الحقوق ، مأمون البوائـــق ، عالى الهمة ، وبالاضافـة أيضا الى التفرغ للتأليف بعيدا عن القلاقل والمزعجات.

وقد سبق أن ذكرت أبياته فى تفضيل العزلة ومجاورة البوم والقطـا على مجاورة هؤلاء الذين آذوه وألجأوه الى العزلة فى أثناء تاليفـه (العواصم والقواصم) وهى :

فحينا بطود تمطر السحب دونه اشم منيف بالسحاب مؤزر

وحينا بشعب بطن واد كأنـه حشا قلم تمسى به الطير تصفـر

أجاور فى أرجائه البوم والقطـا فجيرتها للمرء أولى وأجدر (٣)

....

قال ناسخ (كتاب العزلة) لابن الوزير فى نهايته بعد أن ذكر ماله من المكانة العلمية عند الناس ، قال : (فلما رأى أن فى هذا طرفا مـن الدنيا والرياسة ، قذع نفسه وقمعهـا ، ومنعهـا مما تشوفت اليه ، وردعها ،

---

(١) سورة يوسف : ٨٦ .
(٢) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٦٣ .
(٣) الروض الباسم لابن الوزير جـ ١ ص ١٠ .

ثم أقبل الى اللـه بكليته فلزم العبادة والاذكار وقيام الليل ، وصيام النهـار، وتأديب النفس واذلا لهـا للملك الجبار ، فألجمهـا بلجام الزهد ، وجرهـا بعنان التقوى ، وأجراها فى ميدان الورع ، وساقهـا بسوط الصبر ، وعلفهـا الجوع ، وسقاها الدموع ، والبسهـا لباس الذل والخضوع (١) .

وكان يلازم بعض المساجد ، كمسجد وهب ، ومسجد نقم ، ومسجـد الاخضر من مساجد صنعاء ، وفى المنازل العالية والكهوف ويعتذر فيهـا عـن موافقـة اهله وارحامه ، ويسالهم اسقاط الحق من الزيارة . (٢)

أما الشوكانى فانه يصف عزلة ابن الوزير الاخيرة التى توفى فيها فقـال بعد أن نوه بمكانته العلمية وبما جرى بينه وبين خصومه من المعارك الكلامية : (ثم بعد هذا أنجمع ، وأقبل على العبادة وتشيخ (٣) ، وتوحش فى الفلـوات ، وانقطع عن الناس ، ولم يبق له شغلة غير ذلك ، وتأسف على ما مضى من عمـره ، فى تلك المعارك التى جرت بينه وبين معاصريه ، مع انه فى جميعهـا مشغول بالتصنيف والتدريس ، والذب عن السنة والدفـع عن أعراض أكابر العلمـاء ، وأفاضل الأمة ، والمناضلة لاهل البدع ، ونشر علم الحديث ، وسائر العلـوم الشرعية ، فى إرض لم يألف أهلهـا ذلك لاسيما فى تلك الأيام ، فله أجـر العلماء العاملين ، واجر المجاهدين المجتهدين ، ولكنه ذاق حـلاوة العبادة ، وطعم لذة الانقطاع الى جانب الحق فصغر فى عينيه كل ما سـوى ذلك .(٤)) .

أما ابن أبى الرجال ، فقد خالف الشوكانى ، ووافق صاحب طبقـات الزيدية ، من أن ابن الوزير اشتغل بالذكر والعبادة فى آخـر حياتـه فـى

---

(١) كتاب العزلة لابن الوزير خ صنعاء .

(٢) أنظر طبقات الزيدية خ صنعاء للشهارى ج ٣ ص ٣٤٦ .

(٣) لا أدرى ما يريد الشوكانى بهذه العبارة (تشيخ) وقد ثبت انه صنـف (ايثار الحق على الخلق) قبل وفاته بثلاث سنين كما سبق فى موضوع لفاته .؟

(٤) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩٢ .

المساجد كمسجد وهب والروية وغيرهما من المنازل العالية ينقطع فى بعضها للعبادة كما سبق ٠

وله كرامات لانطيل بذكرها ، فقد ذكرها معظم من ترجم له ، والايمان بها من عقيدة السلف ، اذا كان صاحبها متمسكا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ٠ وإلا فهى احوال شيطانية ، وكتب ابن الوزير تدل على الاول ولنا الظاهر والله يتولى السرائر ٠

وبالجملة فالعزلة تختلف باختلاف الاشخاص والأحوال ، فمنهم من يتحتم عليه المخالطة إما عينا وإما كفاية ، فمن كانت له قدرة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لزمه مخالطة الناس والصبر على أذاهم ، ومن ليس كذلك فالأولى له العزلة ، ولو لم يكن فيها الا السلامة من الغيبة والنميمة ، ومن رؤية المنكر الذى لايستطيع ازالته لكان خيرا عظيما ، ومكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة ، ذكر هذا الحافظ فى الفتح (١) لكن مطولا ومفصلا ، غير أن بعضه منصب على الفتن الدينية وبعضه على الفتن السياسية حين لايوجد امام ولا جماعة للمسلمين ، وابن الوزير اكتوى بنار الفتنتين ، لكنه لم يعتزل الفتنة السياسية بل انضم الى الامام المنصور ضد منافسه الامام المهدى ، ودافع عنه دفاعا شديدا كما سبق بيانه فى الحالة السياسية ، وكان الاولى له — فى نظرى — اعتزال الفتنتين معا ، أو ممارستهما معا لانى لم أجد له مبررا فى العزلة الدينية الا العكوف على التصنيف والمضايقات النفسية ، أما الخوف على نفسه أو ماله فقد كان يتمتع بحصانة قوية فى حماية صاحبه وتلميذه — بعد الحماية السماوية — الامام المنصور الذى تغلّب على منافسه الامام المهدى واستقل بالجلوس على عرش الزيدية فى صنعاء آنذاك ٠
ثم ان استدلال ابن الوزير على ترجيح العزلة هو مأخوذ من القاعدة الاصولية القائلة : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) كما هو واضح من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى ذكرتها فى أول هذا المبحث ٠ والله أعلم ٠

---

(١) أنظر فتح البارى جـ ١١ ص ٣٣٠ وما بعدها وجـ ١٣ ص ٤٠ — ٤٣ ٠

وفاتـــــه :

توفى ابن الوزير — رحمه اللـه تعالى — فى السابع والعشرين من شهر المحرم سنة ٨٤٠ هـ عن عمر بلغ أربع وستين سنة وسبعة أشهر الا ثلاثة ايـام • بعد أن ترك حظا وافرا من المصنفـات المفيدة ، ولو لم يكن له منها الا : (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابى القاسم صلى اللـه عليه وآله (١) وسلم) لكفى كما سبقت الاشارة به فى موءلفات ابن الوزير •

توفى فى مرض من الطاعون اجتاح معظم اليمن ، بدأ من مدينة تعـز ، وتتبع القرى اليمنية قرية قرية حتى وصل صنعاء ومات المشهورون بالعلـــم والفضل ، وكان يخرج من صنعاء — على حسب ما ذكره الموءرخ الواسعـى الصنعائى كل يوم مائة جنازة ، وفى آخـر يوم من رمضان من السنة التى توفى فيها ابن الوزير خرجت من صنعاء سبعمائة وألف جنازة • وثانى عيد الفطر كذلك ، حتى أغلقت الدور والمساجد ، وتعطلت الأعمال •

وفى تلك السنة توفى الامام المهدى أحمد بن يحى المرتضى أحـد أقران ابن الوزير ومنافسيه ثقافيا ، ومنافس الامام المنصور صاحب ابن الوزير على عرش الزيدية فى اليمن ، ومن عجائب قدر اللـه — عز وجل — أن توفـى الثلاثـة فى عام واحـد بل توفى ابن الوزير وامام عصره المنصور على بـن صلاح الدين ، فى يوم واحـد •

وممن رثى ابن الوزير بنت اخيه شمس الحور بنت الهادى الوزير بابيـات مطلعهـا :

---

(١) قد تكون هنا علامـة استفهام فى الصلاة على الآل تبعا ولإزالة هـذه العلامة نذكر ما حكاه ابن كثير فى تفسيره جـ ٦ ص ٤٦٧ اذ يقـول : (واما الصلاة على غير الانبياء فان كانت على سبيل التبعيـة ••• فهذا جائز ، وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم • ••) وقد بحث المسألة بحثا جيدا مطولا فى اثنتين وعشرين صفحة ينبغى لطالب العلم الاطلاع عليه ، كذلك ابن القيم بحث هذه المسألة فى كتابه (جلاء الافهام فى الصلاة والسلام على خير الانام) ص ٢٧٧ — ٢٩٠ بحثا قيما هذا بالنسبة لخارج الصلاة أما فيهـا فقد ورد النص على الآل تبعا فى الصلاة الابراهيمية •

رحم اللـه أعظما دفنوهـــــــا بالرّويّات عن يمين المصلى

اى مصلى العيد الجهة الشمالية من صنعاء ، وقيل : دفن بمسجد وهب من صنعاء . (١) والله اعلم .

(١) انظر ترجمة ابن الوزير لمحمد بن عبد اللـه بن الهادى الوزير العواصم والقواصم) لابن الوزير جـ ٢ ، ورقـة ١٩٧ ، وتاريخ بنى الوزير للهادى الوزير خ صنعاء ، ورقـة ٣٨ ومطلع البدور لابن أبى الرجال خ ترجمة ابن الوزير رقمهـا ٣٦٧ وطبقات الزيدية خ للشهاوي جـ ٣ ص ٣٤٧ ، والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٩١ وتاريخ اليمن للواسعى ص ٢٠٦ .

منهج ابن الوزير في البحث العلمي :

لم تطمئن نفسي — ويعلم الله ذلك — الى ثناء العلماء الأعلام على ابن الوزير ، ولا على عنوان كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ومختصره (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) أيضا . فلقد أمضيت سنتين مع ابن الوزير — رحمه الله — مترددا في الحكم على معتقده لكثرة ما يورده في المسألة الواحدة ، ويسندها الى أصحابها مع التقصي لأدلة كل فريق ، ولكثرة مايورد من الكلام ، يوهم القارئ — أثناء الكلام على قول معين — أنه يذهب الى ذلك القول . حتى اذا انتقل الى الكلام على قول آخر ، يظن القارئ أنه يتبنى ذلك القول أيضا ، لكثرة ما يورد فيه من البراهين العقلية والنقلية . وهكذا حتى يخرج من المسألة تاركا القارئ يختار ما يشاء — غالبا — .

وهذا ما سلكه في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) من الأسلوب الجدلي المبني على مقدمات مسلمة عند الخصمين ، أو عند الناس ، بغض النظر عن كون النتائج حقة أو باطلة ، والغرض من ذلك اقناع القاصر وإلزام الخصم وإفحامه .

وقد أوضح ابن الوزير منهجه هذا بأوجز عبارة ، وأوضح دلاله بقوله :

(وقد سلكت في هذا الجواب مسلك الجدليين فيما يلزم الخصم على أصوله ، ولم اتعرض في بعضه لبيان المختار عندي وذلك لأجل التقية من ذوي الجهل والعصبية ، فليتنبه الواقف عليه على ذلك فلايجعل ما أجبت به على الخصم مذهبا لي . (١))

وقد حصل — بالفعل — ما توقعه ابن الوزير من ذوي الجهل والعصبية فقد اضطره غلاة المعتزلة بل غلاة الزيدية في اليمن الى الخروج من صنعاء، الى رؤوس الجبال ، وبطون الاودية ، حتى اعتزل في الفلوات — كما سبق بيان ذلك في (حياته العلمية) وفي (عزلته الأخيرة) .

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ المقدمة ورقة ١١

والظاهر — والله اعلم — أن التقية التى ذكرها ابن الوزير ليست من التقية التى يعتقدها غلاة الشيعة ، وهى التظاهر بغير مايبطنون كأن يقول : لست بامام ، وهو كما يزعمون — إمام [١] ، وانما هى من نوع التقية التى اشار اليها أبو هريرة — رضى الله عنه — بقوله :

(حفظت من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعاءين ، فأما احدهما فبثثته ، واما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) . [٢]

قال الحافظ فى إثناء شرحه لهذا الحديث : (كنى بذلك عن القتل ، وفى رواية الاسماعيلى (لقطع هذا) يعنى رأسه ، وحمل العلماء الوعاء الذى لم يبثه على الاحاديث التى فيها تبيين أسامى أمرآء السوء وأحوالهم ، وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكنى عن بعضه ، ولا يصرح به خوفا على نفسه منه ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين ، وإمارة الصبيان ، يشير الى خلافة يزيد بن معاوية ، لانها كانت سنة ستين من الهجره ، واستجاب الله دعاءه فمات قبلها بسنة) [٣]

وقد حكى ابن الوزير الاجماع على الترخيص فى التقية من شر الاشرار كعلماء السوء ، وسلاطين الجور ، وذكر قصة عمار ومؤمن آل فرعون [٤] .

ولعل هذا من باب المداراة التى إشار اليها شيخ الاسلام ، من انها دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، أو تأليف الفاجر القوى وذلك أثناء حديثه عن عجز اهل خراسان عن اظهار العداوة للجهمية حين ظهورها [٥]

---

(١) أنظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ٥٤ ط الجامعة الاسلامية ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٥٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط المدنى بالقاهرة .

(٢) البخارى ج ١ كتاب العلم باب حفظ العلم ص ٣٨ ط المكتبة الاسلامية استانبول تركيا ١٩٧٩م .

(٣) فتح البارى ج ١ ص ٢١٦ . رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة تصحيح وتخريج محب الدين الخطيب .

(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣١ — ١٥١ — ٤٠٨ ط بيروت .

(٥) أنظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨ ص ٢١٢ .

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى اللـه عنهـا أن رجلا استأذن على النبى — صلى اللـه عليه وسلم — فقال : ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة : فقلت يا رسول اللـه ، قلت الذى قلت ، ثم ألنت له القول ، قال يا عائشة : (ان شر الناس منزلة عند اللـه يوم القيامة من ودعه ، أو تركه الناس اتقاء فحشه . (١)

هذا ومن الجدير بنا أن نرجع الى منهج ابن الوزير العلمى فنقول : ثم ان ابن الوزير ، قد اختصر هذا الكتاب العظيم ، فى كتاب سماه : (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) صلى اللـه عليه وآله وسلم ، و (الروض الباسم) أقل تنقية من (العواصم) كما وصفه ابن الوزير بقوله : (وهو أقل تنقية من هذا — أى من العواصم — ولن يخلو واللـه المستعان ، ولكن هيهات لذلك ، لا محيص (٢) لى من طف (٣) الصاع ، ولابد لى من

---

(١) مسلم ج ٤ ، كتاب البر باب مداراة من يتقى فحشه ص ٢٠٠٢ .

(٢) لا مهرب أ هـ قاموس ج ٢ ص ٣١٧ .

(٣) مأخوذ من الطف ، ومنه حديث : (كلكم بنوا آدم ، طُفُّ الصاع ليس لأحد على أحد فضل الا بالتقوى) أى قريب بعضكم من بعض ، يقال : هذا طف المكيال وطفافه بفتح الطاء وكسرها ، أى ماقرب من ملئه ، وقيل هو ما على فوق رأسه ، ويقال له أيضا طفاف بضم الطاء ، والمعنى كلكم فى الانتساب الى أب واحد بمنزلة واحدة فى النقص والتقاصر عن غاية التمام ، شبههم فى نقصانهم بالمكيال الذى لم يبلغ أن يملأ المكيال ، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج ٣ ص ١٢٩ تحقيق الزواوى والطناحى ط عيسى الحلبى بدون تاريخ ، وانظر الصحاح للجوهرى تحقيق العطار ج ٤ ص ١٣٩٥ ، وفى القاموس : طفافه بفتح الطاء وكسرها : ما ملأ (أصباره) أوما بقى فيه بعد مسح رأسه ، أو هو جمامه او ملوءه أ هـ ج ٣ ص ١٦٨ — ١٦٩ — والتطفيف يكون بمعنى الوفاء والنقص ، والحديث رواه أحمد فى مسنده ج ٤ ص ١٤٥ — ١٥٨ بلفظ مختلف كما رواه أبو الشيخ الاصبهانى فى كتاب الامثال فى الحديث النبوى ص ٩٦ تحقيق عبد العلى عبد الحميد ط الهند .

الانخداع بدعاية الطباع) (١)

والظاهر أن هذا من ابن الوزير من باب التواضع ، والا فقد رد الصاع صاعين كما هو واضح فى مؤلفاته لاسيما (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) .

منهج ابن الوزير كما ورد فى (العواصم) ومختصره (الروض الباسم) :

سأحاول — بعون الله تعالى — قدر الطاقة ، أن أضع بعض المعالم فى الطريق لمنهج ابن الوزير ، ليهتدى بها القاصرون أمثالى ، وليتعمق فيها الرواد ، الماهرون ، للغوص فى اخراج منهجه على ما يليق به ، وعزائى أن من فقد الماء تيمم بالتراب فأقول :

١ — سلك ابن الوزير مسلك المناظر المجيب ، الذى يسلك طريقة من ابتدأه ، ويتكلم بلغته ، واصطلاحه ، حذو القذة بالقذة ، وها هو ذا يرسم لنا منهجه حيث كان مجيبا عن الرسالة (٢) التى اعترض بها عليه شيخه جمال الدين على بن محمد بن أبى القاسم سنة ٨٣٧هـ فيقول : (وانما المجيب يقفو آثار من ابتدأه ، ويتكلم على كلامه بمقتضاه ، فحين يتكلم المبتدى فى المواضع الخطابية والمسالك الجدلية ، اعزوا معزاه ، وأسير فى مجراه ، وحين يتكلم فى الادلة القطعية والبراهين القوية ، أقفوا على آثاره ، وأعشو على ضوء ناره ، وهذا هو حكم المجيب فليس بملوم على ذلك ولا معيب (٣))

٢ — ثم ان ابن الوزير سلك أيضا — المنهج المتبع فى إساس المناظرة ، وأصل المراسلة ، وهو :

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ المقدمة ص ١١ .
(٢) سيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى فى (المعارك الكلامية) فى الباب الثالث من هذه الرسالة .
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ مقدمة ورقة ١٢ — ١٣ .

إيراد كلام الخصم ، ثم التعرض لنقضه .

وهذا شيء لا يغفل عنه أهل الدربة ، وانما تختلف مذاهب النقاد في ذلك ، ولهم فيه مذهبان ذكرهما ابن الوزير في مقدمة (العواصم والقواصم) .

المذهب الأول : ايراد كلام الخصم بنصه ، ليتخلص من التهمة بتغييره ونقصه ، فان ترك كلام الخصم ظلم ظاهر ، وحيف واضح ، لأنه انما تكلم ليكون بكلامه موازنا لكلام خصمه في كفة الميزان الذهني ، وموازيا له في جولة الميدان الجدلي ، لأن المنفرد يرجح في الميزان وان كان خفيفا ويسبق في الميدان وان كان ضعيفا .

ووصف ابن الوزير هذا بأنه طريقة الجبناء وأنشد قول المتنبي :

واذا ما خلا الجبان بأرض ٥ ٥ طلب الطعن وحده والنزالا (١)

وهذا كله اذا كان للخصم كلام يحفظ ، واختيار يصح أن ينقض .

وعلى هذا المذهب سلك ابن الوزير — غالبا — في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) ومختصره (الروض الباسم) ، يذكر كلام خصمه أولا ، ثم يتعرض لنقضه ثانيا ، وان لم يكن الخصم طائفة معلوم مذهبها بالتواتر فانه يجيز لنفسه أن يروى بالمعنى .

وقد وصف الطريقة الآنفة الذكر الامام الشوكاني سنة ١٢٥٠هـ بقوله :

(يورد كلام شيخه السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم سنة ٨٣٧ هـ ، في رسالته التي اعترض بها عليه ثم ينسفه نسفا ، بإيراد ما يزيفه من الحجج الكثيرة التي لا يجد العالم الكبير في قوته استخراج البعض (٢) منها) .

أما اذا لم يكن للخصم مذهب البتة ، وانما وهم (٣) عليه في مذهبه فهذا ظلم على ظلم .

---

(١) ديوان المتنبي ص ٤٣٦ العرف الطيب مع شرح ديوان أبي الطيب المتنبي للشيخ ناصيف اليازجي .

(٢) البدر الطالع ج٢ ص١١٢ — ٩٢ .

(٣) من باب وعد وله عدة معان منها سبق القلب الى الشيء مع ارادة غيره ، ووهمت وهما ، وقع في خلدي ، وتوهمت أي ظننت وظن القوم أن يغلبوني ، فاستخدموا الفزع والجبن ، والوهم من خطرات القلب

====

المذهب الثاني : من مذهب النقاد في نقض كلام الخصوم أن يحكوا مذاهبهم بالمعنى ، وهذا ما لا يرضاه ابن الوزير اذ يقول : (وفى هذا المذهب شوب من الظلم ، لان الخصم قد اختار له لفظا ، وحرر له ليله عبارة ارتضاها لبيان مقصده ، وانتقاها لكيفية استدلاله ، وتراكيب الكلام متفاوتة ، ومراتب الصنع متباينة ، مع أن قطع الاعذار من أعظم مقاصد النظار ، وهذه الأمور وان لم تكن مظالم شرعية ، وحقائق حسية ، فهى آداب بين المتناظرين رائقة ، ولطائف بين المتأدبين لائقة ، ومراق الى العدل والتناصف ، ودواع الى الرفق والتعاطف . (١))

٣ ــ كما سلك ابن الوزير ــ رحمه الله ايضا طريقة التقريع ، وهذا يختص باهل العلم والفضل ، وهو كما قال ابن الوزير : (مايكون على جهة التنبيه لاهل الفضل والعلم ، بقوارع الكلام الموقظة ، على سبيل الحدة فى الموعظة ، وهذا قد يدخل منه شىء فى الجواب ، لانه ليس احد احقر من ان يقول لغيره اتق الله ، ولا احد بأكبر من أن يقال له اتق الله .) (٢)

وسيأتى نماذج من هذه التقريعات فى جواب ابن الوزير على خصمه فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

== ومرجوح طرفى المتردد فيه ، ووهم الى الشىء بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه اليه ، ووهم يوهم وهما بالتحريك اذا غلط ، ومن الاول حديث ابن عباس (انه وهم فى تزويج ميمونة) أى ذهب وهمه اليه ، ومن الثانى الحديث : (انه سجد للوهم وهو جالس) أى للغلط وأوهمه غيره اتهمه أ هـ نهاية ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٣٤ والقاموس المحيط للفيروزآبادى جـ ٤ ص ١٨٧ أساس البلاغة للزمخشرى ص ١٠٤٥ ط دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٠م والصحاح للجوهرى جـ ٥ ص ٢٠٥٤ والمصباح المنير للفيومى جـ ٢ ص ٣٥٢ .

(١) العواصم والقواصم جـ ١ المقدمة ورقة ١١ ــ ١٣ .

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير المقدمة جـ ١ ورقة ١١ ــ ١٣ .

ثم ذكر ابن الوزير - رحمه الله - للتقريعات شروطا أربعة ، شرطين فى الاباحة وهما :

١ - ألا يكون المزجور محقا .

٢ - ألا يكون الزاجر كاذبا .

وشرطين فى الندب ، وهما :

١ - أن يظن المتكلم أن الشدة أقرب الى قبول الخصم للحق .

٢ - أن يكون بنيّة صحيحة ، لا لمجرد داعية الطبيعة . (١)

وعلى هذا المسلك سلك ابن الوزير - رحمه الله - فى الذب عن أئمة الاسلام من التقريعات (٢) اللاذعة والتنبيهات الموقظة كما سيأتى نماذج منه فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى .

والحاصل أن لكل مقام مقالا يليق به ، وقد ورد الامر باستخدام اللين تارة والشدة تارة أخرى من ذلك قوله تعالى :

(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) (٣) ، (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (٤)

وفى موضع الشدة (وليجدوا فيكم غلظة) (٥) و (وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) (٦) (قال له موسى انك لغوى مبين) (٧) لذلك ورد المدح بالذلة فى موضع وبالعزة فى موضع .

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير المقدمة جـ ١ ورقة ١١ - ١٣ .

(٢) التقريع اصله الضرب تقول : قرعته بالمقرعة والمقارع والمراد هنا التعنيف والتثريب ونعوذ بالله ، من قوارع فلان أى من قوارص لسانه ويجوز أن يكون من أقرعته اذا قهرته بكلامك قاموس جـ ٣ ص ٦٧ - النهاية لابن الاثير جـ ٤ ص ٤٣ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

(٤) آل عمران : ١٥٩ .

(٥) سورة التوبة : ١٢٣ .

(٦) سورة النساء : ٦٣ .

(٧) سورة القصص : ١٨ .

واستخدام ابن الوزير ـ رحمه الله ـ لهذه المسالك الجدلية السابقة كلها فى سبيل الذب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حملتها من أئمة الحديث وأئمة المسلمين • عما وصمهم به المعترض الزيدى المعتزلى من الجبر والتجسيم وعدم الذكاء والفطنة لعجزهم ـ كما يزعم المعترض ـ عن ممارسة علم الكلام ، وجمودهم على الحديث وعلومه ، وسيأتى نماذج من هذا فى فصل (المعارك الكلامية) وذم الكلام ان شاء الله تعالى •

هذا منهج ابن الوزير فى كتابيه (العواصم والقواصم) و (الروض الباسم) ، أما منهجه فى كتابه (ايثار الحق على الخلق) الذى صنفه فى اواخر عمره بل قبل وفاته بثلاث سنين تقريبا فان منهجه فيه يختلف عن هذا المنهج كما ستراه الآن •

منهج ابن الوزير — رحمه الله — في كتابه (إيثار الحق على الخلق):

هذا الكتاب ألفه ابن الوزير فى أواخر حياته ، بدليل قوله فى سياق حديثه عن قرب الساعة ، وتغيير الاحوال :

(فكيف بنا اليوم ، وقد دخلنا فى المائة التاسعة أكثر من ثلثها) (١)

ولكن هذا معارض بقوله أيضا : فى كتابه (العواصم) وقد أوضحت فى كتاب (ايثار الحق على الخلق) كذا وكذا (٢) .

والراجح أن ايثار الحق على الخلق هو الاخير ، لانه كثيرا ما يحيل فيه على العواصم فى عشرات المواضع ، فيكون هذا آكد فى تقدم (العواصم)، وتأخر (الايثار).

والكلمة التى تشير فى (العواصم) الى أنه صنفه بعد (الايثار) تحمل على أن ابن الوزير زادها بعد تصنيفهما ، والله أعلم .

وقد صرح ابن الوزير وغيره أنه فرغ من تصنيف العواصم سنة ٨٠٨ هـ وألف (ايثار الحق على الخلق سنة ٨٣٧ هـ كما سبق فى موءلفاته وقد نهج فيه منهجا غير منهجه الجدلى فى (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) . ويبدو أن صيانة هذا الكتاب الجليل من المقدمات الجدلية لعوامل منها :

١ — أن قسوة طباع ابن الوزير — رحمه الله — من آثار علمى الكلام ، والجدال قد هدأت ، كما هدأت المعارضة من قبل خصومه .

٢ — أن شدة الخلاف بين الطوائف المسلمة ، وشدة العصبية ، وتقليد المتكلمين أثار عاطفة ابن الوزير الدينية الى محاولة جمع الناس على الحق.

٣ — ما رآه من التباعد والتباغض، والتقاطع والتكفير والتفسيق نتيجة هذا الخلاف فأراد أن يزيله .

٤ — ما رآه من تغيير الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، الى أن صارت شيئا آخر لايتفق مع ما طبعها الله — عز وجل — عليه، فأراد الرجوع بها الى أصلها .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٧٧ .

(٢) العواصم والقواصم له جـ ٤ ص ٨٠ .

لهذه العوامل وغيرها من الرحمة بطوائف المسلمين المختلفين في اصول الدين ، حاول ابن الوزير — رحمه اللـه — جاهدا مشكورا التوفيق بين الاقوال، ورد الخلافات الى المذهب الحق ، كما هو ظاهر عنوان الكتاب ومحتواه .

وهذا الكتاب ليس موجهـا — فى نظر ابن الوزير — إلى اهل الكمال من العلماء الاعلام ، ولا لهداية أئمة الكفر المعاندين لاهل الاسلام المتعلقين بمذاهب الفلسفة ، فقد أقام اللـه — عز وجل — عليهم الحجة بالفطرة وبعث الرسل والجوارح ، وانما هو موجه الى الاوساط الذين لم يتمكن فيهم شذوذ الفرق .

فهذا الكتاب وأمثاله كأدوية تنفع من لم يتمكن منهم هذا الشذوذ .

وهذا الاختلاف يعود — فى نظر ابن الوزير — الى العوامل الآتية :

١ — تنكب طريق السلف الصالح طريق القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

٢ — الزيادة فى الدين بتجويز أهل الكلام ، خلو كتاب اللـه — عز وجل — وسنة رسوله صلى اللـه عليه وسلم عن بيان بعض مهمات الدين ، اكتفاء بدرك العقول لهـا — كما يزعمون — ولو بالنظر الدقيق .

٣ — النقص من الدين برد النصوص والظواهر الى المجاز ، من غير طريق قاطع موجب للتأويل الا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام ، فى قواعد لم يتفقوا عليها كتأويل القرامطة للاسماء الحسنى ونفيها عن الله عزوجل — بدعوى التنزيه وتحقيق التوحيد ، وأن اطلاقها على اللـه يقتضى التشبيه .

٤ — التصرف فى عبارات الكتاب والسنة بظن الترادف فى الالفاظ من غير يقين .

وهذه العوامل الثلاثة قد تضمنهـا الاول ويجمعها كلها :

الابتداع فى الدين وتقليد المتكلمين . وسياتى هذا مفصلا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد) ان شاء اللـه تعالى .

وقد رد مسائل الاختلاف بين الناس[1] ، فى الجملة إلى سبعة أمور، مدركهـا بالفطرة قريب ، وهى :

١ — اثبات العلوم الضرورية التى ينبنى الاسلام على ثبوتها .

٢ — ثبوت الرب — عز وجل — .

---

(١) كلمة : الناس تشمل اهل الملل الكفرية ، والفرق الاسلامية .

٣ — توحيده — سبحانه وتعالى — .

٤ — كماله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا .

٥ — ثبوت النبوات وصحتها فى الجملة .

٦ — الايمان بجميع الانبياء ، وعدم التفريق بينهم .

٧ — ترك الابتداع فى دينهم بالزيادة على ما جاءوا به ، والنقص منه .

فالستة الاول مجموعها دين الاسلام ، الذى فطر الله عباده على معرفته ، والخلاف فيها عند ابن الوزير كفر مجمع عليه ، والادلة عليه جلية . وفاقيه بين المسلمين ، ولا أحوط من الإيمان بها (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) (١) .

وأما السابع فهو لاحق بما قبله فى ثبوته فى الفطرة ، لكن لا يثبت فيه التكفير — غالبا — (٢) .

---

(١) سورة الجن : ١٤ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٧ — ١٨ وما بعدهما .

ابن الوزير يقرر مذهب السلف :

وقد جعل المذهب السلفي عماد دعوته في الامور السبعة السابقة ، وهذا المذهب يقوم على أساس من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهو في ذلك يقول بعد أن ذكر مخاطر البحث والتعمق في علم الكلام ، وما يجر اليه من العداوة والمباعدة والشك والحيرة والتكفير : (فلما عرفت ذلك كله علمت - من غير شك - صعوبة معرفة طريق النجاة من هذا الفن ، على الاكثرين وقد ألهم الله تعالى ، وله الحمد والشكر والثناء الى أسهل طريق وأخصره - في علمي - الى اليقين والنجاة ، ونصرة طريق الصحابة والسلف ، التي علم تقريرهم عليها بالضرورة من الدين ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وانما عنيت في توضيحها ، وتجديدها بعد دروسها ، ومداواة ما قد وقع من تغيير المغيرين لها ، كما أشار الى ذلك الحديث في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :
(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه) (١)

كما يقرر أنّ الاهمال لكتاب الله - تعالى - هو المدخل الوحيد لعلم الكلام ، وأهله غير متهمين بالتقصير - في نظر ابن الوزير - وانما أُتوا من أنهم تركوا الاعتماد على تعلم الحق من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٢) .
وسيأتي الكلام على الفطرة ومعانيها في أول الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

كما سلك في كتابه هذه الطريقة الآتية :
١ - جعل الكتاب والسنة المصدر الأساسي لاستنباط العقائد .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٧ والحديث متفق عليه البخاري ج ٧ كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ص ١٢٠ - ١٢١ ، مسلم ج ٤ كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ص ٢٠٤٧ ، وصحيح ابن حبان ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ ط المجد سنة ١٣٩٠ هـ .
(٢) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤ .

٢ ــ ترك كل ما يخاف من القول فيه العذاب الأليم كالتشبيه والتعطيل ، والتأويل الذى يحرف الكلم عن مواضعه .

وسيأتى هذا فى (الإلهيات) وفى موقف ابن الوزير من (الابتداع ...)

٣ ــ الوقوف عند المتشابه الذى لا يعلمه الا الله ــ عز وجل ــ ورد علمه الى الله ــ سبحانه ــ كما سيأتى الحديث عنه فى (الابتداع) .

٤ ــ القول بعدم المجاز الا عند وجود احدى القرائن الثلاث الآتية :

أ ــ **العقلية** التى يعرفها المخاطب والمخاطب ، كقوله تعالى : (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها (١)) أى أهلها ، وفى موضع اخر قرر أن هذا من باب حذف المضاف . كما سيأتى فى فصل (الابتداع ...) .

ب ــ **العرفية** : مثل (ياهامان ابن لى صرحا (٢)) أى مر من يبنى لأن مثله فى العرف لا يبنى ، أو بنى السلطان سور المدينة .

جـ ــ **اللفظية** : مثل اسد يرمى ، أو على فرسه ونحو ذلك . (٣)

وهذا من المسائل المختلف فيها فبعض العلماء منع هذا التقسيم ، ومنهم شيخ الاسلام ، وبعضهم يمنعه فى القرآن ويجيزه فى غيره ، وبعضهم يجيزه مطلقا ، ومنهم السيوطى وغيره (٤) من علماء البلاغة والاصول والله أعلم .

والاولى والاحوط عدم القول بالمجاز فى نصوص الوحى ، لأنه العصا

---

(١) سورة يوسف : ٨٢ .

(٢) سورة غافر : ٣٩ .

(٣) انظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٤ ــ ١٦٦ والروض الباسم فى الذب عن سنة ابى القاسم لابن الوزير .

(٤) انظر التفاصيل فى الايمان لابن تيمية ص ٧٥ وما بعدها صححه وعلق عليه محمد خليل هراس دار الطباعة المحمدية بالازهر ، والاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ٣٦ وما بعدها مطبعة حجازى بالقاهرة ، وروضة الناظر وجنة المناظر فى اصول الفقه لابن قدامة ص ٣٤ ــ ٣٥ بيروت ط أولى سنة ١٤٠١ هـ ومذكرة اصول الفقه لمحمد الشنقيطى ص ٥٧ من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

العوجاء التى يتوكأ عليها المأولون وهو الذى أدى بهم الى تأويل الأسماء والصفات وتعطيلها فأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة وغير ذلك، والله أعلم .

٥ ـ خلع قيود العصبيات المذهبية وترك التقليد فى تكفير الخصوم ، وترك جميع العبارات المبتدعة . وسيأتى بيانه فى (الابتداع) .

٦ ـ الأخذ بالاحوط فى الدين ، مخافة الوقوع فيما يؤول الى عذاب الله ـ عز وجل ـ كالقول بحكمة الله تعالى فى تدبيره ومخلوقاته ، وأقواله ، وذلك احوط من النفى لها .

واثبات صفات الكمال لله تعالى وحده ، ونفى صفات النقص ، والوقف عند الخفى .

فمن صفات الكمال البينة المعلومة من الدين ، ومن اجماع المسلمين ، ان الله على كل شئ قدير . وان ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وأنه يهدى من يشاء ويضل من يشاء . وأن له الحجة الدامغة ، والحكمة البالغة ، والارادة النافذة .

ومن صفات النقص المنفية عنه ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه الكريم ، أنه لايحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر وليس بظلام للعبيد ، ولا يريد ظلما للعباد ، وأنه لم يخلق السموات والارض باطلا ، وأنه يكره المعاصى ولا يحبها . (١)

٧ ـ ان الكلام فى ذات الله تعالى على جهة التفصيل والتصور أو الاحاطة على حد علم الله تعالى باطل ، بل من المتشابه الممنوع الذى لايعلمه الا الله ـ سبحانه ـ لقوله : (ولا يحيطون به علما (٢)) وانما تتصور المخلوقات وما هو نحوها ، وللنهى عن التفكر فى ذات الله تعالى . (٣)

---

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٥٤ ـ ١٧٦ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٧ ـ ٣٠٣ والترجيح له ص ١٦٨ .

(٢) جزء من آية فى سورة طه : ١١٠ .

(٣) معنى حديث متفق عليه البخارى جـ ٤ كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس ص ٩٢ مسلم جـ ١ كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة ص ١١٩ ـ ١٢٠ وانظر ايثار الحق على الخلق ص ٩٣ .

٨ — إن النظر فى سر القدر السابق فى الشرور — مع عظم قدرة اللـه تعالى — ورحمته — من المتشابه الواضح تشابهه ونفعه، فقد تحير الملائكة الكرام مع قربهم من اللـه — عز وجل — واستفسروا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فكان الجواب الجُملى : (إنى أعلم مالا تعلمون (١)) فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا : (لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٢)) وإذا كفى الملائكة العلم الجُملى كفى كثيرا من المسلمين . (٢)

٩ — ان ابن الوزير سلك فى اثبات وجود اللـه — عز وجل — طريقة القرآن التى وصفها بأنها أصح الطرق ، وأوضحها وآمنها من المهالك، وأنها طريقة السلف الصالح رضى اللـه عنهم وهى كما يلى :

١ — دلالة الفطرة .

٢ — دلالة الأنفس .

٣ — دلالة الآفاق .

٤ — دلالة المعجزات .

وسيأتى بيان ذلك ان شاء اللـه — تعالى — فى فصل (الالهيات) ومباحثه من الباب الثالث من هذه الرسالة .

١٠ — سلك فى الكلام على توحيد الاسماء والصفات ، طريقة السلف : إمرارها كما جاءت فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، على الوجه اللائق بجلال اللـه — عز وجل — وعظمته بلا تعطيل ولا تشبيه ، ولا تأويل على ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (٣)) وقوله : (ولا يحيطون به علما (٤)) .

وبالمقارنة بين معتقده ، ومعتقد السلف ، وأهل الحديث فى مبحث الاسماء والصفات ستجد — ان شاء اللـه — صحة هذا القول .

---

(١) سورة البقرة : ٣٠

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ص ٢١٩ .

(٢) سورة البقرة: ٣٢

(٣) سورة الشورى: ١١

(٤) سورة طه : ١١٠

١١ – وضع ابن الوزير – رحمه الله – قاعدة أساسية لمن يريد الحكم على مذهب معين ، أن يدرسه من مصادره الأصلية المنتسبة الى أهله ، ويطلع على جزئياته ، ولا يأخذه من كتب خصوم هذا المذهب ، لانهم قلما يصورونه بصورته الحقيقية ، وهذا هو التثبت والتبين الذى حث عليهما القرآن الكريم (١) .

١٢ – الانصاف ، فهو لا يغمط أحدا حقه ، بل يضع كل شخص فى مكانته اللائقة به فلا يمنعه من ذلك الانصاف ، مخالفة ذلك الشخص له فى الرأى لمجرد كراهه أو عداوة .

وهذه صفة ما أحوج الكثير من العلماء اليها ، خصوصا فى أيامنا هذه .

١٣ – **القرآن مصدر أدلة التوحيد :**

ومما يلحق بمنهج ابن الوزير – رحمه الله – اعتباره القرآن الكريم – كما سبق – مصدر أدلة التوحيد وينبغى الاستغناء به عن أدلة اليونان ، ومن أجل ذلك استهل كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) بمقدمة ذكر فيها تسع تنبيهات ، على عظم قدر القرآن الكريم ، بين فيها غناء القرآن الكريم ، ووفاءه على إثبات الربوبية ، والتوحيد والنبوات ، وحينئذ فلا داعى الى القوانين المبتدعة عند اهل الكلام ، وأن القرآن الكريم أجلّ نفعا وقدرا وأثرا من جميع تصانيف المتكلمين ، بل لا مقارنة بين ذلك .

ثم أورد التنبيهات المشار اليها وما فيها من الآيات القرآنية الدالة على وفاء القرآن بإثبات العقائد وغيرها (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمةً لقوم يؤمنون) (٢)

وختم تلك التنبيهات باجماع علماء الاسلام من جميع الطوائف على أن القرآن الكريم يفيد ما ادعاه من معرفة أدلة التوحيد ، من غير ظن ولا تقليد .

---

(١) ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص٦٦ .
(٢) سورة الآعراف : ٢٥ .

فكما أن المتكلم ينظر فى كتب شيوخه ، ليتعلم منها الادلة من غير تقليد غيره فكذلك من نظر فى القرآن يتعلم منه الادلة من غير تقليد ، بل القرآن العظيم هو الذى منه تعلم المتكلمون النظر ، لكنهم غالوا فى النظر فلم يقتصروا على القدر الكافى النافع المذكور فى كتاب الله تعالى (١)

ويعنى ابن الوزير بالنظر فى القرآن الكريم استخدام العقل فى فهم نصوصه وتدبره لا طريقة أهل الكلام . وسيأتى مزيد بيان لهذا فى الكلام على معنى الفطرة ان شاء الله تعالى .

ومما يهتم له ابن الوزير فى منهجه اختصاص القرآن الكريم بنوع من الاحتياط ، يبدو فيما يلى :

أولا : التعريف بمراتب المفسرين ، وهما عنده مرتبتان :

الأولى : مرتبة الصحابة ، وعلى رأسهم ابن عباس وابن مسعود ـ رضى الله عن الجميع ـ لما ثبت من الثناء عليهم فى القرآن الكريم .

الثانية : مرتبة التابعين ، ومن أشهرهم مجاهد بن جبر المكى ، وعطاء بن أبى رباح ، وقتادة بن دعامة ، وغيرهم ممن خرج عنهم فى دواوين الاسلام، الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها .

ثانيا : التعريف بمراتب التفسير فيما يرجع فيه الى الدراية ، وهى ـ عنده ـ سبعة أنواع :

الأول : تفسير المتكررات تكريرا كثيرا مثل آيات الاسماء الربانية ، والصفات ، والمشيئة ، والاسماء المعروفة بالدينية وهى الاسلام والايمان والاحسان ، والمسلمون والمؤمنون ، والمحسنون ، وكذلك أسماء الظالمين والفاسقين والكافرين وسائر ما يتعلق بالاعتقاد .

وهذا النوع ـ فى نظر ابن الوزير ـ ينبغى أن يكون مفردا فى مقدمات التفسير حتى يشبع فيه الكلام من غير تكرير ، فان اشتبه الصواب على أحد فى هذا القسم ، أو خاف وقوع فتنة من الخوض والبحث عنها والمناظرة ، ترك ذلك وكفاه الايمان الجُملى ، لما ثبت من حديث جندب بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اقرءوا القرآن ما ائتلفت

---

(١) انظر التفاصيل فى الترجيح لابن الوزير ص ٩ ـ ١٧ .

قلوبكم فاذا اختلفتم فيه فقوموا (١) .

والمراد عند ابن الوزير الاختلاف مع التعادى والتفرق ، دون الاختلاف مع التوالى والتصويب لما فى حديث عمر مع هشام بن حكيم فى اختلافهما فى القراءة ، وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم — لهما على الاختلاف فى القراءة ، ونهيهما عن الاختلاف فى التخطئة والمناكرة . (٢)

النوع الثانى : تفسير القرآن بالقرآن حيث يتكرر ذكر الشىء فى كتاب الله تعالى ، ويكون بعض الآيات أكثر بيانا وتفصيلا ، ومنه تفسير قوله تعالى : (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٣) .) بأهل الكتاب كقول مجاهد ، لقوله تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل (٤) .)

النوع الثالث : التفسير النبوى ، وهو مقبول بالنص والاجماع ، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٥) .)

ومنه تخصيص العمومات مثل تحريم الصلاة على الحائض ، وتفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وشروط قطع يد السارق ، ويلحق بذلك أسباب النزول .

---

(١) متفق عليه البخارى جـ ٦ كتاب فضائل القرآن باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ص ١١٥ مسلم كتاب العلم باب النهى عن اتباع متشابه القرآن — جـ ٤ ص ٢٠٥٣ — ٢٠٥٤ سنن الدارمى جـ ٢ ص ٣١٨ تحقيق عبد الله هاشم اليمانى دار المحاسن للطباعة بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .

(٢) اشارة الى القصة المذكورة فى البخارى جـ ٦ كتاب فضائل القرآن باب من لم ير باسا أن يقول سورة البقرة ص ١١١ وانظر منهج ابن الوزير هذا فى كتابه ايثار الحق على الخلق ص ١٥٦ وما بعدها وانظر شرح مسلم للنووى جـ ١٦ ص ٢١٣ — ٢١٩ فتح البارى جـ ٩ ص ١٠١ — ١٠٣ .

(٣) سورة النساء : ٢٧ .

(٤) سورة النساء : ٤٤ .

(٥) سورة الحشر : ٧ .

النوع الرابع : الآثار الصحابية الموقوفة عليهم ، وأجودها مالا تمكن معرفته بالرأى سواء رجعنا بالراى الى العقل أو إلى الاستنباط من اللغة .

وقد كانت عادتهم الاشعار بالرأى فى ذلك كما ذكره أبو بكر رضى الله عنه — حين فسر الكلالة برأيه (١) أما اذا جزموا بالتحريم ونحوه كان دليلا على رفعه ، وهذا يحتاج الى معرفة الإسناد إليهم .

النوع الخامس : ما يتعلق باللغة العربية على الحقيقة ، وتؤخذ من مصادرها الأصلية ، مع مراعاة تقديم : الحقيقة الشرعية ، ثم العرفية ، ثم اللغوية ، كحقيقة الصلاة فى الشرع بأنها أقوال وأفعال مخصوصة مبتدأه بالتكبير مختتمة بالتسليم (٢) على اللغوية التى هى الدعاء مأخوذة من قوله تعالى : (وصل عليهم) (٣) أى ادع لهم وكالدابة فى اللغة اسم لكل ما يدب ، خصصها العرف بالبهائم (٤) ومعرفة تفسير المشترك كالقرء بالأطهار والحيض (٥)

النوع السادس : المجاز ، وتعتبر فيه القرائن الثلاث :

١ — العقلية التى يعرفها المخاطب والمخاطب كقوله تعالى : (وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها) (٦) اى اهلهما وقيل ليس هذا من المجاز ، بل من باب حذف المضاف وهو من اللغة العربية ، كما قرره ابن قدامة . (٧)

---

(١) انظر تفسير ابن جرير جـ ٤ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ط الحلبى تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٠٠ تحقيق عاشور وزميليه ط دار الشعب بمصر .

(٢) كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتى جـ ١ ص ٢٥٥ وتسهيل الوصول الى فهم علم الاصول لعطية سالم ص ١٩ مطبعة المدنى .

(٣) سورة التوبة : ١٠٣

(٤) الصحاح للجوهرى جـ ٦ ص ٢٤٠٢ تحقيق العطار المصباح المنير للفيومى جـ ١ ص ٣٧١ تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٤٨ دار الشعب روضة الناظر لابن قدامة ص ٨٩ .

(٥) أنظر هذا المنهج فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦١ ومابعدها

(٦) سورة يوسف : ٨٢

(٧) روضة الناظر ص ٩٠ .

٢ ـ العرفية : مثل (ياهامان ابن لى صرحا) [١] أى مر من يبنى ، لأن مثله فى العرف لا يبنى .

٣ ـ اللفظية : كدلالة لفظ الأسد على الرجل الشجاع ، فانها استعملت فى غير ما وضعت له أولا اذ ا لوضع الاول الحيوان المفترس ، ومعلوم أن هذا من المسائل المختلف فيها فبعض العلماء ، منع هذا التقسيم بل منع المجاز أصلا ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبعضهم قصر المنع على القرآن الكريم ، وبعضهم أطلق الجواز ومنهم السيوطى وغيره من أهل البلاغة والاصول . [٢] والله أعلم .

النوع السابع : مالم يصح فيه شىء من جميع ما تقدم ، ويختلف فيه أهل التفسير كتفسير الحروف التى فى أوائل السور وتفسير الروح ونحو ذلك مما لم يصح دليل على تفسيره ، وليس معنا ضرورة تلجىء الى وجوب البحث عنه وهذا النوع قسمان :

قسم فيه مخاطرة كبيرة ، وخوف البدعة والعذاب ، وهو ما يتعلق بذات الله ـ تعالى ـ ونحو ذلك من المتشابهات .

وقسم دونه : مثل تعيين الشجرة التى أكل منها آدم واسمها ، وأسماء أهل الكهف ، وأسماء سائر المبهمات وتطويل القصص والحكايات ، فهذا ـ فى نظر ابن الوزير ـ لا بأس بنقله مع بيان أنه لم يصح فيه شىء ، وعدم تعلق مفسدة به ولا دخول شبهة فى تحليل أو تحريم [٣] . والله أعلم .

---

(١) سورة غافر : ٣٦ .
(٢) أنظر التفاصيل فى الإيمان لابن تيمية ص ٧٥ وما بعدها ، الاتقان للسيوطى جـ ٢ ص ٣٦ وما بعدها ، وليس هذا من باب التكرار بالنسبة لما سبق فى الكلام على المجاز فذاك فى منهج ابن الوزير العام ، وهذا فى منهجه فى التفسير .
(٣) ايثار الحق على الخلق ص ١٦٦ وما بعدها لابن الوزير والروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ٢٠٥ وأنظر تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول ص ١٩ .

١٤ ـ الاحاديث التى يحتج بها من السنة النبوية الصحيحة ، قلما يوجد فيها حديث ضعيف أو موضوع ، وان وجد ، فلا يفوته التنبيه عليه وهذا يدل على أن ابن الوزير على علم تام بما يستند اليه ، وانه من كبار المحدثين ، لأنه يتكلم بكلام أئمته ، كما قال الشوكانى وقد أثنى على ابن الوزير : (ويتكلم فى الحديث بكلام أئمته المعتبرين ، مع احاطته بحفظ غالب المتون ، ومعرفة رجال الاسانيد شخصا ، وحالا ، وزمانا ، ومكانا) (١)

وكتابه (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) فى الذب عن سنة أبى القاسم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يدلان دلالة واضحة على علو مكانة ابن الوزير العلمية وخاصة فى الحديث وعلومه ، فارجع اليهما ان شئت .

وله كتاب فى علوم الحديث سماه (تنقيح الانظار فى علوم الآثار) شرحه الأمير الصنعانى بـ (توضيح الأفكار) مطبوع .

ثم ان ابن الوزير ـ رحمه الله تعالى ـ يوجه نصيحته الى الذين أفنوا حياتهم فى البحث عن علم الكلام ـ كما افنى ابن الوزير شبابه فيه ـ الى الرجوع الى طريقة السلف ، لانه قد علم بالتجربة الضرورية أن أكثر جهل الحقائق انما سببه عدم الاهتمام بتعرفها على الانصاف ، لا عدم الفهم ، فان الله ـ سبحانه ـ قد أكمل الحجة بالتمكين من الفهم وانما أتى الاكثرون من التقصير فى الاهتمام .

ألا ترى أن المهتمين بمقاصد المنطقيين والمتكلمين يفهمونها ، وان دقت مع الصبر وطول الطلب فكيف لا يفهم طالب الحق مقاصد الانبياء والمرسلين ، والسلف الصالح مع الاهتمام بذلك وبذل الجهد فى طلبه ، ولطف أرحم الراحمين . (٢)

---

(١) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٨٤ .

(٢) ايثار الحق على الخلق ص ٢٦ .

ثم أن ابن الوزير — رحمه الله — يوجه هذه النصيحة القيمة الخصيصة لطلاب العلم حاصلها كالآتي :

ما اختلف فيه اختلافا تخاف مضرته في الآخرة، وكان الخوض فيه ليس بواجب شرعا، لاسيما اذا عظم الخطر في الخوض فيه، فاضرب عنه وطالب من دعاك اليه بالدليل الواضح على الوجوب ، واعرض ما أورد عليك فيه من الادلة على الفصحاء والاذكياء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينا من غير تقليد ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك في معرفة الحق ، ومن القواعد المقربة الى النجاة، كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الاخروى في أحدهما دون الآخر، فأبعد عنه واحذره . الا ترى أنك تخاف الكفر في جحد العلوم لا في ثبوتها وفي جحد الرب لا في الايمان به وفي جحد النبوات لا في اثباتها وفي التفريق بين الرسل لا في الايمان بجميعهم ، وفي عدم الايمان بما جاء به القرآن والسنة ، لأن خلاف السمع المعلوم كفر اجماعا لا في خلاف العقل المعلوم لانه ليس بكفر اجماعا وبالفطرة تدرك القوى من الضعيف في تلك المباحث الا ما دق وغمض فاتركه لاسيما مع دقة الشبه المعارضة كما تترك ما دق على بصرك في المرئيات [1] والله أعلم .

---

(١) الايثار لابن الوزير جـ١ ص ٣٣ — ٣٤ .

مميزات ابن الوزير الفكريه

قبل الدخول فى عرض بعض النماذج من مميزات ابن الوزير الفكرية — وان كانت كتبه خير شاهد على ما أقول — اعرض عليك شهادة عدليـــن خبيرين إماميين فى العلم ، هما الامام المعروف بالأمير الصنعانى سنة ١١٢٨ هـ والامام الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ من أن ابن الوزير يأت بفرائد علميـــة لم يسبق اليهـــا :

١ — قال الصنعانى يمدح ابن الوزير ، وكتابه (العواصم والقواصم) (... ووشحـــه بفوائد وفرائد [١] لاتوجـــد الا فيه ، ولم تخرج إلا من فيه) [٢] ما أبلغ هذه الشهادة التى عبر عنها البلاغيون بالحصر والقصر ، بطريقـــة النفى والاستثناء بتخصيص (العواصم) ومؤلفـــه بفوائد وفرائد مقصورة عليهما [٣]

٢ — وما وصفه به الصنعانى يتفق ، وما وصفـــه به الشوكانى بقوله : (يشتمل — أى العواصم — على فوائد فى أنواع من العلوم ، لاتوجـــد فى شىء من الكتب ... وقد يأتى فى كثير من المباحث بفوائد لم يأت بهـــا غيره ، كائنا من كان) [٤]

قلت : من ذلك قول ابن الوزير فى معرض حديثه عن الاشتغال بالأهم فالمهم من العلوم ، فهى وان كانت حقا : (فقد يكون من الحق ما هو حـــرام بالاجماع والنص كالغيبة والنميمة ... [٥]) فالاشتغال بذلك حرام ، لما تضمنـــه من المفاسد والله اعلم

---

(١) الفرائد جمع فريدة ، وهى الجواهر النفائس ، والدر اذا نظم ، والشىء الذى لانظير له أ هـ القاموس المحيط للفيروزآبادى ج ١ ص ٣٢٢ .

(٢) توضيح الافكار للصنعانى شرح تنقيح الانظار لابن الوزير ج ٢ ص ٢١٣ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ط أولى سنة ١٣٦٦ هـ

(٣) أنظر جواهر البلاغة لاحمد الهاشمى ص ١٨١ ط الثانية عشرة بيروت .

(٤) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩١ .

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤١

وقوله فى القدر : (إن فسر القدر بالعلم ، ونحوه ، فالمذموم من نفاه ، وإن فسر بالجبر والاكراه ، فالمذموم من أثبته) وحكايته الاجماع على أن القدر يتعزى به فى المصائب ، ولا يحتج به فى المعائب (١) . وغير ذلك مما سيأتى ان شاء الله تعالى .

نماذج من (العواصم والقواصم) :

١ ـ قال ابن الوزير : (قال المعترض : المسألة الثالثة فى رواية كفار التأويل ، وفساقه (٢) ، وقد قدمنا أن قاضى القضاة روى الاجماع على رد روايتهم ، وتأويل كلام الفقهاء) أى أن المعترض قدح على أهل الصحاح فى روايتهم لأحاديث فساق التأويل ، وكفاره الذين يرتكبون المعاصى ، متأولين وكذلك أصحاب البدع المتضمنة للتكفير ، والتفسيق ، مع أن هؤلاء المتأولين قائمون بأركان الاسلام .

وقد سمى الرسول عليه الصلاة والسلام ـ أصحاب معاوية مسلمين فى مناقب الحسن ، بل سماهم الله عز وجل ـ مؤمنين بقوله : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى ، حتى تفىء الى أمر الله (*) ....) .

وقد رد ابن الوزير على هذه المسألة فى فصلين :

الفصل الأول : تتبع فيه كلام المعترض ، واورد عليه ما يبلغ مائتى إشكال أو تزيد ، صرح بذلك ابن الوزير أكثر من مرة ، ولكنى تتبعتها فوجدتها أربعة وثمانين ، ومائة اشكال ، فيحتمل أنه سقط بعضها فى بعض النسخ ، أو أثناء التصوير ، أو خطأ منى فى العدد ، فقد ذكر هذه الارقام التى ذكرها ابن الوزير ، الامام الشوكانى وذكر الصنعانى (٣) أنها مائة وزيادة

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣٠٧ .

(٢) الفسق الترك لأمر الله تعالى والعصيان والخروج عن طريق الحق ، أو الفجور ـ انظر القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٧٦ ، الصحاح للجوهرى ج ٤ ص ١٥٤٣ ، وأساس البلاغة للزمخشرى ص ٧١٤ .

(٣) فى توضيح الافكار ج ٢ ص ٢٣٣ .

(*) سورة الحجرات : ٩

على سبعين إشكالا والغريب هل يوجد من يورد هذا العدد من الاشكالات فى مسألة واحدة ؟! وقد وشح هذه الإشكالات بفوائد وفرائد لا توجد فى غيره.

وأما الفصل الثانى : فقد خصصه ابن الوزير لذكر الأدلة على قبول المتأولين، ومعارضة الحجج التى أوردها خصمه من العمومات ودعوى الاجماع على رد رواياتهم، وقد حوى هذا الفصل مسألتين :

الأولى : الكلام على قبول خبر فاسق التأويل، كما ذكر الادلة على ذلك، وعارض الحجج التى ابرزها المعترض بخمس وثلاثين حجة، فى قبول خبر فساق التأويل بعشرات الطرق، والوجوه عن أئمة الزيدية، وعلمائهم، الذين يجب على المعترض قبول رواياتهم، وأسند كل طريق الى أصحابها كما ذكر كتبهم التى ادعوا فيها اجماع الصحابة — رضى الله عنهم — على قبول خبر أهل التأويل مطلقا : كفارهم، وفساقهم، وهى مدرسى الزيدية، ومعتمدها (١).

وقد أشار الى هذا شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (فلو ترك رواية الحديث عنهم -أى أهل البدع- لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم) (٢).

— المسألة الثانية، فى الكلام على قبول خبر كفار التأويل، وقد أتى فيها بالعجب العجاب بكثرة ما أورده من الوجوه، وطرق الاستدلال، وكل ما يلزم الخصم على قواعد مذهبه، وبهذا يكون المعترض قد هدم مذهبه، وخالف جميع سلفه، وكذب ثقات أصحابه، وقدح على كبار أئمته، لأن الظاهر من مذهب الزيدية، قبول أهل التأويل مطلقا، كفارهم وفساقهم.

قال الصنعانى بعد أن ذكر حجج ابن الوزير المقررة فى كتب الزيدية، الدالة على قبول خبر كفار التأويل بدلالة الالتزام قال الصنعانى : (ولا يخفى

---

(١) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ ورقه ٨٣ — ١٢٤ — ١٣٩، الروض الباسم له جـ ٢ ص ٢٣٧ وما بعدها، توضيح الافكار للصنعانى جـ ٢ ص ١٩٨ — ٢١٣.

(٢) مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص ٢١٢ جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم النجدى بمساعدة ابنه محمد صورة عن الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ.

أن هذا الزام لا محيص عنه (١) .

وبهذا يتبين أن غرض ابن الوزير إلزام خصمه الزيدى ، من معتقد الزيدية ، ومدرسها وإلا فقد ذكر الخلاف ، فى قبول خبر فساق التأويل ، وكفاره عند أئمة الحديث كمالك سنة ١٧٩ هـ وأحمد سنة ٢٤١ هـ والشافعى ٢٠٤ وابن الصلاح سنة ٦٤٣ هـ ، وزين الدين العراقى ، والخطيب البغدادى الشافعى وغيرهم ، وجماعة من المتكلمين والأصوليين فى مسألة قبول رواية المبتدع ومنهم فساق التأويل وكفاره كالجبرية والمشبهة والروافض ، والخوارج ومع هذا فأهل القبلة مختلفون فى كفرهم كما سيأتى فى الكلام على افتراق الأمة ان شاء الله تعالى .

كما ذكر حجج القابلين لروايتهم ، والمخالفين فى ذلك ، وأتى بما هب ودب فى هذا من قواعد المحدثين والأصوليين والمتكلمين (٢) ، فليراجع الأصل من له عليه قدرة ، وإلا فليراجع مختصره .

بعد كتابة هذا وجدت كلاما للحافظ ابن حجر ذكره السخاوى بعد أن ذكر أقوال أهل هذا الشأن فى هذه المسألة قال : (قال شيخنا : والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعة ، لأن كل طائفة تدعى أن مخالفيها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكفرها .

فلو أخذ ذلك على الاطلاق ، لاستلزم تكفير جميع الطوائف ، فالمعتمد أن الذى ترد روايته من أنكر أمرا متواترا من الشرع ، معلوما من الدين بالضرورة ـ أى اثباتا ونفيا ـ فأما من لم يكن بهذه الصفة ، وانضم الى ذلك ضبطه لما يرويه ، مع ورعه وتقواه ، فلا مانع من قبوله أصلا ـ وقال أيضا :

---

(١) توضيح الأفكار للصنعانى جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ١ ورقة ١٣٩ وما بعدها ، الروض الباسم له جـ ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ توضيح الأفكار للصنعانى جـ ٢ ص ٢٢٠ - ايثار الحق لابن الوزير ص ٤١٤ وما بعدها علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٠٣ - ١٠٤ ، تدريب الراوى للسيوطى جـ ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٨ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٨٥ هـ .

والذى يظهر أن الذى يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله ، وكذا من كان لازم قوله ، وعرض عليه فالتزمه أما من لم يلتزمه ، وناضل عنه ، فانه لا يكون كافرا ، ولو كان اللازم كفرا (١) .

٢ - مسألة القدر ، جمع فى القدر ، ووجوب الايمان به سبعة وعشرين حديثا ، ومائتى حديث من غير الآيات القرآنية التى تقارب المأة .

ذكر فيما ورد من النهى عن الخوض فى القدر عشرة أحاديث ، وأسندها الى مصادرها ، وبين مافيها من صحة وضعف .

قسم أحاديث القدر الى قسمين :

أحدهما : مايدل على ثبوت القدر وصحته .

وثانيهما : ما يدل على وجوب الايمان به ، وذم من كذب به ، بعضها فى (الأمهات الست) (٢) وبعضها فى غيرها ، ونبّه على مافى أسانيد غير الأمهات ، ليتمكن الباحث من الوقوف على ذلك فى كتب الرجال، أورد فيما يتعلق بالقسم الأول - وهو ما يدل على ثبوت القدر وصحته - خمسة وسبعين ومائة حديث بألفاظها .

وسرد فى القسم الثانى : وهو مايدل على وجوب الايمان بالقدر وذم منكره اثنين وسبعين حديثا (٣) بألفاظها أيضا ، وبعد هذا الجمع الكثير ذكر ابن الوزير أنه فاته بعض الأحاديث الصحيحة .

واليك نموذجا من كلامه فى الأفعال والدواعى المتعلقين بمسألة القدر وهو قوله : (... ثم أن الله تعالى بعد ترجيح العاصى للعصيان

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوى جـ ١ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ دار الكتب العلمية بيروت ط أولى سنة ١٤٠٣ هـ وأنظر توضيح الافكار للصنعانى جـ ٢ ص ٢٣٦ حيث نقل هذا النص بحروفه ما عدا قوله : والذى يظهر ... ففيه اختصار غير مخل بالمعنى وأنظر التفاصيل فى المسألة فتح المغيث للسخاوى جـ ١ ص ٣٢٧ وما بعدها .

(٢) الأمهات الست : هى الصحيحان والسنن الأربع لأبى داود ، والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٣ وهم ٢٨ ص ٢٠٦ - ٢٧٢ .

باختياره الموافق لعلم الله ، وقدره ومشيئته ، لا يزال - سبحانه - يفعل مرجحات الطاعة والموقظات عن الغفلة ما يؤكد الحجة البالغة ويجددها ، تفضلا منه سبحانه ، تارة بما يفعله من الأمراض ، كما قال تعالى : (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) (١)

وتارة بما يريهم من مصارع آبائهم وأبنائهم ، وإخوانهم ، وجيرانهم ، قال تعالى : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (٢)

وتارة بما يقرع أسماعهم من مواعظ الله - عز وجل - وحججه على ألسنة أنبيائه وأوليائه ، فلا يزال سبحانه وتعالى يقابل الدواعى الى معصيته بالدواعى الى طاعته ، والعاصى لا يزداد الا تماديا على سوء اختياره ، وطول غفلته ، كما شكاه نوح - عليه السلام - من قومه (٣) ، ولذلك عظم الله - تعالى - شأن التذكر والموجب للترجيح ، وقال فى غير آية : (لعلهم يذكرون) أى لمحبته ذلك لهم ، وطلبه منهم عند أهل السنة وقال فى الغافلين : (أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (٤) .

وتأمل قوله تعالى : (بل هم أضل) فانه يدل على أن الله - تعالى - مكنهم من اختيار الصواب بخلاف الأنعام ... ومع ذلك فان اختيار العبد لا يكون الا موافقا لعلم الله وقدره ومشيئته) (٥) .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٦ .
(٢) سورة الملك : ٢ .
(٣) لعل ابن الوزير يشير الى شكوى نوح عليه السلام من قومه فيما قصه الله - سبحانه - فى مواضع كثيرة من القرآن حتى أنزل الله سورة باسمه وفيها ما يشير ابن الوزير اليه فى قوله تعالى : (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا ، فلم يزدهم دعائى الا فرارا ، وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا) . سورة نوح : ٥ - ٧ .
(٤) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٥) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٣ وهم ٢٨ ص ٢٠٥ .

٣ ـ بسط الكلام فى مسألة الروءية فى مقدار ثمانين ورقة فى العواصم،(١) ونقل عن ابن القيم من حادى الأرواح ٤٩ صفحة على التوالى وسبعة وعشرين حديثا ، عن سبعة وعشرين أو ثلاثين صحابيا ، من الصحاح والسنن والمسانيد .

كما سرد أقوال كبار التابعين والأئمة الأربعة ونظرائهم ، كل هذا فى معرض الرد على المعتزلة الزيدية النافين روءية الله تعالى فى الآخرة .

كما ذكر أقوالهم وأدلتهم من الأصول الخمسة ، وطول الكلام فى هذه المسألة ليوءيد مذهب السلف وأهل الحديث فى اثبات روءية الله ـ عز وجل ـ فى الآخرة ، وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله ـ تعالى ـ فى (المعارك الكلامية) .

٤ ـ أورد فى اثبات حكمة الله ـ تعالى ـ فى أقواله وأفعاله ما يقارب مائة آية فى العواصم(٢) ردا على من ينفيها من غلاة الأشعرية(٣)

والآن ننتقل الى نماذج أخرى من العواصم وغيره .

١ ـ إعمال النظر : يستخدم ابن الوزير العقل فى فهم النصوص ، وفيما للعقل فيه مجال ، يبدو ذلك واضحا فى قوله : (ولما وقف المشار اليه ـ أى خصمه ـ على أبياتى هذه التى منها :

أصول دينى كتاب الله لا العرض * * وليس لى فى أصول غيره غرض

حسب أنى استدللت بالسمع على السمع ، وظن أن مرادى أصول دينى السمع لا العقل وظن أن أهل السنة لا يرون العقل شيئا كأنه لا يعلم اجماع المسلمين أنه لا تكليف على صبى ولا مجنون ، ولا بد من نظر العقل ، وكذلك أمر الله ـ عز وجل ـ بتدبر كتابه فبأىّ شىء يتدبّر الا بالعقل ، وانما منعوا من وضع النظر فى غير موضعه ، ومن

---

(١) جـ ٢ وهم ١٦ فصل ٢ .

(٢) جـ ٣ وهم ٢٨ .

(٣) أنظر غاية المرام فى علم الكلام للآمدى ص ٢٢٤ .

الطرائق المبتدعة (١) .

٢ - كثرة الاطلاع على أقوال أهل الملل والنحل ، وشدة التعمق في استقصائها وشرحها ، واسنادها الى مراجعها ، وقائليها - غالبا - حتى ليغلب على ظن القارىء أنه يجيدها أحسن من أصحابها .

من ذلك على سبيل المثال مافي كتابه (ايثار الحق على الخلق) حصرت المراجع التي أشار اليها فيه الى نصف الكتاب المذكور تقريبا فبلغت ستين مصدرا ، وهذا بالنسبة للمصادر المتعلقة بالعقيدة وأصول الفقه ، من كتب أهل السنة الذين هم أهلها ، ومن كتب المنتسبين اليها ، ومن كتب العترة والزيدية والمعتزلة والشيعة والروافض والمرجئة وغيرهم وعجزت عن حصر الباقي .
أما مصادر التفسير والحديث التي أشار اليها فلم أتعرض لحصرها ، فقد تكون أكثر من هذا العدد .

هذا بالنسبة لهذا المؤلف المختصر القيم ، فكيف لو حصر مافي كتابه (العواصم والقواصم) الذي هو أضخم وأجود مؤلفاته الذي وصفه الشوكاني بأنه : (يشتمل على فوائد في أنواع من العلوم لا توجد في شيء من الكتب (٢)) .

وبالجملة فان ابن الوزير اذا تكلم في المسألة الواحدة أشبعها بحثا لا في علم من العلوم فحسب ، بل يتناولها من علوم شتى ، وكلما تكلم في فن من الفنون ظن القارىء أنه لا يحسن غيره ، حتى اذا انتقل الى فن آخر يتعلق بالمسألة ذاتها يظن القارىء ما ظنه قبل ذلك ، وهكذا كما قال الشوكاني : (وهو - أي ابن الوزير - اذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر بعده الى النظر في غيره من أي علم كانت) . (٣) وخير شاهد على ذلك مصنفاته لاسيما (العواصم والقواصم) .

---

(١) العواصم والقواصم جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ١١٤ وهو تحت الطبع والتحقيق ، ولو كان الشوكاني حيا لقرت عيناه بل طبع منه الجزء الأول
(٢) البدر الطالع جـ ٢ ص ٩١ .
(٣) البدر الطالع للشوكاني جـ ٢ ص ٩١ .

٣ ـ الدقة وعمق التفكير ، ولعل ذلك من فوائد عزلته أثناء التصنيف فقد أخبرني بعض آل الوزير ممن لديهم معرفة تامة بأحواله ، بأنه صنف (العواصم والقواصم) في جبال (١) بني مسلم ، وبعضهم أخبرني أنه في كهف من كهوف جبل نقم(٢) ، وبعضهم في غير ذلك ، ويمكن الجمع بين الأقوال بأنه صنف بعض الكتاب في هذا ، وبعضه في ذاك ، أو بعض مصنفاته هنا ، وبعضها هناك ، والأمر سهل ان شاء الله تعالى .

ومعلوم أن الباحث الخالي عن الضوضاء ، يصفو له الجو ، ويساعده ذلك على حسن التفكير وعمقه ، وحينئذ يغوص في بحار العلم ، متى شاء وكيف شاء ، ويستخرج منه نفائسه ، وفرائده التي قد يعجز عن استخراجها الكثير من العلماء ، من ذلك تعليقه على قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٣) بقوله : (جمع بين الرد على طوائف المبطلين ، فأولها رد على المشبهة ، وآخرها رد على المعطلة ، وفي ترتيبها سر لطيف ، لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه ، فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه) (٤)

وقد أشار الى هذا الشوكاني بقوله : (وقد يأتي في كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره كائنا من كان) (٥)

---

(١) في بلاد (بريم) منطقة (ذمار) تبعد عن صنعاء بمسافة ٢٠٠ كيلوتقريبا وكان يسمى قديما يحصب ولا يعرف هذا الاسم الا الخاصة كذا في حاشية الاكليل للهمداني تحقيق الاكوع جـ ٨ ص ١٨٧

(٢) هوالجبل المطل على صنعاء من الجهة الشرقية .

(٣) سورة الشورى:١١ :

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣٨ .

(٥) البدر الطالع للشوكاني جـ ٢ ص ٩١ .

واذا ما قارنت بين كلامه ، وكلام أهل عصره ، بل شيوخه ، فانك لا تجد مقارنة ، لا في الأسلوب ، ولا في الأفكار ، ولا في شدة المعارضة وقوة الحجة ، اذ منحه الله - تعالى - من الملكة في تقوية بعض الأدلة ~~في تقوية بعض الأدلة~~ التي يقويها على اختلاف أنواع ذلك بوجه صحيح ، ولفظ صريح ، مع الجمع بين البراهين العقلية والنقلية ، وهكذا في تضعيف بعض الأدلة .

وحينما تطلع على كلامه في بعض المسائل قبل معرفته تظن أنه من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، أو تلميذه بن قيم الجوزيه ، أو ابن حزم ، لما أشرت اليه من شدة المعارضة ، وقوة الحجة ، وقد تظن أنه تتلمذ على شيخ الاسلام هذا لما بين كلامهما من الشبه ، شاهد ذلك مصنفاته يوءيد ذلك ماقاله الشوكاني : (وكلامه - أي ابن الوزير - لا يشبه كلام أهل عصره ، ولا كلام من بعده ، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية) . (١)

٤ - كثرة النقول فيما يقوى حجته على الخصم - لا سيما اذا كان في معرض سياقه لكلام السلف وأهل السنة والمحدثين وأدلتهم ، فإنه يأت بما يبهر (٢) لب القارىء لكثرة ما يورد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعلمائهم وخاصة من جمع منهم بين النقل والعقل - رضي الله عنهم أجمعين .

من ذلك على سبيل المثال ما نقله في (العواصم والقواصم) في سياق دفاعه عن أهل الحديث الذين وصمهم بعض غلاة المتكلمين بالبله وجمود الفطنة لقلة ممارستهم للعلوم النظرية ، واقتصارهم على فن الحديث . (٣)

---

(١) البدر الطالع للشوكاني جـ ٢ ص ٩١ وأنظر مطلع البدور لابن أبي الرجال خ جـ ٤ ص ٢٧٣ .

(٢) من باب نفع أي غلبه وفضله ، ومنه قيل للقمر : الباهر : لظهوره على جميع الكواكب - المصباح المنير للفيومي جـ ١ ص ٧١ .

(٣) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير خ جـ ٢ الوهم ١٥ ورقة ٣٤

وكان من جواب ابن الوزير على هذا أنهم لم يتركوا علم الكلام لجمود فطنهم أو لدقته وغموضه بل للنهى الوارد عن ذلك كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى فى (المعارك الكلامية) ، وانه قد خاض ودقق فى علم الكلام غير واحد من المحدثين ، ومن أخصر مايستشهد به على ذلك كما يقول ابن الوزير : (كلام شيخ الحنابلة المتكلم أحمد بن تيمية الحرّانى) . ثم نقل الاصلين والمثلين والقواعد الست من الرسالة التدمرية لابن تيمية بلغ مجموع ما نقله على التوالى حوالى سبعين صفحة (١) خلاصة ذلك مايلى :
أما الاصلان فأحدهما : ان القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض؟
وأما الاصل الثانى : فان القول فى الصفات كالقول فى الذات وقس على ذلك سائر كلامه المتضمن الرد على الفرق الضالة فى اثبات وجود الله تعالى والكلام فى أسمائه وصفاته والرد عليهم بمجمل عقيدة السلف . (٢)

ويظهر من هذا ان ابن الوزير معجب بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية فى كثير من القضايا والمسائل كما هو واضح من مصنفاته .

٥ — **الامانة العلمية فى النقل :**

انه يسند مانقله أو ذكره الى مؤلفه مع ذكر الباب أو الفصل من الكتاب كما فعل ذلك فى عدة مواضع :

١ — من ذلك ما ذكره عن صاحب الجامع الكافى معتمد فقه الزيدية فى آخر الجزء السادس من النهى عن تكفير المختلفين فى أصول الدين . (٣)

٢ — وذكر عن الدميرى حكمة الله فى خلق الداء والدواء فى جناحى الذباب ... وقال : ذكره الدميرى فى حياة الحيوان من حرف الذال .

---

(١) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ ورقة ٥٩/ وما بعدها وانظر مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٧ — ٨٨ .
(٢) راجع التفاصيل فى مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٧ — ٨٨ .
(٣) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤٨ .

٣ ــ وقال : وذكر الذهبى فى ترجمة عكرمة فى الميزان مايدل على تعليل الاحكام فى موضوع الحكمة . (١)

٤ ــ وقال : وذكر ابن كثير فى الأول من البداية والنهاية فى قصة نوح ــ عليه السلام ــ وتفسير قوله ــ تعالى ــ : (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان اللـه يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) (٢)

٥ ــ وقال ابن الوزير : (وبوب البخارى بابا فى ذلك ــ أى فى إثبات الحكمة ــ فقال فى التوحيد والرد على الجهمية باب قول اللـه ــ عز وجل ــ (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) (٣) وذلك من البخارى اشارة الى مذهب أهل السنة فى اثبات الحكمة . (٤)

وقال أيضا (ومن ذلك ما رواه الحافظ ابن كثير من طرق فى خلق آدم من الجزء الأول من البداية والنهاية) (٥)

ومن ذلك ماذكره عن الغزالى فى القصور عن الاحاطة بحقيقة معرفة اللـه تعالى واسمائه ونعوته من جميع الوجوه : فقال : (قال الغزالى فى الفصل الرابع من مقدمات المقصد الأسنى كذا وكذا) (٦)

وقال أيضا فى أثناء حديثه عن توحيد المعتزلة : (ذكره مختار فى الباب السادس من خاتمة ابواب العدل فى كتابه المجتبى (٧).

وقال أيضا فى أثناء حديثه على الفائدة الخامسة فى الكلام على القضاء والقدر : (الوجه السادس ماذكره ابن قيم الجوزية فى الجواب الكافى . (٨)

---

(١) ايثار الحق لابن الوزير ص٢٠٠ ــ ٢٠١ .
(٢) سورة هود : ٣٤ وانظر الايثار ص ٢٠١ والبداية والنهاية لابن كثير ج١ ص١٠٩
(٣) سورة الانعام : ٧٣ .
(٤) الايثار لابن الوزير ص ٢٠٥ وانظر البخارى ج ٨ كتاب التوحيد ص ١٦٧
(٥) الايثار له ص٢٢٦ .
(٦) الايثار له ص ١٨٩ .
(٧) الايثار له ص ١٠٤ .
(٨) العواصم والقواصم له ج ٣ وهم ٢٨ ص ٣١٢

٦ — التصنيف من حفظه — أحيانا — كما صرح بذلك في عدة مواضع :

١ — منها في مسألة قبول كفار التأويل في العواصم (١) حيث قال : (وجملة ماحضرني من الطرق عشر طرق) وعدّدها وهذا فيما عدا النقل .

٢ — كذلك في موضع آخر (٢) منه قال : (واحسبه في مجموع زيد) وهذا أيضا يدل على انه يكتب من حفظه — غالبا — .

٣ — كذلك في موضع آخر (٣) منه قال : (وجاء في فضل أويس القرني مالـم يحضرني) وهذا يدل على انه يكتب ايضا من حفظه .

٤ — وفي (الترجيح) له (٤) ذكر اثنين وعشرين وجهـا من حفظه كما هو ظاهـر كلامه — تؤيد القول بأن المتشابه لا يعلمه الا اللـه — عز وجـل — .

٥ — وقال في الروض الباسم (٥) بعد أن ذكر كلام الخطابي في معالم السنن في معنى القدر ، وابن الاثير في جامع الاصول والجويني في البرهـان قال بعد ذلك : (وفي كلام الفخـر ابن الخطيب الرازي أشياء مـن ذلك فاتني لفظها .

٦ — وفي الروض (٦) أيضا في سياق الكلام على الروايات من طريق مـروان ابن الحكم قال : (قد خاض الناس في ذلك خوضا كثيرا قديمـا وحديثا) وبعد كلام كثير قال : (ولم يحضرني وقت كتابة هذا الجواب شيء من الكتب .... ولا حفظت في ذلك ما يقنع الا ما ذكره الحاكم المحسّن بن كرامة المعتزلي في كتابه شرح العيون ...) .

٧ — ولما جاءته رسالة المعترض تردد في كيفية الجواب بين الايجـاز والاطناب وصده عن التوسع عدة أسباب أهمهـا عدم توفر الأسفـار .

---

(١) جـ ١ ورقـة ١٢٤ .
(٢) جـ ١ ورقـة ١٤٨ .
(٣) جـ ١ ورقـة ١٤٤ .
(٤) ص ١٤٩ وما بعدها .
(٥) جـ ٢ ص ٢٣١ .
(٦) جـ ٢ ص ١٣١ — ١٣٢ .

وقال : (ومن أين يتأتى ذلك أو يتهيوء لى وأنا فى بواد خوالى وجبال عوالى فتمصصت من بلل أفكارى برضاه وما أكفى ذلك وأرضى اذا كان طيبا محضا) .(١)

٨ — كذلك ذكر فى كتابه ايثار الحق(٢) على الخلق فى سياق حديثه عن خروج عصاة الموحدين من النار قال :
(والذى حضرنى(٣) الآن من الاحاديث المصرحة بخروجهم من النار أحاديث كثيرة جدا عن أكثر من عشرين من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

٩ — كذلك ذكر الخلاف فى مسألة تعذيب أطفال المشركين ، ومن لم تبلغهم الدعوة ، والشيخ الفانى والمعتوه والاصم وذكر الاقوال والاحاديث ومافى أسانيدها من صحة وضعف . وبعد أن ذكر كلاما كثيرا قال :
(وهذا جملة ما حضرنى من صحيح وضعيف فى حجة أهل هذا القول)(٤) اى بأنهم فى الجنة والدليل على ذلك الاستفاضة عند الكثير من علماء اليمن من ان ابن الوزير صنف (العواصم والقواصم) فى بطون الاودية الخوالى ، ورءوس الجبال العوالى .

وقوله الآتى شاهد على ذلك حينما وصف الحالة التى يعيشها : (ومن أين يتأتى ذلك ، أو يتهيوء لى وأنا فى بواد خوالى وجبال عوالى ، وأنشد أبياتا منها :

فحينا بطود تمطر السحب دونه * * أشم منيف بالغمام موءزر
وحينا بشعب بطن واد كأنه * * حشا قلم تمسى به الطير تصفر(٥)

ومما يدل على أنه يوءلف من حفظه أحيانا أنه نسب حاوى الارواح

---

(١) مقدمة العواصم والقواصم ورقة ١ والروض الباسم جـ ١ ص ١١ والبرض بسكون الراء القليل يقال ماء برض أى قليل أ هـ الصحاح للجوهرى جـ ٣ ص ١٠٦٦
(٢) ص ٣٨٦ .
(٣) حضرنى كذا أى خطر ببالى أ هـ مصباح جـ ١ ص ١٥٢ .
(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٣ وهم ٣٠ ص ٤٨٢ .
(٥) الروض الباسم له جـ ١ ص ١٠ .

الى شيخ الاسلام ابن تيمية (١) ومعلوم أنه لتلميذه ابن قيم الجوزية ولوكان الكتاب موجودا لديه لما حصل هذا الوهم ولكنه فى موضع آخر نسبه الى ابن القيم والله أعلم .

١٠ـ وفى إثناء حديثه عن المنع عن التصرف فى عبارات الكتاب والسنة ، لجواز الخطأ على العلماء فى فهم المعنى ، أو التعبير عما فهموا ، أو فيهما معاً ، قال : (والدليل على ذلك أمور كثيرة ، أذكر منها ما حضرنى والله الهادى) . (٢)

وفى أثناء حديثه عن اثبات الحكمة قال : (والذى حضرنى منها سبعة أمور ، وعددها واحدا واحدا من حفظه ، كما هو ظاهر كلامه) (٣)

وبالجملة فهذا عادة كثير من العلماء الحفاظ ، الذين يكتبون ، ويحدثون من حفظهم ، وهذا مشهور . فلا غرابة اذا كتب ابن الوزير من حفظه ، فقد شهد له بالحفظ جماعة من كبار العلماء كابن أبى الرجال سنة ١٠٩٢ هـ والصنعانى سنة ١١٨٢ هـ ، والشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ وغيرهم .

---

(١) ايثار الحق له ص١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٤١ ـ ١٤٣ .

(٣) ايثار الحق له ص٢٨٤ والعواصم والقواصم له ج ٣ وهم ٢٨ .

٧ ـ ثقته بنفسه :

لا عبرة عند ابن الوزير بمن قال ، وإنما العبرة بما قال كائنا من كان ، ومن هذا المنطلق نبه على حديث رواه البخارى فى صحيحه بأنه مقلوب وقد احتج به نفاة الحكمة ـ على حد تعبير ابن الوزير ـ غلاة الأشعرية .

والحديث من طريق صالح بن كيسان عن الاعرج عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ : (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما ، فقالت الجنة يارب مالها لا يدخلها الا ضعفاء الناس وسقطهم [١] وفى رواية : (مالى لا يدخلنى إلا ...) ، وقالت النار [٢] ـ يعنى أوثرت بالمتكبرين [٣] ـ فقال الله تعالى للجنة ، أنت رحمتى ، وقال للنار ، أنت عذابى أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها قال : فأما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه أحدا ، وأنه ينشىء للنار من يشاء فيلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع فيها قدمه فتمتلىء ويرد بعضها الى بعض فتقول قط قط قط) . [٤]

وجه استدلال القائلين بنفى الحكمة من الحديث : اذا كان الله ـ تعالى ـ ينشىء خلقا للنار بلا ذنب فما وجه الحكمة فى خلقهم ؟ وفى ذلك دلالة عند هؤلاء على انتفاء الحكمة .

---

(١) بفتحتين جمع ساقط وهو النازل القدر الذى لا يؤبه له ، وسقط المتاع رديئه وفى رواية : (وعجزهم) بتشديد الجيم وفى رواية (وغرثهم) بتشديد الراء وتخفيفه أى غفلتهم والمراد به أهل الايمان الذين لم يتفطنوا للشبه ولم توسوس لهم الشياطين بشىء من ذلك فهم أهل عقائد صحيحة وايمان ثابت وهم الجمهور وأما اهل العلم والمعرفة فهم بالنسبة اليهم قليل كذا فى الفتح للحافظ جـ ١٣ ص ٤٣٦ .

(٢) قال الحافظ فى الفتح جـ ١٣ ص ٤٣٦ (قال ابن بطّال سقط قول النار هنا فى جميع النسخ وهو محفوظ فى الحديث) .

(٣) ابن الوزير لم يثبت هذه الكلمة فى الحديث كما فى كتابه ايثار الحق على الخلق ص ٢٣٤ .

(٤) البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب ماجاء فى قول الله تعالى : (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ص ١٨٦ ـ ١٨٧ وأنظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٢٣٤ .

وهذا الاستدلال يتضمن قصر باع المتكلمين في الحديث وعلومه ، وإلا لما استدلوا به وهو مقلوب كما سيأتي بيانه قريبا ان شاء الله .

وفي مناقشة ابن الوزير لما قيل حول هذا الحديث ما يقتضي أنه من أهل هذا الشأن ، وفرسان هذا الميدان ، وليس الخبر كالعيان فلا سبيل الى استقصاء ماقاله من مصطلحات الحديث ، لانه يطول المقام ، وسنلمح الى ذلك لمحة سريعة مع الاشارة الى مظان ذلك من مؤلفات ابن الوزير .

تعقيب ابن الوزير على الحديث من ناحية الرواية :

إن هذا الحديث مقلوب أي سبق لفظ الراوي من الجنة الى النار ، ولم يوافقه عليها مسلم ولا غيره من أهل السنن ، كما وقع القلب في صحيح مسلم في حديث السبعة الذين يظلهم بظل عرشه يوم القيامة ، فذكر منهم (رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ماتنفق شماله) (١) وإنما انقلب على بعض الرواة ، وصوابه ما خرجاه معا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في هذا الحديث بعينه ، وفيه (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . (٢)

---

(١) مسلم جـ ٢ كتاب الزكاة باب فضل اخفاء الصدقة ص ٧١٥ وانظر شرح مسلم للنووي جـ ٧ ص ١٢٢ حيث قال : (هكذا وقع في جميع نسخ مسلم في بلادنا وغيرها وكذا نقله القاضي عياض عن جميع روايات نسخ مسلم (لاتعلم يمينه ماتنفق شماله) والصحيح المعروف (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) هكذا رواه مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وغيرهما وهو وجه الكلام ، لأن المعروف في النفقة فعلها باليمين) .
وأورده محمد فؤاد عبد الباقي في اللؤلؤ والمرجان ، فيما اتفق عليه الشيخان باللفظ المتفق عليه ، ولا يوجد في مسلم غير هذا اللفظ المقلوب مع انه علق على هذا الحديث في الصفحة المشار اليها بنقل كلام النووي الآنف الذكر بحروفه .

(٢) البخاري جـ ١ كتاب الاذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ص ١٦١ كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين ص ١١٦ جـ ٨ كتاب المحاربين ص ٢٠٧ وانظر ايثار الحق على الخلق ص ٢٣٤ ، ولم أجد ما اتفقا عليه كما قال ابن الوزير ، وهو معارض لكلام النووي السابق من أنه هكذا والله أعلم .

فحكم كل عارف بانقلابه لما اتفقا عليه فى ذلك ، ولأنه المناسب فان اليمين هى المنفقة ، وخرجه مسلم لتقوية أصل الحديث بهذا الاسناد ، لا لكونه ظن حجة هذا المتن المقلوب ، مع مخالفته للمعقول والمنقول ، ولم يتهم أحد مسلما بجهل ذلك .

وكذلك حديث الجنة والنار ، فانهما اتفقا على اخراجه على الصواب من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم (١) قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتى أرحم بك من اشاء من عبادى ، وقال للنار : انما أنت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منهما (٢) ملوءها ، فاما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول : قَطْ قَطْ ، فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فأن الله عزوجل ، ينشىء لها خلقا) (٣) الى هنا اللفظ المتفق عليه .

وفى لفظ لمسلم من حديث انس : (لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها الى بعض وفى بعض روايات مسلم : (حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط) (٤) .

---

(١) فى مسلم : زيادة : (وغرتهم) ولها ثلاثة معان أوضحها البُلْه الغافلون الذين ليس لهم حذق فى امور الدنيا أنظر شرح مسلم للنووى ج ١٧ ص ١٨١ .

(٢) فى مسلم : (منكما) .

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة البخارى ج ٦ تفسير سورة ق ص ٤٨ مسلم ج ٤ كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ص ٢١٨٦ اللوءلوء والمرجان ج ٣ ص٢٩٠-٢٩١م الحلبى .

(٤) مسلم ج ٤ كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ص ٢١٨٧ وبمعنى قط قط حسبى حسبى وفيها ثلاث لغات سكون الطاء وكسرها منونة وغير منونة الصفحة نفسها .

وفى موضع آخر فى البخارى عن أنس بلفظ : (لا يزال يلقى فيها ، وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه ، فينزوى بعضها الى بعض ثم تقول : قدْ قدْ بعزتك وكرمك ، ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) (١)

وقد تتبع ابن الوزير — رحمه الله — روايات هذا الحديث وما يتعلق بعلوم الحديث ، وما قيل فى رجال هذا السند فى مواضع كثيرة من الصحيحين وبين ان هذا الحديث المتفق عليه هو المعمول به وأن الحديث الذى استدل به نفاة الحكمة تفرد به البخارى ومقلوب ايضا وقد قرر هذا غير واحد من علماء الحديث منهم ابن القيم فى (حاوى الارواح) . وابن حجر فى (الفتح) عن جماعة من الأئمة ، وأن البخارى قد نبه على ذلك حيث قال ابن القيم : (وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة : (وأنه ينشئ للنار من شاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد) فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده ، فانه سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه ، فانه لا يعذب إلّا من قامت عليه حجته وكذب رسله) (٢) .

---

(١) البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم ص ١٦٦ .

(٢) الحاوى لابن القيم الباب التاسع والستون ص ٣١٩ — ٣٢٠ وأنظر فتح البارى للعسقلانى جـ ١٣ ص ٤٣٧ .

تعقيب ابن الوزير من ناحية الدراية :

١ - ان هذا الحديث المقلوب جعل تنزيه الله - تعالى - عن الظلم ، عند ذكره الجنة ، فأوهم بذلك أن من أدخله الله - تعالى - الجنة بغير عمل ، كان ظلماً ، وهذا من افحش الخطأ ، فان الحور العين ، والاطفال في الجنة بغير عمل ، وهذا هو الموضع الذي لا يسمى ظلما عند أحد من المسلمين ، ولا من العقلاء ، ولا أشار الى ذلك شيء من السنة ، ولا من اللغة ، ولا من العرف ، وانما ذكر هذا في النار ، اشارة الى أن التعذيب بغير ذنب هو شأن الظالمين من الخلق ، والله - تعالى - حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين خلقه محرما كما في الحديث الصحيح (١) بل كما تمدح بذلك رب العالمين . (٢)

وفي هذا اشارة من ابن الوزير - والله أعلم - الى قوله تعالى : (.... وما أنا بظلام للعبيد) (٣) (ولا يظلم ربك احدا) (٤) .

٢ - ان القاعدة في كمال الأفعال ، أن يكون صدورها عن الحكمة البالغة ، في توجيهها الى المصالح الراجحة والعواقب الحميدة ، فكلما ظهر فيها ذلك ، كان أدل على حكمة فاعلها وعلمه ، وحسن اختياره وكلما بعدت عن ذلك ، كانت اشبه بالآثار الاتفاقية ، وبأفعال الصبيان والمجانين . (٥)

---

(١) هذا معنى أول حديث أبي ذر الطويل المشهور بالحديث القدسي في صحيح مسلم ج ٤ كتاب البر باب تحريم الظلم ص١٩٩٤ - ١٩٩٥ .

(٢) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣٧ .

(٣) سورة ق : ٢٩ .

(٤) سورة الكهف : ٤٩ .

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٩٧ .

تعقيب على كلام ابن الوزير — رحمه الله تعالى —:

بناء على ما عودنا عليه ابن الوزير من التشجيع على البحث ، وعدم التقليد ، وان العبرة بالقول لا بصاحبه ، فأقول :

ما قرره ابن الوزير من قلب الحديث ، الذى انفرد به البخارى ، فى مخاصمة الجنة والنار ، هو الصواب ، لما بينه ابن الوزير فى تعقيبه على الحديث المذكور ، من ناحيتى الرواية والدراية ، يؤيده ما تقرر سابقا من كلام ابن القيم ، وابن حجر ، وغيرهما ، ولأن ما اتفق عليه الشيخان ، مقدم على ما تفرد به البخارى وهذا مقدم على ما تفرد به مسلم ، وهكذا كما تقرر فى علوم الحديث . (١)

وأما ما مثل به ابن الوزير ، فيما تفرد به مسلم ، من حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه من القلب والغلط من بعض الرواة ، وذكر منهم : (رجلا تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله) وأن صوابه ما خرجاه معا ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، فى الحديث بعينه ، وفيه :(ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه) فقد بحثت بحثا شديدا عن هذا اللفظ الذى قال ابن الوزير إنهما أخرجاه معا ، ولم أقف عليه ، ولم يوجد فى صحيح مسلم الا اللفظ المقلوب ، يؤيد هذا ما قرره النووى وغيره ، سابقا ، من انه مقلوب ، وقد رواه البخارى ، ومالك (٢) ، وغيرهما باللفظ الصواب ، السابق ذكره وقد مثل به الحافظ بن حجر فى (نزهة النظر) للمقلوب ، وقال : (فهذا مما انقلب على أحد الرواة ، وانما هو : (.. حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) كما فى الصحيحين) (٣) وهذا يؤيد كلام ابن الوزير من أن صوابه ما خرجاه معا

---

(١) انظر التفاصيل فى علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٣ وتدريب الراوى للسيوطى جـ ١ ص ١٢٢ — ١٢٣ نزهة النظر لابن حجر ص ٣١ تقديم اسحق عزوز الناشر المكتبة العلمية .

(٢) الموطأ للامام مالك جـ ٢ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ ط الحلبى .

(٣) نزهة النظر لابن حجر ص ٤٧ .

ولكنه معارض بكلام النووى الآنف الذكر من أنه هكذا فى جميع نسخ مسلم فى عصر النووى ·

كذلك النسخ التى بين أيدينا ، وحينئذ يكون ابن الوزير أصاب ، فى كلامه ، على حديث محاجة الجنة والنار ، ووهم فى حديث السبعة الذى صرح بأنهما أخرجاه معا ، وتبعه فى هذا الوهم الحافظ بن حجر لما مثل بالحديث المذكور للمقلوب وأن صوابه : (حتى لا تعلم شماله ، ما تنفق يمينه) وقال : (كما فى الصحيحين) ، ولم يوجد فى الصحيحين بهذا اللفظ بل فى صحيح البخارى وحده كما ذكرت سابقا ، لكن الحافظ قرر فى (الفتح) عكس مافى (النزهة) حيث قال : (ووقع فى صحيح مسلم مقلوبا : (حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله) (١) .

ثم حكى ما نقلته عن النووى ، والقاضى عياض ، سابقا من أنه مقلوب فى جميع نسخ مسلم التى وصلت الى القاضى عياض والنووى ، وهذا تعارض واضح وقد تعذر عندى الجمع بين مافى (الفتح) وما فى (النزهة) وان عدلت الى النسخ فيحتاج ضبط المتأخر من الكتابين المذكورين فهو متعسر عندى ، فلم يبق إلا ترجيح ما قرره الحافظ فى (الفتح) على مافى النزهة) لأن هذا يتفق وما قرره القاضى عياض والنووى ويتفق ايضا مع مافى صحيح مسلم كما فى النسخ القديمة والحديثة ، وبهذا يرتفع الوهم عن الحافظ ابن حجر ولم أجد تخريجا يرفعه عن ابن الوزير — رحمه الله — يشاركه فى ذلك صاحب

اللؤلؤ والمرجان - رحمه الله - فيما اتفق عليه الشيخان ، حيث اختلط عليه الأمر فذكره فيما اتفق عليه الشيخان باللفظ الذى لا يوجد فى صحيح مسلم ، وهذا لا يتفق وتعليقه على حديث مسلم المقلوب السابق ذكره ·

والحاصل أن هذا الحديث المذكور فيه السبعة الذين يظلهم الله فى ظله لم يخرجاه معا بهذا اللفظ المقلوب وانما انفرد به مسلم وأن الصواب ما تفرد به البخارى من أنه لا تعلم شماله ما تنفق يمينه · والله أعلم ·

---

(١) فتح البارى جـ ٢ ص ١٤٦ شرح مسلم للنووى جـ ٧ ص ١٢٢ واللؤلؤ والمرجان لمحمد فؤاد جـ ١ ص ٢١٦ ·

البـــاب الثانـــــى

الفرق الدينية فى عصر ابن الوزير

وفيـــه فصول :

الفصل الأول : التفرق وأخطاره المؤدية الى التفسيق والتكفير .

الفصل الثانى : السلفية فى اليمن وموقف ابن الوزير منهـــــا .

الفصل الثالث : المعتزلة فى اليمن وموقف ابن الوزير منهـــــا .

الفصل الرابع : الزيدية فى اليمن وموقف ابن الوزير منهـــــا .

الفصل الخامس: الأشعرية فى اليمن وموقف ابن الوزير منهـــــا .

الفصل السادس: الباطنية فى اليمن وأثرها السئ وموقف ابن الوزير منهـــــا .

الفصـــــل الأول

ooooooooooooooooooooooooo

التفرق وأخطاره المؤدية الى التفسيـق والتكفيـــــــــــــــــر

ooooooooooooooooooooooooooooooo

أ ـ لمحة عن التفرق وأسبابه فى نظر ابن الوزير .

ب ـ العوامل الرئيسية للابتداع فى نظر ابن الوزير .

جـ ـ حديث افتراق الأمة والكلام عليــه .

د ـ حكم أصحاب البدع .

هـ ـ مسألة التكفير وموقف ابن الوزير منها .

و ـ تحقيق الكلام فى مسألة التكفير .

لمحة عن التفرق وأسبابه فى نظر ابن الوزير :

ان الباحث اذا نظر الى شدة الخلاف بين طوائف المسلمين فى أصول الدين فانه يجد أن الذى وسع دائرة الخلاف والضلال والجدال هو :

١ - البحث عما لا يعلم ، والسعى وراء مالا يدرك ، فى الطريق التى لا توصل الى الغرض ، والتقليد لمن يظن اصابته وهو مخطىء ، والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لا سبيل الى معرفتها ، فان البحث عنها لا يوصل الى يقين ولا اتفاق ، بل يذكى نار الأحقاد ، ويقوى أسباب الافتراق ، وهذا غير سبيل المرسلين، والسلف الصالح المؤمنين ، كما سيأتى بيانه فى (مبحث الأسماء والصفات) وفى (الابتداع والتقليد) ان شاء الله تعالى .
وقد توعد الله - جل وعلا - من سلك غير سبيل المرسلين والمؤمنين بسوء المصير والعذاب الأليم (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم ،وساءت مصيرا) (١) .

٢ - ان كثيرا من الفرق لا تكتفى بتخطئة غيرها من الفرق ، بل تذهب الى تفسيقها وتكفيرها ، وهذا نتيجة اعتقاد كل طائفة أنها على الحق ، وأن غيرها على الباطل ، وهذا هو دأب أهل الكلام ، أهل الأهواء والابتداع، الناشىء عن منهجهم القائل : طريقة الخلف أعلم مع اعترافهم بأن طريقة السلف أسلم ، وكذبوا فطريقة السلف أعلم وأسلم وأحكم ، فقد أثنى الله - عز وجل - عليهم بأنهم صادقون ، وأن الله - تعالى - رضى عنهم ورضوا عنه ، وأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وشهد لهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنهم خير القرون ، ولم يكن شىء من ذلك للخلف المبتدعين ، أتباع أرسطو معلمهم الأول ، وسائر الفلاسفة اليونانيين .

---

(١) سورة النساء : ١١٥ وأنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ١ ص ٤ - ٥ وما بعدها .

بل ورد الذم لأهل الأهواء والابتداع ، فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (١) .

وقد أرشد الله ـ عز وجل ـ الى طريق السلامة بقوله : (وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢) وبقوله : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٣) .

وقد بين صلى الله عليه وسلم ـ معالم هذا الطريق السوى بأصول الاسلام وفروعه حتى تبين حكم الخراءة ولم يتعرض لشئ من قواعد أهل الكلام ، وقال : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك) .

وفى رواية : (لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء) (٤)

٣ ـ تعلق أهل الزيغ والابتداع من الطوائف بالمتشابه ويجعلونه دليلا على ماهم عليه من البدع ويجادلون عنه أشد الجدال ، ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال وحذر من عواقبه الوخيمة ، وأنذر من اتباع أهله ، وأنه علامة لأهل الزيغ الذين يتبعون متشابه القرآن بقصد الفتنة والتحريف لا بقصد رد المتشابه الى المحكم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة أو التوقف اذا لم يتبين الصواب ، كما هو مذهب بعضهم ، قال الله تعالى : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) . (٥)

---

(١) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ . (٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٤) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٤ ـ ١٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط الحلبى .

(٥) سورة آل عمران آية : ٧ .

قالت عائشة - رضى الله عنها - : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الآية . . . قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم .) (١)

وبالجملة فالاختلاف كائن قديما وحديثا ، فقد دلت الأدلة السمعية ، والعوائد التجريبية على امتناع الاتفاق فى تفاصيل الحكم وغيرها ، فقد وقع الاختلاف بين الملائكة ، والأنبياء - عليهم السلام - وهم من أهل العصمة . قال الله - تعالى - مخبرا عن رسوله عليه الصلاة والسلام : (ماكان لى من علم بالملأالأعلى اذ يختصمون) (٢)

واختلف الملائكة فى حكم قاتل المائة نفس ، كما اختلف سليمان وداود ، وموسى وهارون ، وموسى والخضر أيضا ، وفى هذا دلالة على أن علة الاختلاف هى التفاضل فى العلم ، وليس هذا من الخلاف المذموم ، الذى حصل بين فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم فى فروع المسائل .

وانما الخلاف المذموم خلاف أهل الكلام ، الناشىء عن البحث فيما لا مجال للعقول فى معرفته ، وادراكه ، والمؤدى الى الفرقة والتباغض ، والتفسيق والتكفير) (٣) .

وأما اختلاف وجهات النظر فيما للاجتهاد فيه مسرح بين علماء المسلمين مع صفاء النفوس فلا مانع من ذلك اذ ليس الغرض منه الا الوصول الى الحق ، وان من أكبر الخطأ عدم الاعتراف بالخطأ ، فاذا جاز على أهل العصمة فما بالك بغيرهم ؟ .

---

(١) البخارى جـ ٥ تفسير سورة آل عمران ص ١٦٦ ، وسنن ابن ماجه جـ ١ ص ١٨ ، سنن الترمذى بتحفة الأحوذى جـ ٨ تفسير سورة آل عمران ص ٣٤١ مطبعة الفجالة بمصر سنة ١٣٨٣ هـ مسلم جـ ٤ كتاب العلم باب النهى عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعه ص ٢٠٥٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى نشر وتوزيع ادارة البحوث العلمية والافتاء .

(٢) سورة ص آية : ٦٩ .

(٣) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٩ .

وقد جاء فى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل بنى آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون) (١)

واذا كان الخطأ من طبيعة البشر ، فكيف يستطيع أى انسان انكاره ، وهو ضرورى ، وليس فى الخطأ مذمة فالرجوع الى الحق فضيلة ، وإنما التمادى فى الباطل رذيلة .

وبهذه المناسبة ندعو ـ بحرارة ـ طوائف المسلمين للرجوع الى كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والى طريقة السلف الصالح لا فى الاعتقاد فحسب ، بل وفى السلوك ، والى ترك التقليد والجمود ، والتعصب ، والى تحكيم شريعة الله فى أرضه ، وبذلك ـ لا بغيره ـ ، تكون وحدة المسلمين ، ثم النصر على أعدائهم فى الشرق والغرب .

---

(١) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى جـ ٧ ص ٢٠٢ سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب الزهد ص ١٤٢٠ مسند الدارمى جـ ٢ ص ٢١٣ ، مسند أحمد جـ ٣ ص ١٩٨ .
قال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث على بن مسعدة عن قتادة قلت كل هؤلاء رووه عن طريق على بن مسعدة الباهلى هذا قال ابن حجر صدوق له أوهام وقال ابن معين صالح وقال أبو حاتم لا بأس به ، وقال النسائى ليس بالقوى ، وقال البخارى فيه نظر ، وقال ابن عدى أحاديثه غير محفوظة ، أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٧ ص ٣٢٨ ، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم جـ ٦ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجى جـ ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، وحكى العجلونى فى الكشف الحكم عليه بأنه صحيح وسنده قوى كما حكى ضعفه أيضا وقال الحاكم صحيح .

العوامل الرئيسية للابتداع فى نظر ابن الوزير :

لا شك أن إعراض أهل الكلام ـ أهل الأهواء والابتداع ـ عن المحجة البيضاء النقية المستقيمة الى الطرق العوجاء الملتوية ، هو أكبر عامل أدى بهؤلاء الى الابتداع فى الدين ، ولذلك قرر ابن الوزير وكرر أن هذا ناشئ عن الأسباب الآتية :

١ ـ تنكب طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم ـ طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، والفطرة التى فطر الله الناس عليها .

٢ ـ الزيادة فى الدين بتجويز المبتدعين خلو كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ـ كما يزعمون ـ ولو بالنظر الدقيق ، وسيأتى بيان هذا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع . . .) ان شاء الله تعالى .

٣ ـ النقص من الدين برد النصوص والظواهر الى المجاز بدون موجب قاطع للتأويل ، الا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام ، فى قواعد لم يتفقوا عليها ، كتأويل الباطنية للأسماء الحسنى ، ونفيها عن الله ـ عز وجل ـ بدعوى التنزيه ، وتحقيق التوحيد ، وأن اطلاقها على الله ، يقتضى التشبيه ، ونفى الصفات الثابتة لله ـ عز وجل ـ فى الكتاب ، والسنة ، بالتأويل الباطل .(١)

وقد شاركهم فى تعطيل بعض الصفات ، وتأويل بعضها بعض الفرق الآتى ذكرها قريبا ان شاء الله تعالى .

الا أنهم يختلفون فى المبررات ، فبعضهم سلك هذه الطريق عن حسن نية ، أو تقليد لمتبوعه ، لأنه لا يعلم صوابا غيره ، بدليل أنه اذا اطلع على الصواب وفهمه رجع اليه كأبى الحسن الأشعرى وغيره .

---

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦-٨٧ وما بعدها وأنظر ما يؤيد هذا من كلام ابن تيمية فى فتاويه جـ ٣ ص ٣٥٠ حيث قرر أن مبدأ البدع هو الطعن فى السنة بالظن والهوى كما طعن ابليس فى أمر ربه بهواه .

وبعضهم قد رسخ فى قلبه منهج أهل الكلام ، بل ران على قلبه ، فلايرى الحق الا فيه ، وأمثال هؤلاء ليس رجوعهم الى الصواب بالأمر السهل ، وانه ليسير على من يسره الله عليه والمهتدى من هداه الله تعالى .

وسيأتى فى (ذم الكلام) أو (المعارك الكلامية) أن فحول أهل الكلام قد رجعوا فى أواخر حياتهم الى عقيدة السلف ، بل تمنى بعضهم أن يكون على عقيدة العوام والعجائز لنقاء فطرتهم وسلامتها من كدورة مصطلحات أهل الكلام .

وقس على هذين النوعين ما أشبههما فى الماضى والحاضر .

٤ - التعرف فى عبارات الكتاب والسنة ، بالعبارات المبتدعة .

وهذه الطرق الثلاث قد تضمنتها الأولى ، ويجمعها كلها : الابتداع وتقليد المتكلمين .

وسيأتى هذا ان شاء الله تعالى مفصلا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد) .

ومما ينبغى التنبيه اليه أن معظم الفرق ، تاهوا فى البحث ، والتدقيق فى الأمور الآتية :

١ - الكلام فى ذات الله - عز وجل - على جهة التفصيل أو الاحاطة ، فقد ثبت النهى عن ذلك كما سيأتى بيانه .

٢ - النظر فى سر القدر السابق فى الشرور ، مع عظم رحمة الله تعالى ، وأنها غلبت غضبه ، وأنه على كل شىء قدير .

ويلحق بهما البحث فى :

٣ - فواتح بعض السور ، لمعرفة المراد منها .

٤ - البحث فى المجمل الذى لا يظهر معناه بعلم ولا ظن .(١)

وسيأتى هذا مفصلا ان شاء الله تعالى فى (الأسماء والصفات) وفى موقف ابن الوزير من الابتداع ...) .

---

(١) ماتضمنته الأرقام مقتبس من كلام ابن الوزير وسيأتى الاشارة الى مصادره فى فصل (الابتداع والتقليد) وفى (الاسماء والصفات) ان شاء الله تعالى .

حديث افتراق الأمة والكلام عليه :

ثم ان هذا الاختلاف قد أخبر به الصادق المصدوق قبل وقوعه ، وذلك من دلائل صدق نبوته ، فقد قال عليه الصلاة والسلام - : (تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة (١)) .

وفي رواية عن ابن عمرو مرفوعا : (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار الا ملة واحدة ، قال : من هي يارسول الله ؟ قال : (ما أنا عليه وأصحابي) (٢) .

وفي رواية عن أبي هريرة مرفوعا : (افترقت اليهود على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة .)

وفي رواية عن معاوية مرفوعا عن طريق أزهر الحرازي : (.. ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب .. افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) (٣) .

---

(١) سنن الترمذي بتحفة الأحوذي جـ ٧ - الايمان باب افتراق هذه الأمة ص ٣٩٧ - ٣٩٨ عن أبي هريرة وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) سنن الترمذي بتحفة الأحوذي جـ ٧ - الايمان باب افتراق هذه الأمة ص ٣٩٩ - ٤٠٠ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لأن في سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي (وهو ضعيف) كذا في تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٤٠٠ وقال البخاري : في حديثه بعض المناكير كذا في الضعفاء الصغير له ص ٧٠ دار الوعي حلب.

(٣) سنن أبي داود مع عون المعبود جـ ١٢ كتاب السنة ص ٣٤٠ - ٣٤٢ مسند أحمد جـ ٢ ص ٣٣٢ سنن ابن ماجه جـ ٢ الفتن ص ١٣٢١ - ١٣٢٢ صحيح الجامع الصغير وزياداته للالباني جـ ١ ص ٣٥٧ وسلسلة الاحاديث الصحيحة رقم ٢٠٣ - ٢٠٤ كلاهما طبع المكتب الاسلامي. وذكر حديث معاوية بن الوزير ضمن الستين حديثا التي سرد روايتها

====

قال الامام أحمد بن حنبل وقد ذكر عنده هذا الحديث : (ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى منهم (١)) •

وفى رواية عن عوف بن مالك الاشجعى مرفوعا : (تفترق امتى على بضع وسبعين فرقة اعظمهم فتنة على امتى قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال • (٢))

== عن معاوية فى (العواصم) جـ ١ ورقة ١٧٧ وفى الروض ٣٠ حديثا جـ ٢ ص ٢٦٢ وهذا الحديث قد رواه جماعة من الصحابة غير هوءلاء رضوان الله عليهم اجمعين منهم أنس بن مالك وابو سعيد الخدرى وأبى بن كعب وأبو أمامة وغيرهم ، وانظر الشريعة للآجرى سنة ٣٦٠هـ ص ١٤ ـ ١٥ تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٩ هـ كما ذكره ابن الوزير ايضا فى (العواصم والقواصم) خ له جـ ١ ورقة ١٧٣ ولم أجد مانسبه اليه الكوثرى كما حكاه عنه الالبانى فى الاحاديث الصحيحة فى الكلام على حديث الافتراق هذا رقم ٢٠٤ من ان ابن الوزير قال : (اياك أن تغتر بزيادة : كلها فى النار الا واحدة) فانها زيادة فاسدة ، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة ، وقد قال ابن حزم : (ان هذا الحديث لا يصح) وانما الذى نسبه ابن الوزير الى ابن حزم قوله : (وعن ابن حزم أن هذه الزيادة موضوعة) ذكر هذا ابن الوزير فى أثناء دفاعه عن الصحابة ، ومنهم معاوية الذين طعن فيهم الشيعه) ومنهم الزيدية حيث سرد ماله من الاحاديث فى كتب السنة مع شواهدها من طرق أخرى عن جماعة من الصحابة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ كما ذكرت سابقا وذكر ما حكم به الترمذى على الحديث •

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص ٢٥ •

(٢) رواه ابن حزم بسنده فى المحلى جـ ١ ص ٨٢ تحقيق وتصحيح زيدان أبو المكارم وحسن زيدان طلبه دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ ولم أجد كلاما لابن حزم يقدح فى هذه الرواية أو فى غيرها وقد يوجد كلام له لم اطلع عليه فقد وجدت وسمعت أن ابن حزم حكم بوضع هذا الحديث ولم أجد ذلك لا فى (المحلى) ولا فى (الفصل) كما قيل ، كذلك مانسبه الكوثرى الى ابن الوزير لم أجده لكنى لا أجزم بنفيه ولا اثباته فقد بحثت عن هذه الكلمة فى (العواصم) خ حتى كلت عيناى لان النسخة المصورة عندى غير واضحة والله اعلم •

استدراك :

بعد تحرير ماسبق وجدت ما اسنده الكوثرى الى ابن الوزير ، من القدح فى زيادة : (كلها فى النار الا واحدة) من حديث معاوية لأن فى سنده ـ كما قال ابن الوزير ـ ناصبى (١) ، وذلك اثناء تعداد ابن الوزير فضائل الأمة المحمدية المرحومة ، وأنه يدخل الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب (٢) ، ومع كل ألف سبعون ألفا ، وثلاث حثيات من حثيات ربنا . (٣)

وأن النبى صلى الله عليه وسلم ـ خير بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة ، فاختار الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئا (٤) ، وأنهم أكثر صفوف أهل الجنة (٥) وأنهم كالشعرة البيضاء ـ بالنسبة لسائر الأمم ـ فى الثور الأسود . (٦)

كما ذكر هذا ابن الوزير أيضا أثناء تعريضه بغلاة الفرق الذين يكفر بعضهم بعضا ، بدون دليل شرعى قطعى ، بل لمجرد دعوى كل طائفة

---

(١) هو أزهر بن عبد الله الهوزرى وينسب الحرازى قال الحافظ فى تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ الهند ط أولى سنة ١٣٢٧ هـ قال ابن الجارود فى كتابه الضعفاء كان يسب عليا ، وقال ابو داود : انى لأبغض أزهر الحرازى ، وقال الحافظ أيضا : لم يتكلموا إلا فى مذهبه ، وقد وثقه العجلى وقال فى التقريب ج ١ ص ٥٢ صدوق تكلموا فيه للنصب وهذا يدل على دقة كلام ابن الوزير ، وأنه من أهل هذا الفن .

(٢) معنى حديث رواه البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ص ١٨٣ ومسلم ج ١ كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف الجنة بغير حساب ولا عذاب ص ١٩٧ ـ ١٩٩ .

(٣) معنى حديث رواه الترمذى فى سننه مع تحفة الاحوذى ج ٧ ص ١٢٩ وقال حديث حسن غريب .

(٤) معنى حديث أخرجه الشيخان البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب كيف الحشر ص ١٩٥ وسلم ج ١ كتاب الايمان باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ص ٢٠٠ .

(٥) معنى حديث رواه الترمذى فى سننه مع التحفة ج ٧ ص ٢٥٥ وقال : حديث حسن .

(٦) معنى حديث أخرجه الشيخان البخارى ج ٧ كتاب الرقاق باب كيف الحشر ص ١٢٦ ومسلم ج ١ كتاب الإيمان باب كون هذه الامة نصف اهل الجنة ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

أنها هي الناجية ، قال ابن الوزير في هذه الزيادة : (واياك والاغترار " بكلها هالكة الا واحدة " فانها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة ، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة) ، وعن ابن حزم سنة ٤٥٦ هـ أنها موضوعة (١) ، وكذلك جميع ماورد في ذم القدرية والمرجئة والاشعرية (٢) فانها أحاديث ضعيفة غير قوية ذكر ذلك الحافظ زين الدين أبو حفص عمر بن بدر الدين الموصلي سنة ٦٢٣ في كتابه (المغني عن الحفظ والكتاب) (٣) بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب ... وأين هذه الاحاديث من الدليل القطعي الذي شرطناه — أي في التكفير — وأين هي من ملائمة كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله — عليه أفضل الصلاة والسلام — قال تعالى :

---

(١) أسند هذا ابن الوزير الى ابن حزم (•) في مواضع من كتاب (العواصم والقواصم من ذلك في ج ١ ورقة ١٧٣ وحكاه عن صاحب (البدر المنير) الحافظ ابن الملقن النحوي الشافعي وقد بحثت عنه ولم أقف عليه وممن أسند هذا الى ابن حزم، انكوثري كما حكاه عنه الالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة اثناء تصحيحه لهذه الزيادة رقم الحديث ٢٠٤ ومحمد محي الدين عبد الحميد محقق (الفرق بين الفرق) للبغدادي في المقدمة وسمعت بعض مشايخنا يحكي الضعف والوضع لهذه الزيادة عن ابن حزم، وقد أخرج لها الالباني سبع طرق كلها واهية الا واحدة في سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ من طريق الوليد بن مسلم فهو وان كان مدلسا فقد صرح بالتحديث فالسند صحيح ، لكن لا يلزم من ذلك صحة المتن كما هو مقرر في علوم الحديث.

(٢) الاشعرية لم أقف على ذكرهم في الحديث .

(٣) أنظر المغني عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شيء من الاحاديث للموصلي ص ١٩ ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ وقد نقده أبو اسحق الحويني الأثري حجازي بن محمد شريف (معاصر) بكتاب عنوانه (فصل الخطاب بنقد كتاب المغني عن الحفظ والكتاب ص ٣ ط دار الكتب العلمية بيروت كذلك الشاطبي صرح في الاعتصام ج ٢ ص ٢٢٧ بأن أحاديث القدرية غير صحيحة وقال ابن الجوزي في الموضوعات ج١ ص٢٦٨ حديث القدرية مجوس هذه الامة موضوع وضعه الابرد ابن الاشرس .

(•) وكذلك المحدث أحمد شاكر في هامش المحلى ج ١ ص ٨٢ تحقيق أحمد شاكر نفسه وصرح باسناد الوضع الى ابن حزم في كتابه (الفصل)

===

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم) (١) وقال تعالى : (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (٢) فقيد ذمهم بعلمهم وقال تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) (٣) وصح فى تفسيرها أن الله تعالى قال : (قد فعلت من حديث ابن عباس (٤) ومن حديث أبى هريرة (٥) قال : نعم ، وقال تعالى فى قتل المؤمن مع التغليظ العظيم فيه : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ) (٦) الى قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (٧) فقيد الوعيد فى ذلك بالتعمد .

وقال فى قتل الصيد : (فمن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم) (٨) قيد الجزاء بالتعمد أيضا ... وأما رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فانه شرع بين المسلمين المؤاخاة ، وغلظ فى المهاجرة والمنافاة ، والتكفير والمعاداة فكفر من كفر أخاه . (٩) ... ومن المتواتر

=== وقد رجعت اليه مرارا ولم أقف عليه كذلك المحدث الالبانى ذكر فى سلسلة الاحاديث الصحيحة أن الشوكانى قال هذه الزيادة ضعيفة .

(١) سورة الاحزاب آية : ٥ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦
(٤) رواه مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب بيان أنه سبحانه لايكلف الا ما يطاق ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(٥) المصدر ذاته الجزء والصفحة .
(٦) سورة النساء : آية ٩٢ .
(٧) سورة النساء : آية ٩٣ .
(٨) سورة المائدة آية : ٩٥ .
(٩) معنى حديث رواه مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب بيان حال ايمان من قال لاخيه المسلم يا كافر ص ٧٩ ولفظه : (اذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما) وفى لفظ : (إن كان كما قال والا رجعت عليه) ورواه البخارى أيضا جـ ٧ كتاب الادب باب من كفر أخاه ص ٩٧ .

حديث : (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (١) فشرط التعمد في الكذب عليه الذي هو احدى الكبائر (٢) وغير ذلك من الادلة التي ذكرها ابن الوزير الدالة على الفرق بين متعمدى البدعة من طوائف المسلمين والمخطئين ، ومن ذلك حديث : (إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (٣) وفى لفظ : (ان الله تجاوز ...) وأصله في الصحيحين بلفظ : (ان الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم به) (٤) لكنه ليس فى محل النزاع .

---

(١) هذا الحديث متواتر وهو أشهر من ان يحتاج الى تخريج ، وانظر البخارى جـ ١ كتاب العلم باب حفظ العلم ص ٣٨ ومسلم جـ ٤ كتاب الزهد باب التثبت فى الحديث ص ٢٢٩٩ .

(٢) العواصم والقواصم خ لابن الوزير جـ ١ مقدمة ورقة ٤ وما بعدها .

(٣) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٦٥٩ ومسند أحمد جـ ٢ ص ٣٩٨ وأورده ابن كثير فى تفسيره جـ ١ ص ٥٠٦ عن ابن عباس وفى سنده الوليد بن مسلم عن الاوزاعى وهو ثقة مدلس لكنه صرح بالتحديث ويؤيده أن الله تعالى اجاب دعوة المؤمنين فى قوله : (ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا) كما سبق وقال النووى فى الاربعين حديث حسن رقم الحديث ٣٩ .

(٤) متفق عليه البخارى جـ ٣ كتاب العتق باب الخطأ والنسيان ص ١١٩ ومسلم جـ ١ كتاب الايمان باب تجاوز الله عن حديث النفس ص ١١٦ — ١١٧ .

ماحكم أصحاب البدع ؟

إن كلام ابن الوزير — كما رأيت — منصب على زيادة :(كلها فى النار الا واحدة) فإنها تحتمل خروج الثنتين والسبعين فرقة من الملة بسبب ما أحدثوا من البدع قال الشاطبى : (ان هذه الفرق تحتمل من جهة النظر أن يكونوا خارجين عن الملة بسبب ما أحدثوا فهم قدفارقوا اهل الاسلام بإطلاق وليس ذلك إلا الكفر، اذ ليس بين المنزلتين منزلة ثالثة تتصور.) (١)
ولأنه وعيد شديد ، اذ لامعنى للحكم عليها بالنار الا هذا ، الا أن تنزل منزلة مرتكبى الكبائر — ما عدا الشرك بالله تعالى — من اهل القبلة عند أهل السنة والجماعة ، وذلك أنهم فى الدنيا فساق أو عصاة غير خارجين من الملة ، وفى الآخرة تحت مشيئة الله - تعالى - ان شاء عذبهم بالنار وذلك بمقتضى عدله ، ثم يخرجهم منها ، وان شاء عفى عنهم ، وذلك بمحض عفوه وكرمه ، وسعة رحمته — جل وعلا — وهذا فى حق من مات مصرا على المعصية فذلك لايخرجه من الأمة المحمدية .
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة أو ملة) ففى قوله : (أمتى) دلالة واضحة على ان هذه الفرق كلهاغير خارجة من الملة ، فقد أضافهم النبى صلى الله عليه وسلم جميعا اليه ، وكيف يخرجون من الملة ، وكل فرقة تدعى التمسك بالشريعة ؟! إلا أن يقال إن المراد بالأمة هنا المعنى الأعم باعتبار عموم رسالة محمد عليه الصلاة والسلام — للعالمين ، ومنهم الجن وأهل الكتاب (قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا) (٢) (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٣) (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (٤) وعليه فتقسم الأمة الى قسمين :

---

(١) الاعتصام للشاطبى جـ ٢ ص ١٩٤ ط بيروت .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
(٣) سورة الانبياء آية : ١٠٧ .
(٤) سورة الفرقان آية : ١ .

١ ـ أمة اجابة ، وهم كل من دخل فى دين الاسلام ، اجابة لدعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتصديقا بكل ما جاء به .

٢ ـ وأمة دعوة ، وهم الذين بلغتهم الدعوة المحمدية من الانس والجن ، فأعرضوا ، وكذبوا ، وتحمل الفرق الهالكة على هذا من أمة الدعوة ، لكن هذا منتقض بأن الحديث ذاته قد صرح بافتراق اليهود والنصارى . وعليه فالثنتان والسبعون هى الهالكة من أمة الاجابة وهذا هو محل الاشكال لما سبق من المعارضات القوية لهذه الزيادة ، ولما يرد هنا من التساؤلات ، منها :

هل هذا الوعيد للثنتين والسبعين فرقة ـ على القول بصحة زيادة : (كلها فى النار الا واحدة) يقتضى التأبيد أم لا ؟

واذا قيل : أنه غير أبدى ، هل هو نافذ ؟ أم فى المشئية ؟ الجواب :
اذا قيل بالاول فهو مبنى على أن بعض البدع مخرجة من الملة ـ كما سيأتى ـ وهذا يستلزم التأبيد ، بناء على القاعدة المعروفة ، ان الكفر والشرك لايغفرهما الله ـ تعالى ـ لمن مات مصرا عليهما أو على احدهما ، وعلى هذا فالثنتان والسبعون فرقة كلها فى النار خالدون مخلدون ، فماذا نصنع بفضائل الامة المحمدية المرحومة التى تظافرت الادلة على انها اكثر أهل الجنة وأنها كالشعرة البيضاء ـ بالنسبة لسائر الأمم ـ فى الثور الاسود ، وما جدوى أحاديث الشفاعة المتواترة بانواعها ؟

واذا قيل بالثانى ، وهو عدم تأبيد الوعيد ، فيحمل على مذهب أهل السنة والجماعة فى حكم مرتكب الكبيرة ، اذا مات مصرا عليها ـ مع العلم بأن التوبة تجب ما قبلها كالاسلام ـ يجب ما قبله ـ وعلى هذا تحمل الزيادة المذكورة بعدم تأييد الوعيد على ما بينته قريبا ـ على ضوء قوله تعالى : (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [1] على خلاف فى قتل العمد لقوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) [2]

---

(١) سورة النساء أية : ٤٨ ـ ١١٦ .
(٢) سورة النساء أية : ٩٣ .

وهل يلحق بهذا التهديد والوعيد صاحب البدعة في قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ثم قال : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ، وهذا الوصف علامة الخزي فدخول النار . ثم قال : (أكفرتم بعد إيمانكم) وهو تقريع وتوبيخ ، ثم أكد ذلك بقوله : (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (١) . وهذا الخطاب كما هو ظاهر السياق موجه الى اهل البدع والفُرقة من المصلين .

بيان ذلك أن المبتدع اذا اتبع في بدعته ، لم يمكنه التلافي منها غالبا ، ولا يزال اثرها في الارض الى قيام الساعة ، فأيهما أدهى ، قتل النفس عمدا ، أو البدعة المتبعة الى قيام الساعة ؟

في نظر الشاطبي : البدعة المتبعة أدهى ، فيحمل على أهل البدع في الكليات المخرجة من الملة لأن الابتداع الجزئي في الفروع ، لا يبلغ مبلغ الابتداع في الكليات في الذم والتصريح بالوعيد ، لكنهم اشتركوا في المعنى المقتضي للذم والوعيد . (٢)

وقد فصل الخطاب في هذا الباب شيخ الاسلام ابن تيمية ، بذكر اصلين حاصلهما ما يلي :

<u>الأول</u> : أن يعلم أن الكافر في نفس الامر من أهل القبلة لا يكون الا منافقا ، وصنف الناس - تحت هذا الاصل - ثلاثة اصناف لا رابع لها وذلك في اثناء كلامه على حديث افتراق الامة هذا بعد أن ذكر أصول المبتدعة ، وهم الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والخلاف في تكفير بعضهم ، قسم الناس بعد هذا الى مؤمن وكافر ومنافق ، ذكرهم الله تعالى في أول سورة البقرة ، وميز بينهم بصفاتهم المذكورة في تلك الآيات ، وأن المنافقين وان

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

(٢) انظر تفاصيل كلام الشاطبي في (الاعتصام) له جـ ٢ ص ٢٤٦ — ٢٦٠ وقد أطال الكلام على معنى حديث افتراق الأمة واستنبط منه ستا وعشرين مسألة .

أظهروا الاسلام ، فهم فى الباطن شر من الكفار (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) (١) (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله) (٢) وغير ذلك من الآيات .

واذا كان الأمر كذلك ، فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق ، فهذا كافر ، ويكثر مثل هذا فى الرافضة والجهمية ، فان روءساءهم كانوا منافقين زنادقة ، ولهذا كان الزنادقة المنافقون من الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون الى الرافضة ، والجهمية لقربهم منهم ومن أهل البدع من يكون فيه ايمان باطنا وظاهرا ، لكن فيه جهل وظلم ، حتى اخطا ما اخطأ من السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق وقد يكون عاصيا أو فاسقا ، وقد يكون مخطئا متأولا ، مغفورا له خطؤه ، وقد يكون مع هذا ، معه من الايمان والتقوى ، ما يكون معه من ولاية الله ـ تعالى ـ بقدر ايمانه وتقواه .

وهذا يوءيد ما ذهب اليه ابن الوزير ، من عدم التكفير للأمة المحمدية المرحومة ، بل لطوائف المسلمين ، وهذا أصل من أصول اهل السنة من أنهم لا يكفرون أحدا من اهل القبلة بذنب ، مالم يستحله ، فكذلك لا يكفرون أحدا لبدعة اذا كان متأولا مخطئا .

الأصل الثانى : ان المقالة تكون كفرا ، كمن جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة ، واجبا أو محرما ، ومقالات الجهمية من هذا النوع ، فانها جحد لما هو الرب تعالى ـ عليه ، ولما أنزل الله على رسوله .

ثم ان القائل بهذا قد يكون ممن لم يبلغه الخطاب ، كحديث العهد بالاسلام ، أو من نشأ ببادية بعيدة ، لم تبلغه شرائع الاسلام فهذا لا يحكم بكفره ، بجحد شىء اذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) سورة النساء آية : ١٤٥ .
(٢) سورة التوبة آية : ٨٤ .
(٣) مقتبس من كلام ابن تيمية مجموع فتاويه جـ ٣ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ ، جـ ٢٣ ص ٣٤٥ وما بعدها .

وسيأتى كلام ابن الوزير بمعنى هذا فى موقفه من مسألة التكفير هذه ان شاء الله تعالى .

ومما يؤيد ما ذهب اليه ابن الوزير من القدح فى الزيادة المذكورة ، الإشكال الذى أورده صاحب (العلم الشامخ (١) فى تفضيل الحق على الآباء والمشائخ) بقوله : (حديث افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا بحيث لايبقى ريبة فى حاصل معناها ... والاشكال فى قوله : (كلها فى النار الا ملة) فمن المعلوم أنهم خير الامم، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم فى سائر الامم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود حسبما صرحت به الاحاديث (٢) ، فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم فى ضعف هذه الجملة وقال : هى زيادة غير ثابتة . وبعضهم تأول الكلام بأن الفرقة الناجية صالحوا كل فرقة ، وهو كلام منتقض ، لان الصلاح إن رجع إلى الافتراق فهم فرقة واحدة ، لا أفراد من الفرق . وان رجع الى غير ذلك ، فلا دخل له ، لأن الكلام أنهم فى النار لأجل الافتراق وما صاروا به فرقا) . (٣)

ثم ذكر كلاما طويلا مفيدا فى بابه خلاصته ما يلى :

- الناس قسمان : عامة وخاصة .

فالعامة - كالنساء والعبيد ، ورعاء الشاء والسوقة ونحوهم - لا شك فى

---

(١) هو العلامة صالح بن مهدى المقبلى أحد مجتهدى علماء اليمن جرت بينه وبين علماء صنعاء مناظرات أدت الى المنافرة ثم الارتحال الى مكة المكرمة فجاور بها حتى مات سنة ١١٠٨ هـ وصنف هذا الكتاب فى مكة بعد أن برع فى علوم الكتاب والسنة والعربية والمعانى والبيان ، وله مصنفات مقبولة عند العلماء محبوبة .

(٢) سبق أن هذا معنى احاديث مخرجة عند استشهاد ابن الوزير بها ص ١٧٩

(٣) العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشائخ للمقبلى ص ٤١٤ - ٤١٥ ط أولى بمصر بدون ذكر المطبعة ، وانظر طبعة دار البيان دمشق تحقيق عبد الرحمن الارياني اليماني ص ٥١٣ .

براءة آخرهم كأولهم من الابتداع .

وقسم الخاصة الى أربعة أقسام :

القسم الأول : مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه ، وبلغ فى تقويتها كل مبلغ ، وجعلها أصلا يَرد إليها صرائح الكتاب والسنة ، ثم تبعه أقوام من نمطه ، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها ، وحملوه مالا يتحمل ولكنه إمامهم المقدم ، فهؤلاء هم المبتدعة حقا ، وهو شئ كبير ، (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) (١) كنفى حكمة الله — تعالى — ، ونفى إقداره المكلف ، وكونه يكلف مالا يطاق ، وأخواتهن ، وهؤلاء مبتدعة قطعا .

القسم الثانى : من تبع هؤلاء وناصرهم بالتدريس والتأليف ، ولكنه عند نفسه راجع الى الحق ، وقد دس فى مصنفاته نقوضها فى مواضع على وجه خفى ، لعله عثم عليه انحطاط نفسه ، أو تخيل مصلحة دنيئة .

وبالجملة فهذا قد عرف الحق من الباطل ، وتخبط فى تصرفاته ، وحسابه على الله ، وما تكاد تجد أحدا من هؤلاء النظار الا قد فعل ذلك ، لكن شرهم كثير ، لأنه لايفطن لتلك اللمحة الخفية التى دسوها الا الاذكياء المحيطون بالبحث ، وهؤلاء ظاهرهم الابتداع .

القسم الثالث : من ليس من أهل التحقيق ، ولا هو للهجوم على الحقائق ، وقد تدرب فى كلام الناس ، وعرف أوائل الابحاث وحفظ كثيرا من غثاء ما حصلوه ، ولكن بينه وبين أرواح الابحاث حائل ، وقد يكون لقصور الهمة والاكتفاء والرضا من اسلافهم ، لوقعهم فى النفوس ، وهؤلاء هم الاكثرون عددا ، والارذلون قدرا ، فانهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ، ولا أدركوا سلامة العامة ، وهؤلاء لهم حكم الابتداع ، وحساب هؤلاء الثلاثة على الله — عز وجل — .

القسم الرابع : (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) (٢) اقبلوا على الكتاب

---

(١) سورة مريم اية ٩٠ .

(٢) سورة الواقعة اية : ١٣ — ١٤ .

والسنة ، وساروا بسيرهما ، وسكتوا عما سكتا عنه ، وأقدموا وأحجموا بهما ، وتركوا تكلف مالا يعنيهم ، وكان السلامة وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم ،وقرة عين احدهم تلاوة كتاب الله تعالى ، وفهم معانيه على السليقة العربية ، والتفسيرات المروية ، ومعرفة ثبوت الحديث النبوى ، فهوءلاء هم أهل السنة حقا ، والفرقة الناجية ، واليهم العامة بأسرهم ، ومن شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم .(١)

ثم قال : (اذا حققت جميع ماذكرنا لك ،لم يلزمك السوءال المحذور، وهو الهلاك على معظم الأمة ، لأن الأكثر عددا هم العامة قديما وحديثا ، وكذلك الخاصة فى الأعصار المتقدمة ، ولعل القسمين الأوسطين ، وكذا من خفت بدعته من الأول تتقدهم رحمة ربك من النظام فى سلك الابتداع ، بحسب المجازاة الأخروية ، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم ، لكنا تكلمنا على مقتضى الحديث ، ومصداقه ، وأن أفراد الفرق المبتدعة وان كثرت الفرق فلعله لايكون مجموع أفرادهم جزءا من ألف جزء من سائر المسلمين ، فتأمل هذا تسلم من مناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة .)(٢)

فأنت ترى أن لهذا الكلام قيمته العلمية فقد صور الاقسام تصويرا مطابقا للواقع، لكنه يشعر بتغليب جانب الرجاء كما يصرح بأن ظاهر الزيادة المذكورة : (كلها فى النار الا واحدة) مناقضة لأحاديث فضائل الأمة ــ كما قال ابن الوزير ــ لكنه لم يأل جهدا فى التوفيق بين النصوص ،فقد كان موفقا فى هذا الجمع كماسيأتى قريبا .

ثم ان كلام المقبلى يشير الى تغليب الفرقة الناجية على الفرق الهالكة ،اذ أدخل فى القسم الرابع من تقسيمه ــ وهم أهل السنة ــ العامة بأسرهم، ومن شاء الله من أقسام الخاصة الثلاثة ، وهذا تكثير للفرقة الناجية ، وتقليل منه للهالكة، وهذا مبنى على أن حكم معظم أهل البدع ــ غير المخرجة من الملة ــ هو حكم مرتكب الكبيرة اذا مات مصرا عليها ــ ماعدا الشرك بالله ــ عز وجل ــ فى الدنيا يكون عاصيا أو فاسقا ، وفى الآخرة تحت مشيئة الله ــ تعالى ــ ان شاء الله عفا عنه ، وان شاء عذبه بقدر جريمته ، كما تقرر وتكرر عند أهل السنة .

وسيأتى مقررا ومكررا فى عدة مناسبات من هذه الرسالة ، ردا على من

---

(١) العلم الشامخ للمقبلى ص٤١٤ وما بعدها .
(٢) العلم الشامخ للمقبلى ص٤١٧ وفى طبعة دار البيان بدمشق ص٥١٦ ــ ٥١٧ .

يقول بكفر وتخليد مرتكب الكبيرة فى النار .

ثم أكد المقبلى هذا الكلام بأن أفراد الفرق المبتدعة ، وان كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءا من الف جزء من المسلمين ، أى باعتبار العامة من المسلمين ، ومن شاء الله من أقسام الخاصة ، وهذا وجه حسن لكنه مبنى على القول بصحة الزيادة المذكورة فى حديث افتراق الأمة .

وقوله : (فتأمل هذا تسلم من مناقضة هذا الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة) هو مضمون قول ابن الوزير : (وإياك والاغترار بكلها هالكة ، فانها زيادة فاسدة ، غير صحيحة القاعدة) . وقد سبق التدليل والتعليل على ذلك من كلام ابن الوزير .

لكن المقبلى لم يتعرض للحكم على أهل البدع مع أنه قسمهم الى ثلاثة أقسام ، ولم يشر الى ذلك ولا فى القسم الأول الذى اخترع البدعة وجعلها نُصب عينيه ، وجعلها أصلا يرد اليها صرائح الكتاب والسنة ، وفى هذا دلالة على انه تبع ابن الوزير فى التوقف عن التكفير لأهل القبلة ويغلب على الظن أنه اطلع على كلامه فى (ايثار الحق على الخلق) ولذلك اقتبس منه عنوان كتابه : (العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشايخ) والآن نعرض مقتطفات من كلام ابن الوزير فى هذه المسألة الشائكة :

مسألة التكفير وموقف ابن الوزير منها :

لقد أطال ابن الوزير الكلام فى هذه المسألة بذكر الأقوال وأدلتها ومناقشتها ، والذى يهمنا هو عرض أفكاره وإخراجها للقارىء بسهولة وهى مطولة ولكن حاصلها ان الكفر ثلاثة أنواع (١) :

الأول : كفر التكذيب المتعمد لشىء من كتب الله تعالى المعلومة ، أو لاحد من رسله — عليهم السلام — ، أو لشىء مما جاءوا به معلوم من الدين بالضرورة ، ولا خلاف ان هذا كفر ، ومن صدر عنه فهو كافر اذا كان مكلفا مختارا .

---

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٥ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

الثانى : كفر الجحود ، وهو أن من جحد ذلك المعلوم من الدين بالضرورة للجميع ، وتستر باسم التأويل ، فيما لا يمكن تأويله ، كتأويل الباطنية الملاحدة ، لجميع أسماء الله الحسنى ، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الاخروى من البعث والجنة والنار وغير ذلك وهذا لا خلاف فيه أيضا ، وسيأتى الكلام على الباطنية فى فصل خاص ان شاء الله — تعالى — وهذا يتضمن الصنف الثالث من تصنيف شيخ الاسلام السابق ذكره وهم المنافقون الزنادقة بما فيهم رؤساء الجهمية والباطنية والرافضة، والمتضمن للاصل الثانى وهو تكفير من جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة . (١)

الثالث : وهو الذى فيه الاشكال — كفر التأويل لمن التزم بأركان الاسلام الخمسة المنصوص على إسلام من قام بها، منها حديث أنس مرفوعا : (من شهد أن لا اله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم) .

وفى لفظ آخر : (له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته .) (٢)

والإشكال حاصل فى تكفير من اتصف بهذا الحديث ونظائره ، اذا خالف المعلوم ضرورة للبعض أو الأكثر لا المعلوم له — وتأول ، وعلم من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب ، أو التبس علينا فى حقه ، وأظهر التدين ، والتصديق بجميع الانبياء ، والكتب الربانية ، مع الخطأ الفاحش فى الاعتقاد ، ومضادة الادلة الجلية ، عقلا وسمعا ، مع القطع بقبح البدعة ، والإنكار لها ، والإنكار على أهلها ، وعدم الإنكار على من كفر كثيرا منهم .

---

(١) الايثار لابن الوزير ص ٤١٥ وأنظر معنى هذا فى الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٦ وما بعدها، وما بعدها

(٢) البخارى كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة ص ١٠٢ — ١٠٣ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٧ ص ٣٤٩ ، ومسند أحمد ج ٧ ص ١٩٩ — ٢٢٥ .

وهذا هو الذى حصل فيه التوقف لابن الوزير ووكل العلم والحكم فيه الى الله — عز وجل — مع عدم الاعتراض على من كفر أحدا من هذا النمط .

وهذا هو معنى كلام شيخ الاسلام فيمن يكون فيه ايمان وجهل وظلم وخطأ للسنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق ، فقد يكون فاسقا أو عاصيا أو متأولا مخطئا مغفورا له خطأه [١] وقد أيد ابن الوزير التوقف وعدم التكفير بثلاثة عشر وجها مطولة نقتطف منها مايلى :

الوجه الأول : خوف الخطأ الغظيم فى التكفير ، سرد أحاديث كثيرة تدل على عظم تكفير أحد من أهل القبلة ، حتى حكم عليها بالتواتر ، منها :

١ — ما اتفق عليه الشيخان [٢] عن ابى ذر مرفوعا : (لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك) .

٢ — وما اتفق عليه الشيخان [٣] أيضا من حديث ابن عمر مرفوعا : (أيما رجل قال لأخيه : ياكافر ، فقد باء بها أحدهما) .

الوجه الثانى : من مرجحات ترك التكفير والتوقف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى هذه المسألة بالنص وهو حديث أنس مرفوعا : (ثلاث من أصل

---

(١) أنظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٥ ومابعدها ومجموع الفتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥٣ — ٣٥٤ وأنظر تفاصيل هذه الانواع الثلاثة وما فيها من الخلاف فى شرح مسلم للنووى جـ ١ ص ٢٠٥ وما بعدها ، والفقه الاكبر لابى حنيفة مع شرحه لملا على القارى — ص ١٠٢ — ١٠٤ وما بعدها دار الكتب بيروت ط أولى سنة ١٤٠٤ هـ وفتح البارى لابن حجر جـ ١٠ ص ٤٦٦ — ٤٦٧ والايمان لمحمد نعيم ياسين ص ١٢١ وما بعدها جمعية عمال المطابع ط أولى سنة ١٣٩٨هـ

(٢) البخارى واللفظ له جـ ٧ كتاب الادب باب ماينهى من السباب واللعن ص ٨٤ مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ص ٨٠

(٣) البخارى جـ ٧ كتاب الادب باب من كفر أخاه ص ٩٧ ، مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب بيان حال من قال لاخيه المسلم ياكافر ص ٧٩ ، وسنن أبى داود مع عون المعبود جـ ١٢ ص ٤٤٣ وسند أحمد جـ ٥ ص ١٨١ .

الايمان ، الكف عمن قال : لا اله الا اللـه ، ولانكفره بذنب ولا نخرجـه من الاسلام بعمل) (١) ومن ذلك معاملة على بن أبى طالب للخوارج برد أموالهم، وعدم تكفيرهم حيث سئل عن كفرهم ، فقال : من الكفر فروا وفى كفرهم خـلاف حكاه النووى وشيخ الاسلام والحافظ فى الفتح . (٢)

الوجـه الثالث : أنها قد تكاثرت الادلة فى الكتاب والسنة ، فى العفو عـن الخطأ والظاهر أن أهل التأويل اخطأوا ، ولا سبيل الى العلم بتعمدهم ، لأنه من علم الباطن ، الذى لايعلمه الا اللـه ـ عز وجل ـ (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) (٣) (ربنا لا تؤاخذنـا ان نسينا أو أخطأنا) (٤)

وقد سبق فى تفسيرها أن اللـه تعالى قال قد فعلت كما فى الصحيحين (٥)، وهذا الخطاب خاص بأهل الاسلام .

وحديث أبى هريرة ـ رضى اللـه عنه ـ عن النبى ـ صلى اللـه عليـه وسلم ، قال : (أسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : اذا أنا مت فأحرقونى ، ثم اسحقونى ، ثم اذرونى فى الريح فى البحر ، فواللـه لئن قدر على ربى (٦) ليعذبنى عذابا ، ما عذبه أحـدا قال : ففعلوا ذلك بـه ،

---

(١) سنن أبى داود مع عون المعبود ج ٧ كتاب الجهاد ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ وفى مجمع الزوائد ثلاثة احاديث بمعناه وله شواهد سبعة فى المجمـع عن سبعة من الصحابة ج ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) انظر شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ٥٠ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٨٢ وفتح البارى لابن حجر ج ١٠ ص ٤٦٦ .

(٣) سورة الاحزاب : آية : ٥

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٥) ص ٨١/ من الرسالة .

(٦) قدر بفتح الدال له معنيان الاول لئن قدر على العذاب أى قضاه يقال قدر بالتخفيف والتشديد بمعنى واحـد ، والثانى انّ قدّر هنا بمعنى ضيق على ومنه قوله تعالى : (فقدر عليه رزقـه) فى سورة الفجر ١٦ شرح مسلم للنووى ج ١٧ ص ٧١ .

فقال للارض أدى ما أخذت ، فاذا هو قائم ، فقال له : ما حملك على ماصنعت ؟ فقال : خشيتك يا رب ، أو قال مخافتك فغفر له بذلك) (١)

وجه استدلال ابن الوزير، انما أدركته رحمة الله ـ عز وجل ـ لجهله وايمانه بالله والمعاد ، ولذلك خاف العقاب ، وأما جهله بقدرة الله تعالى ـ على ما ظنه محالا فلا يكون كفرا الا اذا علم أن الأنبياء جاءوا بذلك ، وأنه ممكن مقدور ، ثم كذبهم أو أحدا منهم لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٢) .

وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل . (٣)
قلت وهو وجه من ستة أوجه ذكرها النووى فى شرح مسلم (٤)

وعند شيخ الاسلام أن هذا المسرف على نفسه شك فى قدرة الله تعالى وفى المعاد حيث قال بعد ايراد الحديث المذكور : (فهذا شك فى قدرة الله وفى المعاد ، بل ظن أنه لا يعود ، وأنه لا يقدر الله عليه اذا فعل ذلك وغفر الله له) (٥) .

وتعليق ابن الوزير يدل على أنه مؤمن بالله وبالمعاد حيث قال : (وانما أدركته الرحمة لجهله وايمانه بالله وبالمعاد ، ولذلك خاف العقاب ، وأما جهله بقدرة الله تعالى ... (٦)) .

فأنت ترى أن ظاهر عبارة شيخ الاسلام أنه شاك فى قدرة الله وفى المعاد ، وظاهر عبارة ابن الوزير أنه مؤمن بالله وبالمعاد ، وعلل لذلك بخوفه عقاب الله ولا يخفى ان الكافر بخلاف هذا وهل الشك الذى هو استواء الطرفين والظن الذى هو ترجيح أحدهما فى قدرة الله تعالى بعد

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم وقد رواه جماعة من الصحابة بعدة الفاظ وفى بعضها : (نصفه فى البر ونصفه فى البحر) البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون ان يبدلوا كلام الله)ص ١٩٩ ومسلم جـ ٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله تعالى ص ٢١١٠ـ ٢١١١
(٢) سورة الاسراء آية : ١٥ .
(٣) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٣٦ .
(٤) شرح مسلم جـ ١٧ ص ٧١ ـ ٧٢ وانظر فتح البارى جـ ١١ ص ٣١٤ـ ٣١٥
(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٣ ص ٣٤٧ .
(٦) الايثار لابن الوزير ص ٤٣٦ .

الايمان به وبالمعاد يقدحان فى ايمانه ؟ الشيخان قررا فى عدة مواضع أنه لا يقدح فى ايمانه الا اذا علمه عن طريق الأنبياء[1] ومما يقوى العفو عن أهل الخطأ أنه قد يكون فى الأدلة ومقدماتها ، ولذلك كان المشهور فى القتلى فى فتن الصحابة رضوان الله عليهم سقوط القصاص والأموال فيما أصيب بوجه التأويل الا أن يوجد مال رجل بعينه فيدفع إليه فدل على دخول الخطأ فى أفعال القلوب كأفعال الجوارح كما هو واضح فى قوله تعالى : (ولكن ما تعمدت قلوبكم) (٢) ، وقوله : (ولكن من شرح بالكفر صدرا) (٣) يؤيد أن المتأولين غير كفار ، لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر - قطعا أو ظنا أو تجويزا - ومن لم يكن كذلك فليس بكافر وعموم هذا المفهوم يشملهم .

وقد أجمعت الأمة على العمل بمقتضى النصوص فى الاكراه والنسيان ، فكذلك اخوهما وثالثهما الخطأ ان شاء الله تعالى بل هو أكثر منهما ، ذكرا وشواهد ، فى الكتاب والسنة ، والبلوى به أشد ، والرخصة إنما تكون على قدر شدة البلوى ، وأما كفار التصريح ، فلا نسلم بأن كفرهم خطأ لوجهين .

أحدهما : ان مرادنا بالخطأ هو خطأ مخصوص ، وهو الخطأ فى تحرى مراد الله ورسوله ، فيما ظاهره التعارض والتشابه وكفار التصريح تعمدوا تكذيب الله - تعالى - ورسله .

وثانيهما : أن الله تعالى قد أخبر رسله الكرام بعنادهم ، واستحقاقهم العذاب الأليم .

الوجه الرابع : ان مؤاخذة المخطىء لاتخلو إما أن تكون من تكليف مالا يطاق ، أومن أعظم المشاق ، فان كانت من الأول فهو لا يجوز

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٣١ . وقال : (وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلا لايعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥ .

(٣) سورة النحل آية : ١٠٦ .

على الله ـ عز وجل ـ (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (١) وان لم تكن منه كانت من أعظم المشاق ، وقد نفى الله تعالى ذلك فى دينه (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (٢) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٣)

الوجه الخامس : ان الله ـ تعالى ـ نص على تحريم التفرق فى الكتاب والسنة ، ولا أفحش من التكفير بأدلة محتملة تمكن معارضتها بمثلها ، ويمكن التوصل بها إلى عدم التكفير ، وإلى جمع الكلمة ، والمراد بالتفرق المنهى عنه ما يؤدى الى التعادى والتنافر والتقاطع ، لا الاختلاف فى فروع الدين وقد سبقت الاشارة الى هذا فى أول هذا الفصل وكما سيأتى الآن .

الوجه السادس : ان الخطأ لما كان منقسما الى مغفور قطعا كالخطأ فى الاجتهاديات على الصحيح ، وغير مغفور قطعا ، كالخطأ فى نفى البعث والجنة والنار ، وتسمية الامام بأسماء الله تعالى ، ومختلف فيه محتمل للالحاق بأحد القسمين ، نظرنا لأنفسنا فى الإقدام على تكفير أهل التأويل من أهل القبلة ، وفى الوقف عنه عند الاشتباه فوجدنا الوقف عنه حينئذ ـ مع تقبيح البدعة ـ لا يحتمل ان يكون كفرا ولا خطأ غير معفو عنه ، لعدم البرهان القاطع على ذلك ولا الظاهر ، بل الأدلة واضحة فى العفو حينئذ على تقدير الخطأ .

وأما الاقدام على التكفير فعلى تقدير الخطأ فيه لا نأمن ان يكون كفرا أوخطأ غير معفو عنه كخطأ الخوارج عند من يكفرهم فالوقف أولى للدين والدار الآخرة . (٤)

الوجه السابع : أن الوقف عن التكفير عند التعارض والاشتباه أولى وأحوط ، لأن الخطأ ، فى الوقف ـ على تقديره ـ تقصير فى حق من حقوق الغنى الحميد العفو الواسع أرحم الرحماء وأحكم الحكماء ، سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٢) سورة الحج آية : ٧٨ وأنظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٣٩ وما بعدها .

(٣) سورة البقرة : ١٨٥ ولابن الوزير مصنف فى هذا بعنوان : (قبول البشرى بالتيسير لليسرى) فى الرخص ورفع الحرج فى الدين وقد سبق ذكره ورقمه فى مصنفات ابن الوزير خ صنعاء .

(٤) أنظر التفاصيل فى ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٤٥ ومابعدها .

والخطأ فى التكير من أعظم أو أعظم الجنايات على عباده المسلمين ، وذلك مضاد لما أوجب اللـه من نصرهم ونصحهم والذب عنهم . وقد روى الامام أحمد من حديث عائشة ـ رضى اللـه عنها ـ عن رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ أنه قال : (الدواوين عند اللـه ثلاثة ، ديوان لايغفره اللـه وهو الشرك باللـه تعالى ، وديوان لا يتركه وهو حقوق المخلوقين ، وديوان لايبالى به وهو مابينه سبحانه وتعالى ـ وبين عبده) (١) .

فالتارك للتكفير إن قدرنا خطأه ، فانما أخل بحق من حقوق اللـه ـ تعالى ـ وهو اجراء الاحكام عليهم ، وهو ههنا لم يتركه الا لعدم شرط جوازه ، وهو تحقيق الموجب له ، وأما المكفر إن قدرنا خطأه ، فقد أخل بحق المخلوق المسلم ، بل تعدى عليه وظلمه أكبر الظلم وافحشه ، وأخرجه من الاسلام ، وهو يشهد ان لا اله الا اللـه ، وأن جميع رسل اللـه ، وكتبه ، وما جاء فيها عن اللـه ـ تعالى ـ حق وانما أخطأ فى بعض التفاصيل ، وقد صرح بالتأويل فيما أخطأ فيه ، فان وصف اللـه بوصف نقص ، فلاعتقاده أنه وصف كمال ، وإن نسب إليه قبيحا فلاعتقاده أنه حسن ، وان تعمد القبيح فى ذلك فمحل التعمد هو القلب المحجوب عنا سرائره ، والحاكم فيه علام الغيوب .

وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة ، وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين ، مع تعظيمهم فى ذلك لمعاصى اللـه ـ تعالى ـ وتعظيمهم لها بتكفير عاصيه ، فلا يأمن المكفر أن يقع فى مثل ذنبهم ، وهذا خطر فى الدين عظيم ، ينبغى الاحتراز فيه من كل نبيل ولهذا الخطر عذر المتوقف فى التكفير ، وكان هذا هو الصحيح عند المحققين ، كما قامت عليه البراهين (٢) .

الوجه الثامن : ان أمير المؤمنين على بن ابى طالب ـ رضى اللـه عنه ـ لم يكفر أهل الجمل وصفين بل ولا الخوارج (٣) ولم يسر فيهم السيرة فى

---

(١) هكذا اختصره ابن الوزير والحديث بتمامه فى مسند احمد جـ ٦ ص ٢٤٠ وأورده ابن كثير فى تفسيره جـ ٢ ص ٢٨٦ وقال : تفرد به أحمد وسكت عنه ، قلت : فى سنده صدقة بن موسى صدوق له أوهام كما قال الحافظ فى التقريب جـ ١ ص ٣٦٦ وانظر تهذيب الكمال للمزى جـ ٢ ص ٦٠٥ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٤٥ وما بعدها .

(٣) أنظر ما يؤيد هذا من كلام ابن تيمية فى مجموع فتاويه جـ ٣ ص ٢٨٢ .

الكافرين فى السبى والغنيمة مع صحة قول النبى — صلى الله عليه وسلم — لعلى — رضى الله عنه — (لا يحبك الا موءمن ، ولا يبغضك الا منافق) (١) كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (٢) فكيف بامام المسلمين ، فدل ذلك على أنه بعد عن التكفير لأجل المعارضات المشار اليها سابقا فى حكم اهل الشهادتين ، أو فيمن قام بأركان الاسلام ولجواز أن يراد كفر دون كفر ونفاق دون نفاق .

الوجه التاسع : أنه قد يدق مراد المخالف ويخفى جدا ، ويحتمل الوقف ، فيفسر بما لم يقصده العبد كما دق مذهب الاشعرية فى الروءية حتى قال الرازى إن مرادهم أنه ينكشف لله تعالى صفة فى الآخرة هى بالنسبة اليه كالروءية الى غيره ، وقد ينقل عنه مالم يقل لتوهم أنه لازم له وليس بلازم ، كما نسب تكليف مالا يطاق الى بعض الاشعرية (٣) .

الوجه العاشر : ان فى الحكم بتكفير المختلف فى كفرهم مفسدة بينة ، تخالف الاحتياط ، وذلك اسقاط العبادات عنهم وجميع حقوق المخلوقين من الاموال والدماء ، وسبى نسائهم وسفك دمائهم اذا لم يتوبوا .

الوجه الحادى عشر : ان الخطأ فى العفو خير من الخطا فى العقوبة ، والعياذ بالله من الجميع هذا مع أنا نقف فيمن تفاحشت بدعته ، وقاربت الكفر ، ولا نواليه ، ولا ندعو له بالرحمة والمغفرة الا بشرط أن يكون من المسلمين ، حذرا من أن نوالى من هو عدو لله — تعالى — فى الباطن ، وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بنحو هذا فى حديث أهل الكتاب : (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم (٤) . حذرا من تكذيب الحق ، وتصديق الباطل ، فنعوذ بالله من موالاة اعداء الله — تعالى — بل ننكر بدعهم وننهى عنها ما استطعنا

---

(١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ مناقب على بن أبى طالب ص ٢٣٩ — ٢٤٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
(٢) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب قول النبى سباب المسلم فسوق ص ٨١ .
(٣) أنظر التفاصيل فى الايثار لابن الوزير ص ٤٤٨ — ٤٤٩ .
(٤) البخارى ج ٨ كتاب الاعتصام باب قول النبى لا تسألوا أهل الكتاب ص ١٣٦

ونكرهها ونتبرأ منها ، ونشهد اللـه ـ تعالى ـ أنا نعادى من عاداه علمناه أو جهلناه ، فقد دل حديث زيد بن ثابت على نفع هذا الاعتقاد الجملي ولفظه : (اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت) (١) .

ويشهد لهذا جدال الخليل عن قوم لوط ، والاستغفار منه لأبيه ، ولم يكن منه موالاة لهم ، ولا رضى بذنوبهم ، ولا ذم به بل بين اللـه ـ تعالى ـ عذره وعده ، من سعة حلمه ، وهذا كله في حق الكافرين .

قلت : لكن اللـه ـ سبحانه نهاه عن ذلك بقوله : (يا ابراهيم اعرض عن هـذا) . (٢)

أما أهل الاسلام الخاطئين فلا نص على تحريم ذلك ، وينبغى الاشتراط فيما شك فيه من الدعاء لبعضهم أن يكون موافقـا لمراد اللـه ـ تعالى ـ في الشريعة النبوية .

تأييد ماذهب اليه ابن الوزير من عدم التكفير :

يؤيد ما ذهب اليه ابن الوزير من التوقف في تكفير أحـد من أهل القبلة المتأولين المخطئين ـ على التفاصيل السابقة ـ يؤيـده عقيدة أهل السنة والجماعة ، المتمثلة في العقيدة الطحاوية وزادها بيانـا وتوكيدا شارحها السلفي الحنفي ، وهذا نصها : (ونسمى أهل قبلتنـا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بما جاء به النبي صلى اللـه عليه وسلـم ـ معترفين ، وله بكل ماقاله مصدقين ... ولا نكفر أحـدا من أهل القبلـة بذنب مالم يستحله ، ولا نقول : لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله ، ولا نخرج العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه . (٣)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ كتاب الدعاء ص ٥١٦ ـ ٥١٧ ط بيروت وقال هذا حديث صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي في التلخيص بأن في سنده أبو بكر ضعيف قلت : وأبو بكر هذا هو ابن أبي مريم الغساني قـال الحافظ في التقريب ج ٢ ص ٣٩٨ : ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلـط ورواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٣٦ وهو في الصحيحين بمعناه البخاري ج ٧ ص ١٥٧ ، مسلم ج ٤ ص ٢٠٠٧ .

(٢) سورة هود آية ٧٦ .

(٣) العقيدة الطحاوية لاحمد بن محمد الطحاوى مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٧٢ وأنظر تفاصيل هذا النص في الشرح ذاته الصفحات المذكورة ذاتها والايمان لابن تيمية ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

هذه هى القاعدة العامة فى هذه المسألة الخطيرة ، عند أهل السنة والجماعة ، وهى من القواعد التى أشار اليها ابن الوزير ـ سابقا ـ مع تفاصيل وخلافات تتفرع عن هذا بين أهل السنة انفسهم ، فصلها الشارح رحمه الله تعالى

الأطراف المتنازعة :

ثم ان مسألة التكفير كما قال شارح الطحاوية : (باب عظمت الفتنة والمحنة فيه ، وكثر فيه الافتراق ، وتشتتت فيه الاهواء والآراء ، وتعارضت فيه دلائلهم ، فالناس فى جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذى بعث الله به رسوله فى نفس الامر ، أو المخالفة لذلك فى اعتقادهم على طرفين ووسط ، من جنس الاختلاف فى تكفير أهل الكبائر العملية .) (١)

والمراد بالطرفين هنا الخوارج ومن تبعهم من المعتزلة فى تكفير المسلمين ، والمرجئة الذين هم على نقيض هؤلاء والوسط هم أهل السنة والجماعة ، ولكن هذا التقسيم من حيث الجملة ، أما من حيث التفصيل فقد ارتفع عند الشارح نفسه كما سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى .

ومما ينبغى التنبيه اليه أن هذه المسألة الشائكة متشعبة الاطراف ، فالكلام فيها يجر الى مسألة الوعد والوعيد والرجاء والارجاء ونواقض الاسلام ، ومعلوم أن هذا له أبواب وأبحاث مستقلة لاسيما نواقض الاسلام فقد اشتهرت بمصنفات خاصة ، فليرجع اليها ، ومن ذلك : (الإعلام بقواطع الاسلام) لابن حجر المكى سنة ٩٧٤ هـ و (الكلمات النافعة من المكفرات الواقعة) لشيخ الاسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ ونواقض الاسلام له أيضا ، وغير ذلك من المصنفات والكلام المتناثر فى الكتب ، إلا انه لافرق فى الكلام بالتكفير وعدمه بين المسائل الاعتقادية والعملية كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية . (٢)

---

(١) شرح الطحاوية ص ٣٥٥ وانظر هذا النص فى شرح ملا على القارى على الفقه الاكبر لابى حنيفة ص ٢٤٢ .

(٢) انظر تفاصيل عدم الفرق بين الاعتقادية والعملية مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٣ ص ٣٤٦ وما بعدها .

وإليك بيان الاطراف المتنازعة فى المسألة كالآتى :

الطرف الأول : الخوارج الذين يكفرون المسلم بكل ذنب ، أو بالكبيرة ، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التى تخالف ظاهر الكتاب — وان كانت متواترة — ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه ، — لارتداده عندهم — مالا يستحلون من الكافر الاصلى ، الذين قال فيهم النبى — صلى الله عليه وسلم — : (... يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ...)(١) ويضم اليهم المعتزلة القائلين بإحباط ايمان مرتكب الكبيرة ، إلا أن الخوارج يقولون بخروجه من الايمان ، ودخوله فى الكفر فقد كفروا عثمان وعليا وشيعتهما ، وكفروا اهل صفين ، ومع هذا ففى تكفيرهم خلاف ، كما سبق فى الوجه الاول على عدم التكفير . والمعتزلة يقولون بخروجه من الإيمان ، وعدم دخوله فى الكفر ، وهذه هى المنزلة بين المنزلتين ، واوجبوا له الخلود فى النار بخروجه من الإيمان .

وقد رد عليهم الطحاوى رحمه الله بقوله السابق : (ولا نكفر أحدا من اهل القبلة بذنب مالم يستحله) وظاهر هذا ، والله أعلم يشمل الذنوب العملية والاعتقادية فيضمن قوله : مالم يستحله — والله أعلم — مالم يعتقده .

ومن المعلوم أن فى صفوف أهل القبلة زنادقة مندسين ، وهم اشد خطرا على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى لما يتظاهرون به من التدين والموالاة لاهل البيت — عليهم السلام — وهم فى نفس الامر لا يؤمنون بالله ولا برسوله كما سيأتى فى الباطنية . أما المجاهر بتكذيب أو جحد أمر معلوم من الدين بالضرورة سواء كانت واجبا أو محرما ، فلا خلاف بين المسلمين أنه يستتاب إن تاب والا قتل كافرا مرتدا ، وهذا هو ما قرره ابن الوزير فى كفر التكذيب والجحود تحت عنوان (موقف ابن الوزير من مسألة التكفير) كما أنه من المعلوم أن النفاق والردة منشؤهما البدع والفجور والطعن فى السنة بالظن والهوى . (٢)

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى ج ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : تعرج الملائكة والروح ص ١٧٨ ومسلم ج ٢ كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ص ٧٤٢ ومسند أحمد ج ٣ ص ٦٨ — ٧٣ .

(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٠ وما بعدها وشرح الطحاوية لابن أبى العز ص ٣٥٥ وما بعدها والايمان لابن تيمية ص ١٨٦ .

الا أن هذا الاتفاق الذى حكاه ابن الوزير بين المسلمين فى كفر التكذيب والجحود معارض بما حكاه شيخ الاسلام من اتفاق المسلمين على كفر من لم يأت بالشهادتين وأما سائر المبانى ففى تكفير تاركها نزاع مشهور، وهذا نص كلامه : (وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين ، فهو كافر ، وأما الاعمال الاربعة فاختلفوا فى تكفير تاركها ، ونحن اذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لايكفر بالذنب فانما نريد المعاصى كالزنا والشرب ، وأما هذه المبانى ففى تكفير تاركها نزاع مشهور) (١) وذكر خمسة أقوال للامام أحمد فى ذلك ويحمل هذا على المتهاون والمتكاسل كما هو معروف عند بعض اهل العلم ، اما الجحد فقد قرر شيخ الاسلام أنه كفر بقوله فى موضع آخر : (ان المقالة تكون كفرا كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ، ونكاح ذوات المحارم .) (٢) وهذا ما يعبر عنه الاصوليون بالمعلوم من الدين بالضرورة وقد سبق معنى هذا قريبا .

الطرف الثانى : المرجئة القائلون : لايضر مع الايمان معصية ، كما لاينفع مع الكفر طاعة ، وقد رد عليهم السلف الصالح من التابعين فمن بعدهم ، ومنهم الطحاوى بقوله السابق ، ولأنه قول معلوم البطلان فلا نطيل فى ذلك .

الطرف الثالث : طوائف من اهل الكلام والفقه والحديث ، ولكنهم تفرعوا الى طائفتين : طائفة قالوا بكفر أصحاب البدع الاعتقادية لا العملية ـ وان كان صاحبها متأولا ، لافرق بين المجتهد المخطى وغيره وهذا هو ما خالف فيه ابن الوزير ورجح التوقف فيه ، والوقف عند المتشابه من عقيدة أهل السنة كما هو مقرر ومن ذلك قول الطحاوى : (ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه) (٣).

---

(١) الايمان لابن تيمية ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ وممن أشار الى هذا النزاع ابن حزم فى الفصل ج ٤ ص ٣ مع الملل والنحل للشهرستانى ط صبيح بمصر

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣٥٤ .

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبى العز ص ٤٣٣ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

وطائفة عمت الحكم على إصحاب البدع الاعتقادية والعملية كالخوارج والمعتزلة على التفصيل السابق وفى هذا خطر عظيم ، فقد تواترت النصوص على انه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وهذه هى عقيدة أهل السنة والجماعة ، بأن أهل الكبائر لا يخلدون فى النار اذا ماتوا موحدين وهل البدع الاعتقادية من هذا الجنس ؟ عند شارح الطحاوية نعم تبعا لما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية من عدم الفرق (١) وقد فات الشيخ الطحاوى — رحمه الله — قول من يقول من أهل الكلام : لا أكفر الا من يكفرنى . يعنى أن الحديث السابق المتفق عليه عن ابن عمر مرفوعا : (أيما رجل قال لاخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما) ان الحديث دل على حصول الكفر لأحد الشخصين المكفَر أوالمكفِّر ، فكأنه يقول اذا كفرنى أحد فالكفر واقع بأحدهما وأنا جازم بأنى لست كافرا فالكفر راجع اليه . (٢)

والمشهور عند أهل السنة — والله أعلم — التفصيل فى أهل البدع الاعتقادية ، اما العملية فواضح أنها حكم مرتكب الكبيرة ، لكن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو حامل لواء أهل السنة — استنكر التفريق : بين الاعتقادية والعملية ، وأيد ذلك ببراهين واضحة ، وان هذا التفريق لا أصل له عن السلف ، وانما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع . (٣)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٦ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية ج١٢ ص٤٦٩ — ٤٧٢ .

(٢) إحكام الاحكام شرح العمدة لابن دقيق العيد ص٢٢٦ تحقيق طه سعد وزميله ط دار الشعب بالقاهرة ط اولى سنة ١٣٩٦ هـ .

(٣) أنظر التفاصيل فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ص ٣٤٦ — ٣٤٧

تفصيل شيخ الاسلام ابن تيمية فى مسألة التكفير :

قد سبق الى هذا التفصيل شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذلك أن أهل البدع الاعتقادية — كما هو معلوم — فيهم المنافق الزنديق ، وقد صرح شيخ الاسلام بكفره ، ومثّل بالرافضة الذين يقولون : إن النبى صلى الله عليه وسلم نص على على نصا قاطعا ، وانه امام معصوم ، ومن خالفه كفر ، وان الصحابة كتموا النص ، وكفروا بالامام المعصوم ، واتبعوا أهواءهم ، وبدلوا الدين ، وغيروا الشريعة ، بل كفروا الا بضعة عشر أو أكثر ، ومنهم ظهرت أمهات الزندقة ، والنفاق كالقرامطة الباطنية ، ومنهم النصيرية ، وأمثالهم .

وثبت عن على — رضى الله عنه — أنه حرق غالية الرافضة الذين أعتقدوا فيه الالهية .

والرافضة أبعد المبتدعة عن الكتاب والسنة ، اذ العامة لاتعرف ضد السنى الا الرافضى .

ولا شك ان الرافضة شر من الخوارج ، بل صرح شيخ الاسلام هذا فى فتواه فى النصيرية ، وسائر فرق الباطنية اكفر من اليهود والنصارى ، وأنهم اشد خطرا على الاسلام والمسلمين من الكفار المحاربين ، لما يتظاهرون به عند جهال المسلمين من التشيع ، وموالاة اهل البيت ، عليهم السلام — وهم فى الواقع لايؤمنون بالله ، ولا بكتابه ورسوله ويوالون الكفار على المسلمين ، وهم معروفون بالكذب ، والخوارج معروفون بالصدق ، والخوارج مرقوا من الاسلام والباطنية بكامل فرقهم نابذوا الاسلام (١) وهذه الفتوى مشهورة محفوظة لذلك لم أنقلها بحروفها ومع طولها أيضا .

كذلك الجهمية الذين ينكرون الصفات ، وأن الله لايتكلم ، ولا يرى وليس له علم ، ولا قدرة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا حياة . وأن القرآن مخلوق ، وينكرون رؤية الله — عز وجل — فى الآخرة . وهذا جحد لما هو الرب تعالى عليه ولما أنزل على رسوله .

---

(١) أنظر التفاصيل فى مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ وما بعدها ، جـ ٣٥ ص ١٤٩ — ١٥٨ — ١٥٩ ، جـ ٢٨ ص ٤٧٤ وما بعدها .

والقدرية أهون من هؤلاء لأنهم أقرب الى الكتاب والسنة ، والمعتزلة قد يكفرون من خالفهم ، ويستحلون دماء المسلمين فيقربون من أولئك .(١)

والمرجئة ليسوا من اصحاب البدع المعضلة ، فقد دخل فى قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة ، ولكن تكلم أهل السنة المشاهير فى ذمهم تنفيرا عن مقالتهم .(٢).

أما المتأولون من أهل القبلة عند شيخ الاسلام ابن تيمية فعلى التفصيل الآتى :

فيهم من يكون مؤمنا باطنا وظاهرا ، مع ما فيه من الجهل ، لكنه تأول فأخطأ السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق ـ لأنه صنف الناس الى ثلاثة أصناف مؤمن ، وكافر ، ومنافق ، فالقول باحباط ايمانه بدون دليل شرعى ، بل لمجرد التأويل من جنس قول الخوارج والمعتزلة ـ (٣) بل يكون فاسقا ، أو عاصيا ، لما يكون منه من عدوان وظلم .
وقد يكون متأولا مخطئا مغفورا له خطأه ، وقد يكون مع هذا معه من الايمان والتقوى ، ما يكون من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه ، وهذا هو القول الوسط ، وهذا هو ما يدندن حوله ابن الوزير من عدم التكفير ، وعدم النكير على المكفرين .

وفى موضع آخر قال شيخ الاسلام : (انى اقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها ، وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية القولية ، والمسائل العملية .) (٤)

وأما الاقوال المبتدعة المخالفة لأمر أو نهى معلوم من الدين بالضرورة كجحد وجوب الصلاة ، وتحليل الزنا ، فذلك كفر .

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢ ص ٤٨٥ ومابعدها جـ ٣ ص ٢ ٥ ٣ ـ ٣٥٧
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥٧ .
(٣) هذه العبارة التى بين الشرطتين ليست من ضمن كلام ابن تيمية هنا بل تفسيرية اقتبستها من كلام شارح الطحاوية ص ٣٥٧ وأنظر معناها فى مجموع الفتاوى جـ ٣ ص ١٥١ جـ ٢٣ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٩ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٢٢٩ .

ثم ان القائل بذلك قد يكون ممن لم يبلغه الخطاب ، فلا يكون كافرا كمن هو حديث عهد بالاسلام ، أونشأ ببادية بعيدة ، لم تبلغه الدعوة ، فهذا لايحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ اذ لم يعلم بنزوله عليه . (١)

خلاصة كلام شارح الطحاوية فى أهل الابتداع :

انه يقال : فى الأقوال المبتدعة المتضمنة لمخالفة المعلوم ضرورة ، يقال فيها الحق ، حسبما دلت عليه نصوص الوعيد ، ويبين أنها كفر ، وان من قالها كافر ، فقد قال كثير من أهل السنة ، بتكفير من قال بخلق القرآن ، وان الله لايرى فى الآخرة . ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها (٢) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وهل يقال لشخص معين من أهل القبلة إنه كافر ، أو يشهد عليه بأنه من أهل النار؟

هذا من علم الغيب ، ولنا عبرة بالذى اسرف على نفسه ، وأوصى بأن يحرق ويسحق ، ويذر فى البر والبحر ، ثم غفر الله له لخشيته ، وكان يظن أن الله ـ تعالى ـ لايقدر على جمعه واعادته (٣) هذا بالنسبة لأمر الآخرة وكان شيخ الاسلام كثيرا ما يحتج بهذا الحديث على المكفرين لشخص معين وكان يقول فى مجالس المناظرة : (إنى من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين الى تكفير ، وتفسيق ومعصية الا اذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة ، وفاسقا أخرى ، وعاصيا أخرى ، ... وما زال السلف يتنازعون فى كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد ، لا بكفر ، ولا بفسق ، ولا معصية (٤)) .

---

(١) مقتبس من كلام ابن تيمية مجموع جـ٣ ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ وأنظر التفاصيل فى جـ ٢٣ ص ٣٤٥ وما بعدها .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص٣٥٧ وأعلام السنة المنشورة لشيخنا حافظ الحكمى ص٨٨ ـ ٨٩ طبع الافتاء ، ط ثالثة سنة ١٣٩٩ هـ .

(٣) هذا معنى حديث أبي هريرة المتفق عليه سبق تخريجه ص١٩٢ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٢٢٩ .

أما فى الدنيا فلا مانع من ان يعاقب صاحب البدعة المخالفة للقواطع الشرعية المخرجة من الملة لردعه وأتباعه ، وأن يستتاب ، فان تاب والا قتل ، وهذا لايكون فى أهل القبلة ، الا فى من اظهر الاسلام وابطن الكفر ، فهو منافق زنديق كما قرره شيخ الاسلام ، وشارح الطحاوية وابن الوزير (١) وغيرهم .

الا أنه يرد اعتراض ، وهو أن الله ـ تعالى ـ قد سمى بعض الذنوب كفرا ، فى قوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٢)
وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) (٣)
وقوله : (لايزنى الزانى حين يزنى وهو موءمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو موءمن ، ولايشرب الخمرحين يشربها وهو موءمن) (٤) ونظائر هذا كثيرة جدا .

والجواب : أن اهل السنة متفقون كلهم على ان مرتكب الكبيرة لايكفر كفرا يخرجه عن الملة بالكلية كقول الخوارج ، لأنه لو كفر كفرا يخرجه عن الاسلام لكان مرتدا ، وحكم المرتد القتل ، ولا يقبل عفو ولى القصاص ، ولا تنفذ سائر الحدود من الزنا وغيره ، وبطلان هذا القول معلوم من دين الاسلام بالضرورة ، لأن نصوص الكتاب والسنة والاجماع صريحة فى تنفيذ الحدود .
ومتفقون أيضا على أن مرتكب الكبيرة لايخرج من الاسلام ، ولا يدخل فى الكفر ، ولا يخلد فى النار ، خلافا للمعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين ، وهذا باطل أيضا مخالف لنصوص الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) (٥) فسمى الله الطائفتين المقتتلتين موءمنين . (٦) .

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥٣ ومابعدها وشرح الطحاوية ص ٣٥٨ وما بعدها وايثار الحق لابن الوزير ص ٤١٥ .
(٢) سورة المائدة آية : ٤٤ .
(٣) مسلم جـ ١ كتاب الإيمان باب قول النبى سباب المسلم فسوق ص ٨١ .
(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة ، البخارى جـ ٨ كتاب الحدود باب لايشرب الخمر ص ١٣ ومسلم جـ ١ كتاب الايمان باب نقصان الايمان بالمعاصى ص ٧٦ واللفظ له .
(٥) سورة الحجرات آية : ٩ .
(٦) أنظر شرح الطحاوية لابن أبى العز ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ وشرح مسلم للنووى جـ ١ ص ٢١٧ ـ ٢٢٠ .

ثم ان أهل السنة اختلفوا — بعد هذا الاتفاق — اختلافا لفظيا ، لا يترتب عليه فساد ، وهو : هل الكفر على مراتب ؟ أى كفر دون كفر . ؟ كما اختلفوا هل الايمان على مراتب ؟ ومعلوم أن كفر التكذيب او الجحود ليس ككفر النعمة ، وأن ايمان أبى بكر ليس كغيره .

مسألة التكفير وخطرها :

إن هذه المسألة متشعبة الاطراف ، لما لها من التعلق بمسألة الوعيد والرجاء والارجاء والشفاعة فى اخراج من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وغير ذلك .

ووعرة المسالك ، وشائكتها ، لما فى تكفير المسلم بدون دليل شرعى قطعى — من الخطر العظيم ، والوعيد الشديد .

كما ان التكذيب أو الجحد بأمر أو نهى معلوم من الدين بالضرورة كترك الصلاة ، على التفصيل والخلاف المعروف ، أو استباحة نكاح المحرمات ، أو نفى علم الله — عز وجل — بالاشياء قبل وقوعها كما تقوله القدرية ، او تعطيل اسماء الله — تعالى — وصفاته الثابتة فى الكتاب والسنة ، كما تقوله الجهمية ، أو تشبيه الله — عز وجل — بمخلوقاته كما تقول المشبهة الكرامية — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — فذلك أدهى وأمر .

وان تكفير اصحاب البدع من اهل القبلة محل نزاع قديما وحديثا — بين المسلمين ، واستقصاء هذا يتطلب بحثا مستقلا ، والزمن أقصر من ذلك، والقصور فوق ذلك .

وان منشأ معظم البدع يرجع الى امرين : هما الزيادة فى الدين والنقص منه ، بتجويز خلوه عن بعض مهمات الدين ، ويلحق بهما التصرف فى عبارات الكتاب والسنة بالتأويل والتحريف .

وقد قال الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (١) وقال عليه الصلاة والسلام : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك) (٢) وسيأتى بيان هذا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع ..) ان شاء الله تعالى .

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) ابن ماجه ج ١ ص ٤ — ١٦ .

تحقيق الكلام فى مسألة التكفير :

إن هذا الكلام ، يدور حول حديث افتراق الأمة ، الشاهد بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ـ لانه اخبار عن غيب وقع كما قال ، وهو حديث صحيح مشهور ، متداول بين أهل العلم ، وقد عدّه السيوطى من المتواتر ، كما حكاه المناوى (١) . الا أن الخلاف فى زيادة : (كلها فى النار الا واحدة) من جهة النقل والمعنى .

وقد قرر الألبانى تصحيحها من سبع طرق ، كلها واهية إلا واحدة ، وهى التى فى سنن ابن ماجه عن أنس ، وفى سندها الوليد بن مسلم عن أبى عمرو الاوزاعى وهو ـ أى الوليد ثقة مدلس (٢) ، لكنه صرح بالتحديث، وبعد دراسة السند وجدته صحيحا ، الا انه لا يلزم من صحة السند صحة المتن . كما تقرر فى علوم الحديث لان ذلك يحتاج الى تتبع جميع أطراف الحديث وطرقه وهذا ليس بالامر الهيّن عند أهل الفن ، وعند بعضهم متعذر ،

وقد استنكر الامام أبو عمرو بن الصلاح سنة ٦٤٣ هـ من يتجاسر على الجزم بالحكم بصحة حديث فى غير الصحيحين لم يكن منصوصا على صحته من أئمة الحديث المعتمدة المشهورة . (٣)

واذا كان هذا فى حوالى منتصف القرن السابع الهجرى ـ بغض النظر عما عليه من اعتراض بعض المتأخرين عنه (٤) ـ فما بالك بعصرنا ، وقصورنا فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ؟ .

وقد سبق أن ابن الوزير قدح فى زيادة (كلها فى النار إلا ملة واحدة) قدحا شديدا من حيث النقل والمعنى .

---

(١) أنظر فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوى على الجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٢١ بيروت دار المعرفة ط ثانية سنة ١٣٩١هـ

(٢) وفيه جرح غير التدليس أنظر التفاصيل فى تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ١٥١ ـ ١٥٥ ط الهند وميزان الاعتدال للذهبى ج ٤ ص ٣٤٧ ط بيروت .

(٣) أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٢ ـ ١٣ وتدريب الراوى للسيوطى ج١ ص١٠٥

(٤) انظر تدريب الراوى للسيوطى ج١ ص١٤٢ وما بعدها

أما النقل ، فان حديث ابن عمر الذى رواه الترمذى فى سننه ، وفيه هذه الزيادة ، ففى سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقى ضعيف كما سبق بيانه فى تخريج الحديث هذا ولذلك قال الترمذى حديث حسن غريب .(١)

وأما حديث معاوية الذى رواه أبو داود فى سننه ، وفيه الزيادة ، ولفظها : (... ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة ففى سنده أزهر بن عبد الله الحرازى ناصبى كما قال ابن الوزير وهو كذلك ، وقد سبق بعض كلام أئمة هذا الشأن فيه ، ومنهم أبو داود ، وتعقبه الحافظ بقوله : صدوق تكلموا فيه للنصب كما سبق .

وقد حكى ابن الوزير وضع هذه الزيادة عن ابن حزم ، وأسند ذلك الى (البدر المنير)(٢) لابن الملقن النحوى الشافعى سنة ٨٠٤ هـ . وقد بحثته بكامل أجزاءه ، فلم اقف على شىء من ذلك ، كذلك (تلخيص الحبير فى تخريج احاديث الرافعى الكبير) لابن حجر لانه مختصر منه ولم أجد شيئا من ذلك .

كما حكى تضعيف هذه الزيادة صاحب (العلم الشامخ) مع تقريره بأن طرقه يشد بعضها بعضا .

وممن حكى عدم صحتها الكوثرى ، فى معرض مناقشة صورها الالبانى فى سلسلته ، لكن الكوثرى حكاها عن ابن الوزير .

كذلك المحدث أحمد شاكر حكى وضعها عن ابن حزم فى حاشية المحلى(٣) له بقوله : (المصنف حكم فى " الفصل ") بوضع هذا الحديث يعنى حديث

---

(١) أنظر تحفة الاحوذى جـ ٧ ص ٤٠٠ .

(٢) يوجد خ جـ ١ - ٢ فى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة رقم ٥٠٤ وتوجد نسخة كاملة مصورة فى قسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة رقم ٢٩٣٦ وهو أثناء كتابة هذه السطور تحت التحقيق .

(٣) المحلى لابن حزم جـ ١ ص ٨٢ ، حاشية تحقيق أحمد شاكر دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ .

عوف بن مالك السابق ذكره ، وفيه الافتراق الى بضع وسبعين فرقة ، بدون ذكر الزيادة ، وهذا فى غير محل النزاع ، وانما النزاع فى الزيادة المذكورة.

والمحدث الالبانى ، الذى حكم عليها بالصحة ، حكى عن الشوكانى فى تفسيره ضعفها ، ولم أجد ذلك فى الموضع الذى اشار اليه ولا فى غيره من مظانها .

وممن اشار الى هذا الضعف محمد محى الدين اثناء تعليقه على قول البغدادى سنة ٤٢٩ هـ (للحديث الوارد على افتراق الأمة إسانيد كثيرة) . (١)

وقد اشتهر هذا عند بعض المتقدمين والمتأخرين ، ولقد سمعت بعض المشائخ يحكى عن ابن حزم ضعفها وبعضهم ضعفها . وهذا مما زادنى عناء فى البحث عنها ، لأن بعض من يحكى ذلك عن ابن حزم لا يذكر المرجع ، وبعضهم يقول : فى (الفصل) بدون تحديد . وقد ذكر الشيخ الالبانى أنه بحث فى (الفصل) ولم يجد ذلك وغيره وغيره .

وبعد أن غلب على ظني عدم وجود ذلك فى (الفصل) وجدت الضالة المنشودة للباحث ، أثناء كلام ابن حزم على التكفير وعدمه حيث قال : (ذكروا أى القائلين بالتكفير بالخلاف فى الاعتقاد — حديثا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (إن القدرية مجوس هذه الأمة) وحديث آخر : (تفترق هذه الامة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاش واحدة فهى فى الجنة) وقال : قال أبو محمد — رضى الله عنه — هذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الاسناد وما كان هكذا ، فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد ، فكيف من لا يقول به) (٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٧ — ٨ مطبعة المدنى بالقاهرة .

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم مع الملل والنحل للشهرستانى جزء ٤ ص ١٦ وقول ابن حزم : هذان حديثان لا يصحان أصلا هل تساوى قولهم ، ضعيف أو موضوع ، او باطل ؟ لأهل الشأن فى ذلك مصطلحات مطولة تراجع فى مصطلح الحديث والموضوعات ، من ذلك عند بعضهم اذا وردت هذه العبارة فى كتبهم فهى بمعنى باطل ، واذا وردت فى كتب الاحكام فلا يلزم من ذلك نفى الحسن أو الضعف

====

فليهنأ الدارسون والباحثون بوجودها سهلة دانية •

وهذا عمدة ابن الوزير من ناحية النقل ، مع ما أسنده الى ابن الملقن في (البدر المنير) ولم أجد ذلك •

والظاهر — والله أعلم — أن ابن الوزير لم يطلع على رواية ابن ماجه — حسب ما قرأت له — ولو اطلع عليها لما قدح في الزيادة ذلك القدح الشديد ، لأنه بلاشك من حملة السنة ودعاتها ، والذابين عنها ، برهان ذلك عنوان كتابه الموسوم بـ (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) ومختصره (الروض الباسم في الذب عن سنة ابي القاسم) و (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق) •
وهي اسماء دلت على مسمياتها ، يعرف ذلك من له اطلاع عليها ، بل هي شاهد عدل على ذلك •

أما قول ابن الوزير : (لايبعد أن تكون الزيادة من دسيس الملاحدة) فأنا أقول : لايبعد أن تكون هذه الكلمة من دسيس حساده وخصومه — لما سيأتي في (المعارك الكلامية) •

وان كانت الأخرى فالكمال لله وحده ، والخطأ من طبيعة البشر ، وقد قال ابن الوزير نفسه في مقدمة (الروض الباسم) : (••• فلن يخلو كلامي من الانتقاد ، ولا يصفو جوابي من الكدر عند النقاد ، فالكلام الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو كلام الله الحكيم ، وكلام من شهد بعصمته القرآن الكريم (1) •••)
أما من ناحية المعنى — كما في نظره — فالزيادة المذكورة مخالفة للكتاب والسنة ، لأنها صريحة بأن الثنتين والسبعين فرقة كلها في النار ، وهذا يحتمل التكفير •

وقد سبق ذكر الادلة على فضائل الأمة المرحومة ، وانهم اكثر أهل الجنة ،

*** بخلاف الاول فيلزم منه البطلان • راجع مقدمة المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري الهروي تحقيق أبو غده ص ٢٧ وما بعدها بيروت دار السلام ط رابعة سنة ١٤٠٤هـ •

(١) الروض الباسم لابن الوزير جـ ١ ص ١١ •

مع أنهم فى سائر الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، وهى أدلة صحيحة بلا نزاع ، لكن هل هى فى محل النزاع ؟ - يأتى مضمون الجواب فيما بعد ان شاء الله تعالى - .

والزيادة المذكورة فيها نزاع بل قدح شديد - كما سترى - .

وكونها مخالفة للكتاب والسنة هو باعتبار هلاك السواد الأعظم من الأمة، المستنبط من : (كلها فى النار الا واحدة) وذلك يدل على وضعها ، كما تقرر فى علوم الحديث . (١)

ومخالفة أيضا للقواعد المعتمدة عند أهل السنة والجماعة ، منها عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحله كما سبق .

وقد ظهر لى من خلال البحث - والله أعلم - أن الزيادة المذكورة فى حديث افتراق الأمة ، وان تعددت طرقها فهى واهية الا واحدة ، وهى التى رواها ابن ماجه (٢) عن أنس فسندها صحيح تحقيقا لا تقليدا ، فهى وان كان فيها الوليد بن مسلم ثقة مدلس فقد صرح بالتحديث فارتفع التدليس ، حسب قواعد المحدثين ، وأقل درجته يكون حسنا ، لكنه روى عن أنس من عدة طرق خرج المحدث الألبانى لها سبعا كلها واهية الا واحدة ، وهى المشار اليها، مع أن الألبانى نفسه صرح بقوله : (وفى تصحيحه نظر عندى لا ضرورة لذكره الآن ، فانه لا بأس به فى الشواهد) (*) وبناء على القواعد المعروفة فى علوم الحديث من أن كثرة الطرق يقوى بعضها بعضا ، وبانضمام هذه الطرق الى الطريق التى سندها صحيح عن أنس بما فيها الزيادة يرتقى الى درجة الصحيح ان شاء الله تعالى .

يؤيد ذلك تلقى جمهور العلماء له بالقبول ، والعمل به ، وروايته بدون نكير الا من عرفت .

يؤيد ذلك أيضا ادعاء كل فرقة من المسلمين أنها هى الناجية المنطبق عليها قوله صلى الله عليه وسلم - فى الزيادة ذاتها لما قيل له من هى

---

(١) أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٩ - ٩١ وتوضيح الافكار للصنعانى شرح تنقيح الأنظار لابن الوزير مع حاشية المحقق محمد محى الدين جـ٢ ص ٦٨ - ٩٧ .

(*) سلسلة الاحاديث الصحيحة للألبانى فى الكلام على حديث افتراق الأمة رقم الحديث ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) سنن ابن ماجه جـ ٢ الفتن باب افتراق الأمم ص ١٣٢٢ .

يارسول الله ؟ قال : (ماأنا عليه وأصحابى) وهذه العبارة جزء من الزيادة ذاتها وفى رواية (وهى الجماعة) وابن الوزير نفسه ممن ينطبق عليه هذا ان شاء الله تعالى شاهد ذلك مصنفاته ومنها (ايثار الحق على الخلق) الذى جعلته عمدة البحث فى هذه المسألة وكتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم)صلى الله عليه وسلم ، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه .

فان قيل بفساد معنى الزيادة المذكورة لماتكنه من تكفير السواد الأعظم من الأمة ،فيقال ليس الأمركذلك لماسيأتى من تعليق الوعيد فى الجهنمين ـ ماعدا المشركين ـ بمشيئة الله عزوجل .

ثم يقال : وماجدوى الحديث على فرض عدم صحة الزيادة المذكورة ،وانتهاء الكلام النبوى عند قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة) ماثمرة هذا العدد وأين الميزان الذى توزن به فرق الأمة ؟ أم الجميع كفرسى رهان ؟ !

وهل يستوى أهل السنة والجماعة ،والمعطلة والمشبهة ،أم هل يستوى الأبرار والفجار ، والصادقون والكاذبون ؟ ! كلا .

ان فى الزيادة لفيصل التفرقة بين أهل الحق والباطل (من كان على مثل ماأنا عليه وأصحابى)[1] .

التوفيق بين الأدلة : يبقى الجمع بين الأدلة والقواعد التى أشار اليها ابن الوزير بل صرح أنها تصادم هذه الزيادة ،من ذلك أنها تصادم فضائل الأمة المرحومة ،وأنهم أكثر أهل الجنة ، ومنهم سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب ،مع أنهم كالشعرة البيضاء بالنسبة لسائر الأمم ـ فى الثور الاسود ، فيقال لا معارضة لإمكان الجمع وذلك من وجوه :

الوجه الأول : إن كان المراد بالأمة فى الحديث المذكور أمة الدعوة ،فلا إشكال ،بأن من بلغتهم الدعوة المحمدية ،ولم يدخلوا فى الاسلام بل عاندوا وكذبوا وكفروا ، فلاشك أن مصيرهم النار ،خالدين مخلدين ، وهؤلاء هم الفرق الهالكة فى الحديث المذكور ،وإن كان المراد بالأمة فى الحديث المذكور أمة الاجابة ـ وهو الراجح ـ لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أضافهم اليه فى قوله : (وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة ..) فيحمل هذا الوعيد على الجهنميين أصحاب المعاصى ، ويدخل فيهم أهل البدع غير المخرجة من الملة ، ومنهم المتأولون المخطئون ـ دخولا أوليا ـ كما مضى تقريره على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، فى حكم مرتكب الكبيرة ـ ما عدا الشرك ـ اذا مات مصرا عليها (ان الله لايغفر أن يشرك به ،ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[2] على

---

(١) سبق تخريجه ص ١٧٧
(٢) سورة النساء : ٤٨-١١٦

أننا لاننسى الاحاديث المتواترة فى شفاعة النبى — صلى الله عليه وسلم — الشفاعة العامة لاهل الموقف فى فصل (القضاء) والشفاعة الخاصة بأمة الاجابة على مافيها من تفاصيل وشفاعة الشافعين أيضا .

وأعظم من ذلك كله فضل الله ورحمته حتى يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وبهذا يصدق عليهم (كلها فى النار إلا واحدة)

الوجه الثانى : ان السواد الاعظم من الأمة ، هى العامة الذين هم على الفطرة ، لايعرفون شيئا من مصطلحات أهل الكلام ، وتشدقاتهم وهؤلاء ليسوا من الفرق الهالكة ، ولا من أتباعهم ، وهم جمهور المسلمين ، وإلالزم تكفيرهم بدون مكفر ، ولا قائل بذلك إلا من يقول من أهل الكلام : إن أول واجب على المكلف النظر وعند بعضهم الشك وهذا مخالف لتعاليم الرسول — صلى الله عليه وسلم — عند دخول الاعراب فى الاسلام ، اذ كان أول ما يعلمهم به الشهادتين من غير أن يأمرهم بالنظر والاستدلال ، أو الشك ، والله المستعان .

الوجه الثالث : أن خاصة الأمة — فى القرون السابقة — لاسيما القرون الثلاثة الأولى — هم الاكثرية .

وقد شهد الله تعالى لهم بانهم خير الأمم ، وشهد لهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأنهم خير القرون ، وهم الذين ينطبق عليهم الوصف بالفرقة الناجية (١) (ما أنا عليه وأصحابى) وهم (أهل السنة والجماعة ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين) وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب كما سيأتى قريبا ، بغض النظر عن الذين لايسترقون ولا يكتوون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون

الوجه الرابع : ان افراد الفرق المشار اليها — فى الحديث — بالهلاك ، بسبب الابتداع ، وان كثرت الفرق ، فقد لا يكون مجموع افرادهم جزءا من ألف جزء بالنسبة لسائر الامة ، اذ قد تكون الفرقة من اهل الشذوذ والبدع فى غاية من القلة كما سبق تقريره عن الشيخ العلامة صاحب (العلم الشامخ) (٢)

---

(١) صنف شيخنا حافظ الحكمى كتابا فى هذا بعنوان (أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) .

(٢) راجع ص ١٨٨-١٨٩

وأما ماذهب اليه ابن الوزير من التوقف وعدم التكفير للمتأولين المخطئين من أهل القبلة ، واستدلاله على ذلك بالوجوه السابقة فهو — والله أعلم — الصواب لوجوه :

الأول : أنه يتمشى مع القواعد العامة لاهل السنة والجماعة ، فى عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحله ... كما سبق بيانه وللمكفرين عبرة بالذى اوصى بأن يحرق ويذر فى البر والبحر خوفا من عقاب الله تعالى فغفر الله — تعالى — له بايمانه بربه وبالمعاد كما سبق بيانه وكثيرا ما يستشهد به ابن تيمية وابن الوزير على المتجرئين بالتكفير .

الثانى : أنه الاولى والاحوط ، لما يترتب على الخطأ فى التكفير من الخطر العظيم ، والوعيد الشديد ، فى الادلة السابقة فلعل المكفر لايسلم من مثل تلك البدعة ، أو قريب منها ، فالعصمة مرتفعة عن غير الانبياء ، وحسن ظن الانسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك ، لثبوت الخطأ على الانسان ، بل الغالب على أصحاب البدع العجب بأنفسهم ، والاستحسان لبدعهم .

الثالث : أنه قد تورط فى هذه المسألة خلق من المتكلمين ، والمنسوبين الى السنة ، وكانت نتيجة ذلك العداوة والتقاطع كما هو الواقع ، فالتكفير لأحد من المسلمين بخطأ اخطأ فيه ، كالمسائل المتنازع فيها غير جائز (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا [1] ...) .

وقد سبق فى صحيح مسلم أن الله — تعالى — أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم . [2]

ومعلوم أن هناك بونا شاسعا بين المتأول المخطئ ، أو الجاهل المعذور ، وبين المعاند والفاجر ، وقد جعل الله لكل شئ قدرا .

الرابع : أنه قد أخطأ بعض السلف فى بعض المسائل الاعتقادية مثل ما أنكر

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) راجع ص ١٨٠ من هذه الرسالة .

بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحى كنداء أهل قليب بدر من المشركين .

وبعضهم أنكر أن يكون المعراج يقظة ، وبعضهم أنكر رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ـ ربه ـ عز وجل ـ واختلفوا فى امر الخلافة وفى تفضيل الشيخين على وعثمان .

واتفقوا على عدم التكفير بذلك . (١)

الخامس : أن الخوارج لم يكفرهم على بن أبى طالب ، ومن معه من الصحابة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ بل ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على أموال المسلمين ، فقاتلهم لدفع ظلمهم ، وبغيهم لا لأنهم كفار ، ولذلك لم يسب حريمهم ، ولم يغنم أموالهم . (٢) وقد سبق ذكر الخلاف فى تكفيرهم . قال شيخ الاسلام بعد أن قرر هذا : (وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والاجماع لم يكفروا مع امر الله ـ تعالى ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتالهم ، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق فى مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف ، أن يكفر الأخرى ، ولا يستحل دمها ومالها ، وان كانت فيها بدعة محققة فكيف اذا كانت المكفرة مبتدعة أيضا ، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، والغالب أنهم جميعا جهال بحقائق ما يختلفون فيه) (٣) فانظر كيف نظم المكفرين فى سلك الجهال الذين لا يعرفون حقيقة ما يقولون وفى النفس من هذا شىء فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيهم : (... ويمرقون من الاسلام كما يمرق

---

(١) أنظر تفاصيل هذا فى السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩ ، تحقيق شلبى وزميليه الحلبى ط ثانية سنة ١٣٧٥ هـ وتفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٠ ـ ٤١ وما بعدهما وسائر كتب التفسير لأول سورة الاسراء وتفسير أواخر سورة الشورى وأوائل سورة النجم وشرح الطحاوية ص ٢٤٥ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص ٤٩٢ وهذا أشهر من أن يشار الى مصادره .

(٢) أنظر الادلة على ذلك فى تلخيص الحبير لابن حجر ج ٤ ص ٤٧ تصحيح عبد الله هاشم اليمانى شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .

(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وشرح مسلم للنووى ج ٧ ص ١٦٠ .

السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)(١)

السادس : ان الله — سبحانه وتعالى — قد تولى تصنيف الأمة المحمدية — من فوق سبع سموات — الى ثلاثة اصناف ، وميزهم واصطفاهم من عباده لوراثة الكتاب الذى أنزله الله — عز وجل — على رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، ووصفه بأنه الحق ومصدق لما سبقه من الكتب فقال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير) .(٢)

وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة مفيدة فى تفسير الأصناف الثلاثة هؤلاء ترجع الى ما يلى :

فالظالم لنفسه ، هو المفرط فى فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات — ما عدا الشرك بالله — وهو الذى ترجح سيآته على حسناته وهذا الصنف مع اصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة النبى — صلى الله عليه وسلم — إما بدون جزاء أو بعده بالتقريع أو بالحبس فى المحشر أو بالنار .

والمقتصد ، هو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات ، وهؤلاء الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيدخلون الجنة برحمة الله — تعالى — بعد أن يحاسبوا حسابا يسيرا .

والسابق بالخيرات ، هو الفاعل للواجبات والمتحبات ، التارك للمحرمات ، والمكروهات وبعض المباحات .

وهؤلاء الذين رجحت حسناتهم على سيآتهم ، فيدخلون الجنة بغير حساب وعلى هذا فالضمير فى قوله تعالى : (جنات عدن يدخلونها) عائد الى جميع الاصناف الثلاثة ، لانه ميراث يستوى فيه العاق والبار اذا كانوا

---

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى البخارى ج ٨ كتاب استتابة المرتدين باب من ترك قتال الخوارج ص ٥٢ ، ومسلم ج ٢ كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج ص ٧٤٢ واللفظ له وانظر شرح مسلم للنووى ج ٧ ص ١٦٠ حيث ذكر اضطراب العلماء بل اختلافهم فى تكفير الخوارج .

(٢) سورة فاطر آية : ٣٢ .

مقرين بالنسب والعاصى والمطيع مقرون بالربوبية ٠

وقيل الظالم لنفسه ليس من الأمة بل هو الكافر ، والمنافق ، وعلى هذا فيعود الضمير المذكور الى الأقرب رتبة وهو المقتصد والسابق٠

وان هذه الأقسام الثلاثة كالاقسام الثلاثة المذكورة فى اول سورة الواقعة وآخرها وهذا هو المرجوح لأن الشرع مقدم على اللغة للأحاديث والآثار الواردة فى ذلك ٠

ورجح ابن جرير والقرطبى وابن كثير والشوكانى وغيرهم أن الظالم لنفسه من هذه الامة ، وروى ابن جرير بأسانيده أحاديث مرفوعة وآثارا موقوفة تؤيد هذا ٠

كما أورد ابن كثير والشوكانى احاديث وآثارا عن بعض الصحابة والتابعين من طرق يقوى بعضها بعضا ، تؤيد هذا القول ، بل جزم ابن كثير بأن هذا هو الصحيح ، كما جزم الشوكانى بوجوب المصير إليها ، والدفع بها فى وجه من حمل الظالم لنفسه على الكافر لأن الكافر والمنافق لايدخلون فى الاصطفاء والاختيار وظاهر الآية عموم الاصطفاء فى الاصناف الثلاثة ٠

وفى كتب التفسير أحاديث وآثار مفيدة لولا خوف التطويل لنقلتها فينبغى لأهل هذا الشأن الرجوع اليها ٠

منها حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :قال الله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله؟ فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ، ثم هم الذين تلافاهم برحمته ، فهم الذين يقولون : " الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) (١)

---

(١) مسند أحمد جـ ٥ ص ١٩٨ وراجع التفاصيل فى كتب التفسير عند تفسير اية ٣٢ ــ ٣٥ من سورة فاطر منها تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٢ ص ١٣٣ وما بعدها ط الحلبى ثالثة ، وتفسير القرطبى جـ ٦ ص ٥٤٢٨ ومابعدها ط الشعب وتفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٥٣٢ وما بعدها تحقيق البناء وزميليه ط الشعب والفتح القدير للشوكانى جـ ٤ ص ٣٤٩ وما بعدها الحلبى ط ثانية سنة ١٣٨٣ هـ ٠

من يستحق التكفير :

وأما من كذب بشيء من الكتاب ، أو السنة الصحيحة ، أو كذب أحدا من رسل الله — عليهم السلام — أو جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة وتستر باسم التأويل ، فيما لا يمكن تأويله كالباطنية الملاحدة ، الذين أنكروا البعث والجزاء ، والجنة والنار ، وتأولوا الرب — جل جلاله — وجميع أسمائه بإمام الزمان ، وسموه باسم الله — تعالى — ، وفسروا به لا اله الا الله — أى لا امام الا إمام الزمان — فى زعمهم — خذلهم الله — عز وجل — ، وتلعبوا بجميع آيات كتاب الله تعالى ، فى تأويلها جميعا ، بالبواطن التى لم يدل على شئ منها كتاب ولا سنة ، بل ولا اشارة من كلام السلف. ويلحق بهوءلاء كل من بلغ مبلغهم من غيرهم ، فى تخطية آثار الشريعة ، ورد العلوم الضرورية التى نقلتها الامة خلفا عن سلف فهوءلاء اتضح لابن الوزير وغيره كفرهم اتضاح الفجر الصادق .

وهذا يتفق وفتوى شيخ الاسلام ابن تيمية بتكفير فرق الباطنية ، ومنهم النصيرية والرافضة الذين يقولون بالنص القاطع على علىّ وأنه إمام معصوم ، ومن خالفه كفر ، وأن الصحابة كتموا النص وغيروا الشريعة بل كفروا إلا بضعة عشر أو أكثر ، والصواب أن فرق الباطنية ظهرت من الرافضة ويلحق بهوءلاء أيضا القدرية ، الذين ينفون الكتابة وعلم الغيب السابقين — أى ان الله جل وعلا عن ذلك علوا كبيرا — لا يعلم الاشياء قبل وقوعها ، بل الأمر — كما يقولون — أُنف ، وكذبوا ، قال الله تعالى : (مَا أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) (١) .

وقال — صلى الله عليه وسلم — : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء) (٢) وهل يلحق بهوءلاء من يقول من المعتزلة البغدادية أن الله — تعالى — لا يعلم من نفسه الا ما يعلمون (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (٣) ؟

---

(١) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٢) مسلم جـ ٤ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ص ٢٠٤٤ .

(٣) سورة الكهف آية : ٥ وأنظر ما حكاه ابن الوزير عن خصمه فى هذا الكلام القبيح فى ترجيح أساليب القرآن على اساليب اليونان ص ١٢٩ مطبعة المعاهد بمصر .

وأما القدرية نفاة الاختيار عن العباد ، ونفى التمكين لهم ، وهم الجبرية القائلون بأن العبد كالغصن أو كالشجرة فى مهب الرياح ، أو كصاحب الرعشة — أى مسيّر لا مخيّر — ولكنهم اثبتوا العلم لله تعالى ، فهؤلاء فيهم نزاع بين علماء الاسلام ، مع الاجماع على تقبيح عقائدهم وانكارها .

ويلحق بهؤلاء أيضا المشبهة الذين يشبهون الله تعالى بمخلوقاته ، أو يشبهون المخلوق بالخالق .

وحجة من كفر الجبرية والمشبهة القياس على المشركين ، فبعضهم عبد الرب الذى يشبه العباد ، وهم المشبهة ، وبعضهم عبد الرب الذى يجبرهم وهم المجبرة ، وأجيب بأنه قياس مع الفارق . (١)

وأما تكفير شخص معين من أهل القبلة ، فذلك أشد خطرا لعدم توفر الشروط ، ووجود الموانع ، وقد يلغى حكم الوعيد فيه بتوبة أو مصائب مكفرة ، أو شفاعة مقبولة .

ولا مانع من اطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا ، فهو كذا كما هو المأثور عن السلف ، كنفى الصفات كفر ، والتكذيب بأن الله يرى فى الآخرة ، أو أنه على العرش ، أو أن القرآن الكريم كلام الله — عز وجل — أو أن الله كلم موسى تكليما ، أو اتخذ ابراهيم خليلا كفر (٢) ، اذا صدر من مكلف عاقل مختار عامد بلغته شرائع الاسلام وأصر على ذلك .

وهذا ثابت ومتواتر فى الكتاب والسنة ، فالايمان والهدى وسعادة الدارين فيهما ، وفى العمل بما فيهما (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) (٣) (ومن أصدق من الله حديثا) (٤) (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك) (٥) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) (٦) (وفوق كل ذى علم عليم) (٧) حتى ينتهى الى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) هذا خلاصة ماسبق وأنظر للتأكد من ذلك ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤١٥ — ٤٤٥ ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥١ — ٣٥٢ جـ ١٢ ص ٤٨٦ وشرح مسلم للنووى جـ ١ ص ١٥٦ .

(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٦ ص ٤٨٦ جـ ١٢ ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

(٣) سورة الانعام آية : ٣٨ .

(٤) سورة النساء آية : ٨٧ .

(٥) ابن ماجه جـ ١ ص ٤ — ١٦ .

(٦) سورة التوبة اية : ٢٨٦ .

(٧) سورة يوسف اية : ٧٦ .

تنازع الفرق على الفرقة الناجية :

ومع هذا التفرق تدعى كل فرقة أنها هى الناجية ، فالمعتزلة والزيدية تدعى أو تدعيان (١) أنها الفرقة الناجية ، صرح بهذا المهدى المرتضى وغيره من ائمة المعتزلة ، والزيدية وأنه ورد فى بعض الروايات لحديث افتراق الأمة : (أبرها وأتقاها المعتزلة) (٢) هكذا ذكره المهدى المرتضى عن سفيان عن الزبير عن جابر مرفوعا .

وهذا غريب على دواوين الاسلام — حسب علمى — فانى لم أقف عليه ، ولا فى الموضوعات .

وقد قرر ابن الوزير ، أن كتب الزيدية خالية عن الاسناد ، وعن بيان من خرّج الحديث (٣) هذا من ناحية النقل . أما من ناحية العقل والواقع فقد كفانا موئنة الرد عليهما أو عليهم ابن الوزير فى دعواهم أنهم الفرقة الناجية ، لكن رده مصوب الى المعتزلة أكثر منه للزيدية مع اشتراكهما بل اتحادهما فى هذه الدعوى العارية عن البرهان ، وأنها دعوى ممزوجة بعجب كبير واحتقار لكل من خالفهم ويستدل على بطلان دعواهم هذه بأنهم مختلفون كما يقول ابن الوزير : (غاية الاختلاف ، مفترقون عشر فرق ، (٤) فى مسائل عقلية قطعية ، لايمكن عندهم فيها تصويب الجميع ولا رفع الاثم عن المخطىء ، ولا القطع بانتفاء الفسق باجماعهم ، ومنهم من يجيز فى ذلك الاختلاف الواقع بينهم أن يكون كفرا ، ومن يجوز منهم كفرا لادليل عليه ، وأما تجويز أن يكون فسقا فلا خلاف بينهم ، ومنهم من يصرح بتكفير مخالفه) (٥) فكيف تكون الفرقة الناجية المعتزلة والزيدية والحال

---

(١) هذا التعبير فيه إيهام ولكن له مغزاه فالافراد معناه أن المعتزلة والزيدية فرقة واحدة لاتفاقهما فى الاصول الخمسة ماعدى مسألة الامامة كما سيأتى بيانه فى موضعه ان شاء الله تعالى .

(٢) الملل والنحل للمهدى المرتضى ضمن مقدمة البحر الزخار ص ٤٣ ط بيروت .

(٣) أنظر الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير جـ ١ ص ٨٤ .

(٤) سيأتى فى فصل المعتزلة أرقام فرقها لابن الوزير وغيره .

(٥) الروض الباسم جـ ٢ ص ١٦٠ .

هذه ؟! علما بأن هذه الدعوى صادرة عن إمام من أئمة الزيدية المعتبرين فى العلم والسياسة ، وهو أحد معاصرى ابن الوزير وأقرانه وخصومه .

كما تدعى الاشاعرة أنهم أهل السنة والجماعة على الاطلاق ، وهذا مشهور عنهم ، وممن صرح به مرتضى الزبيدى (١) سنة ١٢٠٥ هـ :

وكل يدعى وصلا لليلى ** وليلى لاتقر لهم بذاكا (٢)

فأهل السنة والجماعة الحقيقيون لايرضون بمجرد الانتساب اليهم دون تطبيق لعقيدتهم .

وعند المقارنة بين الطوائف ومعتقداتها ، تجد البون الشاسع ، كما تجد بعض الطوائف تضلل الأخرى ، وقد تكفرها ، بل أفراد الطائفة الواحدة تفسق وتكفر بعضها بعضا ، كما سبق ذكره عن المعتزلة ، لذلك لا سبيل الى معرفة الطائفة الناجية من الهالكة إلا من خلال عقيدتها ، ثم عرضها على المعيار النبوى ، وهو قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (ما أنا عليه واصحابى) وذلك يقتضى أن أى فرقة تنكبت منهج الاستدلال بالكتاب والسنة ـ كما هو منهج الصحابة والتابعين ـ الى منهج أهل الابتداع والاهواء أهل الكلام ، كالاستدلال بالحدوث والاكوان (٣) ، على وجود الله ـ عز وجل ـ فليسوا من أهل السنة ، فالفطرة من أوضح الادلة على وجود الله ـ سبحانه ـ مع طريقة القرآن الكريم الآتى بيانها ـ ان شاء الله تعالى ـ فى الباب الثالث عند الكلام على طرق اثبات وجود الله ـ عز وجل ـ كذلك القول بأن أول واجب على المكلف النظر ـ المؤلف من مقدمات ونتائج ـ فان مات فى اثناء النظر ففى اسلامه خلاف عند أهل الكلام ، وعند بعضهم أول واجب على المكلف الشك فى وجود الله ـ عز وجل ـ حتى يثبت بالنظر والاستدلال وغفلوا عن كون وجود الخالق القيوم بخلقه أقوى فى التعريف بوجوده من الدليل الذى يتكلفونه على ذلك فى فطر العقلاء كما غفلوا عن أنه كان يأتى الاعرابى من البادية ـ لا يعرف شيئا من هذا ـ يريد الدخول فى الاسلام ، فأول مايلقنه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشهادتين ، وبذلك يصبح فى عداد المسلمين

---

(١) أنظر على سبيل المثال اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين للمرتضى الزبيدى جـ ٢ ص ٣ ط دار الفكر بيروت .

(٢) هذا البيت لمجنون بني عامر .

(٣) أى المبنى على المقدمات والنتائج المنطقية .

له مالهم وعليه ما عليهم كما غلوا أيضا عن ان الصحابة ـ رضوان اللـه عليهم ـ ماتوا ولم يعرفوا الجوهر والعرض، ولم يأمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحدا منهم بالنظر قبل النطق بالشهادتين وكان يكتب الى الملوك والعظماء، يدعوهم الى الدخول فى الاسلام بأن يشهدوا أن لا اله الا اللـه وأن محمدا رسول الله، فهل ثبت أنه زاد على هذا شيئا ؟ وهل ثبت أن احـد من الرسل قال ، أو لما دعى قومه : انكم مأمورون بطلب معرفـة الخالق بالنظر والاستدلال ، حتـى تعرفوه ؟ الجواب : لا ، لأن قلوبهم تعرفـه وتقربه ، لانهم ولدوا على الفطرة، وانمـا عرض للفطرة ما غيرها ، فالانسان اذا ذكر ذكر ما فى فطرته .(١)

مقارنة بين منهج أهل السنة وأهل الكلام :

من منهج أهل الكلام تقديم العقل على النقل مطلقـا ، كما هو منهج المعتزلة والزيدية (٢) أو عند التعارض كما هو منهج الاشاعـرة أو بعضهم (٣) أما منهج أهل السنة فمعلوم أنهم يقدمون النقل على العقل، ويستخدمون العقل فى فهم النصوص ، وأن النقل الصريح لا يتعارض مع العقـل الصحيح .

ويقولون بالاثبات المفصل ـ فى الصفات ـ والنفى المجمل ، وأهـل الكلام عكس هذا فيقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولا جثة ولا صورة ولا شبح ولا ولا إلخ ، وهذا هو النفى المذموم وهو النفى الذى لا مدح فيـه ، فلو قيل للسلطان لست بزبال ولا كناس ولا حجام ، ولا حائك لأدب هـذا القائل لانه أساء الأدب ، ولو أجمل فى النفى بقوله : لست مثل أحـد مـن رعيتك ، لكان هذا هو النفى الممدوح وهو ، ما تضمن إثبات كمال ضـده ، كمدحـه تعالى نفسه بقوله (ليس كمثله شىء) (٤) وقوله : (وسع كرسيـه

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٦ ص ٣٣٨ بتصرف بسيط .
(٢) هذا مشهور عن المعتزلة وكتبهم مشحونة بذلك أنظر على سبيل المثال شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٦٨ وما بعدها .
(٣) أنظر أساس التقديس للرازى ص ٢١٠ ـ ٢١١ ط كردستان العلميـة سنة ١٣٢٨ هـ .
(٤) سورة الشورى آية : ١١ .

السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما) (1) (ولا يظلم ربك أحدا) (2) لكمال عدله ، وقوله : (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) (3) لكمال قدرته . وأمثال ذلك من الآيات كثير . (4)

ضوابط تميز بين الطوائف الاسلامية :

إن هناك ضوابط أو أصولا متفق عليها ، فمثلا أهل السنة الذين هم أهلها ، منهجهم فى الصفات ، يثبتون ما أثبته الله — جل وعلا — لنفسه من الأسماء والصفات ، ويصفونه بما وصفه به رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل .

وكذلك ينفون عن الله — عز وجل — ما نفاه عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله — عليه الصلاة والسلام — ينهجون فى الصفات الاسس الثلاثة المعروفة عندهم .

الأول : تنزيه الله — جل وعلا — أن يشبهه شىء من مخلوقاته ، دل على ذلك قوله تعالى : (ليس كمثله شىء) (5) وفيها رد على المشبهة .

الثانى : الايمان بما وصف الله — سبحانه — به نفسه ، وبما وصفه به رسوله — صلى الله عليه وآله وسلم — دل على ذلك قوله تعالى : (وهو السميع البصير) (6) . وفيها رد على المعطلة .

الثالث : قطع الطمع عن ادراك الكيفية ، دل على ذلك قوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) (7) .

والمعتزلة يجمعهم القول بالاصول الخمسة المعروفة ، التى سيأتى الحديث عنها ، فى فصل (المعتزلة) مع وجود الخلاف الشديد فى غيرها .

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(2) سورة الكهف آية : ٤٩ .
(3) سورة ق آية : ٣٨ .
(4) انظر التفاصيل فى شرح الطحاوية ص ١٠٨ — ١١١ .
(5) سورة الشورى آية : ١١ .
(6) سورة 〃 〃 〃
(7) سورة طه : آية ١١٠ وانظر منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات بكامله للشنقيطى

والأشعرية يجمعهم الايمان بالصفات الذاتية ، فقط ، وتأويل ما سواها من الخبرية ، والفعلية .

أما من اعتقد ما تضمنته (الابانة) و (مقالات الاسلاميين) للأشعرى ولم يقل بالتأويل فهو من أهل السنة كما سيأتى بيانه فى فصل (الأشعرية ، وموقف ابن الوزير منها) ان شاء الله تعالى .

كما يجمع الشيعة القول بتقديم على وأفضليته على جميع الصحابة والقول بامامته ، وولديه الحسنين رضى الله عنهم .

والزيدية فرقة من الشيعة يتفق الجميع فى هذه المسألة تماما . (١)

وأهل السنة يقولون بأفضلية الأربعة الخلفاء رضى الله عنهم ، وتفاضلهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة ، أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، على أصح القولين فى تفضيل عثمان على علىّ . وسيأتى بيانه فى فصل (المعتزلة والزيدية) .

وفى هذه المسألة تتفق الأشعرية مع أهل السنة تماما ، كما تختلف الشيعة مع أهل السنة تماما ، فاطلاق أهل السنة هنا يراد به المعنى الأعم وهو ما يقابل الشيعة ، فالأشعرية بهذا المعنى من أهل السنة ، أما المعنى الأخص وهو ما يقابل البدعة فليس الأمر كذلك لما سبق فى المقارنة،والكلام على جميع طوائف أهل القبلة ليس هو موضوع بحثنا ، وإنما ذكرت هذه الأمثلة للمقارنة - علما بأن كل طائفة ، ممن ذكرت تتفرق الى عدة فرق تخطوء بعضها بعضا وقد تكفرها - بين من ذكرت بمناسبة الكلام على حديث افتراق الأمة ، الى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن الناجية منها ،ماكان عليه النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصحابه ، ولهذا وصفت الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، وما عداها فمن أهل البدع والأهواء .

ولابن الوزير فى تمييز أهل السنة من المبتدعة منهج غامض ،اذ يقول :
(واعلم أنى قد أذكر المبتدعة ، وأهل السنة كثيرا فى كلامى ، فأما المبتدعة ، فانما أعنى بهم أهل البدع الكبرى الغلاة ممن كانوا ، فأما البدع الصغرى فلا تسلم منها طائفة غالبا ، وأما أهل السنة ، فقد

---

(١) أنظر القلائد فى تصحيح العقائد ضمن مقدمة البحر الزخار للمهدى المرتضى ص ٩١ - ٩٤ .

أريد بهم أهلها على الحقيقة ، وقد أريد بهم من تسمى بها وانتسب اليها ، فتأمل مواقع ذلك) (١) والمبين لهذا هو سياق كلامه .

ولكنه قد أشار الى هذا الغموض بشيء من الايضاح ، وذلك بأن أول ما ينبه عليه طالب الحق والنجاة ، أن يعلم أنه لا يصح أن يخفى على أهل الاسلام دين رسولهم ، الذى أرسل اليهم ، فيميزوا بين السنة ، والبدعة ، لأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد بيّن ذلك ، ولم يخف عليهم مالا تعلق له بالدين ، فهم يعلمون يقينا أنه لم يكن مماريا ولا فيلسوفا ، بل ترك أمته كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك) (٢) .

بعد كتابة هذا وجدت كلاما لابن الوزير نصه (لم يخالف فى ذلك أحد من أهل السنة ولا من طوائف الأشعرية) (٣) فى أن لنا أفعالا متوقفة على همنا بها ، واختيارنا لها فالمراد بأهل السنة هنا أهلها على الحقيقة .

فصل النزاع بين الطوائف :

والكلام الذى لا غموض فيه ، هو القول بأن الطائفة التى تستحق بأن تتصف بالفرقة الناجية هى التى ليس لها متبوع تتعصب له ، إلا كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وهم أهل السنة والحديث ، فهم أعلم الناس بأقوال الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأحواله ، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها ، وأعرف الناس بمعانيها ، وأشدهم اتباعا لها ، يردون المجمل الى المبين من الكتاب والسنة ، يجعلون ما جاء فيهما هو الأصل الذى يعتقدونه ويعتمدونه ، لا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم ، وجمل كلامهم ان لم تكن ثابتة فى الوحيين ،

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦ ط بيروت .
(٢) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٤ ـ ١٦ .
(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦ ـ ٣٠٨ .

ويردون ما اختلف فيه من مسائل العقيدة ، وغيرها الى الكتاب والسنة ، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ، فان اتباع الظن جهل ، واتباع الهوى بغير هدى من الله ظلم ، وهما جماع الشر . (١) .

كلام ابن تيمية على حديث افتراق الأمة :

ولشيخ الاسلام ابن تيمية كلام على حديث افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين فرقة قيّم ، ولولا مخافة التطويل لدونته بحروفه ، فقد تناول أمهات الفرق ، ومعتقداتها ، وأنهم على درجات فى مخالفتهم للسنة ، بعضهم فى أصول عظيمة ، وبعضهم فى أمور دقيقة ، وأن بعضهم رد على غيره ممن هو أبعد منه عن السنة ، وهو محمود فيما رده من الباطل ، وقد يكون رد باطلا بباطل أخف منه ، كما هو حال المنتسبين الى أهل السنة من أهل الكلام . وأن أول من فارق جماعة المسلمين ، الخوارج المارقون ، ولم يختلف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى قتالهم كاختلافهم فى قتال فتنة الجمل وصفين ، فكان بعضهم مع هؤلاء وبعضهم مع هؤلاء ، وبعضهم أمسكوا وقعدوا . وهذا ما رجحته النصوص ، وأن أصول أهل البدع الروافض والخوارج ، والقدرية والمرجئة ، وأن الجهمية لا يدخلون فى فرق الأمة ، على خلاف بين العلماء ، كما اختلفوا فى تكفير أمهات الفرق ، وعدم تكفيرها (٢) وغير ذلك مما ذكره .

والآن وقد طال بنا الكلام الذى جرنا اليه افتراق الأمة ننتقل الى الكلام على الفرق المعاصرة لابن الوزير فى اليمن فنقول : وبالله التوفيق

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٢) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٤٧ - ٣٥٨ .

الفصـــــل الثانـــــى

ooooooooooooooooooooooooooooooo

السلفية فى اليمـــــــــن
وموقف ابن الوزير منهـــا

oooooooooooooooooooooo

لقد كانت اليمن السعيدة ، قلعة من قلاع السنة ، لاتصال اليمنيين الوثيق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبأصحابه وذلك معروف في التاريخ الاسلامي .

وقد وفد منهم عدة وفود على النبي - عليه الصلاة والسلام - واستمعوا الى أقواله وخطبه ، كما اطلعوا على طرق من سيرته وأفعاله ، وذلك أكبر عامل في بروز عدد غير قليل من أهل اليمن ، حملوا القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

ويكفي في ذلك فخرا لهم ، شهادة الرسول - عليه الصلاة والسلام - لهم بقوله مخاطبا أصحابه الكرام : (أتاكم أهل اليمن ، هم أضعف قلوبا ، وأرق أفئدة ، الايمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفقه يمان) (١)

كما أتاحت لهم فريضة الحج ، وزيارة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرصة أخرى للاجتماع بجماعات من كبار الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأخذ الحديث والفقه عنهم ، الامر الذي جعل منهم أئمة - في رواية الحديث ونقله - معتمدين ، للأخبار .

منهم على سبيل المثال طاوس ومعمر بن راشد ، ووهب بن منبه ، الذي دخل عليه سفيان بن عيينه في داره بصنعاء فأطعمه من جوزة في داره (٢) ، وهمام الصنعاني ، وهشام بن يوسف الصنعاني ، وعبد الرزاق الصنعاني المرحول اليهم من الآفاق ، وغير هؤلاء كثير .

وقد قصدهم الأعلام من أئمة الاسلام ، كالامام الشافعي ، والامام أحمد بن حنبل ، وابن المبارك وابن معين ومحمد بن يحي النيسابوري ، واسحق بن راهويه ، وغيرهم . (٣)

---

(١) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان فيه ورجحان أهل اليمن ص ٧١ - ٧٣ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -
(٢) الميزان الذهبي ج ٤ ص ٣٥٣ ط بيروت .
(٣) المحدث الفاصل للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي سنة ٣٦٠ هـ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ تحقيق محمد عجاج الخطيب بيروت ط أولى سنة ١٣٩١ هـ وتاريخ اليمن الثقافي لاحمد حسين شرف الدين ج ٤ ص ٢٥ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٥٧ ، وطبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي ص ٥٦ - ٥٧ وتاريخ الفكر الاسلامي في اليمن لاحمد شرف الدين ص ٢٥ وما بعدها مطبعة الكيلاني . وتاريخ اليمن للواسعي ص ١٥٥ واليمن عبر التاريخ لاحمد حسين شرف الدين ص ١٧١ وما بعدها وتاريخ مدينة صنعاء لاحمد عبد الله الرازي الصنعاني

ويصف المؤرخ ابن سمرة الجعدى الوضع المذهبى فى اليمن قبل انتشار المذهب الشافعى بقوله : (كان المذهب الغالب فى اليمن ، مذهب مالك ، وأبى حنيفة ، ولم يكن علم السنة مأخوذا فى هذا المخلاف - أى الجزء الساحلى والجنوبى من اليمن - إلا من جامع معمر بن راشد البصرى وهو مصنف فى صنعاء ، ومن جامع سفيان بن عيينه ، وجامع أبى قرة ، موسى بن طارق اللحجى ، ومن المرويات عن مالك وغيره) (١)

وهاهو ذا الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ السلفى الشهير ، يصف السلفية فى اليمن الى عصره ، أثناء ترجمته لابن الوزير فيقول : (ان فى الديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عددا يجاوز الوصف ، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ، ويعتمدون على ماصح فى الأمهات الحديثية ، ومايلتحق بها من دواوين الاسلام ، المشتملة على سنة سيد الأنام ولا يرفعون الى التقليد رأسا ، لا يشوبون دينهم بشىء من البدع التى لا يخلوا أهل مذهب من المذاهب من شىء منها بل هم على نمط السلف الصالح فى العمل بما يدل عليه كتاب الله - تعالى - وما صح من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ...) (٢)

فان قيل ان هذا يتعارض مع ما سيأتى من الانحراف عن السلفية الى العقلية فى عصر ابن الوزير فيقال : ان كلام الشوكانى لا يدل على التعميم كما هو واضح من كلامه ووجود البعض من أئمة الكتاب والسنة فى الديار اليمنية بل الزيدية لا يستطيع أحد انكاره ، ومنهم ابن الوزير ، والمقبلى ، والأمير الصنعانى ، والشوكانى وغيرهم ، وخير شاهد على ذلك مؤلفاتهم المقررة فى كثير من الجامعات الاسلامية ، أما ما سيأتى من الانحراف عن السلفية فذلك لا يعنى الانحراف العام بدليل أن ابن الوزير قاوم ذلك الانحراف ، كذلك من سار على نهجه الى زمن الشوكانى ، وقلما يخلو زمان أو مكان من أهل الخير والاصلاح ، بل الكلام الآتى ذاته صريح فى عدم تعميم الانحراف كما ستراه ان شاء الله تعالى ..

== سنة ٦٠٠هـ ص ٢٩٦-٢٩٨ تحقيق حسين العمرى وعبد الجبار زكار ط أولى ١٩٧٤م

(١) طبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٤ وتاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين ج ٤ ص ٣٦ .

(٢) البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٨٣ .

رواية الحديث فى اليمن :

من المعلوم أن علم الحديث ، كان المادة الرئيسية ، بعد القرآن الكريم - لنشر الدين الاسلامى ، فى ربوع اليمن ، وقد نقل اليهـا بادئ الأمر على أيدى الدعاة المبعوثين من قبل الرسول - عليه الصلاة والسلام - أمثال على بن أبى طالب ، وأبى موسى الأشعرى ، ومعاذ ابن جبل ، وخالد بن الوليد ، ثم على أيدى رواة أهل اليمن ، الذين شاهدوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبوه طويلا ، أمثال أبى موسى الأشعرى ، وعمه عبيد بن وهبة الأشعرى أبى عامر ، وكعب بن عاصم الأشعرى ، والحارث الأشعرى ، وأبيض بن حمال المأربى (١) وفروة بن مسيك المرادى وغيرهم (٢) ، وممن تخرج على يد العبادله ، وأبى هريرة - رضى الله عنهم - وغيرهم من التابعين اليمنيين كطاووس بن كيسان ، وعطاء بن أبى رباح - الذى كان ينادى المنادى فى زمان بنى أمية ، لا يفتى الناس الا عطاء بن أبى رباح - أى فى الحج - ومنهم الامام مالك ابن أنس الأصبحى (٣) إمام دار الهجرة ، والقاضى عامر بن شرحبيل الشعر ، ومسروق الهمدانى ، وابراهيم النخعى المذحجى ، وعمرو بن دينار وغيرهم . (٤)

(١) أنظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج ٢ ص ٣١١ ط الهند ١٣٧١ هـ

(٢) أنظر العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ج ٤ ص ٥ ومابعدها

(٣) نسبة الى الاصابح بلدة بمخلاف اليعافر (الحجرية) محافظة تعز وينسب الى يعرب بن قحطان كذا فى حاشية تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٢٣ وأنظر ضحى الاسلام لأحمد أمين ج ٢ ص ٢٠٦ وقال : الأصبحى نسبة الى ذى أصبح قبيلة يمنية .

(٤) تاريخ اليمن الثقافى ج ٤ ص ٢٦٠ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٦ - ٧ - ٢٠١ والإصابة لابن حجر مع الاستيعاب لابن عبد البر ج ٦ ص ٣٦٦ ج ٨ ص ٩٥ ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ تحقيق طه الزينى الناشر مكتبة الكليات الازهرية . وتاريخ الفكر الاسلامى فى اليمن لاحمد شرف الدين ص ١٤ - ١٧ . طبقات فقهاء اليمن ص ٦٦ وما بعدها وتاريخ مدينة صنعاء لاحمد عبد الله الرازى ص ٢٩٦-٢٩٨ .

ومعلوم أن ارسال على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل ، وأبى موسى الأشعرى وغيرهم الى اليمن لنشر الاسلام مشهور فى الصحاح والسنن والمسانيد والتاريخ . من ذلك ما رواه الشيخان عن أبى بردة رضى الله عنه قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أبا موسى ومعاذ بن جبل الى اليمن قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف ، قال : واليمن مخلافان ، ثم قال : يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا . . .) هذا لفظ البخارى ولفظ مسلم : (أدعوا الناس وبشرا ، ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا) وفى لفظ آخر لمسلم قال لهما : (بشرا ، ويسرا ، وعلما ولا تنفرا . . .) .

وكانت هذه المدرسة السلفية فى اليمن تشع بأنوارها الساطعة ، على أصقاع اليمن الساحلية منها والجنوبية وسائر أصقاع اليمن السعيدة ، وكان أساتذة هذه المدرسة من كبار الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، منهم على بن أبى طالب وأبوعبيدة بن الجراح ، وأبو موسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن الوليد وجرير بن عبد الله البجلى وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وهذا مشهور فى التاريخ ، بل فى الصحاح والسنن والمسانيد ، وبعض آثارهم باقية الى الآن .
من ذلك مسجد الجَنَد الذى بناه معاذ بن جبل قرب تعز ومسجد ابى موسى الأشعرى الذى بناه فى مدينة زبيد .

ثم خلفهم فى هذه المدرسة كبار التابعين من أهل اليمن ، ذكرهم ابن سمرة الجعدى طبقة طبقة فى كتابه (طبقات فقهاء اليمن) وكان المدرّس والمقرر فى صنعاء ، وغيرها مصنف عبد الرزاق المشهور وجامع معمر ابن راشد المشهور فى السنن وغير هؤلاء من التابعين وتابعيهم .

---

(١) البخارى جـ ٥ كتاب المغازى باب بعث أبى موسى ومعاذ الى اليمن ص ١٠٧ ـ ١٠٨ جـ ٨ كتاب الاحكام باب أمر الوالى اذا وجه أميرين الى موضع أن يتطاوعا ص ١١٤ . مسلم جـ ٣ كتاب الاشربة باب بيان أن كل مسكر خمر ص ١٥٨٦ ـ ١٥٨٧ .

ثم خفقت بعد وكادت أن تنطفئ أنوارها لما تعددت المذاهب ، وتعصبت كل فئة لمذهبها فانتشر المذهب المالكي ، والحنفي ، والشافعي في سواحل اليمن ، وجنوبه .

وكانت مدينة زبيد آنذاك قد ضمت جماعة كثيرة من أصحاب هؤلاء ، إلا أن الغالب هو المذهب الشافعي ، فأصبحت ثالثة المدن العلمية آنذاك في الجزيرة العربية بعد مكة والمدينة . (١)

موقف ابن الوزير من الانحراف عن منهج السلف :

أما في القرن الثامن الهجري ، الذي ولد فيه ابن الوزير ، فقد كان للعلوم العقلية ، المكانة المرموقة ، لأنها السلاح الذي لا يكل حده — عندهم — في معترك الأنظار ، وأن النبوغ فيها مئنة الذكاء ، والنجابة .

كما أن العجز عن تحصيلها علامة البله والبلادة ، في حين تجد الانقسام العنيف بلغ القمة .

ومعظم الطوائف يخطئ بعضها بعضا ، بل وتكفرها ، ومعظم علماء اليمن قد تنكبوا المنهج العلمي السلفي ، وانتشرت البدع الاعتقادية ، وغير الاعتقادية ، وانطمست معالم الاجتهاد ، بشيوع التعصب والتقليد ، بل ولم يحسنوا العمل بمذهب الأئمة الزيدية من اسلافهم الذين اعتنوا عناية كاملة ، بالاجتهاد ، ونبذ التقليد .

فقد اشتهر في مؤلفاتهم أنه لايرشح للإمامة الا من توفرت فيه عشرة شروط أهمها الاجتهاد والتحرر من التقليد ، بعد بعضهم سبعة شروط (٢) وغير ذلك مما سياتي في فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله تعالى .

وسوف يجد الباحث عن تاريخ اليمن الثقافي — ان الاتجاه نحو العلوم

---

(١) أنظر التفاصيل في فقهاء اليمن للجعدي ص ٦٦ حياة الأدب اليمني للحبشي ص ١٥ — ٧٩ — ٨٠ وأنظر اليمن في ظل الاسلام منذ فجره الى قيام دولة بني رسول لعصام الدين عبد الرؤوف الفقي ص ٣١٢ — ٣١٣ الناشر دار الفكر العربي ط أولى سنة ١٩٨٢م وانظر العسجد المسبوك للخزرجي ص ٥ — ١٣ .

(٢) تاريخ اليمن الثقافي جـ ٤ ص ١٦٠ .

السمعية ـ التى هى المورد العذب الصافى والوحى الثانى ، ألا وهو الحديث الشريف ، الذى نطق به من شهد الله ـ تعالى له من فوق سبع سموات بقوله : (وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى) (١) ، وأكد ذلك بقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢) وزاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلك بيانا بقوله : (ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه) (٣) .

سيجد الباحث أن معظم الناس قد تغيرت اتجاهاتهم نحو علوم السنة ، رغبة عنها ، ورغبة فى العلوم العقلية ، وغفلوا عن شرف الحديث ، وعلومه ، وأهله الذين وصفهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) (٤) .

---

(١) سورة النجم : آية : ٣ ـ ٤ .
(٢) سورة الحشر : آية : ٧ .
(٣) سنن أبى داود مع عون المعبود جـ ١٢ كتاب السنة باب لزوم السنة ص ٣٥٥ من حديث طويل عن المقدام بن معد يكرب ومختصر السنن للمنذرى جـ ٧ ص ٧ ـ ٨ .
(٤) شرف أصحاب الحديث للبغدادى ص ٢٨ ـ ٣٠ تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب نشرته دار إحياء السنة النبوية ، الإصابة لابن حجر جـ ١ ص ١٩١ ـ ١٩٢ والجرح والتعديل لابن أبى حاتم جـ ١ ص ١٧ والعواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ وهم ١٥ فصل ٤ ، والروض الباسم له جـ ١ ص ٢١ ـ ٢٣ وقد ذكر ابن الوزير فى المرجعين المذكورين كلاما كثيرا لأئمة الحديث حول هذا الحديث من حيث الصحة والضعف لان فى سنده معان بن رفاعة فيه مقال: قال احمد بن حنبل : لا بأس به وقال الدارمى : ثقة ، وقال ابو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال محمد بن عوف : لا بأس به ، وقال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن عدى : عامة مروياته لا يتابع عليها روى له ابن ماجه ، كذا فى تهذيب الكمال للمزى جـ ١٤ ص ٦٧١ خ يوجد بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى وقد رواه البغدادى من غير طريق معان بن رفاعة هذا ، وقال : إن الامام احمد حكم بصحة هذا الحديث من طريق معان ، كذا فى شرف أصحاب الحديث الصفحات السابقة وانظر الجامع فى السنن والآداب لعبد الله بن ابى زيد القيروانى ص ١١٩ تحقيق
= ==

انها منقبة تسمو باهل السنة والحديث الى القمة ، وتهبط بأهل التحريف ، والتأويل الى الحضيض ، بل الى الهوة والهاوية . (١)

كما غفل هؤلاء عن المزية التى خص بها النبى صلى الله عليه وسلم ـ طلاب الحديث وحفاظه ، وناقليه الى من بعدهم من الأجيال ، بدقة ، وأمانة ، بقوله : (نضر الله أمرا سمع مناشيا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع) . (٢)

ولما كان المذهب الزيدى ، يدعو الى الاجتهاد ، وينفر عن التقليد ، فانه كان ينبغى للمتأخرين منهم ، أن يسلكوا تلك الطريق ، ولكنهم جنحوا الى التعصب والجمود ، ونبذ الاجتهاد ، واعتناق التقليد ، ورموا بالشهب الكلامية وراء من يدعو الى السنة النبوية ، وتنافسوا ، بل وتزاحموا على العلوم العقلية ، فخيم الجمود والتعصب على الاجتهاد وحرية الرأى ، والعلوم العقلية على النقلية ، وكاد أن ينطفئ نور الحق ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره غلاة المتكلمين .

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائل : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) . (٣)

=== أبو الاجفان وزميله مؤسسة الرسالة . أما ابن الوزير فقد أكثر من ايراد ما يؤيد تصحيحه لكثرة طرقه التى ذكرها وهى كما قال : (مع تصحيح أحمد وابن عبد البر وترجيح العقيلى لاسناده تقتضى جواز التمسك به) وأشار اليه الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة تحت رقم ٢٧٠ ولو أن المقام يتسع لاكثر من هذا لذكرته .

(١) الهوة : الحفرة والهاوية مابين الجبلين كذا فى المصباح المنير جـ ٢ ص ٣١٧ ، ولسان البلاغة ص ١٠٧٠ والحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل أ هـ صحاح جـ ٣ ص ١٠٧١ .

(٢) مسند أحمد جـ ١ ص ٤٣٧ جـ ٣ ص ٢٢٥ جـ ٤ ص ٨٠ ، سنن ابى داود مع عون المعبود جـ ١٠ كتاب العلم باب فضل نشر العلم ص ٩٤ ـ ٩٥ ، سنن ابن ماجه جـ ١ مقدمة ص ٨٤ ـ ٨٩ سنن الدارمى جـ ١ ص ٦٥ ـ ٦٦ سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ٧ كتاب العلم ص ٤١٦ ـ ٤١٧ ، وقد روى هذا الحديث بعدة الفاظ وهذا لفظ الترمذى وقال حسن صحيح .

(٣) سنن ابى داود مع عون المعبود جـ ١١ كتاب الملاحم ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ===

ابن الوزير المجــدد :

لما رأى ابن الوزير أن معالم السنة تكاد أن تطمس بتنكـب علماء الزمان طريقهـا الى الطرق الملتوية العوجاء الكلامية الجدليـة اليونانية • لما رأى ذلك نهض للدعوة الى الرجوع الى كتاب اللـه - تعالى - وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - وترك الجمود ، والتعصب المذهبى الاصولى والفروعى ، والدعوة الى حمل لواء الاجتهـاد ، ونبذ التقليد ، وأخذ المدلول من الدليل الثابت الصحيح ، وعندها قام عليه علماء عصره (١) ، بل قامت قيامتهم ، وعلى رأسهم بعض شيوخه فاعترضوا عليه بشتى الاعتراضات ، والمراسلات والمناظرات ، من ذلك الرسالة التى اعترض عليه بها السيد جمال الدين سنة ٨٣٧ هـ صاحب تجريد الكشاف ، احد شيوخ ابن الوزير ، التى سيأتى الحديث عنها ، واقتطاف البعض منها فى (المعارك الكلامية) ان شـاء اللـه تعـالى •

وكان هذا حافزا قويا - لابن الوزير - على أن يشهر (٢) أمضى سلاح فى وجوه القوم ، ذلك هو الدعوة الى كتاب اللـه - تعالى - وسنة رسولـه - عليه الصلاة والسلام - وما كان عليه السلف الصالح الكرام رضى اللـه عنهم اجمعين •

ونقد التعمق فى علم الكلام المؤدى الى التحريف والتاويل ومجارات العقول لاسيما فى أسماء اللـه الحسنى وصفاته العلا ، وسياتى بيان هذا فى منهج ابن الوزير فى الإلهيات • وخاصة فى " الاسماء والصفات " ان شاء اللـه تعالى كما نقد البدع والخوض فى المتشابه الذى لايعلم تاويله الا اللـه - عز وجل - كما سياتى فى موقفه من (الابتداع والتقليد) •

=== من حديث أبى هريرة رضى اللـه عنه اتفق الحفاظ على تصحيحه كما فى المرجع ذاته •

(١) أنظر البدر الطالع للشوكانى ج ٢ ص ٩٢ •

(٢) من باب نفع كما فى المصباح المنير للفيومى ج ١ ص ٣٤٩ •

هذا ولما حمى الوطيس بين ابن الوزير وخصومه ، وقف موقف المدافع المؤمن القوى ، الجازم بأنه على الحق وأن خصومه على الباطل .

وقد أراد الله — عز وجل — أن يخلد السلاح الذى استخدمه ابن الوزير — رحمه الله — فى الذب عن سنة ابى القاسم — صلى الله عليه وسلم — فانحاز الى بطون الأودية الخوالى ، ورؤوس الجبال العوالى ، مستمدا العون والنصر من الله — عز وجل — .

فاخذ بالاسباب ، وأعد لهم العدة ، بما استطاع من قوة ، وظن خصومه أنه ولاهم دبره ، وغفلوا عن كونه متحرفا للمعركة ، ولما كر ابن الوزير راجعا ، شاهرا أمضى سلاح ، على أعدائه المتجسد فى كتابه ، الذى لم يعرف التاريخ اليمنى مثله ، فكانت ضرباته لخصومه قواصم ، ولمن رجع عن عدائه عواصم ، وهو جدير بأن يسميه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابى القاسم صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد نصره الله — عز وجل — لنصره دينه ، ورفع رايته ، وصدق الله العظيم القائل : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (١) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (٢) (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) (٣) (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (٤) .

وفى هذا المعنى قال الفقيه البارع يحى الطويلى يمدح ابن الوزير :

....

محمد المرتدى بالكمال * * وسالك كل صراط سوى

وانسان عين بنى المرتضى * * ودرة عقدهم اللؤلؤى

ورافع أعلام علم الحديث * * وناصب عرش الهدى المنهوى

وناشر سنة خير الأنام * * وقد كان منشورها منطوى

تجرد فى بعث مقبورها * * وانقاذ منها ما كان توى (٥)

---

(١) سورة محمد آية : ٧ .
(٢) سورة الروم اية : ٤٧ .
(٣) سورة غافر اية : ٥١ .
(٤) سورة الاحزاب اية : ٦٢ .
(٥) من ترجمة ابن الوزير لمحمد عبد الله الوزير ج ٢ من العواصم والقواصم لابن الوزير .

وهكذا طبيعة الدعوة الى الله ـ تعالى ـ ، فالطريق شاق ، والحق لاينتصر بنفسه ، اذ لابد للدعوة الاسلامية من حملة أقوياء ، يحملونها على عواتقهم ، ويبلغونها الى الناس ، ويتحملون المشاق ، ويبذلون الغالى والنفيس، بل الأرواح التى هى أغلى ما يكون عند الناس ، وليست الطريق مفروشة بالورود ، بل لابد من التضحية وبذل الجهود .

وقد ضحى ابن الوزير ـ جزاه الله عن الاسلام خير الجزاء ـ بمفارقة الأهل والأحباب ، فى سبيل الذود عن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

تلك هى سنة الانبياء ـ عليهم السلام ـ والدعاة والمصلحين .

بعض الأدلة على انتصار ابن الوزير :

من علامات انتصار ابن الوزير ما يأتي :

١ - استطاع نشر الحديث وعلومه ، وسائر العلوم الشرعية ، في أرض لم يألف أهلها ذلك في عصره ، فله أجر العلماء العاملين ، وأجر المجاهدين المجتهدين .
ومن هنا نعلم أن ابن الوزير - رحمه الله - لم يكن مصدر إشعاع ، أو امتداد للدعوة السلفية - كما سيأتي في فصول هذه الرسالة في بلده فحسب ، بل كان وسيكون نبراسا ، يهتدي به دعاة الفكر الاسلامي التحرري ، في سائر البلدان الاسلامية ، إلا أنه من المؤسف جدا أن يكون التراث الذي خلفه ابن الوزير للمكتبة الاسلامية ، معظمه مطمورا ، في المكتبات اليمنية ، تعبث به الأرضة وغيرها وبعضه تابعته الأيادي الحاقدة على نشره .

٢ - ولكن بتوفيق الله - عز وجل - تنبه الكثير من الباحثين الجامعيين - والمحققين والناشرين - لإخراج هذا التراث الاسلامي .

٣ - وقد نال باحثان درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية أحدهما في تحقيق مقدمة إيثار الحق ، وثانيهما رسالة بعنوان ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي ، ولعل هذه الرسالة تكون حافزا للباحثين والمعلقين والمستدركين ، والمصححين .

٤ - هذا وقد حمل دعوة ابن الوزير من بعده في اليمن - الأمير الصنعاني في القرن الثاني عشر الهجري والشوكاني في القرن الثالث عشر الهجري ولا يخلو زمان أو مكان من المصلحين .

٥ - وبالاطلاع على هذه الرسالة ، أو على بعض مؤلفاته مثل (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ومختصره (الروض الباسم) وغير ذلك ستجد أن ابن الوزير صاحب مدرسة مستقلة ، لها أفكارها ، ومناهجها التي تفيد من يطلع عليها لمعرفة أقوم الطرق وأرشدها في تبصير المسلمين بحقيقة دينهم ، لاسيما كتابه (ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) . وكفى بهذا العنوان - بعد الاطلاع على ما يحتويه - بيانا ، فانه كثيرا ما يذكر فيه كثرة الطرق واعوجاجها والتحذير منها ، كما يذكر الطريق

المستقيم طريق القرآن والسنة طريقة السلف الصالح، وابن الوزير بحق — احد الدعاة الى التحرر المذهبى فى اليمن ، ومن اثاره ظهر تيار قوى ، اظهر رجحان الحديث وعلومه ، على الجدل والكلام ، فكانت ذروته الشوكانى ، مرورا بالمقبلى والصنعانى ومن سار على نهجهم . (١)

ولا يخلو الزمان من أهل الخير والاصلاح مصداق ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام — (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك .) (٢)

وقد اختلف فى تعيين هذه الطائفة المذكورة فى الحديث فقال البخارى هم اهل العلم وقال الامام احمد : إن لم يكونوا اهل الحديث فلا ادرى من هم ، قال القاضى عياض : انما اراد احمد أهل السنة والجماعة ، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث وقال النووى : (ويحتمل ان هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وآمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من اهل الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين ، فى اقطار الأرض ...) (٣)

غير أنه من المؤسف جدا أنك اذا قارنت بين ماكان عليه أسلافنا اليمنيون وشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام — لهم الانفة الذكر وبين الكثيرين منهم من أهل زماننا هذا ، لوجدت البون الشاسع ، بل لأحس المؤمن بأن نياط قلبه تكاد أن تتقطع ، لما يرى من تغير الاحوال ، والله المستعان ولكن الزمان لا يعدم الخير وأهله بفضل الله تعالى فالمسيرة الاسلامية تبشر بخير إن شاء الله .

---

(١) أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٩٢ ومجلة اليمن الجديد العدد الخامس سنة ١٩٧٢م تصدرها وزارة الاعلام اليمنية ودراسات فى التراث اليمنى للحبشى ص ٤٥ وما بعدها والزيدية لاحمد صبحى ص ٦٢٨ .

(٢) البخارى ج ٤ كتاب المناقب ص ١٨٧ ، مسلم واللفظ له ج ٣ كتاب الامارة باب لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين ص ١٥٢٣ — ١٥٢٤ ، مسند أحمد ٤٣٦ ، سنن ابن ماجه مقدمة ص ٥ — ٦ .

(٣) شرح مسلم للنووى ج ١٣ ص ٦٧ .

الفصل الثالـــــث

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

المعتزلـــــة

xxxxxxxxxxxxxx

أ ـ تمهيد : وفيه ذكر فرقهم ٠

ب ـ ظهور المعتزلة بصفة عامة ٠

جـ ـ ظهور المعتزلة فى اليمن ودورهم فى نشرها ٠

د ـ أصولهم الخمسة ٠

هـ ـ تأجيل موقف ابن الوزير منهم الى فصل الزيدية ٠

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxx

تمهيـــــد :

المعتزلة فرقـة ضالة من فرق المسلمين ، انحرفت بضلالهـا عـن طريق السلف الصالح رضى اللـه عنهم ، وقد يلقبون بالقدرية . وقد جعـل لفظ القدرية مشتركا ، وأنه يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره احترازا مـن وصمة اللقب فى حديث ابن عمر رضى اللـه عنهما ، عن النبى ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ قال : (القدرية مجوس هذه الامة ، إن مرضوا فلا تعودوهـم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) (١) . وجـه الشبه إثبات فاعلين ، فاعل الخيـر وفاعل الشر ، والمجوس قالوا بإلهين النور والظلمة ، والقدرية نفاة القدر الذين نفوا علم اللـه ـ عز وجل ـ بأفعال العباد ، وقالوا إن الامر أنف وزعمـوا أنه لايمكن الجمع بين القدر والإختيار وهؤلاء الذين تبرأ منهم ابن عمـر رضى اللـه عنهما ويقابلهم غلاة إثبات القدر ، وهم الجبرية ، فأنكروا أن يكـون

---

(١) رواه اللالكائى بسنده فى شرح اصول اعتقاد أهل السنة جـ ٤ ص ٦٣٩ من المجلد الثانى ، وفى سنده زكريا بن منظور فيه جرح شديد وتعديـل ضعيف وروى عن أبى هريرة وجابر وحذيفـة وسهـل بن سعد وعائشـة رضى اللـه عنهم أنظر تهذيب التهذيب لابن حجـر جـ ٣ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، وحواشى الفوائد المجموعة حيث قال المعلمى وهذا الخبـر يتعلق بعقيدة كثر فيها النزاع واللجاج ، فلا يقبل منهـا ما فيه مغمز ، الفوائد المجموعة للشوكانى ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤ ، ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية جـ ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ وقال : (وهذا حديـث لايصح) ط الهند لاهور ، وأنظر سنن أبى داود مع عون المعبـود جـ ١٢ كتاب السنة باب فى القدر ص ٤٥٢ وفى اسناده مقال ، وله طرق أوردها صاحب اللآلىء وأطال الكلام ، ورد على ابن الجـوزى حيـث زعم أنه موضوع وهو عند ابن الجوزى بلفظ (إن لكل أمة مجوسا وان مجوس هذه الامة القدرية فلا تعودوهم اذا مرضوا ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا) الموضوعات جـ ١ ص ٢٧٥ ، وقال هذا لايصح عن رسول اللـه صلـى اللـه عليه وسلم ـ ورد عليه السيوطى بكلام كثير وأورد له طرقـا كثيرة وقال : ينتهى بمجموع طرقـه الى درجة الحسن الجيد المحتج به ان شاء اللـه ، اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة جزء ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ بيروت طـ ثانية سنة ١٣٩٥ هـ وقرر الالبانى أنه حسـن فى شرح الطحاوية ص ٥٩٣ وابن الوزير مفهوم كلامه انه ضعيـف كما فى الايثار ص ٣٠٧ .

للعبد فعل أو اختيار، بل هو كالغصن فى مهب الرياح ، وقد أوجز ابن الوزير هذا فى قوله : (إن فسر القدر بالعلم ونحوه فالمذموم من نفاه ، وإن فسر بالجبر والاكراه فالمذموم من أثبته)

وظهرت بدعة القدرية هؤلاء فى أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم فأنكرها بقاياهم، منهم ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، ولم يظهر لهم سلطان حتى كثرت المعتزلة فى عهد المامون .

وقد أجمع أهل الاسلام ـ كما حكاه ابن الوزير ـ على أن القدر يتعزى به فى المصائب، ولا يحتج به فى المعائب . (١)

وقد عد المعتزلة ـ رغم ضلالهم لموافقتهم الجهمية فى تعطيل الصفات وتأويلها ـ أصحاب المقالات ـ من أهل القبلة ، والمعتزلة فرق كثيرة يخطئ بعضها بعضا بل يكفرها .

وقد صنفهم البغدادى سنة ٤٢٩ هـ اثنتين وعشرين فرقة ، فرقتين من الغلاة فى الكفر ، وهما الخابطية ، والحمارية ، ولكنه لم يذكرهما عند التفصيل ، وعدهم الشهرستانى سنة ٥٤٨ هـ اثنتى عشرة فرقة (٠) ، وعدهم المهدى المرتضى الزيدى سنة ٨٤٠ هـ عشرين فرقة ، لكنه رجح ما ذكره الحاكم الجشمى المعتزلى الزيدى سنة ٤٩٤ هـ من أن المعتزلة ثلاث عشرة فرقة .

بدأ بالغيلانية (٣) ، وثنى بالواصلية ، وختم بالجاحظية ، وصرح بأن كل فرقة من هؤلاء تنفرد بمقالة لم يقل بها غيرها . (٠)

وتزعم المعتزلة بأن اسناد مذهب الاعتزال أصح أسانيد أهل القبلة اذ يتصل الى واصل ، وهو يسنده الى محمد بن الحنفية الى علىّ عليه السلام

(٠) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ والملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٤٣ - ٤٧ بيروت ط ثانية سنة ١٣٩٥ هـ .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣٠٧ .
وأنظر تفاصيل ظهور بدعة القدرية فى صحيح مسلم مع شرحه للنووى جـ ١ كتاب الايمان ص ١٥٤ وما بعدها المطبعة المصرية ، وسنن أبى داود مع عون المعبود جـ ١٢ كتاب السنة باب فى القدر ص ٤٦٠ ، مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٥٠٠ ، شرح العقيدة الواسطية لهراس ص ١٣٧ - ١٣٨ ، الايمان لابن منده جـ ١ ص ١٢١ تحقيق الدكتور على ناصر الفقيهى ط الجامعة الاسلامية ط أولى سنة ١٤٠١ هـ .

(٣) نسبة الى غيلان الدمشقى زميل معبد الجهنى هما أول من تكلم فى القدر ، فأما معبد فكان ممن قتلهم الحجاج فى فتنة ابن الأشعث وخروجه على الحجاج وأما غيلان فقد استمر داعيا للقدر حتى رجع عنه على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز وعاد بعد موت الخليفة المذكور الى زمن هشام بن عبد الملك فأمر بقتله بعد مناظرة جرت بينه وبين الاوزاعى انقطع فيها غيلان أنظر تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة جـ ١ ص ١٢٥ - ١٢٨ .

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الى جبريل عليه السلام (١) ، وما أحوج مثل هذا الزعم الى دليل بل دونه بيض الأنوق (٢) وليكفى فى بطلانه سماعه .

ظهور المعتزلة :

أما ظهور هذه التسمية بصفة عامة ، وسببها ، فالمشهور أنها ظهرت فى عهد عبد الملك بن مروان ، وقيل هشام بن عبد الملك وفى مجلس الحسن البصرى ت سنة ١١٠ هـ ، وكان واصل بن عطاء الألثغ ت سنة ١٣١ هـ من تلامذة الحسن فسئل الحسن عن حكم مرتكب الكبيرة ، فأجاب واصل قبل أن يجيب الحسن ، بالمنزلة بين المنزلتين ، وتابعه عمرو بن عبيد ت سنة ١٤٢ هـ فطردهما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلا الى سارية من سوارى مسجد البصرة فقيل لهما ولأتباعهما (معتزلة) لاعتزالهم دعوى الأمة) أن الفاسق من أمة الاسلام فلما كان زمن هارون الرشيد ، صنف لهم أبو الهذيل كتابين وبين مذهبهم ، وبناه على الأصول الخمسة التى سموها : العدل ، والتوحيد ، وانفاذ الوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والمعتزلة مشبهة الأفعال ، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده ، وجعلوا مايحسن من العباد يحسن منه ، وما يقبح من العباد يقبح منه .

وقالوا : يجب عليه أن يفعل كذا ، ولا يجوز له أن يفعل كذا ، بمقتضى ذلك القياس الفاسد !! فان السيد من بنى آدم لو رأى عبيده تزنى بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسنا للقبيح أو عاجزا فكيف يصح قياس أفعاله

---

(١) الملل والنحل للمهدى المرتضى مقدمة البحر الزخار ص ٤٣ ـ والعلم الشامخ للمقبلى ص ١٩ .

(٢) الأنوق الرخمة تضع بيضها حيث لا يوصل اليه بعد او خفاء مثل يضرب للشيء يتعذر وجوده ـ مجمع الأمثال للميدانى ص ٢٦٤

سبحانه - على أفعال عباده (١)؟!

وقد عدد البغدادي فضائح المعتزلة فضيحة فضيحة ، وخاصة فضائح النظام ، التي منها الطعن في كبار الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث ، ورواياتهم أحاديث أبي هريرة .

كما طعن في الخبر المتواتر ، وجوز أن يقع كذبا ، مع قوله إن الآحاد يوجب العلم الضروري ، والمقام لا يتسع لتعداد هذه المخزيات فراجعها في مظانها . (٢)

ظهور المعتزلة في اليمن :

وأما متى تسربت الى اليمن ، وعلى يد من ؟ ففيه خلاف طويل نلخصه فيما يلي :

١ - ذهب نشوان الحميري سنة ٥٧٣ هـ الى أنها تسربت عن طريق وهب ابن منبه سنة ١١٤ هـ وأصحابه ، وهم أبناء فارس الذين في اليمن . يؤيد هذا قول سفيان بن عيينه : (دخلت على وهب بن منبه في داره بصنعاء فأطعمني من جوزة في داره ، فقلت وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتابا ، قال : وأنا والله لوددت ذلك) (٣) ولكن يحمل هذا على تسرب بدعة القدرية لا الاعتزال كما سيأتي ، وقال الذهبي : (كان وهب يقول بالقدر) وقال أحمد : (كان يتهم بشيء من القدر ثم رجع) . (٤)

٢ - وذهب صاحب طبقات الزيدية (٥) الى أن دخول عقيدة المعتزلة

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠ - ٢١ - الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٤٦ - ٤٨ ، فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٨٥ ط النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م ، شرح الطحاوية ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١١٤ - ١٥٠ وأنظر السنة ومكانتها لمصطفى السباعي ص ١٣٤ - ١٤٢ - المكتب الاسلامي ط ثانية .

(٣) رسالة الحور العين لنشوان الحميري ص ٢١١ وأنظر الميزان للذهبي جـ ٤ ص ٣٥٣ .

(٤) الميزان للذهبي جـ ٤ ص ٣٥٣ تحقيق البجاوي بيروت ط أولى سنة ١٣٨٠ هـ ووهب هذا تولى القضاء بصنعاء كما في المرجع نفسه .

(٥) هو ابراهيم بن القاسم الشهاري ت ١١٥٣ هـ خ يوجد في المكتبة الغربية جامع صنعاء رقم ١٤٤ تاريخ مصادره .

فى اليمن كان فى عام بضع وستين وخمسمائة هجرية على يد القاضى جعفر (١) بن أحمد بن عبد السلام ت سنة ٥٧٣ هـ .

٣ ـ وذهب صاحب غاية الأمانى الى أن دخول عقيدة الاعتزال فى اليمن كان فى سنة ٥٦٦ هـ ، وهذا يقارب مافى طبقات الزيدية .

٤ ـ وقيل : كان على يد الامام القاسم بن ابراهيم الرسى سنة ٢٤٤هـ وقيل : سنة ٢٤٦ هـ .

٥ ـ وقيل : ان ذلك كان على يد الامام الهادى يحى بن الحسين العلوى ت سنة ٢٩٨ هـ حفيد الامام القاسم الرسى المذكور آنفا لما خرج الى اليمن فى المرة الثانية سنة ٢٨٥هـ وقيل : ٢٨٤هـ وهذان القولان الأخيران اكتشفتهما من خلال البحث .

أما أولهما : وهو أنه كان على يد الامام القاسم الرسى ، فلما صرح به من تكفير المثبتين لروءية الله ـ تعالى ـ فى الآخرة .

ومعلوم أن هذا من معتقدات المعتزلة . (٢)

وسيأتى لهذا مزيد ايضاح فى الكلام على الرؤية ان شاء الله تعالى ، ولأنه موءسس الدولة الزيدية فى اليمن فى أحد القولين ، كما سيأتى بيان ذلك ـ ان شاء الله تعالى ـ فى فصل (الزيدية) والمقارنة

وأما ثانيهما : وهو القول بأنه كان على يد الامام الهادى ، فلأنه حفيد الامام القاسم الرسى ، وهو مجدد منهج جده المذكور ، ولأنه سلك طريقة المعتزلة فى الأصول الخمسة ، الا أنه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين ، بل ذكر مكانها الايمان بنبوة محمد ـ صلى

---

(١) هو شيخ الزيدية ومتكلمهم فى اليمن تولى القضاء فى صنعاء فى عهد الامام احمد بن سليمان أحد أئمة اليمن الزيدية ت سنة ٥٦٦ هـ ولهذا القاضى الفضل الذى لايحسد عليه فى نقل كتب المعتزلة من العراق الى اليمن أنظر الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٢٦٣ وحكام اليمن للحبشى ص ٧٥ .

(٢) أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسى ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ١٠٥ تحقيق محمد عمارة دار الهلال . وحاشية تاريخ اليمن الثقافى جـ ٤ ص ١٣٤ وغاية الامانى فى تاريخ القطر اليمانى ليحى بن الحسين بن القاسم جـ ١ ص ١٥٠ .

الله عليه وسلم - وامامة على بن أبى طالب - رضى الله عنه -(١) ، وسيأتى تحقيق هذا فى المقارنة بين المعتزلة والزيدية ان شاء الله .

أما الأقوال الثلاثة الأول فلم أجد لها شواهد تدل عليها فهى مرجوحة .

فان قيل : إن هذين القولين معارضان بما قرره نشوان الحميرى فى القول الأول من أن تسرب الاعتزال الى اليمن كان عن طريق وهب بن منبه وأصحابه ؟

فيقال : إن ظاهر كلام الذهبى والإمام أحمد السابقين أن هذا التسرب لبدعة القدرية ، وهى قديمة قبل ظهور الاعتزال فى أواخر عهد الصحابة . وقد أنكر عليهم من بقى من كبارهم كابن عباس وابن عمر - رضى الله عنهم .

والاعتزال ظهر فى أوائل القرن الثانى فى زمن الحسن البصرى كما سبقت الاشارة الى ذلك الزمن .

وعلى هذا يحمل ما قرره نشوان الحميرى ، فيكون تسرب الاعتزال الى اليمن آنذاك هو تسرب بدعة القدرية للقرائن الآتية :

١ - أن الامام أحمد من أئمة الحديث والجرح والتعديل ، بل من كبارهم ، والامام الذهبى من فرسان هذا الميدان كما هو معلوم .

٢ - ان قولهما مقدم على قول نشوان للعدد ولما عرف عن أهل الحديث من التحرى والضبط مما لا يوجد عند غيرهم .

٣ - ان المشهور عند الزيدية فى اليمن نسبة المذهب الهادوى الى الامام الهادى لا الى وهب بن منبه كما أشار الى ذلك الصنعانى والشوكانى وغيرهما بكثرة وعليه فيكون ماذهب اليه نشوان هو المرجوح ، اللهم الا أن يقال : ان المعتزلة قدرية .

ولكن من أين يؤخذ هذا ؟ ! أمن دعوى خصومهم ، أو من أصولهم الخمسة ، أو من غير ذلك ؟

الجواب : - والله أعلم - أن هذا أخذ عليهم من الأصل الثانى وهو العدل المتضمن التكذيب بالقدر كما سيأتى بعد هذا ان شاء الله .

---

(١) كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد للامام الهادى يحى بن الحسين جـ ٢ ص ٧٣ .

أصول المعتزلة :

سبق أن أشرت الى عدد فرق المعتزلة ، وأن كل فرقة تخطىء الأخرى ، بل وتكفرها ، ومع هذا كله فانهم يتفقون على أصولهم الخمسة ، وهى معروفة عند كل من له اطلاع على كتب المقالات ، لهذا سأذكرها بايجاز من أجل المقارنة بين أصولهم الاعتقادية ، وأصول الزيدية للتوصل الى معرفة ماذا كانت معتقدات الزيدية مستقاة من المعتزلة أو من غيرها ، وهل أخذت الزيدية الأصول الخمسة التى لا يعتبر المرء معتزليا ـ عندهم ـ الا اذا اعتقدها ودعى اليها ودافع عنها ـ كاملة أو بدلوا ؟ .

واذا كان الأخير فمن أين أخذ هذا البديل وما هو ؟ وغير ذلك من التساؤلات الواردة حول هذا ،
نؤجل الاجابة عن هذه التساؤلات الى مبحث مستقل للمقارنة بين الزيدية والمعتزلة ان شاء الله .
ولنذكر الآن الأصول الخمسة عند المعتزلة بايجاز وهى :

١ ـ التوحيد : وخلاصته عندهم أن الله ـ عز وجل ـ موجود قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، والقول بنفى الصفات مع اثباتهم الأسماء وتأويلها ، بل تعطيلها ، فقالوا : عالم بذاته حى بذاته قادر بذاته ، لا بعلم وحياة وقدرة . فمن أثبت صفة قديمة فهو مشبه عندهم لأن القديم عند جمهورهم هو أخص وصف الاله والاخص عند مثبتى الصفات مثل كونه رب العالمين ، وقالوا : ان القرآن مخلوق ، اذ لو كان غير مخلوق للزم تعدد القدماء .
كما نفوا رؤية الله ـ عز وجل ـ فى الآخرة بالأبصار ، وقالوا بتأويل المتشابه من القرآن الكريم ، كما أوجبوا تأويل النصوص الصحيحة على طبق ما تقرره عقولهم (1) ، من ذلك ماقاله أحد

---

(١) أنظر التفاصيل فى شرح الأصول الخمسة ص ١٣٠ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٦ ص ٥٥ جـ ١٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ جـ ١٣ ص ٩٨ والاسئلة والاجوبة الاصولية لعبد العزيز المحمد السلمان ص ٥١م

روادهم عبد الجبار: (واذا ورد فى القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه وجب تأويلها لأن الالفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال) (١)
وهكذا منهجه فى الاحاديث النبوية .

وقد وصفهم شيخ الاسلام بأنهم "جهمية" فى الصفات — أى أن توحيدهم يتضمن نفى الصفات وتأويلها — "وعيدية" فى باب الاسماء والأحكام لمرتكبى الكبائر، والمراد بالاسماء هنا أسماء الدين مثل موءمن وكافر وفاسق . والمراد بالاحكام أحكام أصحابها فى الدنيا والآخرة . " قدرية " فى باب القدر — أى ينفون القدر كمايتضمنه أصل العدل الآتى :

٢ — العدل : وهو عندهم أن العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا فى الاخرة ، والرب منزه أن يضاف اليه شر وظلم ، وفعل هو كفر ، ومعصية ، لانه لو خلق الظلم كان ظالما ، وأنه يجب عليه من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وبعبارة أخرى: أن اللـه لايحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ، وهذا القول يتضمن تكذيب القدر ، ومنه خلق أفعال العباد ، وارادة الكائنات ، ويلزم على هذا أن يكون فى ملك اللـه ، — عز وجل — ما لا يريده ، وذلك يستلزم العجز — تعالى اللـه عن ذلك علوا كبيرا . (٢)

٣ — الوعد والوعيد : وهو ان الموءمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض ، والتفضل معنى آخر وراء الثواب ، واذا خرج من غير توبة ، عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار ، لانهم مجمعون على ان اخبار الوعيد تبقى على عمومها ولا تجوز الشفاعة لأحد من الفساق ، ولا يجوز من اللـه عز وجل — أن يقبل شفاعة الشافعين ، لانه يكون تكذيبا لكلام اللـه تعالى . وهذا يتضمن التكذيب بالشفاعة الثابتة المتواترة تواترا لفظيا أو معنويا عند المسلمين .

---

(١) أنظر شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار بن أحمد ص٧٦٨ — ٧٦٩ .
(٢) أنظر شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد ص ٧٧٠ وما بعدها وخلق أفعال العباد للبخارى ص ٤٦ وما بعدها تحقيق عبد الرحمن عميره الناشر دار عكاظ ، ومصباح العلوم للرصاص ص ١٤ وما بعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٣ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ وشرح الطحاوية لابن أبى العز ص ٥٨٩ .

والشفاعة عندهم انما هى فى رفع درجات بعض أهل الجنة ، كما يتضمن الجهل بأن العموم والخصوص لا يتعارضان ولا يجوز عندهم الخلف فى الوعيد ، كما أنه لايجوز فى الوعد ، ولو جاز فى عمومات الوعيد لجاز فى عمومات الوعد . وسيأتى بيان ذلك فى موقف ابن الوزير من هذا الأصل فى المقارنة بين المعتزلة والزيدية ان شاء الله تعالى .

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين : وهى أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ، خلافا للخوارج القائلين بكفره ، والمرجئة القائلين بايمانه وأنه لا يضر مع الايمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة .

٥ ـ **الأمر بالمعروف** ، وهو كل فعل عرف صاحبه حسنه ، أو دل عليه ، **والنهى عن المنكر** ، وهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ، وذلك واجب حسب الاستطاعة بالسيف فما دونه ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق ، وإلا يؤل المنكر الى أعظم منه ، والمعروف الى ترك واجب اعظم منه ايضا أو ترك واجب آخر . (١)

فان قيل : ما وجه اختصاص المعتزلة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع اشتراك فرق المسلمين فى القول به ؟

فالظاهر انه كما أشار اليه شيخ الاسلام (٢) وهو ان هذا الاصل يتضمن عندهم جواز الخروج على ائمة الجور وقتالهم بالسيف ، والا فقد حكى

---

(١) أنظر تفاصيل هذه الاصول فى الاصول الخمسة وشرحها لعبد الجبار أحمد ص ١٣١ ـ ١٤١ ـ ١٤٩ ـ ٦١١ مطبعة الاستقلال ط أولى سنة ١٣٨٤ هـ والثلاثين مسألة للرصاصى عدد صفحاتها ٢٤ مع شرحها للسحولى خ فى مكتبة جامع صنعاء الغربية م ١٦٧ ، والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٤٤ ـ ٤٥ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ ـ ١١٥ ومروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ تحقيق محمد محى الدين السعاده ط رابعة ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٣ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، وتاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤٣ .

(٢) هوابن تيمية أنظر مجموع فتاويه ج ١٣ ص ٩٨ .

ابن حزم الظاهرى (١) ، والقاضى عبد الجبار المعتزلى (٢) اتفاق الأمة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا من لا يعتد بقولهم من الرافضة ، وبهذا يكونون متفقين مع الخوارج فى هذا الاصل بل مع بعضهم .

نكتفى بهذا الايجاز لمعتقد المعتزلة العام المتفق عليه ، أما تفاصيل مقالات فرقهم ، واختلافهم فهذا مما يطول ذكره وهو مبسوط فى مظانه ، والغرض من هذا بيان معتقد كل من المعتزلة والزيدية العام ، وهل يتفقان أو يختلفان أو يتفقان فى بعض ، ويختلفان فى بعض ، ثم بيان موقف ابن الوزير من كل ، ومعرفة خصومه هل هم من المعتزلة أو من الزيدية أو منهما معا ، وقبل أن ننتقل الى الزيدية نتم الحديث عن المعتزلة ببيان وجهة نظرهم فى الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

خلاصة مذهب المعتزلة فى الخلفاء الأربعة :

المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ، ومنهم من يفضله على أبى بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال : فسق يوم الجمل احدى الطائفتين ، ولا أعلم

---

(١) أنظر الفصل فى الملل والنحل لابن حزم مع الملل والنحل للشهرستانى جـ ٥ ص ١١ .

(٢) " ملاحظة " القاضى عبد الجبار بن أحمد شارح الاصول الخمسة اشتهر بأنه معتزلى والواقع خلاف هذا فان كلامه يدل على انه ليس معتزليا بل انه زيدى فمذهب المعتزلة فى الامامة وطرقها فى قريش والاختيار من الأمة واليك نص كلام القاضى عبد الجبار حيث قال فى شرح الاصول فى فصل طرق الامامة : (... فقد اختلف فيه فعندنا أنه النص فى الائمة الثلاثة والدعوة والخروج فى الباقى ، وعند المعتزلة أنه العقد والاختيار واليه ذهب المجبرة) ص ٧٥٣ ـ ٧٥٤ وفى الفصل الخامس قال : (اعلم أن مذهبنا أن الامام بعد النبى على بن أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم زيد بن على ثم من سار بسيرتهم) ص ٧٥٧ وقال : (وعند المعتزلة أن الامام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم من اختارته الأمة) ص ٧٥٨ وهذا يؤيد ما سيأتى من كلام المسعودى وابن تيمية فى الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، ويدل على ان القاضى المذكور زيدى لان هذه المسألة هى سبب الانشقاق .

عينها ، ولو شهد على والزبير لم أقبل شهادتهما فى باقة بقل _ صرح بذلك واصل بن عطاء الالثغ _ ولو شهد على مع آخر ففى قبول شهادته قولان ، وهذا القول شاذ فيهم ، والذى عليه عامتهم تعظيم على .(١)

والامامة ليست من اصول المعتزلة المتفق عليها ،فبعضهم يميل الى قول الروافض، وبعضهم الى الخوارج ، وبعضهم يوافق أهل السنة ، وأنها بالاختيار ، وان الصحابة مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الامامة .(٢)

وصرح المسعودى بأن المعتزلة وغيرها من الطوائف التى تذهب الى أن الامامة اختيار فى الأمة(٣).

قال شيخ الاسلام : (ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ، ومن الخوارج ، فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة ، وكلهم يتولون ابابكر وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم انهم يتولون عليا ، ومنهم من يفضله على ابى بكر وعمر ... ومن المشهور عندهم ذم معاوية ، وابى موسى ، وعمرو ابن العاص لأجل على ، ومنهم من يكفر هؤلاء أو يفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة ، فانهم يقولون أن هؤلاء تابوا من قتاله).(٤)

أما موقف ابن الوزير من المعتزلة فسيأتى فى الكلام على موقفه من الزيدية فان الاصول العامة تجمعهم ، ولم أجد خلافا بين الطائفتين ان صح التعبير _ الا فى مسألة الامامة كما سبق وكما سيأتى ان شاء الله تعالى وعندها يمكن رمى طائرين بحجر واحد .

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٣ ص ٩٧ - ٩٨ ، والملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٤٩ .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٨٤ .
(٣) مروج الذهب للمسعودى جـ ٣ ص ٢٣٦ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٣ ص ٩٧ _ ٩٨ .

الفصـــل الرابـــــع

الزيدية فى اليمـــــــن

****

أ ـ تمهيـد : وفيه معنى الزيدية .

ب ـ أصولهم الخمسة وموقف ابن الوزير منها .

جـ ـ مقارنة بين المعتزلة والزيدية .

****

تمهيـــد :

الزيدية فرقة من الشيعة المتشعبة الافكار المتعددة الفـــرق، وبلغ الامر ببعض الزيدية الى الغلو والخروج عن الاسلام ، نسب هذا ابـن الوزير وغيره ، الى الحسينية ـ أتباع الحسين بن القاسم العياني [١] سنة ٤٠٤هـ لادعائه أنه أفضل من رسول اللــه ـ صلى اللــه عليه وسلم ـ وأن كلامه أنفع من كلام اللــه ـ عز وجل ـ .

والظاهر أن هذه الفرقة قد انقرضت ، وسيأتي ذكرها في فصل (المعارك الكلامية) ان شاء اللــه تعالى .

وشأن فرقــة الزيدية شأن سائر الفرق في التفرق والاختلاف ، فـــي الافكار والمعتقدات ، الا أنهم متفقون على القول بأنهم الفرقــة الناجيـــة، وأنهم الذين اتبعـوا كتاب اللــه ـ تعالى ـ وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتمسكوا بعلي بن أبي طالب وبأهل البيت عليهم السلام . [٢]

وهذه الدعوى لاتتفق وماهم عليه من الاعتقاد ـ كما سيأتي بيان ذلك في هذا الفصل وفي المعارك الكلاميـة ـ الا في تمسكهم بعلي بن أبي طالب وباهل البيت عليهم السلام .

ولنا أن نتسآءل من الزيدية ، ومتى أطلق عليهم هذا الاسم ، وهـل الزيدية في اليمن هم الاصل ، أم غيرهم ؟ واذا كانت الثانية فمتى دخلـت اليمن ، ومن الذى أسسها ونشرها فيه ؟ وهل كانت لهم دولة ؟

يقول ابن كثير ـ رحمه اللــه ـ بعد ان سرد قصة خروج الامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ـ رضي اللــه عنهم ـ سنة ١٢٢هـ وأخذ البيعة ممن بايعه ، والتفاف الشيعة من أهل الكوفــة حوله ، وسوء الهم

---

(١) أحد حكام اليمن تولى الامامة بعد وفاة ابيه وقتل في البون قرب مدينـة عمران سنة ٤٠٤ هـ كما في حاشية الروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٥٨ والعواصم والقواصم جـ ٢ وهم ١٥ ورقــة ٣٥ وحكام اليمن للحبشي ص ٦١ .

(٢) أنظر الجامع الكافي لمحمد بن علي الحسن الحلوى جـ ٦ ورقــة ٣٥٨ خ في مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٠٦ .

اياه قبل نشوب القتال عن رأيه فى الشيخين أبى بكر وعمر — رضى اللـه عنهما — ومقالته فيهما خيرا ، وبعد حوار طويل نقضوا البيعة ، ورفضوه فسموا الرافضة ، قال ابن كثير بعد ذلك : (ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية ، وفى مذهبهم حق وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم على عليهما ، وليس على مقدما عليهما بل ولا على عثمان على أصح قولى أهل السنة الثابتة ...) وذكر نحو هذا شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره . (١)

وهذا خلاف ما عليه الزيدية من ان عليا — رضى اللـه عنه — افضل الخلق بعد رسول اللـه — صلى اللـه عليه وسلم — وسيأتى هذا قريبا فى هذا الفصل ان شاء اللـه تعالى .

وهاهو ذا الامام يحى بن حمزة (٢) سنة ٧٤٩ هـ يتسآءل عن الزيدية ، ولم اختصوا بهذا الاسم ، وما هو الظاهر من أقوالهم فى أقطار البلاد ؟ فأجاب قائلا : (ان ظاهر هذا اللقب انما هو الى الامام الباسل — يعنى زيد بن على) . (٣)

فحينئذ تكون الزيدية هم أتباع الامام زيد ، القائلون بامامته وبرأيه فى تفضيل علىّ على الصحابة مع تولية الشيخين وبالخروج على أئمة الجور . (٤)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ٣٢ — ٣٣ مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢ ص ٥٢ اجـ ٢٨ ص ٤٩٠ جـ ١٢ ص ٢٥-٢٦ وانظر مقالات الاسلاميين للأشعري جـ ١ ص ١٣٦ — ١٣٧ ، والاديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد ص ١٢٩ ، والفصل فى الملل والنحل لابن حزم جـ ٥ ص ٣ ، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٨ ، فتح البارى جـ ٧ ص ٣٤ ، الروض النضير للسياغى جـ ١ ص ١٢٠ دار البيان ط ثانية سنة ١٣٨٨ هـ والفهرست لابن النديم ص ٢٥٣ — الناشر دار المعرفة بيروت .

(٢) هو احد أئمة اليمن الزيدية تولى الحكم سنة ٧٢٩ هـ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ بلغت مؤلفاته ٦٨ مؤلفا . انظر حكام اليمن للحبشى ص ١٣٣ — ١٤٨ .

(٣) الرسالة الوازعة ليحى بن حمزة فى النهى عن سب الصحابة ضمن مجموعة الرسائل اليمنية ص ٢٨ ط المنيرية سنة ١٣٤٨ هـ .

(٤) انظر تاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ٢٨٩ مطبعة محمد على صبيح بدون تاريخ .

ونعنى بالزيدية الذين ثبتوا مع الامام زيد لا المتأخرين الذين سيأتى الحديث عنهم وعن معتقداتهم ان شاء الله تعالى وهذا يخالف ما ذهب اليه البغدادى من أن الزيدية من الرافضة ، والصواب — والله اعلم — ما ذكرناه آنفا عن ابن كثير وغيره لأن التسميتين فى زمن واحد ، بل فى يوم واحد ، بعد أن كان الجميع شيعة الامام زيد .

يقوى هذا ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى سياق كلامه عن ظهور كلمة (الرافضة) وخروج زيد بن على حيث قال : (ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى زيدية ورافضة امامية) .(١)

ولهذا قال فيهم زيد بن على : (الرافضة حربى وحرب أبى فى الدنيا والآخرة) (٢)

وأما هل الزيدية فى اليمن هم الاصل أو غيرهم ؟ فالمفهوم من كلام ابن كثير الآنف الذكر أنهم فرع ، وأن الاصل كان فى العراق .

وأما متى دخل اليمن هذا المذهب ، وهل كانت لهم دولة هناك ، فندع الاجابة للتاريخ :

الزيدية فى اليمن ودولتها :

سبق أن ذكرت الخلاف فى ظهور المعتزلة فى اليمن وعلى يد من ؟ ومن تلك الأقوال القول الرابع : وهو أنه على يد الامام القاسم الرسى (٣) ت سنة ٢٤٤ هـ وقيل ٢٤٦ هـ .

والقول الخامس أنها كانت على يد الامام الهادى يحى بن الحسين العلوى ت ٢٩٨ هـ حفيد الامام القاسم الرسى . وعللت لكل من القولين ، والآن نعود فنذكر ماقاله المؤرخون اليمنيون فى ظهور الزيدية ، ومعتقداتها ، ودولتها فى اليمن بايجاز مع بيان أنه اذا ذكرت بعض أسماء أئمة المعتزلة ، ثم تكرر ذكرها ، فليس ذلك من باب التكرار العديم الفائدة ، وانما ذلك التكرار من باب التوكيد وزيادة الفائدة .

فقد يكون المكرر ممن جمع بين عقيدة المعتزلة والزيدية ، وقد يكون هو الداعى والمؤسس لكل منهما ، ومن هؤلاء الامام القاسم الرسى ، فقد ذكر

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥ — ٣٦ .
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ٤١٩ — ٤٢٠ .
(٣) نسبة الى جبال الرس على مقربة من المدينة المنورة كذا فى حكام اليمن ص٢ .

بعض المؤرخين أنه مؤسس المذهب الزيدى ودولته فى اليمن (١) سنة ٢٠٢هـ

وقد عارضهم البعض الآخر بأن الامام الهادى الرسى حفيد الامام القاسم مؤسس المذهب والدولة فى اليمن وذلك أنه خرج الى اليمن مرتين بطلب من أهله ، المرة الاولى سنة ٢٨٠ هـ ولما لم ينصروه عاد الى الحجاز ، ثم طلبوه بالحاح فى الخروج مرة ثانية حينما عمت الفوضى البلاد والعباد ، واشتدت وطأة الباطنية ، وناشدوه مساعدتهم برفع الظلم عنهم وعاهدوه على السمع والطاعة ، فخرج سنة ٢٨٥ هـ وقيل ٢٨٤ هـ .

والامام الهادى لدى الزيدية موصوف بالشجاعة والقوة والعلم ، ويعدونه أكبر نعمة على اليمن بعد الاسلام ، لأنه أسس الدولة الزيدية فى اليمن وأنقذهم من الباطنية (٢) فى أيام على بن الفضل الخنفرى الحميرى وفى أحداث سنة ٢٩٧ هـ .

وقد سبق تعليل ذلك عند ذكر هذين الامامين أثناء الكلام على (ظهور المعتزلة) وترجيح انهما اول من اظهر الاعتزال فى اليمن ، وما سبق ان ذكرناه من علة كونهما اول من اسس الاعتزال فى اليمن هو نفسه علة كونهما اول من أسس الزيدية فى اليمن .

وأما الجمع بين القولين الدالين على أن كلا من الامامين الهادى والقاسم هو المؤسس لذلك ، فيمكن الجمع بينهما بأن الامام القاسم جد الامام الهادى هو اول من وضع اصول المذهب الزيدى ، واول من تولى الحكم فى اليمن من أئمة الزيدية . وأن الامام الهادى حفيد القاسم هو المرسى لدعائم السلطة والمذهب ، والمجدد لما اندثر من المذهب والدولة الزيديين فى اليمن .

---

(١) أنظر غاية الامانى جـ ١ ص ١٥٠ وحاشية تاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين جـ ٤ ص ١٣٤ .

(٢) غاية الامانى جـ ١ ص ١٦٦ وما بعدها ، والحور العين لنشوان جـ ١ ص ١٩٦ وتاريخ اليمن الثقافى جـ ٤ ص ٣٦ — ٣٧ مقدمة السيل الجرار للشوكانى جـ ١ ص ٦ وحكام اليمن للحبشى ص ٢١ وتاريخ اليمن السياسى لمحمد يحى الحداد ص ١٧٤ وما بعدها دار الهنا للطباعة سنة ١٣٩٦ هـ والتحفة العنبرية لمحمد عبد الله أبو علامه ورقة ٦٧ وما بعدها .

ولعل منشأ الخلاف هو اندثار المذهب والدولة فى الفترة مابين وفاة الامام القاسم سنة ٢٤٤ هـ ومابين تولى حفيده الحكم سنة ٢٨٥ هـ وهذا باعتبار خروجه الى اليمن فى المرة الثانية فى هذا العام نفسه ، فتكون الفترة بينهما احدى واربعين سنة ، وهى كفيلة بانطماس معالم المذهب ، وانهيار بنيان الدولة ٠

ثم أن الامام الهادى ارسى قواعد المذهب والدولة فى منطقة (صعدة) وضواحيها ، ومن حينئذ توارث أئمة الزيدية الدعوة الى المذهب والامامة ، رغم الصراعات العقدية والدموية بينهم وبين منافسيهم من سلاطين بنى نجاح ، وبنى رسول المسيطرين على الجزء الساحلى والجنوبى من جهة وبينهم وبين الباطنية من جهة أخرى ٠ وقد دافع أئمة الزيدية عن المذهب والمنصب ببسالة ، وتوارثوهما حتى سقوط الحكم الامامى سنة ١٣٨٢ هـ ٠

هذا ولاننسى مالإمام الهادى من الشعبية والمكانة العلمية لدى الزيدية فى اليمن الى مطلع قرننا الخامس عشر الهجرى ، ومذهبه مشهور بالهادوى ، وأتباعه بالهادوية ، وقد بلغت مؤلفاته ٦٩ مؤلفا فى كثير من الفنون[1] ، غير أنه رماه الذهبى[2] بالرفض فقال : (يحى بن الحسين العلوى رافضى متأخر ، وفى هذا الكلام نظر ، لأنه من أئمة الزيدية ودعاتها الى الزيدية بلا شك ، والرافضة هم الذين رفضوا زيدا لا الذين شايعوه ، وهذا من شيعته بلا شك لما سبق من تأسيسه المذهب الزيدى فى اليمن ولماسيأتى من كلامه فى الامامة ٠ وعلى هذا فيحمل كلام الذهبى من نسبته الى الرافضة الذين رفضوا امامة الشيخين وقالوا بالنص على امامة على كما ذكره الاشعرى[3] لأن الجميع من الشيعة ٠

---

(١) حكام اليمن ص ٢١ — ٤٤ وأنظر طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ص ٧٩ وذكر له ابن النديم فى الفهرست كتابا واحدا وهذا يدل على أنه لايعلم كمال الرجال — والله اعلم ٠

(٢) الميزان جـ ٤ ص ٣٦٨ وفيه أنه كتب عن ابى الغنائم النرسى ، أتى بخبر كذب متنه (أن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم وجده فى الجنة) اتهم بوضعه ، وانظر فى ترجمته الاعلام للزركلى جـ ٨ ص ١٤١ وقد ذكر له كتبا مخطوطة ومطبوعة ٠

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى جـ ١ ص ٨٩ وانظر تاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ٢٨٨ ٠

فرق الزيدية :

سبق أن ذكرت ظهور الزيدية فى اليمن ودولتها ، على يدى الامامين القاسم الرسى ، وحفيده الهادى يحى بن الحسين ، وسأذكر هنا فرقهم مع أصول عقائدهم ، أما التفاصيل فلا يسع المقام ذكرها ، وهى مذكورة فى كتب المقالات .

فأما حصر فرقهم فقد اختلف أصحاب الفرق والمقالات ، فعدهم الامام أبو الحسن الأشعرى سنة ٣٣٠ هـ ست فرق ، وأنها من الشيعة ، كما عدهم المسعودى سنة ٣٤٦ هـ ثمانى فرق ، وأنهم من الشيعة ، كما عدهم الشهرستانى سنة ٥٤٨ هـ أيضا ثلاث فرق ، وأنها متفرعة من الشيعة ، وقسم ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ الشيعة الى زيدية وإمامية وباطنية ، وعدهم الامام المهدى الزيدى سنة ٨٤٠ هـ من الشيعة بقوله : (والشيعة ثلاث فرق ، زيدية وإمامية وباطنية) . كما عدهم أبو زهرة من الشيعة ، وقال : (هذه الفرقة ـ يعنى الزيدية ـ هى اقرب فرق الشيعة الى الجماعة الاسلامية واكثر اعتدالا) .

وقال صاحب تاريخ الاسلام السياسى ... (والى زيد تنسب جماعة الزيدية التى تفرقت منها جماعة الرافضة) وفيه نظر .

وكذلك عبد القادر شيبة الحمد ذكر بان الزيدية هم القائلون بامامة زيد بن على ، والرافضة هم الذين رفضوه .

أما ابن الوزير فقد عد زيدية اليمن خمس فرق : مخترعة ، ومطرفية ، وجاروديه ، وصالحيه ، وحسينيه ، وأنهم من الشيعة . (١)

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٤٦ ـ ١٥٤ وما بعدهما ، ومقالات الاسلاميين للاشعرى جـ ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، ومروج الذهب للمسعودى جـ ٣ ص ٢٢٠ والعواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٥ والملل والنحل للمهدى المرتضى ص ٢٣ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢ ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥ ـ ٣٦ ، وتاريخ الاسلام السياسى ... جـ ١ ص ٤١٦ وتاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة جـ ١ ص ٤٧ ـ ٤٩ .

وبهذا يتضح صحة ما قررته فى مقدمة هذا الفصل من ان الزيدية فرقة من الشيعة لا من الرافضة ، كما ذهب اليه البغدادى . إلا ان يكون المراد بالرافضة - عنده - الشيعة فالله اعلم ، لانه صنف غلاة الشيعة ضمن فرق الرافضة ولم أطلع على فرقة الشيعة فى (الفرق بين الفرق) ومما يضعف قول البغدادى السابق ذكره ، أن اسم الرافضة أطلقه الامام زيد بن على يومها على الذين رفضوه ، وليس على الزيدية . الذين قاتلوا معه حتى الموت ، اللهم الا أن يقال : ان الرفض يطلق على الذين رفضوا خلافة الشيخين رضى الله عنهما كما سبق أو جمعوا بين الرفضين .

لكن المعروف عند الزيدية المتقدمين أنهم جمعوا بين تولى الشيخين وزيد بن على رضى الله عنهم كما هو الظاهر من كلام ابن كثير وغيره فى اول هذا الفصل .

أما جمع الرفضين ، وتسميتهم بالزيدية فذلك غير مسلم عقلا ونقلا لما فيه من التناقض ولما سبق .

أصول الزيدية ، وموقف ابن الوزير منها :

سبق الكلام على أصول المعتزلة الخمسة بايجاز ، وأنه لا يكون المرء معتزليا الا اذا اعتنقها ودعى اليها ودافع عنها .

والآن سنتكلم على اصول الزيدية بايجاز ايضا . اما التفاصيل فموجودة في كتبهم . ولكن قد يقول قائل هل هذا الكلام على اصول الزيدية عامة أو الزيدية فى اليمن خاصة ؟ فنقول : اما العامة فليس هو موضوع بحثنا ، سواء كانوا على معتقد الامام زيد ، او حرفوا وبدلوا .

وانما موضوع بحثنا هو : أصول الزيدية فى اليمن .

ومعلوم أن أخذ الاقوال من غير مصادر اهلها لا يتفق والبحث العلمى الدقيق ، لذلك سأحاول قدر الامكان البحث عن معتقدات القوم من مؤلفاتهم ، لأنه كما يقال فى المثل : أهل مكة أخبر بشعابها ، وصاحب البيت ادرى بما فيه ، وهذا حاصلها :

الأصل الأول : التوحيد ، وخلاصته اثبات الصانع ، وقد سلكوا فى ذلك طريقة المتكلمين وهى حدوث الاجسام ودلالة الأكوان وفى الاسماء والصفات : أن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، وانه تعالى عالم بذاته قادر بذاته حى بذاته ، لا يحتاج الى معان توجب الصفات ، وأن الله تعالى : لا يرى بالابصار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وقد أفحش القول فى مسألة رؤية الله — عز وجل — فى الآخرة ، القاسم الرسى أول الأئمة الزيدية فى اليمن ومؤسس المذهب الزيدى على أحد القولين الراجحين السابق ذكرهما — اذ لم يقل بنفى الرؤية فحسب بل كفر مثبتيها فى الآخرة ، ووصفهم بأنهم مشبهون وملحدون ، وأن احاديث الرؤية افتعلها الضلال من بغاة الاسلام . كما رماهم بالكفر والالحاد لانهم — على حد قوله — لم يحسنوا تأويلها — أما الزيدية فهم يحسنون تأويل النصوص القرآنية والحديثية ، على طبق ما تقرره عقولهم وهذا — فى نظرهم — من خصائص الأذكياء .

وقالوا : القرآن محدث غير قديم [1] أى مخلوق

وبالجملة فالتوحيد عند الزيدية كالتوحيد عند المعتزلة .

---

(١) انظر التفاصيل فى مصباح العلوم للرصاص ص ٨ — ١٢ كتاب فيه
= = = =

موقف ابن الوزير من هذا الأصل :

موقف ابن الوزير من هؤلاء القوم صراع دائم هو يدعو الى طريقة السلف بصفة عامة ، وفي الأسماء والصفات بصفة خاصة ، كما يدعو الى ترك الابتداع في الدين ، وترك التقليد ، وهم يعترضون وهو يجيب . وستأتي نماذج من ذلك في (المعارك الكلامية) ، ولنقتصر الآن على الاشارة الى الرد عليهم في هذا الاصل .

فقد سلك ابن الوزير — رحمه الله — في اثبات وجود الله — عز وجل — طريقة الانبياء ، طريقة القران الكريم طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم وهي دلالة الفطرة — دلالة الأنفس — دلالة الآفاق — دلالة المعجزات. وسياتي ذلك مفصلا في الكلام على اثبات الصانع ان شاء الله تعالى .

وفي معرض انكاره على طريقة المعتزلة الزيدية في الاسماء والصفات ، ورد بدعهم يقول :

(وكذلك القول بأن لله صفة لم ترد في كتاب الله — تعالى — ولا في سنة رسوله — صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي من أسمائه الحسنى ، ولا من مفهوماتها ولوازمها وأن معرفة هذه الصفةالمخترع اسم لها واجبة ، وهي الصفة الاخص عند بعض المعتزلة ويسمونها صفة المخالفة ايضا ، وأنها المؤثرة في صفات الكمال الذاتية الأربع ، وهي كونه حيا قديما عالما قادرا [(١)] ، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، وعللوا ذلك بأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص أوصافه لشاركته في الالهية) وأخص أوصاف الاله عند مثبتيها مالا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين . وسياتي بيان ذلك في الاسماء والصفات ان شاء الله تعالى وفي المعارك الكلامية والابتداع والتقليد .

== = معرفة الله من العدل والتوحيد للامام الهادي ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٣ ٧ كتاب العدل والتوحيد للقاسم الرسي ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ١٠٥ — ١٠٦ ، والجامع الكافي خ لمحمد بن على الزيدي العلوي ج ٦ ورقة ٩٣ .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣ — ١٠٤ وأنظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ضمن مجموع نفائس ص ١٧ .

قلت : ويلزمهم على هذا القول الفاسد ان علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض والله أعلم ٠

أما موقف ابن الوزير من قولهم بخلق القرآن فقد طول فى الرد عليهم فى العواصم والقواصم ، وذلك فى قصة محنة القول بخلق القرآن ، وصمود الامام أحمد بن حنبل على القول بأن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق، وأن القول بخلق القرآن هو شعار المعتزلة المنكرين لصحة الكلام من الله ـ عز وجل ـ ٠

كما ذكر ابن الوزير الآيات المتعلقة بكلام الله ـ عز وجل ـ وما أجاب به الامام أحمد ، وما أثر عن السلف الصالح ، وأن المسلمين ما زالوا على أن الله يتكلم ، وأن له كلاما على ظاهره من غير تأويل ولا تشبيه ، تصديقا للنصوص القرآنية مثل قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما)(١) وسرد عشرات الآيات الدالة على ذلك ٠

كما استدل بكلام الجمادات من غير تجوز ولا تشبيه ، واذا صح الكلام من الجمادات والجوارح بالنص والاجماع من الصدر الاول والمحققين من المتكلمين ، فكيف يمتنع فى حق الله تعالى ، ويكون كلامه ـ سبحانه ـ مخالفا لكلام جميع مخلوقاته كالقول فى سائر صفاته وأن القول بخلق القرآن بدعة، وأنه كلام الله باتفاق الأمة حتى ظهر المأمون العباسى وحمل الناس على القول بخلق القرآن ٠(٢)

وأما موقفه من انكار الزيدية المعتزلة رؤية الله ـ عز وجل ـ فى الآخرة فسيأتى الكلام عليها مستفيضا فى (المعارك الكلامية) ان شاء الله تعالى ٠

وأما موقفه من قولهم بتأويل المتشابه وغيره فى ذلك من القرآن الكريم ، وسائر الأدلة الصحيحة ، على طبق ما تقرره عقولهم ، الهادف الى نفى الصفات وتعطيلها فسيأتى أيضا فى (موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد) ان شاء الله ٠

---

(١) سورة النساء : آية : ١٦٤

(٢) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ١٥ فصل ٤ ورقة ٨٩ ٠

الأصل الثاني : العدل عند الزيدية :

وهو عندهم أن الله تعالى عدل حكيم لايفعل القبيح وأفعاله كلها حسنة ، وأن أفعال العباد حسنها وقبيحها منهم لا من الله تعالى وأن الله لايقضى بالمعاصى .
وأن جميع الامراض والنقائص من فعل الله — تعالى — ، وأنها حكمة وصواب ولابد فيها من العوض ، والاعتبار والا كانت قبيحة وأن الله تعالى لايريد شيئا من معاصى العباد ولا يرضاها ولا يحبها .(١)

وهذا القول يتضمن نفى القدر ، ومنه خلق أفعال العباد ، وارادة الكائنات ، وعليه فيجوز أن يكون فى ملك الله — عز وجل — مالا يريده ، وهذا يستلزم العجز — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا —) .

موقف ابن الوزير من الأصل الثاني (العدل) .

لقد أطال ابن الوزير — رحمه الله — فى الرد على المعتزلة الزيدية فى كتابه (العواصم والقواصم) على هذا الاصل وهو العدل عندهم المتضمن تكذيب القدر ، فقد أفرده بمجلد ضخم من كتابه المذكور بلغ عدد صفحاته ما يزيد عن خمسين وأربعمائة صفحة ، وذلك فى الرد على الوهم الثامن والعشرين من خصمه المعتزلى الزيدى القائل بأن أئمة السنة ينكرون أن لنا أفعالا وتصرفات ، واستخرج من ذلك — أى المعترض — انهم كفار تصريح ، لانكارهم — فى زعمه — العلوم الضروريات ، وفرع على ذلك تحريم ما استند اليهم من الروايات .

وهذا هو ماحمل ابن الوزير على التطويل والاستطراد لاقوال فرق المسلمين فى القدر ، بما فيه الافعال والارادة ، والحكمة فى تقدير الشرور ، وما يتعلق بالقدر .
ذكر أقوالهم وأدلتهم وناقشها ، وقرر ان اهل السنة يقولون ان افعال العباد مخلوقة ، ومع ذلك مجمعون على اثبات الاختيار ، ونفى الجبر .
وسبق أن ذكرت فى منهج ابن الوزير العلمى أنه جمع فى مسألة القدر ووجوب الايمان به سبعة وعشرين حديثا ومائتى حديث ومن الايات القرآنية مايقارب مائة آية (٢) فارجع اليه .

---

(١) الثلاثين مسألة للرصاص ص١٤ — ١٨ ، وشرحها للسحولى خ فى مكتبة جامع صنعاء رقم ١٦٧ .
(٢) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٢٨ كاملا .

الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

وهو عندهم يتضمن الوجوب على الله ـ عز وجل ـ أن يصدق وعده ووعيده ، وأن يدخل الجنة أهل الجنة وأهل النار النار، وأن من مات مصرا على فسقه فانه يخلد فى النار أبد الآبدين ، ومرتكب الكبيرة اذا مات ولم يتب فهو كافر . نص على ذلك صاحب الجامع الكافى بقولـه : (قال محمد فى كتاب أحمد : سألت أحمد بن عيسى عمن يعمل بمعصية كبيرة مات ولم يتب منها ؟ قال : كافر ، قلت فى النار ؟ قال فى النار) (١)
وقال أيضا : (سئل احمد بن عيسى هل يخرج من النار أحد ممن يدخلها قال : هيهات وأنى له الخروج) . (٢)

وهذا يتضمن التكذيب بأحاديث الشفاعة الثابتة المتواترة معنى عند جميع المسلمين ولكن الزيدية المعتزلة يقولون هى لمن يدخل الجنة فى زيادة النعيم والسرور ورفع الدرجات . (٣)
وهذا من التأويل الباطل لأن أهل الجنة رضى الله عنهم ورضوا عنه .

وهو خلاف ما عليه الصحابة والتابعون والائمة الأربعة وغيرهم من تواتر أحاديث الشفاعة الثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم من أن الله يخرج قوما من النار بعد أن يعذبهم الله ـ تعالى ـ ماشاء أن يعذبهم بشفاعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبشفاعة غيره وأن الله يخرج قوما من النار بفضله ورحمته بلا شفاعة (٤) واستدل أهل هذا الأصل بآيات وأحاديث الوعيد الدالة على خلود أهل النار ، وأنها باقية على عمومها من ذلك قوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) (٥) وقوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (٦)

---

(١) الجامع الكافى خ فى المكتبة الغربية بجامع صنعاء ج ٦ ورقة ٣٠٠ كتاب فيه معرفة الله ... للهادى يحيى بن الحسين ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٧٣ مصباح العلوم للرصاص ص ٢٠ وشرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٦٦ تعليق احمد بن الحسين حققه عبد الكريم عثمان الناشر مكتبة وهبة ط أولى سنة ١٣٨٤ هـ .
(٢) الجامع الكافى ج ٦ ورقة ٢٩٩ .
(٣) مصباح العلوم للرصاص ص ٢٠ .
(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١١ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
(٥) سورة الجن : ٢٣ .
(٦) سورة غافر : آية : ١٨ وانظر شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٨٩

موقف ابن الوزير من الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

موقف ابن الوزير من هذا الاصل كعادته من التطويل والجدل ، فقد ذكر ما يقارب أربعمائة حديث في الرد على المعتزلة والزيدية القائلين بخلود مرتكب الكبيرة ، من غير الآيات القرآنية الدالة على الشفاعة وخروج العصاة من النار كما تقرر عنده أن أبين آية في الوعد والوعيد قول اللــه تعالى : (إن اللــه لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [١] قلت : وهذا هو مذهب أهل السنة من أن مرتكب الكبيرة ــ ماعدا الشرك باللــه ــ تعالى ــ اذا مات مصرا عليهــا ــ على خلاف في القتل عمدا ــ فهو في مشيئة اللــه تعالى ــ ان شاء عفا عنه بفضله ورحمته ، وان شاء عذبه بقدر جريمته ، وذلك مقتضــى عدله وحكمته ، وهؤلاء يقبل اللــه فيهم الشفاعة ــ من بعد اذنه ــ بخروجهم من النار ، ودخولهم الجنة كما تدل على ذلك أحاديث الشفاعة الخاصــة بهم ، أما الشفاعة العامة في فصل القضاء فهي تنال جميع أهل الموقف مــن بعــد أن يأذن اللــه تعالى له عليه الصلاة والسلام ويرضى وبعد أن يتراجع عنهــا الانبياء : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

هذا بالنسبة لغير التائب من مرتكب الكبيرة ، أما التائب من الذنب فكمن لاذنب له ، وعلى هذا يحمل قوله تعــالى :

(ان اللــه يغفر الذنوب جميعا) [٢] لأن هذه الآية عامة ، وآيــة النساء خاصة ومفصلة أيضا [٣] ، والخاص مقدم على العام ــ واللــه أعلم ــ .

قال ابن تيمية : (ففي آية التوبة عم واطلق ، وفي تلك الآية خصص وعلق ، فخص الشرك بأنه لا يغفره ، وعلق ما سواه على المشيئة) [٤]

ومن نصوص ابن الوزير في الرد على المعتزلة والزيدية المعتقدين على أن الاحاديث الدالة على خروج العصاة من أهل الاسلام من النار ، تعــارض آيات الوعيد الدالة على خلود أهل النار ، أو لأن أخبار الوعيد عندهم تبقــى

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ ، وأنظر التفاصيل في العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ الوهم ٣٧ ص ٥٥ ــ ١١٣ ، والروض الباسم له ج ٢ ص ٢٢٦ ــ ٢٢٨ وايثــــار الحق على الخلق له ص ٣٨١ ــ ٣٨٨ .
(٢) سورة الزمر فقرة من اية : ٥٣ .
(٣) أنظر تفسير القرطبي ج ٧ ص ١٣ ، ٥٧ وتفسير ابن كثير ج ٧ ص ٩٧ ومابعدها
(٤) مجموع الفتاوى ج ١١ ص ١٨٥ .

على عمومهـا ، من ردوده على ذلك قوله :

(وهذا جهل مفرط ، فان العموم والخصوص لا يتناقضان على القطـع عند أحـد من فرق الاسلام ، بحيث يقطع على كذب أحدهما في نفس الامـر ، ولو وجد ذلك أحـد من أهل الجهل كان الرد عليه متسهلا على اقل أهـل المعارف الاسلامية بصيرة وكيف يستطيع مسلم أن يشك في جواز ذلك ، والقرآن مشحـون بالعموم والخصوص ، كما يعرف ذلك أهل التمييز دع أهل الخصـوص ، مثال ذلك قوله تعـالى : (يا أيهـا الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) (١) فأطلق نفي الخلة والشفاعـة في هذه الآية عن كل أحـد ، ثم قيده في قوله تعالى : (الا خلاء يومئـذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (٢) ، وقال تعـالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٣) فاثبت الخلة والشفاعة لمن اتقى ولمن ارتضى بعد أن نفاهمـا مطلقـا ، وكذلك ما ورد في خروج أهل الاسلام من النار من صحيح الاخبـار المتواتر معناها عند العلماء الاخيار .) (٤)

أما ابن تيمية فقد صرح بان هذا مما تواترت به السنة عن النبي — صلى اللـه عليه وسلم — ولم ينكره الا أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية . (٥)

وفي كلام ابن الوزير هذا دلالة واضحـة أن هذا مذهب أهل السنة والجماعة في اثبات الشفاعة للعصـاة من المسلمين . (٦)

أما عذاب الكفار فهو راجح قطعـا كما يقول ابن الوزير : (للاجمـاع على عدم تجويز العفو المطلق عنهم ، ولما فيه من حقوق الانبياء والمؤمنيـن

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٤ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٦٧ .

(٣) سورة الانبياء آية : ٢٨ .

(٤) أنظر النص مع التفاصيل في العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ — ٨٠ ، والروض الباسم له ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٥) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١ ص ١٤٨ — ج ١١ ص ١٨٤ ، وأنظـر معنى ماقاله ابن الوزير في العموم والخصوص في ج ١١ ص ١٨٤ — ١٨٥ من الفتاوى .

(٦) أنظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٢٤٢ وما بعدها .

ونصرهم عليهم ، وشفاء غيظ قلوبهم منهم ، ولم يثبت مثل ذلك في عذاب المسلمين لقوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١) وللاحاديث المخصصة للعمومات المتواترة عند أهل الحديث — يعني أحاديث الشفاعة — ولأن الانبياء والمؤمنين شفعاؤهم لا خصماؤهم (٢) .

وأما عصاة المسلمين فلا يمكن تقبيح العفو من أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين عن أحد منهم ، لكنه لا سبيل الى الأمان ، لانه — في نظر ابن الوزير — وسيلة الى الفساد والطغيان ، والله احكم من ان يؤمن المفسدين من تبوء الجزاء في الاخرة ، كما لم يعف عنهم الحدود في الدنيا ، بل أوجب قطع يد السارق في ربع الدينار حفظا للاموال ومصلحة للخلق ، وهو الحكيم العليم الفعال لما يريد ، ومن هنا تفرع الخلاف في عذاب الاشقياء هل هو دائم ؟ ندع الاجابة لابن الوزير فيقول : (من توهمه من المرجوحات الضرورية في عقول العقلاء وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذى هو قوله تعالى : (إلا ماشاء ربك) (٣) على عمومات الوعيد بالخلود ، ومن ذهب الى أنه من المرجوحات الظنية ... رجح العمومات وعضدها بتقرير اكثر السلف لها على ما تكرر أن مالم يتأولوه فتأويله بدعة ، ولما كان تأويلهم لذلك في حق المسلمين متواترا عنهم وأدلته متواترة عند البعض صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور والاحوط والله سبحانه اعلم) (٤) . وهذه المسألة تحيرت فيها عقول أهل المعقول والمنقول كما سيأتي في (الغيبيات) ان شاء الله تعالى .

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ ، ١١٦ .
(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ ٢ ص ٢٤٥ .
(٣) جزء من آية في سورة هود : ١٠٧
(٤) الايثار له جـ ٢ ص ٢٤٦ .

الأصل الرابع المختلف فيه بين المعتزلة والزيدية :

وأما موقف ابن الوزير من الأصل الرابع وهو المنزلة بين المنزلتين عند المعتزلة وعند بعض الزيدية كالرصاص خلافا لجمهور الزيدية الذين استبدلوا المنزلة بين المنزلتين بمسألة الامامة التى هى عند بعض العلماء من المسائل الفقهية ، وانما أدخلها المتكلمون فى الاصول لكثرة الكلام فيها ، فموقف ابن الزوير من المنزلة بين المنزلتين — وهى أن مرتكب الكبيرة لا موءمن ولا كافر — يبدو واضحا فى تأييده لمذهب أهل البيت عليهم السلام المخالف لمذهب المعتزلة فى صحة الصلاة من الفاسق صاحب الكبيرة ، إذا كان من أهل الشهادتين وهذا يستلزم الحكم بانه مسلم ، والمعتزلة تمنع من اطلاق المسلم والموءمن على صاحب الكبيرة يوضح ذلك انهم عليهم السلام — لم يوجبوا على من ارتكب كبيرة إعادة الحج لأنه قد حبط عمله والكثير من أئمة الزيدية لا يقطعون بخلود الفساق من أهل القبلة فى النار . (١)

اما مسألة الامامة التى هى الشغل الشاغل للزيدية ، فالكلام حولها كثير ، وبسبب الخلاف فيها نجم انشقاق بين المعتزلة والزيدية ، اذ المعتزلة لا توافق الزيدية فى الامامة، فكان رد الفعل أن صرخ السيد حميدان بن يحى حميدان من علماء الزيدية بشق عصا الطاعة للأم الحنون ، قائلا : (وافقناهم — أى المعتزلة — فى الاصول ، ولم يوافقونا فى الامامة فعلام الاتفاق ؟) (٢) وأصبح المعتزلة لدى الزيدية فساق تأويل لتأويلهم الامامة . (٣) ومخالفتهم فيها .

وقد سفه المعتزلة كثير من أئمة الزيدية منهم العلامة يحى بن منصور العفيف — أحد أجداد ابن الوزير — فى أبيات ذكرها فى الترجيح . (٤)

---

(١) أنظر التفاصيل فى العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ — ٨٠ وما بعدهما ، والروض الباسم له جـ ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

(٢) الزيدية لاحمد محمود صبحى ص ٤٨٥ .

(٣) أنظر توضيح الافكار للصنعانى شرح تنقيح الإنظار لابن الوزير جـ ٢ ص ٢١٤

(٤) ترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٣٣ وما بعدها .

ومنهم المتوكل على الله المطهر بن يحى فى أرجوزته التى سماها : المزلزلة لأعضاء المعتزلة (١) لتعمقهم فى علم النظر وابتعادهم بل تركهم علم الأثر لما ورد من الأمر بالتفكر فى المصنوع والنهى عن التفكر فى الصانع .

وسيأتى مزيد بيان لموقف ابن الوزير من الزيدية المعتزلة فى (فصل المعارك الكلامية)(والابتداع والتقليد) وغير ذلك ان شاء الله تعالى .

الأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر متى قدر على ذلك ولم يكن أمره ونهيه يؤديان الى فعل منكر غير الذى نهى عنه ، أو ترك معروف غير الذى أمر به . (٢)

وقد سبق أن ذكرت فى هذا الاصل عند المعتزلة اتفاق الأمة على ذلك .

ويبدو — والله أعلم — أنهم يهدفون فى هذا الأصل الى جواز الخروج على الظلمة ، وأئمة الجور ، كما فعل الحسين بن على رضى الله عنهما مع يزيد ، وكما فعل زيد بن على مع هشام بن عبد الملك ، وكما فعل أهل المدينة وغيرهم مع يزيد أيضا ، يؤيد ذلك ما قاله الامام الأشعرى : (والزيدية بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وإزالة الظلم واقامة الحق) (٣)

الا أنهم يشترطون أن يكون النهى لا يؤدى الى وقوع منكر أكبر منه (٤) وغير ذلك من الشروط المعروفة لديهم . (٥)

موقف ابن الوزير منه

أما موقف ابن الوزير من هذا الاصل فسيأتى فى فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله فلا داعى للتكرار

(١) انظر ترجيح أساليب القران لابن الوزير ص٣٦ .

(٢) مصباح العلوم للرصاص المعروف بالثلاثين مسألة ص٢١ وشرحه خ مكتبة جامع صنعاء .
ولمزيد من التفاصيل انظر العواصم والقواصم جـ ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ — ٨٠ والمراجع المشار اليها فى اصول المعتزلة السابقة الذكر .

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى جـ ١ ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٤) مصباح العلوم وشرحه المخطوط المذكور .

(٥) انظر شروط مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مفصلة فى شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد ص١٤٢ — ١٤٧ .

مقارنة بين المعتزلة والزيدية :

سبق أن ذكرت فى بداية الكلام على أصول المعتزلة تساؤلات مفادها هل معتقدآت الزيدية مأخوذة عن المعتزلة أو غيرها ، وهل أخذت الزيدية الاصول الخمسة كاملة أو بدلوا ، واذا كان الآخير فمن أين أخذ وما هو ؟ .

ووعدت بالاجابة عن هذه التساؤلات فى هذه المقارنة بين الطائفتين ان صح التعبير ، والا فسترى خلاف ذلك لأنك اذا نظرت الى العقيدة العامة فى الأصول الخمسة الآنفة الذكر فستجدها موافقة لاصول المعتزلة الخمسة ما عدا مسألة الامامة ، فان بعض أئمة الزيدية بل جمهورهم يذكرون أربعة من أصول المعتزلة تصريحا وتلويحا ويبدلون المنزلة بين المنزلتين بمسألة الامامة كالامام القاسم (١) وحفيده الامام الهادى (٢) والامام يحى (٣) ابن حمزة وغيرهم . فها هو ذا الامام الهادى يحى بن الحسين بن القاسم العلوى مؤسس المذهب الزيدى فى اليمن — على أرجح الاقوال السابقة الذكر فى أوائل هذا الفصل — نهج منهج المعتزلة فى الاصول الخمسة الا أنه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين ، وذكر مكانها الايمان برسالة محمد — عليه الصلاة والسلام — ثم الايمان بإمامة على — رضى الله عنه — ولعله يريد بذلك التوصل الى أنه أحق بالامامة العظمى من غيره . أما الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم — فباتفاق المصلين .

ثم ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المتضمن عندهم جواز الخروج على أئمة الجور والظلم .

كما قرر فى قاعدة الوعد والوعيد خلود العصاة من المسلمين أبد الابد ..

---

(١) هو أول من حكم اليمن من أئمة الزيدية واول من بذر افكارهم كما سبق فى اول هذا الفصل توفى سنة ٢٤٤ هـ وقيل ٢٤٦ هـ .

(٢) تولى الحكم فى اليمن بعد جده القاسم عده الحبشى من حكام اليمن المؤلفين المجتهدين بلغت مؤلفاته ٧٧ مؤلفا كما فى حكام اليمن ص ٢١ — ٤٥ توفى سنة ٢٩٨ هـ .

(٣) أحد حكام اليمن وعظمائهم ولد بصنعاء سنة ٦٨٩ هـ وتولى الحكم سنة ٧٢٩ هـ ت ٧٤٩ هـ وكان بروزه فى صعدة عاصمة الزيدية

===

ثم عاد وكرر القول بإمامة على رضى الله عنه ، وأنه يجب على العبد أن يعلم أنه أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ووصى رسول رب العالمين ووزيره وقاضى دينه ، وأحق الناس بمقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأفضل الخلق بعده وأعلمهم بما جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وأقومهم بأمر الله فى خلقه . (١) لقوله تعالى : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (٢)

ويقولون : إن سبب نزول هذه الآية أن عليا تصدق بخاتمه فى الصلاة ، وكذبهم الذهبى (٣) ، وفى ذلك خلاف بين المفسرين فارجع اليه مع العلم بأنه لا وجه فى الاستدلال من الآية على إمامة على رضى الله عنه ، بل فى مناقبه إن صح السبب ، وسيأتى مزيد ايضاح لهذا فى فصل (الامامة والسياسة) ان شاء الله تعالى ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : (أنا دار الحكمة وعلى بابها) (٤) .

=== يومها حارب الاسماعيلية فى همدان حربا شديدا وفى اخر عمره اشتغل بالتأليف حتى بلغت مصنفاته ٦٨ مصنفا كما فى حكام اليمن للحبشى ص ١٣٣ — ١٤٨ .

(١) كتاب فيه معرفة الله للهادى ضمن رسائل العدل والتوحيد ج٢ ص٧٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥٥ .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال مختصر منهاج السنة لابن تيمية اختصره الذهبى حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب بدون ذكر المطبعة .

(٤) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى عن على ج١٠ ص٢٢٦ وقال : هذا حديث غريب منكر ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من عدة طرق ج١ ص ٣٤٩ وما بعدها وقال شيخ الاسلام ، والكذب يعرف من نفس متنه لا يحتاج الى النظر فى اسناده وعلل ذلك بعلل عقلية راجعها ان شئت فى مجموع فتاويه ج ٤ ص٤١٠ ورواه ابن جرير الطبرى فى تهذيب الاثار تحقيق د . سعد بن ناصر بن عبد العزيز الرشيد وزميله ج١ ص٨٩ — ٩٠ وقال الطبرى بعد أن رواه بسنده عن على مرفوعا : وهذا خبر عندنا صحيح سنده ، وقد يجب ان يكون على مذهب الاخرين سقيما غير صحيح لعلتين احداهما : أنه خبر لا يعرف له مخرج عن على عن النبى — صلى الله عليه وسلم — الا من هذا ===

ويمضى الامام الهادى فى حديثه على إمامة على رضى الله عنه إلى أن ساق الامامة فى الحسنين وذريتهما من بعدهما ، أولهم على ابن الحسين وآخرهم المهدى ، ثم الأئمة فيما بينهما ، [(١)] ولست ادرى ما أو من المراد به ، أهو مهدى السرداب محمد بن الحسن العسكرى — كما تزعم الشيعة الامامية ، أو المهدى المنتظر الذى وردت بظهوره الاحاديث النبوية ؟!

وقد أكد هذا المذهب الامام يحى بن حمزة ت سنة ٧٤٩ هـ بأنه مذهب السلف الصالح من أكابر أهل البيت ، من أن على بن أبى طالب ثبتت إمامته بالنص عليه وعلى ولديه ، وأن فضله على غيره من الصحابة أظهر من نور الشمس . [(٢)]

وقد سبق الامام الهادى جده القاسم الرسى فى نشر عقائد المعتزلة ، لما قرر نفى روءية الله — عز وجل — فى الآخرة ، بل كفر مثبتيها ، ووصفهم بأنهم مشبهون ، وملحدون ، وأن أحاديث الروءية افتعلها الضلال من بغاة الاسلام ، بل رماهم بالكفر والإلحاد لأنهم — على حد زعمه — لم يحسنوا تأويلها ، كما سبق فى أصول الزيدية ، وكما سيأتى فى (المعارك الكلامية) وقال القاسم بن محمد أحد أئمة الزيدية سنة ١٠٢٩ هـ موءكدا عقيدة أجداده : والخبر مقدوح فيه ، فان صح فمعناه ستعلمون ربكم) [(٣)] .

=== الوجه ، والاخرى أن سلمة بن كهيل عندهم ممن لا يثبت بنقله حجة وقد وافق عليا فى رواية هذا الخبر عن النبى — صلى الله عليه وسلم — غيره . وسلمة بن كهيل وثقه الحافظ كما فى التقريب ج ١ ص ٣١٨ نشر مكتبة النمنكانى وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٩ من عدة طرق حاصلها أنه موضوع وأنظر كشف الخفاء للعجلونى ج ١ ص ٢١٣ .

(١) كتاب فيه معرفة الله ...... للهادى ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٧٤ - ٨٠ .

(٢) الرسالة الوازعة ليحى بن حمزة ضمن الرسائل اليمنية ص ٨ .

(٣) الأساس فى عقائد الاكياس للقاسم بن محمد ورقة ٨ خ فى مكتبة جامعة أم القرى قسم المخطوطات رقم ٣٠٧ .

ومن أئمة الزيدية الرصاص ت ٦٥٦ صاحب الثلاثين مسألة ، فقد ذكر من الأصول الخمسة المتفق عليها عند المعتزلة ثلاثة أصول ، ضمن كل أصل عشر مسائل ، ولذلك اشتهرت هذه الرسالة بالثلاثين مسألة

١ - التوحيد : وفيه عشر مسائل نهج فيه منهج المعتزلة ، ومن ذلك نفي الرؤية .

٢ - العدل : وفيه عشر مسائل نهج فيه منهج المعتزلة أيضا ، إلا أنه قال في المسألة الثامنة من العدل : (إن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله) ولكن قال في المسألة التاسعة منه (إن القرآن محدث غير قديم) .

٣ - الوعد والوعيد : سلك فيه طريقة المعتزلة أيضا ، وضمن المسألة الرابعة منه المنزلة بين المنزلتين كالمعتزلة تماما وفي المسألة الخامسة منه ، ضمنها خلود عصاة المسلمين في النار ، وأن الشفاعة لأهل الجنة في زيادة الدرجات ، كما ذكر في المسألة السادسة منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي السابعة وما بعدها قرر أن الامام بعد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هو علي ابن أبي طالب عليه السلام والحسنان وفيمن قام بعدهما .

وفي شرح الثلاثين مسألة للسحولي ت ١٠٦٠ هـ أحد علماء الزيدية ، القول بإمامة علي وبعده الحسنان قاما أو قعدا (١) .

ومن أئمة الزيدية أيضا الامام المهدي المرتضى (٢) : الذي قرر أن الزيدية يجمعهم القول بتفضيل علي رضي الله عنه وأولويته بالإمامة ، وقصرها في البطنين ، واستحقاقها بالفضل والطلب ، لا بالوراثة - ووجوب الخروج على الجائرين ، والقول بالتوحيد والعدل والوعد والوعيد . (٣)

---

(١) أنظر الثلاثين مسألة وشرحها للسحولي خ صنعاء

(٢) هو أحد أئمة اليمن وعلمائها وأحد أقران ابن الوزير ومن كبار المجتهدين بلغت مؤلفاته ٦٠ مؤلفا ت سنة ٨٤٠ كذا في حكام اليمن للحبشي ص ١٧٣ .

(٣) مقدمة البحر الزخار للمهدي ص ٤٠ ط بيروت سنة ١٣٩٤هـ .

ومنهم الامام يحى بن حمزة الذى سبق ذكر تأييده لمذهب الامام الهادى ، من أن إمامة على بن أبى طالب ثبتت بالنص عليه وعلى ولديه ، ونضيف الى ذلك ما نسبه الى الامام زيد بن على فى أثناء تساؤله عن الزيدية من هم وما مذهبهم فى الإمامة من وقت الصحابة رضى الله عنهم ، وبعدهم ، وما الظاهر من هذا اللقب ؟ فأجاب قائلا :

(إن ظاهر هذا اللقب انما هو الامام الباسل - يعنى زيد بن على - ... فمن كان على عقيدته فى الديانة والمسائل الإلهية والقول بالحكمة ، والاعتراف بالوعد والوعيد ، وحصر الإمامة فى الفرقة الفاطمية ، والنص فى الامامة على الثلاثة الذين هم على وولداه ، وأن طريق الإمامة الدعوة فى من عداهم ، فمن كان مقرا بهذه الأصول فهو زيدى) (١)

وشاركهم فى النص على إمامة على الإمامية الرافضة (٢) ، وقد وهم فى هذه المسألة رزق الحجر حيث قال : (وتنفرد الزيدية عن باقى الشيعة فى القول بأن عليا - كرم الله وجهه - لم يكن إماما عن طريق نص الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالاسم وإنما كان إماما حين دعا الى نفسه) . (٣)

ويمضى ابن حمزة معطلا لهذا المعتقد - لدى الزيدية - بأنهم إذا قالوا بإسناد الصفات الى الذات خرجوا عن طبقات المجبرات ، الأشعرية وغيرهم الذين قالوا بالمعانى القديمة .

واذا قالوا بالحكمة خرجوا عن ضلالات الأشعرية فى إسناد القبائح الى الله - عز وجل - .

وكذا القول بحدوث القرآن والارادة .

واذا قالوا بالوعيد والخلود خرجوا عن طبقات المرجئة . (٠)

---

(٠) هى فرقة تعتقد انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٣٩ .

(١) الرسالة الوازعة فى النهى عن سب الصحابة لابن حمزة ضمن مجموعة الرسائل اليمنية ص ٢٨ .

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٦٢ ومقالات الاسلاميين للاشعرى جـ ١ ص ٨٩ والرافضة يقولون - مع هذا - أن عليا معصوم ومن خالفه كفر ، وأن الصحابة كتموا النص وكفروا بالامام المعصوم وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٥٦ .

(٣) ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى ص ٦٥ وأنظر أيضا ص ٦١ وقد قلد فى هذا الدكتورة فضيلة الشامى فى تاريخ الفرقة الزيدية .

واذا قالوا بالنص على الأئمة الثلاثة ، والدعوة والخروج فى أولادهم - وهو طريق الامامية - (١) خرجوا عن رأى المعتزلة فمن كان جامعا لهذه الأصول فهو زيدى ، ومن خرج عنها فليس بزيدى . (٢) .

وقال الامام المهدى (٣) سنة ٨٤٠ هـ فى معرض حكايته لمذهب مثبتى الصفات وأنهم مجسمون ومشبهون : (مسألة : والحشوية لا مذهب لهم منفرد ، وأجمعوا على الجبر والتشبيه وجسموا وصوروا وقالوا بالأعضاء وقدم ما بين الدفتين من القرآن ، قال الحاكم (٤) : ومنهم أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وداود بن محمد والكرابيسى ، ومن متأخريهم محمد بن اسحق بن خزيمة ، صنّف كتابا فى أعضاء الرب - تعالى - عن ذلك) (٥) ومن هذا يتبين أن الزيدية يعنون بالحشوية من يثبت الصفات التى أثبتها الله - تعالى - لنفسه وأثبتها رسوله ، وأنهم ليسوا معتزلة متأولة فحسب ، بل معطلة جهمية فهذا كلام أحد أئمتهم فى اليمن وأحد معاصرى ابن الوزير ، والله المستعان .

---

(١) فرقة من الشيعة يقولون بالنص على امامة على بن أبى طالب رضى الله عنه وصنفهم الاشعرى ٢٤ فرقة كما فى المقالات له ج ١ ص ٨٨ .

(٢) أنظر التفاصيل فى الرسالة الوازعة لابن حمزة ص ٢٨ - ٣٩ .

(٣) هو الامام المهدى أحمد بن يحى بن المرتضى أحد أئمة اليمن ومجتهدوها وأحد معاصرى ابن الوزير جرت بينه وبين الامام على بن صلاح منافسة على عرش الزيدية ومعارك طاحنة كانت النتيجة هزيمة المهدى وأسره ثم تفرغ للتأليف حتى بلغت موءلفاته ٦٠ موءلفا منها البحر الزخار المشهور أنظر البدر الطالع ج ١ ص ٢٢ وما بعدها وحكام اليمن للحبشى ص ١٧٣ - ١٩٩

(٤) المراد به عند الزيدية المحسّن بن أحمد بن كرامة الجشمى الشيعى وقد قدمت عنه رسالة دكتوراه منشورة .

(٥) الملل والنحل للامام المهدى ص ٢٤ .

فأنت ترى أن معتقدات الزيدية خليط من معتقدات المعتزلة والشيعة الامامية ، فاسناد الصفات الى الذات المراد به تعطيل الصفات كما سبق فى أصل التوحيد من الأصول الخمسة لدى المعتزلة .

وكذلك القول بحدوث القرآن وخلود العصاة من المسلمين وغير ذلك سبق فى الاصول الخمسة أيضا .

كما ترى أن القول بالنص على الأئمة الثلاثة على والحسنين مأخوذ من عقيدة الشيعة الامامية لا من عقيدة المعتزلة اذ المعلوم عن المعتزلة أن الامامة طريقها اختيار الأمة كما سيأتى فى مسألة (الامامة والسياسة) وليس هذا من أصولهم المعروفة ، وانما هو من أصول الزيدية المخالف لرأى الامام زيد بن على فانه يقول بامامة الشيخين وصحة إمامة المفضول مع وجود الأفضل اذا كان عن طريق اختيار الأمة لكنه يرى الخروج على أهل الجور من منطلق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد برز هذا المبدأ من الفكر الى التطبيق بالفعل وهو خروج زيد بن على على بنى أمية فى عهد هشام بن عبد الملك . (١)

وقد سبق أن جمهور الزيدية استبدل المنزلة بين المنزلتين بالامامة يريدون بذلك إثبات أحقية الامامة العظمى للامام على رضى الله عنه بعد النبى - عليه الصلاة والسلام - ، وهذا خلاف ما عليه أهل السلف من ترتيب الخلفاء الراشدين فى الخلافة والفضل بغض النظر عن الخلاف فى المفاضلة بين على وعثمان المشار اليها فى مقدمة فصل الزيدية

أما قول بعض أئمة الزيدية الآنف الذكر القول بالحكمة المتضمن اسناد نفيها الى الأشعرية فلم أقف على ذلك لأحد منهم الا ما ذكره الآمدى فقد صرح بنفى الحكمة فى خلق العالم (٢) والله أعلم .

---

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ وتاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة جـ ١ ص ٤٩ .

(٢) أنظر غاية المرام فى علم الكلام ص ٢٢٤ - الناشر المكتبة الكبرى بمصر بدون تاريخ .

والحاصل من هذه المقارنة أن مبادئ المعتزلة والزيدية تكاد أن تكون متحدة سياسيا وعقلانيا، إلا أن الزيدية تمتاز بالثورية فتطبيق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ لا تتخلى عنه من عهد الامام زيد بن على وخروجه على بنى أمية (١) الى عصرنا هذا . أما المعتزلة فهم ثابتون فى مسألة الامامة على القول بالاختيار ـ الانتخاب ـ .

الارتباط بين المعتزلة والزيدية :

يظهر مما سبق قوة الارتباط بين المعتزلة والزيدية منذ نشأة كل منهما .

فقد احتفظت الزيدية بمؤلفات المعتزلة وحافظت على تراثهم كما هو واضح فى معتقداتهم .

فقد تبنى غالب الزيدية أصولا أربعة ـ كما ذكرت آنفا ـ من الاصول الخمسة للمعتزلة ، واستبدلت المنزلة بين المنزلتين بمسألة الامامة التى أصبحت ـ فى نظرى ـ للمذهب الزيدى الشغل الشاغل ، كما هو واضح فى تاريخ مذهبهم الثورى منذ خروج الامام زيد الى الزمن القريب فى القطر اليمانى .

كما يظهر أن مسألة الإمامة امتداد لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بل من مقتضيات ذلك ـ فى نظرهم ـ الخروج على أئمة الجور والظلم كما سبق فى الاصل الخامس من أصول الزيدية .

ولعل ذلك الاستبدال ناتج عن اجماع الزيدية على أن مرتكبى الكبائر من أهل القبلة ، خالدون مخلدون فى النار ، ومقتضى هذا أنهم فى الدنيا كفار، كما يعتقد الخوارج النواصب، صرح بذلك الاجماع الإمام أبو الحسن الأشعرى حيث قال : (وأجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون فى النار خالدون مخلدون ولا يغيبون عنها) (٢)

---

(١) راجع التفاصيل فى مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الاصفهانى ص ١٣٣ وما بعدها ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

(٢) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٤٩ وأنظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٤٨ وتاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة جـ ١ ص ٥٠ وتاريخ الفرق الاسلامية للغرابى ص ٢٩٤ .

وبناء على هذا فلا منزلة بين المنزلتين عند الزيدية .

وقد خالف ابن الوزير الأشعرى فى دعواه اجماع الزيدية هذا بقوله : (والكثير من أئمة الزيدية لا يقطعون بخلود الفساق من أهل القبلة فى النار) (١) .

وهذا مذهب أهل البيت كما حكاه ابن الوزير لصحة الصلاة من الفاسق مرتكب الكبيرة ، ومقتضى هذا أنه ليس بكافر فلا يخلد فى النار - خلافا للمعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين وبالخلود أيضا - .

يوضح ذلك أنه لا يجب إعادة الحج على من ارتكب كبيرة بحجة أنه قد حبط عمله(٢) . والله أعلم .

قلت : وقول الزيدية المأخوذ عن المعتزلة من أصل الوعد والوعيد ، وهو أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار ، مخالف لمذهب السلف : مقتضاه أن مرتكب الكبيرة من المصلين إذا مات مصرا عليها - ماعدا الشرك بالله - فهو فى مشيئة الله - عز وجل - إن شاء عذبه بقدر جريمته ، وذلك مقتضى عدل الله وحكمته ، وان شاء عفى عنه بفضله ورحمته (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) . (٣)

أما التائب من الذنب فكمن لا ذنب له ، وعليه يحمل قوله تعالى : (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (٤) لأن هذه الآية عامة والآية الأولى خاصة فتعميم غفران الذنوب ومنه الشرك مخصص بأنه تعالى لا يغفره لمن مات مشركا وما عداه من الذنوب فى حق من مات على ذلك ، داخل فى مشيئة الله - تعالى - كما سبق فى موقف ابن الوزير من الوعد والوعيد - ومعلوم أن الخاص مقدم على العام كما هو مقرر فى علم أصول الفقه والله أعلم .

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٧ ص ٨٠ .
(٢) العواصم والقواصم له ج ٤ وهم ٣٧ ص ٧٩ - ٨٠ .
(٣) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٤) سورة الزمر آية : ٥٣ .

وقد ظهر لى من خلال البحث أن المعتزلة هى الأم الحنون التى غذت وتغذى الزيدية بأفكارها من مهدها الى لحدها إلا من شاء الله منهم .

فالزيدية فى اليمن هم معتزلة فى كل الموارد إلا فى مسألة الامامة كما سبق .

وهى كما قال المقبلى اليمانى : (مسألة فقهية وانما عدها المتكلمون من فنهم لشدة الخصام.) (١) وسيأتى الكلام عنها فى فصل خاص .

والدليل على اتحاد المعتزلة والزيدية مايلى :

١ - قد صرح الهادى بن ابراهيم الوزير (٢) فى خطبة (رياض الأبصار فى ذكر الأئمة الأقمار والعلماء الأبرار) (٣) بأن المعتزلة والزيدية فرقة واحدة حيث قال فى أثناء الثناء عليهما : (ارشد الله طائفتين من بريته فتمسكا بهدى محمد وذريته ، وهم الزيدية الزكية والمعتزلة المرضية ، وانهم لفرقة واحدة على التحقيق ..) .
كما قدم المعتزلة على الزيدية لما لهم من المكانة العلمية لدى الزيدية ، وذلك بعد أن ذكر بعض أكابرهم وكراسى منابرهم فقال : (ورأيت تقديمهم - أى المعتزلة - على الزيدية لأنهم ساداتها وعلماؤها ، فالحقت سمطهم سمط الأئمة - عليهم السلام - وذلك لتقدمهم فى الرتبات ، ولأنهم مشايخ ساداتنا السادات ، وعلماؤنا القادات) . (٤)
وقال أيضا فى قصيدته المسماه برياض الأبصار يمدح فيها رؤساء المعتزلة الأوائل ، ويحث على الاقتداء بهم بل يفتخر بذلك فقال :

---

(١) العلم الشامخ لصالح بن مهدى المقبلى ص ٧ - ٨ ط أولى بمصر ١٣٢٨هـ
(٢) هو أخو ابن الوزير صاحبنا وأحد مشايخه ومن كبار علماء الزيدية وأدبائهم ترجم له الشوكانى فى البدر الطالع ج ٢ ص ٣١٦ توفى سنة ٨٢٢ هـ .
(٣) يوجد فى المكتبة الغربية بجامع صنعاء خ ورقة ١٣٦ م ١٩٧ .
(٤) المصدر نفسه خ ورقة ١٣٧ .

(. . . وبالعلماء السالفين واننى * * سآتى على أعدادهم ذكرمجمل
بواصل والبصرى(١) وعمرو وجاحظ * * وعلامهم سيف الجدال ا ل مصقل
كذاك أبوعثمان وهوالذى غدى * * طويلا لما فى كفه من تطاول
وبالجبئيين السنيين رتبــــة * * أبى هاشم سيف الهدى وأبى على

٢ - وقد سبق الهادى الوزير الى مثل هذا الثناء الامام الهادى يحى ابن الحسين العلوى سنة ٢٩٨ هـ فى كتابه (البالغ المدرك)(٢) ، وشارحه الامام أبو طالب يحى بن الحسين بن هارون ت سنة ٤٢٤هـ ووصف أبا القاسم اسماعيل بن عباد بأنه الصاحب الجليل واستدل بكلام أبى هاشم فى كثير من المسائل .

٣ - يؤيد هذا ماقاله المقبلى اليمانى سنة ١١٠٨ هـ : (وهذا الذى قاله - أى الهادى الوزير - ، هو حقيقة الأمر ، شاهد ذلك كلام الامام المنصور فى كتبه كلهـا ، وكلام الامام المهدى فى كتبـه ، وكلام أبى طالب فى كتبه كشرح البالغ المدرك للامام الهــادى ، مع تصريحهم بقولهم : المختار كلام شيخنا أبى على الجبــائى أو أبى هاشم ، أو أبى رشيد ، وكذلك كلام الهادى غالبه كلام أبى القاسم الكعبـى . وكذلك الامام يحى بن حمزة مواقف غالب أمره لابى الحسين البصرى سائر سيره)(٣)

فهل بعد هذا البيان بيان من أن الزيدية والمعتزلة فرقة واحـدة فى الاصول الاعتقادية - ماعدا مسألة الامامة - فعلى ماسبق بيانه ؟

---

(١) المراد به الحسن البصرى كما فى المصدر نفسه وليس الامر كذلك اذ ليس هو من المعتزلة وانما واصل وعمرو بن عبيد وأتباعهمـــا معتزلة لما خالفوا الحسن البصرى فى حكم مرتكب الكبيرة واعتزلوا مجلسه كما هو مقرر فى كتب المقالات بل معلوم عند أهل هذا الشأن كما سبق فى فصل المعتزلة .

(٢) يوجد فى مكتبة جامع صنعاء الغربية م ١٧٦ مع شرحه للامام أبى طالب وأنظر معنى هذا الكلام فى ورقة ٢ منه .

(٣) العلم الشامخ للمقبلى ص ٧ - ٨ .

وكذلك المطهر بن محمد بن المطهر أحد أئمة الزيدية السياسيين والمؤلفين فى اليمن سنة ٨٠٢ هـ وقيل ٨٠٣ هـ وقيل غير ذلك من مؤلفاته (الأبيات الفخرية فى أصول الدين) ضمنها سبب انحرافه عن مذهب البصرية من المعتزلة والحث على مذهب البغدادية منهم وابن الوزير أكثر تشنيعا على البغدادية من البصرية لأن البغدادية تمتاز على البصرية بالقول إنه يجب على الله فعل الاصلح وأن الله عز وجل لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمونه وأن المقتول مامات بأجله وغير ذلك من الشنائع وكل من هؤلاء تكفر الاخرى وصدق الطائفتان . (١) كما صدقت اليهود والنصارى فيما أخبر الله به عنهم (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (*)) وستأتى الفضائح الشنيعة التى وصمهم بها ابن الوزير فى المعارك الكلامية ان شاء الله تعالى .

٤ ـ ماصرح به الشهرستانى حيث قال أثناء كلامه على أفكار الصالحية ، والبترية من فرق الزيدية فقال : (وأكثرهم ـ أى الزيدية ـ فى زماننا مقلدون ، لايرجعون الى رأى واجتهاد ، أما فى الاصول فيرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة (٢) ، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت) (٣)

وما قاله الشهرستانى من أن الزيدية يحذون حذو المعتزلة فى الاصول ، فهو الواقع على التفصيل السابق فى المقارنة ، أما مانسبه اليهم

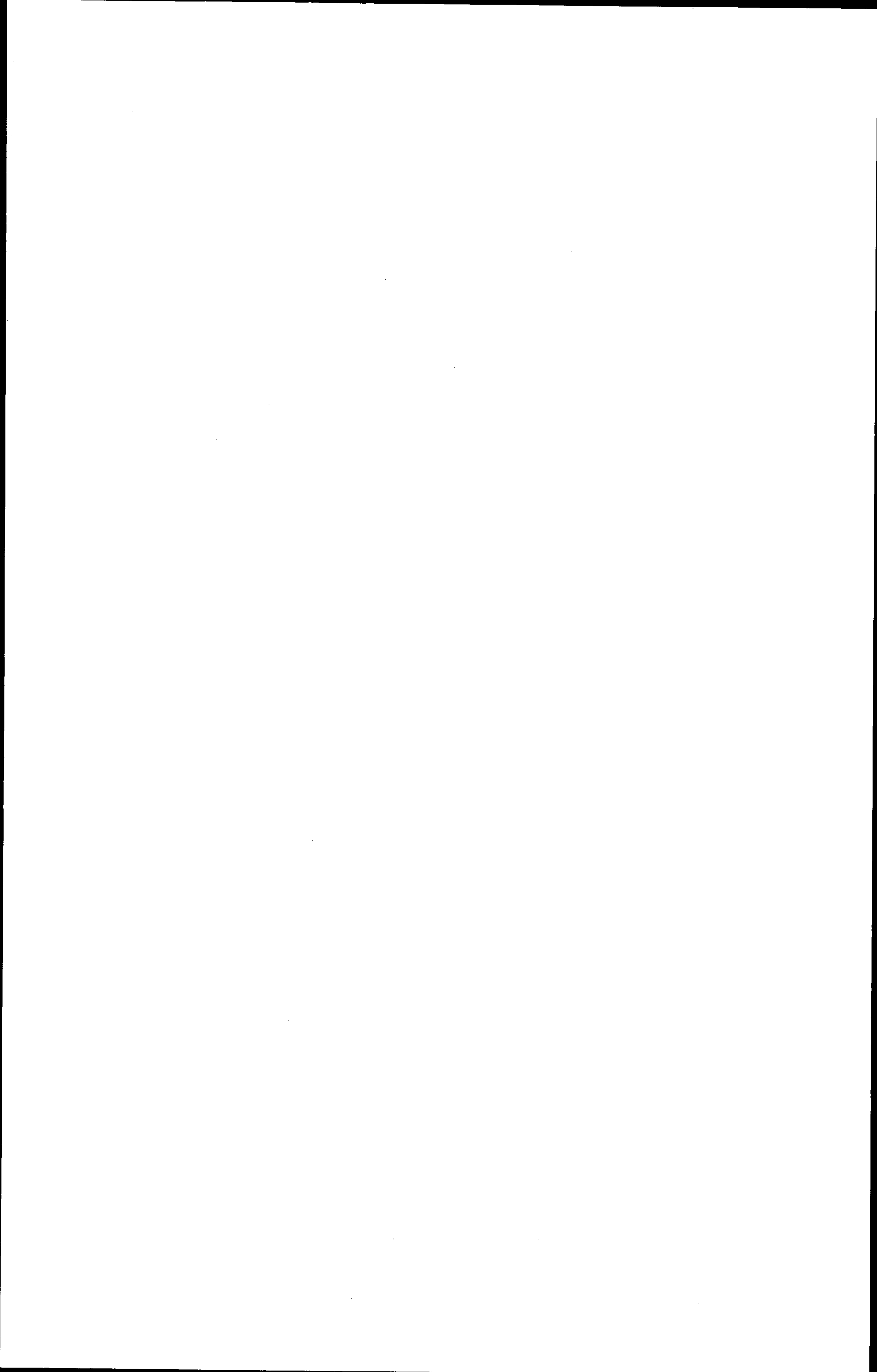
---

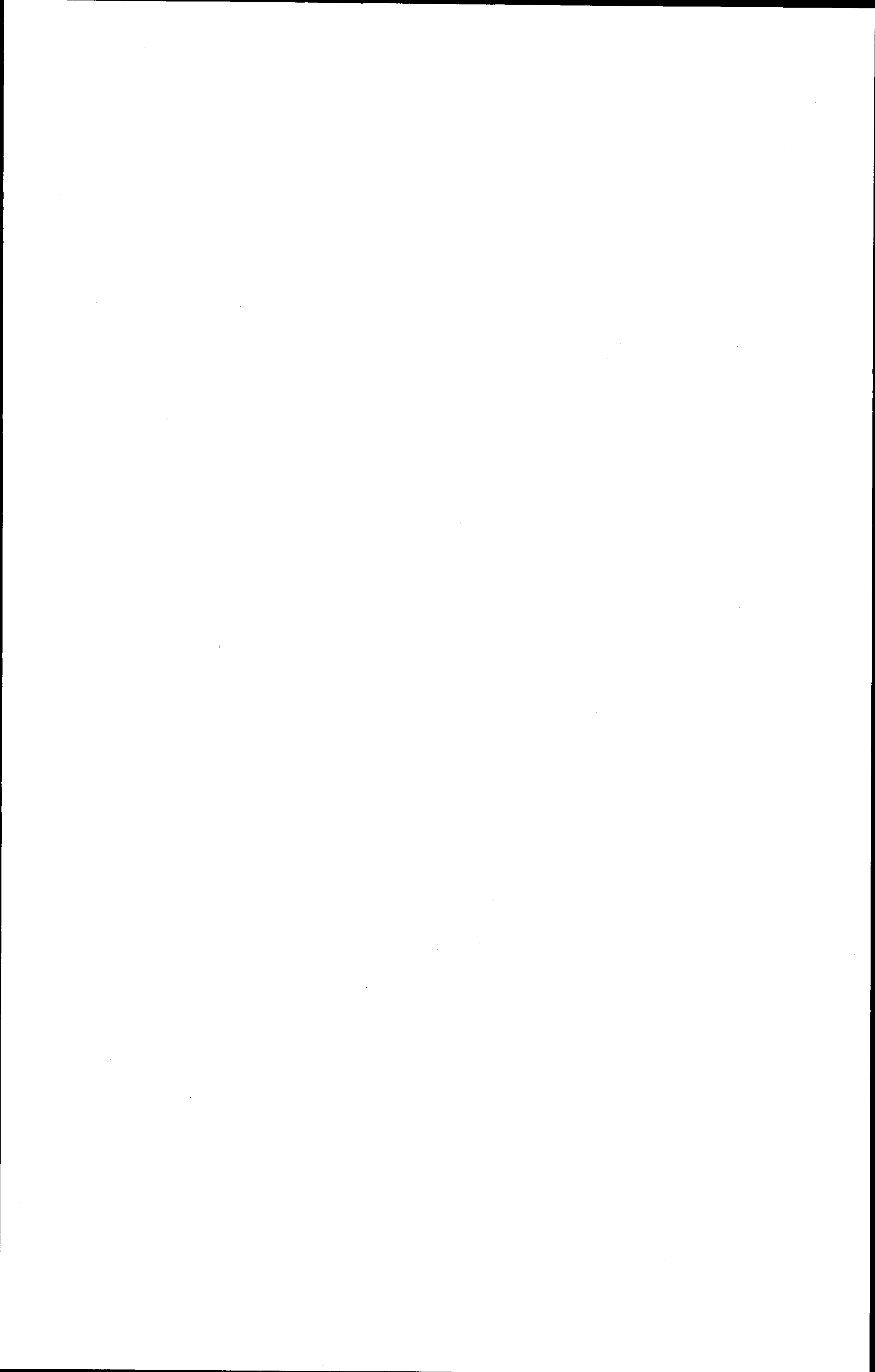
(١) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٨٢ وما بعدها والبدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٣١١ والروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٦١ وما بعدها وايثار الحق على الخلق له ص ١٢ ، وحكام اليمن للحبشى ص ١٦٦ والعلم الشامخ للمقبلى ص ٧ ـ ٨ ط أولى بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ، وأنظر تراجم أعلام المعتزلة هؤلاء فى كتب المقالات منها الفرق بين الفرق للبغدادى ومقالات الاسلاميين للأشعرى وطبقات الزيدية فى صنعاء .

(٢) القذة ريشة السهم .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٦٢ .

(*) سورة البقرة آية : ١١٣ .





من التقليد ، فهذا خلاف المشهور عنهم فى الفروع ، فهم هادوية — غالبا — وبعضهم مجتهدون ولم يقل أحد — حسب علمى — أن الزيدية تحذوا حذو المعتزلة فى الفروع — غيره — وكتبهم تشهد بذلك .
(كالبحر الزخار) للإمام المهدى ، و (شرح الأزهار) لابن مفتاح أحد علماء الزيدية ، وهو الذى رد عليه الامام الشوكانى بالسيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار ، وغير ذلك من كتبهم المشهورة بالاجتهاد والحاصل أن عقائد الزيدية خليط من المعتزلة فى معظم الاصول الخمسة — كما سبق بيانه — ومن الشيعة الإمامية ، كما سبق أيضا .

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة من تقديم الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الفضل والإمامة . أما المفاضلة بين الثالث والرابع من الخلفاء الراشدين ، فعلى الخلاف المشهور بين أهل السنة وقد سبق فى أوائل هذا الفصل أن أشرت الى ذلك ، وأشار الى هذا الخلاف البغدادى ، ولم يرجح أحد القولين على الآخر .

أما ابن تيمية وتلميذه ابن كثير فقد رجحا تفضيل عثمان على علي رضى الله عنهما . (١) والله أعلم .

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٤٢٥ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٥٠ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ٣٢٩ — ٢٢٠ .

الفصل الخامس

الأشعرية
وموقف ابن الوزير منها

أ — تمهيد : وفيه أطوار الامام الأشعرى .

ب — المذهب الأشعرى وظهوره فى اليمن .

جـ — موقف ابن الوزير من الأشعرية .

د — الكلام على حكمة الله تعالى .

تمهيد : وفيه أطوار الامام الأشعرى :

الأشعرية بصفة عامة ، هم أتباع الامام أبى الحسن الأشعرى [١] - سنة ٣٢٤ هـ وقيل ٣٣٠ هـ الذى يتصل نسبه بأبى موسى الأشعرى الصحابى الجليل رضى الله عنه - فى طوره الثانى من أطواره الثلاثة الآتى بيانها .

الأول : كان معتزليا ، أخذ علم الكلام عن شيخه - زوج أمه - أبى على الجبائى سنة ٣٠٣ هـ أحد شيوخ المعتزلة وقد سبق الكلام عنهم ، وموقف ابن الوزير منهم فى المقارنة بين المعتزلة والزيدية .

ولما تبحر الاشعرى فى الاعتزال كان ينوب عن شيخه المذكور ، فى المناظرات ، لأنه كان لا يستقصى فى المناظرة كالكتابة ، وكان الأشعرى ، يورد الأسئلة على شيخه المذكور ، أثناء الدرس ، فلا يجد جوابا شافيا ، فتحير فى ذلك واستمر على مذهب المعتزلة أربعين عاما ، وفى ذات ليلة - كما يحكى - تضرع الى الله عز وجل أن يهديه الى الصواب فرأى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى المنام ، وشكى مابه من الأمر ، فقال له النبى - عليه الصلاة والسلام - : عليك بسنتى ، فانتبه من فوره معارضا علم الكلام .

وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم فحجزهم فى أقماع السمسم ومما بيض به وجوه أهل السنة ، وسود به رايات أهل الاعتزال - فأبان وجه الحق الأبلج ، ولصدور أهل الايمان أثلج - مناظرته مع شيخه الجبائى ، التى قصم بها ظهر كل مبتدع وهى المعروفة عند أهل هذا الشأن بمسألة الصلاح والأصلح ، أو بالأخوة الثلاثة ، انقطع فيها الجبائى . (٢)

---

(١) نسبة الى الأشعر : وهو نبت بن أدد بن يشجب .. بن يعرب بن قحطان أ هـ تبين كذب المفترى ص ٣٦ وقيل انه ولد أشعر ، المرجع ذاته .

(٢) التفاصيل فى طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكى سنة ٧٧١ هـ تحقيق الطناحى وزميله جـ ٣ ص ٣٤٧ وما بعدها ط الحلبى الاولى سنة ١٣٨٤ هـ ، تاريخ بغداد لأحمد بن على

====

الطور الثانى : الايمان بالصفات الذاتية فقط ، وتأويل ماسواها من الخبرية .

والمراد بالصفات الذاتية العقلية ، السبع التى سماها المتكلمون صفات معان ـ أى زائدة على الذات وهى : الحياة ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وهذا ما تأباه المعتزلة ـ كما سبق ـ والمراد بالخبرية ماثبت بالخبر فى الكتاب والسنة ، وهى قسمان :

ذاتية : كصفة الوجه ، واليدين ، والقدم ، والرجل ، والأصابع ، وغير ذلك مما ورد فى الخبر الصحيح . فالوجه عند الأشعرية ذات الله ـ عز وجل ـ والعين رؤيته للأشياء .

وفعلية : كالنزول ، والاستواء ، والمجىء ، والضحك ، والغضب ، وغير ذلك مما ورد به الخبر الصحيح . والاستواء عند الاشعرية ، بمعنى الملك (١)

قال : صاحب المواقف فى الموقف الخامس الإلهيات : (المقصد الأول : أنه تعالى ليس فى جهة ولا مكان) .

وقال البغدادى بعد أن ذكر الخلاف فى تأويل الوجه والعين : (والصحيح عندنا أن وجهه ذاته ، وعينه رؤيته للأشياء) . وقوله : (ويبقى وجه ربك) (٢) معناه : ويبقى ربك ... وقوله فى سفينة نوح : (تجرى بأعيننا) (٣) أراد بها العيون التى جرت بها السفينة فى الماء ، لأنه قال : (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) (٤) .

=== الخطيب البغدادى سنة ٤٦٣ هـ جـ ١١ ص ٣٤٧ ط المكتبة السلفية وفيات الأعيان لابن خلكان سنة ٦٨١ هـ جـ ٣ ص ٢٨٤ هـ حققه احسان عباس ط بيروت دار صادر ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لعبد الحى بن عماد الحنبلى سنة ١٠٨٩ هـ جـ ٢ ص ٣٠٣ وما بعدها ط بيروت ، إتحاف السادة المتقين لمرتضى الزبيدى سنة ١٢٠٥ هـ جـ ٢ ص ٣ ط بيروت ، مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٣ ص ٩٩ ، البداية والنهاية لابن كثير سنة ٧٧٤ هـ جـ ١١ ص ١٧٧ تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الاشعرى لابن عساكر سنة ٥٧١ هـ ص ٣٨ وما بعدها ط بيروت .

(١) لتفاصيل مذهب الاشعرية فى تأويل الصفات ، راجع كتبهم المعتمدة فى العقيدة كالمواقف للإيجى ص ٢٩ - ٣١ تحقيق الدكتور أحمد المهدى دار الحمامى للطباعة . (٢) سورة الرحمن عز وجل آية ٢٧

(٣) سورة القمر آية : ١٤

(٤) سورة القمر آية : ١١

وفى الاستواء قال بعد أن ذكر أقوال الفرق أو بعضهم : (والصحيح عندنا تأويل العرش فى هذه الآية على معنى الملك ، كأنه أراد أن الملك ما يستوى لأحد غيره) (١) وقال الجوينى ٤٧٨ هـ : (ان الرب تعالى مقدس عن الاختصاص بالجهات ، والاتصاف بالمحاذاة لا تحيط به الأقطار ، ولا تكتنفه الاقتار ... فان سئلنا عن قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) (٢) قلنا : المراد بالاستواء القهر والغلبة والعلو) (٣) فيقال لمن يثبت بعض الصفات ويؤول بعضها القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض كذا قرره شيخ الاسلام (٤) ، وبالمقارنة بين عقيدة الاشاعرة هذه ، وعقيدة الاشعرى الآتى ذكرها فى الطور الثالث من حياته تجد البون الشاسع ، وعليه فالاشعرية غير الاشعرى ، أما الجوينى فسيأتى فى المعارك الكلامية أنه رجع عن التأويل الى عقيدة السلف أشار الى ذلك فى العقيدة النظامية والله أعلم .

والأشعرية يقولون بأن الايمان هو التصديق بالقلب ، وهل يكفى عن النطق بالشهادتين ؟ فيه خلاف عندهم كما قال صاحب الجوهرة :

وفسر الايمان بالتصديق * * والنطق فيه الخلف بالتحقيق (٥)

وقال صاحب اضاءة الدّجنة :

ومرجع الايمان للاذعان * * بالقلب والتصديق بالجنان
ونطق ذى القدرة شرط فيه * * على اختلاف كتبهم تحويه (٦)

وهذا هو مذهب المرجئة ، المشهور ، وهو أن الايمان هو المعرفة ، أو التصديق (٧) ، وعليه فما الفائدة من حرص النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن ينطق عمه أبو طالب بكلمة التوحيد ، اذ تصديقه له بقلبه ،

---

(١) أصول الدين للبغدادى ص ١١٠ - ١١٣

(٢) سورة طه آية : ٥ .

(٣) لمع الادلة للجوينى امام الحرمين ص ٩٤ - ٩٥ تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود الدار المصرية للتأليف والترجمة ط أولى سنة ١٣٨٥هـ

(٤) أنظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٥ ضمن مجموعة نفائس .

(٥) جوهرة التوحيد مع حاشية البيجورى ط العامرية الشرقية ١٣١٤ هـ .

(٦) اضاءة الدجنة فى اعتقاد أهل السنة لاحمد المقرى المغربى المالكى الاشعرى مع الشرح لمحمد بن أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ص ٨٣ ط بيروت .

(٧) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم مع الملل للشهرستانى ج ٣ ص ١٠٦ والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٠١ .

لا يختلف فيه اثنان ، ولا ينتطح فيه عنزان (*) قال الشهرستانى ، وهو يصف مذهب الأشعرى فى الايمان بقوله : (قال : الايمان هو التصديق بالجنان ، وأما القول باللسان والعمل بالاركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب ... واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه حتى لو مات عليه فى الحال كان مؤمنا ناجيا ، ولا يخرج من الايمان الا بانكار شئ من ذلك) لكن الأشعرى قال فى الابانة بعد أن ذكر الموقف والحساب (.. والايمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك . (١) ومجموع القولين هو معتقد أهل السنة ، فالايمان عندهم هو التصديق بالجنان ، والنطق باللسان ، والعمل بالاركان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالعصيان .(٢) ولذلك قال الآجرى وهو من كبار أهل السنة : (لا يكون مؤمنا إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال) (٣)

وقد بحث هذه المسألة الحافظ فى الفتح فى الباب الاول من كتاب التوحيد ، عند شرحه لحديث معاذ ، لما أرسله النبى عليه الصلاة والسلام الى اليمن وفيه (فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله) وذكر الخلاف بين المتكلمين فيما هو أول واجب على المكلف المعرفة أو النظر أو الشك أو التقليد ؟ وأن الناس قد تناقضت مذاهبهم فى هذه المسألة بين مفرّط ومفرط ومتوسط ، فالاول اكتفى بالتقليد المحض فى إثبات وجود الله ، ومنهم من حرّم النظر فى الادلة استنادا الى ماثبت عن الأئمة من ذم الكلام ، منهم جماعة من الحنابلة والظاهرية ، والطرف الثانى من وقف صحة الايمان على معرفة الأدلة من علم الكلام نسب ذلك لابى اسحق الاسفراييني ، وهؤلاء كفروا عوام المسلمين بزعمهم أن من لم يعرف العقائد

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٠١ والابانة عن أصول الديانة لابى الحسن الاشعرى ص ٢٤ حققه عبد القادر الارنوءوط دار البيان ١٤٠١هـ .

(٢) أنظر شرح الطحاوية ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٣) الشريعة للآجرى سنة ٣٦٠ هـ ص ١١٩ تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ .

(*) وقال ابو طالب : ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا

الشرعية بالأدلة التى حرروها فهو كافر، والطرف الوسط من المتكلمين قالوا لا يكفى التقليد، فلا بد من دليل ينشرح له الصدر ، وتحصل به الطمأنينة العلمية بدون طرق الصناعة الكلامية ، بل يكفى من كل أحد بحسب مايقتضيه فهمه.(١) وذكر كلاما كثيرا حول هذه المسألة، ونقولا عن أئمة السلف فى ذم الكلام، ورجوع بعضهم، كما سيأتى فى ذم الكلام، أما الرؤية فسيأتى منهجهم فيها فى (المعارك الكلامية) فى الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .

والذى سبق ذكره ، هو ما عليه الأشعرية فى اليمن ، ومصر والشام، وغيرها من بلاد المسلمين ، مع تفاصيل وخلافات تراجع فى كتبهم ، وهذه هى طريقة ابن كلاب ، أبى محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى سنة ٢٤٠ هـ الذى سلك الأشعرى خطته فى طوره الثانى قرر هذا شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (والكلابية هم أتباع أبى محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، الذى سلك الاشعرى خطته) (٢) أى بعد الاعتزال وفى موضع آخر قال : (ثم جاء أبو الحسن الاشعرى ، واتبع طريقة ابن كلاب ، وأمثاله) (٣) أى فى طوره الثانى بعد الاعتزال .

والغرض من إيراد هذا الكلام ، إثبات الطور الثانى للأشعرى ، بأنه كان على مذهب ابن كلاب السابق ذكره ، وأن الاشاعرة مازالوا عليه قائمين ، حتى الآن ، وهو الايمان بالصفات السبع ، وتأويل ما سواها من الخبرية(٤) ، وفى ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (الأشعرية

---

(١) أنظر فتح البارى ج ١٣ ص ٣٤٩ - ٣٥٨ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ١٠٣ .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٥٢٠ .
(٤) أنظر الموقف الخامس فى الالهيات من المواقف للأيجى ص ٢٩ وما بعدها الى شرح الاسماء الحسنى ومن ذلك تفسير الرحمن الرحيم (بأنهما بمنزلة الندمان والنديم أى مريد الانعام على الخلق فمرجعهما صفة الارادة ، وقيل معطى جلال النعم ودقائقها فالمرجع حينئذ صفة فعلية ص ٣٥٧ . وهذا التأويل فرار من اثبات صفة الرحمة لله تعالى المخالفة لرحمة المخلوقين

يقولون ان له صفات سبعا : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والسمع والبصر ، وينفون ما عداها ، وفيهم من يضم الى ذلك اليد فقط ، ومنهم من يتوقف في نفي ما سواها ، وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها ...

وأما من قال منهم بكتاب (الإبانة) الذى صنفه الأشعرى فى آخر عمره ، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب الى الأشعرى بدعة ، لاسيما وأنه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة ، ويفتح بذلك أبواب شر) . (١)

يستفاد من كلام شيخ الاسلام هذا أن الأشاعرة الذين بقوا على عقيدة الأشعرى ، فى طوره الثانى ليسوا من أهل السنة . أما الذين انتقلوا معه الى الطور الثالث ، وقالوا بما قال به فى (الإبانه) وثبتوا عليها ، فهم من أهل السنة ، والفرقة الناجية ، ولعل ابتداع الانتساب الى الأشعرى الذى ذكره الشيخ ، هو مايكون بالأفواه لا بالتصديق والتطبيق لأن الأشعرى فى آخر عمره من أهل السنة ، يدل على ذلك كلامه والله أعلم .

الطور الثالث : اثبات صفات الله — جل وعلا — من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ، على طريقة السلف الصالح ، وهذا هو الذى استقر عليه حتى توفى — رحمه الله — ، وهو ما دوّنه فى كتابه (الإبانه عن أصول الديانة) وفى حكايته لعقيدة أهل السنة وأهل الحديث فى كتابه (مقالات الاسلاميين ، واختلاف المصلين) .

وفى الجميع ما يدل على رجوعه الأخير الى مذهب أهل السنة ، فانه يثبت الصفات الخبرية ، الذاتية منها والفعلية يصف الله — تعالى — بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله — صلى الله عليه وسلم — صرح بذلك فى كتابه (الإبانة) إذ يقول : (قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا — عز وجل — وبسنة نبينا — صلى الله عليه وآله وسلم — وما روى عن الصحابة ، والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل — نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته — قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ... وأن الله استوى على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) (٢) وأن له وجها

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٣٥٩ — ٣٦٠ .
(٢) سورة طه آية : ٥ .

بلا كيف ، كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) [١] وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت بيدى) [٢] وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) [٣] وأن له عينا بلا كيف كما قال : (تجرى بأعيننا) [٤] وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا) [٥] الى آخر ماذكره فى كتاب (الابانة) ٠

ولما ذكر مجمل عقيدة أهل السنة والحديث فى كتابه (مقالات الاسلاميين) قال : (فهذه جملة ما يأمرون به ، ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول : وإليه نذهب) [٦] ، وهذا يخالف ما عليه الأشعرية من التأويل

إسناد الإبانة للامام أبي الحسن الأشعري

لا خلاف حسب علمى فى نسبة (مقالات الاسلاميين) للأشعرى ، وإنما التشكيك من بعض المقلدة ، فى إسناد (الإبانة) إلى أبى الحسن الأشعرى وإليك نقول أعلام الاسلام المصرحة بعزوه إلى الاشعرى ، منهم الحافظ البيهقى [٧] سنة ٤٥٨ هـ والحافظ بن عساكر [٨] سنة ٥٧١ هـ وشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ فى مواضع من كتبه [٩] وتلميذاه ، الحافظ الذهبى [١٠] سنة ٧٤٨ هـ والامام ابن قيم الجوزية [١١] سنة ٧٥١ هـ وابن فرحون المالكى [١٢]

---

(١) سورة الرحمن : آية : ٢٧ ٠
(٢) سورة صٓ : آية : ٧٥ ٠
(٣) سورة المائدة : آية : ٦٤ ٠
(٤) سورة القمر : آية : ١٤ ٠
(٥) الابانة عن أصول الديانة لابى الحسن الأشعرى ص ١٧ — ١٩ ٠
(٦) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابى الحسن الأشعرى جـ ١ ص ٣٤٦ — ٣٥٠ ٠
(٧) أنظر الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد للبيهقى ص ١٠٨ — ١٠٩ تحقيق أحمد عصام الكاتب ط بيروت ٠
(٨) انظر تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الأشعرى لابن عساكر الدمشقى ص ١٥٢ ٠
(٩) أنظر مجموع الفتاوى جـ ٦ ص ٣٥٩ جـ ١٢ ص ٢٠٣ وفى مواضع كثيرة من كتبه ٠
(١٠) أنظر العلو للعلى الغفار للذهبى ص ١٦٠ قدم له وصححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان الناشر المكتبة السلفية بالمدينة ط ثانية سنة ١٣٨٨ هـ ٠
(١١) أنظر اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ص ١٨٢ ط دار الكتب العلمية بيروت نشر الباز والنونية ص ٦٨ طبع الهند
(١٢) أنظر الديباج المذهب فى أعيان المذهب لابن فرحون جـ ٢ ص ٩٤ — ٩٦ تحقيق محمد أبو النور دار التراث للطبع والنشر القاهرة ٠

سنة ٧٩٩ هـ وابن العماد الحنبلي [١] سنة ١٠٨٩ هـ والسيد مرتضى الزبيدى [٢] سنة ١٢٠٥ هـ والسيد السلفي الشهير محب الدين الخطيب [٣] ، ومحمد أبو زهرة [٤] ، وشيخنا حافظ بن أحمد [٥] الحكمي سنة ١٣٧٧ هـ والزركلي [٦] والمعلمي اليماني وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز [٧] مفتى الديار السعودية ، وشيخنا حماد الانصارى [٨] وناشر كتاب الابانه [٩]) ، وغير هؤلاء ممن ذكرهم شيخنا الانصارى فى كتابه (أبو الحسن الاشعرى وعقيدته) وفى عدة محاضرات فى كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وقال فى كتابه المذكور ، بعد أن نقل كلام الأئمة الأعلام فى عزو (الابانة) للأشعرى : (وهذه نقول الائمة الاعلام ، أعلام الاسلام قد تضمنت بالصراحة التى لايتناطح عليها عنزان ، ولا يمترى فيها اثنان ، أن كتاب (الابانة) ليس مدسوسا على أبى الحسن الأشعرى كما زعمه بعض الأغمار ، من المقلدة ، بل هو وتواليفه التى ألفها أخيرا ، واستقر أمره على ما فيها ، من عقيدة السلف ، التى جاءت فى القرآن الكريم ، وسنة النبى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) .

---

(١) أنظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي جـ ٢ ص ٣٠٣ وصرح بأن الابانة آخر كتاب صنفه الاشعرى .

(٢) أنظر اتحاف السادة المتقين للزبيدى جـ ٢ ص ٣ .

(٣) أنظر تعليق على منتقى الاعتدال للذهبى مختصر منهاج السنة لابن تيمية ص ٤١ — ٤٣ حققه وعلق حواشيه ووقف على طبعه محب الدين الخطيب

(٤) أنظر تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة جـ ١ ص ١٨١ — ١٨٧ .

(٥) أنظر معارج القبول بشرح سلم الوصول لشيخنا حافظ الحكمي جـ ١ ص ٣٤٥ من مطبوعات الافتاء .

(٦) أنظر الاعلام للزركلي جـ ٤ ص ٢٦٣ .

(٧) أنظر تقريظ لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لرسالة شيخنا حماد الانصارى (أبو الحسن الاشعرى وعقيدته) ص ٢٩ .

(٨) أنظر الرسالة المذكورة لشيخنا الانصارى كاملة .

(٩) أنظر مقدمة الإبانة لابى الحسن الاشعرى ص ٣ ولمزيد من التفاصيل راجع رسالة بعنوان (أبو الحسن الاشعرى بين المعتزلة والسلف) لهادى بن أحمد طالبى تقدم بها لنيل درجة الماجستير فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة موجودة فى قسم المخطوطات فى المكتبة

===

فهل يصح القول بعد هذه النقول فى إسناد (الإبانة) للاشعرى ، أنها مدسوسة عليه ، وهل يبقى بعد هذا من شك أنها ليست من مصنفاته ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ .

أما أطوار الأشعرى الثلاثة الآنفة الذكر ، فقد ذكرها ابن العماد الحنبلى ، والسيد محب الدين الخطيب وشيخنا حماد الانصارى فى عدة محاضرات كما سبق ، وناشر (الإبانة) كما سبق فى المراجع الآنفة الذكر الأجزاء والصفحات ذاتها .

وتوكيد لما سبق من أن مذهب الأشعرية المدون فى كتبهم ـ المشار اليها سابقا ـ يختلف عن مذهب الاشعرى فى (المقالات) و (الإبانة) كما رأيت .

هذا بالنسبة للمذهب العام للأشاعرة ، ويبقى هل معتقد الأشعرية فى اليمن يندرج تحت المذهب العام أو لهم مذهب خاص ؟ ـ لكنهم أولى بالانتساب الى الأشعرى لأن بعضهم من نسل أبى موسى الأشعرى اليمانى الصحابى الجليل ، وفى أعمال زبيد يوجد مسجد يسمى ـ الى يوم الناس هذا ـ مسجد الأشاعر . والواقع أن الاشعرية هى هى سواء كانت فى اليمن أو فى غيره لكن لنا أن نتساءل حتى دخلت العقيدة الأشعرية الى اليمن ، وعلى يد من ؟ وهذا ما سنتحدث عنه بعون الله ـ الآن .

== المركزية وقد طبع كتاب الابانة عدة طبعات منها طبعة فى مصر سنة ١٣٩٧ هـ تحقيق الدكتورة / فوقية محمود التى قالت انها اعتمدت فى التحقيق على أربع نسخ خطية وطبعة دار البيان بدمشق تحقيق عبد القادر الارنوءط سنة ١٤٠١هـ .

المذهب الأشعري وظهوره في اليمن :

يمكن القول بأن المذهب الأشعري يتمشى مع المذهب الشافعي في جنوب اليمن ، وأسفله ، وسواحله . كما يمكن القول بأن هذه المناطق يعتنق أصحابها ، المذهب الشافعي في الفروع ، ولكن التاريخ يقرر بأن اليمن كان خليطا بأتباع الائمة الأربعة ، وغيرهم من الزيدية ، مع مافي الجميع من المجتهدين .

وقد يعتنق الواحد منهم أكثر من مذهب ، فبعضهم يقول : أنا في الفقه شافعي ، وفي المعتقد حنبلي ، وفي الطهارة زيدي ، فلهذا لا يصح الجزم بأن المذهب الأشعري ، يتمشى مع المذهب الشافعي وحده لما للاشعري من المكانة العلمية ، لدى إصحاب المذاهب ، ولذلك تنازعوه ، فالمالكي يدعى أنه مالكي ، والشافعي والحنفي كذلك ، والاشعري نفسه يصرح بأنه حنبلي — كما سبق في مجمل اعتقاده — ومع هذا فلا يمكن الجزم بحصر عقيدة الأشعري في الشافعية اليمنية ، أو في غيرهم ، الا اذا كانت على ما تضمنه الطور الثاني ، أما الطور الثالث فلا يصح ، لأنهم لا يعتقدون ذلك — كما سبق بيانه — وعليه فعقيدة الاشعرية في اليمن كسائر الأشعرية في بلاد المسلمين .

وقد سبق تصريح مرتضى الزبيدي ، بأنه اذا أطلق أهل السنة ، والجماعة ، فالمراد بهم الاشاعرة والماتريدية كما هو المشهور في خراسان ، والعراق ، والشام ، وأكثر الأقطار . (١)

وقد اختلف المؤرخون اليمنيون ، وغيرهم ، في تحديد ظهور المذهب الاشعري في اليمن زمانا ومكانا ، بناء على القول بأن المذهب الاشعري يتمشى مع المذهب الشافعي في اليمن غالبا .

١ — فقال بعضهم : إنه ظهر في أيام الرشيد العباسي سنة ١٩٣ هـ حينما خرج الامام الشافعي الى اليمن ، ودخل صنعاء سنة ١٨٤ هـ وأخذ

---

(١) أنظر حياة الادب اليمني في عصر بني رسول للحبشي ص ٩٧ — أبو الحسن الاشعري وعقيدته للانصاري ص ٤ ، اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين للزبيدي جـ ٢ ص ٦ .

العلم عن قاضي صنعاء ، يومئذ هشام بن يوسف سنة ١٩٧ هـ وغيره ، صرح بذلك الحافظ بن حجر (١) .

٢ — ويرى البعض الآخر أن ظهور المذهب الشافعي في اليمن سنة ٢٠٤هـ حين ابتدأ من المعافر والجند متجهـا الى عدن جنوبا ، بما في ذلك مغارب اليمن وتهامة ، بواسطة فقهاء ذلك العصر الذين هاجروا الى الحجاز والعراق ، وأخذوا عن أصحاب الشافعي ، ولا يزال المذهب الشافعي هو المعتمد ، في تهامة اليمن ، وفي اليمن السافل ، والبيضاء ، وحضرموت ، وعدن (٢) .

وهذان القولان معارضان معارضة شديدة بل لا عمل عليهما ، فإن الاشعري لما يولد حينئذ ، فانه ولد سنة ٢٧٠ هـ فكيف ينتشر مذهبه والحال هذه ؟ بل هذان القولان صريحان في خروج الشافعي ومذهبه الى اليمن ، لا في المذهب الاشعري ، ومبنيات على القول باقتران الاشعرية بالشافعية وهو ضعيف ، لأنه خلاف الواقع ، ولأن هناك من يعتقد الأشعرية غير الشافعية .

٣ — بينما يخالف هذين القولين من يقول : إن دخول المذهب الشافعي في اليمن كان في المئة الثالثة من الهجرة ، أو الرابعة ، وكان الداعي اليه في الجَنَد ، ومخلاف جعفر هو عمر بن محمد الحواشي . (٣)

٤ — وذكر صاحب مصادر تاريخ اليمن أن دخول كتب الأشاعرة اليمن سنة ٥٧٥هـ بواسطة دولة بني أيوب ، فاستمسك بهـا الشافعية في اليمن الأسفل ورجعوا الى الشافعية بعد أن كانوا حنابلة . (٤)

---

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٥٧ — ٥٨ ط بيروت ، وضحى الاسلام لاحمد أمين ج ٢ ص ٢١٩ — ٢٢٠ ط لجنة التأليف ... بالقاهرة ط سابعة سنة ١٩٦٤م .

(٢) تاريخ اليمن الثقافي لاحمد حسين شرف الدين ج ٤ ص ٣٦ — ٤٠ ، طبقات فقهاء اليمن ص ٨٠ وما بعدها .

(٣) غاية الاماني في تاريخ القطر اليماني ليحى بن الحسين بن القاسم الشهاري ج ١ ص ٢٠٣ وأنظر تاريخ الاسلام السياسي ... والاجتماعي لحسن ابراهيم ص ٤٥٤ .

(٤) مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي لأيمن فؤاد سيد ص ٣٤ ط المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

فالقول الثالث فيه احتمال راجح من جهة دخول المذهب الأشعرى اليمن لأن وفاة أبى الحسن الأشعرى كانت سنة ٣٢٤ هـ أو ٣٣٠ هـ وانتشر المذهب الأشعرى فى كثير من بلاد الاسلام ومنها اليمن ، إلا أن هذا القول مبنى على القول باقتران الاشعرية بالشافعية كالقولين الأولين وهذا مرجوح لما سبق .

وأما القول الرابع فهو صريح — كما ترى — فى دخول كتب الأشاعرة اليمن ، فى القرن السادس الهجرى ، الا أنه معارض باقتران الاشعرية بالشافعية وقد ثبت — كما سبق — دخول المذهب الشافعى قبل القرن السادس ، فالاقتران مرجوح والله أعلم بالصواب .

موقف ابن الوزير من الأشعرية فى اليمن :

من المعلوم أن الاشعرية ، خصوم المعتزلة فى اليمن وغيره ، وقد سبق أن ذكرت خروج أبى الحسن الأشعرى ، على أفكار المعتزلة ، وتفنيدها ، ومنذ ذلك الحين ، والمعارك الفكرية بين الطائفتين حامية الوطيس إلى يوم الناس هذا ، وطبيعى أن تكون المعارك الفكرية — مع الاسف الشديد — بين هاتين الطائفتين وغيرهما ، وبين أهل السنة أشد ، مصداقا لحديث ، افتراق الأمة ، الى ثلاث وسبعين فرقة ، السابق ذكره فى أول الباب الثانى من هذه الرسالة . وابن الوزير — اذا تعجلنا بالحكم عليه — من أهل السنة ، ويكفى شهادة على ذلك ، عنوان كتابه (العواصم والقواصم) فى الذب عن سنة أبى القاسم) ومختصره (الروض الباسم ...) وهو رد على الزيدية المعتزلة اليمنية .

وفى أثناء بحثى ، واطلاعى على مؤلفات ابن الوزير ، وتراجمه ، لم أجد جدالا بينه وبين الاشعرية اليمنية لأن معظمهم كانوا فى سواحل اليمن وجنوبه ، تحكمهم دويلات خارجة عن حكم الأئمة الزيدية المعتزلة فى المناطق الجبلية الشاهقة ، الشرقية ، والشمالية — غالبا — .

واذا وجدت اشعرية فى الديار الزيدية ، فلا يستطيعون المجادلة والمراسلة ، لأنهم كانوا مضطهدين بلغ الأمر ببعض أهل السنة إلى أن يحرم مطالعة كتبه واعارتها للأشاعرة ، ويكتب بذلك وصية على ظهر

كتابه (١) وقد توجد لاشاعرة اليمن مناظرات ومراسلات مع غير ابن الوزير ، فى عصره أو فى غيره ، ولم أطلع على شئ من ذلك ٠

موقف ابن الوزير العام من الاشعرية :

مواقف ابن الوزير الفكرية من الأشعرية عموما متنوعة :

١ — فتارة يقف موقف الحكم ، حينما يتعرض لحكاية أقوالهم ، ومعتقداتهم ، فى معرض جوابه ، على خصمه الآتى ذكره فى (المحارك الكلامية) ٠

٢ — وتارة يقف موقف المدافع عنهم اذا وصمهم خصمه بالجبر والتشبيه ، وفرع عن ذلك تكفيرهم ٠

٣ — وتارة يقف منهم موقف الخصم ، اذا كان الخلاف شديدا بينهم وبين أهل السنة ، لأنه أحيانا يعدهم من أهل السنة وذلك فى المسائل التى يوافقون فيها أهل السنة ، وأحيانا يعدهم طائفة مستقلة عن أهل السنة كما سيأتى فى الكلام على الحكمة فى أفعال الله — عز وجل — من أن أهل السنة يقولون بالحكمة ، وغلاة الاشعرية ينفونها ٠

٤ — وتارة يقف منهم ومن سائر الفرق ، موقف المتألم ، المتحسر ، على هذه الفرقة ، التى أدت الى تفسيق ، وتكفير الطوائف ، بعضها لبعض بسبب عدولهم عن منهج السلف الصالح ، منهج الكتاب والسنة ، إلى تقليد أهل الكلام ، والبدع ، والاهواء ٠

وهذا الموقف تجده واضحا فى كتابه (إيثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد) الذى ألفه فى أواخر حياته ، وهذا الكتاب بهذا العنوان دال على مسماه ، فقد بذل فيه جهدا كبيرا فى المحاولة للتوفيق بين الأقوال ، وبيان الصواب من الخطأ منها ، حسب ما وصل اليه علمه واجتهاده ٠ وكثيرا ما تحدث فيه عن الأشعرية وغيرها ولكن الأشعرية عموما لم يخصص أشعرية اليمن كما خصص زيديتها ومعتزليتها لأنهم البادئون ، وهو المجيب إلا أنه من المعلوم ، أن عقيدة الأشعرية فى اليمن كسائر الأشعرية فى البلاد الاسلامية كما سبق بيانه قريبا

---

(١) أنظر حياة الأدب اليمنى فى عصر بنى رسول لعبد الله بن محمد الحبشى ص ٥٥ وأنظر السلوك للجندى ص ١٢٤ ٠

وفي أول الباب الثاني من هذه الرسالة ، وبناء على ذلك فكلام ابن الوزير يتناول الأشعرية عموما ، وتدخل اليمنية فيه دخولا أوليا ولهمعهم مواقف كثيرة أثرية ونظرية ، لا يحتمل المقام إجمالها فضلا عن تفاصيلها وهي مذكورة في كتابه (العواصم والقواصم) و (الروض الباسم) و (إيثار الحق على الخلق) ، ولكن رأيت أن أذكر مثالا لموقف ابن الوزير من الأشعرية في (حكمة اللـه تعالى في أفعاله) لأن بها كما قال ابن الوزير : (تبرز أفعاله تعالى من القدرة الى الوجود ، ويتبين عجز العقول عن مدارك جميع ماله سبحانه من الحكمة والكرم والجود) (١) فنقول وبه نستعين :

الكلام على حكمة اللـه تعالى :

قد أكثر أهل الكلام ، الكلام على حكمة اللـه تعالى ، حتى أدى ببعضهم ، الى القول بنفيها ، والبعض الآخر الى القول بأنهم يعلمون تفاصيلها ، والجميع مخطئون لما سيأتي بيانه ان شاء اللـه تعالى .

وقد تكلم في الحكمة كثير من علماء الاسلام ، وبعضهم أفردها بأبواب مستقلة ، ومنهم شيخ الاسلام ، وتلميذه ابن القيم ، الأول في عدة مواضع من مجموع فتاويه وبالأخص في الجزء الثامن المتضمن للقدر والحكمة . والثاني في كتابه المشهور بـ (شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد عقد بابا مستقلا فيه بعنوان (الباب الثاني والعشرون في طرق إثبات حكمة الرب تعالى ، في خلقه ، وأمره) ووصف ذلك الباب بأنه أجل أبواب الكتاب ، وصنف الغزالي مصنفا بعنوان (الحكمة في مخلوقات اللـه) ، وإثبات الحكمة معلوم في كتاب اللـه ـ تعالى ـ وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، في الاسماء الحسنى وغيرها كما في قصة آدم ـ عليه السلام ـ وملائكة السموات ، وقصة موسى والخضر عليهما السلام .

ومعنى الحكمة عند ابن الوزير هو : (العلم بأفضل الأعمال ، والعمل بمقتضى ذلك العلم ، مثاله : العلم بأن الصدق أولى من الكذب ، والعدل أولى من الجور ، والاحسان أولى من الاساءة ، و و و .

ولا خلاف في تسمية هذا حكمة ، في حق الحكماء ، والعلماء من الخلق ،

---

(١) ايثار الحق على الخلق ص ١٩٣ .

ولم يخالف إلا بعض الغلاة من الأشعرية أن ذلك محال في حق الله تعالى [(١)] أي في أفعاله .

أما أهل الكلام فمعنى الحكمة عندهم : عبارة عن إثبات داع راجح الى جميع ما فعله الله وأراده ، وإن خفي على خلقه أو كثير منهم ، والمرجع بهذا الداعي الى علم الله تعالى بالمصالح والغايات الحميدة) [(٢)] والظاهر أن هذا المعنى أقرب الى المعتزلة منه الى نفاة الحكمة من الأشعرية والله أعلم .

قال الغزالي — وهو من أئمة الاشعرية — في شرح اسم الله الحكيم :
(والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم ، وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ، ويحكمها ، ويتقن صنعتها حكيما ، وكمال ذلك أيضا ليس الا لله تعالى ، فهو الحكيم الحق) [(٣)] وفي كلام الغزالي دلالة على إثبات الحكمة كما ترى بل له مصنف خاص في الحكمة كما ذكرت قريبا . [(٤)]

وفي النهاية في غريب الحديث : والحكيم فعيل بمعنى فاعل ، وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها ، فهو فعيل ، بمعنى مفعل ، وقيل الحكيم : ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم .
ويقال لمن يحسن دقائق الأمور ، ويتقنها حكيما ، وهذا يتفق مع معنى الحكمة عند ابن الوزير .

هذا ولا يفوت ابن الوزير ، أن ينبه الى هذه الأمور الجملية كقواعد أساسية ينبني عليها ما سيأتي ، نلخصها فيما يلي :

١ — إن ما خفيت فيه الحكمة على العقول ، مثل عدم العفو عن المشركين ، في الآخرة ، وعمن شاء الله من المذنبين ، مع أن العفو أحب الى الله — تعالى — في جميع كتبه ، وشرائعه ، فهذا نوع من مظاهره ، ونكل

---

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٩٣ وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ١٩٧ .
(٢) ايثار الحق على الخلق ص ١٩٤ .
(٣) المقصد الاسنى شرح الاسماء الحسنى للغزالي ص ٦٧ — ٦٩ ط بيروت وأنظر الاربعين في أصول الدين له ص ١٤ وإحياء علوم الدين له جـ ١ ص ١١٢ ط بيروت
(٤) وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٩٨ هـ وسنة ١٤٠٤ هـ بتحقيق الدكتور محمد رشيد رضا قباني ط بيروت .

الحكمة فيه الى اللـه تعالى .

٢ ـ القول بأن الحكمة فيه خفية ، ولو أنا علمناها لعرفنا حسنه .

٣ ـ القطع بأنا أجهل من أن نعلم جميع حكم اللـه ـ تعالى ـ فى جميع أحكامه .

٤ ـ ولو علّمنا اللـه ـ تعالى ـ نصف ما يعلمه ، لجاز أن تكون الحكمة ،فى هذا النصف الذى لم يعلّمنا إياه .

٥ ـ قد صح أن جميع علم الخلائق ، بالنسبة لعلم اللـه ـ عز وجل ـ كنسبة ما يأخذه الطائر بمنقاره من البحر الأعظم . (١)

٦ ـ خفاء الحكمة فى المصائب ، والآلام ، وغيرها على عقولنا ، لا يعنى عدمها وانتفاءها ، فإن الجاهل يعجز عن إدراك الحكمة فى فعل العالم ، فى أحيان كثيرة ، فكيف بنا الى جوار من أحاط بكل شىء علما . (٢)

٧ ـ ان الكلام فى حكمة اللـه ـ عز وجل ـ وخشيته ، ومحبته ، وأفعال العباد ، وما يتعلق بها يختص بمن قد عرف من علم الكلام ، ماأمرض قلبه ، أو منع يقينه ، بالاعتقاد الجُملى ، أو من رسخت فى قلبه العصبية ، ولم يستطع دفعها بغير حجة ، حتى بقيت بلا معارض، أو من ضل بالتقليد .

٨ ـ ان القول بحكمة اللـه ـ عز وجل ـ أوضح من أن يروى عن صحابى أو تابعى ، أو مسلم سالم من تغيير الفطرة التى فطر اللـه خلقه عليها ، ولذلك تقربه العوام من كل فرقة ، ممن لم يتلق خلافه من أتباع غلاة المتكلمين ، ولذلك كره علم الكلام بما يؤدى اليه الخوض فيه ، من المحارات ، ومخالفة الضرورات ، والمشهورات .

ألا ترى أن المتكلمين لما توغلوا فى هذه المباحث ، أدى ذلك بطائفة

---

(١) هذا معنى طرف من حديث طويل ، عن ابن عباس عن أبى بن كعب مرفوعا ـ البخارى جـ ٥ تفسير سورة الكهف ص ٢٣١ - ٢٣٥ .

(٢) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٣ وهم ٣٠ وايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١٥ - ٢١٦ .

منهم الى القدح فى حكمة الله عزوجل وطائفة الى القدح فى قدرة الله على هداية العصاة وطائفة الى القدح فى دوام العذاب، ورجحت كل طائفة تأويلها، أما غلاة الأشعرية (١) الذين رجحوا نفى الحكمة، فلصعوبة النظر فى حكم الله - تعالى - فى جميع الشرور الدنيوية والأخروية، ولعجز العقول عن ادراك ذلك.

وأما غلاة المعتزلة (٢)، فقد رجحوا عدم قدرة الله - عز وجل - على هداية العصاة، واللطف بهم، لأن الله بناهم بنية - كما يقولون - لا تقبل اللطف، وكذبوا، فالله - سبحانه - يضل من يشاء ويهدى من يشاء، والله على كل شئ قدير (٣)، مع أن جميع بنى آدم، ولدوا على الفطرة، كما سيأتى بيانه، فى معنى الفطرة، فى الباب الثالث من هذه الرسالة، قال ابن الوزير: (وأما ابن تيمية وأصحابه، فرأوا أن القدح فى الحكمة، والقدرة يتطرق الى النقص فى الربوبية، وذلك يحتمل الكفر ويضارعه أو يقرب منه.

وأما دوام العذاب، فالقدح عندهم فيه سهل، بعد ورود الاستثناء فى غير آية وحديث، ولى على الجميع كلام طويل وقد أشرت الى أقوالهم، وشبههم فى الاجادة بأقصى عبارة) (٤) وسيأتى الكلام على كلام ابن الوزير هذا الذى أسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية من القدح فى دوام العذاب، أما اثبات الحكمة فسيأتى كلام ابن تيمية المقرر لما ذكره ابن الوزير.

كما أشار ابن الوزير أيضا، الى مصنفات شيخ الاسلام، وتلميذيه ابن القيم والذهبى فى الحكمة، ومعارضته لهما، وقد اطلعت على كلام شيخ الاسلام، وتلميذه ابن القيم فى ذلك، لكنى لم أجد كلاما

---

(١) ومنهم الآمدى فى كتابه (غاية المرام فى علم الكلام) ص ٢٢٤ ولفظه: (مذهب أهل الحق أن البارى تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الابداع اليها، ولا لحكمة يثوب الخلق عليها بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده اليه ولا لمقصود أوجب الفعل عليه).

(٢) أنظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار أحمد المعتزلى ص

(٣) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير بتصرف ص ٢١٦ والعواصم له جـ ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٩ وما بعدها.

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ٢١٦.

للذهبي في الحكمة . (١)

---

(١) قيل ان الذهبي ألف (الرسالة الذهبية الى ابن تيمية) وهي رسالة بعث بها الى شيخه ابن تيمية في تبيان عقيدته كما وصفها السخاوي بقوله : (وقد رأيت له - أى الذهبي - عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لابن تيمية ، هي لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة) كذا في (الاعلان والتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) ضمن مجموعة من كتب التاريخ بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين) ص ٥٠٤ ، (لفرانز روز نتشال) ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى موسسة الرسالة بيروت ط ثانية سنة ١٤٠٣ هـ .
وقد ذهب بعض العلماء الى أن هذه الرسالة مزورة على الذهبي .
وقيل لاعبرة بذلك ، فانها توجد منها نسخة في دار الكتب المصرية ، بخط تقي الدين ابن قاضي شهبه الأسدي سنة ٨٥١هـ رقم (١٨٨٣٣ ب) ومنها نسخة بدار الكتب الظاهرية برقم(١٣٤٧) .
وقد نشرها حسام الدين القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧هـ مع كتاب (بيان زغل العلم) ولم أطلع عليه .
وممن ذهب الى أن هذه الرسالة مزورة السيد زكريا علي يوسف ، وأنه اتصل بمحمد رشاد سالم هاتفيا ، بشأنها ، وأن الأخير ما وجد لها أصلا ، أنظر مقدمة (المهذب في اختصار السنن) للذهبي جـ ١ ص ٤ - ٧ تحقيق حامد ابراهيم أحمد وزميله مطبعة الامام بمصر . وأنظر (الذهبي ومنهجه في كتابه(تاريخ الاسلام) للدكتور بشار معروف ط الحلبي ط أولى سنة ١٣٧٦ هـ .
وقد دافع ناشر (المهذب في اختصار السنن) عن ابن تيمية في مقدمة الكتاب المذكور وفي نهايته ص ٧٣ ٤ دفاع المنصف ولكن القول المقنع للمنصف هو القول بأن كلام ابن تيمية ، أو الرجوع اليه هو الكفيل بالدفاع عنه . .
وأقول : رحم الله السخاوي ، ماكان ينبغي لمثله أن ينسب شيخ الاسلام - رحمه الله - الى التعصب ، ولو اطلع على مؤلفاته وأنصف لما قال هذه الكلمة ، فان شيخ الاسلام يحمل كلام الطوائف الاسلامية ، بل وخصومه - في عدة مواضع - على محامل كثيرة خصوصا في الكلام المجمل والمبهم والمشترك بقوله : ان كان المراد بهذا الكلام كذا وكذا فحق أو باطل ، وان كان يراد به كذا وكذا فكذا وكذا ، وأحيانا يحكي كلام الطوائف في محل النزاع ، ويذكر أدلة كل فريق ، ويناقشها ويصوب ماوافق الكتاب والسنة وكلام السلف ويخطئ ماخالف ذلك ، ولكن لايصدر الحكم الا بعد أن يتلمس
===

منهج ابن الوزير فى اثبات حكمة الله تعالى :

ان اثبات حكمة الله ـ عز وجل ـ في كتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يقول ابن الوزير : (بين لا يدفع ، مكشوف لايتقنع ، مدحا وثناء ، كما اشتملت عليه النصوص القرآنية والأسماء الحسنى ، وأسئلة وجوابات) (١) . اشارة الى قصة آدم وملائكة السموات وقصة موسى والخضر ، فاذا تأملت سؤال الملائكة ، وما أجيب عليهم به ، عرفت فيه ما اتفق عليه العقلاء ، من تقبيح الشر المحض ، الذى لا خير فيه ، ولا فى عواقبه وغاياته ، دون الشر المراد لأجل الخير . وذلك واضح فى بيان الله ـ عز وجل ـ للملائكة صلاح آدم عليه السلام ، لعلمه وتقدمه فى القرب من الله ـ تعالى ـ بقوله تعالى : (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (٢) جوابا

=== لبعض الطوائف ـ وان كانوا خصومه ـ الأعذار والمحامل الحسنة ، وخير دليل على ذلك مصنفاته فهل يصح القول بعد هذا ، نسبة التعصب الى شيخ الاسلام ، ورافع لواء السلف ؟ ولكنها أحقاد خصومه قديما وحديثا ، فكم اصطنعوا له المحن ، وكم دبروا له المكائد .
أما الرسالة المزعومة للذهبي تلميذ ابن تيمية فانى أشك فى نسبتها اليه ، ولو كانت صحيحة لأقعد الدنيا وأقامها خصوم ابن تيمية فما أكثرهم فى كل زمان ومكان منذ بروزه الى الآن ، ووجودها ونشرها لا يكفى فى اثباتها واسنادها الى الذهبى ، كما هو مقرر فى مناهج البحث العلمى فى الجامعات وغيرها .
وقد ألف كثير من العلماء والباحثين رسائل خاصة فى ابن تيمية فى كثير من المجالات ، ولم أقف على من أسند التعصب اليه ، ولكنها أحقاد بعض العلماء ـ والعياذ بالله ـ فلقد لفحتنى بنارها ، وأعوذ بكلمات الله التامات من أن تمسنى مرّة أخرى ، فأى خير يرجى من علماء هذا وصفهم ، ولكن حسابهم على الله عز وجل .

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١٤ وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٤٨٥ - ٥١٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ٣٣ .

اجمالياعن استفسارهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) .

فبين لهم أن خلقا فيهم مثل هذا العبد الصالح ، والنبى المكلم المقرب ، المستخلف ، لا يحكم عليه بأنه شر محض ، لا حكمة فيه ، ولا خير يقصد به ، وأنه لا نكارة فى شر يكون للخير كالصدق للدر ، والترب للبر ، والفصاد للعافية ، والقصاص للحياة ، وأمثال ذلك مما هو صحيح شهير فى حكمة الحكماء وعقول الفطناء . (١)

قال ابن كثير : (وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبنى آدم ، كما قد يتوهمه بعض المفسرين ، وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك ، يقولون يا ربنا ما الحكمة فى خلق هؤلاء ؟ مع أن منهم من يفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء ؟ فان كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، ـ أى نصلى لك ولا يصدر منا شىء من ذلك ، وهلّا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (إنى أعلم مالا تعلمون) أى : انى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها مالا تعلمون أنتم ، فانى سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد فيهم الصديقون ، والشهداء والصالحون ، والعباد ، والزهاد ، والأولياء ، والأبرار ، والمقربون ، والعلماء العاملون ، والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم (٢)) . ومن هنا استنبط ابن الوزير ، أن الانسان مايؤتى فى توهمه نفى حكمة الله ـ عز وجل ـ الا من جهة جهله لقدر علمه وقدر علم الله تعالى وأن الناس يتفاوتون فى هذا وغيره حسب مواهب الله اياهم ولذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (والناس يتفاضلون فى العلم بحكمته ورحمته وعدله ، وكلما ازداد العبد علما بحقائق الأمور ، ازداد علما بحكمة الله ، وعدله ، ورحمته ، وقدرته) . (٣)

---

(١) ايثار الحق لابن الوزير مع تصرف بسيط ص ٢١٤ - ٢١٥ وأنظر العواصم والقواصم جـ ٣ وهم ٣٠ ص ٣٠٧ وأنظر مجموع فتاوى ابن ابن تيمية جـ ٨ ص ٥١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩٩ - ١٠٠ تحقيق غنيم وعاشور والبنا ط دار الشعب القاهرة بدون تاريخ وأنظر البداية والنهاية له جـ ١ ص ٧٠ - ٧١

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٥١٣ .

أدلة ابن الوزير على الحكمة :

وقد استدل ابن الوزير على اثبات الحكمة ، بأدلة سمعية وعقلية كثيرة نقتطف منها مايلى :

أولا : الأدلة السمعية من القرآن الكريم - حسب ترتيب ابن الوزير :

أ - ماورد فى تعليل خلق السموات والأرض ، كقوله تعالى : وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) . (١)

وقوله تعالى : (أولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض ، وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) . (٢)

وفى هذه الآية الكريمة دلالة على أن الفكرة العقلية الصحيحة تثمر المعرفة بحكمة الله - تعالى - والقطع ، بتنزيه الله - عز وجل - من العبث واللعب ، كما أن الأدلة الشرعية جاءت بذلك ، وهو واضح فى قوله تعالى : (أولم يتفكروا فى أنفسهم) فهى حجة على اثبات التحسين العقلى ، كقوله تعالى : (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) (٣) قال الامام الشوكانى فى تفسيره لهذه الآية :

(... قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام ، والعقول، فأزر الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل) (٤)

وقال شيخ الاسلام : (وقد ظن بعض الناس أن من يقول بتحسين العقل ، وتقبيحه بنفى القدر ، ويدخل مع المعتزلة فى مسائل التعديل والتجويز ، وهذا غلط ، بل جمهور المسلمين لا يوافقون المعتزلة على ذلك ، ولا يوافقون الأشعرية على نفى الحكمة والاسباب) (٥)

وقوله تعالى : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك

---

(١) سورة الدخان : ٣٨ - ٣٩ .
(٢) سورة الروم : ٨ .
(٣) سورة الطور : ٣٢ .
(٤) فتح القدير للشوكانى جـ ٥ ص ٩٩ الحلبى ط ثانية سنة ١٣٨٣ هـ وأنظر تفسير الطبرى جـ ٢٦ ص ٣٢ .
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٨ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (١) وقوله تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) (٢) وأمثال ذلك كثير سردها ابن الوزير فى كتابه (العواصم والقواصم) و (ايثار الحق على الخلق) (٣) .

ب - ماورد فى تعليل العذاب بالأعمال ، والاستحقاق كقوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون) (٤) فى عدة مواضع من القرآن وهذا أصرح وأشهر من أن يذكر ، وقد ذكر ابن الوزير فى العواصم أكثر من مائة آية كلها تدل على اثبات الحكمة لله تعالى فى أقواله وأفعاله (٥) . وقد جاء صريح التعليل فى الأحكام ، كقوله تعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) . (٦)

جـ - ما أخبر الله تعالى به عن نوح عليه السلام بقوله تعالى : (ان ابنى من أهلى ، وان وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين) (٧) ولفظة (أحكم) هنا - كما فى نظر ابن الوزير - مبالغة فى الحكمة ، التى هذا موضعها ، لما فى كلام نوح من التلطف بتنزيه الله تعالى - عن الخلف فى الميعاد .

ولا يصح أن يكون (أحكم) هنا مبالغة فى الاحكام ، اذ لا مناسبة لذلك ، بهذا المقام ، ولذلك كان الجواب على نوح عليه السلام (إنه عمل غير صالح) فبيّنت له الحكمة على التعيين ، لتقرير اعتقاده الجملى لها ، فكشف له بها ان الوعد الذى سبق له متعلق بأهله الصالحين .

---

(١) سورة ص آية : ٢٧ .
(٢) سورة يونس : آية : ٥ .
(٣) أنظر العواصم والقواصم جـ ٣ وهـ ٣٠ ص ٢ ٥٠ - ٥٠٧ وايثار الحق على الخلق ص ٢٠٥ وما بعدها .
(٤) سورة السجدة : آية : ١٧ وسورة الاحقاف : آية ١٤ وسورة الواقعة آية : ٢٤ .
(٥) أنظر التفاصيل فى العواصم والقواصم فى الاستدلال على اثبات الحكمة لله تعالى جـ ٣ وهـ ٣٠ ص ٤٩٨ - ٥٠٧ .
(٦) سورة المائدة : آية : ٣٢ .
(٧) سورة هود : آية : ٤٥ .

د ـ قوله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (١) وفي آية أخرى (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (٢) وجه الاستدلال من هاتين الآيتين أنه لا يكون في مخلوقات الله تعالى ، ما هو شر محض من جميع الوجوه ، فلابد من خير كامن في ذلك الشر لأن في الآلام ما لايحصى من الألطاف ، بالمكلفين ، والتزهيد في دار الغرور ، ونعيمها الزائل ، والترغيب في خير الآخرة المحض ، الخالص من المكدرات والتدريب على الصبر الذى هو أساس الفضائل ، وحسبك في ذلك قوله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (٣) وفي ذلك من معرفة الانسان بعجزه وذله ، وجمع القلب على الله تعالى ، واقباله على الدعاء والتضرع ومعرفته باجابة الدعاء ، وكشف الضر وزيادة اليقين ، وأمثال ذلك من الغايات المحمودة ، والمصالح المقصودة ما عرفته العقول الصحيحة. (٤)

هـ ـ سؤال الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته ، كما سبق آنفا ـ ولولا اعتقادهم للقطع بالحكمة ، لما استغربوا ذلك ولا سألوا عنه ، ولذلك كان الجواب عليهم بقوله تعالى : (انى أعلم مالا تعلمون) (٥) ولم يقل انى يصدر منى مايفعل المفسدون (٦) ـ تعالى عن ذلك ـ.

و ـ ماجرى بين موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ وهو أوضح مما سبق ، لأنه ـ في نظر ابن الوزير ـ مناد نداء صريحا ، على اشتمال أفعال الله ـ تعالى ـ على المصالح ، والغايات ، المحمودة ، ولولا اعتقادهما لذلك ، ما استنكر موسى ، ولا أجاب الخضر بوجوه الحكمة الراجحة الى المصالح ، ولا قنع موسى بذلك الجواب . (٧)

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٦ .
(٢) سورة النساء آية : ١٩ .
(٣) سورة آل عمران : آية : ١٤٢ .
(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٢٧ .
(٥) سورة البقرة ، جزء من آية : ٣٠ .
(٦) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٢٠٦ - ٢٠٧ وأنظر العواصم والقواصم له جـ ٣ وهـ ٣٠ .
(٧) المصدر نفسه ص ٢٠٧ وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٥١١ - ٥١٤ .

ثانيا : نماذج من السنة النبوية الصحيحة :

أ - حديث أبي هريرة مرفوعا : (من يرد الله به خيرا يصب منه) . (١)

ب - حديث أبي هريرة أيضا مرفوعا : (يقول الله تعالى مالعبدى المؤمن عندى جزاء ، اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة) (٢)

جـ - قوله - صلى الله عليه وسلم - (. . . مامن مسلم يصيبه أذى شوكة ومافوقها إلا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها) . (٣)

د - حديث أبي هريرة مرفوعا : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار الا تحلة القسم) . (٤)

وفي رواية : (مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه ، إلا حط الله سيآته ، كما تحط الشجرة ورقها) . (٥)

هـ - حديث جابر مرفوعا : (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء ثوابهم لو أن جلودهم كانت تقرض في الدنيا بالمقاريض (٦)

وإضافة الى ماذكر ابن الوزير مارواه الشيخان في صحيحيهما مرفوعا : (...وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) . (٧)

---

(١) البخارى جـ ٧ كتاب المرضى باب ماجاء في كفارة المرض ص ٢ .

(٢) البخارى جـ ٧ كتاب الرقاق باب العمل الذى يبتغى به وجه الله تعالى ص ١٧٢ .

(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى جـ ٧ كتاب المرضى باب أشد الناس بلاء الأنبياء . . . ص ٣ مسند أحمد جـ ١ ص ٤٤١ ، موطأ مالك جـ٢ ص ٢٢٩

(٤) متفق عليه عن أبي هريرة البخارى جـ ٧ كتاب الايمان والنذور باب قول الله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) ص ٢٢٤ مسلم جـ ٤ كتاب البر باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ص ٢٠٢٨ موطأ مالك مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطى جـ ١ كتاب الجنائز ص ١٨٣ ط الحلبى سنة ١٣٣٧ هـ .

(٥) متفق عليه من حديث طويل واللفظ لمسلم جـ ٤ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ص ١٩٩٠ .

(٦) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى جـ ٧ كتاب الزهد ص ٨٣ وقال الترمذى هذا حديث غريب وأنظر الترغيب للمنذرى جـ ٤ ص ٢٨٢ .

(٧) متفق عليه من حديث طويل عن أبي هريرة البخارى جـ ٤ كتاب الجهاد باب إن الله ليؤيد هذا الدين ص ٤٤ ، ومسلم جـ ١ كتاب الايمان باب غلظ قتل الانسان نفسه ص ١٠٦ مسند أحمد جـ ٢ ص ٣٠٩ سنن الدارمى جـ ٢ ص ١٥٨ .

ومن ذلك شهود صفوان بن أمية حنينا ، مع النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو مشرك ، وتعقب بأن هذا معارض بحديث : (لا نستعين بمشرك) (١) ، وقيل لا معارضة ، لأنه إما خاص بذلك الوقت ، وإما أن يكون المراد به الفاجر غير المشرك) (٢)

وقد أورد ابن الوزير فى (العواصم) و (الايثار) نيفا وعشرين حديثا من هذا النمط وفى فضل الفقر وأجره خمسة وعشرين حديثا . (٣)

ابن الوزير يقوى ماذهب اليه بكلام العلماء :

سبق أن ذكرت بعضا من الأدلة السمعية التى ذكرها ابن الوزير ، ومع هذا لا يكتفى بذلك ، بل ذهب - كما هى عادته - ينقل تأييد العلماء لإثبات الحكمة فى أقوال الله وأفعاله ما يضيق المقام عن ذكر البعض من تلك النقول ، عن أئمة التفسير والأثر والكلام بلغ به الأمر لكثرة النقول إلى أن قال : (فلو ادعى مدع اجماع المتأخرين ، مع اجماع المتقدمين ، من المسلمين على ذلك لما بعد عن الصواب) (٤)

وقد حكى شيخ الاسلام اتفاق السلف والفقهاء على ما قرره ابن الوزير ، وأن القرآن مملوء بإثبات الحكمة فى الخلق والأمر وأنه يخلق الأشياء بالأسباب (٥) وهذا بغض النظر - كما قرره ابن الوزير - عن اتفاق الفقهاء والأصوليين ، على أن أفعال الله تعالى فى الشرائع معللة . وكأنى بكلام ابن الوزير يشبه كلام شيخ الاسلام فى تكثير القائلين باثبات الحكمة لله تعالى ، إلا أن ابن الوزير فصل (٦) ،

---

(١) مسلم جـ ٣ كتاب الجهاد باب كراهة الاستعانة فى الغزو بكافر ص ١٤٥٠ .

(٢) أنظر التفاصيل فى فتح البارى لابن حجر جـ ٦ ص ١٧٩ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٣ وهم ٣٠ وايثار الحق على الخلق له ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٤) ايثار الحق له ص ٢٠٤ .

(٥) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٦) أنظر التفاصيل فى العواصم والقواصم جـ ٣ وهم ٣٠ - إيثار الحق ص ١٩٣ - ٢١٦ .

وشيخ الاسلام ابن تيمية أجمل بقوله : (... انه ـ الله ـ فعل المفعولات، وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة ، فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين ، وقول طوائف من أصحاب أبى حنيفة ، والشافعى ، ومالك، وأحمد وغيرهم ، وقول أكثر أهل الحديث ، والتصوف ، والتفسير ، وقول قدماء الفلاسفة ، وكثير من متأخريهم) . (١)

وقد جزم ابن قيم الجوزية فيما نقله عنه ابن الوزير بأن تعطيل أفعال الله ـ تعالى ـ عن الحكم والمصالح من المحال اذ يقول : (محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة ، والقرآن والسنة ، وأدلة العقول والفطر ، والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك (٢)) . كما جزم باثباتها الحافظ ابن حجر (٣) فى أول كلامه على كتاب الفتن بأن صدورها من الله تعالى على وجه الحكمة .

والقول بنفى الحكمة هو قول من يقول : خلق المخلوقات ، وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا باعث بل لمحض المشيئة والإرادة هو كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (قول كثير ممن يثبت القدر ، وينتسب الى السنة من أهل الكلام ، والفقه ، وغيرهم . وقد قال بهذا طوائف ، من أصحاب مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وغيرهم ، وهو قول الأشعرى وقول كثير من نفاة القياس فى الفقه ، الظاهرية كابن حزم وأمثاله) . (٤)

ولكنى لم أقف على كلام للأشعرى يدل على نفى الحكمة ـ وشيخ الاسلام نفسه ، قد نقل عن الأشعرى ، مايؤيد مذهب أهل السنة ، وأهل الحديث فى (الفتوى الحموية الكبرى) (٥) وغيرها ، من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) حادى الأرواح لابن القيم ص ٣٠٦ وهو موجود فى ايثار الحق لابن الوزير بلفظه ص ٣٠٢ ماعدا كلمة : المشهودة ـ وكلمة : أدلة . فساقطتان .

(٣) فتح البارى جـ ١٣ ص ٣ .

(٤) مجموع الفتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٨٣ .

(٥) الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموعة نفائس لابن تيمية ص ١٤٦ - ١٤٩ .

(مقالات الاسلاميين) و (الابانة) للأشعرى ، ومذهبه قد سبق بيانه قريبا فيحمل كلام شيخ الاسلام ، وغيره مما ينسب الى الأشعرى ، على الطور الثانى من أطواره كما مر بيانه .

ثم إن إثبات الحكمة لله - تعالى - فى خلقه وما أمر به هو معتقد جمهور المسلمين . قرر هذا شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (الجمهور من المسلمين ، وغيرهم كأئمة المذاهب الأربعة ، وغيرهم من السلف ، والعلماء الذين يثبتون حكمته أى حكمة الله - فلا ينفونها - كما نفاها الأشعرية ، ونحوهم ، الذين لم يثبتوا إلا إرادة ، بلا حكمة ، ومشيئة بلا رحمة ولا محبة ولا رضى.) (١)

وخلفه من بعده تلميذه ابن القيم بقوله : (وماقدر الله حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ، ورضاه ، وغضبه ، ومقته ، ولا من نفى حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله.) (٢)

هذا ومما ينبغى للمسلم أن يعتقد ، أن لله - تعالى - فى خلقه وأمره ونهيه حكما عظيمة ، ولو من حيث الجملة فكلما قوى إيمانه بذلك كلما فتح الله عليه من أبواب رحمته وحكمه مايبهر لبه فيما خلقه الله تعالى وفيما لم يخلقه (٣) والله الهادى .

مناقشة ابن الوزير حجج نفاة الحكمة :

خلاصة كلامهم هو عدم العلة والغرض ، وانما ذلك محض المشيئة ، وصرف الارادة لا يسأل (٤) عما يفعل .

واحتجوا بحجج منها :

الحجة الأولى : قوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٥)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٩٧ - ٩٨ .
(٢) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم ص ١٦٥- المطبعة السلفية ط الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .
(٣) مجموع الفتاوى له ص ٩٧ - ٩٨ .
(٤) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٨٣ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٣ .

أجاب ابن الوزير ، بأن الاستدلال بهذه الآية غير صحيح من وجهين :
الأول : أن هذه الآية فى اثبات عزة الله تعالى ، وهى كلمة اجماع بين المسلمين ، والله أعز من أن يسأل ، وذلك لا يقتضى أنه غير حكيم ، فقد تمدح بالحكمة ، كما تمدح بالعزة ، بل تمدح بسوءاله وعده الصادق للمتقين حيث قال : (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ، لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا) (١) فوجب الايمان بهما معا ، فهو العزيز الحكيم ، كما جمعهما ـ عز وجل ـ كثيرا فى التمدح بهما معا فى غير ما موضع ، وفى جمعهما اشارة الى أنهما لا يفترقان ، ولذلك بوب البخارى لهما مجموعين فى كتاب التوحيد من صحيحه . (٢)

الثانى : أن هذه الآية فى بطلان الشركاء الذين عبدهم المشركون ، والمراد أنهم يسألون يوم القيامة ، عن ذنوبهم ويعذبون عليها ، كقوله تعالى : (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) (٣) ومن كان كذلك فهو مربوب ، وانما الرب الحق هو الذى يسأل عباده يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، لا من يخاف العذاب ، ويحاسب أشد الحساب وسياق الآية من أولها واضح ، فالاحتجاج بها على نفى الحكمة غفلة عظيمة ، وانما هى لنفى شريك مغالب . (٤)

ولما رجعت الى بعض كتب التفسير (٥) لقوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وجدت كلام المفسرين يدور حول عزة الله تعالى وسلطانه .

---

(١) سورة الفرقان : آية : ١٥ - ١٦ .
(٢) جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله وهو العزيز الحكيم ص ١٦٦ .
(٣) سورة الصافات آية : ١٥٨ .
(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣١ والعواصم والقواصم له جـ ٣ وهم ٣٠ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
(٥) منها تفسير ابن جرير الطبرى جـ ١٧ ص ١٤ ط الحلبى الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ ، تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ ص ٤٣١٩ ط دار الشعب ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى جـ ٣ ص ٤٠٢ الحلبى ط ثانية سنة ١٣٨٣ هـ .

وكلامهم راجع الى قول ابن كثير السلفي الشهير سنة ٧٧٤ هـ :
(هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته ، وجلاله ، وكبريائه ، وعلوه ، وحكمته ، وعدله ، ولطفه) . (١)
فأنت ترى أنه لا وجه فى استدلال النفاة للحكمة بهذه الآية ، فقد صرح ابن كثير باثبات الحكمة وغيرها من صفات المدح والكمال ، وهذا يؤيد ماذهب اليه ابن الوزير وزيادة ، من أن الآية الكريمة فى اثبات عزة الله تعالى ، لا فى نفى الحكمة والله أعلم .

وقد أمر الله ـ عز وجل ـ رسوله ـ عليه الصلاة والسلام أن يسأله الزيادة من العلم ، ولم يلم موسى على طلب ذلك من الخضر عليهما السلام ، والله يحب أن يسأل ، ومن لم يسأل الله يغضب عليه ، فمن سأل الله من أنبيائه عن خفى حكمته ، لم يدخل فى الآية ، كما سأله آدم عليه السلام ـ (هلا سويت بين ذريتى ؟ فقال فعلت ذلك لتشكر نعمتى) هكذا ذكره ابن الوزير فى (الايثار)(ن) .

وقد أورده ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى : (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) (٢) عن أبى هريرة مرفوعا وفيه :
(... ثم عرضهم على آدم ، فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، واذا فيهم الأجذم والأبرص ، والأعمى ، وأنواع الأسقام فقال آدم : يارب لم فعلت هذا بذريتى ؟ قال : كى تشكر نعمتى) . (٣)
وفى لفظ : (فقال آدم يارب ألا سويت بين ولدى ، قال يا آدم انى أريد أن أشكر) (٤) وإنما يلام من سأل اعتراضا وشكا أو استبعادا والله أعلم .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٣٠ .
(٢) سورة الأعراف : آية : ١٧٢ .
(٣) أنظر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ من حديث أبى هريرة مرفوعا وأنظر الدر المنثور جـ ٣ ص ١٤٢ وسكت عنه ابن كثير وأنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣١ - ٢٣٢ والعواصم والقواصم جـ ٣ وهم ٣٠ ص ٥٢٥ .
(٤) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ٨٨ وأسنده الى مصنف عبد الرزاق وقد بحثت مظانه فلم أجده .

(ن) ص ٢٢١-٢٢٢

الحجة الثانية :

حديث أبي هريرة مرفوعا : (اختصمت الجنة والنار الى ربهما فقالت الجنة يارب مالها لايدخلها الا ضعفاء الناس ، وسقطهم ، وقالت النار — يعني أوثرت بالمتكبرين (١) ، فقال الله تعالى للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار : أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملوءها ، فأما الجنة ، فان الله لايظلم من خلقه أحدا وانه ينشىء للنار من يشاء فيلقون فيها ، فتقول هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع فيها قدمه (٢) فتمتلىء ، ويرد بعضها الى بعض ، وتقول قط قط قط) . (٣)

وجه استدلالهم من الحديث اذا كان تعالى ينشىء خلقا للنار بلا ذنب ، ولا عمل ، فما وجه الحكمة من خلقهم . وفي ذلك دلالة — عند هؤلاء — على انتفاء الحكمة .

وقد سبق الكلام على هذا الحديث مطولا في (مميزات ابن الوزير الفكرية) وأنه مقلوب وغير ذلك من المناقشة فارجع اليه .

الحجة الثالثة :

قالوا : الأسباب والدواعي خلق الله ، فلو كان الله لايفعل الا لها ، لم يخلقها الا لمثلها داع وسبب ، وأدى هذا الى التسلسل ، أوالى تعجيز الله تعالى من خلق شيء بغير داع .

وقد أجاب ابن الوزير بأن هذا من أفحش الوهم ، والغلط ، لأن المرجع بالاسباب والدواعي والحكم الى الله تعالى بذلك ، وما كان من المخلوقات خيرا محضا ، فانه يراد خلقه لنفسه ، لا لمعنى آخر ، ولا لسبب ثان ، وما كان شرا ، فانه يراد لخير فيه ، او خير يستلزمه ، أو يتعقبه ، لما اجتمعت عليه الفطر ، وأقرته الشرائع من قبح ارادة الشر لكونه شرا .

---

(١) ابن الوزير لم يثبت هذه الكلمة في الحديث قال ابن بطال سقط قول النار هنا في جميع النسخ وهو محفوظ في الحديث ، فتح الباري جـ ١٣ ص ٤٣٦ .

(٢) عند ابن الوزير في الايثار حتى يضع قدمه فيها ص ٢٣٤ والكل ثابت في الصحيحين .

(٣) البخاري جـ ٢ كتاب التوحيد باب ما جاء في قول الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ص ١٨٦ من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة .

وأما تعجيز الباري ــ جل وعلا ــ فأعظم فحشا في الوهم ، وأين نفي القدرة ، من نفي الفعل ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) (١) في مواضع كثيرة من القرآن ولم يقل وهو لكل شيء فاعل . ونحن لم نقل ان الله لايقدر على العبث ، ولا اللعب ، ولا الظلم ، وانما قلنا انه لايفعلها ومدحناه بذلك كما مدح به نفسه في كتابه الكريم ، ولو لم يكن قادرا على ذلك لم يكن ممدوحا بتركه ، كما ان الجمادات غير ممدوحة بترك ذلك ، وهي لا تفعله ، وانما لم تمدح بتركه مع عدم فعلها له لعجزها عن فعله ، وتركه ، وهذا شيء تفهمه العرب في جاهليتها ، والعوام في أسواقها . (٢)

الحجة الرابعة : ايلام الأطفال ، والبهائم ، والعذاب الأخروي الدائم :

وهذا ــ في نظر ابن الوزير ــ هو معظم ما جرأهم على القول بأن الله ــ تعالى ــ يريد الشر المحض ، لكونه شرا ، لا لحكمة ، ولا غاية ، وهذه شبهة الملاحدة التي يصولون بها على الضعفاء والسفهاء .

وهذا ناتج عن توهم نفاة الحكمة أنه ورد في السمع ما يتوهم منه الجهال ، من عدم الحكمة في الشرور .

وقد أجاب ابن الوزير بجواب متشعب الأطراف ، أجوبة في صورة نصائح حاصلها مايلي :

١ ــ ان الطبع غالب ــ في هذه المسألة ــ بقوته ، على من لم يعارضه بتذكر كمال الربوبية ، ونقص العبودية .

٢ ــ ان الاستقباح الذي يوجد في عقول البشر صحيح بالنظر الى علومهم القاصرة ، وعقولهم الحائرة ، ولكنهم غفلوا عن كون ما أنكروه صادر عن ثبتت حكمته ، واستقلاله بعلم الغيب ، والحكم .

وقد أخبرنا في كتابه الكريم أن للمتشابه تأويلا لا يعلمه إلا هو ، ولوكان ما تشابه علينا حسنا في عقولنا لم يحتج الى تأويل ولو لم تكن أفعاله موقوفة على الحكمة لم يرد بذلك التنزيل .

---

(١) سورة الملك آية : ١ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٤٠ .

وقد ورد ما يدل على أن الله — تعالى — فعل ذلك للابتلاء ، كما قال تعالى فى تحويل القبلة : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ...) (١) .

وقد استنكر السفهاء من الناس ذلك فيما أخبر الله به — عز وجل — عنهم بقوله : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) (٢)

وفى نحو هذا يقول الله — عز وجل — : (بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (٣) فبيّن — سبحانه — أن سبب كفرهم ، وتكذيبهم بما لم يعلم تأويله انما هو ناشئ عن جهلهم ، وعدم احاطتهم بعلمه ، وأن هذا التكذيب عادة الكافرين ، وعلى هذا فالايمان بالمتشابه أفضل الايمان ، بل محك أهل اليقين والاحسان . (٤)

وسياق هذه الآية فى تكذيب المشركين للقرآن الكريم ، وهذا صنيع من رسخ التقليد فى نفسه ، ولم يلتفت الى ماجاء من الحق ، بل يرده لمجرد عدم موافقته هواه ، ولا جاء على طبق دعواه . قال الشوكانى : (ان من كذب بالحجة النيرة والبرهان الواضح قبل أن يحيط بعلمه فهو لم يتمسك بشئ فى هذا التكذيب الا مجرد كونه جاهلا لما كذب به غير عالم به ..) (٥) وقال القرطبى : قيل للحسين بن الفضل : هل تجد فى القرآن (من جهل شيئا عاداه ؟ قال نعم فى موضعين : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وقوله : (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) . (٦)

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٤٣ .
(٢) سورة " : آية : ١٤٢ .
(٣) سورة يونس : آية : ٣٩ .
(٤) أنظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٣ وهم ٣٠ ص ٥٢١ وما بعدها ايثار الحق على الخلق له ص ٢٠٩ — ٢١١ .
(٥) فتح القدير للشوكانى جـ ٢ ص ٤٤٦ وفيه كلام جيد .
(٦) سورة الاحقاف : آية : ١١ وانظر تفسير القرطبى جـ ٤ ص ٣١٨٤ .

٣ — ان على الانسان أن يتذكر ما يعلمه من نفسه من قلة العلم ، وتردده ، وحيرته فى أشياء سهلة ، ورجوعه عما كان عليه مرارا ، ووجوده الشيء بعد الطلب الشديد الطويل ، واليأس من وجوده .

وهذا مسلم ، فى حجيته على المعجب بنفسه ، وعلمه ، كما هو معلوم من التجربة المستمرة .

وفى قصة موسى والخضر — عليهما السلام — من التفاوت العظيم بين الخلق ، فى الذكاء ، ومعرفة الدقائق ، وخفيات الحكم ، ومحكمات الآراء ، وحدس عواقب الامور ، وغير ذلك ، فكيف التفاوت بين الخلق وخالقهم سبحانه وتعالى .

٤ — استمرار الاختلاف بين أهل الفطن ، والعلوم من المسلمين ، فيما بينهم ، وكذلك الفلاسفة ، وسائر الخلق ، حتى الاختلاف اليسير بين الملائكة ، وبعض الأنبياء ، (ماكان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون) (١) ، وما جرى بين داود وسليمان عليهما السلام فى حكم الغنم اذ نفشت فى الزرع (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) (٢) ، وما جرى بين موسى وهارون — عليهما السلام — وقول هارون لموسى : (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) (٣) ، واختصام ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب فى حكم الذى قتل مائة نفس ثم تاب ، وبعث الله — تعالى — اليهم ملكا حكما ، فحكم لملائكة الرحمة . (٤)

ومجموع هذا دليل قاطع على أن العادة قد استمرت على الاختلاف فى الأحكام ، عند التفاضل فى العلم والحكمة وهذا يوجب استقباح الجاهل لبعض

---

(١) سورة ص : آية : ٦٩ واختلاف الملأ الأعلى فى شأن آدم وامتناع ابليس من السجود له ، وقيل فى نقل الأقدام الى المساجد والانتظار للصلاة وقيل غير ذلك أنظر تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٧١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية : ٧٩ .

(٣) سورة طه : آية : ٩٤ .

(٤) هذا معنى حديث متفق عليه البخارى جـ ٤ كتاب الانبياء ص ١٤٩ ، مسلم جـ ٤ كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ص ٢١١٨ من حديث أبى سعيد الخدرى .

أفعال العالم والأعلم ، على قدر ما بينهما من التفاوت .

ولما كان التفاوت بين علم المخلوقين ، وعلم خالقهم — جل وعلا — لا يقدر بمقدار ، ولا يتوهم بقياس ، وجب أن يكون بينهم فى التحسين والتقبيح لتفاصيل الأحكام أعظم الاختلاف وجوبا عاديا يستحيل خلافه ، ولو قدر موافقتهم لجميع أحكام الله على التفصيل لكان ذلك محارة للعقول بل محالا ممتنعا فى معارف الفطناء ، ولكان ذلك الاتفاق أعظم شبهة قادحة فى زيادة علم الله عليهم ، فلما جاء السمع بالمتشابه عليهم على القاعدة المألوفة فى أن الأعلم اذا تميز بشئ قليل عن أجناسه ، لم يكن بد من أن يأتى بما لا يعرفون ، ويفعل مالا يألفون ، ويستحسن بعض ما يستقبحون .(١)

الحجة الخامسة : كما فى نظر ابن الوزير شبهة الأطفال الثلاثة :

هذه المسألة قد كثر الكلام فى كتب المتكلمين عنها ، حتى اشتهرت بمسألة الصلاح والأصلح عند بعضهم ، وعند بعضهم بالأطفال الثلاثة ، وعند البعض الآخر بالأصلح والتعليل .

أما ابن الوزير فهى عنده ، مسألة خلق الأشقياء بعينها ، لكن غيروا العبارة فيها .

وهى أنهم فرضوا أن أحد هؤلاء مات صغيرا ، فدخل الجنة ، والثانى كبر ، وعبد الله تعالى ، ودخل الجنة ، والثالث كبر وكفر ، ودخل النار ، وحينما رأى الصغير منزلة أخيه المؤمن الكبير فوقه فى الجنة ، قال : يارب هلّا بلغتنى منزلة هذا ، فيقول الله — تعالى — له : انى علمت أنك لو كبرت كفرت ، ودخلت النار ، فيقول الذى فى النار فهلّا أمتنى صغيرا ؟

وهذه هى المناظرة التى جرت بين الأشعرى وشيخه الجبائى المعتزلى كان المنقطع فيها الجبائى ، وهى التى وعدت بذكرها فى أوائل هذا الفصل ، وقد ذكرها أبو حامد الغزالى فى الاحياء ، والسبكى فى الطبقات ، وأبو زهرة فى تاريخ المذاهب الاسلامية وغيرهم وصورتها هكذا :

---

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢١١ — ٢١٣ وأنظر العواصم والقواصم له جـ ٣ وهم ٣٠ .

قال الأشعرى : ماقولك فى ثلاثة ، مؤمن وكافر ، وصبى ؟

قال الجبائى : المؤمن من أهل الدرجات ، والكافر من أهل الدركات ، والصبى من أهل النجاة .

قال الأشعرى : فان أراد الصبى ان يرقى الى أهل الدرجات ـ أى بعد موته صبيا ـ ، هل يمكن ؟

قال الجبائى : لا ، بل يقال له ان المؤمن انما نال هذه الدرجة بالطاعة ، وليس لك مثلها .

قال الأشعرى : فان قال التقصير ليس منى ، فلو أحييتنى كنت عملت الطاعات كالمؤمن ؟

قال الجبائى : يقول الله تعالى ـ كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ، ولعوقبت ، فراعيت مصلحتك ، وأمتك قبل سن التكليف .

قال الأشعرى : فلو قال الكافر : علمت حالى ، كما علمت حاله ، فهلا راعيت مصلحتى مثله ؟

فانقطع الجبائى . (١)

نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات :

لما تتأمل نقد ابن الوزير لهذه الافتراضات ، أو الوساوس ـ كما يسميها ـ تجد الانتقاد للجبائى المعتزلى ، أشد منه لنفاة الحكمة من الأشعرية ، بل يلقى باللائمة على الجبائى ، من أجل أنه قرر جوابا عن الله ـ عز وجل ـ على كل من هؤلاء الثلاثة والجواب ـ كما يقول ابن الوزير : (ان هذا التقدير خطأ فاحش ، فان العلة فى اماتة الصغير ، ليس هى علم الله ـ تعالى ـ بأنه لو كبر كفر ، ولو كانت هذه هى العلة ، لأمات جميع الكفرة والاشقياء كلهم صغارا ، بل لما خلقهم حتى يميتهم ، فان ترك خلقهم أولى من استدراك الفساد بموتهم بعد خلقهم ، ولو كانت العلة هى هذه ، لصاحت الوحوش ، والطيور ، وجميع أنواع الدواب ، قائلة :يارب

---

(١) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٢٣٢ واحياء علوم الدين للغزالى ج ١ ص١١٢ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ ص٣٥٦ وتاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ج ١ ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

هلا جعلتنا من بنى آدم ، ولصاح المؤمنون كلهم ، وقالوا ربنا هلا عصمتنا ، وبلغتنا مراتب الأنبياء بل جعلتنا كلنا أنبياء ... ولقالت الأنبياء : هلا ساويت بيننا ... ولقالت الملائكة مثل ذلك ... ولو انفتح هذا الباب لاعترض تفضيل يوم الجمعة ، والعيد ، وليلة القدر ، ولم تكن هذه الأوقات المخصوصة أولى بذلك من غيرها ، ... ولاعترض تخصيص ايجاد العالم ، وكل فرد ممن فيه بوقت دون وقت ، وتخصيص جميع مافيه بقدر دون قدر فى جميع أفعال الله — تعالى — ومقادير الأعمال ، والأجساد ، والأرزاق والألوان ، والقوى ، ولما انتهى ذلك الى حد ولا وقف على مقدار إلا والاعتراض فيه قائم ، والسؤال عليه وارد ، ولقالت القباح : هلا جعلتنا حساناه والنساء هلا جعلتنا رجالا ، وأمثال ذلك مما لايحصى[1]) .

وهذا — فى نظر ابن الوزير — مما يؤدى الى استحالة وجود جميع المخلوقات ، لعدم رجحان زمن ، ومكان وقدر على زمن ومكان وقدر ، وحينئذ ، يلحق القادر بالعاجز ، وانتهينا الى مسألة لا تنتهى ، لتعارض الدواعى المستدعية للوقف ، وترك جميع الأفعال ، وهذا خروج عن المعقول .

وعلل ذلك بأن العاطش الجيعان ، لو حضر عنده كيزان ورغفان كثيرة ، وهو لا يأكل ، متعذرا بأن الدواعى الى تخصيص كل كوز ، وكل رغيف تعارضت عليه حتى لم يتمكن من الأكل والشرب ، ودفع الضرر العظيم ، لعد من المجانين .

الدواء لهذه الأمراض كما وصفه ابن الوزير :

ماورد فى هذه المناظرة ، أو الافتراضات ، بل الوساوس — على حد تعبير ابن الوزير — مرض من أمراض العقيدة ودواؤه الرجوع الى دراسة الأدلة السمعية ، ولو من بعض وجوه حكمة الله — عز وجل — فى خلق الأشقياء والايمان بأن الله — جل وعلا — يختص برحمته من يشاء ، فقد سمى نفسه بأنه العليم الحكيم ، الخبير البصير ، وأما من قال : ان الله تعالى ما خلق الأشقياء الا لعمل القبائح فى الدنيا ، وللعذاب فى الآخرة ، أو كانت عبارته توهم ذلك ، فما أصاب الحق ،

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

ولا أحسن الترجمة عن الكتاب والسنة ٠

ومن أراد اصابة الحق فى ذلك تتبع متفرقات الحكمة المنصوصة بألفاظها ، وأداها بهـا ، والمعقولة بمعانيها ، وجمع ما يسر اللـه له منها ، اذ لا يمكن البشر الأحاطة بجميعها (١) .

ما الحكمة فى خلق الأشقياء ؟

جمع ابن الوزير من الحكم فى خلق الأشقياء سبعة أمور تفصيلية وأمر جملى يعمها ٠ وهو ما تقرر بالبراهين السمعية والعقلية ، من حكمة اللـه ـ تعالى ـ ، كما قال للملائكة : (انى أعلم مالا تعلمون) ٠

وملخص الأمور السبعة التفصيلية حسب ترتيب ابن الوزير كالآتى :

١ ـ خلق اللـه الأشقياء لعبادته ، بالنظر الى أوامره ، اجماعا ونصـا ، وبالنظر الى محبته للخير ، من حيث هو خير ، لقوله تعالى : (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٠ (٢)

ولأن اللـه لا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، وهذا هو مذهب جمهور أهل السنة ٠ (٣)

٢ ـ للابتلاء ، بالنظر الى عدله وحجته ، كما يظهر من قوله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (:)

٣ ـ لما يوجب عليهم شكره من احسانه اليهم بعظيم نعمه ، وسوابغ مواهبه ٠ بالنظر الى تكليفهم شكر نعمته فان فرار الحيوانات من الموت وحرصها على الحياة من أعظم الأدلة ، على عظم النعمة بهـا ، وعلى وجـوب الشكر عليهـا ٠

٤ ـ لما شاء مطلقا ، بالنظر الى عزة ملكه ، وعظيم سلطانه ، وقاهر قدرته ٠

٥ ـ لما لم يحط بجميعه الا هو سبحانه وتعالى بالنظر الى واسع علمه ورحمته ٠

---

(١) ايثار الحق على الخلق ص ٢٣٣ ـ ٢٨٣ والعواصم والقواصم جـ٣ وهـ ٣٠

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ وأنظر العواصم والقواصم له جـ ٣ وهـ ٣٠ فى مواضع متفرقة منه والآية فى سورة الذاريات: ٥٦

(٣) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص ٤٧٥ ٠

(:) سورة الملك آية : ٢ ٠

٦ ـ للعذاب المستحق بكفر نعمته ، وجحد حجته ، بالنظر الى علمه ، واختياره ، وقدرته ، وقضائه ، وكتابته .

٧ ـ للحكمة المرجحة فيهم بعقابه ، على عفوه ، وعدله على فضله ، وهذا بالنظر الى خفي حكمته منتهى متعلق مشيئته .

وقد ذكر ابن الوزير كلاما ـ بعد هذه الأمور السبعة يستنبط منه أمرا آخر لوجه الحكمة في خلق الاشقياء وهو ماورد في السنة النبوية الصحيحة من أن الله ـ عز وجل ـ يفدى يوم القيامة كل مسلم من النار بيهودى أو نصرانى لفظه : (اذا كان يوم القيامة دفع الله ـ عز وجل ـ الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول : هذا فكاكك من النار) . (١)

وفي ذلك من العدل ، ان اليهود والنصارى عادوا الأنبياء والمسلمين في الدنيا ، وظلموهم ، وكذبوا الأنبياء عليهم السلام وفعلوا كل ما أمكنهم ، وأن القصاص ثابت بين المسلمين ، بل ورد القصاص بين الشاة الجماء والقرناء ، فكيف لا ينتصف للمسلمين من الكافرين ، وقد قال تعالى : (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٢) وأمثال ذلك كثير من الأدلة المخصصة والمفسرة لما أجمل من قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (٣) وقوله تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى) (٤) ولأن هذا عموم مخصوص بالأجر على الآلام ، والاقتصاص من الظالم . (٥)

---

(١) مسلم جـ ٤ كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ص ٢١١٩ عن أبي موسى مرفوعا وفي شرح مسلم باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين وفداء كل مسلم بكافر من النار قال النووى : (ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة لكل أحد منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فالمؤمن اذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار ، لاستحقاقه ذلك بكفره) شرح مسلم جـ ١٧ ص ٨٥ .

(٢) سورة غافر آية : ٥١ .

(٣) سورة الانعام : آية ١٦٤ ، وسورة فاطر آية : ١٨ وسورة النجم آية : ٣٨ وسور أخر من القرآن الكريم .

(٤) سورة النجم آية : ٣٩ .

(٥) أنظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

هذا وقد تساءل ابن الوزير عما حمل غلاة الأشعرية على نفي الحكمة فأجاب بأنهم قصدوا افحام الفلاسفة فى اعتراضهم الشرائع ، ولكنهم فى ذلك كمن يداوى من المرض بالموت ، فان الفلاسفة لم تكن تطمع فى تسليم المسلمين لنفي حكمة ربهم — عز وجل — وانما قصدوا فى الاعتراض على الشرائع التشكيك فى حكمة اللـه التى اتفقت عليها الشرائع وأهلها ، فاما القطع لنفى الحكمة والتصنيف فى ذلك والدعاء اليه والرد على من اعتقد غيره ونسبته الى الجهل بصفات اللـه تعالى فأمر لم يكن يطمع فيه الملحدون فيا عجبا كيف اصبح يدعو اليه الموحدون . (١)

فان أبى نفاة الحكمة الرجوع الى الصواب ، بالاعتراف بحكمة اللـه — تعالى — والا فيقال لهم ما أشار إليه شيخ الاسلام ابن تيمية : لم أظهر اللـه الآيات الخارقة للعادة على أيدى الأنبياء ؟ ؟ ولم أنجاهم ونصرهم وأهلك أعداءهم . (٢)

ويقال للمعتزلة الزاعمين بأنهم يعلمون تفاصيل حكمة اللـه تعالى فى كل شىء نقول لهم : خبتم وخسرتم ، أين أنتم من علم الكليم الذى خفى عليه ما يعلمه الخضر ؟ ! وأين أنتم من علم الملائكة الكرام ، الذين خفيت عليهم حكمة اللـه — عز وجل — فى جعل آدم خليفة فى الأرض ؟ !

لكن غلاة المعتزلة قد زعموا أشد من هذا ، وهو أن اللـه — سبحانه — لايعلم من نفسه الا مايعلمونه (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) (٣) وأنهم لايعلمون حقيقة أرواحهم التى بين جنبيهم ثم يقال أيضا لنفاة الحكمة : اما أن يحسنوا نفى الحكمة بغير حجة أولا يحسنوه إلا بحجة ؟ إن حسنوه بغير حجة أكذبهم قوله تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (٤)، وإن لم يحسنوه الا بحجة اعترفوا بالتحسين العقلى . وهم يعترفون أن العقل يعرف الحق من الباطل ، فاذا تقرر هذا ، فالمعلوم فى الفطر ترجيح الحق على الباطل وقد اتفق الجميع فى الاقوال على ترجيح الصدق على الكذب بخصوصه ، والصواب ترجيح الحق على الباطل بعمومه فى الافعال ، والاقوال ، والله يحب الانصاف ، وهو أعلم بالصواب . (٥)

---

(١) العواصم والقواصم جـ ٣ وهم ٣٠ ص ٥٢١ .
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧ مطابع المجد التجارية .
(٣) سورة الكهف آية : ٥ .
(٤) سورة النمل : آية : ٦٤ وانظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
(٥) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٢٠٨ — ٢٠٩

الفصـــل السادس

=========

الباطنية فى اليمـــــــن
وموقف ابن الوزير منهـــــــــا

=================

أ ـ تمهيـــــد .

ب ـ ابتداء أمر الباطنية فى اليمن وتعاليمها السيئة .

جـ ـ موقف ابن الوزير منها .

=======================

تمهيـــد :

ان مذهب الباطنية قد امتلأت به كتب التاريخ ، من أحداث دامية ، وفتن طامية (١) فى شتى الأصقاع ، والسعى فى زعزعة عقيدة الاسلام ، ونور الايمان ، فى كثير من القلوب المريضة المنخدعة بتلبيساتهم الشيطانية على مراحل تدريجية منذ منتصف القرن الثالث الهجرى .

فترى نار فتنتهم تخبو مرّة ، وتذكو مرات على توالى القرون ، مع تغافل الحكام فى بلاد الاسلام عن الحركات الالحادية ، وقلة اهتمامهم بالروحيات ، الى أن يستفحل الشر ، ويصبح قوى الجانب بحيث لا يمكن اجتثاث جذوره بسهولة ، مع ان الواجب هو السهر الدائم على مداخل الفساد فى كيان الاسلام ، والقيام بهذا الواجب دائما بكل اهتمام ، للاحتفاظ بالغيرة الاسلامية المؤدية الى استرخاص المهج فى سبيل أعلاء كلمة الله ، والذود عن حياض التعاليم الاسلامية التى فيها السعادة كلها ، والا شمل الذل والمهانة ، وضاع الحرث والنسل والكرامة .

والباطنية وان تعددت أسماؤها الى اسماعيلية - نسبة الى اسماعيل ابن جعفر الصادق - والى قرامطة - نسبة الى حمدان قرمط - وقيل غير ذلك - فالمبادئ واحدة .

والباطنية بصفة عامة فرقة ضالة بل ملحدة جحدوا الشرائع وعطلوا النصوص بالتأويلات المزخرفة الكاذبة ، بل جحدوا الرب - جل جلاله - وقالوا : لا يقال : موجود ، ولا معدوم ، اشارة الى النفى خوفا من التصريح ، وقالوا : ان للقرآن ظاهرا وباطنا ، الظاهر للسذج ، والباطن لا يطلع عليه الا الامام المعصوم ودعاته ، لأن الله أطلعه على أسرار الشرائع ، ولابد - عندهم - من امام معصوم يرجع اليه ، والغرض من هذا تعطيل الشريعة .

---

(١) مأخوذ من طما بمعنى ارتفع تقول : طما البحر : ارتفع بأمواجه ، أو من طم الشئ اذا عظم ، وطم الماء اذا كثر وهو طام أ هـ نهايه ابن الاثير جـ ٣ ص ١٣٩ .

ومن منهجهم مخاطبة كل فريق من الناس بما يوافق رأيهم ، وهم يتسترون بالتشيع لأهل البيت ، وبالانتساب اليهم ، ليموهوا على الناس بذلك ، وسميت دولتهم بالفاطمية فى مصر والمغرب ، وحكامهم بالفاطميين ، وكذلك سميت دولتهم فى اليمن فى عهد على بن الفضل الآتى ذكره ، ثم بالصليحيين من بعده .

وقد فضحهم كثير من العلماء ، وبينوا عقائدهم الباطلة ، وذلك عن طريق من دخل معهم ، ثم تبين له ماهم عليه من الكفر والالحاد ، ومن أشهر العلماء الذين فضحوا الباطنية أبو حامد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ فى (فضائح الباطنية) وابن الجوزى سنة ٥٩٧ فى كتابه (القرامطة) وغيرها من كتب المقالات .

وهذا بالنسبة للباطنية بصفة عامة ، اما الباطنية فى اليمن فهم وان كانوا يختلفون فى المناهج والاساليب — فالأهداف والمبادىء متحدة ، وستأتى فضائحهم عن طريق من دخل معهم ، بغرض الاطلاع على حقيقة معتقداتهم ثم بيانها للمسلمين ، ليكونوا على حذر منهم .

كما فضحهم أيضا كثير من العلماء اليمنيين ، ستأتى الاشارة الى مؤلفاتهم ان شاء الله تعالى .

وأى فضيحة ، بل أى كفر أشد من مهاجمة حرم الله الآمن مكة المكرمة ، وقتل من فيها من الحجاج ، وهدم زمزم ، وفرش المسجد الحرام بالقتلى يوم التروية ، بقيادة أمير القرامطة أبى طاهر الجنابى ، وكان جالسا — لعنه الله — على باب الكعبة المشرفة والرجال تصرع حوله ، وكان يقول : أنا الله ، وبالله أنا ، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا ، وكان الفارون يتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئا ، وأمر بقلع باب الكعبة ، ونزع كسوتها ، وشققها بين أصحابه ، وأمر بقلع الحجر الاسود فأخذوه معهم الى البحرين ، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة ، حتى ردوه سنة ٣٣٩ هـ .

وقد اتفق علماء المسلمين ، على أنهم كفار خارجون عن الملة ، مرتدون عن دين الاسلام ، بل أكفر من اليهود والنصارى ، وأنهم كاذبون فى انتسابهم الى أهل البيت — عليهم السلام — وأفتى بذلك شيخ الاسلام

ابن تيمية . وممن حكى ذلك الاتفاق ابن كثير ، وشيخ الاسلام مجدد القرن الثالث عشر الهجرى محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ وغيرهم .(١)

ابتداء أمر الباطنية فى اليمن وتعاليمها السيئة :

اختلف المؤرخون فى ذلك ، فقيل إن ابتداء أمرهم سنة ٢٦٧ هـ وقيل ٢٦٨ هـ وقيل ٢٧٧ هـ وقيل ٢٨٢ هـ وسبب دخولهم اليمن أن على بن الفضل الخنفرى الحميرى ت سنة ٣٠٣ هـ حج وزار قبر الحسين بن على بالعراق ، فوجد عنده ميمون القداح ، وكان مجوسيا ، وقيل من أحبار اليهود وأهل الفلسفة ، ادعى أنه من ولد اسمعيل بن جعفر وتلقب بالهادى ، وأنه أحد الأئمة المستورين فرئى من بكاء ابن الفضل على القبر وتشيعه ما يضمن نجاح الدعوة ، ان هو ضمه الى رجل من كبار الشيعة يدعى الحسن بن فرج بن حوشب(٢) الكوفى . لقب واشتهر فيما بعد بمنصور اليمن .

وبعد اختبارهما ونجاحهما كلفهما بالخروج الى اليمن ، لنشر الدعوة فيها باسم ابنه عبيد الله المهدى قائلا لهما : ان لليمانية نصيبا

---

(١) أنظر التفاصيل فى فضائح الباطنية بكامله للغزالى .
وكشف اسرار الباطنية بكامله للحمادى تحقيق الكوثرى مطبعة الانوار وطبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٧ والقرامطة بكامله لابن الجوزى والكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ دار الكتاب العربى بيروت ت سنة ١٣٨٧ هـ والبداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٦١ ـ ٦٢ ـ ٣٤٥ ومنهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ومجموع فتاويه ج ٢٨ ص ٤٨٣ وما بعدها ج ٣ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ وما بعدهما ج ٣٥ ص ١٤٩ ـ ١٥٨ وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٧٩ بدون تاريخ ولا ذكر الطبعة وظهر الاسلام لأحمد أمين ج ٤ ص ١٣٣ والأديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد ص ٧٩ مطابع شركة المدينة وكشف الشبهات فى التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢٠ .

(٢) حوشب مضبوط فى بعض الكتب اليمنية بالجيم وبعضها بالحاء .

فى هذا ، فتوجها معا الى اليمن عن طريق (غلافقه) ميناء زبيد ثم توجه كل منهما الى جهة معينة .

وكان قد أوصاهما القداح بالتظاهر بالزهد ، والتقشف ، وكثرة التعبد ليلا ونهارا فى بطون الأودية ، ورؤس الجبال ، وذلك بغرض المكيدة للاسلام .

وفى الظاهر كان اصل الدعوة الى الله ورسوله ، والاختصاص لعلى ابن أبى طالب بالامامة ، والطعن على جميع الصحابة . وفى الباطن على المنهج الآتى بيانه قريبا ان شاء الله تعالى .

واستمرت دعوتهما سرا لمدة سنتين ، فلما صار لكل منهما أتباع وقوى مادية وحربية ، أعلن كل منهما دعوته فى جهته .

فأما منصور اليمن الكوفى فتوجه الى جبال مسور (١) ولاعه ، وأخذ فى نشر الدعوة سنتين سرا ، فلما أعلنها سنة ٢٧٠ هـ ناجزه الحواليون (٢) فدمرهم ، ثم استولى على حصون كثيرة ، منها كحلان (٣) وكوكبان (٤) ، واستمر الصراع حتى جاءت دولة الامام الهادى سنة ٢٨٤ هـ وقيل سنة ٢٨٥ هـ وتمركزت فى مدينة (صعدة) (٥) فقاتلهم الهادى ، وهزمهم هزيمة منكرة (٦) .

وهكذا استمر الصراع المسلح بين الباطنية ، وبين الأئمة الزيدية ، تساعدهم الأمراء من آل يعفر الحواليين ، وغيرهم ـ والحرب سجال ، ومن

---

(١) جبل شاهق منيع شرقى مدينة حجه .
(٢) أسرة من زعماء اليمن وولاتها للدولة العباسية آنذاك .
(٣) مدينة مابين صنعاء ، وحجه تبعد عن صنعاء الى الشمال الغربى ٤٥ك تقريبا .
(٤) جبل عال منيع مطل على مدينة شبام التى تبعد عن صنعاء غربا ٦٥ كم تقريبا .
(٥) كانت عاصمة الزيدية يومها تبعد عن صنعاء شمالا ...
(٦) أنظر التحفة العنبرية خ صنعاء لابى علامه ورقة ٦٧ وما بعدها احداث سنة ٢٩٧ هـ وقراءة فى فكر الزيدية لعبد العزيز المقالح ص ١٤٠ ـ ١٤٩ طبيروت سنة ١٩٨٢م ، أخبار القرامطة لسهيل زكار ص ٤١٣ وما بعدها ، وتاريخ اليمن السياسى لمحمد بن يحى الحداد ص ١٨٤ وما بعدها ، وتاريخ اليمن للواسعى ص ١٦٩ وما بعدها .

عادة الباطنية اذا هزموا خفتوا ، واذا استعادوا قوتهم نهضوا — الى أن أطلنهـا الصليحى الآتى ذكره ٠ (١)

وتوفى منصور اليمن الكوفى سنة ٣٠٢ هـ والله أعلم ٠

وممن أشار الى دعاة الباطنية الملاحدة ، الذين يعتقدون ألوهية على رضى الله عنه ، الذين أمر باحراقهم فى حياته ، ممن أشار الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (ومن اتباع هؤلاء الملاحدة أهل دور الدعوة الذين كانوا بخراسان ، والشام واليمن ، وغير ذلك) (:٠)

على بن الفضل وآثاره السيئة :

وأما على بن الفضل الخنفرى الحميرى ، فانه توجه الى (أبين عدن) (٢) و (يافع) (٣) بعد أن تعلم المذهب الاسماعيلى ٠ ففتن الناس لشدة ما أظهره من التعبد فى رؤوس الجبال ، فسألوه أن ينزل من جبل كان يختلى فيه ، فشرط عليهم أن يعاهدوه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والسمع والطاعة ، ففعلوا ٠

وأبدى فى سيرته مزيدا من الصلاح والعدل ، مما جعل الاهالى يقدسونه ، ويجمعون اليه الزكوات من كل الجهات المجاورة ، فبنى الحصون وهاجم الامراء ، ودارت المعارك المسلحة ، فهزم وخفت ، ثم أغار على من حوله من الأمراء على غرة ، فقتل منهم واستباح ماكان لهم ، وهكذا كلما

---

(١) أنظر العسجد المسبوك للخزرجى جـ ٤ ص ٣٦ — ٣٧ والحور العين لنشوان الحميرى جـ ١ ص ١٩٨ ، وتاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين جـ ٤ ص ٨١ وما بعدها وكشف أسرار الباطنية للحمادى اليمانى ص١٦ — ١٧ وتاريخ الاسلام السياسى والثقافى ٠٠٠ لحسن ابراهيم حسن جـ ٤ ص١٩٧ وما بعدها ، وغاية الأمانى للشهارى جـ ١ ص١٩٢ وتاريخ اليمن للواسعى اليمانى د ١٦٩ وما بعدها ، وتاريخ اليمن السياسى للحداد ص١٧٤ وما بعدها ٠

(٢) بلد مشهور فى جنوب اليمن ٠

(٣) بلد مشهور فى جنوب اليمن أيضا ٠

(:٠) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٤٨٤ وأنظر التفاصيل الفاضحة فيما قبلها وبعدها .

هزم يخفت ، ويتحين الفرص حتى نشبت معركة حاسمة كان لها أثرها في اشتهار اللعين ، واتساع نفوذه ، حتى تمكن من صنعاء ولم يحسن بها صنعا ـ قبحه الله ـ بل أظهر مذهب الخبث المشئوم ، ورقى منبر جامع صنعاء فخطب خطبة منكرة ، صرح فيها بعقيدته الكفرية وأحل المحرمات ، وخرب الكثير من المساجد ، واتخذ جامع صنعاء اصطبلا للخيل . ومع هذا كان يدعى النبوة ، وكان موءذنه يقول : أشهد أن على بن الفضل رسول الله . ولبث الباطنية القرامطة فى صنعاء ، وجهاتها ، ثلاث سنين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون .

وقد عمر ابن الفضل الخبيث دارا واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساء ورجالا متزينين متطيبين ، ثم توقد الشموع بينهم ساعة ، ثم تطفأ ، ويضع كل واحد من الرجال يده ، على أى امرأة ، ويقع عليها ، ولو كانت من محارمه .

ولما استفحل أمر ابن الفضل استقل بالأمر لنفسه بعد أن كان داعية لعبيد الله المهدى بن ميمون القداح مع زميله منصور اليمن . (١)

---

(١) أنظر هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن لأحمد مقبل العبدلى ص ٥٢ ـ ٥٣ ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ وتاريخ اليمن المسمى المفيد بأخبار صنعاء وزبيد لعمارة اليمنى ص٥٩ ـ ٦٢ وطبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٦ ، قواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية) لمحمد الحسن الديلمى أحد علماء القرن الثانى عشر الهجرى ص ٩٧ تقديم الكوثرى ط السعادة بمصر ، المخلاف السليمانى للعقيلى جـ ١ ص١٢٢ ـ ١٢٧ وتاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين (معاصر) جـ ٤ ص٨٧ ـ غاية الأمانى للشهارى جـ ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٩ والعلم الشامخ للمقبلى ص ٣٣٧ وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعى ص ١٥٩ ـ ١٦٠ والاكليل للهمدانى جـ ٨ ص٤٨ .

أنموذج من كلام علي بن الفضل الباطني الحميري :

صرح بعض المؤرخين اليمنيين بذكر بعض فضائحه ، والبعض الآخر تحاشا عن ذكرها تنزيها لكتاباتهم عن إيراد كلامه القبيح ، كما اختلفوا في مكان وزمان هذا الكلام ، فبعضهم ذهب الى أنه كان في مسجد (الجَنَد)(١) في أول خميس من رجب سنة ٢٩٢ هـ وذهب البعض الآخر الى أنه كـــان في جامع صنعاء سنة ٢٩٣ هـ وقيل ٢٩٤ هـ ، ولا معارضة في ذلك لامكان الجمع بالتعدد وذلك أن ابن الفضل بدأ بدعوته من جنوب اليمن ـ كمـــا سبق ـ ثم نهض من (الجند) المذكور ، متجهـــا لاحتلال اليمن الأعلـى فاحتل (ذمار) و (صنعاء) وضواحيها ثلاث سنين .

واليك الأبيات الآتية من كلامه الخبيث ، مع تقديم ، وتأخير ، وزيادة ونقصان في بعض المصادر التاريخية :

خذي الدف ياهذه واضربـي * * وغنّي هزاريك(٢) ثم اطربـــي

تولى نبي بني هاشـــــم * * وجاء نبيّ بني يعـــــرب

أحل البنات مع الأمهـــــات * * ومن فضله زاد حل الصبـــي

لكل نبي مضى شرعــــةٌ * * وهذي شريعة هذا النبـــي

فقد حط عنـا فروض الصـــلا * * ة وحط الصيام ولم يتعـــب

اذا الناس صلوا فلا تنهضـــي * * وان صُوّموا فكلي واشربـــي

ولا تطلبي السعي عند الصفـا * * ولا زورة القبر في يثـــرب

ولا تمنعي نفسك المعزيـــــن من الآقربين مع الأجنبـــي

فكيف تحلي لهذا الغريـــب * * وصرت محرمـــــة لـلأب

أليس الغراس لمن ربّـــــه * * وسقّاه في الزمن المجدب ؟

وما الخمر الا كماء السمـــــاء * * حلال فقدست من مذهب(٣)

---

(١) الجَنَد منطقة قرب تعز وهي التي بنى فيها معاذ بن جبل مسجده المشهور .

(٢) الهزار العندليب وهو البلبل وقيل هو كالعصفور يصوت ألوانا وقيل هو طائر يقال له الهزار أ هـ مصباح جـ ٢ ص ٨٣ .

(٣) أنظر بهجة الزمن في تاريخ اليمن لعبد الباقي عبد المجيد اليماني خ بمكتبة المركز بجامعة أم القرى ص ١٨ والعسجد المسبوك للخزرجي

===

وهي طويلة أباح فيها المحرمات ، والحمادى نسبها الى شاعر الباطنية ، والظاهر أنه الأقرب الى الصواب لأنه قال في البيت الثالث : أحل البنات مع الأمهات ولم يقل أحللت ، وفي الرابع قال : شريعة هذا النبي ولم يقل : شريعتي ، وفي الخامس قال : حط عنا فروض الصلاة . . وهو الظاهر من الأبيات ذاتها فهذا وان كان فيه مخالفة لجمهور المؤرخين اليمنيين فالحق يقال والله أعلم - .

موت ابن الفضل مسموما :

يستفاد من تاريخ الباطنية الاسماعيلية في اليمن أنه قد اشترك في محاربتهم عدد من السلاطين ، وزعماء القبائل اليمنية ، ومن أبرزهم الأئمة الزيديون ، والسلاطين من آل يعفر الحوالي ، وغيرهم .

وقد أراح الله - تعالى - العباد بهلاك الطاغية على بن الفضل بسم عن طريق طبيب سنة ٣٠٣ هـ بعد أن أفسد في الأرض - كما ذكر الحمادى - سبعة عشر عاما في عهد الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، أحد أمراء اليمن الحميريين بتدبير منه . أما عند بعض المؤرخين اليمنيين أتباع الباطنية ، فهذا التدبير كان عن أمر المهدى المزعوم المستور كونه خرج عن طاعته واستقل بالأمر لنفسه (١) والعقل يميل الى التدبير الأول لأنه صادر من عدو قريب موجود والثاني صادر من مستور مزعوم .

=== جـ ٤ ص ٢٢ - ٣٧ - ٤٧ وكشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٣٣ وغاية الأماني في تاريخ القطر اليماني للشهاري جـ ١ ص ١٩٥ - ١٩٧ وطبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٧٦ والعلم الشامخ للمقبلي ص ٣٣٧ والحور العين لنشوان الحميرى جـ ١ ص ١٩٩ .

(١) أنظر الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للحرازى ص ٤٦ دار المختار للطباعة والنشر دمشق ، والتحفة العتبرية تحصنا لأبو علامه ورقة ٦٧ .

أعلان الدعوة الباطنية فى حراز :

وقد ظلت الدعوة الباطنية بعد موت كل من على بن الفضل ، ومنصور اليمن الكوفى ، تسرى فى اطار من الكتمان حتى أعلنها على ابن محمد الصليحى سنة ٤٣٩ هـ فى مسار (١) حراز ، وكانت علاقتها بمركزها الرئيسى بمصر فى أيام المستنصر الفاطمى بل العبيدى قوية ، بل كان الصليحى هذا نائبا وداعيا للفاطمى المزعوم (٢) قال الهمدانى الحرازى فى هذا المعنى : (... كما ساعدت رياسة الدعوة فى القاهرة على تغذية هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة وغيرها). (٣)

مجمل تعاليم الباطنية وأثرها السئ :

قال الحمادى اليمانى أحد علماء السنة محذرا المسلمين من مقاربة هذا الصليحى الباطنى ، ومبينا منهجه فى دعوته بقوله : (الحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته ، والركون الى قوله ، فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن اليهم ، لقد سمعته مرارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه ،

---

(١) جبل عال بأعلاه حصن فوق مناخه أنظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١٢٥ .

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٧٦ وتاريخ اليمن الثقافى لاحمد شرف الدين جـ ٤ ص ٩٠ - ١١٠ وغاية الأمانى ليحى بن الحسين ابن القاسم الشهارى جـ ١ ص ٢٠٨ والعسجد المسبوك للخزرجى جـ ٤ ص ٦٠ وما بعدها وتاريخ الاسلام السياسى ... لحسن ابراهيم جـ ٤ ص ١٩٨ - ٢٠٣ والصليحيون للهمدانى ص ٣٠٢ - ٣٠٣ والفتح العثمانى الأول لمصطفى سالم ص ٢٨ وما بعدها .

(٣) الصليحيون للهمدانى ص ٦١ طبقات فقهاء اليمن للجعدى ص ٨٧ - ٨٨ .

وزوال هذه الشريعة المحمدية ، وذلك أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين . . . وذلك أن الصليحي الباطني ، ومن على مذهبه يدعون الى ناموس خفي . . . بعهود موءكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان مابويع عليه ، ودعى إليه ، وأنه لا يكشف لهم سرا ، ولا يظهر لهم أمرا . ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهه ، يدعوه في بدء الأمر الى الله ورسوله ، كلمة حق يراد بها الباطل ، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فاذا انقاد له وطاوعه أدخله في طرق المهالك تدريجا ، ويأتيه بتأويل كتاب الله ـ عز وجل ـ تحريفا ، وتعويجا ، بكتب مصنفة ، وأقوال مزخرفة إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ، وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم) . (١)

وهكذا استمرت الدعوة الباطنية في اليمن تساندها الزعامة الصليحية ، الباطنية الى أن أغتيل الصليحي على يد سعيد الأحول بن نجاح أحد أمراء اليمن العباسيين في (المهجم) وهو في طريقه الى مكة ، ولكن لم تفتر الدعوة الباطنية للعبيدي صاحب مصر بوفاة الصليحي ، بل ولا العلاقة السياسية ، فقد كتب المستنصر (٢) ـ على حد تعبيرهم ـ الى أحمد بن علي الصليحي ، يعزيه في وفاة أبيه ويقره على ملكه ، ويعهد اليه بشئون الدعوة الفاطمية (٣) ، بل العبيدية .

ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ماوقع لعلى بن محمد الصليحي فانه استولى على اليمن سهله وجبله ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ،

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٤٣ - ٤٤ وأنظر تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي لحسن ابراهيم جـ ٤ ص ١٩٦ - ١٩٨ وما بعدهما .

(٢) أنظر اليمن في ظل الاسلام لعصام الدين عبد الروءوف الفقي ص ١٦٥ دار الفكر العربي ط أولى سنة ١٩٨٢م .

(٣) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم جـ ٤ ص ٢٠٣ وأنظر الفتح العثماني الأول لليمن لمصطفى سالم ص ٢٨ .

الى أن قتل فى (المهجم) [١] حين قصده السنيون وعلى رأسهم سعيد الأحول وأخوه جياش فطعنه بحربته [٢] سنة ٤٧٣ هـ وقيل سنة ٤٥٩ هـ، ورجح هذا الأخير الهمدانى كما رجح الأول الكوثرى والله أعلم . [٣]

مقتطفات من كلام الحمّادى اليمانى وآثارها السيئة :

من الجدير بالذكر أن أورد مقتطفات تفصيلية من كلام الشيخ الحمادى باعتباره كاتبا يمنيا ومن فقهاء السنة ، وأحد أولئك الذين دخلوا فى مذهب الباطنية اليمنية ، لا رغبة فيه ، ولكن ليقف على حقيقة ما ينسب الى هذا المذهب اللئيم .

والغرض من إيراد هذه المقتطفات ، إطلاع المسلمين الذين لم يطلعوا عليها بصفة عامة ــ وإطلاع من ينكر هذا من اليمنيين بصفة خاصة ، لأن آثار هذا المذهب باقية الى يوم الناس هذا فى بعض المناطق اليمنية ، متسترين باسم قبيلة حراز التى أعلن الصليحى الباطنى دعوته منها وجعل مسار حراز مركزا للدعوة وقاعدة حربية لشن الغارات على خصومه وأعدائه . [٤]

وليس هذا فى اليمن فحسب ، فالمذهب الاسماعيلى الباطنى متستر فى كثير من بلاد المسلمين ، ففى الشام باسم العلويين ، وفى العراق وإيران باسم الجعفرية ، وفى نجران باسم قبيلة يام ، وفى باكستان والهند باسم البهره

---

(١) موضع فى تهامة اليمن فى وادى سردد مابين جبل ملحان وبلدة الزيدية وهو الان خراب ما عدا المنارة أ.هـ ، طبقات فقهاء اليمن الحاشية ص ٨٨

(٢) تاريخ اليمن المسمى بفرجة الهموم والحزن للواسعى ص١٦٢ وتاريخ اليمن المسمى المفيد فى تاريخ صنعاء وزبيد لعمارة اليمنى ص ٩٤ تحقيق الاكوع .

(٣) الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن للهمدانى ص١٠٣ تاريخ اليمن للواسعى ص١٧٢ وما بعدها وحاشية كشف أسرار الباطنية ص٤٤ وفيات الاعيان لابن خلكان جـ٣ ص٤١١ وما بعدها وشذرات الذهب لابن العماد جـ٣ ص٣٤٦ وما بعدها ، وأنظر السلوك فى طبقات العلماء والملوك لمحمد بن يعقوب الجندى تاريخ اليمن الى سنة ٧٢٤هـ جـ٢ ورقة ١٧٥ ــ ١٧٦ .

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص٧١ .

أقماهم اللـه جميعا . (١)

وقد صنف بعض الكتّاب اليمنيين في موضوع حركات الباطنية المصنفات وسموها بأسماء غير أسمائها الحقيقية ، نهج بعضهم منهج المؤرخين الذين يهتمون بالحوادث التاريخية والسياسية والعسكرية ، ويهملون ما هو أهم من ذلك من النواحي الدينية والاعتقادية ، والاجتماعية والخلقية ، وجهلوا أو تجاهلوا أن الشرارة الاولى لتسعير الحرب تتقدح من القاعدة الأساسية الدينية الاعتقادية كما هو معلوم ، وإلا فما الداعي الى الصراع الدموي ،إذا اتفق الفكر العقدي ؟!

والدفاع – المخالف للواقع – عن الباطنية وجرائمها البشعة المنكرة المخرجة من الملة سواء كان هذا الدفاع عن الباطنية بصفة عامة أو عن الباطنية في اليمن بصفة خاصة هذا الدفاع يثير الدهشة وتوجيه علامات الاستفهام الى هؤلاء المدافعين ، ماذا يريدون بهذا الدفاع ، أيريدون قلب الحقائق ، أو يريدون أن يمحوا فضائحهم التي سودت وجه التاريخ وبالأخص علي بن الفضل الخنفري وعلي محمد الصليحي وأمثالهما الآتية فضائحهما في هذا الفصل ؟

فلا عتب ، بل لا لوم على من شم رائحة القرمطة من كلام هؤلاء أو اتهمهم بذلك أو بأن بضاعتهم في التاريخ الديني مزجاة ،أو أن هناك أغراضا أو دوافع غير دينية أو أو ...

والآن اليك هذه المقتطفات المنكرة من كلام الحمادي (٢) الذي دخل في مذهب الصليحي الباطني الحرازي الذي خلف علي بن الفضل الحميري

(١) أنظر الفتح العثماني الأول لليمن لمصطفى سالم ص ٢٨ وما بعدها .
(٢) هو أبو عبد اللـه محمد بن مالك الحمادي اليماني من فقهاء السنة باليمن في أواسط المائة الخامسة وقد طبع كتابه مرتين في مصر سنة ١٩٣٩م وسنة ١٩٥٥م وقد اعتمده كثير من المؤلفين اليمنيين وغيرهم منهم الجعدي والجندي والكتاب في حوزتي بعنوان (كشف أسرار الباطنية وأنظر طبقات فقهاء اليمن للجعدي ص ٧٨ .

ومنصور اليمن في الدعوة الباطنية باسم الفاطميين ، بل العبيديين في مصر حيث قال : (أول ما أشهد به ... وأوضحه للمسلمين — أن له [١] نوابا ، يسميهم الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيها بكلاب الصيد ، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل .

المرحلة الأولى :

وفيها يحضون المدعو على شرائع الاسلام كالذى ينثر الحب للطير ليقع فى شركه ، فيقيم أكثر من سنه ينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بأحاديث محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فاذا رأوا فيه القبول والاعجاب بجميع مايعلمونه ، قالوا له : الصلاة من صلاها مرة فى العام ، فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، والزكاة مفروضة فى كل عام مرة . فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان ، وما خلق الله — سبحانه — من ظاهر إلا وله باطن ، يدل عليه قوله تعالى : (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) [٢] ومعنى الصلاة والزكاة ، ولاية محمد وعلى ، فمن تولاهما ، فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، وهكذا حتى يوقعون المخدوع فى موقع الموافقة ، لأنه يريحهم مما تلزمهم به الشريعة من الطاعة ويبيح لهم ما تحرمه عليهم .

فاذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له قرب قربانا لمولانا يحط عنك الصلاة ، فيدفع اثنى عشر دينارا فيقول الداعى ، يامولانا ، ان عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة ، ويقرأ له : (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) [٣] فيهنئه أهل هذه الدعوة بقولهم : الحمد لله الذى وضع عنك وزرك الذى انقض ظهرك . [٤]

---

(١) الضمير عائد على الصليحى الباطنى .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٠ . (٣) سورة الاعراف آية : ١٥٧ .

(٤) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٣ — ١٤ وأنظر قواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية) للديلمى ص ٢٣ .

المرحلة الثانية :

وفيها يقول الداعى الخبيث للمخدوع ، قد عرفت الصلاة ، وهى أول درجة ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول اسأل عن الخمر والميسر الذين نهى الله عنهما ، هما أبو بكر وعمر ، لمخالفتهما على، وأخذ الخلافة دونه .

أما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك ، فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الأرض ، ويتلوا عليه أيضا : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) (*) .

ومعنى الصوم الكتمان ، أى كتمان الأئمة فى وقت استتارهم خوفا من الظالمين ، ويتلوا عليه : (انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (١) فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام ، لقال فلن أطعم اليوم شيئا ، فدل على أن الصيام الصموت ، فيزداد المخدوع طغيانا وكفرا وينهمك الى قول ذلك الداعى الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه وشهوته والنفس أمارة بالسوء .

ثم يقول له ادفع النجوى تكن لك سلما ووسيلة ، حتى نسأل لك مولاك يضع عنك الصوم ، فيدفع اثنى عشر دينارا ، فيمضى به اليه قائلا : يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الأكل برمضان ، فيقول قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك . (٢)

المرحلة الثالثة :

ثم يأتى ذلك الداعى الخبيث الى المخدوع بعد مدة فيقول له ، قد عرفت ثلاث درجات ـ أى الصلاة والخمر والميسر والصوم ـ فاعرف الطهارة ماهى ، ومعنى الجنابة فى التأويل ، فيقول : فسر لى ذلك ، فيقول له : اعلم أن معنى الطهارة ، طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لايطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هى موالاة الأضداد ، أضداد الأنبياء والأئمة ، فأما المنى فليس بنجس منه خلق الله الأنبياء والأولياء

(١) سورة مريم آية : ٢٦ .

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٣ والباطنية للديلمى ص ٢٤ .

(*) سورة المائدة جزء من آية :٩٢ .

وأهل طاعته ، وكيف يكون نجسا ، ومنه خلق الانسان ، فلو كان التطهر منه من امر الدين ، لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وانما معنى قوله تعالى : (وان كنتم جنبا فاطهروا) (١) معناه فان كنتم جهلة بالعلم الباطنى فتعلموا . ثم يأمره ذلك الداعى أن يدفع اثنى عشر دينارا ، ويقول : يامولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة ، وهذا قربانه إليك ، فيقول : اشهدوا أنى قد حللت له ترك الغسل من الجنابة . (٢)

المرحلة الرابعة :

ثم يقيم مدة فيأتيه ذلك الداعى الملعون قائلا له : قد عرفت أربع درجات ، وبقى عليك الخامسة ، فاكشف عنها فإنها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ، ويتلوا عليه : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) (٣) فيقول له دلنى عليها ، فيتلو عليه : (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (٤) ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا ، فيقول وكيف لى بذلك ، فيتلو عليه : (وإن لنا للآخرة والأولى) (٥) ويتلو عليه قوله تعالى : (قل من حرّم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) . (٦)

والزينة هاهنا ما خفى على الناس من أسرار النساء التى لايطلع عليها الا المخصوصون بذلك . وذلك قوله تعالى : (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن) (٧) والزينة مستورة غير مشهورة ، ثم يتلو عليه قوله تعالى : (وحور عين ، كأمثال اللوءلوء المكنون) . (٨) فمن لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها

---

(١) سورة المائدة جزء من آية : ٦ .
(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٤ وأنظر الباطنية للديلمى ص ٢٥ .
(٣) سورة السجدة آية : ١٧ .
(٤) " ق آية : ٢٢ .
(٥) " الليل آية : ١٣ .
(٦) " الاعراف آية : ٣٢ .
(٧) " النور آية : ٣١ .
(٨) " الواقعة آية : ٢٢ - ٢٣ .

فى الآخرة ، لأنها مخصوص بها ذوو الألباب ، دون الجهال ، والمستحسن من الأشياء ماخفى ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة .

فالجنة هاهنا ما استتر عن الخلق المنكوس ، الذين لاعلم لهم ولا عقول، فيزداد المخدوع انهماكا ويقول لذلك الداعى الملعون : تلطف فى حالى ، وبلغنى ماشوقتنى إليه ، فيقول : ادفع النجوى اثنى عشر دينارا تكون لك قربانا وسلما ، فيمضى به فيقول : يا مولانا ان عبدك فلان قد صحت سريرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته ، وأمنته ، فيقول يا مولاى قد وثقته وأمنته وخبرته ، فوجدته على الحق صابرا ،ولأنعمك شاكرا، فيقول : علمنا صعب مستعصب ، لا يحمله إلا نبى مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد امتحن الله قلبه ، بالإيمان ، فاذا صح عندك حاله ، فاذهب به الى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول : سمعا وطاعة لله ولمولانا ، فيمضى به الى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى اذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال : قوما ، قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكره ذلك المخدوع ، فيقول له : ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا فاذا خرج من عنده ، تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد الا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون . (١)

قلت : وتحمل هذه البيتوته — اذا صح الخبر — على الجيران أو أهل القرية ، أما بقاؤه على ظاهره وعمومه ففيه نظر، لأن المرأة لا تطيق قطرا بكامله بل ولا عشره ، إلا أن يقال ان هذا فى بدء الدعوة الخبيثة وقلة أهلها فالله أعلم .

المرحلة الخامسة :

ثم يقول الداعى للمخدوع ،لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم ،عند مولانا فادفع قربانك فيدفع اثنى عشر دينارا ،فيصل به قائلا :يامولانا عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه ، حتى اذا جن الليل ، ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس ، وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفئوا السرج والشموع وأخذ كل واحد منهم

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٥ — ١٦ .

ماوقعت عليه يده ، فيشكر المخدوع الداعي الملعون على مافعل ، فيقول له ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين ، فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ، ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض ما حرم عليكم جهالكم (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (١)

قلت : ويحمل تعميم عملية هذه المرحلة الخبيثة على ما سبق في المرحلة الرابعة والله أعلم .

ثم قال محمد بن مالك الحمادي بعد ذلك : (هذا ما أطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى ـ على شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته ، عالم به ، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين ، والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم وأعد له جهنم وساءت مصيرا ، ومن حكى عنهم بغير ماهم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته ، الى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة الى المسلمين حسب ما أوجبه الله عليّ من حفظ هذه الشهادة ، فان الله ـ سبحانه ـ أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها ، وأدائها الى من يسمعها ، قال الله ـ سبحانه ـ : (ستكتب شهادتهم ويسألون) (٢) والله أسأل أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الاسلام بعد اذ آتانا الله بمنه ورحمته.) (٣)

ألا فليعلم المسلمون ، أن الباطنية ـ أخزاهم الله ـ أشد خطرا على الاسلام والمسلمين من عبده الأوثان ، لأنهم يبطنون الكفر ، ويتظاهرون بالاسلام ـ كما رأيت ـ ويختفون حتى تمكنهم الوثبة لإظهار الكفر ، وهم ملاحدة بالاجماع . (٤)

---

(١) سورة فصلت : ٣٥ وأنظر كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ١٥ ـ ١٦ .
(٢) سورة الزخرف آية : ١٩ .
(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ١٦ ومن أراد التوسع فليراجع فضائح الباطنية لابي حامد الغزالي .
(٤) بلوغ المرام فيمن تولى اليمن من ملوك وامام للعرشي ص ٢١ ـ ٢٢ .

وهم يسمون بالاسماعيلية ، لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين — كما يزعمون — الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وبالعبيدية لدعائهم الى عبيد الله ابن ميمون القداح ، الذى نسبته الباطنية-الى ما يزعمون — من الأئمة المستورين .

وبالجملة فللباطنية قضايا شنيعة ، وأعمال فظيعة ، كالإباحية وغيرها ، وأن للشريعة ظاهرا وباطنا فالباطن لا يعلمه الا الامام أومن ينوب عنه ، وأن معنى الكعبة النبى والباب على ، والصفا النبى والمروة على أيضا ، والميقات الإمام ، والتلبية إجابة الداعى إلى باطنهم ، والطواف بالبيت سبعا هو الطواف بمحمد الى تمام الأئمة السبعة ، وغير ذلك من الرموز الخبيثة .

وهم اذا وجدوا فى أنفسهم قوة أعلنوا الكفر ، وإن غلبوا كمنوا كما تكمن الحية فى جحرها ، وهم مع ذلك يوءملون الهجوم على عباد الله ، وقد تابعهم على ذلك من ذهب عنه نور الاسلام ، واستولى على قلبه هوى الشيطان والله المستعان . (١)

موقف أئمة الزيدية وغيرهم من الباطنية :

مما لا شك فيه أن أئمة الزيدية وقفوا موقفا — من الباطنية — يشكرون عليه يشهد لذلك تاريخ اليمن الحافل بمحاسن الأئمة وغيرهم من سلاطين اليمن آل يُعفر الحواليين وبنى زياد وبنى رسول — ضد الباطنية ، فقد دارت الحرب رحاها بين هوءلاء وبين الباطنية فى عصر ابن الوزير وقبله وبعده ، وكانت الحرب — كعادتها — سجالا — بغض النظر عن الحروب فيما بينهم وكانت الدائرة فى النهاية على الباطنية على يد الأئمة الزيدية فخفتت الباطنية من الناحية العسكرية ، لكن — مع الأسف الشديد — لم تخفت من الناحية الثقافية والعقدية ، فآثارها السيئة بل عقيدتها باقية فى بعض البلاد اليمنية وغيرها ، الى يوم الناس هذا ، وقد وقف منهم أئمة الزيدية موقفا قويا صلبا من جميع النواحى ثقافيا وسياسيا وعسكريا واستمرت شوكتهم الى سنة ١٢٧٨ هـ فى حراز وذى مرمرشم الى سنة ١٢٨٥ هـ . (٢)

---

(١) أنظر الباطنية للديلمى ص ١٧ .
(٢) أنظر تاريخ اليمن للواسعى ص ١٦٣ — ١٧٨ — ٢٠٦ والتحفة العنبرية ورقة ٦٧ وما بعدها والاكليل للهمدانى ج ٢ ص ١٧٨ — ١٨٤ مع الحاشية للمحقق الاكوع .

فمن الناحية الثقافية بثوا الوعى الاسلامى ضدهم ، وألفوا كتبا كثيرة منها :

١ ـ مشكاة الانوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار / للامام يحى بن حمزة سنة ٧٤٥ هـ طبعت عدة مرات الأخيرة سنة ١٤٠٣ هـ .

٢ ـ الإفحام لافئدة الباطنية الطغام / له مطبوع .

٣ ـ الرد على الباطنية / للقاضى حميد الشهيد المحلى .

٤ ـ القاطعة فى الرد على الباطنية / لمحمد بن يحى حنش .

٥ ـ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة / لمحمد بن مالك الحمادى .

هذه بعض الكتب الخاصة بالرد على الباطنية ، أما الكتب التى تضمنت الرد عليهم فهى كثيرة كا (العلم الشامخ) للمقبلى ، و (غاية الأمانى) للشهارى وسائر كتب التاريخ اليمنية .

أما المؤلفون ضد الباطنية ـ غير اليمنيين ـ فهم مشهورون ، ومن أشهرهم الغزالى وكتابه (فضائح الباطنية) .

موقف ابن الوزير من الباطنية :

مما لا شك فيه أن موقف ابن الوزير من الباطنية فى اليمن هو موقف كل مسلم غيور على دينه وعقيدته ، وبما أن الباطنية لايجهرون بعقيدتهم ، إلا لمن وثقوا فيه ، من أتباعهم ـ بعد العهود والمواثيق ـ بل ويستخفون بكتبهم أشد الاستخفاء لذلك لم يكن بينهم ، وبين ابن الوزير ولا غيره من أهل السنة مناقشات ، ولا مناظرات .

وأما الكتب المؤلفة ضدهم المشار اليها سابقا فهى بعد أن تفشى سرهم واستفحل أمرهم ، وتمت سيطرتهم على بعض المناطق اليمنية ، وبعضهم على معظمها وبعضهم على جميع القطر اليمانى ، ومع هذا فكتبهم كانت مخفية ، لم يطلع عليها أحد إلا بعد مصادرة ممتلكاتهم بعد الحصار الشديد والحروب الطاحنة على أيدى أئمة الزيدية وغيرهم من سلاطين اليمن ، لذلك لم يذكرهم ابن الوزير فى مؤلفاته إلا على سبيل الاستطراد ، وفى معرض الذم والتكفير .

وقد وصفهم ابن الوزير ـ فى عدة مواضع من كتبه ـ بالالحاد والزندقة والكذب لأن الكذابين إنما يأتون بما يوافق الطباع[1] ، وابن الوزير لم ينفرد

---

(١) انظر إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٩ - ١٢٩ - ١٢٠ - ١٢٥ - ١٢٦

بهذا فقد سبق أن ذكرت حكاية الاجماع على كفرهم وأشرت الى المحضر الذى ذكره ابن كثير وغيره ٠

واذا اكتفيت بالقول بأن موقف ابن الوزير من الباطنية فى اليمن وغيره موقف علماء المسلمين ٠ فذلك — فى نظرى — كاف ، ولكن إليك هذه النماذج من كلام ابن الوزير :

قال ابن الوزير فى سياق نقده لأهل البدع ، من غلاة المتكلمين ، الذين ضاهوا الباطنية الملحدين فى رد النصوص ، والظواهر ، ورد حقائقها إلى المجاز ، من غير طريق قاطع على ثبوت الموجب للتأويل إلا مجرد التقليد لبعض المتكلمين ، فى قواعد لم يتفقوا عليها حيث قال :

١ — (وأفحش ذلك وأشهره مذهب القرامطة الباطنية فى تأويل الاسماء الحسنى كلها ، ونفيها عن الله — عز وجل — على سبيل التنزيه له وتحقيق التوحيد بذلك ، ودعوى أن إطلاقها عليه يقتضى التشبيه ، وقد غالوا فى ذلك ، وبالغوا حتى قالوا إنه لا يقال : إنه موجود ، ولا معدوم بل قالوا إنه لايعبر عنه بالحروف ، وقد جعلوا تأويلها — أى الأسماء الحسنى — كلها ، إمام الزمان عندهم ، وهو المسمى الله ، والمراد بلا إله إلا الله ، وقد تواتر هذا عنهم ، وأنا ممن وقف عليه فيما لايحصى من كتبهم التى فى أيديهم ، وخزائنهم ، ومعاقلهم التى دخلت عليهم عنوة ، أو فتحت بعد طول محاصرة ، وأخذ بعضها عليهم ، من بعض الطرقات ، وقد هربوا به ، ووجد بعضها فى مواضع قد أخفوه فيها.) (١)

ولم يقف ابن الوزير عند حكاية هذا الكلام الباطل فحسب ، بل قرر أن كفرهم معلوم عند جميع المسلمين لأن تأويلهم هذا ليس من العلم فى شئ فقال : (فكما أن كل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح ، وأنه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف ، المذكور فى قوله تعالى : (وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) (٢) أى أهل القرية وأهل العير) ٠ (٣)

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٩ — ١٣٠ وأنظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢ ص ٢٠٢ ٠

(٢) سورة يوسف آية : ٨٢ ٠

(٣) ايثار الحق ص ١٣٠ ٠

٢ — وفى أثناء رده على المتأولين لأسماء اللـه الحسنى أيضا ، ومنها الرحمن الرحيم ، وأنهما ثابتان فى السبع المثانى المعظمة ، متلوان فى جميع الصلوات الخمس ، مجهور بهما فى محافل المسلمين مجمعين على أنهما من أحسن الثناء على اللـه — تعالى — وأجمله ، ومن أحب المدح اليه ، ولذلك كررا تكريرا كثيرا فى أوائل السور وغيرها ، يقول ابن الوزير فى هذا المعنى :

(وعظمت الشناعة فى إنكار حقيقتهما ، ومدحتهما ، حين وافق ذلك مذهب القرامطة ومذهب أسلافهم من المشركين ، فى إنكارهم الرحمن ، ونص القرآن على الرد عليهم فى ذلك والصدع بالحق فيه حيث حكى عنهم قولهم : (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) فقال عز من قائل : (اللـه الذى خلق السموات والأرض ، وما بينهما فى ستة أيام، ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خبيرا ، واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) .[1]

... وجاءت الصوادع القرآنية مادحة للـه تعالى بأعظم صيغ المبالغات فى هذه الصفة الشريفة الحميدة ، بأن اللـه — عز وجل — خير الراحمين ، وأرحم الراحمين) .[2] أكثر من خمسمائة مرة فى القرآن الكريم ، منها باسمه الرحمن ، أكثر من مائة وستين مرة ، وباسمه الرحيم ، أكثر من مائتى مرة ، وجمعهما للتأكيد مائة وست عشرة مرة .[3]

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٩ .
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٣١ — ١٣٢ .
(٣) ذكر هذه الأرقام ابن الوزير فى الايثار ص١٣٢ معرضا بأهل التأويل .

٣ — ويصور لنا ابن الوزير إنكار الباطنية لأسماء اللـه الحسنى ، والجنـة والنار ، فى مناقشة بينهم وبين المعتزلة والأشعرية على سبيل الإنكار والتقريع ، فى استقباح كل منهما تأويل الطائفـة الأخـرى ، وأن كل واحدة تُلزم المنكرعليها مثل ما أُلزمته ، وهو أن الأشعرية والمعتزلـة إذا كفروا الباطنى بانكار الأسماء الحسنى والجنة والنار ، يقول لهـم الباطنى : أنا لم أجحـدها ، إنما قلت : هى مجـاز ، مثل ما أنكـم لم تجحـدوا الرحمن الرحيم الحكيم ، وإنما قلتم إنهـا مجـاز ، وكيف كفاكم المجـاز فى الإيمان بالرحمن الرحيم ، وهما أشهـر الأسمـاء الحسنى أو من أشهرها ، ولم يكفنى فى سائرها ، وفى الجنة والنـار ، مع أنهما دون أسماء اللـه بكثير ؟ ! !

وكم بين الإيمان باللـه وبأسمائه ، والايمان بمخلوقاته — أى من الفرق — فاذا كفاكم الإيمان المجازى ، بأشهر الأسماء الحسنى ، فكيف لم يكفنى مثله فى الإيمان بالجنة والنار والمعاد . (١)

رحم اللـه ابن الوزير ، لقد أحرج المتناظرين ، وأوقعهم فى فخ التأويل ، فانظر من المنقطع ؟ ومن العار على أى فرقـة إسلامية تنقطع أو تنهزم أمـام الملحدين الطغام .

وهل هذا إلا نتيجـة لاستعمال سلاح التأويل ؟ فاعتبروا يا أولى التأويل .

---

(١) إيثار الحـق لابن الوزير ص١٣٦ ، وانظر المواقف للايجى فى تأويـل الرحمن الرحيم من أنهما بمنزلة الندمان والنديم أى مريد الإنعـام على الخلق ، فمرجعهما صفة الإرادة ، وقيل : معطى جلال النعـم ودقائقهـا ، فالمرجع حينئذ صفـة فعلية ، وهذا هونص كلام الايجـى فى الموقف الخامس الإلهيات ص٣٥٧ وأما المعتزلة فتأويلهم وتعطيلهم مشهـور .

الباب الثالث

آراء ابن الوزير الاعتقادية

وفيه فصول :

الفصل الاول : الالهيات .

الفصل الثاني : الغيبيات .

الفصل الثالث : النبوات .

الفصل الرابع : المعارك الكلامية بينه وبين خصومه .

الفصل الخامس : آراؤه في الامامة والسياسة .

الفصل السادس: موقفه من الابتداع والتقليد .

الخاتمة وفيها النتائج .

—.—

الفصل الأول : الالهيــــات

وفيه تمهيد وثلاثـة مباحـــث :

- تمهيد لمعاني الفطرة : احدى الدلالات على اثبات الصانع .
- المبحث الاول: في معاني الفطـرة .
- المبحث الثاني : طريقة ابن الوزير في اثبات الصانع .
- المبحث الثالث : طريقة ابن الوزير في اثبات الأسماء والصفات .

...

تمهيد لمعانى الفطرة احدى الدلالات على اثبات الصانع

اعلم بأن التدين فى الانسان أمر فطـرى

وقد جاء دين الرسل مؤكدا ومبينا أمر الفطرة للناس (فأقم وجهك للديـن حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (١) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم : (مامن مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) ومن طريق الأعمش بزيادة : (ويشركانه) بدل (ويمجسانه) .

وفى حديث ابن نمير : (مامن مولود يولد الا وهو على الملة) .

وفى رواية أبى بكر عن أبى معاوية بزيادة : (حتى يعبر عنه لسانه) .

ومن طريق الدراوردى بزيادة : (فان كانا مسلمين فمسلم،كل انسان تلده أمه يلكزه (٢) الشيطان فى حضنيه (٣) إلا مريم وابنها (٤)) .

وفى رواية للبخارى عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ : (كل مولود يولد على الفطـرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (٥)) .

وقد كانت الأمم السابقة تقر بوجود الصانع من زمن نوح ـ عليه السـلام ـ لما حكاه الله ـ عز وجل ـ عنهم بقوله : (ولو شاء الله لأنزل ملائكة (٦)) .

وجه الاستدلال من الآية أنهم مقرون بوجود الله ـ عز وجل ـ اذ أسنـدوا المشيئة إليه سبحانه .

ـ الى زمن المشركين العرب حال البعثة (ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهـم مشركون (٧)) .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) لكزه من باب قتل أى ضربه بجمع كفيه فى صدره ، وربما اطلق على جميع البـدن كذا فى حاشية مسلم جـ٤ ص٢٠٤٩.

(٣) تثنية حضن وهو الجنب وقيل الخاصرة ، كذا فى شرح مسلم جـ ١٦ ، ص ٢١٠ .

(٤) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين جـ ٧ ص ٢١٠-٢١١ ومسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة جـ ٤ ص٢٠٤٧ ، صحيح ابـن حبان جـ ١ ص ١٩٠-١٩١ مطبعة المجد ط. اولى / ١٣٩٠ هـ.

(٥) البخارى كتاب الجنائز باب ماقيل فى أولاد المشركين جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٦) سورة المؤمنون : ٢٤ .

(٧) سورة يوسف : ١٠٦ .

وكان الجاهليون يحجون الى بيت الله العتيق ، ويقولون فى تلبيتهم كما فى صحيح مسلم[(١)]، (لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك) .

ولم أجد فى القرآن الكريم مايدل على أن الأمم السابقة، أو مشركى العرب، كانوا ينكرون وجود الله تعالى، إلا قول الدهرية القائلين بعدم الحياة الأخروية، (وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر) . وفى آية أخرى : (ومانحن بمبعوثين) [(٢)] .

وقال تعالى إخبارا عن إقرار مشركى العرب بوجوده سبحانه : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله[(٣)]) .

فلقد أخذ الله الميثاق، على بنى آدم وهم فى عالم الذر، لما خلق آدم، فمسح على ظهره، فأخرج منه ذريته، قائلا لهم : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا، (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون [(٤)]) . وللمفسرين عدة أقوال فى المراد بالمأخوذين هنا، قيل : هم ذرية بنى آدم أخرجهم الله من أصلابهم نسلا بعد نسل ، والمراد بالإشهاد فطرهم على التوحيد ، لأن الله تعالى قال: (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره . وممن ذهب الى هذا ابن كثير[(٥)] .

وقيل إن الله ــ سبحانه ــ أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد ، وأنه جعل فيها من المعرفة ماعلمت به ماخاطبها .

وقيل : المراد ببنى آدم هنا آدم نفسه ، والمعنى أن الله ــ سبحانه ــ لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر ومن ذهب الى هذا وجزم به الشوكانى[(٦)] .

---

(١) كتاب الحج باب أمر أهل المدينة بالاحرام من ذى الحليفة جـ ٢ ص ٨٤٣ .
(٢) سورة الجاثية : ٢٤ والجزء الاخير من سورة الأنعام : ٢٩ .
(٣) سورة لقمان : ٢٥
(٤) سورة الاعراف : ١٧٢-١٧٣ .
(٥) فى تفسير القران العظيم له جـ ٣ ص ٥٠٦ .
(٦) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير للشوكانى جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ط . الحلبى .

ومن حكى الاقوال وتوقف عن الترجيح القرطبى وقال : هذه آية مشكلة (١) .

واعلم أن ظاهر الاية ليس فيه دلالة على أن المأخوذين من ظهر آدم وانما هو من بنى آدم وهو ما ذهب اليه ابن كثير وقد سبق ذكره ، ولكن القواعد الاصولية المتفق عليها تؤيد القول بأن المراد ببنى آدم هو آدم نفسه وأن المأخوذين ذريته وذلك أن الآية مجملة ، وقد بينتها السنة وهى الوحى الثانى وقد ثبت عدة أحاديث تدل على أن الله لما خلق آدم مسح على ظهره فأخرج منه ذريته ولم اجد مايدل على أن الممسوح أو المأخوذ منه غير آدم .

من ذلك مارواه الامام أحمد فى مسنده (٢) عن ابن عباس مرفوعا (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان -يعنى عرفه- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ...) .

كما رواه (٣) أيضا عن عمر بن الخطاب مرفوعا بلفظ : (إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية ...) .

كما رواه الترمذى (٤) عن عمر ايضا بهذا اللفظ وقال حديث حسن .

ورواه (٥) أيضا عن أبى هريرة مرفوعا من حديث طويل وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه أبو داود (٦) عن عمر بن الخطاب أيضا .

ورواه ابن جرير (٧) مرفوعا وموقوفا من عدة طرق .

كما رواه مالك فى الموطأ عن عمر بن الخطاب مرفوعا (٨) .

---

(١) انظر تفسير القرطبى جـ ٣ ص ٢٧٥٠ ومابعدها دار الشعب .

(٢) جـ ١ ص ٢٧٢ وهو صحيح لطرقه وشواهده كذا قال الالبانى فى تخريج احاديث شرح الطحاوية ص ٢٦٦ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٤-٤٥ وهو صحيح له أربعة طرق كما قال الالبانى فى المصدر السابق ص ٢٦٧ .

(٤) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ٨ ص ٤٥٦-٤٥٩ تفسير سورة الاعراف .

(٥) المصدر نفسه جـ ٨ ص ٤٥٧ .

(٦) سنن ابى داود مع عون المعبود كتاب السنة باب القدر جـ ١٢ ص ٤٧٠-٤٧١ .

(٧) جامع البيان عن تأويل آى القران لابن جرير الطبرى جـ ٩ ص ١١٠-١١٧ .

(٨) الموطأ / للامام مالك جـ ٢ ص ٢٠٧ .

يؤيد ذلك مارواه الشيخان عن أنس مرفوعا : (إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك مافى الارض من شئ كنت تفتدى به ؟ قال : نعم ،قال : فقد سألتك ماهو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى فأبيت الا الشرك (١)) .

وبهذا يتضح القول بأن المراد ببنى آدم هو آدم نفسه وأن المأخوذ من ذريته كما صرحت بذلك الاحاديث الصحيحة السابقة الذكر .

كما يتضح أيضا القول بأن التدين أمر فطرى فى الانسان قبل أن يخرج من بطن أمه وأنه الاصل ، ولكن الشياطين منذ عهد آدم ونوح — عليهما السلام — الى يوم الناس هذا،لا تزال تغوى الناس عن الجادة السليمة الى الطرق المهلكة ، كما قال — صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه عن ربه جل وعلا (... وإنى خلقت عبادى حنفاء (٢) كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم (٣) ....) ولما سبق فى آية الفطرة وحديثها،عن أبى هريرة،من أن اليهودية والنصرانية والمجوسية طارئة على الأصل والله أعلم .

أما انكار الصانع فأمر غريب على كل الديانات السماوية وعلى كل من ينتسب إليها ، ولهذا قال صاحب الظلال مستغربا نسيان حقيقة الفطرة : (ولم يقع أن نسيت الفطرة حقيقة وجود إله الا فى هذه الأيام الأخيرة (٤)) .

قلت : اللهم إلا ماذكره القرآن الكريم ، عن فرعون اللعين بادعائه الربوبية وجحود الصانع إذ قال : (يا أيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين (٥)) .

---

(١) متفق عليه البخارى كتاب بدء الخلق باب وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الارض خليفة جـ ٤ ص ١٠٤ . ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب طلب الكافر الفداء بملء الارض ذهبا جـ٤ ص ٢١٦٠ واللفظ للبخارى .

(٢) اى مسلمين ،وقيل : طاهرين من المعاصى ،وقيل : مستقيمين منيبين لقبول الهداية ،وقيل المراد : حين اخذ عليهم العهد فى الذر ،وقال : (الست بربكم قالوا بلى) النووى شرح مسلم جـ ١٧ ص ١٩٧ .

(٣) طرف من حديث طويل رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا اهل الجنة وأهل النار جـ ٤ ص ٢١٩٧ .

(٤) فى ظلال القران للشيهد سيد قطب جـ ٢ ص ١٠٥١ دار الشروق .

(٥) سورة القصص : ٣٨ .

ثم قال مرة ثانية : (أنا ربكم الاعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى[1]) .
وقال لموسى عليه السلام ، بعد جدال طويل بينهما ألزم الحجة وانقطع فلجأ الى أسلوب السلطة بقوله (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين[2]) .

وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يقرر مضمون ماسبق من أن جحود الصانع أمر طارىء على الفطرة المتضمنة معنى التوحيد بقوله : (ولماكان الاقرار بالصانع فطريا فان الفطرة تتضمن الاقرار بالله والانابة اليه ، وهو معنى (لا اله الا الله) فإن الاله هو الذى يُعرف ويُعبد ، ولم يذكر الله جحود الصانع إلا عن فرعون موسى فان جحود الصانع لم يكن دينا غالبا على أمة من الأمم قط ، وإنما كان دين الكفار الخارجين عن الرسالة هو الاشراك.[3])

قلت : وهنا يرد اشكال ، وهو كيف يدعى فرعون الربوبية ، وقد حكى الله - تعالى - عن قوم فرعون مايشير الى أنه كان له آلهة بقوله تعالى : (وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك[4]) .
والجواب أن المفسرين اختلفوا فى معنى (وآلهتك) فقيل : طاعتك ، ومنه قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله[5]) أى إنهم ماعبدوهم ولكن أطاعوهم .

ولما سمع النبىّ - صلى الله عليه وسلم - عدىَّ بن حاتم يقرأ هذه الآية قال عدى : إنهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : (بلى إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم[6]) .

---

(١) سورة النازعات : ٢٤-٢٥ .
(٢) سورة الشعراء : ٢٩ .
(٣) مجموع الفتاوى جـ ٢ ص ٦ ، جـ ٧ ص ٦٣٠-٦٣١ .
(٤) سورة الاعراف : ١٢٧ .
(٥) سورة التوبة : ٣١ .
(٦) رواه ابن جرير بألفاظ وطرق متعددة جـ ١٠ ص ١١٤-١١٥ والترمذى بتحفة الاحوذى تفسير سورة التوبة جـ ٨ ص ٤٩٢-٤٩٣ وقال غريب . وابن كثير فى تفسيره جـ ٤ ص ٧٧ .

وقيل : معناه وعبادتك ، وعليه فكان فرعون يَعبد ويُعبد ، يؤيد ذلك قراءة على وابن عباس والضحاك (وإلهتك ،) وقيل : معنى هذه القراءة (ويذرك وإلاهتك) أى وعبادتك ، وأنه كان يُعبد ولا يَعبد (١) .

وقيل : كان له أصنام يأمر قومه بعبادتها تقربا اليه، وقال : أنا ربكم وربها ، ولذا قال : (أنا ربكم الاعلى) .

وقيل : كانت له بقرة يعبدها فكان إذا استحسن بقرة أمر بعبادتها ، وقيل: كان يعبد إلها فى السر(٢) ، وقيل غير ذلك مما يطول ذكره . وبالجملة فان اللعين تمسك بمجرد الدعوى الكاذبة مغالطة لقومه بل جحدا منه ، وهو يعلم أن له ربا هو خالقه وخالق قومه كما جحد هو وقومه الآيات البينات التى جاء بها موسى ، وقالوا إنها سحر وهم يعلمون أنها ليست كذلك وأنه ينطبق على الجميع قول الله تعالى : (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (٣)) .

وقد استيقن ذلك أيضا حينما أدركه الغرق فقال : (آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين (٤)) ولكن هيهات هيهات قبول التوبة فى مثل هذا الموطن لمثل هذا الطاغية .

يؤيد ذلك ماقرره ابن تيمية بقوله : (وكان فرعون فى الباطن عارفا بوجود الصانع ، وإنما استكبر كإبليس وأنكر وجوده ولهذا قال موسى : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر (٥)) .

فلما أنكر الصانع وكانت له آلهة يعبدها بقى على عبادتها ، ولم يصفه الله بالشرك وإنما وصفه بجحود الصانع وعبادة آلهة أخرى (٦)) .

---

(١) النص واحد بينما ذكره هنا وماذكره من قبل مع أنه فسره فى الاول بأن فرعون كان يَعبد ويُعبد وهنا يفسره بأن فرعون كان معبودا فقط وهذا لا يتأتى إلا بناء على تفسير الاضافة فى (عبادتك) مرة لأنها من اضافة المصدر للفاعل ومرة أنها من اضافة المصدر للمفعول . والله أعلم .

(٢) انظر تفسير ابن جرير جـ٩ ص ٢٥-٢٦ ، تفسير القرطبى جـ٣ ص ٢٦٩٧-٢٦٩٨ ، تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٥٦-٤٥٧ ، فتح القدير للشوكانى جـ ٢ ص ٢٣٥ ، الفتوحات الالهية للعجيلى الشهير بالجمل جـ ٢ ص ١٧٩ ط . الحلبى .

(٣) سورة النمل : ١٣-١٤ .

(٤) سورة يونس : ٩٠ .

(٥) سورة الاسراء : ١٠٢ .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٧ ص ٦٣١ . والجحود : الإنكار مع العلم .

وبهذه المناسبة نرد على الماديين الملحدين الذين ينكرون وجود الله — سبحانه — بحجة أنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق اليه ، ورموا المؤمنين به بأنهم واهمون وخرافيون ومشوشون وغير علميين ، الى آخر السلسلة من السب والسخرية ، يقولون : إنهم لا يؤمنون الا بما أدركته حواسهم ،

والجواب : أن واقعهم المادى الذى يعيشونه يكذبهم ، فهم — مثلا — يؤمنون بالجاذبية وقوانينها ، ولم يشاهدوها، بل رأوا آثارها ، ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره ، ويؤمنون بالمغناطيسية ، وقد شاهدوا — فقط — انجذاب الحديد الى الحديد ، دون رؤية الجاذب .

ومن طرائف أجوبة الفطرة على مثل هذا ما يأتى :

(يقال : إنها وقعت فى مدرسة ابتدائية ، حيث وقف معلم ابتدائى يقول لطلاب السنة السادسة ما معناه :

أترونى ؟ قالوا : نعم . قال : فإذن أنا موجود .

أترون اللوح ؟ قالوا نعم. قال : فاللوح موجود .

أترون الطاولة ؟ قالوا : نعم. قال : إذن فالطاولة موجودة .

قال : أترون الله ؟ قالوا : لا . قال : فالله إذن غير موجود .

فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال : أترون عقل الاستاذ ؟ قالوا : لا . قال : فعقل الاستاذ إذن غير موجود[1]) .

وقد حدثنا القرآن الكريم أن الكافرين فى كل عصر يشترطون للايمان أن يحسوا بالله عن طريق السمع أو الرؤية ، ذاكرا علل هذا الاشتراط ، وهى ذاتها الامراض التى ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطئ .

ويحدد القرآن أسباب هذا الطلب بأنها الجهل والكبر والانحراف والظلم :

١ — الجهل (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون [٢]) .

٢ — الكبر (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا [٣]) .

---

(١) الله جل جلاله لسعيد حوى ص ٩-١٢ ط . اولى بيروت سنة ١٣٨٩ هـ.
(٢) سورة البقرة : ١١٨ .
(٣) سورة الفرقان : ٢١-٢٢

٣- الانحراف (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحالعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا . وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون إلا فى تباب) (١) .

٤- الظلم (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون (٢)) .

وفى آية أخرى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم (٣)) ..

-.-

(١) سورة غافر : ٢٦-٢٧.
(٢) سورة البقرة : ٥٥.
(٣) سورة النساء : ١٥٣ وانظر الله جل جلاله/لسعيد حوى ص ٩-١٢.

المبحث الأول

في

معاني الفطرة

من الجدير بنا أن نتعرض لبيان معانى الفطرة اذ هى من أعظم الأدلة وأوضحها على وجود الله - عز وجل - فنقول وبالله التوفيق :

اختلف علماء التفسير والحديث فى معنى الفطرة الواردة فى قول الله تعالى : (فطرة الله التى فطر الناس عليها (١)) وفى قوله صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبوهريرة رضى الله عنه - واقرأوا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله (٢)) .

١- فقيل : هى الاقرار بمعرفة الله تعالى، وهو العهد الذى أخذه الله على بنى آدم لما مسح على ظهر آدم فأخرج ذريته الى يوم القيامة (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (٣)) ، فليس أحد إلا وهو يقر بان له صانعا ومدبرا ، وإن سماه بغير اسمه ، فكل مولود يولد على ذلك الإقرار الاول ، وهو قول الاوزاعى وسحنون والفراء وحماد ورواية عن أحمد (٤) .

٢- وقيل الفطرة الحنيفية ملة ابراهيم التى خلق الله الخلق عليها ، لحديث أبى هريرة السابق ، ولحديث عياض بن حمار (٥) عن النبى صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه - عز وجل - (خلقت عبادى حنفاء (٦)) وهذا ما ذهب اليه أبوبكر النقاش وابن تيمية فى بعض المواضع (٧) .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله اعلم بماكانوا عاملين ج ٧ ص ٢١٠ - ٢١١ ، كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧ ، ومسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ج ٤ ص ٢٠٤٧ واللفظ له وسنن ابى داود معون المعبود ج ١٢ ص ٤٨٦ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٣٤٤ .
(٣) سورة الاعراف : ١٧٢ .
(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٥٩٢ ، فتح البارى ج ٣ ص ٢٤٩ ، معالم السنن للخطابى ج ٧ ص ٨٩ - النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٤٥٧ .
(٥) هو احد الصحابة أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم فلم يقبل منه ، سكن البصرة وابوه باسم الحيوان المشهور وقد صحفه بعض المتنطعين لظنه أن أحدا لا يسمى بذلك . الاصابة لابن حجر مع الاستيعاب لابن عبد البر ج ٧ ص ١٧٥
(٦) طرف من حديث طويل رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا اهل الجنة واهل النار ج ٤ ص ٢١٩٧ .
(٧) انظر مجموعة الرسائل المنيرية الرسالة التاسعة ج ٢ ص ١٩٣ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٦ ص ٣٤٥ .

٣ - وقيل هى البداءة التى ابتدأهم الله عليها اى للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى مايصيرون إليه عند البلوغ ... ، لأن الفطر فى كلام العرب الابتداء والاختراع ، والفطرة الحالة منه كالجلسة والرِّكبة ، والفاطر المبتدى ، وبقول ابن عباس : (لم أكن أدرى مافاطر السموات والارض حتى أتى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أى ابتدأتها(١)).

قال القرطبى : (قال المروزى : كان أحمد بن حنبل يذهب الى هذا القول ثم تركه) ، وحكاه الحافظ وزاد : (إن آخر قولى أحمد أن المراد بالفطرة الاسلام(٢) .

وتعقب هذا القول ابن تيمية بأن حقيقته : أن كل مولود فانه يولد على ماسبق فى علم الله أنه صائر إليه .

ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم مولودة على ماسبق فى علم الله لها ، والاشجار مخلوقة على ماسبق فى علم الله ، وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة .

وأيضا فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله (فأبواه يهودانه) معنى فانهما فعلا به ماهو الفطرة التى ولد عليها .

وعلى هذا القول فلا فرق بين التهويد والتنصير وبين تلقى الاسلام وتعليمه ، وبين تعلم سائر الحرف والصنائع فان ذلك كله واحد فيما سبق به العلم .

وأيضا فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التى ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ماولد عليه(٣) .

وهو مخالف للحديث القدسى (... وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم(٤)) .

كما يؤخذ على القول بالبداءة بانه مصير من القائلين به الى معنى الفطرة لغة وإهمال معناها شرعا ، والمعنى الشرعى مقدم على المعنى اللغوى باتفاق

---

(١) انظر تفسير القرطبى ج ٦ ص ١٠٦ ه-١٠٧ ه شفا العليل/ لابن القيم ص ٦٠٥ ، النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٤٥٧ .

(٢) انظر تفسير القرطبى ج ٦ ص ١٠٦ ه-١٠٧ ه ، فتح البارى ج ٣ ص ٢٤٩ - النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٤٥٧ .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٤٣ ، شفاء العليل/ لابن القيم ص ٦٠٥-٦٠٦ .

(٤) طرف من حديث طويل رواه مسلم فى كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها اهل الجنة واهل النار ج ٤ ص ٢١٩٧ .

أهل الشرع ، ولا ينافى ذلك ورود الفطرة فى الكتاب والسنة فى بعض المواضع مرادا بها المعنى اللغوى كقوله تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والارض) اى خالقهما ومبتديهما ، وكقوله : (ومالى لا اعبد الذى فطرنى [1]) اذ لا نزاع فى ان المعنى اللغوى هو هذا . ولكن النزاع فى المعنى الشرعى للفطرة [2] الذى سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى .

٤- وقيل ان الفطرة : (هى السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة ، وهذه فطرة الاسلام التى فطر الله الخلق عليها يوم قال : (ألست بربكم قالوا بلى) فان حقيقة الاسلام ان يستسلم لله لا لغيره ، وهو معنى لا اله الا الله) . وقد ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال : (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟) ثم يقول أبوهريرة رضى الله عنه ، واقرأوا ان شئتم (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله [3]) .

فقد بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن ، وأن العيب حادث طارئ .) .

وهذا ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية [4] ، وقرر معناه تلميذه ابن كثير فى تفسيره [5] .

فأنت ترى أن شيخ الاسلام جمع بين السلب والايجاب ، وكأنهما متتابعان إذ السلامة من الاعتقادات الباطلة تهيئ لقبول العقائد الصحيحة ، واذا أمعنت النظر فى العبارتين اللتين توحى إحداهما بالسلب والاخرى بالايجاب فستجد أن أولاهما تهيؤ وتعد لأخراهما لأن قبول العقائد الصحيحة لابد فيه من التخلى عن العقائد الفاسدة .

وقد فسر هذا بأنه فطرة الاسلام لان حقيقته الانقياد لله وحده .

---

(١) سورة يس : ٢٢ .
(٢) انظر فتح القدير للشوكانى جـ٤ ص ٢٢٤ .
(٣) سورة الروم : ٣٠ والحديث متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين جـ ٧ ص ٢١١ ، مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة جـ ٤ ص ٢٠٤٧ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٢٤٥ .
(٥) جـ ٦ ص ٣٢٠ .

أما الامام النووى فقد ذكر اقوالا كثيرة فى معنى الحديث المذكور (١) ، ورجح ان كل مولود يولد متهيئا للاسلام .

إلا أنه خلط بين معنى الفطرة الذى يهمنا وبين مايتضمن الحديث من الاحكام التى سيأتى الكلام عليها عقب المقارنة بين كلامه وبين كلام ابن تيمية وذلك أنك إذا ماقارنت بينهما تجد أن قول النووى : (كل مولود يولد متهيئا للاسلام) يتفق مع قول ابن تيمية : (والسلامة من العقائد الفاسدة) ، وهذه فطرة الاسلام) ، كما أن التهيؤ للاسلام هو بمعنى عدم القبول للعقائد الباطلة .

ثم ذكر النووى مايتضمنه الحديث من الأحكام ، منها أن من كان ابواه أو أحدهما مسلما استمر على الاسلام فى أحكام الآخرة والدنيا ، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما فى أحكام الدنيا ، وهذا معنى (يهودانه وينصرانه ويمجسانه) أى يحكم له بحكمهما فى الدنيا ، فان بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما ، فان كانت سبقت له سعادة أسلم ، وإلا مات على كفره ، وإن مات قبل بلوغه فهل هو من أهل الجنة أم النار، أم يتوقف فيه ؟ ذكر فى ذلك ثلاثة مذاهب :

الاول : أنهم فى النار تبعا لآبائهم ، وهو قول الاكثرين لحديث (.. هم مع آبائهم) وفى لفظ : (هم من آبائهم) (٢) .

الثانى : التوقف .

الثالث : أنهم من أهل الجنة ، ورجح النووى هذا لأنه مذهب المحققين ، ولحديث الخليل عليه السلام حين رآه النبى - صلى الله عليه وسلم - (.. فى الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال : وأولاد المشركين (٣)) . ولقوله تعالى : (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا (٤)) .

---

(١) انظر شرح مسلم جـ ١٦ ص ٢٠٨ وكان من حق كلام النووى ان يذكر قبل كلام ابن تيمية ولكن لضرورة الارتباط بين كلام النووى وبين مابعده وضعته هكذا .

(٢) سنن ابى داود كتاب السنة باب فى ذرارى المشركين جـ ١٢ ص ٤٨٤ ، مسند أحمد جـ ٦ ص ٨٤ جـ ٥ ص ٧٣ من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٣) طرف من حديث طويل رواه البخارى فى كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح جـ ٨ ص ٨٤-٨٦ مسند أحمد جـ ٥ ص ٩ .

(٤) سورة الاسراء : ١٥ .

قلت : ولحديث الاسود بن سريع رضى الله عنه لما نهى النبى عليه الصلاة والسلام -عن قتل الصبيان ، فقيل : إنهم أولا د المشركين فقال : (وهل خياركم إلا أولا د المشركين ، والذى نفس محمد بيده مامن نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها (١)) .

وفى صحيح ابن حبان (٢) من طريق الهيثم عن الاسود بلفظ : (أوليس خياركم أولا د المشركين ؟) .

---

(١) مسند الامام احمد جـ٣ ص ٤٣٥ سنن البيهقى الكبرى جـ٩ ص ١٣٠ قال الامام احمد : حدثنا يونس حدثنا ابان عن قتادة عن الحسن عن الاسود بن سريع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين فافضى بهم القتل الى الذرية فلما جاءوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما حملكم على قتل الذرية ؟ قالوا يارسول الله انما كانوا أولا د المشركين قال : وهل خياركم إلا أولا د المشركين . .) . وهذا الاسناد صحيح فيونس هو ابن محمد بن مسلم البغدادى المؤدب الحافظ شيخ الامام احمد قال يعقوب بن شيبة ثقة ثقة وقال ابن معين ثقة . وقال الحافظ ابن حجر ثقة ثبت روى له الجماعة . انظر تهذيب الكمال للمزى جـ٣ ص ١٥٧١ ثلاثة مجلدات قدم له رباح والدقاق تصوير دار المأمون للتراث ، والتاريخ الكبير للامام البخارى جـ٨ ص ٤١٠ تصوير لبنان عن طبعة المكتبة الاسلامية بتركيا ، وتاريخ بغداد جـ١٤ ص ٣٥٠ ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، وتذكرة الحفاظ للذهبى جـ١ ص ٣٦١ .
وأبان بن يزيد قال احمد ثبت فى كل المشايخ وثقه ابن حجر والنسائى وابن المدينى والعجلى وابن حبان . انظر هدى السارى لابن حجر ص ٣٨٧ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . وانظر الميزان للذهبى جـ١ ص ١٦ ، وتهذيب الكمال جـ١ ص ٤٨ ، وطبقات ابن سعد جـ٧ ص ٢٨٤ ، تقديم احسان عباس ط. بيروت ، والجرح والتعديل لابن ابى حاتم جـ٢ ص ٢٩٩ وقتادة بن دعامة السدوسى البصرى كان يضرب به المثل فى الحفظ قال ابن المسيب ما أتانا عراقى أحفظ من قتادة . وقال ابن معين حافظ ثقة ثبت لكنه مدلس . وقال الذهبى احتج به أصحاب الصحاح وقال ابن حجر ثقة ثبت . انظر تهذيب الكمال جـ٢ ص ١١٢١ ، تذكرة الحفاظ جـ١ ص ١٢٢ ، ميزان الاعتدال جـ٣ ص ٣٨٥ ، تهذيب التهذيب لابن حجر جـ٨ ص ٣٥١ .
والحسن سيد التابعين فى زمانه بالبصرة كان ثقة فى نفسه حجة رأسا فى العلم والعمل قال الحافظ ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس . وقال ابن سعد كان عالما جامعا رفيعا ثقة مأمونا وقال ابن المدينى مرسلات الحسن البصرى التى رواها عنه الثقات صحاح ما اقل مايسقط منها ، وقال الذهبى كان ثقة فى نفسه بدرت منه هفوة فى القدر لم يقصدها لذاتها وصح عنه الرجوع عنها لأنها زلقة لسان . انظر الميزان جـ١ ص ٥٢٧-٢١٠ وتهذيب التهذيب جـ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) جـ١ ص ١٩٣ وانظر التعليق على الحديث ص ١٩٤-١٩٥ مطبعة المجد ط. اولى سنة ١٣٩٠ هـ .

ثم ذكر العلة التى من أجلها كان هذا الحديث وهى قوله صلى الله عليه وسلم : (عجب ربنا من أقوام يقادون الى الجنة فى السلاسل (١)) . أى السبى الذين يسبيهم المسلمون من دار الشرك مكتفين فى السلاسل إلى دور الاسلام ، ولهذا المعنى أراد صلى الله عليه وسلم فى حديث الاسود : (أوليس خياركم أولاد المشركين ؟) والمراد أوليس من خياركم ؟

ورواه البخارى (٢) عن أبى هريرة مرفوعا بلفظ : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل) .

أما ابن كثير (٣) فقد ذكر أربعة مذاهب ، الثلاثة التى ذكرها النووى ، والرابع أنهم من أهل الاعراف ، ولكن مآلهم إلى الجنة لأن الاعراف ليست دار قرار ، كما أكثر من ذكر الاحاديث المتعلقة بتفسير الاية السابقة فى مصير أولاد المشركين وسيأتى الراجح من مذهبه عند الكلام على مسألة الامتحان ان شاء الله تعالى .

أما ابن الوزير فلم يصح عنده فى تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ولا بغير ذنب منهم - حديث قط ، ولا صح ذلك عند من يُنظر اليه من أهل السنة ، وإنما قالت طوائف منهم بأقوال محتملة .

وقد أيد ماذهب اليه النووى وبالغ فى نصرته ، لأنه يتفق مع عدل الله تعالى وحكمته فى الجملة ، واستدل بماذكره النووى من الآية والحديث السابق ذكرهما .

وجزم ابن الوزير بأن حديث الخليل حاسم للخلاف فقال :

(وهذا نص فى موضع النزاع من أصح كتب الاسلام عند أئمة الحديث (٤)) .

قلت : وهو جزم فى محله للتعليل الذى ذكره ابن الوزير ، ويؤيده حديث الاسود ابن سريع الآنف الذكر .

وقد ذكر الحافظ فى هذه المسألة عشرة أقوال ، ومال الى القول بمسألة الامتحان ، لما رواه البزار من حديث أنس وأبى سعيد والطبرانى من حديث معاذ (انهم يمتحنون فى الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن أبى عذب) .

---

(١) المصدر السابق نفسه أى صحيح ابن حبان ج ١ ص ١٩٢
(٢) فى كتاب الجهاد باب الاسارى فى السلاسل ج ٤ ص ٢٠ .
(٣) فى تفسيره ج ٥ ص ٥٦-٥٧ .
(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ج ٢ ص ٣٧٣ .

كما أورد هذا الحديث ابن كثير عن أبى سعيد ومعاذ مطولا فى تفسيره (١) .

قال الحافظ : (وقد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة ، وحكى البيهقى فى (الاعتقاد) أنه المذهب الصحيح (٢) ، وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف ، فلا عمل فيها ولا ابتلاء .

وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار فى الجنة أو النار . وأما فى عرصات القيامة فلا مانع من ذلك (٣)) .

وأيد مسألة الامتحان فى عرصات القيامة : ابن تيمية ، ولكن بارسال رسول فمن أجابه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار . وقال : (هذا أجود ماقيل فى أطفال المشركين وعليه تتنزل جميع الأحاديث) . وتبعه تلميذاه ابن القيم وابن كثير(٤) وذكر الأخير أن هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، حكى ذلك عن الشيخ ابى الحسن الاشعرى . ولم أجد ذلك فى (المقالات) له بل قال : (امرهم الى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد) ، ولكن وجدت فى (الإبانة) مالفظه : (وقولنا فى أطفال المشركين : إن الله يؤجج لهم فى الاخرة نارا ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية (٥)) .

واعلم ان الخلاف فى مسألة الامتحان فى عرصات القيامة عام لأطفال المشركين والمعتوه والشيخ الخرف واهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة لاشتمال الأحاديث على عموم الاصناف المذكورة ذكر منها ابن كثير عشرة أحاديث بأسانيدها

---

(١) انظر فتح البارى جـ٣ ص ٢٤٦ تفسير ابن كثير جـ٥ ص ٥٢-٥٣-٥٥ .

(٢) لم اجد هذه العبارة فى كتاب الاعتقاد للبيهقى وانما قال بعد ان ذكر حديث الاسود بن سريع وفيه ذكر الاصم والاحمق ومن مات فى الفترة وقال هذا السناد صحيح ولعل الحافظ رحمه الله يريد هذه العبارة والله اعلم . وانظر الإعتقاد للبيهقى ص ١٦٩ .

(٣) فتح البارى لابن حجر جـ٣ ص ٢٤٦ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٢٤٦-٢٤٧ ، تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٥٥ ، تهذيب معالم السنن لابن القيم جـ ٧ ص ٧٧ تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية .

(٥) مقالات الاسلاميين لابى الحسن الاشعرى جـ١ ص ٣٤٩ ، الابانة عن اصول الديانة لابى الحسن الاشعرى ص ٢٨ طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٨٩ .

منها حديث الاسود بن سريع أن نبى الله صلى الله عليه وسلم - قال : (أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة ، فأما الاصم فيقول : رب قد جاء الاسلام وما أسمع شيئا ، وأما الاحمق فيقول : رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما اتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل اليهم أن ادخلوا النار ، فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما) .

وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن ابى رافع عن ابى هريرة مثل هذا الحديث غير أنه قال فى آخره : (من دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن لم يدخلها يسحب اليها (١)) .

ورواه البيهقى فى كتاب الاعتقاد (٢) من طريق ابن المدينى وقال هذا اسناد صحيح .

ومن طريق اخرى عن أنس مرفوعا : (يؤتى يوم القيامة بمن مات فى الفترة والشيخ الفانى والمعتوه والصغير الذى لا يعقل فيتكلمون بحجتهم وعذرهم، فيأتى عنق من النار فيقول لهم ربهم إنى كنت أرسل إلى الناس رسلا من أنفسهم ، وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه النار، فأما من كتب عليهم الشقاوة فيقولون ربنا منها فررنا ، وأما أهل السعادة فينطلقون حتى يدخلوها فيدخل هؤلاء الجنة ويدخل هؤلاء النار، فيقول للذين كانوا لم يطيعوه قد أمرتكم أن تدخلوا النار فعصيتمونى ، وقد عاينتمونى فأنتم لرسلى كنتم أشد تكذيبا (٣) .

---

(١) مسند الامام احمد جـ٤ ص ٢٤ قال ابن حجر الهيثمى ورجاله رجال الصحيح ، كذا فى مجمع الزوائد جـ٤ ص ٢١٦ .

(٢) ص ١٦٩ وهذا لفظ السند غير كلمة (يحتجون) لم اجدها فيه بل ذكرها ابن كثير وفى الاعتقاد ، بدلها (يعنى يدلون على الله بحجة) ولعل هاتين العبارتين مدرجتان من بعض الرواة . والله أعلم .

(٣) الاعتقاد للبيهقى ص ١٦٩-١٧٠ . قال فى مجمع الزوائد رواه ابويعلى والبزار بنحوه وفيه ليث بن ابى سليم وهو مدلس وبقية رجال ابى يعلى رجال الصحيح جـ ٧ ص ٢١٦ من المجمع قلت : وقد عنعن ليث فى هذا الحديث كما هو واضح فى الاعتقاد .

فما منشأ الخلاف ؟ الظاهر - والله أعلم - أن ذلك متعلق بدرجة الأحاديث الواردة فى ذلك من حيث الصحة والضعف لا من حيث التعارض فمن قرر ضعفهـا وعدم الاحتجاج بها أبوعمر بن عبدالبر لأن اهل العلم ينكرونها .

أما من حيث النظر فقد سبق أن الآخرة دار جزاء لا دار تكليف .

وأجيب بأن الأحاديث الواردة فى ذلك منها ماهو صحيح نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء منهم البيهقى، وابن حجر، والهيثمى، ومنها ماهو حسن، ومنها ماهو ضعيف، يقوى بالصحيح والحسن، وهذا ما قرره ابن كثير ومن معه، ردا على ابن عبدالبر ومن معه .

ومن العلماء من صح عنده حديث الامتحان بالنار فى حق المجنون ومن مات فـى الفترة منهم الحافظ ابن حجر والبيهقى وأن من دخل النار كانت عليه بردا وسلامـا ، ومن لم يدخلها يسحب إليها كما سبق ذلك كما فى حديث أبى هريرة .

ومنهم من رجح حديث الامتحان بارسال رسول فى عرصات القيامة فمن أجابـه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

وهذا ماذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذاه ابن القيم وابن كثير (١) وهـذا الاخير سرد عشرة احاديث كلها متعلقة بتفسير قوله تعالى : (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) . ولم يذكر حديث الامتحان الذى استدل به ابن تيمية .

أما ابن الوزير (٢) فقد توقف فى الحكم على مسألة الامتحان بقسميها العرض على النار أو إرسال رسول بعد أن أورد الاحاديث المتعلقة بأهل الفترة وأطفال المشركيـن وأقوال العلماء فى ذلك ، إذ لا حجة واضحة عنده على أن هذه الاحاديث موضوعـة يجوز الجزم بتكذيبها ، وسنة الله تعالى فى إقامة الحجج على خلقه لا تحيل هذا إحالـة قاطعة، كما تحيل تكليف المحال .

وقد قال الله تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلايستطيعون)(٣) فأثبت تكليفا بذلك السجود يوم القيامة . وقد ثبت ان الميت يمتحن ويسأل عن الشهادتين فيثبت الله المؤمن بالقول الثابت ، ويتلجلج الكافر والمنافق أو يقول لا أدرى .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ٥ ص ٥٥ طريق الهجرتين لابن القيم ص ٦٧٤ - ٦٨٩ ومابعدهما .
(٢) انظر ايثار الحق لابن الوزير جـ٢ ص ٣٧٥ وانظر التفاصيل فى العواصم له جـ٣ وهم ٣٠ ، الروض الباسم له جـ٢ ص ١٨١-١٨٦ .
(٣) سورة القلم : ٤٢ .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا [1]).

٥ - وقيل : إن الفطرة هى الخلقة [2] التى خلق عليها المولود فى المعرفة بربه ، فكأنه قال : كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة ، أى خلقة مخالفة لخلقة البهائم التى لا تصل بخلقتها الى معرفته ، وحجتهم على أن الفاطر بمعنى الخالق قوله تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والارض) يعنى خالقهن . وقوله تعالى : (ومالى لا أعبد الذى فطرنى [3]) فالفطرة الخلقة ، وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو ايمان أو معرفة أو انكار وإنما المولود على السلامة فى الأغلب خلقة وطبعا وبنية ، وإنما يعتقدون الكفر والايمان بعد البلوغ .

واحتجوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث السابق (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء - سالمة - هل تحسون فيها من جدعاء) يعنى مقطوعة الاذن ، فكذلك قلوب الاطفال فى حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار كالبهائم السائمة ، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين ، فكفر أكثرهم ، وعصم الله أقلهم [4] .

قالوا : ولو كانت الاطفال قد فطروا على شىء من الكفر والايمان فى أولية أمورهم ما انتقلوا عنه أبدا .

وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون ، ويستحيل فى المعقول أن يكون الطفل فى حين ولادته يعقل كفرا أو ايمانا لأن الله أخرجهم فى حال لا يفقهون معها شيئا (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا [5]) . فمن لا يعلم شيئا استحال منه كفر أو ايمان أو معرفة أو انكار .

---

(١) البخارى تفسير سورة القلم جـ ٦ ص ٧٢ .
(٢) الخلقة فى اللغة : الفطرة : القاموس المحيط للفيروز آبادى جـ٢ ص ٢٢٩ .
(٣) سورة يس : ٢٢ .
(٤) تفسير القرطبى جـ٦ ص ١٠٨٥ وانظر شفاء العليل لابن القيم ص ٦٠٤-٦٠٥ والرسالة التاسعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية المجلد الثانى ص ١٩٢ وما بعدها .
(٥) سورة النحل : ٧٨ .

قال القرطبى : (قال أبوعمر بن عبد البر : هذا اصح ماقيل فى معنى الفطـــرة التى يولد الناس عليها) وأيد القرطبى هذا بقوله : (ويستحيل ان تكون الفطرة المذكورة الاسلام ، لأن الاسلام والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجـــوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهله ذو عقل والله تعالى يقول : (إنما تجزون ماكنتـــم تعملون (١)) (كل نفس بما كسبت رهينة (٢)) . ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشىء وقال : (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا (٣)) .

وممن ذهب الى هذا القول ابن عطيه وابو العباس شيخ القرطبى وعلل ذلك بقولـه : (ان الله تعالى خلق قلوب بنى آدم مؤهلة لقبول الحق ،كما خلق اعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ، فمادامت باقية على ذلك القبول ، وعلى تلك الأُهليـــة أدركت الحق ودين الاسلام ، وهو الدين الحق ، وقد دل على هذا المعنى قولـه : (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) يعنى ان البهيمـــة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات ،فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقى كامـــلا بريئا من العيوب،لكن يتصرف فيه فيجدع أذنه ويوسم وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائـص فيخرج عن الاصل ، وكذلك الانسان ، وهو تشبيه واقع ووجه واضح (٤)) .

وقد نسب الحافظ (٥) هذا الكلام الى القرطبى وهو نسبه الى شيخه ، ولعـــل صاحب البيت أدرى بما فيه . والله أعلم .

قلت : لهذا القول وجهته فى المنقول والمعقول ولولا مخالفته لقول جماهيـــر السلف ودعوى الاجماع على خلافه لكان أقوى الاقوال لقوة مايعتمد عليه من السمـــــع والعقل .

لكن اذا قارنت بين تعليل القرطبى أوشيخه وهوقوله : (ان الله تعالى خلق قلوب بنى آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم قابلة للمرئيات . .) وبيـــن

---

(١) سورة الطور : ١٦ .
(٢) سورة المدثر : ٣٨ .
(٣) سورة الاسراء : ١٥ .
(٤) تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٥١٠٩ - ٥١١١ .
(٥) انظر فتح البارى جـ ٣ ص ٢٤٩ .

كلام النووي السابق وهو قوله : (إن كل مولود يولد متهيئا للاسلام) وبين كلام ابن تيمية ايضا وهوقوله : (الفطرة هى السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة) تجد معانى هذه الالفاظ واحدة او متقاربة ويكون هذا من باب الخلاف اللفظي لا المعنوى ، لأنك اذا قلت : خلق الله قلوب بنى آدم مؤهلة لقبول الحق هى تساوى أو ترادف قولك : كل مولود يولد متهيئا للاسلام .

وقد سبقت المقارنة بين عبارتى الامام النووى وشيخ الاسلام قريبا .

٦- وقيل إن الفطرة التى فطر الله الناس عليها هى دين الاسلام بنص الكتاب والسنة وهذا ما صرح به ابن الوزير بقوله : (إن الله تعالى قد نص على دين الاسلام أنه الفطرة قال تعالى : (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم (١)) .

واتفق اهل الحديث على صحة حديث ابى هريرة فى ذلك . وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (٢)) .

وقد ذكر البغوى فى تفسير هذه الآية الكريمة عن أكثر أهل السنة أنها على عمومها فى السعداء والأشقياء ، واحتج لهم بحديث ابى هريرة فى ذلك وغيره (٣)) .

وقد بحثت فى تفسير البغوى فى هذه الآية ولم أجد ما حكاه ابن الوزير عنه بل ولا فى شرح السنة عند الكلام على حديث ابى هريرة . والظاهر - والله أعلم - أنه وهم فى نسبة النقل كما وهم فى إسناد حادى الارواح إلى ابن تيمية والواقع انه لابن القيم (٤) فهو - رحمه الله - معذور فقد صرح فى عدة مواضع انه كان يكتب من حفظه كما سبقت الاشارة الى ذلك فى ميزانه .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين جـ ٧ ص ٢١٠ ، مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة جـ ٤ ص ٢٠٤٧ .

(٣) ايثار الحق/ لابن الوزير جـ ٢ ص ٢٩٣-٢٩٤

(٤) انظر إيثار الحق لابن الوزير ص ١٢٢-١٢٤

يؤيد ما ذهب اليه ابن الوزير من ان معنى الفطرة الاسلام ما ذكره الحافظ في الفتح فقد بسط اقوال السلف في المراد بالفطرة في حديث ابى هريرة ، وأدلة كل فريق وناقشها وقرر بان المراد بالفطرة الاسلام ، وأنه أشهر الاقوال ، وهو المعروف عند عامة السلف ومن ذلك ما تضمنه القول الثاني لمعاني الفطرة، المنسوب إلى النقاش وابن تيمية في احد قوليه.

كما حكى اجماع اهل العلم بالتأويل على ان المراد بقوله تعالى : فطرت الله التي فطر الناس عليها [١]) الاسلام ، واحتجوا بحديث أبي هريرة السابق ذكره، وبالحديث القدسي الذي رواه مسلم ، عن عياض بن حمار وفيه (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم [٢]) .

وقد رواه غيره فزاد فيه : (حنفاء مسلمين [٣] . قال الحافظ : (وقد رجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى : (فطرت الله) لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الاسلام [٤]) .

يؤكد ذلك ما قاله البخاري في تفسير سورة الروم : (لا تبديل لخلق الله) لدين الله ، والفطرة الاسلام) وبذلك قال ابن جرير وغيره في تفسير سورة الروم [٥] .

فأنت ترى أن ابن الوزير يستدل على أن المعنى الشرعي للفطرة بنص الكتاب والسنة هو دين الاسلام ، لأن اسم الاشارة عائد إلى الدين المذكور في أول الآية المأمور بإقامة الوجه له (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم [٦]) ولم يقل ذلك الخلقة كما يقول أهل القول بان الفطرة الخلقة .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) طرف من حديث رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار جـ٤ ص ٢١٩٧ .
(٣) وذكر الزيادة ابن كثير في تفسيره جـ ٥ ص ٥٣ .
(٤) انظر فتح الباري جـ٣ ص ٢٤٨ وفيه ذكر الزيادة في الحديث .
(٥) البخاري جـ٦ ص ٢٠ تفسير ابن جرير جـ٢١ ص ٤٠ . ولمزيد من التفاصيل انظر تفسير البغوي في هامش الخازن جـ٥ ص ٢٠٨-٢٠٩ الحلبي ط. ثانية ١٣٧٥ هـ، وشرح السنة للبغوي جـ١ ص ١٥٤-١٦٢ حققه وعلق عليه وخرج احاديثه شعيب الارناؤط وزهير الشاويش ط. اولى المكتب الاسلامي سنة ١٣٩٠هـ.
(٦) سورة الروم : ٣٠ .

ومعلوم ان الدين القيم هو دين الاسلام ، يقوى هذا حديث (ما من مولود يولد الا وهو على الملة) (١) ولم يقل يولد على الخلقة . ومعلوم ان المراد بالملة هنا الاسلام ، ملة ابراهيم - عليه السلام - التى أمر الله تعالى النبى - عليه الصلاة والسلام - باتباعها فى هذه الآية وغيرها (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين) (٢) . (وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا . . (٣)) .

فالمخالف فى القول السابق يستدل بالمعنى اللغوى للفطرة ، وابن الوزير يستدل بالمعنى الشرعى . ومعلوم ان الشرع مقدم على اللغة عند التعارض . والله أعلم .

- محاولة للجمع بين الأقوال السابقة لمعانى الفطرة وأدلتها :

إذا رجعت الى استعراض الأقوال السابقة وأدلتها يخيل إليك أن المعارضة بلغت أوجها لقوة أدلتها لاسيما بعضها ولكن اذا أمعنت النظر فيها تجد أن منشأ الخلاف - والله أعلم - هو أن استدلال بعض الاقوال مأخوذ من المعانى اللغوية للالفاظ والبعض الآخر مأخوذ من المعانى الشرعية كما أن بعض الإستدلال متعلق بالقضاء والقدر .

فأنت اذا رجعت إلى ماقررته من أن المعنى الشرعى مقدم على المعنى اللغوى عند التعارض سهل عليك فهم الاستدلال لبعض الاقوال من المعانى اللغوية كما أشرت الى ذلك .

وإذا نظرت الى ماقرره الامام النووى وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن كثير من أن الفطرة هى السلامة من الاعتقادات الباطلة والتهيؤ للعقائد الصحيحة فانه يحمل على الاسلام الفطرى الذى هو التهيؤ والاستعداد للاسلام الشرعى ، بيان ذلك أن الاسلام الفطرى موجود فى كل إنسان حتى فى الكفار ، وإن كابروا وجحدوا بخلاف الاسلام الشرعى فإنه مكتسب بالإرادة والتعلم والعمل ، وبناء على ذلك فيحمل القول بأن الفطرة هى الاسلام على الاسلام الفطرى فيما قبل البلوغ ، أما بعده

---

(١) متفق عليه البخارى كتاب القدر باب الله أعلم بماكانوا عاملين جـ ٧ ص ٢١٠-٢١١
مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة جـ ٤ ص ٢٠٤٧ .

(٢) سورة النحل : ١٢٢ .

(٣) سورة الحج : ٧٨ .

فلابد من أمرين : إما الاستمرار فى الاسلام الفطرى الموصل الى الاسلام الشرعـــى وينطبق على ذلك حديث (كل مولود يولد على الفطرة) وطبقا لما سبق فى علم اللـــه الأزلى من السعادة ، وإما الخروج عن الفطرة بكل معانيها باتباع شياطين الانـــس والجن بما فيهم الأبوان ، مصداق ذلك الحديث القدسى الصحيح : (إنى خلقـــت عبادى حنفاء كلهم وإنهم آتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) ولقوله : (فأبـــواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه .) وطبقا أيضا لما سبق فى علم الله من الشقاوة، وبذلـــك يتم التوفيق بين الادلة، ان شاء الله، إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفيقـــى الا بالله ، والله أعلم . وبما انه قد طال بنا الكلام على معانى الفطرة ، فننتقل الى طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع مع الاشارة الى منهج المتكلمين والصوفيين وباللـــه العون والتوفيق .

المبحث الثانــــــي

طريقة ابن الوزيـر

فــــي

اثبــــات الصانــــــــع

تمهيـــد :

ان المفكرين القائلين بوجود الصانع قد سلكوا طرقا متعددة ومناهج مختلفة فى إثبات صانع العالم وموجده من العدم إلى الوجود، والدخول فى تفاصيل هذه الطرق لا يهمنا ، وإنما الذى يهمنا هو طريقة ابن الوزير ، ولكن لا مانع لدينا من الاشارة الى ذلك فنقول : بعض المفكرين استخدم الجانب العقلى وحده ،وقدمه على الجانب السمعى ، وذلك عن طريق المقدمات والنتائج المنطقية والفلسفية والبعض الاخر سلك طريق دلالة الاكوان وغيرها من الطرق الملتوية والمعقدة والمثيرة للشبهات والشكوك .

وقد بررواسلكهم هذا بأن العقل - عندهم - هو المنطلق الأساسى الذى يجب أن يصدر عنه إثبات مسائل العقيدة ، ومن أهمها إثبات الصانع وأسمائه وصفاته وهذا هو المشهور عن جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة (١) .

وقد انتقد هذه الطرق كثير من المفكرين منهم ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ فى كتابه (مناهج الادلة) (٢) وشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ فى كثير من كتبه وبالأخص فى كتابيه (بيان تلبيس الجهمية) (٣) و (النبوات) (٤) وابن الوزير فى كتابه (البرهان القاطع فى معرفة الصانع) (٥) وغيرهم من المفكرين المسلمين .

أما الصوفية فطرقهم ليست نظرية - أى غير مركبة من مقدمات ونتائج - وإنما يزعمون أن المعرفة بالله تعالى وبغيره من الموجودات شيء يلقى فى النفس عند تجردها من العوارض الشهوانية ، وإقبالها بالفكرة على المطلوب ، ويحتجون بظواهر من الشرع ، مثل قوله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله (٦)) ومثل قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (٧) .

---

(١) انظر التفاصيل فى الاحياء للغزالى جـ١ ص ١٠٦ وشرح العقائد النسفية للتفتازانى جـ١ ص ٨٣ ومابعدها مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، مصباح العلوم للرصاص ص ٨ .

(٢) ص ١٥٠ ومابعدها تحقيق الدكتور محمود قاسم .

(٣) جـ ١ ص ١٤١ ومابعدها مطبعة الحكومة السعودية بمكة المكرمة .

(٤) ص ١٤٧-١٤٨ الناشر مكتبة الرياض الحديثة . وانظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول حاشية منهاج السنة لابن تيمية جـ٣ ص ٢٢٤ ط. بولاق سنة ١٣٢٢هـ.

(٥) ص ٥١-٥٣ المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٩هـ.

(٦) سورة البقرة : ٢٨٣ .

(٧) سورة العنكبوت : ٦٩ .

وقد انتقد ابن رشد (١) هذه الطريقة أيضا بانه ان سُلِّم وجودها فهى ليست عامة ، ولو كانت هى المقصودة بالناس لبطل النظر ، ولكان وجودها بالناس عبثا .

والقرآن الكريم إنما هو دعاء الى النظر والاعتبار ، والتنبيه على طرق النظر.

وقد نقل شيخ الاسلام هذه الطريقة فى كتابه (بيان تلبيس الجهمية (٢)) وعلق عليها بما حاصله : إن القول بمجرد ترك الشهوات ، والتجرد المحض يوجب معرفة ماجاءت به الرسل من غير نظر فيه ولا تدبر ليس طريق القوم الذين لهم فى الامة لسان صدق ، ولهذا وصيتهم بالعلم الشرعى والمحافظة عليه فى الأصول الخبرية ، وفى الاعمال أعظم من أن يذكر .

نعم فيهم من قد تجرد لبعض العبادات كالذكر ، ويوصون بذلك فى الابتداء ، ليصفى به القلب ، ويثبت على الإيمان ، وينقطع عن الالتفات الى غير الله .

هذا ولم أجد تعليقا لابن الوزير على طريقة الصوفية هذه .

أما طريقة المتكلمين ، فيرى أنها مخالفة لطريقة الانبياء - عليهم السلام - الذين جاءوا بتفاصيل الدين التى لم يأت بها أحد من أهل النظر ، بل ولا ادعاه وأن الانبياء كانوا مجانبين لهذه الطريقة بقوله : (إنهم - اى الانبياء - مهملون للأنظار الكلامية ، مجانبون لطرائق المتكلمين المنطقية ، لم يدرسوا على أحد من أهل صناعة الاستدلال كتابا ، ولا سمعوا من واحد كلاما ، يجلس الواحد منهم أربعين سنة لا يخوض فى شىء من الإلهيات ، ولا يكسب المطالب النظريات ، ثم يخوض دفعة واحدة فى الاحكام الأزلية ، والنعوت الخفية ، والأمور التى احتجبت عن أذكياء البرية ، بحيث لو اجتمع عليه جميع الفلاسفة وشُعَل الذكاء المتقدة ، من المتقدمين والمتأخرين والفلاسفة والمسلمين ، يوردون عليه الشبه التى تتحير فيها أفهام الفطناء ، وتدحض فى مزالقها أقدام الاذكياء ، ما أصغى إلى كلامهم ، ولا مال إلى مقالاتهم ، ولا قدحت قوياتُ شبههم نارَ الشك فى قلبه ، ولا تردد فى الجزم على اعتقاده (٣)) .

---

(١) مناهج الادلة ص ١٥٠ .

(٢) جـ ١ ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) البرهان القاطع فى اثبات الصانع لابن الوزير ص ٥١ - ٥٢ .

ثم يمضى ابن الوزير مؤكدا خطأ الطريقة التى سلكها المتكلمون فى إثبات الصانع، بأن الانبياء لم يسلكوها ولو كان كذلك لنقل إلينا فيقول : (إنهم لو اشتغلوا بالنظر لنقل الينا نظرهم ، وكيفية استدلالهم ، وإذن للقنوا أتباعهم المصدقين لهم ، الأدلة التى هى أصول الاسلام ، والتى لولاها لما عرفوا الله تعالى - اى على زعم المتكلمين - لكنهم حرصوا على تعليمهم الشرائع ، والآداب ، حتى كيفية قضاء الحاجة ، وأهملوا تعليمهم الدلائل ، وتعليمهم كيفية حل الشبه ، ولو كان ذلك هو طريق الانبياء الى معرفة الله - تعالى - لكانت الكتب التى جاءوا بها - كالقرآن الكريم وغيره - مشحونة بذكر الأعراض ، والدليل على أنها أمور ثبوتية حقيقية ، لا خيالية إضافية (١)).

قلت : قد يقال إنه يستفاد من كلام ابن الوزير السابق انه ينكر النظر ومعظم كتبه مشحونة بالنظر لاسيما (العواصم والقواصم) فما هو الجواب ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الاول : أنه ينكر الاعتماد على النظر العقلى فى الوصول الى العقائد الإلهية المخالفة لطريقة الرسل عليهم السلام وطريقة السلف .

الوجه الثانى : أنه ممن يستخدم النظر ولكن فى فهم نصوص الكتاب والسنة ، وفيما للعقل فيه مجال كالتفكر فى الكون ، ومافيه من الآيات المشهودة حيث ندب الشرع إلى ذلك ، بل أثنى على مستخدمى العقل فى عجائب المخلوقات لأنها بدورها موصلة الى الايمان بوجود صانع حكيم ، ألا وهو الله - سبحانه وتعالى - خالق السموات والارض . وقد رفع القرآن الكريم من شأن العقلاء المفكرين بهذه الطريقة بقوله تعالى : (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (٢)) . وأمثال ذلك فى القرآن كثير . بخلاف التفكر فى الخالق فانه منهى عنه شرعا لحديث أبى هريرة مرفوعا : (يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته (٣)) .

(١) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٥٣-٥٤ .
(٢) سورة ال عمران : ١٩١ .
(٣) مسلم كتاب الايمان باب بيان الوسوسة ، ج ١ ص ١٢٠ ، البخارى ج٤ بدء الخلق باب صفة إبليس ص ٩٢ ، مسند أحمد ج٢ ص ١٦١ .

الوجه الثالث : أن الحكماء والمتكلمين يجعلون النظر اول مايبدأون بـه ، ويكلفون الناس أول مايكلفونهم بالنظر ، ولذلك يقولون أول واجب على المكلف النظـر ، وبعضهم يقول : اول واجب على المكلف الشك .

أما ابن الوزير ومن اقتفى أثرهم فانهم يقولون أول واجب على المكلف الإيمـان بالله ، ثم يأتى النظر فى مراحل متأخرة فى أمور يحتاج إليها كرد شبه المخالفيـن ، ونقض أدلتهم .

ويضرب ابن الوزير لهذا بمثلين :

الأول : انه حين يرشُد الطفل ، ويأتى لنبى زمانه ، فإن هذا النبى لا يكلفه بالنظر ، وإنما يلقنه الاعتقاد بوجود الله سبحانه .

المثل الثانى : أنه ماثبت أن مشركا أتى نبى زمانه ثم كلفه هذا النبى بالنظـر ولكن يلقنه الاعتقاد الصحيح .

والمتكلمون والحكماء على نقيض هذه الحال .

قال ابن الوزير : (إن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بل الانبياء كافـة ماكانوا يأمرون الصبى اذا بلغ التكليف بالنظر الى الأدلة ولا الكافر الذى يأتى مصمما على إنكار الله وجميع الشرائع بالنظر قبل تصديق النبى فى إثبات الصانع . . .

فان قيل : إنه يجوز أنهم كانوا قد نظروا وأن النبى - صلى الله عليه وسلـم - علم ذلك ، وكان ذلك هو الظاهر منهم ، والنبى صلى الله عليه وسلم يحكـم بالظاهر ، قلنا الظاهر أنهم كانوا يعرفون الله بمعجز النبى صلى الله عليـه وسلم أو قرائن صدقه ، وإنما كانوا يفرّعون جميع عقائدهم على تصديق النبى - صلـى الله عليه وآله وسلم - بالمعجز فهم أو أكثرهم استفادوا معرفة الله من الانبيـاء ، والذى يدل على هذا أن العلم بالله من طريق الاستدلال لايحصل لأحد إلا بعـد الإتقان لأدلة المتكلمين ، بل كثير من الناس يفنى عمره فى درسها ومايحصل علـى طائل من تحقيقهـا ، بل الأقل من العلماء هو الذى يستفيد من هذا الفـن . ويتمكن من رد الشبه ودفع المناظرين .

ولو أن العامى المغفل أتى بأدلة المتكلمين وأجوبتهم عن الفلاسفة وإن غير العبارة - من غير أن يأخذ عن شيخ ولا يدرس كتابا لكان ذلك من قبيل المعجـز الخارق للعادات (١)) .

---

(١) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٧ - ٣٨

وقد جمع ابن الوزير - رحمه الله - بين هذه الأنماط في كثير من كلامه .
وقد سبق بيان شيء من ذلك في الكلام على (منهجه في البحث العلمي) .
كما سيأتي شيء أيضا من ذلك في الطريقة التي سلكها في اثبات الصانع قريبا ان شاء اللهتعالى .

ومن هنا أمر الشرع بالاقتصاد في الاعتقاد وغيره من مسائل الدين ، ومن شدد شدد الله عليه . قال الله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم (١)) . وفي الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا : (إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ...) . وفي رواية (سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا (٢)) . وهذا لفظ البخاري .

وفي سنن البيهقي (٣) بلفظ : (إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت ابدا واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا) .

وذكره الالباني في سلسلة الضعيفة وقال بعد أن سرد رجاله : (وهذا اسند ضعيف وله علتان : جهالة مولى عمر بن عبد العزيز وضعف ابي صالح .. ويغني عنه رواية الصحيحين (٤)) .

والدليل على ماذكرته من ان ابن الوزير لا يمنع النظر على الاسلوب المذكور قوله : (فان قيل ففيم يكون النظر ؟ قلت : في أمرين :

الاول في المخلوقات البديعة الصنعة ، اللطيفة الحكمة ، من سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وحيوانات محكمات ، ذوات الات وأدوات ، منها آلات النظر والشم والسمع والطعم ، كالاذن والعين والانف والفم .. فإنك عندما تنظر إلى ذلك تعلم ضرورة عقيب النظر أن لها صانعا عالما حكيما قادرا ...

---

(١) سورة التغابن : ١٦ .
(٢) البخاري ج١ كتاب الإيمان باب الدين يسر ص ١٥ وفي كتاب الرقاق ج ٧ باب القصد والمداومة على العمل ص ١٨١ ، مسلم كتاب المنافقين ج٤ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ص ٢١٧١ والترمذي في تفسير سورة النساء ج ٨ ، ص ٤٠١ ، مسند احمد ج٢ ص١٦٧ ، كشف الخفا للعجلوني ج١ ص ٣٠٠ ، والنهاية لابن الاثير ج١ ص ٩٢ .
(٣) ج ٣ ص ١٩ .
(٤) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة للالباني ج١ ص ٢١ المكتب الاسلامي .

الامر الثانى مما يفيد النظرُ فيه العلمَ هو قصص الأنبياء وأحوالهم .

وكذلك(*) لماكان طريقا يفيد العلم ويشرح الصدر ، ويثلج الفؤاد أكثر الله من ذكر أحاديثهم فى الكتاب العزيز . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب(١)) وبقوله تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك (٢)) .

فهذا كله دليل واضح على أن النظر فى أحوالهم يفيد العلم(٣)) .

قلت : وهل يصح القول بعد هذا أن ابن الوزير يمنع النظر المطلوب شرعا ؟ كيف وقد سلك طريقة القرآن الكريم فى إثبات الصانع كما سيأتى بيانه قريبا إن شاء الله تعالى .

والقرآن الكريم قد حث على النظر فى آيات الله الكونية والوقائع التاريخية مايقارب سبع عشرة آية فى خمس عشرة سورة من القران الكريم .

من ذلك قوله تعالى : (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض(٤)) وقوله (قل انظروا ماذا فى السموات والارض (٥)) وقوله : (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج (٦)) وقوله (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٧)) .

كما شدد النكير على المعرضين عن النظر والتفكر فى آيات الله ومخلوقاته الدالة على أن لها صانعا حكيما ، كالسموات من كونها منصوبة بغير عمد ومافيها من الكواكب السيارة والثوابت والزينة ، وكذلك فى الارض ومافيها من الجبال والبحار والانهار والحيوان ، كلها شاهدة على صنع الله لها ، واكثر الناس يمرون على هذه الآيات غير ملتفتين ولا متفكرين فيما تدل عليه من وجود صانعها . قال الله تعالى (وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون (٨)) .

---

(١) سورة يوسف : ١١١ .
(٢) سورة هود : ١٢٠ .
(٣) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٦٧-٦٨ .
(٤) سورة الاعراف : ١٨٥ .
(٥) سورة يونس : ١٠١ .
(٦) سورة ق : ٦ .
(٧) سورة الانعام : ١١ .
(٨) سورة يوسف : ١٠٥ .
(*) هكذا فى النص والظاهر أن الكاف زائدة وبحذفها يستقيم المعنى .

وهؤلاء أشبه بالأنعام التى لا تهتم إلا بطعامها وشرابها وسائر شهواتها، بل هؤلاء أضل من الأنعام بكثير، (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١)).

هذا بالنسبة إلى الأمر الأول الذى ذكره ابن الوزير وهو النظر فى المخلوقات.

أما بالنسبة للنظر فى الامر الثانى وهو النظر فى قصص الانبياء وأحوالهم ، ففى قصصهم عبرة وأى عبرة . إنها عبرة لذوى العقول ، عبرة للطغاة ، عبرة للجبابرة ، عبرة للمكذبين ، عبرة للدعاة الى الله ، بل وعبرة للانبياء أنفسهم ، عبرة للاحقين فى السابقين .

أما العبرة للطغاة والجبابرة والمكذبين ، فانظر ماذا كان مصير فرعون وقومه بعد ادعاء الربوبية وتجاوز حد الطغيان وتكذيب موسى عليه السلام ، وكيف كان مصير الذى حاج إبراهيم فى ربه بعد أن كذب وطغى وادعى انه قادر على أن يحيي ويميت وقذف بإبراهيم - عليه السلام - فى النار فكانت عليه بردا وسلاما ، وكيف كان مصير قارون الذى بغى على موسى وقومه ؟ وكيف كان مصير قوم نوح لما عبدوا الاصنام لاول مرة فى الارض ؟ وكيف كان مصير عاد قوم هود، لما استكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة وكذبوا هودا عليه السلام ؟ وكيف كان مصير ثمود قوم صالح عليه السلام لما كذبوه وعصوه وعقروا الناقة ؟ وكذلك مدين قوم شعيب وقوم لوط وسائر الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم . وانظر كيف استجاب الله دعاء الانبياء وأهلك أعداءهم، (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٢)).

ثم انظر كيف كان مصير سادات الكفر والشرك من قريش الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الايذاء وتآمروا على قتله ، وخيب الله كيدهم ونجاه من شرهم ، فناصبوه العداء وأخرجوه من بلاده . (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (٣) . كيف كان مصير هؤلاء يوم

---

(١) سورة الاعراف : ١٧٩.
(٢) سورة العنكبوت : ٤٠.
(٣) سورة الانفال : ٣٠.

بدر وغيره . انظر كيف ظهر الاسلام وبلغ نوره مشارق الارض ومغاربها على أيدى أولئك المستضعفين المعذبين تحت سياط رؤساء الكفر والضلال من قريش حينما بدأ الاسلام غريبا، ولكنهم لما حملوا راية الاسلام وعلى رأسهم القائد الاعظم صلى الله عليه وسلم دانت لهم الدنيا بملوكها، واصبحوا قادة العالم بعد أن كان يقال لبعضهم يارويعى الغنم .

وأما عبرة الأنبياء اللاحقين من قصص السابقين فهى التسلية والمواساة لهم بما حصل لاخوانهم وأن هذه سنة الله فى أنبيائه ورسله مع أقوامهم (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبائى المرسلين (1)) (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (2)) وغير ذلك من الايات كثير .

وأما عبرة الدعاة الى الله - عز وجل - فعليهم ان يصبروا ويتسلوا بما لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم من الاذى والمتاعب والسخرية ، وان يغذوا وينموا معنوياتهم بدراسة سيرته العطرة ليثبتوا امام قوى الطغيان ولا يهنوا ولا يهولنهم ذلك ، فالعاقبة للمتقين ، وهى احدى الحسنيين ، والله لا يخلف الميعاد ، فقد وعد المؤمنين بالاستخلاف فى الارض (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا (3)) . اكتفى بهذه الاشارة، ولولا خوف التطويل والخروج عن موضوع الرسالة لكتبت بحثا مستقلا فى الأمرين الذين ذكرهما ابن الوزير - رحمه الله - وهما النظر فى المخلوقات ، والنظر فى قصص الانبياء عليهم السلام ، ولكن فى هذه اللمحة كفاية ان شاء الله تعالى .

...

---

(1) سورة الانعام : ٣٤ .

(2) سورة الاحقاف : ٣٥

(3) سورة النور : ٥٥ .

بعض العلماء يؤيد اعتراض ابن الوزير على طريقة المتكلمين في إثبات الصانع :

سبق قريبا أن قلت : إن ممن انتقد هذه الطريقة كثير من المفكرين ، منهم ابن رشد وشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهما ، والاعتراضات كثيرة ولكن سأذكر نماذج منها :

أولا : انتقاد ابن تيمية بقوله : (والمقصود هنا أن المبتدعين الذين ابتدعوا كلاما وأصولا تخالف الكتاب وهي أيضا مخالفة للميزان وهو العدل ، فهي مخالفة للسمع والعقل ، كما ابتدعوا في إثبات الصانع إثباته بحدوث الاجسام وأثبتوا حدوث الاجسام بأنها مستلزمة للأعراض(١) لا تنفك عنها ، قالوا : ومالا يخلوا عن الحادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها . فهؤلاء إذا حقق عليهم ماقالوه لم يوجدوا قد أثبتوا العلم بالصانع ولا أثبتوا النبوة ولا أثبتوا المعاد ، وهذه هي أصول الدين والإيمان ، بل كلامهم في الخلق والبعث المبدأ والمعاد ، وفي إثبات الصانع ليس فيه تحقيق العلم لا عقلا ولا نقلا ، وهم معترفون بذلك كما قال الرازي سنة ٦٠٦ هـ : " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، إقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (٢) (ولا يحيطون به علما (٣)) واقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى (٤)) (إليه يصعد الكلم الطيب (٥) (أأمنتم من في السماء (٦)) ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي . وكذلك الغزالي سنة ٥٠٥ هـ وابن عقيل سنة ٥١٣ هـ وغيرهما يقولون مايشبه هذا ، وهو كما قالوا فإن الرازي قد جمع ماجمعه من طرق المتكلمين والفلاسفة ، ومع هذا فليس في كتبه إثبات الصانع ، وسبب ذلك إعراضهم عن الفطرة العقلية ، والشرعة النبوية ، بما ابتدعه المبتدعون مما أفسدوا به الفطرة والشرعة ، فصاروا يسفسطون في العقليات ، ويقرمطون في السمعيات (٧)) .

---

(١) الاعراض جمع عرض وهو في اصطلاح المتكلمين مالا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به وهو خلاف الجوهر وذلك نحو حمرة الخجل وصفرة الوجل ، مصباح جـ٢ ص٥٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) سورة طه : ١١٠

(٤) سورة طه : ٥ .

(٥) سورة فاطر : ١٠ .

(٦) سورة الملك : ١٦ .

ملاحظة : شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لم يرتب الافكار حسب الوفيات كما هو المتبع في عصرنا الحاضر فتركته كما هو بين القوسين .

(٧) النبوات لابن تيمية ص ١٤٧-١٤٨ وانظر بيان تلبيس الجهمية له جـ١ ص ١٤١ ومابعدها .

ومن قبله ابن رشد نقد طريقة المتكلمين والفلاسفة ، وعلل ذلك بأنها ليست الطريقة الشرعية التى نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم ، واستدل بطريقتى العناية والاختراع لأنهما طريقتا القرآن ، ووصفهما بانهما الصراط المستقيم التى دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده ، ونبههم على ذلك بما جعل فى فطرهم من إدراك هذا المعنى بقوله : (.. فإن قيل فإذن قد تبين أن هذه الطرق كلها ليست واحدة منها هى الطريقة الشرعية التى دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم إلى الاقرار بوجود البارى - سبحانه - فما هى الطريقة الشرعية التى نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ؟ قلنا الطريق التى نبه الكتاب العزيز ودعا الكل من بابها اذا استقرىء الكتاب العزيز وجدت تنحصر فى جنسين :

أحدهما طريق الوقوف على العناية بالانسان ، وخلق جميع الموجودات من أجله ولنسم هذه العناية .

الثانية : مايظهر من اختراع الاشياء الموجودات مثل اختراع الحياة فى الجماد ، والادراكات الحسية والعقل ولنسم هذه دليل الاختراع) (١) .

ومن الملاحظ على ابن رشد هو قوله : (.. التى دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم الى الاقرار بالبارى سبحانه) ففطرة الناس التى فطرهم الله عليها واحدة لقوله تعالى (فطرت الله التى فطر الناس عليها (٢)) ولم يقل فطر الله المتعددة ولحديث (كل مولود يولد على الفطرة (٣)) وقد سبق الكلام على ذلك .

وقد مثل ابن رشد وابن تيمية للعناية بقوله تعالى : (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا .. الى قوله تعالى : وجنات ألفافا (٤))

---

(١) مناهج الادلة لابن رشد ص ١٥٠-١٥٢

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) متفق عليه وقد سبق تخريجه عدة مرات ص ١٢٦ - ٢٥٠ - ٢٧٠

(٤) سورة النبأ: ٦-١٦ .

وبقوله تعالى : (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجنا وقمـــرا منيرا ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا [١])
وبقوله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه، أنا صببنا الماء صبا . .) الايات [٢] .
ومثلا للاختراع بقوله تعالى : (فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق [٣])
وبقوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت)الايات [٤]
وغير ذلك من الآيات .

ومثلا للجمع بين الدلالتين بقوله تعالى : (يا ايها الناس اعبدوا ربكـــم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنـــدادا وانتم تعلمون [٥]) .

فالاولى على دلالة الاختراع ، والثانية على العناية ، وأكثر الآيات الواردة فـــى هذا المعنى يوجد فيها النوعان [٦] .

وقد ذم ابن الوزير الذين يسلكون الطرق الملتوية من علماء الكلام ويعرضون عن كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن الفطرة التى فطر الله الناس عليها قائلا : (فتعين حينئذ طلب الطريقة القريبة الممكنة التى هى فطرة اللــــه التى فطر الناس عليها كما نص على ذلك فى كتابه الكريم ، وسنة رسوله - عليه افضـــل الصلاة والسلام - ولولا ماوقع فيها من التغيير لما احتاجت الى طلب ولكنه قد وقع فيها التغيير كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق علـــى صحته عند اهل النقل ، وفيه تفسير الفطرة وتقريرها من المبلغ المبين لما أنزل عليه من الهدى والنور حيث قال : (كل مولود يولد على الفطرة [٧] . . . .) .

---

(١) سورة الفرقان : ٦١-٦٢
(٢) سورة عبس : ٢٤-٣٢ .
(٣) سورة الطارق : ٥-٦ .
(٤) سورة الغاشية : ١٧-٢٠ .
(٥) سورة البقرة : ٢٢ .
(٦) انظر التفصيل فى بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية جـ١ ص ١٧٤ ، مناهج الادلـــة لابن رشد ص ١٥٣-١٥٤ .
(٧) ايثار الحق لابن الوزير ص ٩ والحديث متفق عليه وقد سبق كاملا مخرجا اكثر مـــن مرة وانظر ص ٢٥٠

ويقرر ابن الوزير أيضا أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها متضمنة سبعة أمور وهي كالآتي :

(١- إثبات العلوم الضرورية التي يبتني الاسلام على ثبوتها .

٢- ثبوت الرب عز وجل .

٣- توحيده سبحانه وتعالى .

٤- كماله بأسمائه الحسنى .

٥- ثبوت النبوات وصحتها في الجملة .

٦- الايمان بجميعهم وعدم التفريق بينهم .

٧- ترك الابتداع في دينهم بالزيادة على ماجاءوا به والنقص منه) .

فاذا أمعنت النظر في هذه الأمور بالفطرة الاولى- السليمة من التغيير بالعادات والطوارىء المغيرات-لم تشك أن الخطر المخوف من عقاب الآخرة مأمون فيها .

أما الستة الاول فمجموعها هو دين الاسلام الذي فطر الله عباده على معرفته والخلاف في كل واحد منها كفر مجمع عليه ، والأدلة عليه جلية وفاقية بين المسلمين ولا يمكن وجود أحوط منها ولا أولى ولا أحرى كما قال تعالى : (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) (١) . اي طلبوا لأنفسهم النجاة،وأما السابع وهو عدم الزيادة والنقص في الدين فهو العصمة من البدع المفرقة بين المسلمين وهو لاحق بما قبله في ثبوته في الفطرة ، لكن لا يثبت فيه خق التكفير غالبا (٢) . وقد سبق الكلام على التكفير في الفصل الاول من الباب الثاني عند الكلام على حديث افتراق الأمة .

والحاصل أنك إذا عرفت أن التدين أمر فطري في الانسان وأن الانبياء عليهم السلام - قد جاءوا ببيان ذلك - وأن القول بوجود الله عز وجل أمر فطري أيضا لم يشذ بجحده من الامم السابقة غير فرعون اللعين والدهريين السابقين والمعاصرين الماديين الملحدين على ماسبق من تناقضهم .

وعرفت معنى الفطرة على مامضى في المناقشة السابقة في معناها وأن استخدام العقل في الآيات الكونية والقرآنية قد حث عليه الشرع إذا عرفت هذا وغيره مما سبق

---

(١) سورة الجن : ١٤ .

(٢) ايثار الحق مع تصرف بسيط ج١ ص ١٧-١٨ . وتفسير ابن كثير ج٨ ص ٢٦٩ .

فى هذا البحث فاعلم أن ابن الوزير قد سلك فى استدلاله على اثبات وجود الله -عز وجل - طريقة الانبياء - عليهم السلام - ووصفها بأنها أصح الطرق وأوضحها وآمنها من المهالك ، وأن سالكها سيكون مقصوده مضمونا لأنها على مناهج الرسل والسلف . قال ابن الوزير فى وصفها : (والطرق الى الله -عز وجل - كثيرة جدا ، ولكنا نقتصر على أصحها وأجلاها وأوضحها وأشفاها ، حتى نأمن بالسلوك فيها من الضلال فى الطرق التى تبعد السائر عن مقصوده ، والعياذ بالله ، وإلى تلك الطرق الاشارة بقوله تعالى : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١) .

وقد يكون فيها مايستلزم رد كثير من الشرائع .. فمن نظر فى معرفة الله -عز وجل - من غير هذه الطريق كان كمن ضل الطريق واجتهد فى السير بعد الضلال فلا يزال يزداد بعدا بسيره فى غير طريق (٢)) .

وقد صنف ابن الوزير طريقته التى سلكها فى الاستدلال على وجود الله -عز وجل - أربعة أصناف وسماها دلالات وكلها دل عليها القرآن الكريم الذى وصفه الله -سبحانه - بأنه يهدى للتى هى أقوم (٣) وهى الآتى ذكرها :

الطريقة الاولى : دلالة الفطرة :

وقد بدأ بها ابن الوزير لما يرى من ان الطريق الى معرفة الله - عز وجل - لاتحتاج الى هذه الطرق الملتوية المعقدة لأن دلالتها من أوضح المعارف التى دلت عليها الفطرة التى خلق الخلق عليها ، ولأنها طريقة القرآن وطريقة الانبياء عليهم السلام .

ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء والاولياء : إنه ضرورى لايحتاج إلى نظر . وقال آخرون : إنما يحتاج الى تذكر يوقظ من سنة الغفلة كتذكر الموت ، الذى تقع الغفلة عنه وهو ضرورى ، حتى قال الله تعالى - فى مخاطبة العقلاء -: (إنك ميت وإنهم ميتون) (٤) وقال : (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) (٥) ونحو ذلك

---

(١) سورة الانعام : ١٥٣ .
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٤٣ . وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره محمد الموصلى جـ١ ص ٦٩ . ط . بيروت سنة ١٤٠٥ هـ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٣ .
(٤) سورة الزمر : ٣٠ .
(٥) سورة المؤمنون : ١٥ .

مما أشار اليه القرآن لكريم ، حيث حكى الله تعالى - عن الرسل عليهم السلام - قولهم لأقوامهم المكذبين برسالتهم المستلزمة لوجود من أرسلهم، على سبيل التقريع والتوبيخ : (أفي الله شك فاطر السموات والارض) (١) .

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضي الله عنه :

(فهو الذى تشهد له أعلام الوجود ، على إقرار قلب ذى الجحود) (٢) .

وقد سبق الكلام - مستفيضا - على الفطرة التى فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها فلا داعى للإعادة ، وإنما نعرض لطريقة ابن الوزير الثانية التى سماها دلالة الانفس .

...

---

(١) سورة ابراهيم : ١٠

(٢) نهج البلاغة للشريف الرضى مع شرح الامام محمد عبده جـ ١ ص ٩٩ ط . بيروت .

الطريقــة الثانيـــة

دلالــة الانفـــس

إن فى كيان الانسان بما فيه من جسد وروح لدلالة واضحة على وجود الله -عز وجل - ذلك لما فيه من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ، حتى سبيلى الغائط والبول ، فإن الانسان ياكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين . كذلك بديع صنع الله - تعالى - وحكمته فى عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من الارض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام ، وفى أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة ، وما أكثر الآيات التى تصور نمو الانسان من نطفة الى شيخ يرد الى أرذل العمر ، خلقا من بعد خلق ، وما بينهما من مراحل (١) .

فالقرآن الكريم يخاطب الانسان ذا العقل السليم ليفكر فى تكوينه الجسمى (وفى انفسكم افلا تبصرون) (٢) لذلك يقول ابن الوزير :

(أما دلالة الأنفس فإنها بليغة) (٣) .

قلت : بل فيها مايشير الى الاعجاز والتحدى لهذا الانسان الذى يملأ الارض ضجيجا ، ويتعالى بنفسه وعلمه . ومع هذا لم يعرف حقيقة نفسه أو روحه التى بها حياته .

إن فى النفس البشرية آيات تدل على أن هنالك صانعا صنعها وأتقنها وهو الله الخالق المتفرد بالربوبية والألوهية على خلقه اجمعين .

ثم ذكر ابن الوزير - رحمه الله - قوله تعالى : (قتل الانسان ما أكفره ، من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره) (٤) . من الذى خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم يخرجه طفلا ذا بصر وسمع وعقل وحواس اخرى ؟ من الذى خلق من الماء المهين او من حيوان لا يرى إلا بالمجهر هذا الإنسان الذى منه المفسد فى الارض ومنه المصلح ومنه المتكبر ومنه المتواضع ومنه ومنه . . وكيف يحمل ملامح ولون أبويه .

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٤٣ ومابعدها .
(٢) سورة الذاريات : ٢١
(٣) الايثار لابن الوزير ص ٤٣ .
(٤) سورة عبس : ١٧-١٩ .

(يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك) (١) .

(كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) (٢)

قال ابن الوزير: (وأبسط آية فى ذلك آية الحج: (يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بان الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شىء قدير، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور (٣)) .

قلنا هذه الآيات مسوقة لإثبات البعث ، ولكن الأدلة التى ساقها الله لإثبات البعث هى نفسها ادلة على وجود الله سبحانه وتعالى ، وإذن فهذه الآيات ذات غرضين مختلفين :

أحدهما : إثبات وجود الله تعالى .

و ثانيهما: إثبات وجود البعث .

بل إن البعث نفسه بعد أن يثبت بأدلته ، ويصبح حقيقة مسلمة هو نفسه دليل على وجود الله سبحانه .

وقال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (٤) .

وقال : (أ ولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . . . (٥)) .

---

(١) سورة الانفطار : ٦ .
(٢) سورة البقرة : ٢٨ .
(٣) سورة الحج : ٥-٧
(٤) سورة المؤمنون : ١٢-١٤ .
(٥) سورة يس : ٢٧-٢٨ .

وبما أن قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) محط خلاف بين المفسرين وما المراد من الانسان فنذكر نبذة يسيرة عن ذلك ثم الكلام على الاطوار المذكورة فى الايات الكريمات فنقول :

قيل المراد بالانسان آدم عليه السلام ، فآدم سل من الطين ، وخلقت ذريته من ماء مهين ، والضمير فى قوله (ثم جعلناه) عائد على الانسان الذى هو ولد آدم ، والانسان شامل لآدم وولده ، وإن كان لم يذكر لشهرة الأمر ، فان المعنى لايصلح إلّا له نظير ذلك (حتى توارت بالحجاب)(١) وهذا احد الاقوال التى ذكرها القرطبى (٢) .

وقيل المراد : هاهنا بالانسان ولد آدم ، والطين هنا اسم لآدم ، والسلالة هى الاجزاء الطينية المبثوثة فى أعضائه التى لما اجتمعت وحصلت فى اوعية المنى صارت منيا وقالوا هذا التفسير مطابق لقوله تعالى : (وبدء خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٣)) .

وقيل إن الانسان إنما يتولد من النطفة وهى إنما تتولد من هضم الاغذية ، وهى إما حيوانية وإما نباتية ، والحيوانية تنتهى الى النباتية ، والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء ، فالانسان فى الحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ، ثم إن تلك السلالة بعد أن تواردت على اطوار الخلقة وأطوار الفطرة صارت منيا ، وهذا مارجحه الفخر الرازى (٤) .

وقيل المراد بالسلالة ابن آدم ، وعليه فالسلالة صفوة الماء يعنى المنى ، وقوله (من طين) اى إن الاصل آدم وهو من طين خالص . فأما ولده فهو من طين ومنى حكى هذا القول القرطبى (٥) عن ابن عباس وغيره .

وفى تفسير ابن كثير : إن المراد بالانسان آدم عليه السلام ، خلقه الله سبحانه (من صلصال من حماء مسنون) (٦) وفى آية اخرى (من طين لازب) (٧) ،

---

(١) جزء من اية ٣٢ من سورة ص.
(٢) تفسير القرطبى جـ٥ ص ٤٥٠١ .
(٣) سورة السجدة : ٧-٨ .
(٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازى جـ٢١ ص ٨٥ دار الفكر بيروت ط. اولى سنة ١٤٠١هـ .
(٥) تفسير القرطبى جـ٥ ص ٤٥٠١ .
(٦) سورة الحجر : ٢٦ .
(٧) سورة الصافات : ١١ .

كما خلقه (من سلالة من طين) وسلالة الطين صفوة الماء .

ورجح أن آدم استُل من الطين ، فإنه عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون [١]) .

وعلى هذا فيكون الضمير فى قوله (ثم جعلناه) عائدا على جنس الانسان ، كما فى الآية الاخرى (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) [٢] .

قلت : وما رجحه ابن كثير هو الذى ترجح عندى لما رواه الامام احمد فى مسنده [٣] وابوداود [٤] والترمذى [٥] عن ابى موسى الاشعرى مرفوعا : (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب) .

هذا ولا حاجة الى مناقشة الاقوال فالحديث هذا فصل فى محل النزاع لما علم من أن السنة شارحة ومبينة لما أجمل أو تشابه فى القران الكريم . ووجه الاستدلال من الحديث هو أن المراد بالانسان فى الآية التى بصددها الكلام آدم وأن الله خلقه من طين ويكون الضمير عائدا على نسل الانسان فهو وإن لم يذكر فذلك جائز فى اللغة العربية كما فى قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) [٦] اى الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك . قال الزجاج : (إنما يجوز الإضمار اذا جرى ذكر الشىء أو دليل الذكر وقد جرى هنا دليل الذكر وهو قوله : (بالعشى) وكذلك يقال فى ضمير (ثم جعلناه نطفة [٧]) والله أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الروم : ٢٠ .
(٢) سورة السجدة : ٨ وانظر تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٤٦٠ .
(٣) جـ ٤ ص ٤٠٠ .
(٤) السنن مع عون المعبود كتاب السنة باب فى القدر جـ ١٢ ص ٤٥٥-٤٥٧ .
(٥) السنن بتحفة الاحوذى تفسير سورة البقرة جـ ٨ ص ٢٩٠-٢٩١ وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .
(٦) سورة ص : ٣٢ .
(٧) انظر فتح القدير للشوكانى جـ ٤ ص ٤٣٠ .

- إشارة الى أطوار الانسان أو مراحلـــه :

من المستحسن إعادة الايات الكريمات التى تشير الى أن الانسان مر باطوار مسلسلة من الطين الى الانسان لينظر فيها القارئ عن كثب وهى قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قـــرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظامـــا فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (١) .

هذا النص يشير الى أطوار النشأة الانسانية ولا يحددها ، فيفيـــد أن الانسان مر بهذه الأطوار المسلسلة من الطين الى النشأة الاخرى ومابينهمـــا من المراحل .

فالطين هو المصدر الأول أو الطور الأول ، والإنسان هو الطور الاخير .

وهى حقيقة نعرفها من القرآن ولا نطلب لها مصداقا من النظريات العلميـــة التى تبحث عن نشأة الانسان اونشأة الاحياء .. إن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ليجعلها مجالا للتدبر فى صنع الله ، ولتأمل النقلة البعيدة بين الطين وهـــذا الانسان المتسلسل فى نشأته من ذلك الطين، ولا يتعرض لتفصيل هذا التسلســـل فى نشأته من ذلك الطين ولا يتعرض لتفصيل هذا التسلسل لأنه لا يعنيه فـــى أهدافه الكبيرة .

أما النظريات العلمية فتحاول إثبات سلم معين للنشوء والارتقاء لوصل حلقـــات السلسلة من الطين والانسان ، وهى تخطئ وتصيب فى هذه المحاولة التى سكت القرآن عن تفصيلها ، وليس لنا أن نخلط بين الحقيقة الثابتة التى يقررها القـــرآن حقيقة التسلسل وبين المحاولة العلمية من البحث عن حلقات هذا التسلسل وهـــى المحاولات التى تخطئ وتصيب ، وتثبت اليوم وتنقض غدا كلما تقدمت وسائل البحـــث وطرائقه فى يد الانسان (٢) .

والقرآن الكريم يعبر أحيانا عن تلك الحقيقة باختصار فيقول : (وبدأ خلـــق الانسان من طين) دون إشارة الى الأطوار التى مر بها (٣) . والمرجع فى هـــذا

---

(١) سورة المؤمنون : ١٤ .
(٢) فى ظلال القران لسيد قطب بتصرف جـ١٨ ص ٢٤٥٧-٢٤٥٨ وانظر ترجيـــح اساليب القران على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٠٩-١١٠ .
(٣) انظر الظلال لسيد قطب جـ١٨ ص ٢٤٥٨ وانظر ترجيح اساليب القران علـــى اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٠٩-١١٠ .

الامر الى النص الأكثر تفصيلا وهو الذى يشير إلى أنه (من سلالة من طين . . .)
ذلك أصل نشأة الجنس الانسانى من طين .

فأما نشأة الفرد الانسانى بعد ذلك فتمضى فى طريق آخر معروف: (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين (١)) .

لقد نشأ الجنس الانسانى من سلالة من طين ، فأما تكرار افراده بعد ذلك وتكاثرهم فقد جرت سنة الله أن يكون عن طريق نقطة مائية تخرج من صلب فتستقر فى رحم امرأة نقطة واحدة مائية ، لا بل خلية واحدة من عشرات الالوف من الخلايا الكامنة فى تلك النطفة ، تستقر فى قرار مكين ، ثابتة فى الرحم الغائر بين عظام الحوض المحمية بها من التأثر باهتزازات الجسم ، ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن من لكمات ورجات وتأثرات .

والتعبير القرآنى يجعل النطفة طورا من أطوار النشأة الانسانية تاليا فى وجوده لنشأة الطين . وهى حقيقة ولكنها عجيبة تدعو الى التأمل .
فهذا الانسان الضخم يلخص بكل عناصره وخصائصه فى تلك النطفة ثم يعاد من جديد فى الجنين - وجوده عن طريق ذلك التلخيص العجيب .
ومن النطفة الى العلقة حينما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة فى أول الامر تتغذى بدم الام (٢) .
ومن العلقة الى المضغة حينما تكبر تلك النطفة العالقة وتتحول الى قطعة من دم غليظ مختلط .

وتمضى هذه الخليقة فى ذلك الخط الثابت الذى لا ينحرف ولا يتحول ، ولا تتوانى حركته المنظمة الرتيبة وبتلك القوة الكامنة فى الخلية المستمدة من الناموس الماضى فى طريقه بين التدبير والتقدير حتى تجىء مرحلة العظام (فخلقنا المضغة عظاما) فمرحلة كسوة العظام باللحم (فكسونا العظام لحما)
وهنا يقف الانسان مدهوشا أمام ما كشف عنه القران من حقيقة فى تكوين الجنين

---

(١) سورة المؤمنون : ١٣ .
(٢) انظر الظلال لسيد قطب جـ ١٨ ص ٢٤٥٨ وانظر ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٠٩-١١٠ .

لم تعرف على وجه الدقة الا اخيرا بعد تقدم علم الاجنة التشريحى ، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم وقد ثبت ان خلايا العظام التى تتكون أولا فى الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمى للجنين ، وهى الحقيقة التى يسجلها النص القرآنى : (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) فسبحن العليم الخبير (١) .

قال ابن الوزير: (ومن ثم قيل فكرك فيك يكفيك) (٢) .

فانظر من الذى أنشأ العظام الصلبة وكونها فى ظلمات الأرحام من طعام يجرى سائلا فى دم الأم ؟

من الحكيم الذى كون مفاصل العظام وجعلها ملساء؟ وأمدها بالسائل اللزج لمنع الاحتكاك والتآكل فى العظام عند حركتها ؟

من الخبير العليم الذى كسا العظام لحما يحرك الجسد فى غاية من الدقة والابداع؟

أهو وثن أصم لا يملك لنفسه ان ينتقل من مكان الى مكان ؟ أم إنها الطبيعة التى لا تملك تدبيرا ولا تفكيرا ؟ أم إنه العدم الذى لا وجود له ؟ أم إن ذلك الخلق البديع والتركيب المحكم والتقدير الدقيق يشهد أنه من صنع خالق حكيم عليم خبير مصور بديع هو الله سبحانه وتعالى (٣) .

وقد جمع الله تعالى ذكر دلالتى النفوس والافاق فى قوله تعالى : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٤) وذلك أنا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين عالمين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن شيئاء وأن أول وجودنا كانت نطفة قذرة مستوية الاجزاء والطبيعة غاية الاستواء ، بحيث يمتنع فى عقل كل عاقل أن يكون منها بغير صانع حكيم ما يختلف أجناسا وانواعا وأشخاصا .

---

(١) ماخوذ من الظلال باختصار جـ ١٨ ص ٢٤٥٩ .
(٢) ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٤ .
(٣) انظر توحيد الخالق - لعبد المجيد الزندانى جـ٢ ص ٢٦-٢٧ من القسم الاول .
(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

ثم يمضى ابن الوزير - رحمه الله - مبينا اختلاف تلك الاجناس والأنــــواع والاشخاص قائلا : (أما الاجناس فكما نبه عليه قوله تعالى : (والله خلـــق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم مـــن يمشى على اربع يخلق الله مايشاء) (١) .

وأما الانواع فنبه عليه بقوله تعالى : (ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كـــان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (٢) . ومنه (ثم ســـواك رجلا) (٣) .

وأما الاشخاص فبقوله تعالى : (قتل الانسان ما أكفره ، من أى شىء خلقـــه من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره (٤)) .

ولعل ابن الوزير يريد بالأشخاص من استدلاله بالآية الكريمة ماقيل مـــن أن المراد بالانسان هنا (عتبة بن أبى لهب) أو غيره . والأولى ماقاله الشوكانـــى : من (أن المراد به الجنس فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر ، ويدخـــــل تحته من كان سببا لنزول الاية دخولا اوليا .) (٥) وعملا بقاعدة : العبرة بعمـــوم اللفظ لابخصوص السبب كما تقرر فى علم أصول الفقه .

قلت : فاذا نظر العاقل فى الانسان وجده نوعا من انواع اخرى فى هـــذه الارض ، لكنه يشترك معها فى بعض الامور ثم يتميز عنها ، فهو مخلوق من تراب مثلها فى الاصل (ومن آياته ان خلقكم من تراب) (٦) (والله أنبتكم من الارض نباتا) (٧) (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (٨) ، (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شىء قدير) (٩) (ثـــم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (١٠) .

---

(١) سورة النور : ٤٥ .
(٢) سورة القيامة : ٣٩ .
(٣) سورة الكهف : ٣٧ .
(٤) سورة عبس : ١٧-١٨-١٩-٢٠ .
(٥) فتح القدير جـ ٥ ص ٣٨٤ .
(٦) سورة الروم : ٢٠ .
(٧) سورة نوح : ١٧ .
(٨) سورة طه : ٥٥ .
(٩) سورة النور : ٤٥ .
(١٠) سورة السجدة : ٨ .

ثم يزيد ابن الوزير لنوع الاصل الواحد الذى خلق منه الآدميون بيانا فيقول :

(وبيانه أنه خلق من نطفة مقدرة مستوية الطبيعة ، فكيف يكون منها مايبصر، ومنها مايسمع ، ومنها مايطعم ومنها مايشم ، ومنها الصلب ، ومنها الرخو ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع ، كما نبه الله عليه فى كتابه الكريم (والله خلق كل دابة من ماء) .

ونعلم أنا قد تغيرت بنا الأحوال ، وتنقلت بنا الأطوار تنقلا عجيبا ، فكنا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم لحما ودما ثم عظاما صلبة متفرقة فى ذلك اللحم والدم تقويهما وعصبا رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط مما فيها من القوة والمتانة ثم تركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح مع ضيق ذلك المكان وشدة ظلمته .

وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى : (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون (١)) .

ثم انظر إلى موضع العينين بعيدا مما يؤذيهما ، مرتفعا للتمكن من إدراك المبصرات فى الوجه الذى لا يحتاج الى تغطية باللباس من الجمال البديع فيهما وفى جفونهما ولو كانا فى الرأس أو فى الظهر أو فى البطن أو غير ذلك ماتمت الحكمة ولا النعمة بهما وكذلك كل عضو فى مكانه) (٢) .

وفى خلق الانسان عجائب أخرى يبينها ابن الوزير - رحمه الله - فيما يلى :

وانظر إلى ستر القذر فى البطن بالسواتر العظيمة بحيث لا يحس له حس ولا يظهر له ريح ، ولا يخرج إلا باختيارنا فى موضع خال من الناس .

وإن من عجيب صنع الله - تعالى - استمساك البول فى حال الغفلة بل فى حال النوم حتى نختار خروجه ونرضى به من غير رباط ولا سداد فى مجراه ولا مانع محسوس (فتبارك الله أحسن الخالقين) (٣) .

والى عجائب اخرى وهى : حياتنا فى بطون الامهات من غير نفس ولو كان ثم نفس لكان ثم صوت ولو غم أحدنا بعد الخروج ساعة لمات .

---

(١) سورة الزمر : ٦ .
(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٤٥
(٣) سورة المؤمنون : ١٤ .

ثم خروجنا من ذلك الموضع الضيق من غير اختيار من المولود والوالدة ، وهو فعل محكم صعب لا بد له من فاعل مختار، وعدم الموت لشدة الضغطة عند الخروج وسلامة الولد وأمه من الموت، في ذلك من آيات الله كما أشار اليه بقوله (وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه)(١) .

ثم الى عجائب اخرى وهي : إحداث اللبن في ثدى الأم من بين فرث ودم .

ثم إلى أخرى وهي : الترقى من حال الطفولة الى حالة التمييز وتتعاقب عليه الاحوال من الصغر والكبر والضعف والقوة والشباب والشيب والعقل والذكاء ، والبلادة والمرض والصحة والشهوة والعسر واليسر ، والغنى والفقر من غير اختيار منه في شيء من ذلك فلابد لهذه التغيرات من مغير قادر عالم مدبر حكيم(٢) ، سبحانه وتعالى .

ثم هو لا يكتفى بما يذكر من ذلك على كثرته بل يحيل القارىء الى كتب المؤلفين في علم التشريح (٣) ، ليقف من اسرار خلق الانسان على ما يضطره الى التصديق الجازم بوجود إله خالق قادر عليم حكيم .

وما أبدع ما يقول في الرد على من يزعم أن هذه الآثار التي تحير الالباب وتذهل العقول هي من صنع الطبيعة الصماء البكماء التي لا قدرة لها ولا إرادة ، وفاقد الشيء لا يعطيه فيقول : (فلو جاز أن يكون مثل هذا بغير صانع لجاز ان تصح لنا دور معمورة أو مصاحف مكتوبة أو ثياب محوكة أو حلى مصوغة بغير بان ولا كاتب ولا حائك ولا صائغ)(٤) .

ولا يقف ابن الوزير عند ذلك بل يزيد ذلك بيانا بقوله : (فانظر كيف يمكن ان يتغير المنى الى تلك الامور المختلفة المحكمة البديعة الإحكام العجيبة الصّنعة ، وهل ذلك إلا بمنزلة تجوز أن يصير المداد مصحفا معربا لا غلط فيه ولا لحن بطبع المداد من غير كاتب عالم ، بل إحكام الانسان ابلغ وأعجب .

---

(١) سورة فاطر : ١١ .
(٢) انظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٥-٤٦ .
(٣) مثل كتاب لقط المنافع لابن الجوزى .
(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ٤٦ .

وقد رأيت كم جمع في الأنملة الواحدة من الاصابع من الاشياء المختلفة فوضع فيها جلدا ولحما وعصبا وشحما وعروقا ودما ومخا ، وعظما وظفرا وشعرا ، وبضعة عشر شيئا غير ذلك ، كل واحد منها يخالف الاخر قدرة وحياة واستواء وارتفاعا وانحدارا ، وخشونة ولينا ، وحرارة وبرودة ، ورطوبة ويبوسة ، وصلابة ورخاوة ، اى جعلها مدركة لهذه الامور . ثم خلق في بعضها الحياة دون بعض كالشعر والظفر وجعلها مدركة لأمور شتى كالحرارة والبرودة واللين والخشونة والقلة والكثرة ، والرطوبة واليبوسة ، ومن لطيف الحكمة فيها اختلافها في الطول ، والقصر حتى تستوي عند القبض على الأشياء فتقوى بالاستواء ، وهذا مما تخفى فيه الحكمة جدا ، أعني كون الاختلاف في ذلك سبب الاستواء عند القبض ، ولذلك خصت بالذكر في قوله تعالى : (بلى قادرين على ان نسوى بنانه [1]) (فتبارك الله احسن الخالقين [2]) .

ويستمر ابن الوزير في بيان دلالة الانفس بظاهرة الموت والحياة ، وذلك مما يدل على وجود صانع حكيم ومدبر عليم على كل شيء قدير فيقول : (ونبه بقوله سبحانه - على أن الموت دع عنك الحياة مما يستدل به على الله كما أوضح ذلك في قوله : (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) [3] وذلك أن الحي يموت بإذن الله تعالى مع اجتماع اسباب الحياة فهذا العالم الواسع كما يعيش بإذن الله في بطن أمه بغير نفس يجرى ولا هواء يمد روحه ، فسبحان من هو على كل شيء قدير ومنه المبدأ وإليه المصير [4]) .

وبهذا يتبين تعليل ابن الوزير لدلالة الأنفس بأنها بليغة بل ونفيسة يؤيد ذلك ماقرره شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :

(فالاستدلال على الخالق بخلق الانسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية ، دل القرآن عليها وهدى الناس إليها وبينها وأرشد اليها .

---

(١) سورة القيامة : ٤ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤ .

(٣) سورة الواقعة : ٨٣-٨٧

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ٤٧-٤٩ ، ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان له ص ١١١ .

وهى عقلية ، فإن نفس كون الإنسان حادثا بعد أن لم يكن ، ومولودا ومخلوقا من نطفة ، ثم من علقة ، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر ان يستدل به ، ودل به وبينه واحتج به ، فهو دليل شرعى لأن الشارع استدل به وأمر ان يستدل به وهو عقلى لأنه بالعقل تعلم صحته (١)) .

من أدلة الانفس ما في الانسان من مميزات :

فى نهاية الكلام على دلالة الانفس التى ذكرها ابن الوزير أحب أن أشير الى مميزات الانسان لما له بهذا من العلاقة كما سبق فى الآيات التى سبق ذكرها ، منها (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)(٢) فأقول :

الانسان نوع متميز عن غيره كما يبدو فى قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)(٣) وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمى ، كما تشير الآيات إلى تسويته أكثر من مرة (ثم سواه)(٤) (فاذا سويته)(٥) (فسواك فعدلك (٦)) .

ولا حاجة الى اكثر من الاشارة فى أثر انتصاب قامة الانسان وانطلاق يديه فى نشوء الحضارة ونموها كذلك من جهة العقل والعلم الناميين بسبب الحواس، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة لعلكم تشكرون)(٧) .

وقال : (علم الانسان مالم يعلم(٨)) وقال : (خلق الانسان علمه البيان)(٩) علم قابل للنمو والزيادة (وقل رب زدنى علما)(١٠) .

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ٤٨ .
(٢) سورة الذاريات : ٢١ .
(٣) سورة التين : ٣ .
(٤) سورة السجدة : ٩ .
(٥) سورة ص : ٧٢ .
(٦) سورة الانفطار : ٧ .
(٧) سورة النحل : ٧٨ .
(٨) سورة العلق : ٥ .
(٩) سورة الرحمن : ٤ .
(١٠) سورة طه : ١١٤ .

أفضل ميزات الانسان :

وأفضل ميزاته هو الجانب الروحي المشار إليه بقوله تعالى : (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) في موضعين[1] من القران الكريم ، وقوله تعالى : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه)[2] .

وهذا هو الجانب الذى رفع مكانة الانسان وجعله في مقام التكريم ، فاستحق أن امر الله الملائكة بالسجود له فسجدوا . ذكر ذلك في سبعة[3] مواضع من القرآن الكريم .

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[4] . (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)[5] .

ويستفاد من هذا أن الكيان الانساني مركب من جزءين ترابي[6] وروحي سماوي ، ولكل منهما طبيعته في السمو والهبوط ، إذن فهما في صراع دائم .
وهذان الجزءان لا ينفصلان عن بعضهما ما دام الانسان حيا ، فهل يستطيع أحدهما ان يتصرف دون الاخر ؟

قد يقال : اذا غلب الجانب الروحي صار التصرف روحانيا ، واذا غلبت طبيعة التراب صار حيوانا . وعلى هذا فهل يصلح لعمارة الارض ؟

قد يكون الجواب (لا) لأن الحيوانية لا تصلح للخلافة في الارض ، والرهبنة يأباها الاسلام ، بل ولا تصلح لعمارة الارض وذلك يتنافى مع الحكمة التى خلق من أجلها الانسان .

إذن فلابد من التوازن بين الجزئين ، وذلك هو الكمال المنشود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[7] ، (وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[8] .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء : (اللهم أصلح لي ديني الذى هو عصمة امري وأصلح لي دنياي التى فيها معاشي وأصلح لي اخرتي التى فيها معادي ...)[9] .

---

(١) سورة الحجر : ٢٩ سورة ص : ٧٢ .
(٢) سورة السجدة : ٩ .
(٣) سورة البقرة ٣٤ ، الاعراف : ١١ ، الحجر : ٣٠ ، الاسراء : ٦١ ، ص : ٧٣ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٤ .
(٤) سورة الاسراء : ٧٠ . (٥) سورة التين : ٥ .
(٦) فان قيل : إنه من نطفة فهل هي إلا من تراب ؟
(٧) سورة البقرة : ٢٠١ وكان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسلم عن انس في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الدعاء جـ٤ ص ٢٠٧٠ .
(٨) سورة القصص : ٧٧
(٩) رواه مسلم عن ابي هريرة جـ٤ كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ص ٢٠٨٧ .

الطريقــة الثالثــــة

دلالـــة الآفـــاق

سبق الكلام على طريقة ابن الوزير فى اثبات الصانع بدلالة الأنفس ، وهى طريقة قرآنية بحتة . والآن نتكلم على طريقته فى دلالة الآفاق التى تكلم عليها الغزالى سنة ٥٠٥ هـ وابن رشد سنة ٥٩٥ هـ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، وسموها هى ودلالة الأنفس أدلة الاختراع والعناية ، فنقول :

إذا نظر العاقل - الذى يريد الوصول الى معرفة الحق - فى الأعاجيب المختلفات فى الارض والسماء ومافيهما من سائر المخلوقات علم أنه لابد لها من صانع مدبر حكيم .

ولكن هذا النظر لا يستفيد منه صاحبه ويوصله إلى الحق إلا إذا كان صادرا عن قلب سليم من الزيغ والهوى يصحب ذلك إرادة الحق والإنصاف ، طالبا لقيام الحجة ، منتهجا طريقة القران الكريم متمسكا به ، ملتمسا للنور والهدى فيه ، وبعد هذا فلن يخيب الله من قصده ، لأن الله ضمن لمن اتبع هداه ألا يضل فى الدينا ولا يشقى فى الاخرة .

وبالمقابل من أعرض عنه فانه يعيش فى الدنيا عيشة الضنك والنكد ، ويكون يوم الحشر أعمى ، جزاء لإعراضه عن التماس الهدى والنور فى غير القرآن الكريم (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (١) .

وابن الوزير - رحمه الله - قد سلك هذه الطريقة ، أعنى طريقة القرآن كما سبق ذكر ذلك فى دلالة الأنفس . وهنا يقول ابن الوزير : (وأما دلالة الآفاق فما يحدث ويتجدد فى العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات . . والرياح الذاريات ، والنجوم الثوابت منها والمعالم) (٢) .

ثم ينتقل ابن الوزير الى نوع آخر من الاستدلالات الأفقية ، وهو مايسمى بلغة عصرنا بالطقس أو الاحوال الجوية فيقول : (وكذلك تغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال الحاملة للماء الكثير ، المطفى بطبعه للنار المضادة له ، ومافى الجمع بينهما ، وانشائهما

---

(١) سورة طه : ١٢٣-١٢٤ .
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٤٩-٥٠ ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان له ص١١٠ .

وإنزال الأمطار منها بالحكمة البالغة لا تختلط قطرة بأخرى ولو اشتدت الرياح العواصف وصغرت القطر ، وكثرت وتقاربت حتى تقع متفرقة غير ضارة ولو اجتمعت لعظم ضررها) (١) .

وبمناسبة ذكر الاحوال الجوية رأيت من المستحسن الإشارة الى معانى الرعد والبرق والصواعق لما لها من الأثر فى النفوس المؤمنة والكافرة فنقول :

قد ذكر الله هذه الاشياء فى غير موضع من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ..) (٢) . وقوله (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) (٣) .

وقد اختلف فى معانى هذه الاشياء فقيل : الرعد اسم لصوت الملك الذى يزجر السحاب لما رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (أقبلت يهود الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يا ابا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله . فقالوا : فما هذا الصوت الذى نسمع ؟ فقال : زجرة (٤) بالسحاب اذا زجره حتى ينتهى الى حيث امر ، قالوا : صدقت (٥) ...) .

قال القرطبى : (وعلى هذا التفسير اكثر العلماء فالرعد اسم الصوت المسموع وقاله على رضى الله عنه ، وهو المعلوم فى لغة العرب) .

وقيل هو اضطراب أجرام السحاب عند نزول المطر منها ، والى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعا للفلاسفة وجهلة المتكلمين . حكى هذا الشوكانى فى تفسيره .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٥٠ وانظر الترجيح له ص ١١٠ .
(٢) سورة البقرة : ١٩
(٣) سورة الرعد : ١٢-١٣ .
(٤) اى هو زجرة كذا فى تحفة الاحوذى للمباركفورى جـ٨ ص ٥٤٣ .
(٥) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ٨ ص ٥٤٣-٥٤٤ وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب ، مسند احمد جـ١ ص ٢٧٤ .

وقيل الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو الذى يسمع صوته .

وقيل الرعد : ريح تختنق تحت السحاب فتصاعد ، فيكون منه ذلك الصوت ، وقيل غير ذلك .

والبرق مخراق حديد بيد الملك الذى يسوق السحاب . وإليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور علماء الشريعة للحديث السابق .

وقال بعض المفسرين تبعا للفلاسفة : إن البرق ماينقدح من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة من الأبخرة المتصاعدة المشتملة على جزء نارى يلتهب عند الاصطكاك .

قال القرطبى : (وهذا مردود ولا يصح بهنقل . والله اعلم) .

والصواعق جمع صاعقة . ويقال لها الصواقع : هى قطعة من نار تنفصل من مخراق الملك الذى يزجر السحاب عند غضبه وشدة ضربه لها لحديث ابن عباس السابق ذكره وبه قال كثير من علماء الشريعة .

ومنهم من قال : إنها نار تخرج من فم الملك ، وقال الخليل : هى الواقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحيانا قطعة نار تحرق ما أتت عليه ، وقيل هى نار تسقط من السماء فى رعد شديد ، والصاعقة صيحة العذاب ومنه (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون (١))

وقال الآلوسى فى معنى الصاعقة : (والمشهور أنها الرعد الشديد معه قطعة نار لا تمر بشىء الا أتت عليه ، وقد يكون معه جرم حجرى أو حديدى) (٢) ، وقيل غير ذلك .

والعجيب أنه فى هذا الهول الشديد من الرعد والبرق والصواعق ، وفى زحمة تسبيح الرعد بحمد الله والملائكة من خيفته وزمجرة العواصف . . ترتفع أصوات بشرية بالجدل فى الله صاحب هذه القوى كلها ، وباعث كل هذه الاصوات التى ترتفع على كل جدال ، وكل محال (وهم يجادلون فى الله) أى يشكون فى الله وفى عظمته ، وأنه لا إله إلا هو (وهو شديد المحال) اى شديد الأخذ والقوة .

وهكذا تضيع أصوات الباطل فى غمرة هذا الهول المتجاوب من الرعد والبرق والصواعق الناطقة كلها بوجود الله وبوحدانيته سبحانه وتعالى (٣) .

---

(١) سورة فصلت : ١٧ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير جـ١ ص ١٤٨-١٥٣ ، تفسير القرطبى جـ١ ٨٧-١٨٩ ، فتح القدير للشوكانى جـ١ ص ٤٨ ، روح المعانى للآلوسى جـ١ ص ١٧٤ ، ط . بيروت .

(٣) انظر فى ظلال القران لسيد قطب جـ١٣ ص ٢٠٥٠ ، تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٦٧ فتح القدير للشوكانى جـ٣ ص ٧٢ .

نكتفي بهذه الاشارة الى مايتعلق بمعانى البرق والرعد والصواعق ،ثم نرجع الى كلام ابن الوزير فى دلالة الآفاق على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وهوما يتعلق بالأحوال الجوية فيقول : (ثم نزول البرد القوى الشديد المتحجر فى أوقات الخريف الذى لا يجمد فيه الماء ،مع أنه لا يجمد فى ايام الغيم سواء كانت فى الشتاء او فى غيره ، لرطوبة الغيم ،فمن أين جاء البرد المتحجر؟ والماء اذا جمد لا يكون على صفة البرد أبدا . فتأتى هذه الأمطار فتعم الارض سهولها ووعورها وشعابها وشعافها لينبت العشب الكثير للأنعام وسائر الهوام وتسقى المزروع وتنبت الاشجار والفواكه والازهار والثمار وتمد البحار والأنهار والآبار . ثم ما فى اختلاف الليل والنهار والفصول والأحوال .

وقد جمع الله تعالى ذلك فى قوله : (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) (١) .

تلك السموات والارض ، هذه الأبعاد الهائلة والاجرام الضخمة ، هذا التناسق فى مواقعها (واختلاف الليل والنهار) تعاقب النور والظلام ، توالى الإشراق والعتمة ، ذلك الفجر وذلك الغروب كم اهتزت لها مشاعر وكم وجفت لها قلوب ، وكم كانت أعجوبة الأعاجيب ، ثم فقد الانسان روعتها مع التكرار إلا القلب المؤمن الذى تتجدد فى حسه هذه المشاهد ويظل أبدا يذكر نعم الله فيتلقاها فى كل مرة بروعة الخلق الجديد (٢) .

والسفن الجوارى فى البحر كالجبال آية اخرى من آيات الله آية حاضرة ومشهودة آية تقوم على آيات كلها من صنع الله دون جدال ، هذا البحر من أنشأه من البشر أو غيرهم يدعى هذا الإدعاء؟ ومن أودعه خصائصه من كثافة وعمق وسعة حتى يحمل السفن الضخام ، وهذه السفن من أنشأ مادتها وأودعها خصائصها فجعلها تطفو على وجه الماء . وهذه الريح التى تدفع ذلك النوع من السفن التى كانت معلومة

---

(١) سورة البقرة : ١٦٤ وانظر إيثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٥٠ .
(٢) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب جـ٢ ص ١٥٢ .

وقتها للمخاطبين - وغير الريح من القوى التي سخرت للانسان فى هذا الزمان من بخار أو ذرة ، أو مايشاء الله بعد الآن - من جعلها قوة فى هذا الكون تحرك الجوارى فى البحر كالاعلام (١) .

(وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها) من الذى أنشأ تلك الحياة التى تبعث من الارض حينما ينزل عليها الماء ؟ من أنشأ هذه الحياة المجهولة الكنه اللطيفة الجوهر التى تدب فى لطف ثم تبتدى معلنة قوية ، من أين جاءت هذه الحياة ؟ كانت كامنة فى الحبة والنواة ! ولكن من أين جاءت إليهما ، إنه لا يجدى الهرب من مواجهة هذا السؤال الذى يلح على الفطرة (٢) .

قال سيد قطب : (لقد حاول الملحدون تجاهل هذا السؤال الذى لا جواب عليه إلا وجود خالق قادر على إعطاء الحياة للموات ، وحاولوا طويلا أن يوهموا الناس أنهم فى طريقهم إلى إنشاء الحياة - بلا حاجة الى إله - ثم أخيرا إذا هم .. ينتهون الى نفض أيديهم والاقرار بما يكرهون : استحالة خلق الحياة . وأعلم علماء روسيا الكافرة فى موضوع الحياة هو الذى يقول هذا الان ..) (٣) .

ثم تلك الرياح المتحولة من وجهة إلى وجهة ، وذلك السحاب المحمول على هواء ، المسخر بين السماء والارض ، الخاضع للناموس الذى أودعه الخالق لهذا الوجود .

هذه الامور هى من أعظم صنعة الصانع الحكيم ، ومعلوم لدى كل عاقل أنه لا يتهيأ لأحد غير الله - سبحانه - أن يأتى بشىء منها ، بل ولا ادعاه عاقل ، فمن نظر فى واحد من هذه الآية الكريمة نظر عاقل منصف تحتم عليه التصديق بأنه لا صانع له الا الله سبحانه وتعالى (٤) .

فالكون بضخامته الهائلة التى لا تصل الى مداها العيون ، بل لا تصل الى مداها الافكار ، ضخامة لا يمكن أن ينجو من وقعها الحس ، ولو أراد أن ينفلت ولو كابر أمام الناس والكون بدقته المعجزة التى لا يختل فيها شىء قيد شعرة ،

---

(١) انظر فى ظلال القران لسيد قطب جـ٥ ص ٣١٥٩ .
(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٣٥ .
(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٣٥ .
(٤) انظر فتح القدير للشوكانى جـ١ ص ١٦٣ .

هذا الكون لا يتحرك خبط عشواء ، إنه يسير فى حركة دقيقة تبلغ حد الإعجاز . هذه الملايين بل ملايين الملايين من النجوم فى الكون لا تلتقى اثنان منها فى هذا الكون العريض ولا يقع بينهما تصادم إلا أن يشاء الله .

ألا تدل هذه الاشياء المحكمة على أن لها صانعا حكيما صنعها وأتقنها ؟ وهوالله سبحانه وتعالى (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) [١] ، (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل) [٢] . فلو وقف الانسان لحظة واحدة يرقب ما خلق الله فى السموات والارض ويستعرض هذا الحشد الذى لا يحصى من الاجناس والانواع والهيئات والأحوال والأوضاع والأشكال .. لو وقف لحظة واحدة لملأ وطابه [٣] بما يغنيه حياته كلها ، ويشغله بالتدبر والتفكر والتأثر ماعاش [٤] .

هذا وقد اورد ابن الوزير فى كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) [٥] خمسا وعشرين آية دالة على هذه المعانى السابقة . سنذكر بعضها قريبا ان شاء الله تعالى .

كما ذكر أنه اختارها من بين خمسمائة آية من القرآن الكريم .

وقد سرد تلك الآيات فى معرض الرد على القائلين بدلالة الأكوان فى إثبات الصانع من المعتزلة وغيرهم .

كما كانت جوابا لمن سأله عن وجه تجنبه لمناهج أهل الكلام ، وخاصة ما مراده بقوله :

أصول دينى كتاب الله لا العرض *** وليس لى فى اصول بعده غرض [٦]

---

(١) سورة لقمان : ١١ .
(٢) سورة الانعام : ١٠٢ .
(٣) الوطاب جمع وطب : سقاء اللبن من جلد الجذع فما فوقه كذا فى القاموس ج١ ص ١٣٧ .
(٤) مقتطفات من دراسات قرانية لشيخنا محمد قطب ص ٣٣-٣٤ ط. دار الشروق .
(٥) ص ٨١-٨٢-٨٤ .
(٦) الترجيح لابن الوزير ص ٦٨-٨٤ - العواصم والقواصم له ج٢ ، الوهم الخامس عشر ورقة ٢١ .

ويعنى ابن الوزير بهذا أن منهجه فى الاستدلال على أصول الدين هو القرآن الكريم بما فيه من الإعجاز وإحكام خلق المخلوقات لجلائها لا العرض الكونى لاستغنائه عنه مع كثرة الشبه فيه (١) .

وأيد منهجه هذا بذكر طريقة بعض أئمة الزيدية فى إثبات الصانع ، وعقب عليها بقوله : (والمراد أن هؤلاء كلهم سلكوا طريق الاستدلال بالاجسام المحكمة المعبر عنها بالصنع ، وحكموا بما تحكم به العقول من دلالة المصنوع المحكم على صانعه الحكيم ، وأن هذه الطريقة هى التى كانت عليها الصدر الاول الذين شهد لهم الرسول الصادق الامين بأنهم خير القرون بل شهد لهم بذلك كتاب الله تعالى حيث يقول : (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٢) .

إلا أنه من الملاحظ على ابن الوزير نقله العبارة التالية عن أئمة الزيدية ولم يعلق عليها وهى : (كون القرآن معجزة وصنعا للمتعالى(*)) ومن الآيات التى ذكرها ابن الوزير قوله تعالى : (هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون) (٣) .

فانظر فى تذييل هذه الايات بجمل مقررة لمضمون ماقبلها (إن فى ذلك لايات لقوم يتفكرون) فى تدبير الله - سبحانه - لهذا الكون ونواميسه المواتية لحياة البشر ، موافقة لفطرته ، ملبية لحاجاته ، وماهى بالصادفة العابرة أن يُخلق الانسان فى هذه الارض ، وأن تكون النسب بين هذا الكوكب الارضى ، وغيره من النجوم والكواكب هى هذه النسب ، وأن تكون الظواهر الجوية والفلكية على ماهى عليه ، ممكّنة للانسان من الحياة ، ملبية لحاجاته على النحو الذى نراه . والذين يتفكرون يدركون حكمة التدبير ودلالتها على الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) الترجيح لابن الوزير ص ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ وانظر ترجيح أساليب القران على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٨٩ .

(٣) سورة النحل : ١٠-١٣ .

(*) من المعلوم عند ابن الوزير وغيره من أهل السنة ان القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، وانظر كلامه ص ٦٤)

اما الغافلون فيمرون على مثل هذا فى الصباح والمساء فى الصيف والشتاء فلا ينتبهون للبحث عن صاحب هذا النظام الغريد (١) (ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون).

ومن علامات العقلاء التفكر فى الخلق وظواهر النعمة على البشر فإن الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كلها ما يلبى حاجة الانسان فى الارض بل خلقت مسخرة لمنفعته .

تصور كيف تكون الحياة اذا كانت ليلا سرمدا اونهارا سرمدا الى يوم القيامة (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٢) .

وانظر الى ما أودع الله فى الارض للبشر من مختلف المعادن التى تقوم بها حياتهم فى بعض الجهات ، وفى بعض الأزمان . وانظر الى الذخائر المخبوءة فى الارض المودعة للناس كلما قيل إن كنزا منها قد نفد أعقبه كنز اخر غنى (إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ولا ينسون أن يد القدرة هى التى خبأت لهم هذه الكنوز (٣) ومن الايات التى استدل بها ابن الوزير رحمه الله على إثبات الصانع الآيات الخمس المتتابعات المملوءات بالاستفهامات التقريعية والتوبيخية والتهكمية لأولئك الجهال الذين يعدلون عن الحق الى الباطل ، وكيف جعل الله الحاجز المائى بقدرته - سبحانه - بين البحرين العذب والمالح بحيث لا يبغى هذا على ذاك .

وكيف استدل الله - سبحانه - على إثبات وجوده بحاجة الانسان إلى ربه على العموم ، لاسيما فى أوقات الشدة ، وأن ذلك الاضطرار الحاصل وقت الشدة يتسبب عنه الإخلاص وقطع النظر عما سوى الله وهكذا دواليك فى سائر الآيات واذا ثبت أنه لا يقدر على ذلك الا الله وحده - اى على ما تضمنته الايات الآتيات فهل إله فى الوجود يصنع ذلك الصنع (هل من خالق غير الله) (٤) ومن الايات التى استدل بها ابن الوزير قوله تعالى : (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع

---

(١) انظر فى ظلال القران لسيد قطب بتصرف جـ ١٤ ص ٢١٦٢ .

(٢) سورة القصص : ٧٣

(٣) الظلال بتصرف جـ ١٤ ص ٢١٦٣ .

(٤) سورة فاطر : ٣ .

الله بل هم قوم يعدلون، أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ، أءله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله ؟ قليلا ماتذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون . أمن يبدء الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١)) .

هاتوا برهانكم : حجتكم على أنثم صانعا يصنع كهذه الاشياء . قال الشوكانى : (وفى هذا تبكيت لهم وتهكم بهم) (٢) .

ويستمر ابن الوزير فى سرد الآيات المتعلقة بدلالة الآفاق على حد تعبيره - ، وبالاختراع والعناية على حد تعبير الغزالى فى بعض طرقه ، وابن رشد ، وابن تيمية . واستدل على ذلك باول الآيات التى فى سورة النبأ وغيرها وبالفطرة وآياتها وهى الحجة الخامسة والعشرون عند ابن الوزير . وقد سبق ان ذكرت ذلك مع ذكر المثالين للدلالتين فى آخر مقدمة هذا البحث ، إلا أنى لم اذكر الغزالى هناك لكون المقام مقام انتقاد لطرق المتكلمين فى إثبات الصانع ، والغزالى ذكر طريقة القران وطريقة المتكلمين (٣) وسكت . لهذا لم اذكره مع الناقدين .

ويستمر ابن الوزير فى تعداد الحجج الى ان قال : (الحجة الخامسة والعشرون ما ذكره الله تعالى فى أول سورة النبأ وما أعظم الحجة بقوله تعالى فيها : (وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات ألفافا .) (٤)

لانها مشاهدة كما نبه عليه فى قوله تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) (٥) .

ولتعلم أن طريقة ابن الوزير فى إثبات الصانع هى طريقة السلف إليك نص كلامه وهو :

---

(١) سورة النمل : ٦٠-٦٤ وانظر ترجيح أساليب القران لابن الوزير ص ٢٨ وما بعدها والعواصم والقواصم له جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٢١٤ .
(٢) فتح القدير جـ ٤ ص ١٤٧ .
(٣) انظر إحياء علوم الدين للغزالى جـ ١ ص ١٠٥-١٠٦ .
(٤) سورة النبأ : ١٢-١٦ .
(٥) سورة الرعد : ١

(فالفكر في هذه الامور هو النظر المأمور به وعلى ذلك درج السلف من غير ترتيب المقدمات على قانون أهل المنطق ، بل قد شهد كتاب الله على أن ذلك يفيد البيان ، حيث قال : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ثم توعد من زعم أن ذلك لم يفده بيانا بقوله : (أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) (١) .

وكيف ينكر هذا ويستبعد ، وقد حكى الله - سبحانه - عن الهدهد وهو من العالم البهيمي - أنه وحد الله ، واحتج على صحة توحيده بهذا الدليل المذكور في الآفاق ، قال الله تعالى حاكيا عنه (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض) (٢) يعني المطر والنبات . فاحتج بحدوث هذين الامرين العجيبين المعلوم حدوثهما مع تكررهما بحسب حاجة الجميع اليهما ، وكذا قيل لبعض الأعراب بم عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير وآثار الخطا تدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وارض ذات فجاج كيف لا تدل على العلي الكبير (٣) .)

وقد اشارت الرسل - عليهم السلام - الى هذا المعنى في قوله تعالى : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) (٤) . وفي ذلك اشارة إلى استنكار الشك فيمن هذا صنعه وأثره ، والاثر الحقير يدل على صاحبه ، فكيف لا يدل هذا الامر العظيم بما فيه من الآيات على صانعه ؟ !

ومما استجيد في هذا المعنى وتناقله السلف الصالح قول زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله تعالى :

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى *** أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منّ ورحمة *** بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت (٥) لموسى اذهب وهارون فادعوا *** الى الله فرعون الذي كان طاغيا

---

(١) سورة فصلت : ٥٣ .
(٢) سورة النمل : ٢٥ .
(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٥٠ - ٥١ .
(٤) سورة ابراهيم : ١٠ .
(٥) في سيرة ابن هشام : فقلت له يا اذهب على حذف المنادى كانه قال ألا يا هذا اذهب جـ١ ص ٢٢٧ .

وقولا له آأنت سويت هذه *** بلا وتد (١) حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له آأنت رفّعت هذه *** بلا عمد أرفق إذن بك بانيا
وقولا له آأنت سويت وسطها *** منيرا اذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة *** فيصبح ما مست من الشمس ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى *** فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه *** وفي ذاك آيات لمن كان واعيا

وله أيضا :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت *** له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت *** على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت *** له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سيقت الى بلدة *** اطاعت فصبت عليها سجالا(٢)

ثم يعود ابن الوزير بالقارىء الى التامل في تباين القمرين في الحرارة والبرودة وبرد القمر مع استمداده نوره من الشمس ، وحرارة الشمس الشديدة ، وممَ استمدت تلك الحرارة الدائمة المتوقدة ، وهي في أرفع الاجواء الرطبة الباردة ؟ وكيف لم تحترق وتتلاشى مع شدة حرارتها ، ودوامها ، وعدم ماتحرقه مثل سائر الناريات .

ثم يختم ابن الوزير حديثه عن دلالة الآفاق بقوله تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) (٣) . وفي آية اخرى أنه سبحانه : (يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) (٤) . ثم يبين الحجة من ذكر هاتين الآيتين الكريمتين ، وهو أنّ رفع السموات في الجو بغير عمد مشاهد باجماع كل العقلاء ، بل العالم كله معلق في الهواء ويسير في نظام دقيق لدليل على أنه لابد من ممسك عليم قدير فيقول :

---

(١) الوتد : بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة اهـ مصباح جـ٢ ص ٣٢١ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٢٧-٢٢٨ ، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ٢٤٢-٢٤٣ ، السير والمغازي لابن اسحق جـ١ ص ١١٧-١١٩ .
(٣) سورة الروم : ٢٥ .
(٤) سورة فاطر : ٤١ .

(وهذه حجة اجمع عليها الكفرة مع المسلمين ، فان الجميع اتفقوا على ان العالم في الهواء ارضه وسماؤه ، وما فيه من البحار والجبال وجميع الاثقال .

وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك ، وأن هذا الإمساك الدائم المتقن لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة ، على أن الرياح تحتاج إلى خالق يخلقها ، ثم الى مدبر يقدرها مستوية الأنفاس موزونة القوة ، لا يزيد منها شيء على شيء حتى تعتدل اعتدالا أتم من اعتدال الفاعل المختار ، فإن الفاعل المختار لو قصد الاعتدال التام حتى يستوى على رأسه جفنة مملوءة ماء لم يستطع تمام الاعتدال الا برياضة شديدة ، فكيف تعتدل عواصف الرياح وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات(١) المعدلة حتى يستوى عليها ثقل الارض والجبال من غير رب عظيم قدير عليم مدبر حكيم) (٢) .

وأنا اختم الحديث عن دلالة الآفاق بأن الادلة على وجود الله - سبحانه - لا تحصى كما قال الشاعر .

وفي كل شيء له آية *** تدل على أنه الواحد (=)

وفي تلك الادلة على وجود الله - سبحانه - أنه يخرج من الاشياء المتفقة كالارض والماء أشياء مختلفة كالثمار المختلفة في اللون والطعم والريح والشكل ، فلا يمكن أن يكون ذلك فعل غير صانع كالطبيعة ونحوها التي تمسك بها من لا يريد الإقرار بالحق الواضح ، وهو وجود الصانع المدبر الحكيم . يشير الى ذلك قوله تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لايات لقوم يعقلون) (٣) .

وفي هذا دليل على أن العقل يدرك أن هذه المختلفات والمتنوعات مع اتحادها في الاصل تدل على وجود صانع حكيم خلافا للطبائعيين الذين يهملون عقولهم ، ولا يتدبرون هذه الامور حق التدبر .

...

---

(١) هي كفتا الميزان قال في القاموس المحيط جـ١ ص ١٩٧ وصنجة الميزان معربة وكذلك قال الجوهري في الصحاح جـ١ ص ٣٢٦ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ ١ ص٢ ٥-٣ ٥ .

(٣) سورة الرعد : ٤ .

(=) ديوان ابي العتاهية ص ١٢٢ بيروت دار صادر للطباعة والنشر سنة ١٣٨٤ هـ .

الطريقة الرابعة : دلالة المعجزات

لما قرأت فى مؤلفات ابن الوزير فى موضوع إثبات الصانع - سبحانه - وجدت أنه جاء بطريقة من طرق اثبات الصانع غريبة ، فظننت أنها مبتكرة.

وهى طريقة الاستدلال بمعجزات الانبياء - عليهم السلام - على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، وفى أثناء البحث عثرت على كلام مفاده : أنه مسبوق فى ذلك .

ومن سبقه البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فى كتاب «الاعتقاد» ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهما ، فقد استدل البيهقى على إثبات الصانع بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ، كون دلائلها ماخوذة من طريق الحس والاستفاضة بقوله :

(وقد سلك بعض مشايخنا - رحمنا الله وإياهم - فى إثبات الصانع ، وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ، لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها ، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا فى وجوب قبول مادعا اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا الوجه كان إيمان اكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم اجمعين) (١) .

وقد نقل هذا النص ابن القيم وأسنده الى الخطابى ماعدا الجملة الاخيرة التى تحتها خط (٢) .

أما كلام ابن تيمية وابن الوزير فيكاد أن يكون واحدا وسيأتى قريبا ان شاء الله تعالى .

وهذه الطريقة التى سلكها ابن الوزير تدل على إثبات وجود الله - سبحانه - من وجهين :

الوجه الاول : أن اتفاق الانبياء جميعا من لدن أولهم آدم - بغض النظر عن الخلاف فى نبوته - إلى خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - على أن لهذا العالم صانعا ومدبرا حكيما وقادرا على كل شىء .

الوجه الثانى : أن الطعن لا يتأتى فى جمع كبير يقدر بمائة الف ونيف وعشرين ألفا ، أزمانهم متباعدة واوطانهم متفرقة ، وأنسابهم مختلفة ،

---

(١) كتاب الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف للحافظ البيهقى ص ٤٥ - بيروت - ط. اولى سنة ١٤٠١هـ.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره محمد الموصلى جـ١ ص ١٦٧-١٦٨.

فاذا اتفق هذا العدد - وهذا حالهم - على القطع بصحة أمر لا مجال للعقول في معرفته ، كالشرعيات المحضة ، او عقلي نظري كإثبات صانع العالم ، بحيث لواجتمع عيون النظار وعلماء الاقطار على واحد منهم يشككون عليه في اعتقاده ويدخلون دقائق الشبه في ضميره لما رفع اليهم رأسا ، ولا التفت الى قولهم اصلا ، لعلمنا علما عاديا أنهم ماتواطئوا على التعمد والمباهته ، والتجرى على المغالطة ، وأنه ماجمع متفرقات أنظارهم ، وألف نوافر طباعهم وعصمهم عن متابعة المنفرات والقادحات في شريف حالهم ، وعزيز مقامهم إلا صدق ما ادعوه من علمهم باستناد هذا العالم الى رب عظيم ومدبر حكيم (١) .

ويمضي ابن الوزير مؤيدا طريقته في إثبات الصانع بانها طريقة القرآن وطريقة الانبياء - عليهم السلام - بان النظر في المعجزات هو ما اختاره الله - تعالى - لخليله ابراهيم عليه السلام - حين طلب أن يطمئن قلبه ولكليمه موسى حين أراد ان يفحم خصمه ، وهو النظر في المعجزات لأن التواتر فيها يقوم مقام المشاهدة ، وذلك في قصة حجاج موسى لفرعون لما اشتد كفره وتفاقم ، فلم يسلّم له ما اشار اليه من الاحتجاج بخلق المخلوقات فلجأ فرعون اللعين الى أسلوب العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة الى أسلوب السلطة والتهديد ، إذ قال لموسى : (لئن اتخذت إلها غيري لاجعلنك من المسجونين) فقال موسى : (أو لو جئتك بشيء مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) إلى قوله تعالى : (فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون) (٢) .

ويعقب ابن الوزير على هذه القصة بقوله :

(فهذا موسى - عليه السلام - احتج بالمعجز على صحة عقيدته في نبوته وغيرها على من صرح له بنفي الرب سبحانه .

---

(١) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٧-٨ ، ايثار الحق له ص ٧٣ .
(٢) سورة الشعراء : الايات ٢٩-٤٨ .

وبهذه الطريقة - اى النظر فى المعجزات الواضحات والخوارق الباهرات - آمن السواد الاعظم من أهل الاسلام وبالمعجز كان ايمان السحرة اذ حصل لهم من اليقين فى ساعة واحدة - حتى صبروا على مرارة القتل ، وفراق الحياة - مالم يحصل من النظار فى الكلام فى عدة أعوام ، وعند غلاة المتكلمين لا يصح ذلك لأنه قبل معرفة الله يجوز أن الله تعالى يظهر المعجزة على يد الكاذب تعالى الله عن ذلك(١) وعند بعضهم لابد من تقدم المعرفة بثبوت الرب وصفاته التى يعلم بها أنه هو ذكر ذلك ابن تيمية (٢) .

ويستمر ابن الوزير مؤكدا ماقرره من أن الطريقة التى آمن بها السواد الاعظم من أهل الاسلام فى زمن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وفى زمن موسى وغيرهما من الانبياء - عليهم السلام - هى المعجزة .

كما يستنكر طريقة غلاة المتكلمين المتهافتة فى استدلالهم بالأكوان والاعراض لانها غير ذوات حقيقيه عند المحققين

ومالهم عن دليل المعجزات أمـا ** فى طلعة الشمس عن نور السهى عوض

وفى العواصم بلفظ :

ومالهم عن دليل المعجزات أمـا ** فى الشمس عن زحل للمهتدى عوض

كيف يذهب هؤلاء القوم الى الطرق الوعرة المظلمة التى لا توصل إلى الغرض المنشود وأمامهم الطرق الواضحة وضوح الشمس ، ومنها دلالة المعجزات فى إثبات وجود الله - سبحانه - فالتصديق - فى نظر ابن الوزير - بالنبى كاف لمن حصل له ذلك ، لأنه اذا ثبتت الرسالة فلابد من المرسل ، وهذا أقرب الأدلة وأقواها وأجلاها وأقطعها للجاج وأولاها وهذا ما اعتمده ابن الوزير عند إرادته إفحام الخصوم بقوله : (أصول دينى كتاب الله لا العرض)(٣) . الخ .

ويقول ابن الوزير ايضا : (وما يدل على ذلك أيضا أن السحرة حين ألقوا عصيهم ماكانوا قد عرفوا الله تعالى . قال الله تعالى : (فألقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ١ قه ٧ - البرهان القاطع له ص ٣٨ .
(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١١ ص ٣٧٨ .
(٣) ترجيح أساليب القران على أساليب اليونان لابن الوزير ص ٧٥ - العواصم والقواصم له جـ ١٢ الوهم الخامس عشر قه ٢١٤ .

بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ، فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ،رب موسى وهارون) (١).

قلت : وجه الاستدلال من هذه الآيات هو أن السحرة اقسموابعزة فرعون أنهم هم الغالبون ، لأنهم لم يعرفوا الله فى ذلك الحين ،وإنما عرفوه من بعد ما بطل سحرهم ،وعلموا أن المعجزة التى تلقفت مايأفكون على يد موسى -عليه السلام- خارجة عن العادات ومقدور البشر ، فآمنوا رغم التهديدات الفرعونية والتحديات، بل تحدوا فرعون بما اخبر الله عنهم بقوله : (قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا (٢) ..) .

ثم يستمر ابن الوزير معددا الأدلة المؤكدة لدلالة المعجزات ، كقوله تعالى : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) (٣) ثم يبين وجه الاستدلال بقوله : (فهذا من الله تعليم لما تشهد العقول بصحته ، ولأصح الطرق إلى معرفته ، ولذلك لم يقدح فيه من سمعه من عقلاء الكفرة) (٤).

ثم يحشو ابن الوزير بهذه الحشيات البرهانية فى وجوه المعاندين الذين عميت بصائرهم اوتعامت عن معرفة الحق فتعمى أبصارهم ايضا وتشوه وجوههم ، هذه الحشيات هى قوله : (فمن قال إن هذه الأشياء لم تغده قيل له ماقال موسى لفرعون (لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مثبورا (٥) .

---

(١) سورة الشعراء : الايات ٤٤-٤٨ وانظر البرهان القاطع له ص ٣٨ .
(٢) سورة طه : ٧٢ .
(٣) سورة البقرة : ٢٣ .
(٤) كعتبة بن ربيعة حينما قرأ عليه النبى صلى الله عليه وسلم أوائل سورة فصلت حتى وصل الى قوله تعالى (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة (حسبك حسبك) وفى رواية اخرى فامسك على فيه وناشدهم بالرحم .. فلما رجع الى قومه قالوا ماوراءك يا ابا الوليد فقال : انى سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .. وفى رواية والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلو ومايعلى ... انظر القصة بكاملها فى السيرة لابن هشام جـ١ ص٢٩٣-٢٩٤ - تفسير ابن كثير جـ٨ ص٢٩٢-٢٩٣ وانظرها مطولة فى جـ٧ من تفسيره ايضا من عدة طرق ص ١٥١-١٥٢ .
(٥) سورة الاسراء : ١٠٢ - وانظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٨ .

وابن الوزير سنة ٨٤٠ هـ قد سلك طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ فى هذه النقطة تماما ولست أدرى أهذا من قبيل الموافقة أو اطلع المتاخر على كلام المتقدم فقد ذكر ابن الوزير الآيات التى ذكرها ابن تيمية ذاتها من سورة الشعراء إلا أن المتقدم استكملها والمتأخر اقتطف الشاهد منها .

وقد أقر شيخ الاسلام هذه الطريقة - دلالة المعجزات - على إثبات الخالق عز وجل - لأن القرآن قد جاء بها فى قصة فرعون فإنه كان منكرا للرب سبحانه وتعالى (١) .

كما علق ابن تيمية على تلك الآيات بقوله : (فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التى جعلها دليلا على صدقه فى كونه رسول رب العالمين ، وفى أن له إلٰها غير فرعون يتخذه ، وكذلك قال تعالى : (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو) (٢) . فبين ان المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة ، لان المعجزة التى هى فعل خارق للعادة - تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث ، بل هى اخص من ذلك لأن الحوادث المعتادة ليست فى الدلالة كالحوادث الغريبة ولهذا يسبّح الرب عندها ويُمجّد ويُعظّم مالا يكون عند المعتاد ويحصل فى النفوس ذلة من ذكر عظمته مالا يحصل للمعتاد ، إذ هى آيات جديدة فتعطى حقها وتدل بظهورها على الرسول .

واذا ثبت أنها تدعوا الى الاقرار بأنه رسول الله فيتقرر بأنها الربوبية والرسالة) (٣) .

قال ابن القيم مؤيدا هذه الطريقة :

(وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع مايمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته ومشيئته وإرادته ، وعلمه بالكليات والجزئيات ، وعلى رسالة الرسول وعلى المبدا والمعاد) (٤) .

...

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١١ ص ٣٧٧ - ٣٨٠ .
(٢) سورة هود : ١٤ - وسياق هذه الاية فى تحدى المشركين ان يأتوا بمثل هذا القران او بعشر مثله مفتريات وهو قوله تعالى : (ام يقولون افتراه فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) " ١٣ : هود) .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١١ ص ٣٧٧ - ٣٨٠ .
(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم . اختصره محمد الموصلى جـ ١ ص ١٦٨ .

- مقارنة بين كلام ابن تيمية وابن الوزير رحمهما الله :

اذا نظرت الى الاستدلال بآيات سورة الشعراء السابقة الذكر - على المعجزات تجد الطريقة واحدة ، بدليل أن افكارهما إن لم تكن واحدة فتكاد أن تكون كذلك ، إلا أن شيخ الاسلام ابن تيمية سرد معظم القصة بما فيها من الحوار كما في الفتاوى وابن الوزير اكتفى بالشواهد منها .

كذلك اذا نظرت الى تعقيب شيخ الاسلام على تلك الآيات بقوله : (فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التى جعلها دليلا على صدقه فى كونه رسول رب العالمين وفى أن له إلها غير فرعون يتخذه)(١) . اذا نظرت الى هذا ثم نظرت الى قول ابن الوزير مقدما لتلك الآيات ذاتها بقوله : (والذى احتج به موسى الكليم - عليه السلام - على فرعون وسماه شيئا مبينا ، وفى موضع آخر قال : (فهذا موسى - عليه السلام احتج بالمعجز على صحة عقيدته فى نبوته وغيرها على من صرح له بنفى الرب سبحانه)(٢) . فأنت اذا ما قارنت بين كلام الشيخين فستجد أن هذه الافكار بعضها من بعض ، وكأن ابن الوزير اطلع على كلام ابن تيمية او تتلمذ له ، ولا غرابة فى ذلك فابن الوزير قد تأثر تأثرا شديدا بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بدليل أنه يختار بل يحشد من كلامهما فى القضايا والمسائل المختلف فيها بين الفرق الاسلامية وغيرها ما يبهر لب قارئه وقد أشرت الى ذلك فى منهجه فى البحث العلمى ولله الحمد والمنة .

فهذه طريقة قرآنية بحتة لا يشوبها شئ من طرق أهل الكلام ومصطلحاتهم ، فليس فيها ذكر الحدوث ولا الجوهر ولا الأكوان ولا غير ذلك .

ولا يكتفى ابن الوزير بما قرره من دلالة المعجزات على صدق الانبياء - عليهم السلام - واتفاقهم فيما أخبروا به من أن لهذا العالم صانعا ومدبرا حكيما . . و . . بل يضيف الى ما سبق الكثير من القرائن الدالة على ذلك نلخصها فيما يلى ، وقد نضيف

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ٣٧٩ .

(٢) البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٨ ، العواصم له ج ١ ورقه ٧ والايثار له ص ٥٢

اليها يسيرا .

(١) ماتواتر من صفاتهم : - عليهم السلام - من عدل وصدق ووقار وزهد في الجاه والمال ، وصلابة تقوى على المحن ، فقد لبث نوح عليه السلام - ألف سنة إلا خمسين عاما بين ظهراني قومه وعشيرته ، فنابذ هم وضللهم وكفرهم حتى كانوا يضربونه ويهينونه ويؤذونه بأنواع الأذى وليس له في ذلك هوى ولا شهوة (١) .

وهذا محمد - صلى الله عليه وسلم - عرضت عليه قريش المال والزوجة والجاه والرياسة مقابل ان يترك تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم ، وتعنيف الأحياء والأموات من عشيرته ، فلم يرفع إلى كلامهم رأسا ولم يلتفت الى مقالتهم أصلا (٢) ، بل حدد موقفه الحاسم المشهور الخالد بقوله : (ماجئت بماجئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فان تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) (٣) .

فلماذا لم يتحول النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الغنيمة التي سيقت إليه مادام أنها الدافع له من وراء دعوته ؟ ! وهل ينصت طالب الملك والزعامة لمن سعى يعرضها في مفاوضات طويلة رجاء وتهديدا ، ويقول لهم أخيرا كلمته الفاصلة والمدوية في أرجاء العالم الى يوم القيامة : (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أموت دونه ماتركته) (٤) .

---

(١) راجع قصة نوح في القران الكريم من ذلك سورة الاعراف وهود والشعراء والقمر والعنكبوت وسورة سميت باسمه عليه السلام وغير ذلك .

(٢) انظر البرهان القاطع في معرفة الصانع لابن الوزير ص ٨-٩ .

(٣) السير والمغازي لابن اسحق ص١٩٧-١٩٨ ، تفسير ابن كثير جـ٧ ص ١٥٢ ، البداية والنهاية جـ٣ ص ٦٣ . قال الالباني في تخريج احاديث فقه السيرة للغزالي وسنده حسن ان شاء الله ص ١١٢-١١٣ .

(٤) السيرة لابن هشام جـ١ ص ٢٦٦ ومن طريق ابن جرير عن يعقوب بن عتبة ويعقوب لم يدرك احدا من الصحابة فهو من اتباع التابعين فهذا اسناد معضل : ضعيف كذا قال الالباني في تخريج احاديث فقه السيرة للغزالي ص ١١٤ وسكت عنه ابن كثير . قلت : لا يضر الحكم عليه بالضعف فان اصول الكتاب والسنة تؤيده اي في صمود الحق واتباعه أمام الباطل وأحزابه من ذلك قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ٩٤ من سورة الحجر ، وقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة ٦٧ . واعظم ماارسل به صلى الله عليه وسلم الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وهذه الكلمة الحاسمة قالها صلى الله عليه وسلم في معرض المساومة بالكف عن سب الآلهة فكانت الجواب الحاسم والكلمة الخالدة ابد الدهر (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم) ١٥ من سورة الشورى . والله اعلم .

(٢) معاداتهم لقراباتهم وأرحامهم الذين جبلت الطباع على محبتهم وكذلك ترك مناهج آبائهم التي ولع الطبع باتباعها ومعاداتهم لعشيرتهم الأقربين في سبيل تبليغ دعوتهم .

فهذا نوح - عليه السلام - ترك ابنه وفلذة كبده يغرق مع الغرقى ، واستغفر من دعائه ألا يكون مع الهلكى . وهذا ابراهيم - عليه السلام - تبرأ من أبيه لماتبين انه عدو للموعزم على ذبح ولده الذى هو قرة عينه وأحب الناس اليه ، وهذا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذى شهد العدو والصديق بأنه أبر الخلق بعامة أمته دع عنك خاصة رحامته حتى أن الله عاتبه على كثرة رحمته بقوله : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (١) . ترك الثناء على أبويه والذكر لهما والترحم عليهما بعد نزول قوله تعالى : (ماكان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى) (٢) ، وولع بذكر النجاشى وصلى عليه ، وأثنى على سلمان الفارسى وأهدى ثمرات الدعاء الجميل اليه (٣) .

وقد أجمع الأصدقاء والأعداء والكفرة والبررة على أن الانبياء - عليهم السلام - كانوا أعقل الناس وأوقرهم . أما المسلمون فعقائدهم فيهم ظاهرة .. فكيف ترى هؤلاء العقلاء الحذاق يعادون أرحامهم ويصادقون من لم تتصل وشيجة نسب بينه وبينهم ، ويتركون مافى موالاة العشيرة من الانتصار عند الهضم والسلامة من الظلم ، ويتحملون مضار عداوتهم لغير غرض يعود عليهم ولا فائدة ترجع اليهم (٤) .

(٣) وقوفهم - عليهم الصلاة والسلام - وهم فقراء مساكين أمام قوى العالم بلا خوف ولا ملق كوقوف موسى وهارون - عليهما السلام - فى وجه فرعون الذى ادعى الربوبية ، أتياه بأعظم مايوجب ضرب أعناقهما ، لا ترتعد لهما فريصة ولا يخافان من الدنيا نقيصة .

وهذا محمد - صلى الله عليه وسلم - وقف فى وجه قريش وسائر العرب ، وأنوفهم بالكبر تعطس ، وألسنتهم لا تنطق الا بالفخر ، يرون ان يبيد أولهم وآخرهم

---

(١) سورة فاطر : ٨ .
(٢) سورة التوبة : ١١٣ وانظر الاثار الشاهدة لذلك فى تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ص ١٥٨-١٥٩ .
(٣) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٩-١٠ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٠ .

وأصاغرهم وأكابرهم على أيسر عار يلم بساحتهم أو أهون نقص يدتوامن أنسابهم ، فجاء - عليه الصلاة والسلام - من الناصر وحيدا ، ومن المال فقيرا ، يسب آلهتهم ويلهب أفئدتهم ويسفه احلامهم ، يتيم مكفول ، فبينما هو كذلك اذ قام يعيب على كافله دينه ويسفه رأيه ولا يخاف من شجعان العرب المشاهير أن عارضهم جميعا وانفرد بعداوتهم وحيدا (١) .

(٤) حصول أغراضهم كما قال تعالى : (والعاقبة للمتقين) (٢) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (٣) (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) (٤) . (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) (٥) .

فهذا نوح - عليه السلام - الفقير ، الذى كان يضرب ويشتم فلا يجد له ملجأ ولا مجيرا ، نبعت له الارض عيونا والسماء غيوثا حتى كان من عجيب غرق قومه ماكان (٦) .

ومن ذلك الخسف بأهل السبت من اليهود قردة ، وذلك مما يحصل به العلم الضرورى لمن شاهده أو تواتر له ،لأن تحول الصورة الى صورة أخرى لا يكون بالطبع، ولا تدخل فيه شبهة لأهل الكفر ، وذلك من الأدلة الواضحة على وجود الله - سبحانه - وقدرته (٧) .

وفى الحديث : (الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة) (٨) وكذلك وقع ولله الحمد ، فإن احدا ممن طلب الدنيا والراحة والملك والرياسة من الفلاسفة والمنجمين ،

---

(١) البرهان القاطع فى اثبات الصانع لابن الوزير ص ١٠ .
(٢) سورة القصص : ٨٣ .
(٣) سورة الروم : ٤٧ .
(٤) سورة الصافات : ١٧١-١٧٣ .
(٥) سورة المجادلة : ٢١ .
(٦) انظر القصة بكاملها فى سورة هود :الايات ٢٥-٤٩ ،الشعراء الايات ١٠٥-١٢٣ وسورة العنكبوت وسورة القمر وسورة كاملة سميت باسم نوح وغير ذلك .
(٧) البرهان القاطع فى معرفة الصانع لابن الوزير ص ١٢ .
(٨) متفق عليه من حديث طويل عن ابن عباس رضى الله عنهما ، البخارى جـ٣ كتاب الجهاد باب قول الله تعالى (قل هل تربصون بنا)ص ٢٠٥ ومسلم جـ٣ كتاب الجهاد باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل ص ١٣٩٥ مسند احمد جـ١ ص ٢٦٣ جـ٤ ص ٢٥-٢٦ .

والمشعوذين ، بل من أهل الاموال والعشائر وأرباب الخدم والعساكر من ملوك حمير، والتبايعة والأكاسرة ،والقياصرة بلغابلغن ملك محمد -صلى الله عليه وسلم- المعشار ولا استدام له بعد موته ما استدام لمحمد -صلى الله عليه وسلم- من ملوك الاقطار.

(٥) زهدهم فى الدنيا ، وتلقهم من هول المعاد ، وإطراحهم للأهوى ، وتقطع نياط قلوبهم للعذاب السرمدى ، وهو شىء علم منهم أنه جد لامزاح فيه ولا هزل ، زفراتهم كانت متصعدة ،ونيار خوفهم لم تزل متوقدة ، ومدامع عيونهم على وجناتهم متدفقة ، كان محمد -صلى الله عليه وسلم- يصلى حتى تورمت قدماه، ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، فقيل له : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ [1] .

(٦) إن جمعا منهم تمكنوا من الدنيا ،واستولوا على مايحب الناس منها ، فلم تتغير لهم طريقة ، ولم تتحول لهم سجية ملك سليمان -عليه السلام- ملكا لا ينبغى لأحد من بعده (قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) [2] .

(٧) قوة يقينهم بمواعيد الله ، وتسليمهم نفوسهم لماأمر الله ، وإن كان فى ظاهره كالجناية على النفس والإلقاء بها إلى التهلكة ، كقول نوح -عليه السلام- وحده لقومه مع كثرتهم وقوتهم (.. فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون) [3]

ونحو ذلك قال هود [4] ،ومن ذلك إلقاء أم موسى له فى البحر [5] ،ومنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عن حراسته بعد قول الله تعالى : (والله

---

(١) انظر حديث الازيز فى سنن النسائى جـ٣ كتاب السهو ص ١٢ وحديث تورم القدمين الشريفين من طول القيام رواه البخارى جـ٦ ،تفسير سورة الفتح ، باب قول الله تعالى : (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبكوما تأخر) اية ٢ص ٤٤ ومسلم جـ٤ كتاب المنافقين باب اكثار الاعمال والاجتهاد فى العبادة ص٢١٧١ وسنن الترمذى مع تحفة الاحوذى جـ٢ ابواب الصلاة بابماجاء فى الاجتهاد فى الصلاة ص٤٦٠ ، ٤٦١ سنن ابن ماجه كتاب اقامة الصلاة باب ماجاء فى طول القيام ص٤٥٦ ، مسند احمد جـ٤ص٢٥٥ وانظر البرهان القاطع ص١٢ .

(٢) سورة ص: الايات ٣٥-٣٩ وانظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ١٣ .

(٣) سورة يونس : ٧١ (٤) انظرسورة يونس : ٥٥ .

(٥) انظر سورة طه : ٣٩ - القصص : ٧ وفى نبوة المراة خلاف طويل ليسهذا محل تحقيقه وكأنّ ابن الوزير يشير الى صحة ذلك وهو مرجوح .

يعصمك من الناس) (١) .

(٨) عجز من عاصرهم عن إظهار كذبة واحدة لواحد منهم فى جميع حياته فى جميع الأمور التى ادعاها ، تشهد بصدقهم أنواع المخلوقات ، وتفصح لهم بالاحتجاج بدائع المصنوعات ، من سماء مرفوعة ، وأرض موضوعة ، ونجوم فى منازلها سيارة ، منها مصابيح ، ومنها زينة ، ومنها ثواقب ، ومعالم ، ورواجم ، وأقمار ، وبحار ، و... (٢) .

فان قيل : كيف يصح القول بالعجز عن اظهار كذبة واحدة لواحد من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فى جميع حياته ، فى جميع الامور التى ادعاها وقد ثبت فى الصحيحين (٣) من حديث ابى هريرة مرفوعا : (لم يكذب ابراهيم -عليه السلام- إلّا ثلاث كذبات ، ثنتين منها فى ذات الله -عز وجل- قوله : (إنى سقيم) (٤) وقوله : (بل فعله كبيرهم هذا) (٥) .. وواحدة فى شان سارّة، قوله : (هى اختى).

فالجواب من وجوه :

الوجه الاول : إن هذا لم يكن مما يبلغه عن الله -عز وجل- والانبياء معصومون من الكذب ، قليله وكثيره فى ذلك باجماع السلف .

الوجه الثانى : إن هذا ليس من الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله ، حاشا وكلا .
قال الحافظ ابن كثير بعد أن أورد الحديث السابق : (ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا وإنما أُطلق الكذب تجوزا ، وإنما هو من باب المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى) (٦) وايد هذا شيخ الاسلام ابن تيمية (٧) .

---

(١) سورة المائدة : ٦٧.
(٢) البرهان القاطع لابن الوزير ص ١٣-١٤ .
(٣) متفق عليه البخارى جـ٤ كتاب الانبياء باب فضائل ابراهيم عليه السلام ص٢١١ ومسلم جـ٤ كتاب الفضائل باب فضائل ابراهيم ص١٨٤٠ ، مسند احمد جـ٢ ، ص ٤٠٣-٤٠٤ .
(٤) سورة الصافات : ٨٩ (٥) سورة الانبياء : ٦٣ .
(٦) تفسير ابن كثير جـ٧ ص ٢١ .
(٧) انظر معارج الوصول الى أن اصول الدين وفروعه قد بينها الرسول صلى الله عليه وسلم لابن تيمية المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ.

وفى الحديث : (إن فى معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب) [١] .

الوجه الثالث : انه يتطرق عدة احتمالات لهذه الثلاث الكلمات الواردة فى الحديث ، ففى قوله (إنى سقيم) يحتمل أنه كان محموما ، ويحتمل أن الانسان معرض للأسقام ، ويحتمل أن يكون سقيم القلب من عبادتهم الأصنام . وإذا تطرق الاحتمال بطل الاستدلال ، كما تقرر فى الاصول .

أما قوله : (بل فعله كبيرهم هذا [٢]) فيحتمل أن يكون هذا من باب الجدل ، تمهيدا للاستدلال على أن الاصنام لا تضر ولا تنفع ، بل لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولو كان لها قدرة لفعلت ، ولكنها لم تفعل بل لم تنطق ، ولذلك أردفها بقوله : (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) [٢] .

الوجه الرابع : أن ثنتين منهن فى ذات الله -عز وجل- كما صرح بذلك المعصوم صلى الله عليه وسلم أى ان ابراهيم -عليه السلام- استخدم ذلك الاسلوب فى مجال الدعوة حسب اجتهاده فيما يقتضيه المقام ولكل مقام مقال .

وأما الثالثة التى فى شأن سارّة ، فقد قرر العلماء أنها فى ذات الله أيضا لأنها سبب دفع كافر ظالم ، عن مواقعة فاحشة عظيمة ، ولحديث ابى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى كلمات ابراهيم الثلاث التى قال : (مامنها كلمة إلا ماحَلَ بها عن دين الله تعالى ، فقال (إنى سقيم) وقال : (بل فعله كبيرهم هذا) وقال للملك حين اراد المرأة (هى أختى [٣]) اى فى الاسلام .

وفى رواية : (والله مافيها كذبة إلا وهو يماحل بها عن الاسلام) [٤] .

---

(١) رواه البخارى فى الادب المفرد انظره مع شرحه فضل الله الصمد لفضل الله الجيلانى جـ٢ ص ٣٣٤ - المطبعة السلفية بالقاهرة ، ط. ثانية ، ورواه ابن جرير الطبرى فى تهذيب الآثار جـ١ ص ١٢١ تحقيق ناصر بن سعد الرشيد وعبد القيوم مطابع الصفا بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢ هـ . ورواه ابو الشيخ الاصبهانى فى كتاب الأمثال فى الحديث النبوى جـ١ ص ١٤٣ تحقيق عبد العلى عبد الحميد طبع الهند ط. أولى سنة ١٤٠٢ هـ . روى هذا الحديث عن عمران بن حصين وغيره مرفوعا وموقوفا وفيه مقال وحسنه العراقى كما فى المقاصد الحسنة للسخاوى ص ١١٥-١١٦ وانظر التفاصيل فى المراجع المحررة فى صفحاتها المذكورة .

(٢) سورة الانبياء : ٦٣ .

(٣) رواه ابن كثير فى تفسيره جـ٧ ص ٢١ .

(٤) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير جـ٤ ص ٣٠٣ ومعنى يماحل يجادل ويدافع من المحال بالكسر وهو الكيد وقيل المكر وقيل القوة والشدة كما فى المصدر نفسه .

وقد اطال الحافظ فى الفتح (١) فى شرح الحديث المذكور وأفاد وأجاد ، وسبقه النووى (٢) وابن كثير (٣). والله أعلم بالصواب.

(٩) إن اصل جميع البشر ، وهو آدم عليه السلام ، أول من بعثه الله (٤) نبيا وسلك هذا السبيل ، ولا حاجة له الى الكذب والتزوير ، اذ لا احد معه فيحتال عليه ويخدعه ليأخذ ما لديه ، إلا من هو طوعه وفرعه ومسعده ومتبعه .

(١٠) عدم اختلافهم فيما اخبروا به ، ألا ترى أن الفلاسفة اختلفوا أشد الاختلاف ، وهؤلاء الانبياء عليهم السلام - ماكانوا مخالطين لأصحاب الدروس المنطقية والجدلية ، بل سلكوا مسلك المتعبدين من العامة ، ثم أتى كل واحد منهم فى الإلهيات بعقائد أصبحت مرجع ومنتهى كل مدقق .

(١١) أن من سلك طريقهم وقبل نصيحتهم ، وصبر صبرهم ظهر عليه من الكرامات قريب مما ظهر عليهم وقد يظهر على بعضهم مثل معجزات الانبياء كما ظهر لمريم عليها السلام وأصحاب الكهف وغيرهم (٥) .

(١٢) وأخيرا نتوصل الى صدق الانبياء - عليهم السلام - فيما اخبروا به من وجود صانع ومدبر حكيم لهذا العالم ، ألا وهو ما أيدهم الله به من المعجزات وخوارق العادات ، من غير ممارسة لشئ من علوم الطبائعيين والمرتاضين والمتفلسفين والمنجمين والمتكهنين ، وبما اخبروا عن المغيبات ووقعت كما أخبروا ، وقد وصلوا فى خرق العادات الى مرتبة قصر عنها اهل الدراية فى هذه الفنون .

فهذا الكليم فعل مافعل مع السحرة حتى اقروا وشهدوا أن الحق معه ، وهم ألوف يحصل بخبرهم العلم ، ويستحيل تواطؤهم على الكذب ، كيف وسيف فرعون على أعناقهم مسلول .

وذاك عيسى - عليه السلام - أحيى الموتى وأبرأ الاكمه والأبرص باذن الله .

---

(١) فتح البارى جـ٦ ص ٣٨٨-٣٩٤.

(٢) شرح مسلم جـ١٥ ص ١٢٣-١٢٥.

(٣) فى تفسيره جـ٧ ص ٢١-٢٢ .

(٤) فى نبوة آدم خلاف مشهور وابن الوزير نفسه قد اشار الى هذا الخلاف فى البرهان القاطع له ص ١٦.

(٥) البرهان القاطع لابن الوزير ص ١٦-١٧ ويظهر من كلام ابن الوزير هنا نوع من التعارض لماسبق فى القرينة السابعة حيث ان ظاهر كلامه يدل على انه ادخل مريم فى سلك الانبياء وفى هذه القرينة الحادية عشرة ظاهر كلامه ان مريم ممن ظهرت عليها كرامات الاولياء وهذا مما يدل على شدة الخلاف فى الموضوع والا لما تعارض كلام ابن الوزير هنا . والله اعلم.

وذاك خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - قد جاء بنوع من الإعجاز - بغض النظر عن سائر المعجزات المشهورة - لا يتصور فيه السحر ، ولا تعقل فيه التعمية ، قرآن اسكت فصحاء العرب وبلغائهم وشعرائهم وخطبائهم (١).

وفي الصحيحين عن ابى هريرة مرفوعا (مامن الانبياء نبى إلا أعطى من الايات مامثله أو من أو آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحيا اوحاه الله إلىّ فأرجو أنى اكثرهم تابعا يوم القيامة) (٢).

قال الحافظ : (ومعنى الحصر فى قوله : (انما كان الذى اوتيته) (٣) ان القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها ، لاشتماله على الدعوة والحجة ، ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر .

فلما كان لا شىء يقاربه فضلا عن أن يساويه ، كان ماعداه بالنسبة اليه كأنه لم يقع) (٤) .

هذا مع خرق العادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ، وعجز الانس والجن عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين او متفرقين فى جميع الاعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا (٥) . وهم أفصح العرب ، بل ملوك البيان وأمراء الفصاحة وفطاحل البلاغة ، فاذا عجزوا فغيرهم أعجز عن الاتيان بمثله أو بعشر سور ، أو بسورة (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٦) . مع اشتماله على كل مايحتاج اليه البشر ، وكل مايسعدهم فى دينهم ودنياهم ، من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر - مقرونا بالبراهين العقلية والفطرية التى لا تترك للعقل السليم مجالا للانكار ، بل تخضعه للتسليم والاقرار - ومن العبادات والمعاملات والاخلاق ، وإصلاح الاسرة ، وصلاحها والسياسة والاجتماع مالا يدركه البشر ولو اجتمع كل المشرعين منهم من اول الخليقة الى نهاية الدنيا لما استطاعوا ان يأتوا بتشريع مثله ، فضلا عن أن يأتوا بأحسن منه (٧) .

---

(١) البرهان القاطع فى معرفة الصانع لابن الوزير ص ١٤ .

(٢) متفق عليه البخارى جـ٨ كتاب الاعتصام باب قول النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ص ١٣٨-١٣٩ واللفظ له مسلم جـ١ كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة محمد ص ١٣٤ فالأولى من الأمن والثانية من الايمان .

(٣) كذا باثبات العائد وحذفه كما فى النسخ التى بين ايدينا .

(٤) فتح البارى جـ٣ ص ٢٤٨ (٥) شرح مسلم للنووى جـ٢ ص ١٨٨ .

(٦) سورة الاسراء : ٨٨ .

(٧) الاسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب لاحمد بن حجر آل بوطامى ص ٢٨ ط . ثالثة سنة ١٣٩٨ هـ الناشر مكتبة الثقافة ، قطر .

ومعلوم ان معجزات الانبياء قد انقرضت بانقراض اعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها لحضرتهم ومعجزة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - القرآن المستمر الى يوم القيامة (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) .

هذا ولا يزال ابن الوزير مركزا ومهتما بدلالة المعجزات ووصفها بأنها من اقوى الدلالات وأوضح الآيات وعلل ذلك بقوله (لجمعها بين أمرين واضحين لم يكن نزاع المبطلين إلا فيهما أو في أحدهما وهما الحدوث الضرورى والمخالفة للطبائع والعادات) (٢) .

ثم استدل على ذلك بقصة ابراهيم - عليه السلام - حين سأل الله - عز وجل - طمأنينة قلبه ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : (وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم) (٣) .

ثم أيد ذلك باحتجاج موسى عليه السلام على فرعون بالمعجز ، والقصة فى سورة الشعراء (٤) معروفة ، وقد سبق بيانها .

ويقول ابن الوزير :

(وعلى كل حال فالنبوات وآياتها البينة ، ومعجزاتها الباهرة ، وخوارقها الدامغة امر كبير ، وبرهان منير ماطرق العالم له معارض ألبتة خصوصا مع قدمه وتواتره ، فان آدم - عليه السلام - أول البشر وابوهم نبى مرسل الى اولاده ، ثم لم تزل رسل الله عز وجل تترى مبشرين ومنذرين وعاضدين لفطرة الله التى فطر الخلق عليها) (٥) .

---

(١) سورة الحجر : ٩ .
(٢) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٣ .
(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٤) اقرا القصة بكاملها ٩-٦٨ .
(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٣ ، ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان له ص ١٠٥-١٠٧ وفى نبوة ادم ورسالته خلاف مشهور بين العلماء ومما يؤيد ماذهب اليه ابن الوزير قوله تعالى : (ان الله اصطفى ادم ونوحا ...) ٣٢ من سورة ال عمران وما اورده ابن كثير فى البداية جـ١ ص ٦٧ من حديث ابى ذر وفيه قلت : يارسول الله من كان اولهم؟ قال : ادم . قلت يارسول الله نبى مرسل ؟ قال : نعم .

والحاصل أن المعجزات التى ظهرت على ايدى الانبياء - عليهم السلام - بدون ممارسة لشىء من علوم الفلاسفة والمنجمين والرياضيين تدل على صدقهم ، وقد اخبروا بوجود الله - سبحانه - كما تدل على وجوده تعالى ايضا من حيث إنها حادثة ضرورة ، ومخالفة للطبائع ولو لم تكن من الأدلة على وجود الله - سبحانه - إلا تصديق الانبياء لكان ذلك كافيا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

...

دلالة الايمان على وجود الله - عز وجل - عند الشدائد :

هذه الطريقة مستفادة من كلام ابن الوزير فى تكملة الطرق الآنفة الذكر بعد نصيحة وجهها لأصحاب الطباع القاسية بقوله : (... فان من طبائع النفوس الايمان عند شدة الخوف ، ولذلك آمن قوم يونس لمارأوا العذاب ، وآمن فرعون حين شاهد الغرق)(١) .

يشير ابن الوزير الى قصة ايمان قوم يونس التى اخبر الله بها فى كتابه الكريم بقوله : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)(٢) .

ولعل هذه القصة هى الفريدة من نوعها فى التأريخ ، فان الايمان عند الشدائد أو فى اللحظة الأخيرة من العمر غير مقبول ، فإيمان فرعون عندما أدركه الغرق لم ينفعه وإنما يستفاد منه أن من طبائع النفوس الإيمان عند شدة الخوف ، لا سيما نفوس الطغاة كفرعون الذى ادعى الربوبية ، وعندما ادركه الغرق قال : آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ، فنزلت عليه سياط التقريع والتوبيخ اللاذعة : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)(٣) .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٨ .
(٢) سورة يونس : ٩٨ .
(٣) سورة يونس : ٩٠-٩٢ .

وقد أشار القرآن الكريم الى أمثال هذا فى مواضع كثيرة من ذلك قوله تعالى : (بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب)[١]. أى إن قريشا قد علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل صدوقا بينهم وإنما شكوا فيما أُنزله الله عليه ، هل هو من عند الله أم لا ؟ (بل لمايذوقوا عذاب) اى إنما اغتروا بطول الامهال ، ولو ذاقوا العذاب على الشرك لزال عنهم الشك[٢] وسيذوقونه .

قلت : ومن ذلكتوحيد المشركين حينما كانوا يعاينون الامواج المتلاطمة فى البحر تحيط بهم ويكاد الغرق أن يطبق عليهم فآمنوا حينها،وأعلنوا الوحدانية لله وحده ، فلما نجاهمالله من هذه المهلكة وخرجواالى البر سالمين رجعوا عن ذلك، قال تعالى : (هوالذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذاكنتم فى الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أُحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، فلما أنجاهم إذا هم يبغونفى الأرض بغير الحق ..)[٣] وامثال ذلك كثير.

ويعلل ابن الوزير لهذه الفكرةاى الاقرار والايمان بوجود الله عند الشدائد بقوله :

(ولذلك يرجع كثير منالعقلاء عند الموت عن عقائد وقبائح وشبهات كانوا مصرين عليها ، وليس ذلك لتجلى برهان حينئذ بل لأن الطبع القاسى كان كالمعارض للبرهان فلما لا ن بقى البرهان بلامعارض ، ولو شاهد فرعون وغيره أعظم برهان بغير خوف ما آمنوا (فماكان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين)[٤] .

ثم حكى أن ابن سينا - رأس الفلاسفة - لما عرفعلة الموت أقبل على القرآن وترك ماكان عليه وأعتق مماليكه وفعل منالقرب ما أمكنه وأُقبل على التضرع إلى الله تعالى وتلاوة كتابالله فاضمحلت عنه الوساوس)[٥] .

---

(١) سورة ص . ٨
(٢) انظر تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٥٥٩٦
(٣) سورة يونس : ٢٢-٢٣ .
(٤) سورة الاعراف : ٥ .
(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٥٨-٦٢ ،وانظر شذرات الذهب لابنالعماد الحنبلى جـ ٣ ص ٢٣٤ وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ١٦٠ .

وكما أن النفس بعيدة (١) الايمان فإنها بعيدة الأمان ، وخوفها أعظم الأعوان على الايمان قال تعالى : (وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (٢) . وقال تعالى : (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) (٣).

ولا ن النفس تنزل عند التخويف من مرتبة القطع بالتكذيب الذى هو أول ما يروم الشيطان ، فاذا نزلت من ذلك فيجب عليها عقلا تصديق الثقة ، والعمل بالظن ، كيف اذا جاء الثقة مع ظن صدقه بالمعجز ، وعضدته البراهين . وإلى هذه الطريقة الاشارة بقوله تعالى : (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) (٤) . وقوله : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) (٥) وامثال ذلك كثير .

والآن يظهر لك - إن شاء الله - ما سبق أن اثبات الرب والايمان به هو الحق والأحوط بحيث لا يخاف من هذا الاعتقاد مضرة ألبتة فالخوف العظيم والمضار العظيمة فى عكس ذلك .

قال المنجم والطبيب كلاهما *** لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فليس بضائرى *** أو صح قولى فالوبال عليكما

وكما قيل :

ورغبنى فى الدين أن دليله *** قوى ويخشى كل شر بجحده
وكرهنى للكفر أن فساده *** جلى ويخشى كل شر بقصده (٦)

---

(١) لعل المعنى عميقة الايمان .
(٢) سورة الاعراف : ١٥٤ .
(٣) سورة الذاريات : ٣٧ .
(٤) سورة الاحقاف : ١٠ وجواب الشرط محذوف تقديره : ألستم ظالمين ، دل عليه اخر الاية اهـ . جلالين ص ٤٢٣ .
(٥) سورة غافر : ٨٤ .
(٦) انظر الايثار لابن الوزير ص ٥٩ - ٦٣ .

ومن أحسن ما أشير فيه الى المعجزات المذكورة فى القرآن الكريم هذه الأبيات:

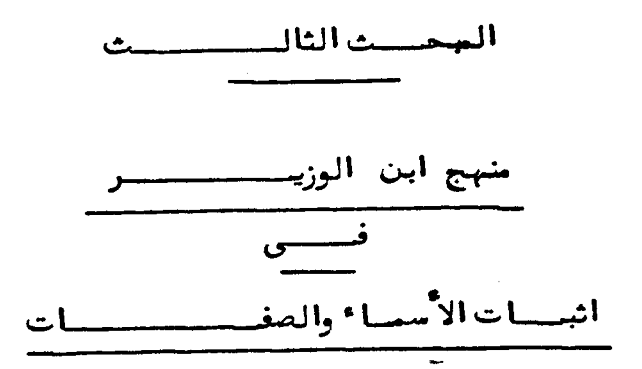
هو الله من أعطى هداه وصحبه *** هواه أراه الخارقات بحكمة
بذاك على الطوفان نوح وقد نجا *** به من نجا من قومه فى السفينة
وغاض له ما فاض عنه استجابة *** وجد الى الجودى بها واستقرت
وسار ومتن الريح تحت بساطه *** سليمان بالجيش فوق البسيطة
وقبل ارتداد الطرف أحضر من سبا *** له عرشُ بلقيس بغير مشقة
وأخمد ابراهيم نار عدوه *** ومن نوره عادت له روض جنة
ولما دعا الأُطيار من رأس شاهق *** وقد ذبحت جاءته غير عصية
ومن يده موسى عصاه تلقفت *** من السحر أهو الا على النفس شقت
ومن حَجر أجرى عيونا بضربة *** بها دائما سقّت وللبحر شقت
ويوسف إذا لقى البشير قميصه *** على وجه يعقوب عليه بأوبة
رآه بعين قبل مقدمه بكى *** عليه بها شوقا اليه فكُفت
وفى آل اسرائيل مائدة من السما *** ء لعيسى أُنزلت ثم مدت
ومن أكمه ابرى ومن وضح غدا *** شفى وأعاد الطير طيرا بنفخة
وصح باخبار التواتر أنه *** أمات وأحيا بالدعاء ربَّ ميت
وأبعد من هذا السحر أنه *** رضيع ينادى باللسان الفصيحة
ينزه عن ريب الظنون عفيفةً *** مبراة من كل سوء وريبة
وقال لأُهل السبت كونوا إلهنا *** قرودا فكانوا عبرة أى عبرة
وصرّع أهل الفيل من دون بيته *** بطير أبابيل صفار ضعيفة
وأحرق روض الجنتين عقوبة *** بكهف ونون عبرة للبرية (١)

ونختم هذا البحث بنصيحة قيمة عامة وجهها ابن الوزير لمن يعتبر ويخشى ملخصها مايلى :

والطريق الى مداواة نفوس المؤمنين من الوساوس والشكوك ، الفزع الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار والتضرع والتذلل ، وطلب أسباب الرقة ، والتخويف العظيم للنفس من الوقوع فى الشقوة الكبرى بعذاب الاخرة ، فان الشك الذى يعرض للنفس - بعد البراهين الواضحة - قد يكون عقوبة بذنب كما نبه الله - تعالى - على ذلك بقوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) (٢) . وقوله : (سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فان الله شديد العقاب) (٣) .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير جـ١ ص ٥٥-٥٦ .
(٢) سورة الاعراف : ١٠١ .
(٣) سورة البقرة : ٢١١ وانظر ايثار الحق لابن الوزير ص ٥٨ .



المبحث الثالث

منهج ابن الوزير في اثبات الأسماء والصفات

إن هذا المبحث - وإن كان خطيرا - فقد نال حظا وافرا من البحث والجدل لما له من التعلق بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا التي لا سبيل للنجاة من مهالكها إلا باتباع طريق السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

فقد اشتهر الخلاف وكثر الجدل وعظم الامر بين الفرق المنتسبة الى الاسلام حتى بلغ السيل الزبى ، ومع ذلك لم يحصلوا على فائدة ولا ألفة بل اشتد التعادى والتباعد والتكفير والتفسيق . وسبب توسيع دائرة الخلاف والمراء والجدل كما قال ابن الوزير : (هو البحث عما لا يعلم والسعى فيما لا يدرك وطول السير والسعى فى الطريق التى لا توصل الى المطلوب ، والاقتداء بمن يظن فيه الإصابة وهو مخطىء ، والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لا طريق إلى معرفتها ولا يوصل البحث عنها إلى اليقين ، ولا إلى الوفاق ، ولا ظهرت للخوض فيه مع طوله ثمرة نافعة لا باليقين صادعة ، ولا لافتراق جامعة ، ولا روى عن أحد من الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - ولا صح عن أحد من السلف الكرام[1] وفى الحديث (إن من العلم جهلا)[2] .

قيل : هو أن يتعلم مالا حاجة إليه كالنجوم وعلوم الاوائل ويدع مايحتاج اليه فى دينه من علم القرآن والسنة . وقيل : هو أن يتكلف العالم القول فيما لا يعلمه فيجهّله ذلك[3] .

فكم من أقدام زلت فى منهج الاستدلال فى الأسماء والصفات - إلى الهاوية ، ولم ينج إلا من سلك طريقة السلف .

إحذر تزل فتحت رجلك هوّة *** كم قد هوى فيها على الازمان
من عابد بالجهل زلت رجله *** فهوى الى قعر الحضيض الدانى[4]

---

(١) ايثار الحق ص ٤-٥ .
(٢) النهاية فى غريب الحديث جـ١ ص ٣٢٢ .
(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها .
(٤) القصيدة النونية لابن قيم الجوزية ص ١٥٢ طبع الهند .

ولماتطلع على كتب الفرق المنتسبة الى الاسلام تجد فرقة تعطل الاسماء والصفات ، وفرقة تؤمن بالاسماء دون الصفات بل تؤولها ، وفرقة تؤ من بالصفات الذاتية وتؤول ماسواها من الخبرية ، وفرقة تشبه صفات الله وأسمائه بصفات وأسماء مخلوقاته ، وفرقة وسطا بين المعطلة والمشبهة كاللبن من بين فرث ودم ، وهم اهل السنة والجماعة.

فهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه على مراده ، وبما وصفه به رسوله على مراده ، من غير تشبيه ولا تعطيل ، وعلى ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(١) . فغى أول الاية رد على المشبهة وفى آخرها رد على المعطلة ، يضاف الى ذلك قوله تعالى : (ولا يحيطون به علما)(٢) .

وهؤلاء قليل ماهم فعليك بمنهجهم ، ولا تستوحش من قلة السالكين ، فقد أثنى الله على القلة السائرين فى الطريق السوى فى عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم)(٣) ، وقوله (وقليل من عبادى الشكور)(٤) وقوله : (وما آمن معه الا قليل)(٥) وغير ذلك من الايات .

كما ذم الكثرة السائرة فى الطريق المعوج بقوله : (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله)(٦) وبقوله تعالى : (ولكن اكثر الناس لا يعلمون)(٧) وامثال ذلك كثير .

---

(١) سورة الشورى : ١١.
(٢) سورة طه : جزء من اية ١١٠.
(٣) سورة ص : جزء من اية ٢٤ .
(٤) سورة سبأ :جزء من اية ١٣.
(٥) سورة هود : جزء من اية ٤٠ .
(٦) سورة الانعام : ١١٦.
(٧) فى عدة مواضع من القران منها موضعان فى سورة الروم : ٦-٣٠.

والآن ندع ابن الوزير يصور لنا قبح هذا الاختلاف والتأويل الذى وصل إليه غلاة المتكلمين بقوله :

(ويدلك على قبح تأويل هذه الأسماء الشريفة فى الفطر كلها أنك تجد المعتزلى يستقبح تأويل الأشعرية للحكيم غاية الاستقباح (١) والاشعرى يستقبح تأويل المعتزلة البغدادية للسميع البصير المريد غاية الاستقباح (٢) .

والسنى يستقبح تأويل المعتزلة والأشعرية للرحمن الرحيم الحكيم (٣) ، والكل يستقبحون تأويل القرامطة لجميع الاسماء الحسنى غاية الاستقباح (٤) .

ومتى نظرت بعين الانصاف وجدتهم كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** ولكن عين السخط تبدى المساويا (٥)

يؤيد هذا ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية : (المتكلمة والمتفلسفة اكثر خلق الله تناقضا واختلافا ، وكل فريق يرد على الاخر فيما يدعيه قطعيا) (٦) .

---

(١) لأن غلاة الاشعرية يذهبون إلى نفى حكمة الله تعالى ، وتقبيح اسم الحكيم فى الظاهر ، وإيجاب تأويله بالمحكم لصنعه من غير حكمة له فى ذلك الاحكام ، والمعتزلة أثبتوا الحكمة ولكن سموها غرضا لكن قالوا : الحكمة أمر منفصل عنه لا يقوم به وهذا يستلزم نفى الصفات الذاتية (*) .

(٢) لان غلاة المعتزلة يذهبون الى نفى السميع البصير المريد ، وتقبيحها فى الظاهر ، وايجاب تأويلها بالعليم لا سواه .

(٣) لان الجميع من المعتزلة والاشعرية ينفون حقيقة الرحمن الرحيم ومافى معناهما من الرؤف والودود وأرحم الراحمين . وحكموا بأنها اسماء قبيحة الظواهر فى حق الله تعالى لا تليق بجلاله إلا بصرفها عن ظواهرها وتعطيلها الى المجاز المحض وذلك بمجرد ظنهم أن الدلالة العقلية دلت على ذلك .

(٤) لأن القرامطة يؤولون الأسماء الحسنى كلها بل ينفونها عن الله - عز وجل - على سبيل التنزيه بلغ بهم الأمر إلى أن قالوا إنه لا يقال إنه موجود ولا معدوم بل قالوا لا يعبر عنه بالحروف وقالوا إن المراد بها كلها إمام الزمان وهو عندهم المسمى (الله) والمراد بلا إله الا الله قال ابن الوزير : (وقد تواتر عنهم وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التى فى ايديهم ..) انظر هذه التعليلات فى إيثار الحق على الخلق ص ١١٩-١٢٩ - ١٣٠ ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٤ ص ١٨٠-١٨٣ وزاد أن الاشعرية يفسرون الحكمة إما بالقدرة وإما بالعلم وإما بالإرادة .

(٥) الايثار ص ١٣٥-١٣٦ وقائل هذا البيت عبد الله بن معاوية كما فى شرح نهج البلاغة للشريف الرضى جـ٧ ص ٢٠٧ .

(*) وحكى نحو هذا ابن تيمية فى فتاويه جـ٨ ص ٨٩ وأن الحكمة مخلوقة وهى إحسانه الى الخلق وفى الامر تعويض المكلفين بالثواب وفى المسالة تفاصيل كثيرة . ذكرها ابن تيمية فى المصدر نفسه . (ملاحظة) قال ابن الوزير : (ولا يخفى مافى تاويل الحكيم بالمحكم هنا من التعسف الباطل ومافى التأويل من غير موجب فى فتح ابواب البدع والمجاهل) . ايثار الحق ص٤ ٢١ قلت : والإحكام بمعنى الاتقان لا يصدر إلا من حكيم ذى حكمة .

(٦) مجموع الفتاوى جـ١١ ص ٣٣٨ .

وكم من محنة ابتلى بها بعض سلفنا الصالح - رحمهم الله - فى قضية الاسماء والصفات .

تذكّر ما حصل من المحنة فى القول بخلق القرآن الكريم للامام الجليل أُحمد بن حنبل (١) نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل له المثوبة ، فقد أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فقد ثبت أمام التحديات وألوان العذاب وأعلن كلمته المشهورة الخالدة القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، فرحمة الله عليه من إمام جليل معظم ، وعلى سائر ائمة المسلمين ، ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ﴾ (٢) .

وهذا ابن الوزير طورد وشرد الى رؤس الجبال وبطون الاودية والكهوف المظلمة كل ذلك فى سبيل الذب عن السنة النبوية ومعتقد أهل الحديث والسلف الصالح ومؤلفاته خير دليل على ذلك .

وقد كثر الكلام فى هذه القضية حتى سمى الخوض فيها بعلم الكلام ، واشتهرت فيها الاقوال ، وتناقلها الباحثون جيلا بعد جيل وكان من الافضل عدم التكرار ، ولكن طبيعة البحث تحتم عليّ ذلك ، إذ لا سبيل الى معرفة منهج ابن الوزير واستدلالاته فى الاسماء والصفات إلا بعرض آرائه للقارئ مع المقارنة باقوال الاخرين فبضدها تتبين الاشياء ، ولكن هيهات هيهات ، بيد أنى سأكتفى باعطاء القارئ صورة عامة عن منهج ابن الوزير فى هذه المسألة مع مقارنة سريعة لمنهج السلف الصالح أسأل الله العون والتوفيق ، وأن يعصمنى من الزلل أو أنسب الى أحد شيئا لا يعتقده أو لا يقوله :

---

(١) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٧٠ ورجال الفكر والدعوة للندوى ص ١٣٦-١٣٨ والنبلاء للذهبى جـ ١١ ص ٢٦٣ ومابعدها . وقد صنفت المصنفات العديدة فى محنة الامام احمد بعضها بهذا العنوان وبعضها ضمن تراجمه وابن الوزير ممن صنف فى ذلك مجلدا مستقلا ضمن العواصم والقواصم تحت عنوان الوهم الخامس عشر الفصل الرابع ، وفى الروض الباسم تحت عنوان الوهم التاسع جـ ١ ص ١٤١ .
وقد ذكر ابن الوزير ان الامة مازالت تعتقد أن القران كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله لا يعرفون غير ذلك حتى نبغ المأمون الى حمل الامة على القول بخلق القرآن وامتحن العلماء فلم يمهل وترك بعده شرا وبلاء فى الدين . انظر العواصم جـ ٢ وهم ١٥ فصل ٤ ورقة ٨٩ .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٤ .

ولما يرجع الباحث الى العواصم والقواصم بغرض التقاط فكرة ما من أفكار ابن الوزير فانه يجد بحرا - فى نظرى - لا ساحل له لكثرة مايورده فى المسألة الواحدة من الاشكالات والتنبيهات والحجج والبراهين النقلية والعقلية بغض النظر عما يذكره من الأقوال وأدلتها ومناقشتها والمعارضات وشدتها . ولهذا يندهش القارىء فى أثناء البحث وقد يعتريه الملل والفتور اذ الكتاب بصورة غير واضحة - من ذلك على سبيل المثال مانقله ابن الوزير فى العواصم عن كتاب منازل السائرين الى الله تعالى لناصر السنة أبى اسماعيل عبدالله بن محمد الانصارى الهروى المتوفى سنة ٤٨١ هـ فيما يتعلق بهذا المبحث . وكان إيرادى لهذا الكلام سببه أن ابن الوزير استحسنه وعقب عليه بما يؤيده ولا سبيل الى استقصائه فإنه يتطلب بحثا مستقلا ولكن ألخصه فيما يلى :

معرفة العامة التى لا ينعقد شرائط اليقين الا بها ثلاثة :

١- اثبات الصفة باسمها من غير تشبيه .

٢- نفى التشبيه عنها من غير تعطيل .

٣- الاياس من ادراكها ومن ابتغاء تأويلها .

ومذهب السلف أن كل من بلغه حديث من أحاديث الصفات يجب عليه فيه سبعة أمور :

١- التقديس ٢- التصديق ٣- الاعتراف بالعجز ٤- السكوت

٥- الامساك ٦- الكف ٧- التسليم .

أما التقديس فبتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات جميعها ، وأما التصديق فهو الإيمان بأن ماذكره حق على الوجه الذى أراده ، وأما الاعتراف بالعجز : فهو أن يقر بأن معرفة مراده عليه الصلاة والسلام ليس من شأنه ، وأما السكوت : فهو الامساك عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة وانه فى خوضه فيه مخاطر بدينه لأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه وهو لا يشعر - اى فى البحث فى الكيفية كقول السائل للامام مالك : كيف استوى ؟ واجابته المشهورة : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . واما الامساك : فلا يتصرف فى تلك الالفاظ بالتبديل والزيادة والنقصان ، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ ، وأما الكف : فأن يكف باطنه عن البحث والتفكر فيه .

وأما التسليم : فألا يعتقد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وتابعيهم تهمة لقيام الدليل على صدقه عليه الصلاة والسلام - ومعرفته بما يجوز على الله مما لا يجوز وعدالة الصحابة وتابعيهم ، وثناء الله تعالى عليهم في كتابه العزيز ، وشهادته لهم بأنهم خير القرون ، فهذه سبع وظائف اعتقد السلف وجوبها (١) .

اذا تأملت هذه الامور السبعة مع الكلام المجمل حولها فستجد أن ابن الوزير يتبنى المنهج الجُمْلي في العقائد بل في الأسماء والصفات لأنها من الامور الخبرية المتفق على الاعتقاد الجُمْلي فيها ، حكى هذا الاتفاق شيخ الاسلام ابن تيمية في أثناء حديثه عن الفرق بين الاختلاف في الأحكام العملية والاعتقادية ، وأن الخوض في تفاصيل العملية جائز بخلاف القولية ، فيكفي فيها الإقرار بالجُمل حيث قال : (... بخلاف الأمور الخبرية فإن الاتفاق قد وقع فيها على الجُمل ، فاذا فصلت بلا نزاع فحسن ، وإن وقع التنازع في تفاصيلها فهو مفسدة من غير حاجة داعية الى ذلك ، ولذلك ذُم اهل الاهواء والخصومات وذُم اهل الجدل في ذلك والخصومة فيه ، لانه شر وفساد من غير حاجة ..) (٢) .

---

(١) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج٢ - الوهم ١٥ - ورقة ٦-٧ وقد رجعت الى الكتاب الذي ذكر ابن الوزير انه نقل هذا الكلام منه فلم اجد فيه شيئا مما ذكره بل ولا علاقة له بذلك ، وكل ما فيه من علم التصوف ومصطلحاته وهو صغير جدا ، وهو الذي نهج ابن القيم - في كتابه مدارج السالكين - على نهجه وقد حاول ان يجعل من كتاب منازل السائرين منارا يهتدى به فهو كالشرح له ويغلب على الظن ان هذا الكلام الذي نقله ابن الوزير عن ابي اسماعيل الانصاري هو من كتاب (ذم الكلام له) وقد بحثت عنه فلم أجده وإنما أشار اليه ابن تيمية وابن القيم في عدة مواضع وسمعت أنه تحت التحقيق في جامعة الامام محمد بن سعود .
فابن الوزير - رحمه الله - معذور في ذلك - اذا لم يكن ثمة كتاب آخر بهذا الاسم فانه صنف العواصم والقواصم في معزل عن المراجع بل في رؤوس الجبال العوالي وبطون الاودية الخوالي وقد يكون هذا من حفظه فوهم في التسمية كما وهم في اسناد حادي الارواح الى ابن تيمية ومعلوم انه لتلميذه ابن القيم ذكر ذلك في كتابه ايثار الحق ص ١٢٣-١٢٤ . والله أعلم .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٦ ص ٥٨ وقال ايضا : (فان القضايا القولية يكفي فيها الاقرار بالجمل وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث .) المجموع ج٦ ص ٥٧ .

وقال الامام الشافعي : (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) (١) .

وقد استحسن ابن تيمية هذا وقال : (انه حق يجب على كل مسلم أن يعتقده ومن اعتقده ولم يأت بما يناقضه فانه سالك سبيل السلامة في الدنيا والاخرة) (٢) .

ويؤكد ابن الوزير هذا المذهب في الاستدلال بآيات الاسماء والصفات بما صرح به في الترجيح (٣) في معرض الرد على خصمه المعتزلي انه يعلم ذات الله وصفاته ، وأن الله لا يعلم من ذلك الا مايعلمه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا حيث قال : (لا شك ان الله عز وجل - حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة لا يشاركها شيء في ذاتيتها وخصوصيتها ، قال الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٤) . وقال تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقال تعالى : (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) (٥) . وقال تعالى حاكيا عمن شبهه بغيره سبحانه (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا الا المجرمون) (٦) . وفي قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جمع بين الرد على طوائف المبطلين فأولها رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة ، وفي ترتيبها سر لطيف ، لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه ، فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه) . (ولا يحيطون به علما) (٧) . وقال علي عليه السلام (لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته) (٨) .

---

(١) انظر كتاب الجوائز والصلاة في جمع الاسامي والصفات للسيد نور الحسن خان ص ٥ ط الفاروقي بدهلي ومجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٦ ص ٣٥٤
(٢) مجموع الفتاوى جـ٦ ص ٣٥٤ .
(٣) ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣١-١٣٧-١٣٨ ، وانظر بيان تلبيس الجهمية جـ١ ص ٨٨ وفيه : (إن الله لا مثل له وان حقيقته مخالفة لحقيقة العالم) كذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية .
(٤) سورة الشورى : ١١ .
(٥) سورة مريم : جزء من آية ٦٥ .
(٦) سورة الشعراء : ٩٧- ٩٩ .
(٧) سورة طه : جزء من اية ١١٠ .
(٨) نهج البلاغة للشريف الرضى جـ١ ص ٩٩ وانظر التفاصيل في العواصم لابن الوزير جـ٢ وهم ١٦ ونهج البلاغة بلا سند فكيف يعتمد ؟

ألا ترى أنك إذا قارنت بين منهج ابن الوزير في الاستدلال في قضية الاسماء والصفات وبين كثير من كبار المحدثين والسلفيين تجد أن ابن الوزير سلك منهجا محددا واضحا لاثبات الأسماء والصفات وذلك أنه يستدل بإيراد النصوص التي جاءت بالنفي أو الاثبات بدون تعطيل ولا تشبيه، ومعلوم أن هذا هو منهج السلف الصالح الذي من سلكه نجا ومن تخلف عنه هلك وهوى ، فهذا الإمام الائمة الحافظ السلفي الكبير ابن خزيمة الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ يقول : (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعزربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز أن يكون عدما كما قال المبطلون، لأنه مالا صفة له، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم) (١) .

وهذا شيخ الاسلام إسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ يصور لنا عقيدة السلف فتطابق طريقة ابن الوزير في الاسماء والصفات بقوله : (أصحاب الحديث - حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم - يشهدون لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - على ماوردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه) (٢) .

وهذا معتقد امام المحدثين وقائد السلفيين في عصره احمد بن حنبل واقرانه كما يرويه الإمام الشهرستاني بقوله : (فأما احمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف، فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم، من أصحاب الحديث، مثل مالك بن انس ومقاتل بن سليمان ، وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات وان كل ماتمثل في الوهم فالله خالقه ومقدره) (٣) .

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ص ١٠-١١ .
(٢) عقيدة السلف واصحاب الحديث ضمن الرسائل المنيرية للصابوني المجلد الاول ، ص ١٠٥-١٠٦ .
(٣) الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص ١٠٤ .

يؤكد هذا ماقاله شيخ الاسلام عن عقيدة الامام احمد بقوله : (قال الامام احمد رضى الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم - لا يتجاوز القرآن والحديث) (١) .

وقال ابن كثير السلفى الشهير (سنة ٧٧٤هـ) عند تفسير قوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (٢) .

(وقد وردت احاديث كثيرة متعلقة بهذه الاية الكريمة ، والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف) (٣) منهم الامام مالك بن أنس (ت سنة ١٧٩هـ) وسفيان الثورى (ت ١٦٢هـ) والليث بن سعد (ت ١٥٧هـ) والأوزاعى وغيرهم من الائمة رحمهم الله ، فقول السلف أمروها كما جاءت يقتضى - كما قاله شيخ الاسلام : (إبقاء دلالتها على ماهى عليه ، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف ، إذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول) (٤) وهذا تفصيل لما اجمل فيما سبق .

ومما يؤيد مذهب ابن الوزير السابق ذكره ماقاله الحافظ (٨٥٢هـ) فى الفتح فى شرح باب مايذكر فى الذات والنعوت وأسامى الله عز وجل :

(اتفق المحققون على أن حقيقة الله مخالفة لسائر المخلوقات .... إلى أن قال : والصواب الامساك عن هذه المباحث والتفويض إلى الله فى جميعها ، والاكتفاء بالايمان بكل ما أوجب الله فى كتابه أو على لسان نبيه إثباته أو تنزيهه عنه على طريق الاجمال .. ولو لم يكن فى ترجيح التفويض على التأويل إلا أنّ صاحب التأويل ليس جازما بتأويله ، بخلاف صاحب التفويض) (٥) .

قلت : وهذا يدل على أن الحافظ يميل الى التفويض فيحمل على التفويض فى علم الكيفية لا فى علم المعانى كما سبق قول السلف الذى حكاه وقرره شيخ الاسلام ابن تيمية لان التفويض المطلق ليس مذهب السلف ، وإنما ذلك فى علم الكيفية كما قرر هذا مفتى الديار

---

(١) الفتوى الحموية لابن تيمية ضمن مجموعة نفائس ص ١٠١ .

(٢) سورة الزمر : ٦٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٠٤ والفتوى الحموية ص ١١١ وانظر شرح الطحاوية خرج احاديثها الالبانى ص ٩٩ .

(٤) الفتوى الحموية ص ١١٣ .

(٥) فتح البارى ج ١٣ ص ٣٨٣ .

السعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز (١) .

هذا ويمضي ابن الوزير مؤكدا منهجه في الاسماء والصفات الذى هو امتداد لمعتقد السلف الصالح ، وأن الخروج عنه/ دخول في المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله - سبحانه - فيقول : (والذى وضح لى فى هذا وضوحا لا ريب فيه بحسن توفيق الله ... أن الكلام فى ذات الله على جهة التصور والتفصيل أو على جهة الإحاطة على حد علم الله ، كلاهما باطل، بل من المتشابه الممنوع الذى لا يعلمه إلا الله لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) (٢) ولقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) (٣) وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها، ولما ورد من النهى (٤) عن التفكر فى ذات الله والامر بالتفكر فى الائه ، ولما اشتهر عن على عليه السلام فى امتناع معرفة الله - عز وجل - على العقول : امتنع منها بها واليها حاكمها ، أى امتنع من العقول بمعرفة العقول لعجزها عن إدراكه والإحاطة به ، واليها حاكمها أى جعلها محكمة فى ذلك لأنه نزلها منزلة الخصم والخصم لا يحكم إلا حيث تتضح الحجة ويفتضح جاحدها فلا يرضى لنفسه بدعوى مايعلم كل عاقل كذبه فيها) (٥) . لأن التفكر فى ذات الله - عز وجل - وأسمائه وصفاته من بدع المشبهة على اختلاف أنواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضا ، ففلاتهم يعطلون الذات والصفات والاسماء الجميع ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية ومن الناس من يوافقهم فى بعض دون بعض .

وقد قيل فى هذا المعنى : من نظر فى الخالق ألحد ، ومن نظر فى المخلوق وحد ، فالفريقان المشبهة والمعطلة إنما أتوا من تعاطى علم مالا يعلمون ، ولو أنهم سلكوا مسلك السلف فى الايمان بما ورد من غير تشبيه ولا تعطيل لسلموا ، فقد اجمعوا على أن طريقة السلف أسلم ، ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلق اعلم ، فطلبوا العلم من غير مظانه ، بل طلبوا علم مالا يُعلم ، فتعارضت أنظارهم العقلية ، فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة

---

(١) الفتوى الحموية ١١٢-١١٣ ومجلة البلاغ العدد ٧٣٣ جمادى الأخرة ١٤٠٤هـ ، وفيها كلام مفيد يتعلق بصفات الله تعالى على مذهب السلف .

(٢) سورة طه : ١١٠ .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) هذا معنى حديث متفق عليه البخارى جـ ٤ كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده ص ٩٢ جـ ٨ الاعتصام باب مايكره من كثرة السؤال جـ ٨ ص ١٤٤ ، مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب بيان الوسوسة ص ١١٩-١٢٠ وهو حديث (ياتى الشيطان احدكم فيقول له من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) .

(٥) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ الوهم الخامس عشر والسادس عشر ، إيثار الحق على الخلق له ص ٩٣ ، الترجيح له ص ١٢٩ .

الاسلام جميعا الى التشبيه والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار والاقتداء بالسلف الاخيار والاقتصار على جليات الابصار وصحاح الاثار (١) .

فأنت ترى أن ابن الوزير يقرر إثبات الصفات بلا تشبيه ولا تعطيل وأن إمرارها على ظواهرها هو الحق والأسلم والأحوط فى الدين ،على حسب ماتقرر سابقا من مذهب اهل السنة والجماعة الذى قرره ابن تيمية وابن باز .

ومما يؤيد طريقة ابن الوزير فى إثبات الاسماء والصفات ماقاله شيخنا السلفى حافظ الحكمى المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ فى كتابه (سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد) فى الكلام على الاسماء والصفات قوله :

(وكل ماله من الصفات *** أثبتها فى محكم الآيات
أو صح فيما قاله الرسول *** فحقه التسليم والقبول
نمرها صريحة كما أتت *** مع اعتقادنا لماله اقتضت
من غير تحريف ولا تعطيل *** وغير تكييف ولا تمثيل
بل قولنا قول أئمة الهدى *** طوبى لمن بهديهم قد اهتدى)

وقد شرحها شرحا مطولا فى كتابه (معارج القبول)(٢) شرح سلم الوصول وفى كتابه ايضا (أعلام السنة المنشورة (٣) لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) .

وقد ألف الامام الشوكانى ١٢٥٠هـ رسالة سماها التحف فى مذهب السلف فلتراجع فإنها مفيدة فى هذا الموضوع ، ويقول ابن الوزير فى الرد على من زعم أن صفة الرحمة لله تعالى مجاز ولغيره حقيقة بقوله :

(قد ثبت أن الرحمن مختص بالله تعالى وحده ويحرم اطلاقه على غيره ،ولو كانت الرحمة له مجازا ولغيره حقيقة كان العكس أوجب وأولى ،وما المانع للمسلم من إثباتها صفة حمد ومدح وثناء كما علمنا ربنا مع نفى صفات النقص المتعلقة برحمة المخلوقين عنه تعالى ،كما اثبتنا له الحى العليم الخبير المريد مع نفي نقائص المخلوقين فى حياتهم المستمرة) (٤) .

---

(١) انظر الايثار لابن الوزير بتصرف بسيط ص ٩٣-٩٦ .
(٢) جـ ١ ص ٣١٠-٣٣٠ .
(٣) ص ٢٢ .
(٤) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣٥ .

وقد حكى إجماع المسلمين على حسن إطلاق الرحمة على الله من غير قرينة تشعر بالتأويل .

كما ذكر ان الله سبحانه كرر التمدح بالرحمة اكثر من خمسمائة مرة فى كتابه الكريم منها باسمه الرحمن أكثر من مائة وسبعين مرة وباسمه الرحيم أكثر من مائتى مرة وجمعها للتأكيد مائة وست عشرة مرة (١) . وما المانع للمسلم من إثباتها صفة حمد ومدح وثناء كما علمنا ربنا مع نفى صفات النقص المتعلقة برحمة المخلوقين عنه تعالى كما أثبتنا له اسم الحى العليم الخبير المريد مع نفى نقائص المخلوقين فى حياتهم المستمرة لجواز التألم بأنواع الآلام ثم للموت الذى لابد منه لجميع الأحياء من الأنام (٢) .

هذا وقد أورد ابن الوزير كلام الامام النووى فى حكاية مذهب أهل الحديث وغيرهم من جماهير أهل السنة فى الأسماء والصفات ، فهو - وإن كان قصد ابن الوزير من ايراده تنزيه الإمام احمد بن حنبل عن التشبيه الذى وصمه به المعترض المعتزلى - مناسب لبحث الاسماء والصفات ، لذلك نذكره هنا .

وهذا نص كلام النووى الذى نقله ابن الوزير :

(إعلم أن لأهل العلم فى أحاديث الصفات ، وآيات الصفات قولين :

أحدهما - وهو مذهب السلف أو كلهم - أنه لا يتكلم فى معناها ، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله ، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شئ ، وأنه منزه عن التجسيم وعن سائر صفات المخلوق ، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم والقول الثانى : وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول ، وإنما يسوغ تأولها لعارف بلسان العرب وقواعد الاصول والفروع ، ذى رياضة فى العلم) (٣) .

وقد استنتج ابن الوزير من هذا النص تنزيه المحدثين والفقهاء من التجسيم ، والإمام احمد - بإجماعهم - من أئمتهم وجلتهم ، بدليل أنه لو كان مجسما ماكان عندهم بهذه المكانة العلمية ، ألم تر أن النووى لم يعد قول المجسمة فى أقوال أهل العلم ، بل قصر أقوالهم على القولين المذكورين كما ترى ، واحمد عنده من العلماء بغير شك .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣٢-١٣٤ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٣٥ .
(٣) الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لابن الوزير ج ١ ص ١٤٤ .

هذا وقد رجعت الى شرح مسلم[1] بقصد المقابلة ، فوجدت مانقله ابن الوزير عن النووى فى حديث الرؤية الطويل عن أبى هريرة مرفوعا .

وقد قابلت بين ذلك فوجدت بعض العبارات التى فى الاصل ساقطة فى الفرع ، وهى كلمة :(والانتقال والتحيز فى جهة) سقطت بين كلمة التجسيم وبين قوله : وعن سائر صفات المخلوق ، كما أنها سقطت عبارة :(على مايليق به على حسب مواقعها) بين قوله تتأول وبين قوله : وإنما يسوغ تأويلها لعارف .... ولست أدرى هل ذلك السقوط سهوا اوعمدا أو فنا أو ما السر فى ذلك ؟

- تحقيق الكلام فى الجهة والتحيز :

ثم عثرت على كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية كشف عن ذلك ، مضمونه أن هذه الألفاظ وأمثالها قد تنازع المتأخرون فى نفيها وإثباتها وأنها ألفاظ مجملة تحتاج إلى تفصيل ، ولعل هذا هو السر فى حذفها لدى ابن الوزير . والله أعلم .

وقد رأيت أن أنقل كلام ابن تيمية لعظم فائدته حيث قال : (وما تنازع فيه المتأخرون نفيا وإثباتا فليس على أحد ، بل ولا له أن يوافق على إثبات لفظه أو نفيه ، حتى يُعرف مراده ، فإن أراد حقا قُبل ، وإن أراد باطلا رُدّ ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ، ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ، كما تنازع الناس فى الجهة والتحيز وغير ذلك ، فلفظ الجهة قد يراد به شىء موجود غير الله تعالى فيكون مخلوقا كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات ، وقد يراد به ماليس بموجود غير الله تعالى ، كما إذا أريد بالجهة مافوق العالم ومعلوم أنه ليس فى النص - أى آيات الاستواء والعلو الواردة فى القرآن الكريم - إثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك .

وقد علم أن ماثم موجود الا الخالق والمخلوق ، والخالق سبحانه وتعالى - مباين للمخلوق ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شىء موجود مخلوق ؟ فالله ليس داخلا فى المخلوقات ، أم تريد بالجهة ماوراء العالم ؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات .

---

(1) جـ٢ ص١٩

وكذلك يقال لمن قال : الله فى جهة ، أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل فى شئ من مخلوقاته . ؟ فإن أردت الاول فهو حق وان أردت الثانى فهو باطل .

وكذلك لفظ التحيز إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر ، بل قد وسع كرسيه السموات والارض . وقد قال تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) (١) .

وقد ثبت فى الصحاح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال : (يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك. أين ملوك الأرض؟) (٢) .

وفى حديث آخر : (وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) (٣) .

وفى حديث ابن عباس : (ما السموات السبع والارضون السبع ومافيهن فى يد الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم) (٤) . وان أراد به انه منحاز عن المخلوقات أى مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السلف: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه) (٥) .

هذا ومما ينبغى التنبيه إليه أن هذه الألفاظ كالتحيز والانتقال وإثبات الجسم ونفيه من الألفاظ المحدثة المبتدعة ، لما علم من الشرع أنها لم تنقل عن أحد من الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - ولا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا عن أحد من الائمة والمحدثين ، وإنما كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فى النفى والاثبات فى الاسماء والصفات ، ولا يأتون بلفظ مبتدع فى النفى والاثبات لأن ذلك ليس له ضابط ، بل كل قوم يريدون معنى غير المعنى الذى أراده أولئك بخلاف ألفاظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإنها متضمنة كل معنى صحيح ، سواء علم مراده بها أو لم يعلم، فانه يجب التصديق بكل ما أخبر به (٦).

---

(١) سورة الزمر : ٦٧ .

(٢) البخارى تفسير سورة الزمر : ج٦ ص ٣٣ كتاب التوحيد باب إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا ج٨ ص ١٨٧ ، مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ج ٤ ، ص ٢١٤٧-٢١٤٨ بألفاظ متعددة وسنن الترمذى مع تحفة الاحوذى تفسير سورة الزمر ج٩ ص ١١٣-١١٥ مسند احمد ج١ ص ٤٢٩ ،تفسير ابن كثير ج٧ ص١٠٤-١٠٦ .

(٣) لم اجد هذا الحديث الا فى تفسير ابن جرير ج٢٤ ص ٢٦ بلفظ: (ثم يقول بهما - اى السموات والارض - كما يقول الغلام بالكرة)

(٤) بعد البحث الشديد وجدته فى تفسير ابن جرير ج٢٤ ص ٢٥ موقوفا على ابن عباس وليس فيه (ومافيهن وكذلك فى شرح الطحاوية ص ٣١٤) موقوفا على ابن عباس ايضا بزيادة ومابينهن وسكت عن الحكم عليه الألبانى فى تخريجه لأحاديث شرح الطحاوية .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ،مجمل اعتقاد السلف ج٣ ص ٤١-٤٢ وانظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٧٩-٨١ .

(٦) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص٧٨-٨٠ وانظر مجموع الفتاوى له ج٣ ص٨١ .

ولعل هذا يكون مبررا لابن الوزير - اذا لم يكن سقوط الألفاظ المذكورة آنفا سهوا - فإنه يحذر كثيرا من مثل هذه الألفاظ المبتَدَعة كما يدندن (١) حولها كثيرا . فإنه لا يخفى على أهل الاسلام دين رسولهم الذى بعث إليهم ، وأُقام بين أظهرهم يبينه لهم حتى تواترت شرائعه وصفاته، لاتصال الأخبار وكثرة العلماء والرواة .

وقد حصر منشأ معظم البدع فى أُمرين باطلين :

أولهما : الزيادة فى الدين بإثبات مالم يذكره الله تعالى ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - من مهمات الدين الواجبة ، ومن أُهمها هذه الألفاظ المبتَدَعة المتعلقة بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

وثانيهما : النقص من الدين بنفى بعض ماذكره الله ورسوله بالتأويل الباطل(٢) إلا أنه كان ينبغى على ابن الوزير مراعاة منهجه فى البحث ثم التعقيب عليه وسيأتى الحديث إن شاء الله عن موقف ابن الوزير فى الابتداع فى فصل خاص .

ويقرر ابن الوزير أن العجز عن المعرفة التفصيلية فى ذات الله - عز وجل - وصفاته أمر ضرورى لأن كل مالم يشاهد ، ولا مثل له فى المشهودات استحال تصوره فى الذهن ، وما استحال تصوره فى الذهن استحال أن يعرف إلا على سبيل الجملة .

ولابن الوزير أبيات تتعلق بالاسماء والصفات ، والرد على المبتدعة المعتزلة الزيدية ، الزاعمين ان الله - سبحانه - لا يعرف من ذاته إلا مايعلمونه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا نختار منها مايلى :

لى فى القديم مقال غير مبتكر	*	سبحانه عن خيال الوهم والفكر
أُجلّه أن يحيط الناظرون به	*	ذاتا وأين قوى النظار والنظر
وإنما علموا أوصافه جُمَلا	*	من غير كيف ونفى النقص والصور
فإن معرفة الموصوف جل عن الـ	*	إدراك بالفكر والتخييل بالبصر
والله يَعرف قطعا ذاته وسوا	*	ه ليس يَعرف الا الوصف بالنظر
فإن يقروا بهذا فالمراد وإن	*	حادوا فقد وقعوا فى أفحش النكر
هل جهّلوه لتجهيل العبيد أو	*	ادّعوا لعرفانه فى مقطع الفكر
الله أكبر هذا قاطع ولنا	*	عليه اكبر برهان من الزبر

---

(١) الدندن كما فى القاموس : المادة ، جـ٤ ص ٢٢٠ .
(٢) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٧ .

تنزه الرب فى الذكر المنـزل أن * يحيط علما به خلق من البشـر
تمدُّحًا لم يكن فى الذكر مختلفا * قطعا ولا غلطا من وهم ذى نظر (١)

تحقيق الكلام فى (القديم)

هذا ومن الملاحظ على ابن الوزير - رحمه الله - قوله فى مطلع هذه الأبيات: لى فى القديم ... لأنه لا يتفق وماذكره فى الايثار (٢) فى أثناء كلامه على الاسماء الحسنى بأن ماكان منها منصوصا فى كتاب الله وجب الايمان به على الجميع والانكار على من جحده أو زعم أن ظاهره اسم ذم لله سبحانه ، وماكان فى الحديث وجب الايمان به على من عرف صحته ، وما نزل عن هذه المرتبة أو كان مختلفا فى صحته لم يصح استعماله، فان الله أجل من أن يسمى باسم لم يثبت أنه تسمى به،وفى هذا الاسم خلاف بين العلماء ، فقد كره بعضهم تسمية الله - عز وجل - بالقديم،أو وصفه بالقِدم، لانه لم يسم به نفسه فى كتابه ولا وصفه به رسوله،وإنما اشتهر هذا على ألسنة المتكلمين كالمعتزلة القائلين بأن القِدم أخص وصف الله تعالى ، ومتقدمى الأشاعرة القائلين بأن القديم هو الموجود الذى لا أول له كما قال الجوينى ، ثم ذكر ما اختاره شيخه من أنه المتقدم فى الوجود وذكر تفاصيل كثيرة ورجح ما اختاره شيخه (٣) .

وممن أيد كراهة القول بهذا صاحب شرح الطحاوية بقوله : (وقد أدخل المتكلمون فى أسماء الله تعالى - القديم، وليس هو من الاسماء الحسنى فإن القديم فى لغة العرب التى نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره، فيقال هذا "قديم" للمعتيق وهذا "حديث" للجديد .

ولم يستعملوا هذا الاسم إلا فى المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم،كما قال تعالى : (حتى عاد كالعرجون القديم) (٤) والعرجون القديم هو الذى يبقى

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣١-١٣٢ - إيثار الحق على الخلق له ص ٩٤-٩٥ .
(٢) ايثار الحق ص ١٦٩ .
(٣) الشامل لإمام الحرمين ص ٢٥١-٢٥٢ تحقيق على سامى النشار الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية . والملل والنحل للشهرستانى ج١ ص ٤٤ وانظر العقيدة النظامية فى الاركان الاسلامية للجوينى ص ٢٠ تحقيق احمد حجازى السقا ،مطبعة دار الشباب ط. اولى ١٣٩٨ هـ ولمع الادلة لابى المعالى الجوينى ص ٨٠ ومابعدها .
(٤) سورة يس : ٣٩ .

الى حين وجود المرجون الثانى ، فاذا وجد الجديد ، قيل للأول القديم وأما إدخال القديم فى أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أهل الكلام . وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف) (١) .

وعليه فهذا من آثار علم الكلام فى عقيدة ابن الوزير لكنه أشار فى الايثار (٢) إن هذا الاسم مختلف فيه .

قلت : وهو كذلك ، فقد جوزه بعض العلماء لحديث دخول المسجد مرفوعا : (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) فقد رواه ابوداود فى سننه (٣) والنووى فى الأذكار (٤) وقال حديث حسن رواه ابوداود باسناد جيد وأدخله الحاكم (٥) فى الاسماء الحسنى ، وابن ماجه فى سننه (٦) باسناد ضعيف (٧) والبيهقى فى الاعتقاد (٨) وفى سنده مقال والسيد نور الدين خان (٩) . وقد أطال الحافظ فى الفتح (١٠) الكلام على حديث (لله تسعة وتسعون اسما) من ناحية الصحة وعدمها فى السرد والادراج وغير ذلك فراجعه ان شئت . كما رواه الترمذى فى سننه (١١) وقال ليس له إسناد صحيح .

والحاصل أن ادخال " القديم " فى أسماء الله الحسنى لم يثبت كما ترى ، لعدم صحة الروايات التى فيها سرد الاسماء الحسنى ، وهل هى مرفوعة أو مدرجة ؟

وأما حديث دخول المسجد وفيه (وسلطانه القديم) فقد قال النووى حديث حسن رواه ابوداود بإسناد حسن، وكفى بهذا الحكم من إمام عظيم فى هذا الشان، باعتراف أهل هذا الفن ، وابوداود لا يروى فى سننه إلا الاحاديث الصحيحة أو مايقاربها أو يشابهها، وهو الحديث الحسن لذاته ، وماكان فيه وهن شديد بينه ، ومالم يذكر فيه شيئا فهو صالح للاحتجاج .

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١١٤-١١٥ وانظر العقيدة الطحاوية ص١٩
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٧٤ .
(٣) السنن مع عون المعبود ج٢ ص ١٣٢ .
(٤) ص ٣٣ .
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج١ ص ٧ ط. بيروت .
(٦) ج٢ ص ١٢ ٧٠ .
(٧) لان فى سنده عبدالملك بن محمد الصنعانى - اى فى سند ادخال القديم فى الاسماء الحسنى .
(٨) ص ١٥-٢٥ وفى سنده مقال قال الذهبى: ضعيف لأن فى سنده عبدالعزيز بن الحصين بن الترجمان ووثقه الحاكم فى المستدرك نفسه وانظر ذيل المستدرك للذهبى ج١ ص١٧ .
(٩) انظر كتاب الجوائز والصلاة فى جمع الأسامى والصفات ص١٥ .
(١٠) فتح البارى ج١١ ص ٢١٤-٢٢٨ .
(١١) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج٩ ص ٤٢٨-٤٩٠ .

ومعلوم عند أهل هذا الشان وغيرهم العمل بالحديث الحسن ، فكم من أحكام مدارها على الأحاديث الحسنة لذاتها ، وهذا منها . والحديث الحسن كالصحيح في الاحتجاج به،وإن كان دونه في القوة ، ولهذا أدرجته طائفة في نوع الصحيح قاله النووي في التقريب (١) .

وبناء على ماسبق فقد زالت رائحة الشبهة التي كانت توجد في كلام ابن الوزير - رحمه الله - من أنها من آثارعلم الكلام - بنفحات الطيب الحديثية اذ تبين أنه اسم أوصفة من صفاته تعالى ، وهو يساوي بل يقارب لفظ الاول وهو ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية ضرورة .

وممن تكلم بلفظ " القديم " و " القدم " سلطان العقيدة السلفية ومحييها ، والذّاب عن حياضها دم التعطيل ودنس التشبيه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله - في عدة مواضع ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في سياق رده على غلاة المعطلة الذين يسلُبون عن الله -عز وجل - النقيضين بقولهم : لا موجود ولا معدوم وهذا نص كلامه :

١- (.. وقد عُلم بالاضطرار أن الوجود لابد له من موجد واجب بذاته ،غني عما سواه " قديم " أزلي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم) .

٢- وذكره في الرد على المعتزلة في الأصلين في التدمرية بقوله : (.. يُبيّن للمعتزلي أن هذه الصفات التي يتصفبها " القديم " ولا تكون كصفات المحدثات) (٢) .

٣- وفي موضع آخر قال : (وقد بينا في مواضع أن " القدم " و " وجوب الوجود " متلازمان عند عامة العقلاء الأولين والآخرين،لم يعرف عن طائفة منهم نزاع في ذلك إلا ما أحدثه هؤلاء) (٣) . يشير إلى ابن سينا والرازي كما هو ظاهر السياق . وفي موضع آخر قال : (... فإن علم الله القديم الأزلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه .... لا يتغير) (٤) .

---

(١) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي جـ١ ص ١٦٠ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣ ص ٨-٩ .
(٣) المصدر نفسه جـ١ ص ٤٩ .
(٤) المصدر نفسه جـ١١ ص ٦٣ .

٤ - وفى موضع آخر أيضا قال : (ولفظ "الواجب" و "القديم" يراد به الإله الخالق - سبحانه - "الواجب الوجود القديم" فهذا ليس إلا واحدا ويراد به صفاته الأزلية وهى قديمة واجبة بتقدم الموصوف) (١) .

٥ - وفى موضع اخر أيضا فى أثناء حديثه على إيمان الفرقة الناجية بالقدر وتقسيمه الى درجتين قال : (فالدرجة الاولى الايمان بأن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه "القديم" الذى هو موصوف به أزلا) (٢) .

٦ - كما حكاه عن ابن عقيل بقوله : ("والقديم" سبحانه ذات لا يداخله شىء ولا يداخل شيئا ولا يتصل بشىء ولا ينفصل عنه شىء لأنه واحد) (٣) .

٧ - "والقديم" عند أهل الكلام كما قال ابن تيمية : (عبارة عما لم يزل وعما لم يسبقه وجود غيره) (٤) .

٨ - وقال الحافظ فى الفتح : (قد علم بضرورة العقل أنه لابد من وجود "قديم" غنى عما سواه) (٥) .

وممن قال بالقديم والقدم خلق غير هؤلاء (٦) .

وإنما أوردت هذا للاستئناس بكلام الناس وإلا اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (*) ، فقد ثبت حديث دخول المسجد، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) . هذا ولنرجع الى المقصود من الكلام على منهج ابن الوزير فى الاستدلال على توحيد الاسماء والصفات فها هو ذا يقرر أن معرفة كمال الله - جل وعلا - وما يجب له من أسمائه الحسنى وصفاته العلا هو من تمام التوحيد الذى لابد منه : لأن كمال الذات بأسمائها الحسنى ونعوتها الشريفة ، ولا كمال لذات لا اسم لها ولا نعت ، ولذلك عُدّ مذهب الملاحدة فى مدح الرب بنفيها من أعظم مكائدهم للاسلام (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (٧) .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٢ ص ٢٣١ .
(٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى جـ ٣ ص ١٤٨ .
(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية جـ ١ ص ٤٧١ .
(٤) مجموع الفتاوى جـ ١ ص ٢٤٥
(٥) فتح البارى جـ ٣ ص ٩ .
(٦) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٣ وانظر مقدمة كتاب التوحيد لابن خزيمة ص خ .
(٧) سورة الاعراف : ١٨٠ .
(*) أنظر فتح القدير للشوكانى جـ ٥ ص ٧٥

(قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) (١).

ويبين ابن الوزير معتقده في الاسماء الحسنى في هذا التعبير الوجيز : على سبيل الاجمال بقوله : (فما كان منها منصوصا في كتاب الله وجب الايمان به على الجميع ، والانكار على من جحده ، أو زعم أن ظاهره اسم ذم لله سبحانه ، وما كان في الحديث وجب الايمان به على من عرف صحته ، وما نزل عن هذه المرتبة أو كان مختلفا في صحته لم يصح استعماله فان الله أجل من أن يسمى باسم لم يتحقق أنه تسمى به)(٢).

وهذا عكس منهج المتكلمين الذين يقتصرون على اليسير من الاسماء الحسنى فذلك كالاختصار للقرآن الكريم ، وذلك لا يجوز، إذ لو كان شيء منها لا ينبغي اعتقاده ولا ذكره لما ذكره الله في كتابه الكريم (٣) .

...

ابن الوزير يصور عقيدة أهل السنة عند اضطراب المتكلمين :

وفي معرض الرد على منهج الزيدية المعتزلة في الصفات بانكار بعضها وتأويل البعض الآخر كالمجيء والضحك والرجل والقدم والرؤية، فقد أكثر أهل الكلام الجدال والتأويل واشتد الأمر وعظم الخطر، فصوّر ابن الوزير عقيدة أهل السنة بقوله : (ولما اضطرب الناس في هذا ودق الكلام فيه ، وعظم الخطر ، اعتصم الجماهير من أهل السنة بالاقرار بما ورد في الآيات والأحاديث ، على الوجه الذي أراده الله - تعالى - مذعنين للعلم بذلك الوجه لا رادين لما ورد في ذلك من السمع ولا مشبهين لله تعالى بما لحقه من صفات النقص معتقدين أن الله تعالى كما وصف نفسه في قوله (ليس كمثله شيء) منزهين لله تعالى من كل ما يقتضي النقص ، من شبه المخلوقين في أفعالهم وذواتهم وصفاتهم ، وهذه عقيدة صالحة منجية لمن اعتقدها ،

---

(١) سورة الاسراء: ١١٠ وانظر إيثار الحق لابن الوزير ص ١٦٨-١٦٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٦٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٦٩ .

ومن ضلل اهلها لزمه تضليل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا طائفة المتكلمين ، وذلك يعود إلى الادغال فى الدين، والقدح على سيد المرسلين، نعوذ بالله من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين) (١) .

ألا ترى أن ابن الوزير يسخر من المتكلمين الذين يفخرون بأنهم علموا مالم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون ، وادعوا أن طريقة الخلف أعلم ، تالله لقد خابوا وخسروا، بل كذبوا فطريقة السلف أسلم وأعلم . وفى هذا بيان أن ابن الوزير يتبنّى عقيدة أهل السنة لأنه ذيل ذلك بجملة منطوقها يقرر مضمون ماسبق، وهى قوله : (وهذه عقيدة صالحة منجية لمن اعتقدها . . .)

أما مفهوم ذلك فان الخطر العظيم فى مخالفة معتقَد أهل السنة والجماعة . إلا أنه قد يرد هنا سؤال : لماذا لم يكمل ابن الوزير قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٢) . بل اكتفى بالنفى وترك الاثبات ، وذلك يقتضى أنه ينفى ولا يثبت أو يقال : إن هذه طريقة المتكلمين ، يذكرون النفى مفصلا والإثبات مجملا ، وهذا خلاف مذهب السلف، وقد تقرر أن ابن الوزير سلفى العقيدة ؟ فالجواب كما يلى :

هذا وارد فى حق من وقف على هذا النص فحسب ، أما من وقف على نصوص ابن الوزير فى غير هذا الموضع قبله أو بعده فذلك غير وارد، لأنه قد ذكر الآية كاملة بشقيها : الأول : رد على المشبهة والثانى : رد على المعطلة ، وقد عقب على الآية الكريمة بما تطمئن له نفوس أهل السنة والجماعة فى عدة مواضع، منها ماسبق فى اوائل هذا المبحث وفيما نقلته عنه من كتابه الترجيح بلفظه .

ومن ذلك ماذكره مشيرا به إلى مذهب أهل السنة فى قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . أن المراد نفى التشبيه بتعظيم الأسماء الحسنى وإثباتها لا بنفيها كما قال القرامطة مثاله إنه عليم لا يعزب عن علمه شىء ولا يزول علمه ولا يتغير ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وهذا ما عبر عنه ابن تيمية وغيره من السلف بالنفى المتضمن للإثبات اذ مجرد النفى لا مدح فيه ولا كمال (٣) .

---

(١) الروض الباسم لابن الوزير جـ٢ ص ٢٣٥ وانظر ماقبلها ومابعدها وانظر مقدمة الكافية الشافية لابن قيم الجوزية ص ٦ حبذا لو طالعتها الى آخرها ففيها ماتطمئن اليه نفوس السلفيين وتضجر منه نفوس المشبهين والمعطلين وهى المشهورة بالقصيدة النونية .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٨٧-١٨٨-١٩٢ وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣ ص ٨٥ شرح الطحاوية ص ١٠٨ .

أما الاحتمالات فكثيرة :

منها أنه يحتمل أن آخر الآية سقط من بعض النسخ كما فى النسختين الخطيتين بل المصورتين ففيهما الكثير من البياض والاختلاف ، وجدت ذلك أثناء المقابلة .

وستأتى مقارنة - إن شاء الله - بين كلام ابن الوزير وابن تيمية فى أواخر هذا البحث .

وها هوذا ابن الوزير يستدل بكلام على رضى الله عنه : (عليك بما دل عليه القرآن من صفته) لما قيل له صف لنا ربنا .

ويعلق ابن الوزير على ذلك بقوله : (وهذا لا يعارض قوله تعالى : (سبحانه وتعالى عما يصفون) (١) . لأنه لم ينزه ذاته عن الوصف مطلقا حتى يعم الوصف الحسن وإنما ينزه عن وصفهم له بالباطل القبيح) (٢) .

وسيأتى أن ابن تيمية قد نهج هذا المنهج فى الآية المذكورة وليس فى ذلك من التهمة شىء ولله الحمد والمنة .

وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية - حامل لواء السلفيين - يقرر عقيدتهم ومنهجهم كما سبق فلله الحمد والمنة على اتفاق من ذكرنا من السلفيين على منهج واحد فى توحيد الاسماء والصفات ومنهم ابن الوزير الذى كان الهدف فى هذا البحث هو معرفة عقائده ؛ إذ العقيدة السليمة هى الأساس فى الدين الاسلامى وكان من حق ابن تيمية أن يكتب كلامه - لما له من السبق على ابن الوزير والمكانة العلمية - قبل كلام ابن الوزير - ولكن أخرته لقصد المقارنة ، ولتكون أفكاره حديثة عهد بذهن القارىء وعلى مرآه ، ولان كلامه قد اطمأنت اليه كثير من النفوس - فهو وإن كان غير معصوم - فإن على كلامه نور الحق والعدل والعرفان ، يعرف ذلك كل من له علاقة بهذا الشان ، وقد ازاح عن نفسه العصبية والتقليد والبدع الكلامية وغيرها ، وهذا هو نص كلام ابن تيمية من كتاب مجمل اعتقاد السلف بعد ان ذكر انواع التوحيد :

(فأما الاول وهو التوحيد فى الصفات فالاصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا وإثباتا فيثبت لله ما اثبته لنفسه وينفى عنه مانفاه عن نفسه

---

(١) سورة الانعام : ١٠٠ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٨٧-١٨٨ .

وقد علم ان طريقة سلف الامة ، وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير الحاد في أسمائه ولا في آياته ، فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون)(١) . وقال تعالى : (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم)(٢) .

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٣) ففي قوله (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل ، (وهو السميع البصير) رد للإلحاد والتعطيل ، والله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ، ونفوا عنه مالا يصلح من التشبيه والتمثيل كما قال تعالى : (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا)(٤) أي شبيها أو شبيها . وقال تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد)(٥) .

وفي موضع آخر قال : (القول في الصفات كالقول في الذات . . فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات)(٦) .

وفي موضع آخر ايضا قال : (إن الله لا مثل له وان حقيقته مخالفة لجميع الحقائق)(٧)

وفي شرح الاصفهانية (٨) ذكر ما اتفق عليه سلف الامة وأئمتها في هذا الباب واستدل بقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) ولم يكمل الآية كما فعل ابن الوزير في الاكتفاء بالجزء الاول منها لما وصف عقيدة اهل السنة عند اضطراب الناس في الصفات مع ذكر بعض الآيات التي ذكرها في مجموع الفتاوى .

---

(١) سورة الاعراف : ١٨٠ .

(٢) سورة فصلت : ٤٠ .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) سورة مريم : ٦٥ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ٣-٤ اقتضاء الصراط المستقيم له ص ٤٦٥-٤٦٦ ، وانظر شرح حديث النزول له ص ٧ وانظر شرح الطحاوية ص ٩٩ ومنهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات للشنقيطي والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان ص ٢ ٥-٥ ٥ والجواب الصحيح لابن تيمية ج ١ ص ٧ .

(٦) الرسالة التدمرية ضمن نفائس لابن تيمية ص ١٩ .

(٧) بيان تلبيس الجهمية له ج ١ ص ٨٨ .

(٨) ج ٥ ص ٨ ضمن الفتاوى الكبرى طبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ ،

مقارنة بين طريقة ابن الوزير وابن تيمية وغيرهما :

اذا ماقارنت بين طريقة ابن الوزير فى الاستدلال لاثبات الاسماء والصفات، وبين طريقة ابن تيمية الآنفة الذكر فانك تجد الطريقة واحدة سلفية بحتة خالية عن الطرق الكلامية ومصطلحاتها وليس ذلك جهلا منهما بالكلام والجدل والمنطق اليونانى، فابن تيمية فى هذه العلوم العقلية - كما هو اشهر من نار على علم - من المبرزين، بل اشد هم تعمقا وتغوقا فى ذلك بعد ان رأى المجتمع حوله يموج بهذه العلوم، وكان أصحابها ينكلون بأهل الحديث تنكيلا منذ محنة القول بخلق القرآن إلى عصر ابن تيمية ، لأنها كانت تطيش كفة أصحاب الحديث فى مجالس المناظرات، واحدق الخطر بالاسلام، فكان هذا الشد حافزا لابن تيمية فى دراسة هذه العلوم العقلية ، بغرض الدفاع عن العقيدة السلفية ، فدرس علم الكلام والمنطق والفلسفة اليونانية بتعمق شديد ، ولما تسلح بسلاح الخصوم برز الى الميدان ورد على المنطقيين ونقض كلامهم عروة عروة وألزم الجدليين وافحم الخصوم فنكسوا رؤسهم متحيرين، وارتدوا على أعقابهم خاسرين، ولولا هذا التعمق فى هذه العلوم العقلية بعد توفيق الله لما استطاع مقارعة الحجة من جنسها ، ومؤلفاته خير شاهد على ما أقول .

أما العلوم النقلية فهو فيها أشهر من نار على علم، حتى قال بعض العلماء : إن اى حديث لم يعرفه ابن تيمية فانه غير حديث (١) .

وأما ابن الوزير فهو بخلاف ذلك فدراسته للعلوم العقلية من البداية وكان قد افنى فى تحصيلها معظم شبابه كما قال :

قليتذ االعلم من بعد الرسوخ به ** واعتضت بالذكر منه غيرمغبون (٢)

وكان مغرما بأفكار أئمة الاعتزال كابن ابى الحديد والجاحظ وغيرهما ،وبأفكار أئمة الاشعرية كالرازى والغزالى وغيرهما والسبب فى ذلك كما يقول: (إن أول ماقرع سمعى ورسخ فى طبعى وجوب النظر ومن قلد فى الاعتقاد فقد كفر) (٣) . فاستغرق فى ذلك حدة نظره وباكورة عمره ثم هداه الله الى علوم الكتاب والسنة فانشرح صدره

---

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن شهاب الحنبلى جـ٢ ص ٣٩٢-٣٩٣ . ؟

(٢) ترجيح اساليب القران لابن الوزير ص ٤٢ .

(٣) انظر مقدمة العواصم لابن الوزير جـ١ ورقة ٦ .

ووجد فيهما الشقاء كله ،لكنه امتحن كغيره من الدعاة الى الحق ووجهت إليه الاعتراضات، تحمل سهام الجدل والمناظرة،فبرز إلى الميدان، مدججا بسلاحي المنقول والمعقول، فاستخدم الأسلوب الجدلي، في الذب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع من ميدان المعركة وقلمه يقطر دما من اجساد المعتزلة المعطلة، حاملا لواء الدفاع عن السنة وحملتها، منصورا مؤزرا بعد أن صرع المعتزلة المعطلة صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية .

وإذا ما قارنت بين طريقة ابن الوزير في الاستدلال لإثبات الاسماء والصفات، وبين طريقة ابن تيمية الآنفة الذكر أيضا فإنك تجد الطريقة واحدة سلفية بحتة ونعود فنقتطف هذا النص من كلام ابن الوزير إذ يقول : (لا شك ان الله - عز وجل - حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة لا يشاركها شيء في ذاتيتها وخصوصيتها لقول الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) . وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقوله : (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) (٢) وقوله حاكيا عمن شبهه بغيره (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا الا المجرمون) (٣) . وفي قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جمع بين الرد على طوائف المبطلين فأولها : رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة وفي ترتيبها سر لطيف ، لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه ، فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه (ولا يحيطون به علما) (٤) .

وفي موضع آخر ذكر معنى هذه الطريقة في الأسماء والصفات واستدل بقوله تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (٥) وقوله : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) (٦) لأن معرفة كمال الله جل وعلا - وما يجب له من أسمائه الحسنى ونعوتها

---

(١) سورة الشورى : ١١ .
(٢) سورة مريم : ٦٥ .
(٣) سورة الشعراء : ٩٧-٩٩ .
(٤) سورة طه : ١١٠ .
(٥) سورة الاعراف : ١٨٠ .
(٦) سورة الاسراء : ١١٠ .

الشريفة من كمال التوحيد فلا كمال لذات لا اسم لها ولا نعت ، ولذلك عُدّ مذهب الملاحدة في مدح الرب بنفيها من أعظم مكائدهم للاسلام (١) .

كذلك اذا نظرت إلى ما حكاه من طريقة الجماهير من أهل السنة عند اضطراب الناس بالتمسك بما ورد في الآيات والأحاديث إلى أن قال : (وهذه عقيدة صالحة منجية لمن اعتقدها ..) وغير ذلك من كلام ابن الوزير السابق الذكر . فأنت اذا - قارنت بين كلام الشيخين وغيرهما أيضا من السلف الصالح فتجد طريقة الاستدلال في مسألة الأسماء والصفات واحدة، فهو وإن اختلف في بعض الألفاظ شيئا ما، فالمعنى واحد، ألا ترى إلى تعليقهما أي ابن تيمية وابن الوزير على قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٢) فذا ك ابن تيمية يقول : (ففي قوله (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل ، وقوله (وهو السميع البصير) رد للالحاد والتعطيل وهذا ابن الوزير يقول : (وفي قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جمع بين الرد على طوائف المبطلين فأولها رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة .

فأنت ترى أن الآيات القرآنية التي استدل بها ابن تيمية في هذه المسألة استدل بها ذاتها ابن الوزير ، إلا أن الأخير ذكر قول الله تعالى : (قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) (٣) ولم يذكرها الاول في هذا الموضع بل ذكر قوله تعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) (٤) ، في حين أن ابن الوزير لم يذكر هذه الآية في هذا الموضع كما انفرد ابن الوزير بذكر قوله تعالى (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) (٥) . أما كون الله سبحانه حقيقة مخالفة لجميع الحقائق في تعبير ابن تيمية وكون حقيقة الله سبحانه - مخالفة لسائر الحقائق في تعبير ابن الوزير فظاهرهما اتفاق الشيخين إلّا أن كلمة سائر تطلق على الباقي لا الجميع عند بعضهم .

واذا نظرت الى تعقيبهما على قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فتجد التعبير واحدا لفظا ومعنى إلا أن ابن الوزير يمتاز بقوله : (وفي ترتيبها سر لطيف لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه فلذلك بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه (ولا يحيطون به علما)

---

(١) ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٣٧ - إيثار الحق له ، ص ١٦٨ وانظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية جـ١ ص ٨٨ وفيه: (إن الله لا مثل له وإن حقيقته مخالفة لجميع الحقائق) .

(٢) سورة الشورى : ١١
(٣) سورة الاسراء : ١١٠
(٤) سورة فصلت : ٤٠
(٥) سورة الشعراء : ٩٧-٩٩ .

كما يمتاز ابن تيمية بقوله (والله سبحانه - بعث رسله بإثبات مفصل ونفى مجمل فاثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه مالا يصلح له من التشبيه والتمثيل ومن المحتمل أن ماسقط على أحد الشيخين هنا موجود فى موضع آخر . والله أعلم.

هذا ولو كان ابن الوزير على معتقد الزيدية المعتزلة لما طورد الى بطون الاودية الخوالى ، ورؤس الجبال العوالى ، ومافائدة التسمية لأعظم كتاب - فى نظرى - عرفه اليمن بعد كتاب الله تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بشهادة كبار علمائه - وقد سبق بيان ذلك - الا وهو مادل اسمه ب (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) على مسماه وهوما حواه من أنواع العلوم التى لا يستغنى عنها طلابها ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين)(١) . وفى رواية (وتأويل الغالين) بدل الجاهلين . وذكر معنى هذا الحديث احمد بن حنبل إمام السنة فى مقدمة كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة)(٢) . وقد حمل هذا العلم ابن الوزير كغيره من حملة الأعلام بل من الأعلام الذين صهرتهم المحنة فى سبيل الدعوة والتجديد . ومن وجد رائحة المبالغة فى كلامى فعليه بإمعان النظر فى مؤلفاته لا سيما (العواصم والقواصم) الذى اختصره فى (الروض الباسم) وليعرف أسلوبه ومنهجه فى الاستدلال ، وقد سبق بيان هذا فى بحث خاص من الباب الأول ، وعندئذ ستنقطع رائحة المبالغة - إن وجدت - ان شاء الله . هذا بالنسبة لخصومه من لم يعرف عنه شيئا ، أما معارفه وأصدقاؤه وأحباؤه فلاشك أنى - فى نظرهم - لم أوف المقام حقه ولم أصف ابن الوزير ببعض مايستحقه ، وأستغفر الله مما لا يرضى الله عز وجل .

ومما يدل على ذلك قوله فى أبيات كثيرة اخترت منها مايلى :

يالائمى كف عن لومى ومعتقدى ** قول النبى وهى فى تعرفه
فما قفوت سوى آيات منهجه ** ولا تلوت سوى آيات مصحفه

---

(١) شرف اصحاب الحديث للبغدادى ص ٢٨-٣٠ - الاصابة لابن حجر ج١ ص ١٩١-١٩٢ - الروض الباسم لابن الوزير ج١ ص ٢١-٢٢ ، العواصم ج٢ وهم ١٥ فصل ٤ وقد سبق الكلام حول هذا الحديث من حيث الصحة والضعف ص ٢٢٥

(٢) ص ١٣ تصحيح اسماعيل الانصارى نشر ادارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .

إن كان حبى حديث المصطفى زللا ** منى فما الذنب إلا من مصنفـــه
وإن يكن حبه دينا لمعتـــرف ** فذاك همى ودينى فى تعرفـــه
ومذهبى مذهب الحق اليقين فما ** تحوّل الحال إلا من تشوفـــه
هذا الذى أكثر العزال فيه فمـا ** تعجب القلب إلا من معنفـــه
ما الذنب إلا وقوفى بين أظهرهم ** كالماء ما الأجن إلا من توقفـــه
وحق حبى له إنى به كلـــف ** يغنينى الطبع فيه عن تكلفـــه (١)

هذا ومن الملاحظ على ابن الوزير فى هذا البيت الأخير مايتنافى مع توحيد الألوهية فإنه أُقسم هنا بغير الله وذلك غير لائق بمثل ابن الوزير لحديث ابن عمر مرفوعا وفيـــه : (من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت) (٢) .

وبمناسبة الكلام فى صفات الله تعالى - على ضوء ماسبق ، وعلى ضوء الاية الكريمة (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٣) ، رأيت أن اصل قصة رواها الزندانى فـــى كتابه " توحيد الخالق " لما لها من الصلة الوثيقة بهذا الكلام لفظها كما يلى :

(لقد جاءت امرأة انجليزية الى الشيخ الحكيمى ، وكان عالما يمنيا اهتدى على يـــده كثير من البريطانيين ، فأرادت هذه المرأة أن تحرج العالم المسلم فقالت : لا أومـــن بالله أيها الشيخ إلا إذا أخبرتنى كم طول الله وكم عرضه ؟ فأخبرها العالم : إن علمنا بالله محدود ، وان الله لا يقاس بمثل هذه المقاييس . (ليس كمثله شىء) وقال لهـــا : هل تحبين زوجك ؟ - وكان معها - قالت : نعم . قال : وهل تشعرين بوجود الحب؟ قالت : نعم قال : أما أنا فسأنكر وجود حب فيك لزوجك إلا اذا قلت لى كم رطـــلا وزن حبك لزوجك ، وكم طول هذا الحب ، وكم عرضه ؟ فعرفت أنها اشترطت لإيمانها شرطا سخيفا) (٤) .

---

(١) العواصم/ج٢ قه ١٨٧-١٨٨ فى ترجمة ابن الوزير الملحقة بهذا الجزء . (لابن الوزير)
(٢) متفق عليه البخارى ج٧ كتاب الأيمان باب لا تحلفوا بابائكم ص ٢٢١ مسلم ج ٣ ، كتاب الأيمان باب النهى عن الحلف بغير الله ص ١٢٦٧
(٣) سورة الشورى : ١١ .
(٤) توحيد الخالق لعبدالمجيد الزندانى القسم الثانى ج٣ ص ٩٧ مطبعة السعادة ط. ثانية سنة ١٣٩٧هـ.

وبالجملة فان مبحث آيات الاسماء والصفات وأحاديثها ينبنى - كما هو مذهب السلف - على ثلاثة أسس من جاء بها كاملة فقد وافق الصواب ، ومن أخل بواحد منها فقد ضل وغوى :

١ - تنزيه الله - سبحانه - عن مشابهة المخلوقين لقوله تعالى (ليس كمثله شىء)(١) (ولم يكن له كفوا أحد) .

٢ - الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله (أأنتم أعلم أم الله)(٢) والايمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسوله ، لأنه لا ينطق عن الهوى وعلى ضوء قوله تعالى : (وهو السميع البصير)(٣) .

٣ - قطع الطمع عن إدراك كيفيته - جل وعلا - لقوله : (ولا يحيطون به علما)(٤) ، (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)(٥) (ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن)(٦) .

...

---

(١) سورة الشورى جزء من اية ١١ .

(٢) سورة البقرة جزء من اية ١٤٠ .

(٣) سورة الشورى : جزء من اية ١١ .

(٤) سورة طه : جزء من اية ١١٠ وانظر تفاصيل هذه الاسس الثلاثة (منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات) للشنقيطى ت ١٣٩٣ هـ ص ٣ ومابعدها . وهو موجز ومفيد فى هذا الباب .

(٥) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٦) سورة ابراهيم : ٣٨ .

الفصل الثـــاني

الـغيـبيـيـــات

ا - تمهيـــد

ب - وهم ابن الوزير وغيره فى اسناد القول بفناء النار لابن تيميـــة

جـ - فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار

د - رجوع ابن القيم عن تايـيد القول بفناء النار

هـ - مقتطفات من الاجادة لابن الوزير

و - كلام جديد فى هذه المسألة العظيمة

٥٥٥٥٥٥٥٥

تمهيد

عرفت مما سبق ، وستعرف مما سياتى ان معظم مصنفات ابن الوزير رد على شيخه الزيدى المعتزلى ولم أجد جدالا بينهما فى (الغيبيات) ما عدى مصير مرتكب الكبيرة فى الآخرة اذا مات مصرا عليها .

ومعلوم أن الحديث عن (الغيبيات) هو الحديث عن القيامة الصغرى من إثبات الثواب والعقاب فى البرزخ ، إلى ما قبل النفخة الأولى . كما ان الحديث عن القيامة الكبرى ، من النفخة الاولى ،إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما بين ذلك من الأهوال التى يشيب لهولها الولدات بما فى ذلك من الحساب والميزان والحوض والصراط ، وكل هذا يتضمنه الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة ، المذكورة فى حديث جبريل الصحيح المشهور .

ولست أعرف أحدا ممن ينتمى إلى الاسلام ، ينكر هذا من حيث الجملة ، غير أن هناك بعض الخلافات فى تفاصيل الحياة البرزخية هل يعذب أو ينعم الجسد فقط او الروح وحده أو هما معا ، وغير ذلك من التساؤلات التى يكثر منها أهل الكلام تراجع فى مظانها ،وقد أطال الكلام فى هذا شمس الدين ابن قيم الجوزية (١) ، وأتى بما لم يات به غيره - حسب علمى - والإيمان باليوم الآخر هو كما قال شيخ الاسلام : (مذهب سائر المسلمين ، بل وسائر الملل إثبات القيامة الكبرى وقيام الناس من قبورهم ، والثواب والعقاب هناك ، وإثبات الثواب والعقاب فى البرزخ - ما بين الموت الى يوم القيامة ،هذا قول السلف قاطبة ، وأهل السنة والجماعة ، وإنما أنكر ذلك فى البرزخ قليل من أهل البدع (٢) .)

ثم ذكر أقوال المتكلمين وغيرهم فى الحياة البرزخية والآيات المتعلقة بذلك وبالقيامة الكبرى (٣) .

لذلك لم أجد نزاعا بين ابن الوزير وخصمه فيما يتعلق بهذا الفصل إلا فى مسألة الوعد والوعيد وما يتعلق بذلك من خروج أهل الكبائر من النار عند أهل السنة والجماعة لأحاديث الشفاعة المتواترة ، وعدم خروجهم عند المعتزلة الزيدية ، ومنهم خصم ابن الوزير وقد سبق ذكر هذا فى موقف ابن الوزير من أصولهم الخمسة عند الكلام على أصل الوعد والوعيد) ولكن لا مانع من الاشارة الى ذلك .

وحاصل كلامهم : القول بخلود أهل الكبائر من المسلمين ، فى النار أبدا ،لا يخرجون منها الى الجنة أبدا ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، واستدلوا بقوله تعالى :

---

(١) انظر الروح لابن القيم ص١٥ وما بعدها مطبعة صبيح ١٣٨٦هـ

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٤ ص٢٦٢

(٣) انظر التفاصيل فى المصدر نفسه جـ٤ ص٢٤٢-٢٩٨ وانظر رسالة الدكتور الخالدى بعنوان (الحياة البرزخية فى الاسلام) .

(ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) [١] وأمثال ذلك من الآيات وإنما تكون الشفاعة فى رفع درجات بعض أهل الجنة [٢].

و حاصل كلام خصم ابن الوزير كما فى العواصم والروض الباسم : أن الاحاديث الدالة على خروج العصاة من النار بشفاعة النبى -عليه الصلاة والسلام- و شفاعة الشافعين ، تناقض آيات الوعيد ، الدالة على خلود أهل الكبائر من المسلمين ، لقوله تعالى : (و ما هم عنها بغائبين) [٣] و قوله : (وما هم بخارجين من النار) [٤] .

و حاصل رد ابن الوزير : أن هذا جهل مفرط ، فإن العموم والخصوص لايتناقضان على القطع عند أحد من فرق المسلمين ، والقرآن مشحون بذلك ، كقوله تعالى : (. . . من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) [٥] فاطلق نفى الخلة ، والشفاعة فى هذه الآية ، عن كل أحد ، ثم قيده فى قوله : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) [٦] و قال : (و لا يشفعون الا لمن ارتضى) [٧] فاثبت الخلة والشفاعة لمن ارتضى، و لمن اتقى ، بعد ان نفاهما مطلقا، و استشهد ابن الوزير باحاديث الشفاعة المتواترة ، فى خروج العصاة من النار [٨] و قد سبق أنها ما يقارب أربعمأة حديث، و قد ذكر شيخ الاسلام أقسام الشفاعة الثلاثة -للنبى صلى الله عليه و سلم- يوم القيامة المتواترة الصحيحة منها الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها ، و فيمن استحق النار ألا يدخلها و هذه الشفاعة كما قال ابن تيمية : (أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج ، والمعتزلة والزيدية) [٩] و هذا خلاف ما عليه الصحابة والتابعون والأئمة الاربعة و غيرهم، من تواتر الاحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه و سلم - أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ، ما شاء بشفاعة النبى - صلى الله عليه و سلم - و بشفاعة غيره ، و يخرج قوما بلا شفاعة [١٠] .

فهل يبقى بعد هذا شبهة لمنكرى الشفاعة فى خروج العصاة من المسلمين من النار؟ نعم يبقى ما حكم من كذب بالمتواتر؟ ! أما ثبوت الشفاعة فلا شبهة ولا إشكال

---

(١) سورة غافر : ١٨
(٢) مصباح العلوم للرصاص ص٠ ٢ و راجع اصل الوعد والوعيد فى فصلى المعتزلة والزيدية
(٣) سورة الانفطار : ١٦
(٤) سورة البقرة : ١٦٧
(٥) سورة البقرة : ٢٥٤
(٦) سورة الزخرف : ٦٧
(٧) سورة الانبياء : ٢٨
(٨) انظر التفاصيل فى العواصم والقواصم لابن الوزير ج٤ وهم ٢٨ ص ٧٩-٨٠ و ما بعدهما والروض الباسم له ج٢ ص٢٢٧-٢٢٨
(٩) مجموع فتاوى ابن تيمية ج١ ص١٤٨
(١٠) انظر مجموع الفتاوى ج٢ ص١٤٧ وما بعدها ج١١ ص١٨٤-١٨٥

فى ذلك عند من له صلة بالدين ، فتواتر الأدلة على ذلك يفيد اليقين كما هو مقرر عند علماء المسلمين، وإنما الإشكال فيما يدندن[1] حوله ابن الوزير ـ رحمه الله ـ فى عدة مواضع من كتبه ، و يسنده إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأتباعه ، من القول بفناء النار ، لأن القدح فى دوام العذاب عندهم ـ فى نظره ـ سهل بعد ورود الاستثناء فى غير آية و حديث ، وأثر ، و منتهاه تخصيص عموم بما يقتضى زيادة الرحمة والحكمة، و هذا ما سنتحدث عنه ، و نبطل ما يستحق الإبطال ، و نثبت ما يستحق الإثبات، بالبراهين الصحيحة الواضحة ان شاء الله تعالى .

هذا و قد كنت وضعت الكلام على هذه المسألة فى فصل (الاشعرية و موقف ابن الوزير منها) فى أثناء الكلام على إثبات حكمة الله تعالى ـ فى أفعاله و اقواله ، ثم بدا لى ، أن وضعها هنا أنسب ، لأنها من الغيبيات ، و هى التى تحير فيها كثير من أرباب العقول ، و هى عند شيخ الاسلام : مسألة عظيمة كبيرة ، وعند ابن القيم أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ، وعند ابن الوزير : هى أم المتشابهات ، و أغمض الخفيات ، و محارة علماء المعقولات والمنقولات و لذلك قال ابن الوزير فى أثناء حديثه عن المتشابه : (و هذه المسألة ـ اى الحكمة فى دوام العذاب الأخروى ـ هى التى ألجأت غلاة الأشعرية الى القول بنفى الحكمة . . . و هى التى ألجأت ابن تيمية و أسلافه و أتباعه إلى القول بفناء النار ، والتأليف فى ذلك ، و أشار الغزالى الى نصرة قولهم فى المقصد الأسنى ، فى شرح الرحمن الرحيم ، و جود الاحتجاج لهم فى ذلك ، و فى بعض مباحثه فى ذلك فيه نظر[2].)

قلت : الغزالى سماه سرا ، و أن الشرع منع من افشائه ، و أنه يفسد بسببه كثير من الناس و ذلك تحت عنوان (سؤال و جوابه) و ذكر كلاما يتضمن إثبات الحكمة فى الشر ، و قال فى نهايته ما لفظه : (ولا تشكن أصلا فى أنه تعالى ارحم الراحمين ، و أنه تعالى سبقت رحمته غضبه ، ولا تستريبنّ فى أن مريد الشر للشر ـ اى لكونه شرا فقط ـ لا للخير غير مستحق اسم الرحمة ، و تحت هذا سر منع الشرع عن افشائه ، فاقنع بالدعاء ، ولا تطمع فى الافشاء ، ولقد نبهت بالإيماء والرمز إن كنت من أهله فتأمل

---

(1) دندن الرجل اذا اختلف فى مكان واحد مجيئا و ذهابا ذكره ابن الاثير فى النهاية جـ٢ ص١٣٧ عند الكلام على حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لرجل (ما تقول فى الصلاة ؟ قال : أتشهد ثم اسأل الله الجنة ، و أعوذ به من النار ، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال : حولهما ندندن) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ فى سننه جـ١ ص ٩٥ ، والامام احمد فى مسنده جـ٥ ص٧٢ قال الهيثمى فى الزوائد اسناده صحيح و رجاله ثقات.

(2) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٣ وهم ٢٨ ص٢٩٩ وإيثار الحق على الخلق له ص ٢١٦-٢١٨

ارشدك الله)[1] . ثم أنشد :

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

و مثل للخير الكامن فى الشرور الدنيوية بالقصد والحجامة و قطع العضو المتأكل والقصاص و أمثال ذلك كثير .

و لعل هذا السر الذى ذكره الغزالى و أن الشرع منع من إفشائه هو ما تبادر الى ذهن ابن الوزير وعبر عنه : بلعلّه أراد سعة الرجاء لرحمة الله تعالى ، كما جاء عن على عليه السلام - لولا أن أخاف أن تتكلوا على العمل لأخبرتكم بما لكم من الأجر فى قتلهم - يعنى الخوارج - و استشهد بحديث معاذ رضى الله عنه حينما كان رديف النبى صلى الله عليه و سلم - قال : (يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد و ما حق العباد على الله ؟ قال : قلت : الله و رسوله أعلم. قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، و حق العباد على الله - عزو جل - أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، قال : قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا)[2]

و فى البخارى : (و أخبر بها معاذ عند موته تأثما) .

و قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بين ذلك مرارا ، و لم يكتمه دائما ، و استقر الاجماع بعدُ على تدوينه فى دواوين الاسلام .

---

(١) المقصد الاسنى شرح الاسماء الحسنى ص٦٧-٦٩ حققه و قدم له الدكتور فضله شحاته ط بيروت و إيثار الحق لابن الوزير ص ٢٢٢-٢٢٣

(٢) متفق عليه البخارى جـ١ كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم... ص ٤١ مسلم كتاب الايمان باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ص ٥٨-٥٩ واللفظ له و مسند احمد جـ٥ ص ٢٢٨ وانظر الايثار لابن الوزير ص ٢٢٣

وهم ابن الوزير وغيره فى اسناد القول بفناء النار إلى ابن تيمية

رحم الله ابن الوزير، فلقد عانيت فى البحث عما أُسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - من القول بفناء النار، معاناة شديدة لا يعلمها الا الله سبحانه، ثم من عاناها، سنة كاملة، و أنا أبحث بحث الجاد المهتم بما يعنيه، بشتى طرق البحث.

و بما أن هذه المسألة من اصعب المسائل، و أشبه المتشابه، التى حارت فيها - كما فى نظر ابن الوزير - عقول أهل المعقول والمنقول، بل من سر القدر الذى لا يعلم حقيقته الا الله - عزو جل - فقد سبق فى علم الله - سبحانه - أن ابن الوزير سيخالف منهجه الذى سلكه - غالبا - و منه إسناد الأقوال الى أصحابها و مصادرها و أجزاءها و أبوابها، كما سبق بيانه فى (منهجه فى البحث العلمى).

وفى هذه المسألة فاته ذلك - لما سياتى بيانه - فأسندها الى شيخ الاسلام بدون إشارة الى اى مرجع، فى أكثر من موضع من كتبه فلقد تعبت و أُتعبت فى البحث و رب ضارة نافعة[1].

و مما زادنى تشجيعا على المضى فى البحث عنها ما استفاض عن شيخ الاسلام - رحمه الله - من القول بفناء النار و ذلك أثناء سؤالى و مناقشتى لبعض العلماء و بعض الزملاء.

و حاصل جواب معظمهم: أن هذا مستفيض عن ابن تيمية، فأقول أين المرجع؟ فيحيلنى البعض الى مصادر غير موجود فيها ما ذكروا، والبعض الآخر، يقول: بالاستفاضة، لكن يقول: لا أدرى اين المرجع، ابحث عنه و أخبرنا به، والبعض الآخر لا يصرح بهذا، بل يقول: يشم من رائحة كلام ابن تيمية القول بفناء النار.

والبعض الآخر أيضا لا ينفى هذا ولا يثبته،

و منهم من حشنى على البحث فى مجموع فتاويه فلا يخلو منها كلام ابن تيمية حول هذه المسألة، و هذا نادر جدا.

و مما زادنى تشجيعا على البحث أيضا كلام ابن القيم رحمه الله - فى (حادى الارواح) و (مختصر الصواعق) أثناء كلامه على أبدية النار و دوامها، ولعل ابن الوزير اطلع على ذلك فوهم فى إسناده الى ابن تيمية، كما وهم فى إسناد حادى الأرواح إلى شيخ الاسلام ابن تيمية، و معلوم أنه لتلميذه ابن قيم الجوزية، فإنه ذكر هذه المسألة و أطال الكلام فيها و أن لشيخ الاسلام فيها قولان و هذا نص كلام ابن القيم:

---

(١) لو لم يكن لهذه الرسالة من قيمة - فى نظرى - إلا تحقيق هذه المسألة العظيمة و إماطة الأذى عن مجدد السلفية و تلميذه ابن قيم الجوزيه لكفى ولكن لا يقدر هذا الجهد الآ ذووه.

(وأما ابدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الاسلام : فيها قولان معروفان عن السلف والخلف ، والنزاع في ذلك معروف عن التابعين [١].)

ثم علق عليه بقوله : (قلت ها هنا أقوال سبعة)[٢]

ثم ذكرها وأسندها إلى قائليها، وناقشها وردها إلا قولين هما الرابع والسابع الآتي ذكرهما، وفي القول الرابع منها ، أنها تبقى نار على حالها ليس فيها احد يعذب ، وقال : حكاه شيخ الاسلام، والقول السابع قول من يقول بفنائها اي يفنيها ربها وخالقها - تبارك وتعالى - لأنه جعل لها امدا تنتهي اليه ، ثم تفنى ويزول عذابها .

وقال ابن القيم : (قال شيخ الاسلام : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم)[٣].

ثم ذكر الآثار الواردة عن بعض الصحابة منها أثر عمر (لو لبث اهل النار في النار قدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه)[٤] وهو صريح في الخروج لا في الفناء وأن قوله تعالى : (... إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد)[٥] تأتي على كل وعيد في القرآن الكريم وقد نصر القولَ بفناء النار ابنُ القيم وأيده بالادلة الشرعية والعقلية ، وطول في الاستدلال على ذلك .

ثم ذكر اقوال الذين قطعوا بدوام النار وأدلتهم السمعية والعقلية من ستة أوجه ، ولم ينصرها كما نصر القول بالفناء مع ان اجماع الصحابة والتابعين - الذى حكاه ابن القيم - من اقوى ادلة القائلين بأبدية النار ، بل حكى عن القائلين بفنائها أن هذا الاجماع غير معلوم، وإنما يظن الاجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع ، وقد عرف النزاع فيها قديما وحديثا، بل لو كلف مدعي الاجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد انه قال : إن النار لا تفنى لم يجد إلى ذلك سبيلا ، وقد نُقل عنهم التصريح بخلافه ذلك.[٦]

---

(١) حادي الارواح لابن القيم ، ص٢٨٦ مطابع الرجوى بالقاهرة ط ثانية
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٨٦
(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٨٧
(٤) رواه عبد بن حميد وفي سنده مقال بل ضعيف وعلته الحسن البصري متكلم فيه انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للالباني ج٢ ص٧٣ ط المكتب الاسلامي ورواه ابن الجوزي في الموضوعات عن أمامة مرفوعا بلفظ:(ياتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم واحد تخفق أبوابها كأنها ابواب الموحدين) ج٣ ص٢٦٨ نشر السلفية . ط اولى ١٣٨٦هـ.
(٥) سورة هود : ١٠٧
(٦) انظر التفاصيل في حادي الأرواح ص٢٨٦-٢٩٥ وفي مختصر الصواعق لابن القيم اختصره الشيخ محمد الموصلي ج١ ص ٢٢٥-٢٣٦ .

و من اقوى ادلة القائلين الذين قطعوا بدوام النار ، أن عقائد السلف و اهـــل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان، و أنهما لا تفنيان بل هما دائمتان ، و إنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

ثم عقد ابن القيم فصلا مستقلا فى الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا و عقلا، و أيد القول بفناء النار من خمسة و عشرين وجها، شرعية و عقلية ، و أسند هذا الى بعـــض الصحابة السابق ذكرهم.

وفى نهاية هذا الفصل قال : (وليس فى الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائما لا نهاية لها ، ولا انقطاع أبدا ، فتكون هى والخيرات على حد سواء فهذا نهاية أقدام الفريقين فى هذه المسألة ، ولعلك لا تظفر به فى غير هذ الكتاب، فإن قيل فالى اين انتهت قدمكم فى هذه المسألة العظيمة الشأن ، التى هى اكبر من الدنيا بأضعـــاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تعالى : (ان ربك فعال لما يريد)[1] و إلى هنا انتهى قـــدم امير المؤمنين على بن ابى طالب - رضى الله عنه - فيها حيث ذكر دخول اهل الجنة الجنة ، و أهل النار النار ، و ما يلقاه هؤلاء و هؤلاء ، و قال : ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء ، بل هنا انتهت أقدام الخلائق)[2]

والظاهر من كلام ابن القيم أنه لم يجزم بالقول بفناء النار ، و إنما هو الراجـــح عنده لأنه قواه و أيده بما لم يؤيد به القول بدوامها و رجح هذا صاحب (الجنة والنار والآراء فيهما)[3] لأنه يتفق مع رحمة الله الواسعة و كرمه الشامل و عفوه الفياض و حكمته البالغة. كما يظهر أن ابن القيم حصل له التوقف عملا بقوله تعالى : (إن ربك فعـــال لما يريد) ولقول على بن ابى طالب رضى الله عنه السابق ذكره والله اعلم .

هذا وليس فى وجود كلام ابن القيم نزاع فى هذه المسألة ، و إنما النزاع فى إسناد القول بفناء النار الى شيخ الاسلام ابن تيمية، و انه يتبنى هذ القول ، و إسناد هـــذه المسألة العظيمة أو غيرها صغيرة أو كبيرة الى شخص كابن تيمية لم يقلها و لم يعتقدها ليس بالأمر الهين، و ليس فى كلام ابن القيم ما يصرح بهذا بل كل ما فيه إشارات الى أن شيخ الاسلام حكى بعض هذه الأقوال كما حكاها غيره من اهل السنة والجماعة كشارح الطحاوية[4] فقد حكى ثمانية اقوال عند ذكر الجنة والنار و انهما مخلوقتان لا تفنيان كما هى عقيدة اهل السنة و ذكر أن القول السابع القائل بفناء النار هو أحد قولى أهل السنة، لكن فيه نظر ، و هذا النظر هو الذى حارت فيه فحول أهل العقول كما حكى الحافظ

---

(١) سورة هود : ١٠٧
(٢) انظر حادى الارواح ، ص ٣١٤
(٣) رسالة ماجستير قدمها فيصل عبد الله ص ٢٢٨ وكنت اظن انى اجد فيها ضالتى المنشودة ولكنه لم يتعرض لما نسب الى شيخ الاسلام ولا لرجوع ابن القيم.
(٤) ص : ٤٨٠-٤٨٣-٤٨٥

فى الفتح الأقوال السبعة التى ذكرها ابن القيم و اسندها إلى بعض المتأخرين وأن القول بفناء النار مذهب ردئ مردود على قائله (١).

و حكاية شيخ الاسلام لأقوال الطوائف مشحونة بها كتبه، و لكن للرد عليها لا لتقريرها،

و فى القرآن الكريم الكثير، من حكايات الكفار والمشركين والمجرمين والفاسقين، للتنديد بها و تقبيحها ، و هذا واضح و معلوم لا يحتاج اكثر من هذا، و إنما الذى يحتاج إلى التوضيح هو ما أثاره ابن الوزير - رحمه الله - من أن ابن تيمية ألجأته مسألة القول بدوام عذاب الاشقياء فى النار، الى القول بفنائها، و قد سبق نص كلام ابن الوزير فى هذا المعنى ، فأقول : إنه قد غلب على ظنى أنما نسبه ابن الوزير الى شيخ الاسلام فى هذه المسألة إنما هو اعتماد على كلام ابن القيم أو إنما أخذه من كلامه فى حادى الأرواح الذى سبق أن ذكرت أن ابن الوزير أسنده خطأ لابن تيمية، و معلوم أنه لابن القيم، و عليه فيكون ابن الوزير قد وهم فى هذه المسألة، والكمال لله وحده.

ثم ان كلام ابن القيم ليس فيه دلالة على ما نسبه ابن الوزير الى شيخ الاسلام من القول بفناء النار،

و لهذا فقد ثبت - من خلال البحث - عندى أن شيخ الاسلام لم يقل بهذا، لما سأثبته عنه قريبا ان شاء الله، اللهم إلا أن يوجد كلام له لم أطلع عليه، يصرح أو يتضمن التصريح بفناء النار ، لكن وجود مثل هذا - و يغلب على ظنى عدم وجوده - يتناقض مع ما سياتى من كلام يصرح بنقيض ما أثبته ابن القيم و ابن الوزير رحمهما الله تعالى .

فهل يصدق الناس بهذا و قد استفاض عند كثير من الناس أن ابن تيمية يقول بفناء النار و أنا اشهد و أكرر شهادتى بأن الكثير ممن سألته عن هذه المسألة يجيب بالاستفاضة و هى قديمة مقررة فى الكتب فهذا الجمل يقول : (و قد نقل ابن تيمية القول بفنائها عن ابن عمر و ابن عمرو و ابن مسعود و ابى سعيد و ابن عباس و أنس و الحسن البصرى و حماد بن سلمة وغيرهم.) ثم ذكر الأثر المروى عن عمر : (لو لبث اهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه)

و قال ايضا (و قد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية و هو مذهب متروك.) (٢)

و هذا نص معلق مجهول على "حادى الارواح" لابن القيم قال فى الهامش :
(القول بفناء النار من فظائع ابن تيمية و ابن القيم . . . .) (٣)

---

(١) فتح البارى لابن حجر ج ١١ ص ٤٢١-٤٢٢.
(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجلى الشافعى الشهير بالجمل ، ج ٢ ص ٤٢٥.
(٣) انظر هامش حادى الارواح ص ٣١٥.

اما ابن القيم فكلامه موجود ، و أما ابن تيمية فاين هو؟ بل كلامه يناقض ما استفاض عنه و ادعى عليه ، بل افترى عليه، و مما يدل على استفاضة هذا عن ابن تيمية ما قاله محمد بن عبد الرحمن بن قاسم معلقا على بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية، و هذا نص كلامه: (و هذا مع ما يأتي يكذب ما افتراه عليه اعداؤه من القول بفناء النار)(١) .

و هذا الكلام صادر من خبير ممارس لكلام شيخ الاسلام ، و لكنه غير مقنع لمن يطالب بالحجة ، فهو و إن كان في استطاعتي أو غيري الدفاع عن شيخ الاسلام بأن هذه مجرد دعوى مفتقرة الى الدليل ، و معلوم أنه لا دليل على هذه الدعوى إلا إشارات ابن القيم، بل حكايات، فان قيل إن عقيدة ابن القيم مأخوذة عن شيخه ابن تيمية - وهو أخص تلامذته - فيقال إن ابن القيم نفسه لم يصرح بنسبة هذا الى شيخه بل حكى أنه حكى عن غيره، و لم يجزم ابن القيم بفناء النار، بل توقف في آخر البحث كما سبق بيانه، و مع هذا فابن القيم بشر يخطئ و يصيب، وإذا وجد الأصل بطل الفرع، والقول ما قالت حذام

__فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار__

و قد اطلت في التقديم لكلام ابن تيمية المقتضي لنقيض ما أسند اليه من القول بفناء النار ، والمقتضي أيضا أن المستفيض قد يكون خلاف الواقع وإليك نص كلام ابن تيمية لتكون على علم و اطمئنان اذ ليس الخبر كالعيان، إليك هذا النص عفوا صفوا، فقد تحمل تبعات البحث عنه من سبقت شكواه من طول ما عاناه، و كان هذا النص قد أجاب به شيخ الاسلام و قد سئل عن حديث أنس مرفوعا : (سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء : النار و سكانها ، واللوح ، والقلم ، والكرسي ، والعرش) فهل هذا الحديث صحيح ام لا ؟

فاجاب بما نصه: (هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى الله عليه و سلم و إنما هو من كلام بعض العلماء ،

و قد اتفق سلف الأمة و أئمتها ، و سائر اهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكليه كالجنة والنار ، والعرش و غير ذلك ، و لم يقل بفناء جميع المخلوقات الا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهم بن صفوان، و من وافقه من المعتزلة ، و نحوهم ، و هذا قول باطل يخالف كتاب الله و سنة رسوله ، و إجماع سلف الأمة و ائمتها .)(٢)

---

(١) انظر هامش بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية جـ١ ص ١٥٧
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٨ ص ٣٠٧

و قال ايضا فى كتابه (بيان تلبيس الجهمية. . .)[1] اثناء كلامه على العرش بأنه لم يكن داخلا فيما يقبض و يطوى ، و يبدل و يغير قال : (. . . ثم أخبر ببقاء الجنة والنار بقاء مطلقا) و (الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)[2] .

و هذا النص يدل على أن ابن القيم وهم فى قوله: قال شيخ الاسلام: (و قد نقل هذا عن عمرو . .) أو رجع عنه فانه لا يتفق و نص ابن تيمية المذكور فيه اجماع سلف الأمة و أئمتها فتأمل.

فهل يصح القول بعد هذا أن شيخ الاسلام ابن تيمية يقول بفناء النار؟ و هل يطمع الباحث المتعطش الى الوصول للمعين الصافى ليروى غليله؟ هل يطمع بعد ذلك فى التطلع الى سراب الاستفاضة المفرضة و غير المفرضة؟ و هنا يرد سؤال، و هو ما الذى استقر عليه ابن القيم فى هذه المسألة العظيمة؟

رجوع ابن القيم عن تأييد القول بفناء النار

لا زال يحز فى نفسى كلام ابن القيم -رحمه الله- الذى ذكره فى حادى الارواح، من الميل الى القول بفناء النار، إذ كنت أتأثر به أثناء القراءة، لما له من الأسلوب الجذاب، الجامع بين الادلة النقلية والعقلية، ومع هذا فانه لم يجزم بما يميل اليه، و يقويه بالبراهين ، بل حصل له التوقف فى آخر الأمر ، و هو ما ذهب اليه ابن الوزير فى هذه المسألة ، من أنها من أشبه المتشابه ، مع أنه نهج منهج ابن القيم فى تقوية كلامه ، و له فى هذه المسألة مصنف خاص سماه (الاجادة فى الإرادة) تزيد على ألف و مأتى بيت.

و توقف ابن القيم عند هذه المسألة العظيمة تشم منه رائحة الرجوع عن ذلك ، الأمر الذى حدى بى الى البحث فى كتب ابن القيم و شيخه من جديد ، و قد وقفت بتوفيق الله-تعالى -على الغاية المنشودة ، و هى اتفاق الشيخين، و توحيد القول بعدم فناء النار، كما هو مذهب السلف ، والسبب فى هذا كثرة البحث عما ينسبه ابن الوزير إليهما لأنه متأثر بهما كثيرا ، و إليك الدليل على رجوع ابن القيم حيث قال بعد أن ذكر أن الجنة دار الطيبين ، لا يدخلها إلا طيب قال بعد ذلك:

(و اما النار فانها دار الخبث[3] فى الاقوال والأعمال ، والمآكل والمشارب ،

---

(1) ج١ص١٥٧

(2) سورة الاعراف : ٤٣

(3) الخبث بضمتين جمع خبيث كبريد و برد ، مصباح ج ١ ص ١٧٤

ودار الخبيثين ... فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه الى بعض فيركمه كما يركم الشئ المتراكم، بعضه الى بعض، ثم يجعله فى جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث، ولمّا كان الناس على ثلاث طبقات: طيّب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خُبث وطِيب كانت دورهم ثلاثة، دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهى الدار التى تفنى، وهى دار العصاة فإنه لا يبقى فى جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم(*) أُخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض)[1] .

و (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)[2]

ما يستنتج من كلام الشيخين

يستنتج من كلام ابن القيم، القيم، أن النار قسمان:

قسم يفنى، وهو قسم الجهنميين من أهل الاسلام، بعد أن يستوفوا جزاءهم المقدر لهم، بعدل الله - تعالى - وحكمته، وبشفاعة النبى - عليه الصلاة والسلام - وشفاعة الشافعين باذن الله - عز وجل - كما هو عقيدة اهل السنة والجماعة.

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين الطيب والخبث.

والقسم الآخر هو نار الكفار والمشركين، الخالدين المخلدين، أبداً، كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وهؤلاء هم الخُبث المحض.

وهذا هو الذى يليق بابن القيم، وأمثاله، لاتفاقه وعقيدة السلف وأتباعهم.

اما الأثر المروى عن عمر بن الخطاب، الدال على فناء النار فيحمل على عصاة الموحدين لكنه ضعيف بل موضوع كما سبق بيانه.[3]

---

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم ص ٤٩ تحقيق اسماعيل الانصارى نشر وتوزيع دار الافتاء بالرياض. وانظر زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم جـ ١ ص ٢٧-٢٨ راجعه وقدم له طه عبد الرؤف ط الحلبى ١٣٩٠هـ.

(٢) سورة الاعراف ٤٣.

(٣) بقى هنا سؤال وارد، وهو اى الكلامين من كلام ابن القيم المتأخر ليكون ناسخا للأول أهو ما فى حادى الارواح من تاييد القول بفناء النار ثم التوقف او ما فى الوابل الصيب من الكلام المخالف لذلك الدال على الرجوع الى عقيدة السلف الجواب هذا يحتاج الى بحث مستقل ومن الصعب عندى الجزم بتصنيف احد الكتابين قبل الآخر الا انه يغلب على ظنى ان المتأخر هو الوابل الصيب، ولست ادرى هل تعرض لهذا من بحث فى ابن القيم، أعنى أى الكتابين هو المتأخر؟ أسأل الله جل وعلا ان يعيننى على تحقيق ذلك فى بحث مستقل.

(*) هكذا فى الوابل الصيب، ولعل الصواب جرائمهم، وفى نسخة: أعمالهم

وا ما ابن الوزير، فلم اقف له - فى هذه المسألة - إلا على ما يسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية و اصحابه، و ما سبق ذكره فى موقفه من اصل " الوعد والوعيد" عند المعتزلة والزيدية، المتفرع عنه الكلام فى عذاب الأشقياء هل هو دائم؟ و إجابته بقوله: (من توهمه من المرجوحات الضرورية فى عقول العقلاء، و حكمة الحكماء رجح الخصوص الذى هو قوله تعالى: (إلا ما شاء ربك)[1] على عمومات الوعيد بالخلود، و من ذهب الى أنه من المرجوحات الظنية المستندة الى مجرد الاستبعاد رجح العمومات وعضدها بتقرير أكثر السلف لها، على ما تكرر أنّ ما لم يتأولوه، فتأويله بدعة، ولما كان تأويلهم لذلك فى حق المسلمين متواترا عنهم، و أدلته متواترة عند البعض، صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور، و أحوط الاقوال، والله سبحانه اعلم)[2]. فى القول الاول إشارة الى ماأسنده ابن الوزير الى ابن تيمية من عدم الدوام وبعد تحرير هذا وجدت فى (الإجادة) لابن الوزير كلاما اكثر من هذا ساقتطف بعضا منه فيما بعد ان شاء الله تعالى.

<u>مقارنة بين كلام الشيخين</u>

اذا ما قارنت بين كلام ابن القيم، من تقسيم النار الى قسمين:

احدهما يفنى، و هو قسم العصاة من المسلمين

والقسم الآخر الذى لا يفنى، و هو قسم الكفار، والمشركين، اذا ما قارنت بينه و بين اجابة ابن الوزير الآنفة الذكر، التى تدور على التوهمات العقلية، الضرورية منها، والظنية، والتى تدور أيضا على القاعدة المقررة فى أصول الفقه، عند ايهام التعارض بين العموم، والخصوص فى الكتاب والسنة، فإنك تجد ترجيح الخصوص المقتضى عدم دوام العذاب فى حق الجهنميين من المسلمين المتواتر فى أحاديث الشفاعة، و هذا يتفق مع القسم الاول من كلام ابن القيم.

و تبقى عمومات الوعيد بالخلود فى النار، فى حق الكفار والمشركين، و يتفق هذا مع القسم الثانى من تقسيم ابن القيم، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات. إلا أنك اذا أمعنت النظر، فإنك تجد الأول حرر رأيه الأخير، و قرره، و تجد الثانى حكى و لم يبين رأيه، لكن يفهم منه شئ من الميول الى القول بدوام العذاب لغير المسلمين.

ثم إنه سيأتى أنه حكى فى (الإجادة) ثلاثة أقوال فى المسألة ثم توقف

---

(١) سورة هود: ١٠٧

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير، ص ٢٤٦.

الوهم النادر لا يحط من مكانة العالم

إن وهم ابن الوزير هذا لا ينقص من قدره ، وعلمه ، فقد يقع للثقة ، او للعالم وهم ، او أوهام يسيرة فلا يخرجه عن كونه ثقة أو عالما ، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه ، فالكمال لله وحده .

ورحم الله إمام دار الهجرة اذ يقول : (كل يؤخذ من قوله ، ويرد عليه ، الا صاحب الروضة الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم)(١)

يالها من كلمة خالدة ، مطابقة لسنة الله فى خلقه ، تحمل العزاء الجميل لكل من يعترف بأخطائه البشريه وتقرع ، رأس من لا يخضع لسنة الله تعالى فى خلقه .

كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام : (كل بنى آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون)(٢)

وكذلك وهم ابن القيم فى قوله : قال شيخ الاسلام ، وقد نقل هذا القول عن عمر ... وقد سبقت الاشارة اليه وليس وهم الشيخين ابن القيم وابن الوزير من الغريب على العلماء المحدّثين وغيرهم ،

فقد صنف الامام مسلم ت ٢٦١هـ كتابا عنوانه : (أوهام المحدثين) وعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعى ت ٧٦٩هـ كتابا بعنوان : (الاوهام الواقعة للنووى وابن الرفعة) وغير ذلك .

وبما أن هذه المسألة حار فيها أرباب المعقول والمنقول ، إذ هى اعظم من الدنيا بأضعاف مضاعفة ، فكان ينبغى الاكتفاء بما سبق إذ التعمق فيها يؤدى الى الحيرة - لا سيما النظر فى كلام ابن القيم فى حادى الارواح - غير أنى قد وعدت بذكر مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير لما فيها من الافادة والزيادة على ما سبق ، وأسلوبها علمى ، مشحون بالمعانى ، من نمط القصيدة النونية لابن قيم الجوزيه إلا أن (الاجادة) فيها من الصعوبة ما ليس فى (النونية) وأنا عازم ان شاء الله تعالى

---

(١) كشف الخفا للعجلونى جـ ٢ ص ١٧٣

(٢) سنن ابن ماجه جـ٢ كتاب الزهد ص ١٤٢٠ مسند الدارمى جـ٢ ص ٢١٣ مسند احمد جـ٣ ص ١٩٨ سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ٧ كتاب صفة القيامة ص ٢٠٢ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث على بن مسعدة عن قتادة ، قلت : كل هؤلاء رووه عن طريق على بن مسعدة الباهلى هذا قال ابن حجر : صدوق له اوهام ، وقال ابن معين : صالح ، وقال ابو حاتم : لا باس به . وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقال البخارى : فيه نظر . وقال ابن عدى : احاديثه غير محفوظة . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر جـ٧ ص ٣٢٨ والجرح والتعديل لابن ابى حاتم جـ٦ ص ٢٠٤-٢٠٥ ، وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجى جـ٢ ص ٢٥٦-٢٥٧ وحكى العجلونى فى الكشف جـ٢ ص ١٧٦ - الحكم عليه بانه صحيح وسنده قوى كما حكى ضعفه ايضا .

على شرح (الإجادة) ارجو الله العون والتوفيق . وإليك مقتطفات منها :

مقتطفات من (الاجادة) لابن الوزير

١	تحير أرباب النهى ماالمراد بالـ	ـعصاة من الجن وأولاد آدم
٢	أخيرا أراد الله بالخلق أولا	أم الشر مقصود لا حكم حاكم
٣	فان كان خيرا هل يجوز فواته	على مالك ما شاء بالغيب عالم
٤	وإن كان شرا هل أريدَ لنفسه	أم الخير مقصود به باللوازم (×)
٥	ولما أتى ذكر الخلود بناره	على جوده فى ذكره والجوازم
٦	تعاظم شأنَ الخلدفى النار كلٌّ من	تفكر فى أسماء رب العوالم
٧	فعاد الى التسليم كل محقق	لما قاله فى الذكر رب العوالم
٨	سواء قضى بالخلد بالنار أو قضى	بأن عذاب الأشقياء غير دائم
٩	ولما أتى استثناؤه فى كتابه	من الخلد جهرا فُلّحد التعاظم
١٠	وعاد مجال القول فى ذاك واسعا	وقد كان ضاق الأمر ضِيق الخواتم
١١	فمن قائل بالخلد من اجل كثرة الـ	وعيد به فى المنزّلات القواصم (١)
١٢	ومن قائل إن الخصوص مقدم	وساعده أسماء أحكم حاكم (٢)
١٣	وثالثها المنصور يرجى لمسلم	ومن عاند الاسلام ليس بسالم (٣)
١٤	وفى الجنة استثنى وعقبه بما	يدل على خلد الجنان الدوائم
١٥	على أن وصف الجود لله دائم	ومستلزم قطعا دوام المكارم
١٦	وكيف يدوم الملك والجود والثناء	وينقطع المعروف فى قول عالم؟
١٧	وجاءت أحاديث الصحاح (٤) توافق الـ	ـقول بثنيا الرب (٥) أرحم راحم

---

(١) اشارة الى قول الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم بخلود مرتكب الكبيرة

(٢) اشارة الى ما نسب الى ابن تيمية واتباعه الآتى بيانه

(٣) اشارة الى مذهب السلف بان الخلود فى حق الكفار والمشركين وأما العصاة الموحدون فقد تواترت الأدلة على خروجهم من النار.

(٤) اشارة الى حديث ابى هريرة مرفوعا : (إن رحمتى سبقت غضبى) وفى رواية (غلبت) البخارى ج٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (بل هو قرآن مجيد) ص ٢١٦ ومسلم ج٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله ص ٢١٠٧-٢١٠٨ والى حديث ابى هريرة ايضا مرفوعا : (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد) رواه مسلم ج ٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله تعالى وانها سبقت غضبه ص ٢١٠٧ وما فى معنى هذا من الأحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما ..

(٥) المراد بثنيا الرب هنا : الاستثناء فى قوله تعالى فى حق الأشقياء : (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) هود : ١٠٦-١٠٧ وهذا القول المشار اليه هنا هو المتضمن لما نسب الى شيخ الاسلام ابن تيمية.

(×) راجع ما أشكل من التساؤلات فى هذه الأبيات ص ٢٢٧

١٨- اذا وردت بعد الثواب فانهـــا	لما زاد جودا فى ثواب الأكـارم(١)
١٩- وإن وردت بعد الوعيـــد فانهـا	لعفو وصفح عن عقاب الجـرائم
٢٠- وطول فى الثانى(٢) ابن تيمية فلتقف	على علمه فى كتـــبه والتراجـــم
٢١- وأسنده الى ستة نصّ قولهــــم	أكابر من صحب النـــبى الاكارم
٢٢- فلا تعتقد إن لم يصح كلامهـم(٣)	وبان ضعيفا سا قطـا كفرعــالم

(١) يعنى أن أداة الاستثناء اذا وردت فى القرآن الكريم من الخير فهى زيادة فى الخير لقوله تعالى فى حق السعداء: (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) هود: ١٠٨، وانظر إيثار الحق لابن الوزير، ص: ٣٨٨.

وهنا لطيفة: لماذا استعمل ابن الوزير كلمة (اذا) فى البيت رقم ١٨ وفى البيت رقم ١٩ (إنْ) وكلاهما شرطيتان ؟ لعل الجواب واضح وهو أنّ (إنْ) تفيد الشك من ناحية المعنى اللغوى ولأن ما بعدها هو محل النزاع، أما (إذا) فانها تفيد اليقين المعنوى لأنه لا خلاف فيما ورد بعدها فى حق السعداء.

(٢) المراد بالثانى هنا هو القول المذكور قبل هذا البيت، وهو أن ورود الاستـــثناء بعد الوعيد هو مما استدل به- كما فى نظر ابن الوزير- ابن تيمية وأطال الكلام فيه وهو ما سبق ذكره من القول بعدم دوام العذاب الأخروى للأشقياء وقد سبق تحقيق الكلام فى عدم صحة اسناده اليه.

ثم ان ابن الوزير لم يسند ما اسنده الى شيخ الاسلام -كما ظهر لى من خلال البحث- بقصد التشهير او الاستنكار، وإنما يريد بذلك -والله اعلم- الاستشهاد به عـــلى خصومه المعتزلة القائلين بتخليد مرتكب الكبيرة فى النار من الموحدين، واذا كانت هذه المعركة فى حق الكفار والمشركين فما بالكم فى حق المذنبين من المسلمـــين وهذا فى معرض الجدل مشهور، وابن الوزير نفسه كما ظهر لى من كلامه -متحير فى هذه المسألة والذى حيره هو ما حشده ابن القيم من الادلة العقلية والنقـلية المؤيدة للقول بفناء النار من خمسة وعشرين وجها وابن الوزير يظنها من كـــلام ابن تيمية، ولما له من المكانة العلمية عند المخالف والموافق فى المعقول والمنقـول بصفة عامة وابن الوزير بصفة خاصة تأثر بـــذلك فتجده أحيانا يحكى الاقوال ويستحسن القول بفناء النار فى حق الموحدين، وأحيانا يحكى الاقوال ويقول هذا القول هو المنصور، والأحوط، وهو القول ببقاء عمومات الوعيد فى حق غير أهل القبلة، وأحيانا يستحسن التوقف وهذا يدور حول الوعد والوعيد، فالخلف عند جماعة لا يكون إلا فى عدم الوفاء بالوعد بالخير، وأما الوعيد بالشر فقد حكى ابن الوزير الاجماع على انـــه يسمى عفواء كما قال كعب بن زهير: إنبئت أن رسول الله أوعدنى # والعفو عند رسول الله مأمول وقول بعضهم: وإنى وإن أوعدته أو وعدته # لمخلف إيعادى ومنجز موعدى. ورجح ابن الوزير أن الله لا يخلف الوعيد إلا أن يكون استثنى فيه ولولا الاستثناء فـــى آيات الوعيد لما توقف، انظر الايثار له ص ٣٨٣-٣٨٩ واورد ابن كثير فى تفســيره جـ٢ ص ٢٩ حديث انس مرفوعا بلفظ: (من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن توعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار) وسكت عنه.

(٣) الضمير عائد الى ابن تيمية ومن تابعه أو على الستة المذكورين -فى البيت قبل هذا- من الصحابة رضوان الله عليهم وقد سبق القول بعدم صحة ذلك وتعليله.

٢٣- فما هو إلاّ حسن ظن فإن يجب — فما ينقص الرحمن رجوى المراحم[1]

٢٤- وقول خليل[2] الله ثم ابن مريم[3] — دليل على بطلان لوم اللوائم

٢٥- وقد كاد جل الخلق يكفر ضلة — بذلك لولا فضل أرحم راحم

٢٦- ألم تر ما أدى الكلام اليه من — فريقيه لمّا لجّجوا فى الخضارم

٢٧- فوهّى فريق عِزّاً أقدر قادر — ووهّى فريق قُدسَ أحكم حاكم

٢٨- وذا عذرهم فى ذى الأقاويل إنها — لمنكرة فى قول جل الأكارم

٢٩- كأنهمُ راموا مساعدة النهى — وثلج نفوس بالغيوب هوائم

٣٠- فلم يجدوا إلا التأول مخرجا — لإحدى ثلاث فى العلوم عظائم

٣١- لحكمة رب الخلق أولا قتداره — على اللطف او تخليد اهل الجرائم

٣٢- وأحسن من ذا الوقف[4] فيه لقطعنا — جميعا بحسن الحكم من أحكم حاكم

---

(١) فى هذا دلالة تؤيد قولى الآنف الذكر من ان ابن الوزير لم يسند القول بفناء النار الى ابن تيمية مستنكرا ولو كان كذلك لرد عليه باسلوبه المشهور كما استدرك عليه ، وجها رابعا من وجوه تاويل المتشابه الآتى فى ((موقف ابن الوزير من الابتداع)) ولكنه أراد تقوية هذا القول بكلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لاسيما وأنه يسند الى نفر من الصحابة ، لأن ابن الوزير كثيرا ما يستشهد بكلامهما على تاييد ماذهب اليه فى معارضة خصومه أيا كانوا، ولكنه وهم فى هذه المسألة كما بينته قريبا .

(٢) اشارة الى قول الخليل عليه السلام فى دعائه ربه أن ينجيه وذريته عبادة الأصنام فيما اخبر الله به تعالى : (...واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) ٣٦ من سورة ابراهيم

(٣) اشارة الى قول عيسى -عليه السلام- فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ١١٨ من المائدة ، عدل عن الغفور الرحيم الى العزيز الحكيم ، لأنه قال ذلك على وجه التسليم لأمر الله والانقياد له ، انظر فتح القدير للشوكانى ، جـ٢ ص ٩٥

(٤) الايماء راجع الى كلام اهل الكلام من المعتزلة الذين قدحوا فى قدرة الله عزوجل - على هداية العصاة لأن الله تعالى خلقهم -على حد تعبيرهم- على بنية لا تقبل الهداية ، خابوا وخسروا، فان الذى خلق فيهم الطبع القاسى قادر على تليين تلك القسوة ، بل قادر على أن يخلقهم خلقا آخر ، فهو على كل شئ قدير ، من الذى هدى ابن الخطاب وابن الوليد وغيرهما وقد كانوا من أعتى الخلق ؟ كما أن الاشارة راجعة الى غلاة الأشعرية الذين قدحوا فى حكمة الله تعالى لصعوبة إدراكها ، وقد سبق الكلام عليها فى فصل (الأشعرية وموقف ابن الوزير منها)
ثم إنك ترى أن ابن الوزير استحسن هنا الوقف ، ولعله بما تراه
وقد سبق أن ذكرت لك حيرته ، وموقفه هذا مع موقف ابن القيم فى هذه المسألة فيه دلالة على أنها من محارات العقول ، فكلما تعمق الباحث فيها - لاسيما النظر فى كلام ابن القيم فى حادى الارواح ومختصر الصواعق الذى سبقت الاشارة اليه - كلما تعمق ازداد حيرة ، كالشمس كلما طال النظر اليها كلما ازدادت الظلمة على العيون وربما فقدت حاستها
==

٣٣- وذلك مغن ان سلامة حازم | لدى الخوف أولى من اصابة جازم
٣٤- وأثن ولا تستثن شيئا من الثنا | ودع بدعا أضحت كأضغاث حالم
٣٥- ولا تخش من عجز ولا جهل حكمة | ولا غيظ مظلوم، ولا عسف ظالم
٣٦- ولا أنه فى بره غير قادر | عن يزولا فى عزه غير راحم
٣٧- ولا أنه فى حكمه غير عادل | حكيم لما لم يعلم الخلق عالم[1]

****

كلام جديد فى هذه المسألة العظيمة

بعد تحرير ما سبق بشهور وجدت كتابا للأمير الصنعانى ١٩٨٢هـ بعنوان : (رفع الأستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار) والمراد بهم شيخ الاسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزيه، وهو جواب عن سؤال كما هو ظاهر كلامه، وهذا يؤيد ما قلته من الاستفاضة فى اسناد القول بفناء النار لابن تيمية وما قاله الصنعانى فى مقدمة كتابه هذا، بعد ان أشار الى ما ذكرته من كلام ابن الوزير، من أن هذه المسألة قد أفردت بمصنفات حافلة، منها لابن تيمية ت ٧٢٨هـ، ومنها لتلميذه ابن القيم ت ٧٥١هـ، ومنها للذهبى ت ٧٤٨هـ ومنها لابن الوزير ت ٨٤٠، قال الصنعانى بعد ذلك: (إعلم أن هذه المسألة أشار اليها الامام الرازى ت ٦٠٤هـ أو ٦٠٦هـ فى (مفاتيح الغيب)[2] ولم يتكلم عليها بدليل نفى ولا إثبات، ولا نسبها الى قائل معين، ولكنه استوفى المقال فيها العلامة ابن القيم فى كتابه (حادى الارواح الى ديار الافراح) نقلا عن شيخه العلامة شيخ الاسلام ابى العباس بن تيمية، فإنه حامل لوائها ومشيد بنيانها، وحاشد

= والحاصل أن ابن الوزير وهم فى إسناد ما اسنده الى شيخ الاسلام ابن تيمية من القول بفناء النار، وأن منطوق كلامه يناقض ما اسند اليه، وأن ابن القيم أيد القول بفناء النار تأييدا يحير العقول، إن لم يستطلها، ثم حصل له التوقف، ثم الرجوع عن ذلك، وحرر رأيه الذى استقر عليه، كما أنه وهم فى إسناد ما نقله عن شيخه ابن تيمية، وأن التوقف هو آخر موقف لابن الوزير فى هذه المسألة لأنها من أشبه المتشابهات عنده وهذا منهج من مناهج السلف عند المتشابه الذى لا يظهر معناه والأولى بالسلفى ترك التعمق فى هذه المسألة العظيمة، واتباع عقيدة أسلافه المتمثلة فى كلام مجدد السلفية، شيخ الاسلام ابن تيمية - المفترى عليه أشد الفرية - وفى شرح الطحاوية للعقيدة السلفية، والله الهادى الى سبيل الرشاد، وهو اعلم بالصواب.

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٣ وهم ٢٨ ص ٣٠٣-٣٠٤ وايثار الحق على الخلق له ص ٢١٦-٢١٩ مقتطف من الاجادة فى الارادة وهى تزيد على الف ومأتى بيت ولم اطلع على هذا العدد وانما ذكره ابن الوزير فى المرجعين السابقين.

(٢) المشهور بالتفسير الكبير لمحمد بن عمر المشهور بالفخر الرازى جـ ١٨ ص ٦٤-٦٨ بيروت ١٤٠١هـ

خيل الادلة فيها و رجلها ، و دقها و جلها ، وكثيرها و قليلها ، و أقر كلامه تلميذه ابن القيم ، و قال فى آخرها : إنها مسألة اكبر من الدنيا و ما فيها بأضعاف مضاعفة) .*

وعند المقارنة بين كلام ابن القيم فى (الحادى) و بين كلام الصنعانى هذا تجد أن النصوص التى اقتطفها ، و اسندها الى ابن تيمية و رد عليها غير مسلمة أنها من كلام شيخ الاسلام ، بل تلميذه لم يسندها اليه الا فى مواضع قليله ، على سبيل الحكاية عن أصحابها كما سبق ان ذكرت.

أما كون ابن القيم استوفى الكلام فى المسألة فلا غبار عليه ، وإنما الغبار على قول الصنعانى الآنف الذكر من أن شيخ الاسلام حاشد خيل الأدلة و رجلها فى المسألة لأنه لم يشر الى مصدر فيها لابن تيمية إطلاقا ، وإنما اعتمد على (الحادى) و هو لابن القيم قطعا و هو الذى ينطبق عليه وصف الصنعانى لا شيخ الاسلام ، فهل يعد هذا وهما؟

ولقد كان المحقق الألبانى منصفا لما تتبع فقرات (رفع الأستار) للصنعانى ، فقرة فقرة ، و علق عليها تعليقا علميا دقيقا فحينما يقول الصنعانى مثلا قال شيخ الاسلام ابن تيمية كذا و كذا ، والواقع أنه ليس من كلامه ، ولا أسنده إليه ولا حكاه عنه تلميذه ، علق عليه المحقق بالرد المطابق للواقع ، إلا أنه يستدرك أحيانا ، بأنه لا يبعد أن يكون ابن القيم تلقى الفكرة من شيخه ثم صاغها بأسلوبه الجذاب. ولكن هذا لا يتناسب مع فتوى شيخ الاسلام بعدم فناء النار السابق والآتى ذكره، وحاصل الرد الموجه من الصنعانى أن مستند شيخ الاسلام الآثار المروية عن بعض الصحابة فى فناء النار، منهم عمرو ابن مسعود و أن بعضها ضعيف و بعضها موضوع ، و بعضها ليس فى محل النزاع ، و على فرض صحتها فهو فى حق الموحدين[1] كما سبق أن ذكرت ولله الحمد.

و حملها الحافظ على - فرض صحتها - على الموحدين .

و أما حديث أنس مرفوعا : (ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها و ما فيها من أمة محمد أحد) فقد حكم بوضعه الألبانى، و حديث ابى أمامة مرفوعا ايضا : (يأتى على جهنم يوم ما فيها من بنى آدم احد ، تخفق فيه ابوابها يعنى من الموحدين) فموضوعات كما قرر ذلك الألبانى محقق (رفع الاستار) للصنعانى و سبقه ابن الجوزى الى الحكم بالوضع[2]

---

(١) أثر عمر و أنس رضى الله عنهما اورده الحافظ فى الفتح ج١١ ص ٤٢٢ و اسنده الى تفسير عبد بن حميد من رواية الحسن و قال منقطع. و هو من الضعيف.

(٢) الموضوعات لابن الجوزى ج٣ ص ٢٦٨ و رفع الأستار للصنعانى ص ٢٨ و سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة للالبانى رقم ٦٠٦.

* رفع الأستار للصنعانى ص ٣٦ تحقيق الالبانى ، المكتب الاسلامى ط اولى ١٤٠٥هـ

وحديث أنس معناه صحيح فى أمة الاجابة لا فى أمة الدعوة ، يدل على ذلك الكلمة التفسيرية فى آخر حديث ابى أمامة.وما زال الشك يخالجنى فى إسناد القول بفناء النار الى شيخ الاسلام ابن تيمية،لكن المحقق الألبانى ذكر أنه وقف على ثلاث صفحات فى مخطوطات المكتب الاسلامى جمعها زهير الشاويش نقلها كاتب مجهول بخط لعله - كما ذكر الالبانى - من خطوط القرن الحادى عشر الهجرى من رسالة لابن تيمية فى الرد على من قال بفناء الجنة والنار،وصورتها فى باطن الكتاب المذكور للصنعانى وماحوته يشبه مافى (الحادى)لابن القيم،من ذلك حكاية خلاف السلف والخلف حيث قال : (واما القول بفناء النار ففيها قولان معروفان للسلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عند التابعين ومن بعدهم)(١)

وهذا يدل - إن ثبت أن هذه الصفحات المذكورة من كلام شيخ الاسلام - على ان كثيرا من كلام ابن القيم ، استساغه من أفكار شيخه باسلوبه العذب الجذاب ، بل المحير للعقول ، لكن إسناد هذه الصفحات الثلاث المخطوطات يفتقر الى الشروط المتبعة فى مناهج البحث والتحقيق .

ثم إنى وجدت كلاما لابن القيم فى كتابه (شفاء العليل) يشبه كلامه فى (حادى الارواح) غير أنه أكثر فى (الشفاء) من ذكر الآثار المروية عن الصحابة ، وقلل فيه من الوجوه المؤيدة للقول بفناء النار ، بخلاف (الحادى) فانه ذكر فيه خمسة وعشرين وجها مؤيدة لذلك ، وفى (الشفاء) ذكر اربعة عشر وجها مؤيدة لذلك ايضا .(٢)

وفى النهاية قال : (فهذا ما وصل اليه النظر فى هذه المسألة التى تكع(٣) فيها عقول العقلاء ، وكنت سألت شيخ الاسلام - قدس الله روحه - فقال لى : هذه المسألة عظيمة كبيرة ، ولم يجب فيها بشئ فمضى على ذلك زمن حتى رأيت فى تفسير عبد بن حميد الكشى بعض تلك الآثار التى ذكرت، فأرسلت اليه الكتاب، وهو فى مجلسه الأخير ، وعلّمت على ذلك الموضع،وقلت للرسول : قل له : هذا الموضع يشكل عليه ،ولا يدرى ما هو ، فكتب مصنفه المشهور - رحمة الله عليه - فمن كان عنده فضل علم فليحدثه ، فإن فوق كل ذى علم عليم)(٤)

---

(١) انظر الصفحات المصوره فى باطن رفع الاستار للصنعانى ، ص ٥٣-٥٤-٥٥ .
(٢) شفاء العليل فى مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ٥٣١-٥٥١ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٧٥م .
(٣) تكع بكسر الكاف وضمها قليل أى تجبن وتضعف اهـ قاموس المحيط جـ٣ ص ٧٩
(٤) شفاء العليل لابن القيم، ص ٥٥١-٥٥٢ .

وهذا السؤال يؤيد ما قلته سابقا من أن ابن القيم حار وحير العقول بكلامه، ثم توقف فى المسألة.

كما يؤيد كلام ابن الوزير السابق من أن هذه المسألة قد افردت بمصنفات حافلة منها لابن تيمية، ومنها لتلميذه ابن القيم، ومنها للذهبى، ومنها لابن الوزير.

ولكن إلى وقت كتابة هذه السطور لم تظهر - حسب علمي - سوى مؤلفات ابن القيم فى هذه المسألة وهى غير مستقلة ولكنه استوفى الكلام عليها فى (الحادى) وفى (الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة) و (مختصره)[1] للموصلى اما ما نسبه اليه المحدث الألبانى فى مقدمة (رفع الأستار) للصنعانى من أنه قال: فى (الكافية الشافية):

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون فى حيز العدم

هى العرش والكرسى ونار وجنة وعجب وارواح كذا اللوح والقلم

فذلك وهم، فان الصواب أن هذين البيتين نسبهما شارح (الكافية الشافية) الى السيوطى[2] ٩١١هـ

واما مؤلفات أبى العباس ابن تيمية المعتمدة والمتداولة، والمقرر منها فى الجامعات، فقد ذكرت سابقا - معتقده فى المسألة فكيف يمكن القول بانه يقرر إجماع السلف والخلف على عدم فناء النار، ويصنف ما يناقضه؟

اللهم إلا اذا كان يميل فى أول الأمر إلى القول بفناء النار - فعليه تحمل شهادة تلميذه ابن القيم، فيما يحكيه عنه كما سبق وفيما صرح بأن شيخه شيخ الاسلام صنف فى هذه المسألة مصنفه المشهور لكنه - حسب علمي - لم يصل إلينا، ولو نشر لأقام الدنيا وأقعدها خصومه - ولما تبحر فى العلوم تبين له وجه الصواب فحرره كما سبق أن ذكرته، والرجوع الى الحق فضيلة، والخطأ والنسيان من طبيعة البشر، والعصمة للأنبياء وحدهم.

كما أفتى فى اول حياته العلمية - والله اعلم - بحياة الخضر[3] وفى آخرها افتى بموته[4] والامام الشافعى - رحمه الله - له مذهبان، القديم والجديد وبعض الأئمة رحمهم الله تجد له فى المسألة اكثر من قول، فان قيل إن هناك معارضة بين شهادة ابن القيم على

---

(١) مختصر الصواعق لمحمد الموصلى جـ١ ص ٢٢٥-٢٣٦.

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح العقيدة النونية لأحمد بن ابراهيم بن عيسى جـ١ ص ٩٦ - المكتب الاسلامى، ط ثانية ١٣٩٢.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ٤ ص ٣٣٨

(٤) انظر المصدر نفسه جـ١ ص ٢٤٩- جـ ٧ ص ١٠٠

شيخه و شهادة ابن الوزير و بين ما صرح به شيخ الاسلام فيما ذكرته سابقا ، من القول بعدم الفناء فالجواب لا معارضة لأن شهادة الشيخين مجملة، وكلام شيخ الاسلام مبين والمجمل لا يقوى على معارضة المفصل ، و شهادتهما غير صريحة، وكلام شيخ الاسلام صريح جدا .

بيان ذلك أن شهادة ابن القيم على شيخه لم تبين ما تضمنه المصنَّف المشهور كما يقول - لا القول بدوام النار ولا القول بفنائها .

عود على فتوى ابن تيمية بعدم فناء النار و تأبيدها

والذى ظهر لى ، واطمأنت اليه نفسى هو فتوى شيخ الاسلام بدوام النار المبنى على اجماع السلف والخلف لأمور :

الأول : أن تلميذه ابن القيم بل اخص تلاميذه تبعه فى هذا تلميحا وتصريحا .

اما التلميح فما اشار إليه فى آخر مقدمة كتابه العظيم (زاد المعاد) إذ قال : (ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه ، بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كان كالكلب اذا دخل البحر ثم خرج منه ، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة)[1] .

و اما التصريح فما ذكره فى الوابل الصيب، وقد سبق فى هذا الفصل .

الأمر الثانى : ما ذكره ابن حزم فى كتابه مراتب الاجماع بلفظ : (وان النار حق ، وانها دار عذاب ابدا ، لا تفنى ولا يفنى اهلها أبدا بلا نهاية)[2] و أقره على ذلك شيخ الاسلام فى كتابه (نقد مراتب الاجماع)[3] بخلاف غيرها من المسائل التى تعقبه فيها ، و هذا الاجماع الذى حكاه ابن حزم ، و أقره شيخ الاسلام يتفق مع الاجماع الذى حكاه شيخ الاسلام فى هذه المسألة العظيمة .

الأمر الثالث : أن إمام شيخ الاسلام إمام اهل السنة والجماعة والصابر على المحنة الامام احمد بن حنبل ت ١ ٢٤ هـ رحمه الله تعالى صنف كتابه الجليل (الرد على الزنادقة والجهمية) القائلين بفناء الجنة والنار و قال فى ذكر اهل النار (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)[4] و ذكر ايات كثيرة تدل على خلود اهل النار[5] و ابن تيمية

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم جـ١ ص ٢٨

(٢) مراتب الاجماع لابن حزم ص ١٩٣ دار الآفاق الجديدة بيروت ط اولى ١٩٧٨م

(٣) انظر نقد مراتب الاجماع لابن تيمية مع مراتب الاجماع ، ص ٢٠٣-٢٢٥ .

(٤) سورة فاطر : ٣٤

(٥) الرد على الزنادقة والجهمية للامام احمد بن حنبل ، ص ٤٣ .

كثيرا ما يستشهد بكلام إمامه فى محل النزاع.

الأمر الرابع: أن شيخ الاسلام ابن تيمية قائد الدعوة السلفية، وحامل لوائها ومجددها وقامع البدعة وأهلها فى عصره وتبعه تلميذه بل أخص تلاميذه ابن القيم فى ذلك. ومؤلفاتهما خير شاهد على ذلك، وعقيدة السلف القول بدوام النار، ومن المستحسن إعادة كلام شيخ الاسلام السابق فى هذه المسألة، وقد سئل عن حديث أنس مرفوعا : (سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء : النار وسكانها واللوح والقلم والكرسى والعرش فهل هذا صحيح أم لا ؟ فأجاب بما نصه : (هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من كلام بعض العلماء وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر اهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من اهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها)(1)

فهل يصح القول بعد هذا أن شيخ الاسلام ابن تيمية يقول بفناء النار، وقد قرر الاجماع على دوامها وأنه لم يخالف فى ذلك إلا الجهمية وبعض المعتزلة، وأكد ذلك بأنه قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها وما بعد هذا الا القول بأنه ـ ومعاذ الله من ذلك ـ مخالف للكتاب والسنة والاجماع وما ذا بعد الحق إلا الضلال والله المستعان وهو أعلم بالصواب.

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ١٨ ص ٣٠٧.

الفصل الثالث

النبوات

وفيه النقاط الآتية :

أ ـ تمهيد

ب ـ مؤيدات النبوة

جـ ـ حكم التفريق بين الأنبياء

د ـ لمحة عن معجزات النبى صلى الله عليه وسلّم

هـ ـ نماذج من مؤكدات نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم

*****

تمهيـــــد

إن الايمان بالنبوات ركن من أركان الايمان ، ولا إيمان لمن انكر ركنا منها .

والتكذيب ببعضها يستلزم التكذيب بجميعها كذلك التكذيب ببعض الرسل ، بـــل بواحد منهم يستلزم تكذيب جميعهم كما قال تعالى : (كذبت عاد المرسلين) (كـذبت ثمود المرسلين) (كذبت قوم لوط المرسلين) (كذب اصحاب الأيكة المرسلين)(١)

هذا مع العلم أنهم لم يرسل الى كل من هؤلاء الأقوام إلا رسول واحد ، فالتعبير يوحى بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيبهم جميعا(٢) لأن دعوتهم باعتـــبار التوحيد لم تتغير ، و هذا أوضح من أن تذكر ادلته ، و معرفة الانبياء يترتب عليهـــا هداية البشر و استحقاقهم ثواب الله ، بينما الجهل والكفر بهم حال وجودهم و تكذيب دعوتهم التى امرهم الله بتبليغها، يترتب عليه بقاء البشرية على ضلالها و استحقاقهـــا عذاب الله فى الدنيا والآخرة .

لذلك كان مهما جدا أن نعرف كيف نهتدى الى الانبياء -عليهم السلام -، و بدون معرفة هذا قد يلتبس علينا الأمر ، فنعتبر غير الرسول رسولا ، فنضل و نجهل الرسول لذلك جعل الله -سبحانه- للانبياء علامات يعرفون بها .

و قد سبق بيان بعض تلك العلامات فى دلالة المعجزات .

والكلام فى النبوات من أوضح العلوم لتطابق دلائل المعجزات الواضحات ، و ذلك هو الأحوط . إذ التكذيب بالنبوات من الكفر المعلوم الموجب للعذاب الأكبر و لذلك يقول ابن الوزير :

(و اما الكلام فى النبوات فاعلم أنه من أوضح المعارف ، و قد تطابقت دلائـــل المعجزات الباهرات عليه ، ولا شك مع ذلك أنه الأحوط ، لأن التكذيب بها من الكفـــر المعلوم الموجب للعذاب الاكبر ، و ليس لمنكرى النبوات من الشبه ما يعارض دلائل ثبوتها و لا ما ينتهض لاثارة الشكوك فى هذا المقام البين ، و إنما قدحت البراهمة فى الشرائع بنحو إباحة ذبح البهائم من غير جرائم ، و ذلك جهل فاحش ، فان الله الذى خلقها هو الذى أحلها فى دار الفناء التى كتب فيها الموت على كل حى لحكمة بالغة)(٣) .

---

(١) سورة الشعراء : ١٠٥-١٨٠

(٢) انظر دراسات قرانية لشيخنا محمد قطب ، ص ٩٩ و ما بعدها مجموع فتاوى ابن تيميـة ج ٣ ، ص ٣٦٥

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٦٤ وانظر الفصل مع الملل والنحل لابن حزم ج١ ص ٥٥-٥٦ وانظر قدح البراهمة فى النبوات فى اصول العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد للقاسم الرسى ج١ ص ٢٣٥ ومابعدها والأساس فى عقائد الاكياس ورقة ٢١ للقاسم بن محمد والروض الباسم لابن الوزير ج٢ ص ٣٢٥ والعواصم والقواصم لابن الوزير ج٣ وهم ٢٨ ص ١٨٨-١٨٩

و قد ساوى - سبحانه - بيننا و بينها بالموت وان اختلفت الأسباب، ولا مانع في العقل من ان يغذى الحيوان الشريف بالحيوان الخسيس لما فى ذلك من المصلحة له و دفع الضرر عنه .

وعلى تسليم ان العقل لا يستحسن ذلك فما لك الجميع علام الغيوب الذى لا معقب لحكمه يجوز العقل ان يحكم بحسن ذلك .

والبراهمة انفسهم لا ينكرون تطابق العقلاء على سقى المزارع بالماء و ان مات بسبب ذلك كثير من الذر و نحوها من الحيوانات، وعلى اخراج الدود من البطن بالادوية و ان مات ألوف كثيرة منها بسببعافية انسان واحد من ألم لا يخاف منه الموت، واستعمال المبيدات للحشرات الضارة للانسان و نحو ذلك كثير .

و قد حكى ابن الوزير اجماع اهل العقول على مثل هذا لما فى فطر العقول من ترجيح خير الخيرين و احتمال اهون الشرين عند التعارض كما قيل : حنانيك بعض الشر اهون من بعض.[1]

و من ذلك استحسن العقلاء تحمل المضار العظيمة فى الحروب لدفع ما هو اضر منها و قالت العرب:

بسفك الدماء يا جارتى تحقن الدماء و بالقتل تنجوا كل نفس من القتل[2]

و قد جاء القرآن بذلك فى أوجز عبارة و أفصحها فقال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب)[3] و قد بسط ابن الوزير الكلام فى النبوات و معجزاتها ، والقرائن الدالة على صدق نبوتهم فى كتابه (البرهان القاطع) و قد اقتبست منه مايناسب المقام فى دلالة المعجزات لاثبات الصانع ، ولا داعى لاعادته - و ان كان مناسبا - خوف التطويل والتكرار .

مؤيدات أمر النبوات

إذ انظرت الى المعارضين لأمر النبوة و ضعف معارضتهم تجدهم نوعين :

أولهما : أهل التجاهل المتدينون بدين الآباء والأجداد ، و لو كانوا يعبدون الأحجار

---

(١) هذا من قول طرفة ابن العبد حين أمر النعمان بقتله فقال :
ابامنذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض،
و هو مثل يضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت، كذا فى مجمع الامثال للميدانى جـ١ ص٩٤

(٢) ايثار الحق لابن الوزير ، ص ٦٥

(٣) سورة البقرة : ١٧٩

و نحوها فهؤلاء لا يلتفت إليهم مميز.

ثانيهما: اهل الفلسفة، و هم معترفون بأن خوضهم فى الربوبيات - كما يقول ابن الوزير - بالظن، و أنهم لا يعلمون إلا أحكام المشاهدات والمجربات، و لو لم يقروا بذلك، فالدليل القاطع قائم عليهم باختلافهم و تكاذبهم المتباعد المتفاحش الذى تميز الانبياء بالعصمة منه عن جميع أهل الدعاوى الباطلة والنظر فى هذا نفيس جدا كما قرره ابن الوزير، وعلل ذلك بأن الشئ إنما يزداد شرفا على قدر خساسة ضده و صحة على قدر ضعف معارضه، و اليه الاشارة بقول يوسف عليه السلام - (يا صاحبى السجن أ أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار)(1) و قوله تعالى: (أو من ينشؤ فى الحلية و هو فى الخصام غير مبين)(2) والأمة مجمعة على انقطاع الوحى بعد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أنه لا طريق لأحد من بعده الى معارضة ما جاء به، فمن ادعى ذلك و جوّز تغيير شئ من الشريعة بذلك فكافر بالاجماع كما حكاه ابن الوزير(3).

حكم التفريق بين الأنبياء

اختلف المثبتون للنبوات فى الإيمان بجميع الأنبياء فبعضهم فرق بين رسل الله فآمن ببعضهم و كذب بالبعض الآخر كاليهود والنصارى، و قد نص القرآن الكريم على كفر من فرق بين رسول و رسول كائنا من كان بقوله تعالى: (إن الذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرقوا بين الله و رسله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا و أعتدنا للكافرين عذابا مهينا)(4) و منهم من آمن بجميع الرسل و لم يفرق بين أحد منهم كالمسلمين.

و قد مدحهم الله تعالى بقوله: (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله و ملائكته وكتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله)(5)

فلا شك أن فى إثبات النبوات - على ما قرره ابن الوزير - اصح دليلا و أحوط(6) كذلك عدم التفرقة، و قد سبق أن أشرت إلى ما ذكرته فى دلالة المعجزات ما يدل على صدق الانبياء - عليهم السلام - من المعجزات والقرائن، و من المستحسن الرجوع اليه.

---

(1) سورة يوسف: ٣٩
(2) سورة الزخرف: ١٨
(3) ايثار الحق لابن الوزير ص ٧٢ بتصرف وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج٩ ص ١٥-١٨
(4) سورة النساء: ١٥٠-١٥١
(5) سورة البقرة: ٢٨٥
(6) ايثار الحق لابن الوزير، ص ٧٢: وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج٩ ص ١٥

لكن لا مانع من أن اذكر شيئا قليلا مما يختص بنبينا محمد - صلى الله عليه و سلم -

و قد صُنف في ذلك المصنفات الخاصة كالشفا للقاضي عياض (٥٤٤هـ) و دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) والوفا باحوال المصطفى لابن الجوزي (٥٩٧هـ) والنبوات لابن تيمية (٧٢٨هـ) و غير ذلك والغرض معرفة رأى ابن الوزير، والتطويل في مثل هذا مما لا تدعوا اليه الحاجة، اذ لا منازع من أُهل الاسلام في نبوته ولا شاك ولا مشكك و إنما المراد كما قال ابن الوزير: (إرشاد المختلفين من أُمته الى أُوضح الطرق وأُنصفها و اهداها الى اتباع سنته والسلامة من مخالفته)(١)

لمحة عن معجزات النبي صلى الله عليه و سلم

و قد رأيت أن أعطر البحث بنفحات من مسك معجزاته الباهرة، لعل ذلك يكون حاديا لي و للقارئ، و مساعدا على السير حتى نصل الى الغرض المنشود ان شاء الله، فبذكر الله عز و جل، و رسوله صلى الله عليه و سلم تطمئن القلوب.

فأقول: قد قسم علماء الاسلام - ومنهم ابن الوزير - معجزاته صلى الله عليه و سلم إلى قسمين، حسية و عقلية، كما في (البرهان القاطع في معرفة الصانع له) و في (إيثار الحق على الخلق له)، و قد بسط في الاول و أوجز في الثاني و سنقتطف من ذلك ما يلي: و قد أُزيد في بعض المواضع على ما ذكره ابن الوزير كذكر دليل أُشار اليه و لم يذكره و نحو ذلك.

القسم الأول: المعجزات الحسية:

و قد قسمها ابن الوزير الى ثلاثة أقسام:

١- الأمور الخارجة عن ذاته
٢- الأمور الذاتية
٣- الأمور الصفاتية

القسم الأول: الأشياء الخارجة عن ذاته مثل انشقاق القمر، و تسليم الحجر، و حنين الجذع و نبع الماء من بين أصابعه، و إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، و شهادة الشاة المشوية، و إظلال السحاب قبل مبعثه، و حال ابى جهل و صخرته، و شاة ام معبد حين مسح بيده الشريفة على ضرعها.

و هذه الاشارات تغني عن ذكر الطرق و اسانيدها، و مصادرها لشهرتها.

و قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية من الادلة على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام - حظا وافرا كما ذكر حظا وافرا أيضا من المعجزات الخارقة للعادات، و أُنها متواترة النقل،

---

(١) ايثار الحق لابن الوزير، ص ٧٩.

و ذلك ما يقارب ثلثمأة صفحة فى (الجواب الصحيح)[1]

القسم الثاني : و هى الامور الذاتية كالخاتم بين كتفيه ، وما شوهد من خلقته و صورته التى يحكم بها علم الفراسة بأنها دالة على نبوته .

القسم الثالث : ما يتعلق بصفاته و هى كثيرة نشير الى نماذج منها :

١- لم يسمع منه احد كذبا لا فيما يبلغه عن ربه ، ولا فى الامور الدينية ولا الدنيوية ، ولو صدر عنه شئ من ذلك لا اجتهد اعداؤه فى نشره .

٢- ما فعل قبيحا قط لا قبل النبوة ولا بعدها .

٣- شجاعته اذ لم يفر عن أحد من أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها وان اشتد الأمر وعظم الخوف ، فصموده يوم احد و يوم الاحزاب و يوم حنين لا ينكره أحد ، و هذا يدل على أنه كان قوى القلب بمواعيد الله[2] ، حيث قال تعالى : (والله يعصمك من الناس)[3] .

٤- انه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته كما قال تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)[4] و قال تعالى : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)[5] و قال تعالى : (ولا تحزن عليهم)[6] و قال تعالى : (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)[7] .

٥- انه عليه الصلاة والسلام - كان فى أعظم الدرجات من الكرم والسخاء ، حتى أن الله علمه التوسط فى ذلك حيث قال : (ولا تبسطها كل البسط)[8]

٦- انه ما كان فى قلبه للدنيا وقع ، فقد عرضت عليه قريش أنواع المغريات كالمال والزوجة والرئاسة - كما سبق بيان ذلك - مقابل أن يترك الدعوة الى الله تعالى ، فلم يعبأ بذلك .

٧- انه كان فى غاية الفصاحة كما قال : (أوتيت جوامع الكلم)[9] و فى لفظ : (بعثت)

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٤ ، ص ٦٧-٣٢٢

(٢) انظر الايثار ص ٧٩-٨٠ ، البرهان القاطع لابن الوزير ، ص ١٩

(٣) سورة المائدة : ٦٧

(٤) سورة فاطر : ٨

(٥) سورة الكهف : ٦

(٦) سورة النحل : ١٢٦

(٧) سورة التوبة : ١٢٨

(٨) سورة الاسراء : جزء من آية : ٢٩

(٩) البخارى ، ج ٨ كتاب التعبير باب رؤيا الليل ، ص ٧٢ ، مسلم ج ١ كتاب المساجد ص ٣٧١-٣٧٢

وفى لفظ آخر : (أعطيت) .

٨- انه بقى على منهج واحد - من أول عمره الى آخره - من الصدق والأمانة ، حتى اشتهر قبل النبوة باسم الصادق الأمين . والكذاب المزور لا يمكنه ذلك ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : (قل ما أسئلكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين)(١) .

٩- أنه كان عليه الصلاة والسلام - مع اهل الغنى والثروة فى غاية البعد عن المطامع والترفع عنها ومع الفقراء والمساكين فى غاية القرب منهم والتواضع لهم واللطف بهم .

١٠- أنه كان عليه الصلاة والسلام فى كل واحدة من هذه الأخلاق الكريمة فى الغاية القصوى من الكمال ، ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير واحد من أهل العصمة من الله تعالى ، فكان اجتماع ذلك فى صفاته من أعظم المعجزات.(٢)

******

القسم الثاني : المعجزات العقلية

واما المعجزات العقلية فقد قسمها ابن الوزير الى ستة أقسام ذكرها فى كتابه (البرهان القاطع فى معرفة الصانع) مطولة إذ كان يستطرد لأدنى مناسبة حتى يوهم القارئ انه خرج عن الموضوع ، كما فعل فى النوع الثانى من هذه الأنواع فقد استطرد لذكر السحر والفرق بينه وبين المعجزة بما لا داعى لذكره هنا .

وسنذكر أقسام المعجزات العقلية باختصار كما يلى :

١- أنه صلى الله عليه وسلم - ظهر من بلدة وبين قبيلة خالية - فى ذلك العصر عن العلم والعلماء ، بل تسود غالبيتهم الجهالة ، ولم يتفق له السفر إلا مرتين فى مدة قليلة إلى بلد لم يذهب إليها أحد من العلماء أو الحكماء ، حتى يقال إنه تعلم من حكيمها ، وإذا كان كذلك ، ثم بلغ فى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذى عجز عنه اذكياء العقلاء ، بل عن القرب منه ، بل أقرا لكل بانه لا يمكن أن يزاد فى تقرير اصول الدلائل ، ومهمات المعارف على ما ورد فى القرآن الكريم ، وما احتواه من قصص الأنبياء ، مع أقوامهم ، وغيرهم من المتقدمين ، حتى عجز الأعداء عن ان يخطئوه فى شئ من ذلك ،

بل بلغ كلامه فى البعد عن الريب الى أن قال عند مجادلتهم إياه :(قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)(٣)

---

(١) سورة ص : ٨٦
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير : ٨٠
(٣) سورة آل عمران : ٦١

فحادوا عن ذلك وعرفوا صدقه واجابة دعوته ولم يقدر احد ان يقول انه طالع كتابا أو تتلمذ لأستاذ(١)

وكانت هذه الأحوال معلومة للأصدقاء والأعداء وإليه الاشارة بقوله تعالى : (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون)(٢) وقال تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)(٣) .

وقال تعالى : (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون)(٤)

ويعقب ابن الوزير على هذا بقوله: (وكل من له عقل سليم، وطبع مستقيم علم أن هذه الاحوال لا تتيسر إلا بالتعليم الالهى والهداية الربانية)(٥) .

٢- أنه عليه الصلاة والسلام -كان قبل البعثة غير باحث عن الأمور السابقة، ولا جرى على لسانه حديث النبوة لنفسه، لأنه لو اتفق له خوض فى هذه المطالب لقال الأعداء له: إنك قد أفنيت عمرك فى التدبر والتأمل، وفى جمع القرآن حتى قدرت الآن على إظهار ذلك.

ولما لم يذكر هذا الكلام عن أحد من الأعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفى نبوته، علمنا أنه صلى الله عليه وسلم ما كان ممارسا لشئ من هذه العلوم.

ومعلوم أن من بلغ الاربعين من عمره بدون خوض فى شئ من هذه المطالب، ثم إنه خاض فيها دفعة واحدة، وأتى بكلام عجز الاولون والاخرون عن معارضته، فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون إلا على سبيل الوحى من الله تعالى.(٦)

٣- أنه عليه الصلاة والسلام تحمل فى سبيل تبليغ الدعوة الى الله -عزوجل- أنواع المتاعب والمشاق فلم يتغير عن منهجه ألبتة، ولم يطمع فى مال أحد أو جاهه بل صبر على الأذى، ولم يظهر فى عزمه فتور ولا فى صبره قصور.

---

(١) انظر الايثار لابن الوزير، ص ٨١ والبرهان القاطع له ص ٢١ بتصرف بسيط. وانظر قصة سفره الى الشام السيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٨٠-١٨١، البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٨٤-٢٨٥، سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى جـ١٠ ص ٩٠-٩١، السير والمغازى لابن اسحق جـ ٢ ص ٧٣، فقه السيرة لمحمد الغزالى، ص ٦٨، الخصائص الكبرى للسيوطى، جـ ١ ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢) سورة المؤمنون : ٦٩

(٣) سورة العنكبوت : ٤٨

(٤) سورة يونس : ١٦

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير، ص ٨١

(٦) انظر البرهان القاطع لابن الوزير، ص ٣٠ ايثار الحق على الخلق له، ص ٧٢

ولما قويت شوكته ووجد الاعداء، ووجد العسكر العظيم، والدولة القاهرة القوية، ونفذ أمره في الأموال والأرواح لم يتغير عن منهجه الأول في الزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة،

وكل من أنصف علم أن المزور - وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك - لا يكون كذلك، فان المزور إنما يروج الكذب والباطل على الحق ليجد الدنيا، فاذا وجدها لم يملك نفسه عن الانتفاع بها، لكيلا يكون ساعيا في تضييع مطلوبه، بل تضييع دنياه وآخرته وذلك مالا يفعله أحد من العقلاء.(١)

٤- أنه كان مستجاب الدعوة، وذلك معلوم بالتواتر الضروري لمن عرف سيرته وأخباره وأحواله، بل لمن طالع كتب معجزاته ودلائل نبواته، وذلك ثابت في الكتب الستة بالأسانيد المعروفة ويدل على ذلك كما قال ابن الوزير: (وجوه: احدها ان قريشا لما بالغوا في إيذائه حتى دعا عليهم فقال: (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف)(٢)

فإن الله منع من إنزال المطر عليهم فبطلت زراعتهم وهلكت مواشيهم، واستولى عليهم القحط فجاءوا وشفعوا إليه حتى سأل الله إنزال المطر عليهم، فلما سأل ذلك جاءهم المطر حتى خافوا الغرق فعادوا وسألوه ان يدعو الله تعالى حتى ينزل المطر بقدر الحاجة فقال: (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الجبال وبطون الاودية)(٣)

---

(١) البرهان القاطع لابن الوزير، ٣٠ ، ٣١، ايثار الحق له، ص ٧٢

(٢) رواه البخاري، جـ ٢، كتاب الاستسقاء باب دعاء النبي اجعلها عليهم ص ١٥، مسلم جـ٤ كتاب صفة القيامة باب الدخان، ص ٢١٥٥

(٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها جـ ٢ كتاب الاستسقاء باب اذا استشفعوا بالامام ليستسقي لهم وباب الدعاء اذا كثر المطر حوالينا ولا علينا، ص ١٨-١٩، مسلم جـ ٢ كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء، ص ٦١٢-٦١٤

فاندفع ذلك عنهم. (١)

٥- ورود البشارة به عليه الصلاة والسلام فى التوراة والانجيل بدليل ان ذكره موجود فيهما مصداق ذلك قوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه

---

(١) البرهان القاطع فى معرفة الصانع لابن الوزير، ص ٣١,
هذا ومن الملاحظ انه قد يقال: إن ابن الوزير، قد أدخل قصة وقعت فى مكة بقصة وقعت فى المدينة، لأن المشهور أن دعاء النبى عليه الصلاة والسلام بـ (اللهم حوالينا، ولا علينا) طرف من حديث أنس، ومعلوم أنه لم يخدم النبى صلى الله عليه وسلم - الا فى المدينة وقد صرّح أنس راوى الحديث أن رجلا دخل المسجد، والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر، ومعلوم أن صلاة الجمعة لم تشرع إلا فى المدينة ثم إن أنسا رضى الله عنه - صرح أن ذلك كان فى المدينة بدليل قوله: (وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من ورآئه سحابة مثل الترس...)
ومقتضى كلام ابن الوزير ان ذلك كان بمكة وما ذكره ابن الوزير هو طرف من حديث ابى هريرة مرفوعا بلفظ: (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من الركعة الآخرة* قال: (اللهم انج عياش بن ابى ربيعة، اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج الوليد بن الوليد، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر...) هكذا فى البخارى جـ٢ كتاب الاستسقاء باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اجعلها سنين كسنى يوسف ص ١٥ وقصة عياش وصاحبه وارسال الوليد بن الوليد لخلاصهما من قيد مشركى مكة بتوجيه من النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المدينة كما قرره ابن هشام فى السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٧٦ وعياش هذا هو رفيق عمر بن الخطاب فى الهجرة، ولكن خدعه ابوجهل فرجع من المدينة الى مكة فافتتن وعذب وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه ذكر الدخان (فجاءه ابوسفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم...) كما فى البخارى ايضا جـ ٦ تفسير سورة الدخان، ص ٣٩-٤١ ومسلم واللفظ له جـ ٤ كتاب المنافقين باب الدخان، ص ٢١٥٥-٢١٥٧، فكان ذلك بمكة، اذ لم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر، وعليه فيحمل ان يكون ابو طالب حاضرا، لذلك ذكر البخارى شعره: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
بفتح الضاد من ابيض عطفا على ما قبله، وثمال بكسر الثاء وتخفيف الميم هو العماد والملجاء، وعصمة للأرامل جمع أرملة: الفقيرة التى لا زوج لها اى يمنعهم مما يضرهم كذا فى الفتح ويؤيد ذلك ذكر قريش فى الحديث، وافاد الدمياطى ان ابتداء دعاء النبى عليه الصلاة والسلام على قريش بذلك، كان عقيب وضعهم على ظهره سلاء الجزور بمكة قبل الهجرة، وقد دعا النبى - صلى الله عليه وسلم - عليهم بذلك بعدها فى المدينة فى القنوت، كما سبق فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه.
قال الحافظ بعد كلام طويل حول هذه المسألة: (فان لم يحمل على التعدد وإلا فهو مشكل جدا والله المستعان) وفى المسألة كلام اكثر من هذا فراجعه فى فتح البارى، جـ ٢ ص ٥١١-٦١١
وحينئذ فالاعتراض غير وارد على ابن الوزير لما سبق ذكره من تعدد القصة (والله اعلم)

* هكذا فى نسختين من صحيح البخارى
(ملاحظة) ما اضيف الى فتح البارى هنا ليس من شرح احاديث سورة الدخان بل من شرح احاديث الاستسقاء
(ملاحظة اخرى) هجرة عمر وعياش هى قبل هجرة النبى عليه الصلاة والسلام، وارسال الوليد لخلاص عياش ورفيقه بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم كما فى السيرة النبوية ابن هشام جـ١ ص ٤٧٤-٤٨٠ لأن اهل عياش لحقوه الى المدينة وخدعوه فعاد معهم فوقع فى التعذيب.

مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ...)[1]

و قوله تعالى إخبارا عن عيسى ببشارته بمحمد عليه الصلاة والسلام: (و مبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد)[2]

و معلوم أنه لو كان غير صادق فى ذلك لكان هذا من أعظم المنفرات لأهل الكتاب عنه

ولا يليق بالعاقل ان يقدم على فعل ما يمنعه من مطلوبه، ولا نزاع بين العقلاء أنه كان أوفر الناس عقلا و أحسنهم تدبيرا، و أرجحهم علما.

و قد اخذ الله الميثاق على النبيين من لدن آدم الى عيسى عليهم السلام - لئن بعث محمد لتؤمنن به و لتنصرنه كما رواه على بن ابى طالب و ابن عباس رضى الله عنهم فى تفسير قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه)[3]

و قد ذكر ما رواه على و ابن عباس رضى الله عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية[*]، والاخبار بارسال محمد - صلى الله عليه و سلم - من الأحبار اكثر من ان تحصر، و قد اخبر الله عن ذلك بقوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)[4] اى يعرفون رسالة محمد عليه الصلاة والسلام - و ماجاء به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الاخبار عن المرسلين المتقدمين فان الرسل كلهم بشروا ببعثة محمد صلى الله عليه و سلم و صفته و بلده و مهاجره و صفة أمته.[5]

كما اخبرت بذلك السنة النبوية الصحيحة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما (... والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و حرزا للأميين أنت عبدى و رسولى سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو و يصفح[6] - وفى رواية (و يغفر) ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله[7] فيفتح بها أعينا عميا و آذانا صما و قلوبا غلفا)[8]

---

(١) سورة الاعراف: ١٥٧

(٢) سورة الصف، جزء من آية: ٦

(٣) سورة آل عمران: ٨١ وانظر تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٥٦ (*) انظر الرد على المنطقيين لابن تيمية، ص ٤٥١

(٤) سورة الانعام: ٢٠

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٢٤٠

(٦) فى رواية و يغفر بدل يصفح.

(٧) فى رواية و يفتح بالواو بدل الفاء و كلاهما فى الصحيح.

(٨) البخارى ج ٣ كتاب البيوع باب كراهية السخب فى السوق، ص ٢١ ج ٦ تفسير سورة الفتح، ص ٤٥ وانظر ايثار الحق على الخلق، ص ٦٩-٨٣-٨٤

٦- اخباره صلى الله عليه و سلم -عن المغيبات الماضية والمستقبلة ، و هذا واسع جدا ، و معلوم بالتواتر الضرورى لدى أهل المعرفة بالأخبار.

و قد ذكر ابن الوزير شيئا من ذلك فى كتابه (البرهان القاطع)[1] و أشار اليه فى كتابه (إيثار الحق على الخلق)[2] وسنذكر من ذلك ما يلى :

أ- المغيبات الماضية :

قد أخبرعنها -صلى الله عليه و سلم -من غير قراءة ولا استفادة من أحد ، وفى القرآن الكريم منه الكثير الطيب كقصص الأنبياء مع أقوامهم وغيرهم من الامم الماضية كأصحاب الأخدود ، و أصحاب الجنة ، و قصة سبأ و غير ذلك.

ب - المغيبات المستقبلة ، و هى على قسمين :

القسم الاول : ما ورد فى القرآن الكريم و هو كثير جدا من ذلك قوله تعالى : (سيهزم الجمع و يولون الدبر)[3] . والسين هنا للاستقبال ، والسورة مكية و قد حصل ذلك يوم بدر ، و قوله تعالى : (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم)[4] و قد كانت لهم النفير ، و قوله تعالى : (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد)[5] و هم بنو حنيفة على قول بعضهم ، و قد دعا إلى قتالهم ابوبكر ، وعند آخرين هم فارس و قد دعا لقتالهم عمر، و قوله تعالى : (الم ، غلبت الروم ، فى أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون)[6] و كان كما أخبر.

و قوله تعالى : (ليظهره على الدين كله)[7] و قد اظهره، أى الدين الذى أرسل به محمد صلى الله عليه و سلم - و قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)[8] والمراد منه الصحابه بدليل قوله (منكم) و بدليل قوله (و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) كذا ذكره ابن الوزير[9] و لكن بشرط: (يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) .

---

(١) ص : ٣٢
(٢) ص : ٨٤
(٣) سورة القمر : ٤٥
(٤) سورة الانفال : ٧
(٥) سورة الفتح : جزء من آية : ١٦
(٦) سورة الروم : ٢
(٧) سورة الفتح : جزء من آية : ٢٨
(٨) سورة النور : ٥٥
(٩) البرهان القاطع لابن الوزير ، ص: ٣٣

فقد كان النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ و اصحابه بمكة ما يقارب ثلاثة عشر عاما يدعون إلى عبادة الله وحده والمستضعفون يعانون أنواع التعذيب من رؤساء الكفر والشرك.

و قد أنجز الله هذا الوعد المترتب على الوفاء بالشرط، و مكن النبى صلى الله عليه و سلم ـ والخلفاء الراشدين من بعده فى الارض، و بدلهم بعد الخوف أمنا بعد أن كانوا يمسون و يصبحون فى السلاح، فلما اظهر الله النبى عليه الصلاة والسلام على جزيرة العرب و سائر الفتوحات أمنوا و وضعوا السلاح بعد أن دخلوا فارس والروم.

و هكذا أمن المسلمون إلى عهد الخليفة الثالث و وقعوا فيما وقعوا فيه، فأدخل الله عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة والشُّرَط و غيروا فغير بهم. (١)

القسم الثانى ما ورد من السنة على سبيل المثال:

أ ـ قوله صلى الله عليه و سلم لعدى بن حاتم (لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز ... قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، و كنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز(٢)

ب ـ قوله صلى الله عليه و سلم (اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، و اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده)(٣)

جـ ـ حديث جابر مرفوعا: (لتفتحن عصابة من المسلمين او المؤمنين كنز كسرى الذى فى الأبيض)(٤) و قد تم هذا فى عهد عمر رضى الله عنه.

د ـ حديث ثوبان مرفوعا: (إن الله تعالى زوى لى الارض فرأيت مشارقها و مغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها) (٥) و قد كان هذا فى عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم.

---

(١) انظر البرهان القاطع لابن الوزير ص ٣٣ و تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٨٦-٨٧ و فى ظلال القرآن لسيد قطب، جـ ١٨ ص ٢٥٢٩

(٢) البخارى جـ ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوة ص ١٧٥-١٧٦ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى تفسير سورة الفاتحة جـ ٨ ص ٢٨٩ مسند احمد جـ ٤ ص ٢٥٧

(٣) البخارى جـ ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوة ص ٢٨٢، مسلم جـ ٤ كتاب الفتن ص ٢٢٣٦-٢٢٣٧

(٤) مسلم جـ ٤ كتاب الفتن ص ٢٢٣٧

(٥) مسلم جـ ٤ كتاب الفتن باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض ص ٢٢١٥

هـ - قوله عليه الصلاة والسلام (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة و يدعونه الى النار)[1] فقتل مع على رضى الله عنه فى صفين قتله اصحاب معاوية رضى الله عنه وعن الصحابة اجمعين .

قال ابن الوزير : (و هذا يدل على توحيد الله تعالى و نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم و خلافة على عليه السلام .)[2]

و - قوله صلى الله عليه و سلم يوم خيبر (لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله و رسوله ، و يحبه الله و رسوله) [3] فاعطاها على بن ابى طالب كرم الله وجهه ففتح حصن خيبر ، و أمثال ذلك كثير و معروف لدى أهل هذا الشان [4].

نماذج من المؤكدات لنبوة محمد صلى الله عليه و سلم

المؤكدات كثيرة منها ما يلى :

١- الرجوع الى درس نشأته و حياته منذ مولده الشريف الى ان اختاره الله -عزو جل - رحمة للعالمين .

٢- حقيقة دعوته التى جاء بها من توحيد و بعث و جزاء و و مع الايمان بجميع رسل الله قبله ، و ما بين دعوتهم من الروابط القوية ، و امتيازها بعالميتها و شمولها للمصالح الدنيوية والأخروية .

٣- مناوأة الكفار لدعوته لا سيما الاشراف ، كما هى طبيعة الدعوات السابقة مع المرسلين و أقوامهم[5] فذاك نوح عليه السلام حين دعا قومه الى عبادة الله وحده (قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين) و هذه مقالة قوم هود : (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة و إنا لنظنك من الكاذبين) و هذه مقالة قوم صالح : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون)

(١) البخارى جـ١ كتاب الصلاة باب التعاون فى بناء المسجد ، ص ١١٥ واللفظ له و فى النسخة التركية سقط قوله (تقتله الفئة الباغية)، مسلم جـ ٤ كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى ... ص ٢٢٣٥-٢٢٣٦ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى جـ ١٠ مناقب عمار ص ٣٠١

(٢) البرهان القاطع فى اثبات الصانع لابن الوزير ، ص ٣٤

(٣) البخارى جـ ٤ فضائل الصحابة باب مناقب على ص ٢٠٧ مسلم جـ ٤ فضائل على ص ١٨٧٠-١٨٧٢

(٤) انظر البرهان القاطع ، ص ٣٣-٣٤-٣٥

(٥) انظر التفاصيل فى الرسالة المحمدية لمحمود فايد دار الطباعة المحمدية بالأزهر ط اولى ١٣٨٩هـ

و هذه مقالة قوم شعيب عليه السلام- (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا)[1] و امثال ذلك كثير.

و هكذا تردد نفس الكلمة من الأشراف حتى وصل الدور إلى خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام فقالت أشراف قريش بل أشراف الشرك والوثنية : (أجعل الآلهة إلٰها واحدا إن هذا لشئ عجاب)[2] وغير ذلك من الآيات الدالة على افترائهم و تعنتهم.

٤- بعض شهادة الكتب السماوية السابقة

جاء في سفر التثنية ما نصه: (جاء الرب من سيناء[3] و أشرق لهم من ساعير[4]، و تلألأ من جبال فاران[5]، و أتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم[6].

كذلك جاءت البشارة بنبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- في إنجيل يوحنا ما نصه: (و متى جاء المعزى الذى سأرسله إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى، و تشهدون أنتم ايضا لأنكم معى من الابتداء.[7]

و فيه أيضا: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياى، و أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزّيا آخر ليمكث معكم الى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، و أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم و يكون فيكم)[8]

و قد أورد ابن القيم هذا النص بعدة ألفاظ، و فى بعضها الفارقليط[9] بدل المعزى.

و فى متّى ما نصه: (... لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم، و يعطى لأمة تأكل أثماره)[10]

---

(١) سورة الاعراف الآيات ٦٠-٦٦-٧٤-٧٥-٨٨

(٢) سورة ص : ٤-٥

(٣) سيناء هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٤٥

(٤) ساعير قرية معروفة فى القدس، و قيل اسم لجبل فى القدس هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٣ مؤسسة مكة للطباعة.

(٥) هى مكة كما فى المرجع نفسه.

(٦) سفر التثنيه ضمن الكتاب المقدس ص ٢٧٥-إ صحاح ٣٣ و انظر هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٣

(٧) انجيل يوحنا ص ١٤٦ - إ صحاح ١٥ فقرة ٧٢

(٨) المصدر نفسه ص ١٤٤- إ صحاح ١٤ فقرة ١٥-١٧-١٨.

(٩) الفارقليط بلغتهم من ألفاظ الحمد إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد اهـ هداية الحيارى لابن القيم، ص ٥٥

(١٠) انجيل متى ص ٣١-إ صحاح ٢١-فقرة ٤٤

كما جاء فى سفر التثنية أيضا ما نصه: (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ،وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به و يكون الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبى)[1]

فاليهود تحمل هذه البشارة على يوشع ، و تحملها النصارى على المسيح ، والصحيح انها تبشر بمحمد صلى الله عليه و سلم .[2]

ـ انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ـ طعن فى الرب سبحانه.

إن من أنكر رسالة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ التى هى الرسالة الخاتمة العامة فقد طعن فى الرب تبارك و تعالى ، ونسب إليه الظلم والسفه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

بيان ذلك: أنه إذا كان محمد عندهم ليس بنبى صادق ، بل ملك ظالم ، فقد تهيأ له أن يفترى على الله و يتقول عليه ، و يستمر حتى يحلل و يحرم و يفرض الفرائض و يشرع الشرائع ، و ينسخ الملل ، و يضرب الرقاب ، و يقتل أتباع الرسل ، و هم أهل الحق و يسبى نساءهم و يغنم أموالهم و ذراريهم ، و ديارهم ، و يتم له ذلك حتى يفتح الارض ، و ينسب ذلك كله الى أمر الله له به ، و محبته له ، والرب تبارك و تعالى يشاهده و هو يفعل بأهل الحق ، مستمرا فى الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة.

و هو مع ذلك كله يؤيده و ينصره و يعلى أمره ، و يمكّن له من أسباب النصر الخارجة عن العاده البشرية و طاقتها .

و أبلغ من ذلك أنه يجيب دعوته ، و يهلك أعداءه ، و يرفع له ذكره.

هذا و هو عندهم فى غاية الكذب والافتراء والظلم ، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله ، و أبطل شرائع أنبيائه و بدلها ، و قتل اولياءه واستمرت نصرته عليهم دائما ، والله تعالى يقره على ذلك ، ولا يأخذ منه باليمين ، ولا يقطع منه الوتين .

فيلزمهم أن يقولوا لا صانع للعالم ولا مدبر ، ولو كان له مدبر قدير حكيم لأخذ على يديه ، ولقابله أعظم مقابلة ، و جعله نكالا للصالحين إذ لا يليق بالملوك غير ذلك ، فكيف بملك الملوك و أحكم الحاكمين (ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)[3]

---

(١) سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس ص٢٧٣-١، صحاح ١٨-٢٠

(٢) انظر التفاصيل فى هداية الحيارى لابن القيم ص ٥١-٦٤ ، الرسالة المحمدية لمحمود عبد الوهاب فايد ص ١١٦-١١٧

(٣) سورة الحاقة : ٤٤-٤٥-٤٦

ألا ترى أنه يخبر أن كماله و حكمته و قدرته تأبى أن يقر من تقول عليه بعض الأقاويل- فضلا عمن فعل هذه الأفاعيل - لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنة الله تعالى فيمن يخالف أوامره و نواهيه.

ولا ريب أن الله قد رفع لمحمد - صلى الله عليه و سلم - ذكره و أظهر دعوته والشهادة له بالنبوة على رؤس الأشهاد فى سائر البلاد و نحن لا ننكر أن كثيرا من الكذابين قام فى الوجود ، و ظهرت له شوكة ، و لكن لم يتم له أمره ، ولم تطل مدته ، بل سلط الله عليه رسله و أتباعهم فاستأصلوه كما قضت بذلك سنة الله تعالى . والله اعلم.(١)

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ١٦٥-١٦٧ تفسر ابن جرير ج ٢٩ ص ٦٦ تفسير ابن كثير ج٨ ص ٢٤٥ و زاد المعاد لابن القيم ج٣ ص ٤٩-٥٠ وانظر التفاصيل فى الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم ص ١٦٥-١٦٦

الفصل الرابـــع

المعـــارك الكلا ميـــة فى الدفـــاع عن اصحـــاب العقيدة السلفيـــة و ذم الا ســـاليب الكلاميـــة .

وفيه المسائل الآ تيـــة :

أ - تمهيد مع ذكر اسباب تـلـك المعـــار ك

ب - المسألة الا ولى اتهـــام الا مـــام احمـــد بالتشبيـــه

جـ - المسألة الثانية الكلام فى رؤية الله تعالى فى الآ خـــرة و دفـــاع ابن الوزير عن الا مام الشافعى و تاييد ه اثبات الرؤيـــة .

د - المسألة الثالثة و صم أئمة الحد يث بالبله والجمود لعدم تأويلهـــم آيات الصفات و ا حاد يثها و دفاع ابن الوزير عنهم و فيه العجب العجاب .

***

قد وقعت بين ابن الوزير و خصومه معارك كلامية طويلة و قد حواها كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم - صلى الله عليه و سلم) - و مختصره (الروض الباسم).

و لما تطلع على تلك المعارك الكلامية تجد أن ابن الوزير حارب الخصوم بأسلحتهم التي يجيدون استخدامها ، و قد كانوا هم دربوه عليها فكان يصاولهم و يجادلهم و يجاوبهم فيقهرهم بالحجة.

و قد بحثت عن نصوص خصماء او خصم ابن الوزير فلم أعثر على شئ من ذلك ، و ساكتفى بما يذكره ابن الوزير في ذلك ، لعدالته و إمامته ، و لشهادة الامام الشوكاني من أن ابن الوزير لما بلغ درجة الاجتهاد ، و رفض التقليد ، و تبحر في المعارف قام عليه شيخه من جملة القائمين عليه ، و ترسل(١) عليه برسالة تدل على مزيد تعصبه و عدم إنصافه - سامحه الله - و أجاب السيد بالعواصم والقواصم الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في الديار اليمنية مثله (٢).

و قد امتحن ابن الوزير كما قال الشوكاني : (من أهل عصره فان له معهم قلاقل و زلازل ، و كانوا يثورون عليه ثورة بعد ثورة و ينظمون في الاعتراض عليه القصائد ، و أفضى ذلك الى أن اعترض عليه شيخه ...) (٣)

و هو شيخه في التفسير و أصول الفقه السيد علي بن محمد بن أبي القاسم المتوفى ٨٣٧هـ و في شهادة الشوكاني كفاية ، و ناهيك بها من شهادة إمام لامام ، و بنحو هذه الشهادة شهد محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير في ترجمته لشيخه ابن الوزير ، و كذلك شهادة ابن أبي الرجال في مطلع البدور و فيها : (و كان من حي السيد جمال الدين طرف من الحيف ...) (٤)

أسباب تلك المعارك الكلامية :

سبق أن ذكرت كلام الشوكاني من أن ابن الوزير لما بلغ درجة الاجتهاد و رفض التقليد و تبحر في المعارف قام عليه شيخه وهذا أحد الأسباب الواضحة في المعارك الكلامية.

أما ابن الوزير فانه يصف أسباب المعارك الكلامية بقوله : (... و إني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقه ، و سلكت سنن الطريقة العتيقة تناولتني الألسن البذيئة ، من أعداء

---

(١) ألقى الكلام تهاونا ا هـ قاموس جـ ٣ ص ٣٨٤
(٢) البدر الطالع للشوكاني جـ ١ ص ٤٨٥
(٣) البدر الطالع جـ ٢ ص ٩١ وانظر مطلع البدور و مجمع البحور لابن ابي الرجال خ صنعاء ترجمة ابن الوزير رقمها ٣٦٧ ، و تاريخ بني الوزير ترجمة ابن الوزير.
(٤) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ ترجمة ابن الوزير ورقة ١٨٧ و مطلع البدور خ لأحمد بن ابي الرجال جـ ٤ ص ٢٧٣

السنة النبوية ، و نسبوني الى دعوى فى العلم كبيره ، و امور غير ذلك كثيرة ، حرصا على ألا يتبع ما دعوت اليه من العمل بسنة سيد المرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والسلف الصالحين فاعتذرتهم فما عذروا ، بل لاموا وعذلوا ، و جاروا وما عدلوا فصبرت على الأذى ، وعلمت ان الناس ما زالوا هكذا

ما سلم الله من بريته ولا نبى الهدى فكيف أنا (١)

ولا منافاة بين الوصفين لإمكان وقوعهما جميعا .

قال الشوكانى : (وما أحسن قوله فى معاتبة شيخه المتقدم ذكره :

عرفت قدرى ثم أنكرته فما عدا بالله مما بدا (٢)

وكل يوم لك بى موقف اسرفت فى القول بسوء البدا

أمس الثناء واليوم سوء الاذى يا ليت شعرى كيف نضحى غدا

يا شيبة العترة فى وقته و منصب التعليم و الاهتداء

قد خلع العلم رداء الهدى عليك والشيب رداء الردى

فصن ردائيك و طهرهما عن دنس الاسراف والاعتداء (٣)

و بما ان هذا الفصل كله من المعارك الكلامية التى دارت بين ابن الوزير و خصومه فالمناسب - حسب نظرى - نقل كلام ابن الوزير بل مقتطفات منه ليعلم أسلوبه و مدى نجاحه

و إذا كان الأمر كذلك فإليك وصفه للرسالة التى ترسل بها شيخه المتقدم ذكره، و ذلك بعد أن كثر الكلام و طال قال : (جاءتنى رسالة محبرة ، و اعتراضات محرره ، مشتملة على الزواجر والعظات ، والتنبيه بالكلم الموقظات ، زعم صاحبها أنه من الناصحين المحبين ، و أنه أدى بها ما عليه لى من حق الأقربين ، و أهلا بمن أبدى النصيحة ، فقد جاء الترغيب الى ذلك فى الأحاديث الصحيحة ، و ليس بضائر ان شاء الله ما يعرض فى ذلك من الجدال مهما وزن بميزان الاعتدال ، لأنه حينئذ يدخل فى السنن و يتناوله أمر (و جادلهم بالتى هى أحسن) (٤)

و قد اجاد من قال و أحسن :

و جدال أهل العلم ليس بضائر ما بين غالبهم الى المغلوب

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج١ ورقة ١٠ ، الروض الباسم له ج ١ ص ٩

(٢) اى ما منعك مما ظهر لك اولا : قاله على ابن ابى طالب للزبير بن العوام رضى الله عنهما يوم الجمل ، يريد مالذى صرفك عما كنت عليه من البيعة ، و هذا متصل بقوله : عرفتنى بالحجاز و انكرتنى بالعراق فما عدى مما بدا ، اهـ مجمع الامثال للميدانى ج ٢ ص ٢٩٦

(٣) البدر الطالع ، ج ٢ ص ٩٢-٩٣ مطلع البدور و مجمع البحور لابن ابى الرجال خ صنعاء ج ٤ ص ٢٧٤

(٤) سورة النحل : ١٢٥

و يستمر ابن الوزير فى نعت الرسالة المذكورة بأنها تتنافى مع النصائح الهادفة الى العدل والانصاف وأن صاحبها ليس من الناصحين المحبين المخلصين لما تحطه من المرح والاختيال فيقول : (بيد أنها لم تضع تاج المرح والاختيال ، و تستعمل ميزان العدل فى الاستدلال ، بل خلطت من سيما المختالين بشوب ، و مالت من التعنت فى الحجاج الى صوب ، فجاءت تمشى الخطراء و تميس[1] فى محافل الخطراء ، مفضوضة لم تختم ، مشهورة لم تكتم ، متبرجة قد كشفت حجابها ، و طرحت نقابها و طافت على الأكابر و طاشت إلى الأصاغر ، و ترقت الى الإمامة و محل الزعامة ، حتى مضّت[2] أيدى الابتذال نضارتها و افتضت أفكار الرجال بكارتها ، و أُخْير[3] النصائح الخفى ، و خير الكتاب المختوم و خير العتاب المكتوم)[4] .

و بعد أن قطعت الرسالة المذكورة هذه المراحل التى وصفها بها ابن الوزير وصلت إليه .

ولما تأملها وجدها مشتملة على القدح تارة فيما نقل عنه من الكلام ، و تارة فى قواعد علماء الاسلام ، و تارة فى سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وعندها قرر ما يلى :

الاعراض عما يخصه شخصيا لأنه غير جدير بصرف العناية اليه ، ولا يستحق الجواب عليه

أما ما يختص بالسنن النبوية والقواعد الاسلامية مثل قدح المعترض فى صحة الرجوع الى الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية والآثار الصحابية ، و نحو ذلك من القواعد الأصولية فإن القدح فيها ليس أمرا هينا ، والذب عنها لازم متعين .

و لما لم يجد ابن الوزير من يتصدى للجواب رأى أن هذا يحتم عليه الرد على ذلك القول القبيح ابتغاء وجه الله فقال : (و قد قصدت وجه الله تعالى فى الذب عن السنن النبوية ، والقواعد الدينية ، و ليس يضرنى وقوف أهل المعرفة على ما لى من التقصير ، و معرفتهم أن باعى فى هذا الميدان قصير ، لاعترافى بأنى لست من نقاد هذا الشان ، ولا من فرسان هذا الميدان ، لكنى لم أجد من الأصحاب من يتصدى لجواب هذه الرسالة . . . فتصديت لذلك من غير احسان ولا اعجاب ، و من عدم الماء تيمم بالتراب - فلن يخلو كلامى من الخطاء عند الانتقاد ، ولا يصفوا جوابى من الكدر عند النقاد ، فالكلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلام الله الحكيم ، و كلام من شهد بعصمته

---

(١) تبختر ا هـ قاموس جـ ٢ ص ٢٥٣ - الصحاح للجوهرى ، جـ ٣ ص ٩٨٠

(٢) حكت ا هـ قاموس جـ ٢ ص ٣٤٤

(٣) هذه لغة بنى عامر و كذلك أشرمنه ، و سائر العرب تسقط الألف منهما ا هـ مصباح للفيومى جـ ١ ص ١٩٩

(٤) العواصم والقواصم/ لابن الوزير جـ ١ ورقة ١٠ ، الروض الباسم له جـ ١ ص ٩

القرآن الكريم ، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب ، وقشر ولباب ، ولو أن العلماء -رضى الله عنهم- تركوا الذب عن الحق خوفا من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيرا وخافوا حقيرا ، وأكثر ما يخاف الخائف فى ذلك أن يكل حسامه فى معترك المناظرة وينبو[1] ويعثر جواده فى مجال المحاجة ويكبو .

فالأمر فى ذلك قريب ، إن اخطأ فمن الذى عصم ، وإن خطئ فمن الذى ما وصم والقاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن ينقد عليه خلل فى كلامه ، ولا يهاب أن يدل على بطلان قوله ، بل يحب الحق من حيث أتاه ، ويقبل الهدى ممن أهداه ، بل المخاشنة بالحق والنصيحة أحب اليه من المداهنة على الأقوال القبيحة ، وصديقك من صدقك لا من صدّقك[2] .

ويصف ابن الوزير الظروف المحيطة به -حين كتابة هذا الجواب- التى لا تساعده على الغرض المنشود ، فيقول :(ولما أنشأت هذا الجواب فى هذه الجبال العالية ، والبوادى الخالية قصر باعى ، وضاقت رباعى[3] ، فتمصصت[4] من بلل ما عندى برضا[5] وما أكفى ذلك وأرضى ، اذا كان طيبا محضا .

فحينا بطود تمطر السحب دونه ** اشم منيف بالغمام مؤزر[6]

ابن الوزير مع خصمه المعتزلى بصدد علم الكلام

إعلم أن نصوص خصم ابن الوزير فى الرسالة التى سبق أن وصفها الشوكانى بأنها تدل على عدم انصافه ومزيد تعصبه ، وهى التى ترسل بها على ابن الوزير لم أعثر على شئ منها ، وسأكتفى بما يذكره ابن الوزير لعدالته وامامته ، ولشهادة الشوكانى الآنفة الذكر وغيره وقد دارت المعارك الكلامية بين ابن الوزير وخصومه فى عدّة قضايا ومسائل حواها كتاب(العواصم والقواصم)و مختصره(الروض الباسم) بعضها يتعلق بالحديث وعلومه وبعضها يتعلق بأصول الفقه وفروعه كمسألة الاجتهاد والتقليد والتأمين ووضع اليدين

---

(١) نبأت على القوم أنبأ نبأ ونبوءا اذا طلعت عليهم والنابى المرتفع اهـ الصحاح ج ١ ص ٧٤ قاموس ج ١ ص ٢٩

(٢) الروض الباسم/ ج ١ ص ١١ - العواصم والقواصم/ لابن الوزير له ج ١ ورقة ١١

(٣) الرباع بكسر الراء جمع الربع وهى الدار بعينها حيث كانت وتجمع على ربوع ايضا وارباع واربع والربع المحلة اهـ الصحاح للجوهرى ج ٣ ص ١٢١١

(٤) من التمصص وهو المص فى مهلة اهـ صحاح ج ٣ ص ١٠٥٦

(٥) البرض بسكون الراء القليل يقال ماء برض اى قليل وبرض الماء من العين برضا اى خرج وهو قليل اهـ الصحاح ج ٣ ص ١٠٦٦

(٦) من أبيات قالها ابن الوزير فى العزلة ، انظر الروض له ج ١ ص ١٠ وقد سبق ذكرها فى حياته العلمية ص ٤٨

على الصدر والتورك و نحو ذلك من المسائل الفرعية.

و بما أن هذا ليس موضوع بحثنا فسنكتفى بالاشارة الى بعض ما يتعلق بهذا الفصل من المعارك الكلامية العقدية والمتعلقة بالقدح فى أئمة أهل الحديث والسنة الهادفة الى القدح فى الحديث النبوى و أهله بإشارات سريعة.

أما الاستقصاء لذلك فهو مما لا يتسع له المقام بل يكون من تحصيل الحاصل لأنه مستوفى فى مؤلفاته،

و سأحاول الابتعاد عن مسائل الجدل العقيمة، كالجوهر والأعراض والاكوان و نحو ذلك اكتفاء بما فيه الجدوى، والغرض من ذلك بيان بطلان غرض المعترض المعتزلى، و هو كما قال ابن الوزير: (لأن مقصوده القدح فى علوم الحديث النبوى و صحتها فان الشافعى رضى الله عنه من رواتها، كما قدح فيها بأن احمد بن حنبل والبخارى من رواتها)(١)

المسألة الاولى اتهام الامام احمد بالتشبيه

قال ابن الوزير: (ذكر المعترض ان التشبيه مستفيض عن الامام احمد بن حنبل، و أنه روى ذلك عن علماء الزيدية و علماء المجبرة الأشعرية و أهل الحديث)

و قد أجاب ابن الوزير على هذا الاعتراض فى كتابه (العواصم) بما لا سبيل الى استقصائه لكثرة ما ذكره من أسلوبه الجدلى بما فيه من المقدمات والإشكالات والمعارضات، فضلا عن ذكر أقوال الفرق و أدلتها و مناقشتها.

و قد استطرد لذكر نبذة غير قصيرة من سيرة الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) و شمائله، والمحنة التى تعرض لها، و هى صموده أمام بدعة القول بخلق القرآن الكريم، و أعلن بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، و ثبت على ذلك رغم كل الأهوال التى واجهها فى سبيل ذلك زمن المأمون وبعده.(٢)

و حاصل إجابة ابن الوزير على ذلك من وجوه:

<u>الوجه الأول:</u> إما أن يقصد المعترض الزيدى المعتزلى بذلك القدح فى حديث الامام أحمد أو تكفيره.

إن كان الأول فانه لم يصح لأمور:

---

(١) العواصم/ لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ - اشكال ١٠

(٢) انظر تفاصيل المحنة فى البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٢٧٢ وما بعدها وقد الفت عدة مؤلفات فى محنة الامام احمد بعضها بهذا العنوان والله المستعان وانظر ملخص المحنة فى ص ٣٣١ وثناء الائمة عليه ٣٣٩ من البداية.

١- الاجماع المنعقد على قبوله فى الحديث ، لاجماع المسلمين على صحة صحيحى البخارى و مسلم ، والامام أحمد أوثق رواتهما ، بل إمام مصنفيهما ، بل إليه المرجع فى توثيق ثقاتهما[1] فيا هذا ليتك عرفت عمن يروى أئمتنا و أئمة المسلمين اجمعين . فان كنت تظن أن جميع رجال أسانيد السادة الزيدية و رجال تفسير المعترض الذى جمع فيه عن كل من دب و درج أوثق و أحفظ من احمد بن حنبل و الشافعى والبخارى فما أحقك بقول المتنبى :

و مثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحجال[2] البواكيا[3] !!

٢- الاجماع على الاعتداد بخلافه ، وعدم انعقاد الاجماع بدونه ، و ذلك فرع عن ثقته و أمانته.

و كتب الزيدية قد شحنت بمذاهبه ، و اشتغل علماؤهم بحفظ أقواله ، و لو كان مجروحا لم يحسن ذلك منهم ، بل قد اشتهرت الرواية لأحاديثه و اختياراته عند جميع اهل السنة والبدعة والروافض والشيعة ، و منهم من هو من أعدائه والفضل ما شهدت به الأعداء ، فلولا فضله وعلمه ما حفظت مذاهبه فى الشرق والغرب من العجم والعرب. كأنه علم فى رأسه نار ، فهل ذلك لكونه مشبها - كما زعم المعترض - او لكونه إماما جليلا ؟!

و أما ما بهته به المتكلمون فدليل على جرأتهم وجهلهم ،
و ما يضر الامام احمد كلام من تكلم عليه وعلى خير أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من الخلفاء الراشدين و كبراء المسلمين[4] .

٣- إن تلك الروايات معارضة بإجماع أهل التاريخ من أهل الحديث على براءة الامام احمد من التشبيه.

و أما ان اراد المعترض التوصل بذلك الى تكفير الامام احمد فهذا لا يصح له لأمور منها :

---

(١) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١٤١ هدى السارى لابن حجر ص ٢٢٢-٢٢٤ ومقدمة شرح مسلم للنووى ج١ ص : ب وانظر التفاصيل فى العواصم ج ٢ وهم ١٥ من أوله الى آخره نقلا عن سير اعلام النبلاء للذهبى ج ١١ ص ١٧٧-٣٨٥ تحقيق شعيب الأرنوط مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ

(٢) هكذا فى العواصم لابن الوزير و فى ديوان المتنبى الحداد بدل الحجال و هو الصواب لأنه المتناسب مع الكلام انظر ديوان المتنبى مع شرح ابى البقاء العكبرى ج ٤ ص ٢٩٦ - الناشر دار المعرفة بيروت ١٣٩٧هـ

(٣) الروض الباسم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٢

(٤) الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ١٤١ والعواصم له ج ٢ وهم ١٥

أ ـ عدم انعقاد الاجماع بخلافه كما تقدم

ب ـ اذا كان التشبيه عند المعترض ـ مستفيضا عن أحمد فما باله يملى على طلبة العلم الشريف مذاهبه ، و هلا أملى عليهم مذاهب الباطنية ، و قولهم إن للانثى مثل حظ الذكر و نحو ذلك .

ج ـ معارضة ذلك باستفاضة نزاهته عن ذلك عند اهل السنة و هم أخص به

د ـ إن التكفير من المسائل القطعية ، و يحتاج مدعيه الى التواتر الصحيح .

و قد سبق ذكر مذهب اهل الحديث و غيرهم من جماهير اهل السنة فى مبحث الاسماء والصفات، كما حكاه النووى ، و هو ظاهر فى تنزيه اهل الحديث والفقهاء من التجسيم، والامام احمد باجماعهم من أئمتهم و جلتهم ، فلو كان مجسما ما كان عندهم بهذه المنزلة. (١)

قلت : وعقيدة الامام احمد فى أسماء الله تعالى و صفاته و غير ذلك أشهر من أن تحتاج الى دفاع، و يكفيه شرفا و نزاهة أنه لقب بإمام أهل السنة والحديث ومعلوم أن عقيدتهم هى عقيدة السلف كما سبق أن ذكرت ذلك فى بابه و لكن ابن الوزير قصد ـ والله اعلم ـ بدفاعه عن الامام احمد الدفاع عن حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فالقدح فى أحمد يستلزم القدح فى السنة.

و من المعلوم أيضا أن هذا المعترض معتزلى ، و عقيدة المعتزله من عقيدة الجهمية التى هى التعطيل والتأويل و قد اطلقوا اى المعتزله ـ على كل من يثبت اسماء الله الحسنى و صفاته العلا من أهل السنة والحديث عدة اطلاقات منها انهم يسمونهم مجسمة و صفاتية وحشوية و مشبهة ، و هذا كذب منهم و افتراء حتى أن منهم من غلى و رمى الأنبياء عليهم السلام بذلك (٢) و هذا المعترض هو من أحفاد الامام الهادى المتوفى ٢٩٨هـ القائل : (بأن الحشوية لا مذهب لهم منفرد ، و اجمعوا على الجبر والتشبيه و جسموا و صوروا ، و قالوا بالأعضاء ، و قدم ما بين الدفتين من القرآن ... و منهم احمد بن حنبل ، و اسحق بن راهوية .... و من متأخر يهم ابن خزيمة صنف كتابا فى أعضاء الرب تعالى عن ذلك (٣).

و معلوم ان التعطيل والتأويل هما عصا المعتزله العوجاء التى يتوكئون عليها حتى يصلوا الى سندهم المتصل بتلاميذ اليهود الجهمية بالجعد بن درهم ، الـــــى

---

(١) الروض الباسم/ج ١ ص ١٤٢-١٤٥ ـ العواصم لابن الوزير ج ٢ و هم ١٥

(٢) الرسالة الحموية لابن تيمية ، ص ١٦١

(٣) الملل والنحل للامام المهدى ، ص ٢٤

لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى صلى الله عليه و سلم (١)

هذا و إن الرمى بالتجسيم من المعتزله ليس موجها الى الامام احمد فحسب ، فقد رموا به الامام الشافعى و غيره كما سبق فى كلام الهادى و كما سياتى فى كلام ابن الوزير وغيره ان شاء الله تعالى كما حكى ذلك عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية .(٢)

المسألة الثانية : الكلام فى رؤية الله عز و جل فى الاخرة

قال المعترض المعتزلى المنكر لرؤية الله تعالى فى الآخرة : (و قد نسب الى الشافعى القول بالرؤية - اى رؤية الله عزو جل يوم القيامة - فطرق عليه الاحتمال ، لأن الرؤية انما تكون بكيف أو بلا كيف ، والمكيفة تجسم لا محالة .)

و قد أجاب ابن الوزير كعادته بالأسلوب الجدلى، ذكر عدّة اشكالات و مقدمات و فصلين ضمنهما أقوال المثبتين لرؤية الله عزو جل - فى الآخرة من اهل السنة و ذكر أدلتهم كما ذكر اقوال المنكرين لها من الجهمية والمعتزلة و أدلتهم و فندها و قرر إثبات الرؤية و وقوعها فى الآخرة، و طول فى ذلك فى (العواصم) و اختصره فى (الروض الباسم) والكلام فى هذه المسألة كغيرها قد قتل بحثا و كان من الممكن الاستغناء عن الكلام فيها إلاّ أن ابن الوزير تعتبره الزيدية من أئمتها ، و معلوم أن عقيدتهم فى اصول الدين منتقاة من عقيدة المعتزلة غالبا - والمعتزلة - كما هو معلوم أيضا - جهمية فى بعض الصفات ، و نفى الرؤية اجمعت عليه المعتزلة كما حكاه ابن تيمية (٣) لهذا قد يتوهم البعض ان ابن الوزير يعتقد ما تعتقده الزيدية المعتزلة بل قد صرح لى بعض العلماء أن فيه شيئا من الاعتزال ، بل كنت أنا اتهمه بذلك فى بداية البحث من خلال أسلوبه الجدلى الهادف الى إلزام الخصم والمنبنى على مقدمات مسلمة عند الخصمين أو أحدهما أو عند الناس و سواء كانت حقة او باطلة من غير بيان المختار عنده . و قد سبقت الاشارة الى ذلك فى (منهجه فى البحث العلمى) .

---

(١) انظر الحديث بطوله فى البخارى ج ٧ كتاب الطب باب السحر ص ٣٠ وانظر سند التعطيل مع القصة فى تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١١٧ و ما بعدها و قد ذكر المهدى طبقات العدلية المعتزلة و سندها وعد من الطبقة الرابعة غيلان بن مسلم الدمشقى المقتول فى القدر و واصلا، والطبقة الاولى الخلفاء الاربعة والثانية الحسنان كذا فى الطل ص ٤٤-٤٥ . قال الذهبى فى الميزان ج ٣ ص ٣٣٨ غيلان بن ابى غيلان و هو غيلان بن مسلم ضال مسكين قتل فى القدر وانظر التفاصيل فى تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢) الرسالة الحموية لابن تيمية ص ١٦١

(٣) بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٤٠٤ وانظر قول الزيدية بنفى الرؤية فى الرسالة الوازعة للامام يحيى بن حمزه ص ٣٠-٣١ - اصول العدل والتوحيد للامام القاسم بن إبراهيم ص ١٠٥ ضمن مجموعة الرسائل اليمنية .

لذلك رأيت أن أبين هذه المسألة اكثر من غيرها ليتضح مذهب ابن الوزير فيها ليكون القارى على يقين و اطمئنان ، اذ ليس الخبر كالعيان و لأن هذه المسألة من اشرف المسائل و أجلها ، إن لم تكن اشرفها و أجلها قدرا عند المثبتين لها .

و من ناحية أخرى هى من أشد المسائل خطرا على نفاتها ، لما يترتب على حرمانهم من العذاب الأليم .

أما اهل الجنة اذا رأواربهم نسوا ما هم فيه من النعيم لما يجدون من التمتع بالنظر الى وجه الله الكريم ، فيا قرة عيون الأبرار بالنظر الى وجه الله الكريم ، و يا ذلة المحرومين من الفجار .

و هى كما قال ابن القيم : (اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، و جميع الصحابة ، والتابعون ، و أئمة الاسلام على تتابع القرون ، و أنكرها اهل البدع المارقون ، والجهمية المتهوكون)[*].

و منذ ظهور هذا المذهب المخالف لما عليه السلف الصالح ، و أهل السنة والجماعة و دعاته يناظرون عنه ، و يدعون اليه ، و ينشرونه حتى وصل اليمن فى القرن الثالث الهجرى و قيل فى الرابع ، و قيل فى السادس[1] ، والراجح الاول لأن اول من اظهر الاعتزال فى اليمن الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل الهاشمى المتوفى ٢٤٤ هـ وتبعه حفيده الامام الهادى [2] يحيى بن الحسين بن القاسم ت ٢٩٨ هـ لأن هذا قرر الاصول الخمسة المتفق عليها عند المعتزلة ونشرها فى اليمن ، إلا انه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين ، بل ذكر مكانها الايمان برسالة محمد صلى الله عليه و سلم ثم الايمان بإمامة على رضى الله عنه .

أما جده القاسم فإنه ضلل من قال برؤية الله تعالى فى الآخرة و وصفهم بالمشبهة الملحدين ، و أن احاديث الرؤية افتعلها الضُّلَّال من بغاة الاسلام و رماهم بالكفر والإلحاد لأنهم لم يحسنوا تأويلها ، و قال القاسم بن محمد : (والخبر مقدوح فيه فان صح فمعناه

---

(١) انظر تاريخ اليمن الثقافى/ ج ٤ ص ١٣٤ غاية الامانى/ ج ١ ص ١٥٠-١٦٧

(٢) هو احد حكام اليمن - تولى الحكم ٢٨٠ ولد بجبال الرس من الحجاز على مقربة من المدينة ، حضر اليمن بدعوة من اهلها و تمركز بصعده و دفن فيها انظر حكام اليمن المؤلفون المجتهدون للحبشى ص ٢١ غاية الامانى ج ١ ص ١٦٦-١٦٩

(*) حادى الأرواح لابن القيم ص ٢٢٨-٢٢٩

ستعلمون ربكم)[١]

و نفى الرؤية من المسائل المجمع عليها عند المعتزلة كما حكاه ابن تيمية وغيره [٢]

و قد حفظوا هذا المذهب و دونوه و نشروه و دافعوا عنه ، و خلا لهم الجو بلا معارض حتى جاء عصر ابن الوزير فى القرن الثامن والتاسع الهجريين ، فعارض هذا المذهب و دعا الى الرجوع الى كتاب الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم والايمان بما ورد فيهما من الاسماء والصفات، من غير تشبيه ولا تعطيل ، كما قال تعالى (ليس كمثله شئ و هو السميع البصير) [٣]

واليأس من الاحاطة والادراك لذات الله تعالى ، كما قال : (ولا يحيطون به علما)[٤]

و قد أجاد الدكتور على بن ناصر الفقيهى ، فى ذكر المثل الذى ضربه الشيخ الزندانى ، لمن يؤولون صفات الله -عز و جل - بقوله : (إن هؤلاء لم يروا الا رأس الديك) و شرح هذا المثل الذى رواه عن الزندانى كالآتى :

يقال : ان رجلا أعمى رد بصره عليه لحظة ، فرأى رأس ديك ، ثم عاد أعمى كما كان ، فكان اذا قيل له : إن فلانا بنى قصرا عظيما ، قال : كيف هو من رأس الديك؟ و اذا قيل له وصلت اليوم الميناء سفينة ضخمة ، قال : كيف هى من رأس الديك؟

و هكذا كلما ذكر له شئ قال : كيف هو من رأس الديك ، لأنه لم يشاهد غيره ،و يريد ان يقيس كل شئ على الذى شاهده.

و هكذا هؤلاء المؤلون لصفات الله -عزوجل - لم يشاهدوا الا هذا المخلوق الضعيف الفانى المتصف بالصفات الفانية بفنائه ، فتوهموا أنهم إن أثبتوا لله -عزوجل - الصفات التى ذكرها فى كتابه و هو أعلم بنفسه من خلقه - أو أثبتها له رسوله - صلى الله عليه و سلم - و هو أعلم الخلق و أتقاهم لله تعالى - فقد شبهوه بخلقه ، والله تعالى أجل و اعظم من كل ما شاهدته الابصار أو توهمته العقول . (لا تدركه الابصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير)[٥]

---

(١) كتاب فيه معرفة الله تعالى للهادى يحيى بن الحسين ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٧٣ والرد على الجبرية له ص ٦٦ و اصول العدل والتوحيد للقاسم ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ١٠٥-١٦١ والاساس فى عقائد الاكياس ورقة ٨ للقاسم بن محمد خ

(٢) بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٤٠٤ و مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٢٨٩

(٣) سورة الشورى : ١١

(٤) سورة طه : ١١٠

(٥) سورة الانعام : ١٠٣ وانظر مقدمة الرد على الجهمية لابن منده ٣٩٥ هـ حققه وعلق عليه و خرج احاديثه الدكتور على بن ناصر الفقيهى ص ٢١-٢٢ - ط ثانية ١٤٠٢ هـ

و يومها خرجت على ابن الوزير الزيدية المعتزلة فى صنعاء اليمن ، اذ هى عاصمة أئمة الزيدية ، وكانت - ولا تزال - تزخر بشتى العلوم، وخاصة علم الكلام والجدال ، خرجت على ابن الوزير تعارض هذه الدعوة المجددة للاسلام الصحيح ، و اعترض عليه باعتراضات كثيرة منها مسألة الرؤية التى سنتحدث عنها بعرض رأى ابن الوزير فيها بايجاز، أما من يريد التفاصيل فعليه بمراجعة كتابه (العواصم والقواصم) فقد أورد فى هذه المسألة اقوال المعتزلة النافية للرؤية و أدلتها ، حاصلها حجتان : عقلية ، و سمعية.

أما العقلية : فاعتقادهم أن ذلك يؤدى الى ثبوت الجهة لله تعالى ، وأن ثبوتها يؤدى الى التجسم و ان الاجسام متماثله ، وأنه يجب فى كل مثلين أن يشتركا فى كل ما يجب و يجوز و يستحيل .

و أما السمعية : فما اتفق الجميع عليه من ورود السمع بنفى التشبيه والتمثيل ، وأما التعرض لتكفير الشافعى صانه الله من ذكر ذلك، لكون القول بالرؤية روى عنه، فهذه علة يلزم المعتل بها تكفير أئمة الاسلام وجلة علمائه ، و هو أرفع من أن ينقصه كلام سفيه رشح إناؤه بما فيه، و سياتى إن شاء الله مزيد هذه النقطة فى نهاية هذه المسألة. و أما طوائف المخالفين لهم فان منهم من وافقهم فى صحة الحجة العقلية ، و نازعهم فى لزومها لنفى الرؤية ، و هم طائفة من متكلمى اهل السنة كالأشعرية فانهم اعتقدوا صحة الجمع بين نفى الجهة و صحة الرؤية و لهم فى ذلك مباحث دقيقة و معارضات طويله معروفة فى كتب الكلام و قد عجبت من اثبات رؤية لذات موجودة ليس لها جهة بالنسبة للرائى ، فهل يستطيع أحد أن يفسر هذه الرؤية غير معتقدها ؟ !

كما ذكر ابن الوزير أقوال اهل السنة ، و قد اكثر من إيراد أدلتهم من الكتاب والسنة و اقوال الصحابة والتابعين ، و أئمة الاسلام و غيرهم سرد سبعة وعشرين حديثا عن سبعة وعشرين أو ثلاثين صحابيا ، ثابتة فى الصحاح و السنن والمسانيد ، غير الآيات القرآنية الدالة على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة ، والأحاديث مرفوعة كلها ما عدى حديثين فهما موقوفان، احدهما على فضالة بن عبيد، و ثانيهما على عبد الله بن عمرو بن العاص، و اذا نظر القارئ إليها فسيجدها كما وصفها ابن القيم و ابن الوزير بالتواتر ، و زاد الأخير فى الروض الباسم أنه متواتر المعنى ، و أن شواهده مروية عن اكثر من ثلاثين صحابيا فى اكثر من ثمانين حديثا[1] و مع هذا فالكلام على المتواتر من تحصيل الحاصل .

و لكن سنشير الى اليسير من ذلك ، نسأل الله تعالى ان يمتعنا بالنظر الى وجهه الكريم

---

(١) انظر العواصم/ لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ ورقة ١١٨ وما بعدها ج ٤ وهم ٢٧ ص ٧٤ الروض الباسم له ج ٢ ص ١٤٥-١٤٦ حادى الارواح لابن القيم ص ٢٣٧ وانظر مقدمة الرد على الجهمية للدكتور الفقيهى ص ؟

من ذلك الأدلة على سبيل الاختصار:

أولا : إن الله قد أخبر عن اعلم الخلق به في زمانه - و هو كليمه - أنه سأل ربه تعالى النظر اليه فقال له تبارك و تعالى : (لن تراني و لكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)[1] و بيان الدلالة من هذه الآية عدة وجوه :

١- انه لا يظن بالكليم ان يسأل ربه ما لا يجوز عليه .

٢- ان الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالا لأنكر عليه

٣- انه تعالى أجابه بقوله: (لن تراني) ولم يقل لا تراني ، ولا أني لست بمرئي ، و هذا يدل على أنه سبحانه - يُرى ، و لكن قوى موسى لا تحتمل رؤيته - سبحانه - في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها ، يوضحه قوله : (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فأعلمه أن الجبل مع قوته و صلابته لا يثبت لتجليه سبحانه فكيف بالبشر الضعيف؟

٤- ليس بممتنع في مقدور الله تعالى أن يجعل الجبل مستقرا مكانه ، بل ممكنا .

٥- قوله تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) و هذا من أبين الادلة على جواز رؤيته تعالى ، فانه اذا جاز ان يتجلى للجبل الجماد فكيف يمتنع ان يتجلى لأنبيائه وأوليائه في دار كرامته ؟

٦- ان من جاز عليه التكلم والتكليم بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، فلا يتم انكار الرؤية الا بانكار التكلم ، أما قوله (لن تراني) فانه لا يدل على دوام النفي و لو قيدت بالتابيد فكيف اذا أطلقت ؟ قال تعالى : (ولن يتمنوه[2] أبدا)مع قوله: (و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك)[3]

ثانيا : قوله تعالى : (واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه)[4] و قوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام)[5] و امثال ذلك كثير.

و قد اجمع اهل اللسان ، على أن اللقاء متى نسب الى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والرؤية ، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى : (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه)[6] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرون

---

(١) سورة الاعراف : ١٤٣
(٢) سورة البقرة : ٩٥
(٣) سورة الزخرف : ٧٧ وانظر العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ - الفصل الثاني ورقة ١٤٢ وما بعدها .
(٤) سورة البقرة : ٢٢٣
(٥) سورة الاحزاب : ٤٤
(٦) سورة التوبة : ٧٧

الله - عز و جل - فى عرصات القيامة ، كما سيأتى و فى الكفار لأ هل السنة ثلاثة أقوال

١ - لا يراه الآ المؤمنون ، وعليه جمهوراصحاب الامام احمد وغيرهم للأحاديث الآتية قريبا .

٢ - يراه جميع أهل الموقف ثم يحتجب عن الكفار ، فلا يرونه بعد ذلك لقوله تعالى : (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)[1] و قوله تعالى : (والذين كفروا بآيات الله و لقائه أولئك يئسوامن رحمتى و أولئك لهم عذاب أليم) واللقاء يتضمن المشاهده والمعاينة.

٣ - يراه المنافقون دون الكفار ، لحديث ابى هريرة الآتى وفيه : (و تبقى هذه الأمة فيها منافقوها فياتيهم الله تبارك و تعالى . . .)

قال ابن القيم : (و لشيخنا فى ذلك مصنف مفرد ، و حكى فيه الاقوال الثلاثة و حجج اصحابها)[3] و تتبعها يحتاج الى بحث مستقل .

ثالثا : قوله تعالى : (للذين احسنوا الحسنى و زيادة)[4] فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله الكريم كما روى مسلم فى صحيحه[5] عن صهيب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك و تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة؟ و تنجنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم عزو جل) .

و فى رواية اخرى له بزيادة : (ثم تلى هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنىوزيادة) روى هذا التفسير جماعة من الصحابة[6] .

رابعا : قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)[7] وجه الاستدلال أنه سبحانه - جعل من اعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عنه ، و قد احتج بهذه الحجة

---

(١) سورة الكهف: ١٠٥
(٢) سورة العنكبوت : ٢٣
(٣) حادى الارواح لابن القيم ص ٢٣١ وانظر تفاصيل الاقوال الثلاثة و حجج اصحابها فى مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٦ ص ٤٨٦-٥٠٤
(٤) سورة يونس : ٢٦
(٥) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه و تعالى ص ١٦٣
(٦) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ فصل ٢ ورقة ١٤٣ وما بعدها فقد سرد الافكار و أدلتها بإطناب.
(٧) سورة المطففين : ١٥

الشافعى وغيره من الأئمة ، قال الشافعى : فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

خامسا : قوله تعالى : (لا تدركه الابصار و هو يدرك الأبصار)[1] والاستدلال بهذا عجيب فانه من أدلة النفاة.

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية[2] وجه الاستدلال احسن تقرير وألطفه بانه لا يحتج مبطل بآية او حديث صحيح على باطله إلا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ، فمنها هذه الآية ، وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فان الله تعالى إنما ذكرها فى سياق التمدح ، ومعلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا بمدح وإنما يمدح الرب - سبحانه بالعدم اذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفى الشريك أو الصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ، ونفى الاكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه.

فقوله (لا تدركه الابصار) يدل على غاية عظمته ، وانه اكبر من كل شئ ، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فان الادراك هو الإحاطة بالشئ ، وهو قدر زائد كما قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا)[3] فلم ينف موسى الرؤية ، ولم يريدوا بقولهم (انا لمدركون) انا لمرئيون ، فان موسى نفى ادراكهم اياهم بقوله : كلا ، كما اخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى)[4]

فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر ، وبدونه ، فالرب يُرى ولا يُدرك ، كما يُعلم ولا يُحاط به.

وهذا فهم الصحابة والأئمة للآية.

سادسا : قوله : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)[5] وهذه الآية صريحة فى ان الله

---

(١) سورة الانعام : ١٠٣
(٢) انظر مجموع فتاويه جـ ١٦ ص ٨٦-٨٩
(٣) سورة الشعراء : ٦١- ٦٢
(٤) سورة طه : ٧٧
(٥) سورة القيامة : ٢٢-٢٣

سبحانه يُرى عِيانا بالأبصار يوم القيامة ، و إن أبيت[1] إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا ، فتأويل نصوص المعاد ، والجنة والنار والميزان ، والحساب أسهل على اربابها من تأويلها ، فلا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص و يحرفها عن مواضعها الآ وجد الى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، و هذا هو الذى افسد الدين والدنيا فالنظر بحسب صلاته و تعديه له عدة معان :

أولا : فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : (انظرونا نقتبس من نوركم)[2]

ثانيا : و إن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى : (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض)[3]

ثالثا : و إن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى : (انظروا الى ثمره اذا أثمر و ينعه)[4] فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر.[5]

اما الاحاديث الواردة فى إثبات الرؤية فمتواترة،كما ذكرت سابقا و سنذكرنماذج منها :

١- حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى الصحيحين [6] و غيرهما أُن ناسافى زمن الرسول -صلى الله عليه و سلم- قالوا يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة ، قال النبى -صلى الله عليه و سلم- : (نعم ، هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا : لا ، قال : و هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا : لا ، قال النبى صلى الله عليه و سلم: ما تضارون [7] فى رؤية الله -عزو جل- يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ...)

و فى موضع آخر بلفظ: (قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال هل

---

(١) المخاطب النافى للرؤية

(٢) سورة الحديد : جزء من آية : ١٣

(٣) سورة الاعراف : ١٨٥

(٤) سورة الأنعام : جزء من آية: ٩٩

(٥) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير ، ج ٢ وهم ١٦ فصل ٢ ورقة ٢٤٦

(٦) متفق عليه البخارى جـ ٥ تفسير سورة النساء باب (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) ص ١٧٩ جـ ٨ كتاب التوحيد د باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة ص ١٨١ مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ص ١٦٧ جـ ٤ كتاب الزهد ص ٢٢٧٩ مسند احمد جـ ٣ ص ١٦ سنن ابى داود بعون المعبود جـ ١٣ كتاب السنة باب الرؤية ، ص : ٥١

(٧) بتشديد الراء و تخفيفها والتاء مضمومة ، و معنى المشدد لا تضرون غيركم ولا يضركم لمنازعة او مزاحمة او مخالفة فى الرؤية كما تفعلون اول ليلة من الشهر و معنى المخفف لا يلحقكم فى رؤيته ضير وهو الضرر اهـ نووى شرح مسلم ج ٣ ص ١٨

تضارون فى روٌية الشمس والقمر اذا كانت صحوا؟ قلنا : لا ، قال : فإنكم لا تضارون فى روٌية ربكم ، إلا كما تضارون فى روٌيتهما ...) من حديث الشفاعة الطويل ، واللفظ للبخارى و فى مسلم: (صحوا) بدل ضوء

٢- حديث جرير البجلى رضى الله عنه قال: (كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر ، قال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامّون[(١)] فى روٌيته ...)

و فى لفظ : (إنكم سترون ربكم عيانا)

و فى لفظ آخر : (خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى روٌيته)[(٢)]

٣- حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله. قال : فانكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس و يتبع من كان يعبد القمر القمر ... و تبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها(شك ابراهيم هذا لفظ البخارى و لفظ مسلم : (و تبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى ..)[(٣)]

---

(١) من الانضمام يعنى : انكم لا تختلفون فى روٌيته حتى تجتمعوا للنظر و ينضم بعضكم الى بعض فيقول واحد هو ذاك و يقول الآخر ليس بذاك و روى بتشديد الميم و تخفيفها فمن شددها فتح التاء و من خففها ضم التاء و معنى المشدد هل تتضامون و تتلطفون فى التوصل الى روٌيته لأن اصله تتضامون حذفت منه احدى التائين ، و معنى المخفف هل يلحقكم ضم و هو المشقة والتعب فى روٌيته و قيل إن الروايتين معناهما واحد و قيل غير ذلك ١ هـ معالم السنن للخطابى جـ ٧ ص ١٧-١٨ شرح مسلم للنووى جـ ٣ ص ١٨

و رجح شيخ الاسلام ابن تيمية رواية التخفيف لأنها المشهورة وأن الله تعالى يتجلى تجليا ظاهرا فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحق احدا فى روٌيته. مجموع الفتاوى جـ ١٦ ص ٨٤-٨٥

و مما ينبغى التنبيه اليه ان التشبيه فى الأحاديث المذكورة تشبيه الروٌية بالروٌية فى الوضوح و زوال الشك والمشقة و ليس التشبيه فى قوله (كما ترون) تشبيه المرئى بالمرئى نبّه على ذلك ابن تيمية فى الفتاوى نفسها الجزء والصفحة والخطابى المرجع نفسه الجزء والصفحة .

(٢) البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ص ١٧٩ سنن ابى داود بعون المعبود جـ ١٣ ص ٥١ سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٦٣-٦٤ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى جـ ٧ ص ٢٦٠-٢٦١

(٣) البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة ص ١٧٩ مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب معرفة طريق الروٌية ص ١٦٤ سنن ابن ماجه جـ ١ المقدمة ص ٦٣-٦٤ سنن ابى داود بعون المعبود جـ ٣ ص ٥٤ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى جـ ٧ ص ٢٦٠-٢٦١ و كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٧٢ و ما بعدها .

٤- حديث صهيب الرومى رضى الله عنه عن النبىّ ـ صلى الله عليه و سلم ـ قال : (اذا دخل اهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك و تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة و تنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحبّ اليهم من النظر الى ربهم عز و جل)(١)

هذا و بعد أن سرد ابن الوزير أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الرؤية البالغ عددها سبعة وعشرين حديثا و أقوال التابعين فى إثبات الرؤية ، و أئمة المذاهب الاربعة و غيرهم قال بعد ذلك :

(فكل هؤلاء روى عنهم القول بالرؤية ، فإن كان كل من روى عنه ذلك لزم الشك فى إسلامه ، والطرح لمذهبه و روايته ، لزم المعترض التشكيك فى عصابة الاسلام ، و ركن الإيمان الصحابة والتابعين لهم باحسان والذين أطبق السلف والخلف على الاقتداء بهم ، والقبول لقولهم ، والانتفاع بمعارفهم ومذاهبهم)(٢)

تعليق على كلام ابن الوزير

فأنت ترى أن ابن الوزير يقرر مذهب السلف فى إثبات رؤية الله ـ عز و جل ـ فى الآخرة ضمن اسلوبه الجدلى الالزامى والمفحم للخصم المعتزلى النافى لتلك الرؤية.

ألم تر أن التشكيك فى إثبات الرؤية المتواتر طعن فى حملة راية الاسلام الذين بلغوه الى مشارق الارض و مغاربها رغم ما عانوه فى سبيل ذلك من الصعوبات.

و قد تلقت الأمة أحاديثهم و أقوالهم بالقبول لا سيما ما فى الصحيحين ، و لم يطعن فى ذلك أحد الا الجهمية والمعتزلة المعطلة والمتأولة لأسماء الله تعالى و صفاته.

و من رد هذه الأحاديث المتواترة التى سردها ابن الوزير و أشرنا الى يسير منها ـ يلزمه رد سائر الاحكام الشرعية ، متواترها و آحادها ، و حينئذ تتعطل الأوامر والنواهى الاعتقادية والشرعية بل يتعطل الاسلام بأسره، والله المستعان .

هذا و من الملاحظ أن ما ذكره ابن الوزير فى (العواصم والقواصم) فى الفصل الثانى من مسألة الرؤية منقول من حادى الارواح لابن القيم ، فقد نقل ابن الوزير منه الباب الخامس والستين بأكمله و ذلك ما يقارب أربعين صفحة، و بهذا ثبتت رؤية الله عز و جل ـ فى الآخرة عند السلف و اهل السنة والحديث ثبوتا لا يقبل الجدل إلا عند الجهمية والمعتزلة المعطلة والمتأولة و من سلك طريقهم مع إلزامهم ما ألزمهم به ابن الوزير، هذا من الناحية

---

(١) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ص ١٦٣ كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٨٠

(٢) الروض الباسم/ج ١ ص ١٤٦ وانظر التفاصيل فى العواصم والقواصم له ج ٢ وهم ١٦- الفصل الثانى ورقة ١٤٧-١٦٣

الجدلية ، فما موقف السلف فيمن انكر رؤية الله - عز و جل - فى الدار الآخره؟

قال ابن تيمية : (الذى عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله فى الدار الآخرة فهو كافر ، فان كان ممن لم يبلغه العلم فى ذلك ، عُرِّف ذلك ، كما يُعَرَّف من لم تبلغه شرائع الاسلام ، فإن أُصرّ على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر)(١)

المسألة الثالثة وصم أئمة الحديث بالبله والجمود لعدم تاويلهم آيات الصفات و أحاديثها

قال ابن الوزير : (وهم المعترض المسكين أن طائفة المعتزلة بالذكاء مخصوصه ، و أُجنحة أهل الأثر عن النهوض لهذه الفضيلة مقصوصة ، و صرّح بوصم الامام مالك بن أنس رضى الله عنه ، و كذلك اهل الحديث ، قال : أى المعترض و ذلك لقولهم بعدم تأويل آيات الصفات ، و أحاديث الصفات قال أى المعترض : و إنما قالوا بذلك لقلة ممارستهم للعلوم ، و اقتصارهم على فن الحديث)(٢)

و هذا الكلام ، ذكره المعترض فى رسالته الثانية التى أجاب بها على القصيدة التى نظمها ابن الوزير فى الحث على اتباع السنة النبوية والدعاء اليها، وهى التى أنشأها ٨٠٨هـ مطلعها .

ظلت عواذ له تروح و تغتدى	وتعيد تعنيف المحب و تبتدى
يا صاحبىّ على الصبابة والهوى	من منكما فى حب أحمد مسعد
حسبى بأنى قد شهرت بحبه	شرفا ببردته الجميلة ارتدى

الى ان قال :

يا حبذا يوم القيامة شهرتى	بين الخلائق فى المقام الأحمدى
بمحبتى سنن الشفيع و أنتى	فيها عصيت معنفى و مفندى
وتركت فيها جيرتى وعشيرتى	و مكان أترابى و موضع مولدى(٣)

و مما قاله فى الرد على من كره تمسكه بالسنة :

يا لائمى كف عن لومى و معتقدى	قول النبى وهمى فى تعرفه
فما قفوت سوى آيات منهجه	ولا تلوت سوى آيات مصحفه
ففى المجازات أمضى نحو معلمه(٤)	و فى المحارات(٥) ابقى وسط موقفه

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٦ ص ٤٨٦

(٢) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٥٧ وانظر العواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤

(٣) الروض ج ١ ص ٨ العواصم ج ٢ فى الترجمة التى فى آخره ورقة ١٨٨

(٤) المعلم الاثر يستدل به على الطريق كما فى الصحاح للجوهرى ج ٥ ص ١٩٩١

(٥) المحارات هى التى تحار فيها عقول الأذكياء و فى القاموس المحارة المكان الذى يحور أو يحار فيه ج ٢ ص ١٥

و مما قاله ابن الوزير فى الدعوة الى التمسك بالسنة قصيدته المشهورة باللامية التى مطلعها :

عليك بأصحاب الحديث الأفاضل تجد عندهم كل الهدى والفضائل

الى أن قال :

شيوخ حديث المصطفى و علومه و متبعوا أقواله فى المسائل
هم القدوة الوسطى و هم خيرة الورى وهم أنجم للدين غير أوافل
شفوا علل الأكباد منه و أصبحوا و قد لبسوا منه نفيس الغلائل
هم نقحوا منه الصحيح و بينوا معارفه فى الممتعات الحوافل
يذبّون عن دين النبى محمد بألسنة مثل السيوف القواصل
دليلهمُ قول النبى و فعله و ذلك يوم الفصل اقوى الدلائل
و مدرّسهم آى الكتاب و إنه لأقمع برهان لكل مناضل
هما حجة الاسلام لا ما يطيش من دماغ ألد بالخصام مجادل
ولولا هما لم يحى بالرسل ميت ولا حاز أهل السبق أسنى الفضائل
ولولا هما كان ابن سيناء مُنزَلا من العلم فى أعلى بروج المنازل
و كان ابن مسعود و أعلام عصره من الصحب فى مهوى من الجهل نازل

إلى أن قال :

ألم تر أن المصطفى يوم جاءه الـ وليد بقول الاحوذى(١) المجادل
تنكب منهاج المرا و تلا له من السجدة الآيات ذات الفواصل
كذا فعل الطيار يوم خطابه لأصحمةٍ بين الخصوم المقاول
تلا لهمُ آى الكتاب فايقنوا بها بشهادات الدموع الهواطل
عليكم بقول المصطفى فهو عصمة و ما عاقل عما يقول بعادل
سعدت بذب عن حماه و حبه كما شقيت بالصد عنه عواذلى(٢)

و لنرجع الى دفاع ابن الوزير عما وصم به المعترض المعتزلى أئمة الحديث من البله و جمود الفطنة لعدم نهوضهم بعلم الكلام ، و لعدم قولهم بتاويل آيات الصفات و أحاديثها يريد بذلك القدح فى سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قد اجاب ابن الوزير و أطال كعادته و سألتقط من ذلك التقريعات الآتية :

---

(١) الاحوذى : الذى حذق الاشياء و اتقنها ا هـ مصباح جـ ١ ص ١٦٨
(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٢ ورقة ١٨٤-١٨٥ الروض الباسم جـ ٢ ص ٢٩٠

— مقتطفات من تقريعات ابن الوزير لخصمه :

١- إن رسالة المعترض منادية عليه صريحا بجمود الفطنة وكثرة البله ، ولو كان من أهل المفاصات الغامضة ، والاذهان السائلة ، والقرائح الوقادة لظهر لذلك اثر في أساليبه إذ لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس[1]

٢- إن المعترض وصم أهل الأثر بالبَلَه وصرّح منهم بالامام مالك ، وعلل ذلك بقلة ممارستهم لعلوم الجدل ، والخوض في دقيق النظر وأكد ذلك بأن ترك علم الكلام مكيدة للدين والتعليل بهذه العلة كما قال ابن الوزير :

(هفوة كبيرة لأنه قد شاركهم فيها خيرة الله من خلقه ، من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ، والاولياء والمقربين وسائر الصالحين .

فإن كان هذا المعترض يجعل هذه العلة مؤثرة صحيحة ، ويستلزم ما أدت إليه من الازراء على كل من ترك الخوض في علم الكلام ، والممارسة لأساليب المتحذلقين[2] من اهل الجدل ، فقد تعرض للهلاك وارتبك في البلادة أي ارتباك)[3] ثم ذكر الشبهة التي اغتر بها الحسين بن القاسم العياني (ت ٤٠٤هـ) أحد ائمة اليمن الزيدية فخرج من المذاهب الإسلامية بما ادعاه من أنه أفضل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وان كلامه انفع من كلام الله - عز وجل - وانه كان يناظر أهل العلم بهاتين المقدمتين : إنه ثبت أن الاعلم أفضل ، وأن علم الكلام أفضل العلوم ، ويلزم منهما على زعمه أنه افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يقطع أنه أعلم منه بعلم الكلام[4] ثم يعلق ابن الوزير على هذا الاغترار بقوله : (فإن كان المعترض قد اختار هذا المذهب ، وأراد أن يحيى منه ما مات ، ويستدرك على صاحبه ما فات ، فليس بمستنكر منه بعد ذلك أن يستهزئ بأهل الحديث ، ويسخر من علماء الأثر .

وإن كان يأبى من إباء المسلمين ، ويأنف من أنفة المؤمنين ، فقد تبين له أن من كان له أسوة في ترك علوم الأوائل وتحذلق الجدليين - بالأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين ، وسائر الصالحين ، فهو حرى بالتبجيل والتعظيم ..)

ويستمر ابن الوزير في تسديد التقريع اللاذع الموجه الى خصمه المعتزلي فيقول :

---

(١) يضرب مثلا لمن لا يدخر عنه نفيس اهـ مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٢١١-٢١٢ وقيل : الاول يضرب للرجل يدخر الشئ ويرفعه عند وقت الحاجة اليه كذا في كتاب الامثال للقاسم بن سلام تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، ص ٣٠٣

(٢) المتحذلق هو من يظهر الحذق ويدعى اكثر مما عنده اهـ الصحاح جـ ٤ ص ١٤٥٧

(٣) الروض الباسم/ لابن الوزير جـ ٢ ص ١٥٩ العواصم له جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤

(٤) الروض الباسم جـ ٢ ص ١٥٩ العواصم جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤

(فيا سيال الذهن و وقاد القريحة من الأبله الآن؟ أ من علل بهذا التعليل العليل ، و قال إن معرفته بالله مثل معرفة جبريل ، بل قال : إن الله لا يعلم من ذاته أكثر منه بكثير ولا قليل ؟ أم من آمن بالله و كتبه و رسله و تأدب بآداب التنزيل و اقتدى بسيد المرسلين ، فى ترك التعمق فى الدين ، والممارات للجاهلين (١)

أما ما توهمه المعترض فى ترك علم الكلام أنه مكيدة للدين فقد اجاب ابن الوزير بقوله : (لا والله ما كاد الدين من احتج بالقرآن ، وعقل ما فيه من البرهان ،واقتدى برسول الله عليه الصلاة والتسليم الذى أقسم أصدق القائلين إنه على صراط مستقيم ولو كان ذلك . . . مكيدة للدين لكان سيد المرسلين أول من كاد الدين ، وكذلك جميع الصحابة والتابعين)(٢).

اقلوا لجدال فما عندكم	جميعا من العلم إلا القليل
و فى قصة الخضر المرتضى	و موسى اعتبار عريض طويل
و فيها لأهل النهى والرسوخ	من العارفين عزاء جميل (٣)

٣- إن الفلاسفة يعتقدون أن المتكلمين من المسلمين غير ممارسين للعلوم العقلية على ما ينبغى ، ولا متصفين بمتابعة محض العقل لمراعاتهم فى كثير من المواضع لقواعد الاسلام ، و تعصبهم لمذاهب الآباء والمشائخ .

و أن الفلاسفة هم المؤسسون لقواعد العلوم العقلية ، والقوانين المنطقية ، و أنهم المستبدون بذلك لصفاء أذهانهم فى النظر فى الحقائق ، و شدة غوصهم على لطيف الغوامض ، فكما أن ذلك ـ و إن صدقوا فى بعضه ـ لا يدل على صحة ما هم عليه من الكفر ، فكذلك ما احتج به المعترض على اختصاصه و أصحابه بالذكاء والفطنة ، بسبب ما استعاروا من علوم الأوائل و شموا من رائحة الحذق فى بعض المسائل ، لا يوجب له صحة دعواه ، ولا يستحق به الاختصاص بالنجاه ،هذا إن سلّم المعترض أن المدقق قد يضل فى تدقيقه ، و يزل عن تحقيقه ، و أما إن لم يسلم فليتخذهم أئمة و ينسلخ عما عليه الأمة.

و فى هذا اكبر دليل على نقض ما توهمه المعترض من تعليل صفاء الأذهان والرجوع فى صحة الإيمان الى ممارسة علوم اليونان ، فقد ضل سقراط و امثاله ، و اهتدى كثير من الأعراب بدون ممارسة منهم لتلك العلوم.

فمن اكثر ممارسة للعلوم العقلية ، و اهدى الى العقائد الاسلامية؟ خديجة بنت خويلد ، و أم الدرداء ، و أم سليم ـ أم ارسطوا ، و افلاطون و ابن سيناء؟!

وانظر بعد هذا أيها المعترض فى ميزانك الذى وزنت به اهل العلم والذكاء و اهل الجمود والبله ، هل تجده مع مراعاة الاسلام عادلا ، أو الى تعظيم الفلاسفة

(١) الروض ج ٢ ص ١٥٩ وانظر التفاصيل فى العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤ وما بعدها
(٢) العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٥٨-٥٩
(٣) من أبيات لابن الوزير فى العواصم ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٨

ماثلا ؟ (١)

٤- كان المسلمون أمة واحدة فى عهد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و أيام الخلفاء الراشدين ليس بينهم خلاف فى أمر العقيدة وعُلم أن الذى كانوا عليه فى أعصارهم هو منهج الحق ، و طريق السلامة ، حتى مارستم هذه العلوم ، و تركتم الجمود ، و سالت أذ هانكم بالحقائق ، وغصتم على خفيات الدقائق ، و ضلت من ثلاث و سبعين فرقة اثنتان و سبعون فرقة.

ولم يبق من الأمة - ببركة هذه الممارسة على الهدى عشرها ، ولا نصف عشرها بل ولا عشر عشرها .

والمعتزلة تدعى أنها الفرقة الناجية ، و هم مع ذلك مفترقون عشر فرق(٢) ، منهم من يخطئ مخالفه و يفسقه.

و منهم من يصرح بتكفيره ، و هذا الاضطراب ناتج عن دعوى الاختصاص بممارسة العلوم التى عبتم على المحدثين الغفلة عنها و استبدادكم بها و بنتائجها : تباغض و افتراق ، و جدال ، و شقاق ، و تكفير ، و تفسيق ، و هوى فى الضلال الى مكان سحيق .

فان كان المحدثون ما استحقوا منك السخرية الا لعدم دخولهم معكم فى هذه

---

(١) الروض ج ٢ ص ١٥٩-١٦٠ وانظر التفاصيل فى العواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٤ وما بعدها .

(٢) عدهم البغدادى فى الفرق بين الفرق اثنتين وعشرين فرقة ، فرقتين من الغلاة فى الكفر، و هما الخابطية والحمارية ص ١١٤ وعدهم الشهرستانى فى الملل والنحل ج ١ ص ٤٣-٤٧ اثنتي عشرة فرقة ، وعدهم المهدى المرتضى عشرين فرقة ، و رجح ما ذكره الحاكم المحسّن بن محمد بن كرامة الجَشمى البيهقى المتكلم المعتزلى ثم الزيدى بعد أن كان حنفيا المتوفى ٤٩٤ هـ كذا فى الزيدية لأحمد محمود صبحى ص ٢٦٤ ، و قد نوقشت رسالة دكتوراه مقدمة من الدكتور عدنان زرزور بعنوان الحاكم الجشمى و منهجه فى التفسير فى دار العلوم بالقاهره توجد فى مكتبة مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى والذى رجحه المهدى أن المعتزلة ثلاث عشرة فرقة بدء بالغيلانية وثنى بالواصلية ، و ختم بالجاحظية ، و صرح بأن كل فرقة من هؤلاء تنفرد بمقالة لم يقل بها غيرها،كما صرح أن الزيدية هى الفرقة الناجية،لقولها بالعدل والتوحيد ، و تنزهها عن الجبر والتشبيه،الملل والنحل له ص ٥١ و هذا مخالف لقوله صلى الله عليه و سلم لما سئل عن الفرقة الناجية قال : (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و اصحابى) وفى رواية : (الجماعة)رواه الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٨ ص ٤٠٠ سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ وفى سنده مقال كما فى مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٥٨ و قال الترمذى حسن غريب و نظمه الألبانى فى السلسلة الصحيحة ج ١ رقم الحديث ٢٠٤ و قد سبق الكلام على هذا فى الفصل الاول من الباب الثانى من هذه الرسالة

الممارسة ، فلهم أسوة يعزون بها أنفسهم فيمن فاتته هذه الممارسة من الانبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ، والأولياء والصالحين . (١)

٥- يقول ابن الوزير لخصمه أخبرنا ما هذه العقائد التى لا تدرك إلا بعلوم الكلام ، فإنا رأينا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أجمعت الأمة على صحة عقائدهم قبل هذه الممارسة.

فإن قلت: إن هذه العقائد هى اعتقاد وجود الله - عزوجل - وأنه عالم قادر موصوف بصفات الكمال غير ممثل بمثال ، فقد أمكن الصدر الاول معرفة هذا وأمثاله من الحق من غير ممارسة لعلومكم ،

ولم يصمهم احد بالبله وجمود الفطنة ، ممن هو أذكى منك قلبا ، وأرجح لبا ، وأصلب دينا ، وأقوم يقينا ، وإن كانت العقائد التى لا تدرك إلا بالممارسة هى قول شيوخكم من المعتزلة(٢) : ان الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمونه(٣) ، فهذه مسألة عظيمة قديمة ، قد طال الخوض فيها ، وكفينا مؤنة التطويل فى تحرير أدلتها ، ولكنا نشير الى نكتتين :

إحداهما : قولنا فيها قول امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه : (بها امتنع منها واليها حاكمها) اى امتنع من العقول بمعرفة العقول ، لعجزها عن إدراكه ، والاحاطة به ، واليها حاكمها اى جعلها محكّمة فى ذلك ، لأنه نزلها منزلة الخصم المدعى ، والخصم لا يحكم إلا حيث تتضح الحجة ، ويفتضح جاحدها ، فلا يرضى لنفسه بدعوى ما يعلم كل عاقل كذبه فيها .

ولم يعلم لعلى عليه السلام مخالف فى الصدر الاول ، ولا أنكر عليه كلامه هذا أحد ، بل احتج به الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزه (ت ٧٤٩هـ)(٤) على ضعف كلام أبى هاشم ، ونصره ابن أبى الحديد (٥) مع اعتزاله ثم أنشد لنصرة هذا القول :

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٥ وما بعدها والروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٠-١٦١

(٢) اشارة الى قول ابى هاشم عبد السلام بن محمد الجبائى ت ٣٢١هـ الفرق بين الفرق ص ١٨٤ طبقات المعتزلة ص ٩٤-٩٦

(٣) صرح ابن الوزير فى الترجيح ص ١٢٩ بانه سمع خصمه المعتزلى يدعى علمه بالذات ، وان الله - عزوجل - لا يعلم من ذلك غير ما يعلمه هذا المعترض.

(٤) هو أحد حكام اليمن وعظمائهم ولد فى صنعاء ٦٦٩هـ

(٥) ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٢٩-١٣٠ الروض الباسم له ج ٢ ص ١٦١

تاه الأنام بأسرهم فاليوم صاح القوم عربد(١)
تالله ما موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
عرفوا ولا جبريل وهو إلى محل القدس يصعد
من كنه ذاتك غير أنك واحد فى الذات سرمد(٢)

الى قوله :

فلتخساء الحكماء عن حرم له الأملاك تشهد
من أنت يارسطو و من افلاط قبلك يا مبلد
و من ابن سينا حين قرر ما هذيت به و شيد
هل أنتم الا الفرا ش رأى السراج تتوقد
فدنا فحرّق نفسه ولو اهتدى رشدا لأبعد

و مما قال فى ذلك :

فيك يا اغلوطة الفكر تاه عقلى و انقضى عمرى
فلحى الله الالى زعموا أنك المعلوم بالنظر
كذبوا إن الذى زعموا خارج عن قوة البشر
سافرت فيك العقول فما ربحت الآ عنا السفر
رجعت حسرى و ما وقفت لا على عين ولا اثر(٣)

قال ابن الوزير : (وكفى بقول الخصم :- ان الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا لا يعلم من نفسه الا ما يعلمون - شناعة فاحشة يكفي فى بطلانها سماعها ، و يفضى الى التعطيل و ينبنى عليه امتناعها ، وكفى بامير المؤمنين سلفا و قدوة و إماما وحجة فى هذه المشكلة ، كيف و قد نظرت العقول حتى وقفت خاسئة و رجعت الأبصار كرتين فأنقلبت حاسرة ، و تطابق السمع على ذلك قرآنا و أخبارا و آثارا ، وكفى قوله تعالى فى ذلك (ولا يحيطون به علما) والتطويل فى الجليات يوهم انها خفية و جحدة المعاندين و بله بعض المتكلمين يشكك فى أنها جلية)(٤) ثم انشد :

لى فى القديم مقال غير مبتكر سبحانه عن خيال الوهم والفكر

وقد سبق ذكر ذلك فى مبحث الأسماء والصفات كما سبق تحقيق الكلام على كلمة (القديم)

---

(١) كقرشب بتشديد الباء والعربدة سوء الخلق والعربيد بكسر العين مؤذى نديمه فى سكره اهـ قاموس جـ ١ ص ٣١٤- الصحاح جـ ٢ ص ٥٠٨

(٢) السرمد : الدائم اهـ صحاح جـ ٢ ص ٤٨٧

(٣) الترجيح لابن الوزير ص ١٣٠ و اسنده ابن الوزير الى ابن ابى الحديد و بحثت عنه ولم اقف عليه

(٤) الترجيح لابن الوزير ص ١٣١

النكتة الثانية : قول ابن الوزير (لا شك أن الله عزوجل حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة، لا يشاركها شئ فى ذاتيتها ، و خصوصيتها قال الله تعالى : (ليس كمثله شئ و هو السميع البصير)[1]

و قد سبق هذا النص بتمامه فى الاسماء والصفات فارجع اليه.

ويواصل ابن الوزير تقريعاته المتتالية على رأس المعترض المعتزلى بتعداد فضائح المعتزلة بقولهم:

إن جميع الواجبات وجبت لأنفسها ، و كذلك جميع المحرمات، بدون ايجاب موجب، ولا تحريم محرّم،

و أن الله تعالى غير مختار فى التحريم والتحليل ، و إنما هو حاكى فقط، فالله تعالى عندهم فى ذلك والمفتى سواء.

و قولهم : إنه يقبح من الله تعالى -أن يتفضل على أحد من خلقه بغفران ذنب واحد ، و انه لا يغفر الا ما وجب عليه غفرانه وجوبا يقبح خلافه ، حتى لو زادت سيآت المسلم مثقال حبة من خردل قبح من الله تعالى مسامحته فى ذلك ، و وجب على الله -تعالى- تخليده فى النار، مع فرعون و هامان ، و عبدة الصلبان .

و أنه لو فعل ذلك لا تّصف بصفات الكاذبين ، و استلزم ذلك بطلان هذا الدين و أن من جوز ذلك عليه فانه عند كثير منهم صار من المرجئة[2] ، و خرج من الفرقة الناجية اى الزيدية المعتزلة، و أن من لم يعرف الله تعالى بأحد الأدلة التى حرروها فهو كافر ، و هذا يستلزم تكفير السواد الأعظم من المسلمين الأولين والآخرين[3]

و قول شيوخكم: إن أول الواجبات النظر فى الله ، و أن النظر لا يتم فيه إلا بالشك فيه فوجب الشك فى الله بل كان اول الواجبات، لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب بحيث يحصل الثواب على الشك فى الله والعقاب على تركه ، و يستمر وجوب الشك فى مهلة النظر ، و يقبح فيها تعظيم الله لأنه عندهم فى تلك الحال لا يؤمن

---

(١) سورة الشورى : ١١ وانظر الترجيح لابن الوزير ، ص ١٣٧-١٣٨

(٢) فرقة تقول : إن الايمان هو الاقرار والمعرفة ولا يضر مع ذلك معصية و منهم من غالى فزعم أن الايمان اعتقاد بالقلب و إن أعلن الكفر بلسانه وعبد الاوثان و هؤلاء غير الذين ارجئوا الحكم فى مرتكب الكبيره انظر التفاصيل فى تاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهره ج ١ ص ١٣٢-١٣٥

(٣) الروض الباسم ج ٢ ص ١٦٢ العواصم/ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٦-٣٧ (كلاهما لابن الوزير) وانظر بعض الشواهد لما ذكره ابن الوزير عن المعترض و شيوخه ، مصباح العلوم ص ١٥-١٩ وانظر شرح الاصول الخمسة ص ١٣٥-١٣٧ - ٦٤٤-٦٤٥ شرح الطحاوية ص ٥٨٩

ان لا يستحق التعظيم ، فتحرم فيها لذلك الصلوات وسائر العبادات ، و تحل جميع المحرمات بالشرعيات ، و يجب فيها استحلال جميع الحرام وترك جميع الواجب[(١)] .

و قول شيوخكم البغدادية إن الله تعالى ليس بسميع ولا بصير ولا مريد حقيقة ، و إنما ذلك مجاز ،

و حقيقته أنه عالم ، و قول البغدادية إنه يقبح عقلا و شرعا العمل بجميع أخبار الثقات من الصحابة والتابعين و أئمة المسلمين ، فليست هذه العقائد من قبيل الإلزام ، بل يذهبون إليها و يناظرون عليها .[(٢)]

و يوالى ابن الوزير تقريعاته الدامغة لرأس المعترض المعتزلي بقوله :

(فإن كانت هذه العقائد و أمثالها من الأباطيل هى التى اختصصتم بها على المحدثين ، وعسر معرفتها على كثير من بُلْه المسلمين فلعمرى إنه لم يصر الى هذه العقائد أحد من المسلمين الا بعد ممارسة علومكم هذه التى سيلت اذهانكم الى هذا الحد ، و خلصتم من عار جمود المحدثين والسلف الصالحين من الصحابة والتابعين .)[(٣)]

٦- إن المحدثين هم أهل العناية بحديث رسول الله - صلى الله عليه و آله و سلم - من أى فرقة كانوا - كالنحاة والمتكلمين ، و هذه صفة شريفة للمحدثين ،فقول المعترض إن الجمود و ترك التأويل مذهب جلة المحدثين ، تعليق للسخرية والنقص بأهل صفة شريفة ، و هذا دليل على أنك متصف بما رميتهم به من البله لأن تعليق الذم على الاوصاف الحميدة تفضيل ، فلا يقول الفطناء متى أرادوا الذم والانتقاص لأحد أنه من بُلْه المؤمنين ، والصالحين و نحو ذلك .[(٤)]

(١) الروض الباسم/ج ٢ ص ١٦٢ وانظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢ و فى هذا إشارة إلى مذهب أبى هاشم الجبائى و أتباعه البهشمية و اسمه عبد السلام بن محمد من معتزلة البصره ، ذكره ابن الوزير فى المرجع نفسه ص ١٢ وانظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٧٨-٧٩

(٢) الروض الباسم ج ٢ ص ١٦٢ وانظر العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٧ وانظر الشواهد لما نسبه ابن الوزير الى المعتزلة فى الإبانة للأشعرى ص ١٦١-١٦٢ و مقالات الاسلاميين له ج ١ ص ٢٤٥-٢٤٦ ، الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٧٨ ، أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسى ص ١٠٥

(٣) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٣ ، العواصم والقواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٨

(٤) الروض ج ٢ ص ١٦٤ ، العواصم ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٨

٧- العجب من المعترض كيف يذمهم ، و هو متحل بفرائد علومهم ، و مرتو من موارد تواليفهم ، و تفسيره للقرآن مشحون برواياتهم و معرفته بالسير والتواريخ مستفادة من أئمتهم .

و ما اقبح بالانسان أن يكون من كفار النّعم ، و أشباه النّعم ، وإن كنت لا بد ساخرا و مستهزئا بهم فهلا استغنيت و أغنيت عنهم ، و أنفت أنفة الأحرار عن الحاجة إليهم

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا (١)

٨- إن جميع أئمة الفنون المبرزين فيها قد شاركوا المحدثين فى عدم ممارسة علم الكلام ، وإن لم يشاركوهم فى كراهية الخوض فيه ، و لكن علة جمودهم ، و رميهم بالبُلَه هى عدم الممارسة ، والممارسة لا تحصل بمجرد الاعتراف بفضيلة العلوم ، فأخبرنا هل مارس علم الكلام جميع أئمة الفقه كمالك والشافعى و احمد و أبى حنيفة و أئمة العربية كالخليل و سيبوية ، والقرآءات والتفسير و سائر أئمة الفنون الاسلامية؟

فان قلت : كل أهل الفنون قد مارس علم الكلام كانت مباهتة ، وإن قلت بعضهم قد مارس فكذلك المحدثون بعضهم قد مارس ، و لم ينفعهم ذلك عندك من جمود الفطنة و داء البُلَه ، فلزم ذلك كل من شاركهم من أئمة العلوم الاسلامية ، و ما أقبح ما يجر إليه هذا الكلام من الكبر الفاحش ، فان الكبر غمط الناس كما ورد فى الصحيح و هذا غمط أئمة الناس و خواصهم ، يشير ابن الوزير الى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم (الكبر بطر الحق و غمط الناس)(٢).

٩- إن التصريح بوصم إمام دار الهجرة انس بن مالك - رضى الله عنه - بجمود الفطنة دليل على أن المعترض جامد الفطنة طويل البطنة ، و كأنه لم يعلم أن الأمة اجمعت على أنه أحد أئمة المسلمين المجتهدين ، و شيخ سنة سيد المرسلين و أنها خضعت بين يديه كراسى العلماء الذى قال فيه الشافعى : اذا ذكر العلماء فمالك النجم ،

و كيف لم يهتد ذهنك السيال إلى أنه عار عليك أن تذم من لا تستفيد بذمه الا كشف الغطاء عن حماقتك و خلع جلباب الحياء عن وجه خلاعتك ، و ما أحسن فى جوابك ما قال حسان رضى الله عنه :

اتهجوه و لست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء (٣).

---

(١) الروض لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٤ ، العواصم ص ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٣٨ وما بعدها .

(٢) مسلم ج ١ كتاب الايمان باب تحريم الكبر ص ٩٣ و بطر الحق بفتح الطاء هو دفعه و إنكاره ترفعا و تجبرا ، وغمط الناس احتقارهم اهـ حاشية مسلم ص ٩٣

(٣) ديوان حسان ص ٩ ط بيروت

١٠- إن أهل الحديث لم يختصوا بترك تأويل آيات الصفات وأحاديث الصفات، والإيمان بمراد الله تعالى فيها، والنهى عن الخوض فى الكلام، بل قد شاركهم فى ذلك وفى بعضه كثير من خواص علماء الكلام المشاهير بصفاء الأذهان، ولطافة الأفهام [1] وقد نقل النووى ذلك عن جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم كما ذكره فى شرح مسلم. وقد سبق ذكره فى مبحث (الاسماء والصفات).

ابن الوزير يستشهد برجوع المشاهير من أهل الكلام عن علم الكلام :

وقد اكثر ابن الوزير من الاستشهاد بكلام المشاهير من علماء الكلام الدال على حيرتهم فيه، ثم حسرتهم، ثم رجوعهم إلى مذهب أهل الأثر الذين وصمهم المعترض المعتزلى بالبَلَه وجمود الفطنة، لعدم قولهم بتأويل آيات الصفات وأحاديثها بل تمنى البعض أن يكون على دين العجائز وسنشير الى مقتطفات من ذلك.

١- كان يحيى بن منصور الحسنى [2] من علماء الكلام على مذهب الزيدية فرجع عن ذلك، وكان ينهى عنه، وله فى ذلك أشعار حسنه منها قوله :

وما الذى ألجأهم الى الخطر ... والخوض فى علم الكلام والنظر

وما يقال للمخطى كفر

وقوله:

ويرون ذلك مذهبا مستعظما ... عن طول أنظار وحسن تفكر

ما ظنهم بالمصطفى فى تركه ... ما استنبطوه ونهيه المتقرر؟

أيكون فى دين النبى وصحبه ... نقص فكيف به ولمّا يشعر؟

أوليس كان المصطفى بتمامه ... وبيانه أولى فلِمْ لَمْ يخبر؟

ما باله حتى السواك أبانه ... وقواعد الاسلام لم تتقرر؟

إن كان رب العرش أكمل دينه ... فاعجب لمبطن قوله والمظهر

ما كان أحمد بعد منع كاتما ... لهداية كلا ورب المشعر

بل كان ينكر كل قول حادث ... حتى الممات فلا تشك وتمتر [3]

٢- قول الجوينى [4] ابى المعالى ٤٧٨هـ: (لقد جربت أهل الاسلام وعلومهم،

---

(١) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٥-١٦٦ والعواصم والقواصم له ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٠

(٢) لم اقف له على ترجمة ويلتقى نسبه فى الجد الرابع لابن الوزير فهو من آل الوزير

(٣) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٦٦-١٦٧ والترجيح له ص ٣٣ والبرهان القاطع له ايضا ص ٥٦

(٤) عبد الملك بن عبد الله يوسف الشافعى الأشعرى المعروف بامام الحرمين فقيه اصولى متكلم مفسر أديب جاور بمكة المكرمة وتوفى بنيسابور انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٥ ص ١٦٥ ومعجم المؤلفين لعمر كحاله ج ٦ ص ١٨٤

وركبت البحر الأعظم ، وغصت فى الذى نهوا عنه ، كل ذلك فى طلب الحق ، والهرب من التقليد ، والآن قد رجعت عن الكل الى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز ، فان لم يدركنى الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ، ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص ، فويل لابن الجوينى .)

وكان يقول لأصحابه : (لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ، ما تشاغلت به) .[1]

وقال فى النظامية بعد أن ذكر الخلاف فى التأويل : (والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقلا اتّباع سلف الأمة فالأولى الاتباع وترك الابتداع ...)[2]

وقد ذكر توبة الجوينى شيخ الاسلام ابن تيمية بنحو ما ذكره ابن الوزير وفيها : وها أنا أموت على عقيدة أمى ، وروى على عقيدة عجائز نيسابور ، وعلق على ذلك بقوله : (ولهذا يقول مثل هؤلاء : عليكم بدين العجائز ، فإن تلك العقيدة الفطرية التى للعجائز ، خير من هذه الأباطيل ، التى هى من شعب الكفر والنفاق ، وهم يجعلونها من باب التحقيق والتدقيق) .[3]

٣- قول أبى حامد الغزالى ٥٠٥هـ وقد ذكر الكلام والخلاف فيه : (فاسمع هذا من خبر الكلام ، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، والتغلغل فيه الى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك ... وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود .)[4] وفى موضع آخر قال : (وإذا تركنا المداهنة لصرحنا بان الخوض فى هذا العلم حرام ، لكثرة الآفة فيه) .[5]

---

(١) العواصم والقواصم خ لابن الوزير جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ وانظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٨٤-٨٥ وصون المنطق للسيوطى ٩١١هـ ص ١٨٣-١٨٤ علق عليه على سامى النشار ط بيروت والكواشف الجليه لعبد العزيز السلمان ص ٣٠٦

(٢) العقيدة النظامية فى الاركان الاسلامية لابى المعالى الجوينى ص ٣٢-٣٣

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية جـ ١ ص ١٢٢ وانظر التنكيل لعبد الرحمن المعلمى اليمانى جـ٢ ص ٢٣٢ ط باكستان ١٤٠١هـ

(٤) احياء علوم الدين للغزالى جـ ١ ص ٩٧ وانظر الروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٦٦

(٥) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للغزالى الذى سماه ابن الوزير التفرقة ص ٩٠ تحقيق استاذنا الدكتور سليمان دنيا ط الحلبى أولى ١٣٨١هـ وانظر الروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٦٦

٤- قول ابى الوفا ابن عقيل ٥١٣ هـ(1) لبعض أصحابه : (أنا أقطع أن الصحابة ماتوا و ما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن تكون مثلهم فكن ، و إن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى ، فبئس ما رأيت، . . . و قد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك ،وببعضهم الى الإلحاد ، تشم روائحه من فلتات كلامهم . . . و لقد بالغت فى الأصول طول عمرى ثم رجعت القهقرى إلى مذهب المكتب) .(2)

٥- و قول الشهرستانى ٥٤٨ هـ فى أول نهايته يصف حاله فيما وصل اليه من علم الكلام :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها و سيّرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الآ واضعا كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم

ثم قال : (عليكم بدين العجائز ، فانه أسنى الجوائز)(3)

٦- و ما ذكره ابن الوزير عن ابن الجوزى ٥٩٧ هـ بعد المبالغة فى ذم الكلام عن السلف قوله :

(و قد نقل الينا إقلاع متقدمى(4) المتكلمين عما كانوا عليه ، لما رأوا من قبح غوائله) و روى بسنده أن الوليد بن أبان الكرابيسى(5) لما حضرته الوفاة قال لبنيه : (تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى ؟ قالوا : لا ، قال : فتتهموننى ؟ قالوا : لا ، قال : فانى أوصيكم ، أتقبلون؟ قالوا نعم قال : عليكم بما عليه اصحاب الحديث ، فانى رأيت الحق معهم) .(6)

٧- و قال الفخر الرازى (٦٠٦ هـ)

العلم للرحمن جل جلاله و سواه فى جهلاته يتغمغم

و قال أيضا :

نهاية إقدام العقول عقال و أكثر سعى العالمين ضلال

(1) هو علي بن عقيل بن محمد البغدادى الحنبلي فقيه أصولى متكلم واعظ ولد ببغداد من مؤلفاته (الفنون) و (الواضح في اصول الفقه). طبقات الحنابله جـ ٣ ص ١٤٢ ، و معجم المؤلفين لعمر كحالة جـ ٧ ص ١٧٢ وانظر تفاصيل كلام ابى الوفاء هذا فى درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية جـ ٨ ص ٦٠ وما بعدها تحقيق محمد رشاد سالم طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(2) العواصم والقواصم خ لابن الوزير جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ وانظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٨٤-٨٥ و ذيل طبقات الحنابلة لعبد الرحمن بن شهاب الحنبلى ، جـ ٣ ص ١٥٢ رقم الترجمة ٦٦ ط بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر.

(3) نهاية الأقدام فى علم الكلام للشهرستانى ص ٣-٤ وانظر العواصم لابن الوزير جـ٢ وهم ١٥

(4) فى تلبيس ابليس لابن الجوزى ، إقلاع منطقى المتكلمين.

(5) نسبة الى بيع الكرابيس وهى الثياب و هو من معتزلة البصرة له مقالات فى تقوية مذهب الاعتزال ت ٢١٤ هـ الاعلام للزركلى جـ ٨ ص ١١٩

(6) تلبيس إبليس لابن الجوزى ص ٨٤

و زاد ابن تيمية نقلا عن الرازى :

و أرواحنا فى وحشة من جسومنا   وغاية دنيانا أذى و وبال
ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل و قال

و قال الرازى أيضا فى وصيته (... ولقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم ، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية ، لله تعالى ، و يمنع من التعمق فى إيراد المعارضات، والمناقضات، و ما ذلك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى و تضمحل ، فى تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية)(١)

و ذكر فيها أنه يدين الله - عزوجل - بدين محمد - صلى الله عليه و سلم - و سأل الله أن يقبل منه هذه الجملة ، ولا يطالبه بالتفصيل ، و هى وصية طويلة تصور مدى حسرته على ما فات كما تدل على صدق توبته (٢) ان شاء الله تعالى .

و ذكر ابن تيمية نحو هذا ، وعقب عليه بقوله : (ومثل هذا كثير عن هؤلاء أئمة هذه المقاله ... يعترفون بعدم العلم بها و يرجعون الى ما عليه أهل الفطرة و ما عليه أهل الظاهر الحشوية عندهم)(٣)

و قد اسند ابن القيم كلام الرازى هذا الى (أقسام اللذات) الذى صنفه فى

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٨-٣٤٩ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٨ والبرهان القاطع له ص ٣٥ وانظر النبوات لابن تيمية ص ٨٤ و مجموع الفتاوى له ج ٥ ص ١٠-١١ و بيان تلبيس الجهمية له ايضا ج ١ ص ١٢٢-١٢٣ و الكواشف الجليه عن معانى الواسطية لعبد العزيز المحمد السلمان ص ٣٠٥

(٢) راجع الوصية بطولها فى العواصم لابن الوزير الجزء والصفحات السابقات

(٣) بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ١٢٩ والحشوية كما ذكر ابن الوزير ، إنما سموا بذلك لانهم يحشون الأحاديث التى لا أصل لها فى الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم - اى يُدخلونها فيها و ليست منها انظر التفاصيل فى الروض الباسم له ج ١ ص ١١٢ فى معرض ذبه عن المحدثين الذين وصفهم خصمه الزيدى بأنهم حشوية لاثباتهم الصفات.

و اول من تكلم فى الاسلام بلفظ الحشوية عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء رئيس المعتزله لما ذكر له عن ابن عمر رضى الله عنهما - شئ يخالف قوله ، فقال : كان ابن عمر حشويا نسبه الى الحشو ، وهم العامة والجمهور و كذلك تسميهم الفلاسفة والمعتزلة تعنى بذلك من أثبت الصفات والقدر ، والقرامطه تعنى بذلك من اعتقد صحة ظاهر الشريعة ، و قال بوجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج ، و تحريم الفواحش والمظالم والشرك و نحو ذلك . انظر التفاصيل فى بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ٢٤٤-٢٤٥ وانظر البرهان فى اصول الفقه للجوينى امام الحرمين ج ١ ص ١١٧ حيث اسند الحشو الى الحنابلة لكنه تقرر رجوعه الى مذهب السلف فى آخر عمره كما سبق .

آخر عمره كما ذكر، و وصفه ابن القيم بأنه كتاب مفيد ، و أنه ختمه بهذا الكلام [١] و قد بحثت عنه ولم اجده .

و قال الحافظ ابن حجر ٨٥٢هـ بعد ان ذكر عقيدته و منهجه الكلامي : (وأوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده) [٢]

كما ذكر هذه الوصية عبد الرحمن المعلمي اليماني (١٣٨٦هـ) [٣]

٨- و قال ابن ابى الحديد [٤] (٦٥٥هـ) :

سافرت فيك العقول فما	ربحت الآ عنا السفر
رجعت حسرى و ما وقفت	لا على عين ولا أثر

و قال ايضا :

طلبتك جاهدا خمسين عاما	فلم أحصل على برد اليقين
فهل بعد المماتبك اتصال	فأعلم غامض السر المصون [٥]

٩- و قال العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) : (وما أشد طمع الناس فى معرفة ما لم يضع الله على معرفته سببا ، كلما نظروا فيه و حرصوا عليه ازدادوا حيرة ، فالحزم الإضراب عنه ، كما فعل السلف الصالح ، والبصائر كالأبصار ، فمن حرص أن يرى ببصره ما وارته الجبال ، لم ينفعه إطالة تحديقه مع قيام الساتر ، و كذلك تحديق البصائر الى ما غيبه الله عنها و ستره بالأوهام والظنون ، والاعتقادات الفاسدة ، كم من اعتقاد جزم المرء به ، و بالغ فى الانكار على مخالفة ثم تبين له خطؤه و قبحه بعد الجزم بصوابه و حسنه) [٦]

١٠- ومن ذلك قول الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد القشيرى (٧٠٢هـ) :

---

(١) انظر اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ١٩٤-١٩٥ ط اولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ

(٢) لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ج ٤ ص ٤٢٩ صورة عن الطبعة الهندية الناشر مؤسسة الاعلمى بيروت ط الثانية ١٣٩٠هـ

(٣) انظر التنكيل لعبد الرحمن المعلمى ج ٢ ص ٢٣٦

(٤) هبة الله بن محمد المدائنى الاديب الشاعر الشيعى الغالى انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٩٩ (وابن الوزير نسبه الى الاعتزال كما فى ص ٢٨ فيحتمل على انه جمع بينهما .

(٥) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٧ والترجيح له ايضا ص ١٣١ و قد بحثت بحثا شديدا عن مصدر هذه الابيات فى مصنفات ابن ابى الحديد فلم اعثر على ذلك .

(٦) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٩ وانظر النص بلفظه فى قواعد الاحكام لابن عبد السلام ج ١ ص ١٦ ط بيروت .

تجاوزت حدا لأكثرين الى العلاء وسا فرت واستبقيتهم فى المفاوز
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفسى فى قسيم المفاوز
ولججت فى الأفكار ثم تراجع اخـ ـتيارى الى استحسان دين العجائز[1]

١١- وكان الامام المؤيد بالله (٧٤٩هـ)[2] ينهى عن علم الكلام، ويحث على الفقه وهو كما وصفه ابن الوزير - أجل علماء الزيدية وشيوخ علم النظر[3]، وكل هؤلاء من أمراء المعقول، وفرسان المشكلات، وما تركته من كلام ابن الوزير أكثر مما دونته بالنسبة لهؤلاء الأعلام الذين استشهد ابن الوزير برجوعهم عن الكلام والتأويل لآيات الصفات وأحاديثها.

التفريع الحادى عشر - إذا عرفت هذا أيها المعترض، تبين لك أن اختيار أهل الحديث لترك الكلام، والتأويل، ليس يلازمه البَلَه، وجمود الفطنة، وأنه ربما ذهب إلى ذلك من هو ألطف منك طبعا، وأحسن فهما، وأغزر علما.

وإنما يلازمهم البله وجمود الفطنة لو كانوا قد بذلوا جهدهم فى تفهم علم الكلام وتعلم أساليب الجدال، فكلّ منهم الحدّ ولم يساعدهم الجد، وليس الأمر كذلك، فانهم تركوه لما ورد فى القرآن الكريم من الأمر بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يقتضى الإقتداء فى فعل ما كان يفعله، وترك ما كان يتركه.

ولما ورد فى الحديث من النهى عن البدع كقوله - عليه الصلاة والسلام - (..وكل بدعة ضلالة)[4]

ولقوله - صلى الله عليه وسلم - (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

وفى رواية: (من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد)[5]

ولما ورد من الامر بالاقتداء بالخلفاء الراشدين لحديث العرباض بن سارية

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ ج ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٨ وانظر الكواشف الجليه للسلمان ص ٣٠٦

(٢) يحيى بن حمزة من عظماء حكام اليمن ولد بصنعاء ٦٦٩هـ حفظ القرآن واشتغل بالمعارف الاسلامية برز فى بلاد صعده وبلاد الشرق وحارب الإسماعيلية فى همدان ولما طال القتال ملّ الناس وانزاح الفريقان الى الصلح فاشتغل بالتأليف حتى توفى كذا فى حكام اليمن للحبشى ص ١٣٣

(٣) انظر ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٣٢ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٦٦

(٤) مسلم ج ٢ كتاب الجمعه باب تخفيف الصلاة والخطبه ص ٥٩٣

(٥) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها البخارى ج ٣ كتاب البيوع باب النجش ص ٢٤ كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا ...ص ١٦٧ ومسلم ج ٣ كتاب الأقضية باب نقض الاحكام الباطله ص ١٣٤٣ وسنن ابن ماجه ج ١ - المقدمة ص ٧ وسنن ابى داود مع عون المعبود كتاب السنة ص ٣٥٨

- رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه و سلم - و فيه (عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد ، و إياكم و محدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، و كل بدعة ضلالة)(١)

و لما رواه الترمذى(٢) و غيره مرفوعا : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) .

و لما فى الصحيحين مرفوعا ايضا : (إن أبغض الرجال الى الله تعالى الألد الخصم)(٣) و يستشهد ابن الوزير على ما يذهب اليه من أن اختيار أهل الحديث لترك الكلام والجدال ليس من البله و جمود الفطنة ، بل للنهى الثابت عندهم بما قرره القرطبى أثناء شرحه لهذا الحديث إذ يقول :

(وهذا الخصم المبغوض عند الله هو الذى يقصد بخصومته مدافعة الحق و رده بالأوجه الفاسدة ، و الشبه الموهمة، و أشد ذلك الخصومة فى أصول الدين كخصومة اكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التى أرشد إليها كتاب الله - عز وجل - و سنة رسوله - صلى الله عليه و سلم - و سلف أمته ، إلى طرق مبتدعة و اصطلاحات مخترعة ، و قوانين جدلية ، و أمور صناعية ، مدار أكثرها على مباحث سوفسطائية(٤) و مناقشات لفظية ترد بسببها شبه على الآخذ فيها ربما يعجز عنها سالكها ، و شكوك يذهب الايمان معها ، و أحسنهم انفصالا عنها أجدلهم لا أعلمهم ، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها ، و كم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها . (٥)

ثم ان هؤلاء المتكلمين قد ارتكبوا انواعا من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال ، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والأكوان والأحوال لأنهم(٦) اخذوا يبحثون فيما أمسك عن البحث فيه السلف الصالح ، ولم يؤخذ عنهم فيه بحث واضح(٧) ، و هو كيفية تعلقات صفات الله ،

---

(١) سنن ابى داود مع عون المعبود جـ ١٢ كتاب السنة باب لزوم السنة ص ٣٦٠ سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ٧ كتاب العلم باب فى لزوم السنة ص ٤٣٨-٤٤١ و قال الترمذى : حسن صحيح سنن ابن ماجه جـ ١ ، المقدمة ص ١٥-١٦

(٢) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى جـ ٩ تفسير سورة الزخرف ص ١٣٠ و قال هذا حديث حسن صحيح و مقدمة ابن ماجه ص ١٩ و مسند احمد جـ ٥ ص ٢٥٢

(٣) البخارى جـ ٨ كتاب الاحكام باب الالد الخصم ص ١١٧ جـ ٥ كتاب التفسير سورة البقرة باب ثم افيضوا ص ١٥٩ والخصم الشديد اللد والكثير الخصومه ا هـ فتح البارى جـ ٨ ص ١٨٨ و مسلم جـ ٤ كتاب العلم باب فى الالد الخصم ص ٢٠٥٤ عن عائشة رضى الله عنها .

(٤) فى الاصل (أو منافسات) والسوفسطائية هم المنكرون للحقائق انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٥٤ حيث صنفهم من الكفرة.

(٥) هذه العبارة لا يتفق معناها مع ما معها وهى بهذ اللفظ فى عدة مراجع.

(٦) فى المفهم : ثم إنهم

(٧) حقه ان يزيد : (ولا غامض)

وتعديدها واتحادها فى أنفسها ، وأنها هى الذات أو غيرها - بل أُمرنا بالكف عن ذلك ، لأنه من علم الغيب[1] - إلى غير ذلك من الأبحاث المبتدعة التى لم يأمر صاحب الشرع بالبحث عنها ، وسكت اصحابه ومن سلك سبيلهم عن الخوض فيها ، لعلمهم أنها بحث عن كيفية ما لم يعلم كيفيته ، فإن العقول لها حد تقف عنده ، وهو العجز عن التكييف لا تتعداه ، ولا فرق بين البحث فى كيفية الذات وكيفية الصفات ، ولذلك قال العليم الخبير: (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)[2] . . . وإذا عجزت عن إدراك كيفية ما بين جنبيك فانت عن إدراك ما ليس كذلك أعجز ،

وغاية علم العلماء ، وإدراك عقول العقلاء أن يقطعوا بوجود فاعل لهذه المصنوعات ، منزه عن صفاتها ، مقدس عن مشابهتها موصوف بصفات الكمال اللائق به .

ثم مهما أخبرنا الصادقون عنه بشىء من أوصافه ، وأسمائه قبلناه ، واعتقدناه ، وما لم يتعرضوا له سكتنا عنه ، وتركنا الخوض فيه ، هذه طريقة السلف وما سواها مهاوٍ وتلف)[3]

ومن ذم الكلام والجدال والمقدرات الذهنية الامام ابن القيم بقوله بعد أن أشاد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم: (ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار ، وسوانح الخواطر والآراء علما ، ووضعوا فيها الكتب ، وانفقوا فيها الأنفاس ، فضيعوا فيها الزمان ، وملأوا بها الصحف مدادا والقلوب سوادا حتى صرّح كثير منهم أنه ليس فى القرآن والسنة علم ، وأن ادلتهما لفظية لا تفيد يقينا ولا علما . . .)[4]

تعليق ابن الوزير على كلام القرطبى

يظهر من السياق أن ابن الوزير يذهب الى كلام القرطبى هنا ، لأنه عقب عليه بقوله :

(والقصد بإيراد هذا الكلام أن يظهر لك ان القوم لم يتركوا علم الكلام لدقته

---

(١) هذه جملة تفسيرية ليست من النص وهى ما بين الشرطتين مأخوذة من هامش الروض
(٢) سورة الشورى : ١١
(٣) الروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٧٠-١٧١ العواصم والقواصم له جـ ٢ وهم ١٥ ورقة ٤٨ وقد عثرت على كلام القرطبى بعد البحث الشديد لأنى كنت اظنه صاحب التفسير وليس كذلك وقد قابلت ما نقله ابن الوزير فوجدت فيه اختصارا بسيطا لا يخل بالمعنى وانظر النص فى المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم لابى العباس احمد بن الشيخ صالح ابى حفص عمر بن ابراهيم الانصارى القرطبى ت ٦٥٦ هـ ، جـ ٤ كتاب العلم باب فى الألد الخصم ورقة ٢٢٣ يوجد فى المكتبة المركزية بجامعة أم القرى قسم المخطوطات رقم ٢٨٠٨ مصور عن دار المأمون للتراث بدمشق وانظر فتح البارى لابن حجر جـ ١٣ ص ٣٤٩-٣٥٠
(٤) الفوائد لابن القيم ص ١٠٤ ط الثانية بيروت ١٣٩٣ هـ

و غموضه ، و إنما تركوه لما نصوا عليه من ثبوت النهى عنه عند هم ، و كونه غير مفيد اليقين فى الخفيات ولا يحتاج اليه فى الجليات»[1] كما ذكر أنه قد خاض فى علم الكلام غير واحد من المحدثين كشيخ الاسلام ابن تيمية ،[2] والشيخ تقى الدين فبلغوا فى التدقيق وراء مدارك الفطناء من أئمة الكلام ، يعرف ذلك من اطلع على كتبهم ، كما ردوا على المتكلمين ، و دققوا مع المدققين ، ولا سيما ابن تيمية فكان إليه المنتهى فى العلوم العقلية والسمعية باتفاق المختلفين ، ولذلك سارت بمؤلفاته الركبان إلى جميع البلدان و هى قدر ثلثمأة مجلد أوأكثر فانظر فى كلامه نظر إنصاف ولا تنظر إلى من قال بل إلى ما قال ، وإياك و تقليد الرجال.[3]

و إنما أول القرطبى النهى عن الجدال لأن الموجب لتاويله نص القرآن الكريم فى قوله تعالى : (و جادلهم بالتى هى أحسن)[4] و قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام :(يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا)[5] و نحو ذلك ،

و مهما قال القوم عن علم الكلام فان فيه مكروها و جائزا ، و إنما المكروه منه نوعان :

أحدهما : المراد به اللجاج الذى يعرف صاحبه أنه غير مفيد ، و ربما عرف أنه مثير للشر.

والفرق بينه و بين الجدال بالتى هى أحسن ، أن يكون المجادل بالتى هى أحسن ، قاصدا لإيضاح الحق ، أو طامعا فى اتباع خصمه له ، فمن ظن أن خصمه لا يقبل ،ولم يكن له مقصدا الا غلبة الخصم فقد صار ممار يا ، و داخلا فى المنهى عنه.

وثانيهما : أن ينتصر للحق بالخوض فى أمور يستلزم الخوض فيها الشكوك والحيرة والبدعة ولا يقتصر فى الانتصار للحق على أساليب القرآن والأنبياء -عليهم السلام - والسلف الصالح رضى الله عنهم.

و إنما كُره الانتصار للحق بتلك الطريقة لما أشار اليه كثير من محققى علماء الكلام ، من أنها خوض فى محارات العقول و بحث فى غوامض تلتبس العلوم فيها بالظنون ، و سير فى متوعرات مسالك تزل فيها أقدام الحلوم.

و ذلك كالنظر فى ذات الله و صفاته ، فمن دقق فى ذلك خيف عليه لأن هذا مما لا

---

(١) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٧١
(٢) راجع سبب خوض شيخ الاسلام ابن تيمية فى علم الكلام فى أواخر مبحث الأسماء والصفات من هذه الرسالة.
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٢ وهم ١٦ ورقة ١٢١
(٤) سورة النحل : جزء من آية : ١٢٥
(٥) سورة هود : جزء من آية : ٣٢
(٦) الروض الباسم ج ٢ ص ١٧١

طريق الى معرفة كيفيته و قد قيل من نظر فى الخالق ألحد ، و من نظر فى المخلوق وحد[1]
و قد سبق ذكر الأدلة على النهى عن ذلك.

ألا ترى أن المتكلمين قد خاضوا فى الروح مع قول الله تعالى : (و يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى و ما اوتيتم من العلم الا قليلا)[2] مع عدم الحاجة إلى الخوض فيه ، لأن معرفته غير واجبة كمعرفة الله تعالى .

و قد حاولوا تأويل الآية ليتنزهوا عن دعوى ما لا يعلمونه ، فجمعوا بين خطر تأويل القرآن بغير قاطع ، و لغير موجب ، و بين خطر دعوى علم ما لم يثبت على دعواه برهان قاطع ، و قد قال الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)[3] .

فهذا و امثاله هو الذى كره أهل الحديث الخوض فيه ، رغبة فى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بأصحابه والتابعين لهم رضى الله عنهم ، و إمساكا عن التهور فى مهاوى دعاوى العلوم فى مواضع الظنون ، لا لما وصمهم به المعترض من البله و جمود الفطنة [4] قال ابن تيمية: (والسلف اذا ذموا أهل الكلام ، و قالوا : علماء الكلام زنادقة و ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح ، فلم يريدوا به مطلق الكلام ، و إنما هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم فى الدين بغير طريقة المسلمين.)[5] كما اشار الى الفرق بين منهج المتقدمين من أهل الكلام و متأخريهم، بان المتقدمين يخلطون بأصول من الكتاب والسنة بخلاف أكثر متأخريهم، فانهم لم يذكروا إلا الأصول المبتدعة وأعرضوا عن الكتاب والسنة، و جعلوهما إما فرعين أو آمنوا بهما مجملا أو خرج بهم الأمر الى نوع من الزندقة.[6]
هذا ولما طلب أحد طلاب العلم من ابن الوزير ان يدرس عليه بعض كتب المنطق أجابه بقصيدة نختار منها ما يلى :

قليت ذا العلم من بعد الرسوخ به	و اعتضت بالذكر منه غير مغبون
ما فيه إلا عبارات مزخرفة	أتى بهن ابن حزم فى التباين
كم من فتى منطقى الذهن ما خطرت	بالبال منه اصطلاحات القوانين
و كم فتى منطقى كافر نجس	كالكلب بل هو شر منه فى الهون[7]

---

(١) ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير : ٩٦
(٢) سورة الاسراء : ٨٥
(٣) سورة الاسراء : ٣٦
(٤) الروض الباسم لابن الوزير ج ٢ ص ١٧١-١٧٢
(٥) مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٤٦٠-٤٦١
(٦) مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٣٦٦-٣٦٧ وانظر درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٤٤-٤٦
(٧) قد سبق ابن تيمية لمعنى هذين البيتين بأوجز عبارة هى : (ان المنطق اليونانى لا يحتاج اليه الذكى ولا ينتفع به البليد .) الرد على المنطقيين ص ٣

يرى وساوس اهل الكفر منقبـــة ... فهما و يسخر من طـــه و يـــس
كذلك الرسل لم يعنوا بذاك الــى ... محمد من سليل الماء والطـــين
بل اكتفوا بالنى فى العقل مع نظر ... سهل بغير شيوخ كالأســاطــين
مع اعتراض شياطين الخصوم لهـم ... و شهرة الطعن فى كل الأحايــين
و ربما كان فى التدقيق مفســدة ... للقلب أو لافتراق الناس فى الدين
مثل الغلو بأفعال الجوارح كالــ ... ـوصال والاختصا خوفا من العين
والله اعلم والرسل الأكا رم مـــن ... شيوخ جبة قطعا غير تخمـــين

و مما قال ايضا فى هذا المعنى :

منطق الأولياء والأديــــان ... منطــق الانبياء والقــرآن
ولأهل اللجاج عند التمادى ... منطق الاذكيـــاء واليـــونان
فاذا ما جمعت علم الفريقــ ... ـين فكن مائلا الى الفــرقان
و اذا ما اكتفيت يوما بعلم ... كان علم المحدث الربانى
إن علم الحديث علم رجال ... ورثوا هدى ناسخ الأديان
جمعوا طرق ما تواتر عنه ... ورووا بعده صحيح المبانى
و رووا بعده حسان الأحاديــ ... ـث ووهوا ما دون شرط الحسان
و أبانوا نقد الرواة بيانا ... يكشف الغامضات للعميان
فانظروا فى مصنف ابن عدى ... وكتاب التكميل والميزان
تعلموا أنهم قد اعتمدوا النصـ ... ـح و صححوا من علة الأذهان
و استدلوا بالمسندات العوالى ... فى تفاريع دينهم والمبانى
عملا بالمظنون منها و قطعا ... باعتقاد المعلوم فى الأديان
فاذا جئتهم تريدن أمرا ... شمت هدى المبعوث من عدنان
قد رضوا ما رماهم منطقى ... بهدى أهل بيعة الرضوان
فلقاهم عندى أجل الأمانى ... و هواهم علامة الايمان (١)

هذا و مما يجلب على علم الكلام الذم أن يخوض فيه من لا يحسنه ، و لذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (... و قال بعض الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، و نصف متفقه ، و نصف متطبب ، و نصف نحوى ، هذا يفسد الأديان ، و هذا يفسد البلدان و هذا يفسد الأبدان و هذا يفسد اللسان)(٢)

---

(١) الترجيح لابن الوزير ص ٤١-٤٢ الروض الباسم جـ ٢ ص ٢٩٠ - العواصم جـ ٢ ورقة ١٥٦
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٥ ص ١١٨-١١٩

الفصل الخامس

آراء ابن الوزير فى الامامة والسياسة

وفيه المباحث الآتية :

تمهيد : وفيه معنى الامامة والسياسة وطريقة الاختيار

المبحث الأول : إمامة الجائر والخروج عليه مع ابن الوزير وخصومه

المبحث الثانى : حكم الولاية ـ فى نظر ابن الوزير ـ لأئمة الجور

" " تعليق على المسألة وتحقيقها .

تمهيـــد وفيه :

معـنى الامامـــة والسياســـة

الإمامة فى اللغة : التقدم ، وفى الاصطلاح رياسة عامة فى الدين والدنيا خلافـــة عن النبى صلى الله عليه وسلم باستحقاق شرعى لرجل ، لا يكون فوق يده يد مخلوق .

والإمامة العظمى بمعنى الخلافة ، لأن الخليفة كان يسمى إماما ، ولأن الناس يسيرون وراءه ، كما يصلون وراء من يؤمهم فى الصلاة .

والسياسة مأخوذة من سست الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها ، وفلان مجـــرب ، قد ساس ، وسيس عليه : أدّب وأدّب ، وسُوّس الرجل أمور الناس اذا ملك أمرهم .

والسياسة : القيام على الشئ بما يصلحه [1] ومنه حديث (كانت بنوا إسرائيـــل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى) [2] أى يتولى أمورهم ، كما تفعل الأمـــراء والولاة بالرعية .

وقد قسم ابن خَلدون الملك الى ثلاثة أقسام : ملك طبيعى ، وملك سيـــاسى ، وملك نبوى فقال : (إن الملك الطبيعى : هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة

والسياسى : هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى ، فى جلب المصالح الدنيوية ، ودفع المضار .

والخلافة - أى الملك النبوى - هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى ، فـــى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع ، الى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حـــراسة الدين ، وسياسة الدنيا به.) [3]

والكلام فى السياسة يتهيب منه كثير من العلماء والباحثين المعاصرين وغيرهـــم والكتاب والسنة مشحونتان بها، فسورة الانفال والتوبة من أولهما الى اخرهما سياســـة ،

---

(1) القاموس للفيروزآبادى ج ٢ ص ٢٢٢ الصحاح للجوهرى ج ٣ ص ٩٣٨ ، النهاية لابن الاثير ج ٢ ص ٤٢١ تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهره ج ١ ص ٢٠ شرح الاصول الخمسة لعبد الجبار ص ٧٥٠ العصمه من الضلال للجلال ص ٢٥

(2) البخارى ج ٤ كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بنى اسرائيل ص ١٤٤ مسلم ج ٣ كتاب الإماره باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ص ١٤٧١ مسند احمد ج ٣ ص ٢٩٧

(3) مقدمة ابن خَلدون ص ١٩١ وانظر شرح مسلم للنووى ج ٢ ص ٢٣١ تاريخ الاســـلام السياسى ج ١ ص ٤٣٨ لحسن إبراهيم حسن

فيلزم على قول من يترك الكلام فى السياسة حذفهما،فنحن نتقيد بكلام الله تعالى و كلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، و كلام السلف الصالح،و ما لنا و للسياسة المعاصرة الثورية فذلك ما لا نعتقده ، لما تجر من الويلات والنكبات العامة والخاصة كما سيأتى بيانه ، فتأمل موقع الكلام،و قد صنف فى السياسة كثير من العلماء منهم الماوردى ٤٥٠هـ من الشافعية (الاحكام السلطانية) والقاضى ابو يعلى الحنبلى ٤٥٨هـ صنف كتابا بهذا العنوان ، و شيخ الاسلام ٧٢٨هـ و تلميذه ابن القيم ٧٥١هـ، فالأول صنف (السياسة الشرعية بين الراعى والرعية) والثانى صنف (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) و غيرهم كثير ، والذى يهمنا إبراز رأى ابن الوزير فى هذه المسألة مع مقارنته بغيره

أهميــة الإمامــة

لا شك أن الحياة البشرية لا تتأتى إلا بالاجتماع ، و هذا يدعو -بالضرورة- إلى المعاملات وسائر قضاء الحاجات، ولابد أن تمتد الأيدى لأخذ حاجاتها ، ولو من يد الغير،لما فى الطبيعة البشرية من الحيوانية ، فيحصل الظلم والعدوان بين الناس، و دفاع الانسان عن نفسه وعما فى يده وعرضه من طبيعة البشر، و هذا يؤدى الى التنازع المؤدى الى القتال ، و سفك الدماء ، و إزهاق الأرواح المؤدى،الى إهلاك الحرث والنسل ، و هذا مما اوجب الاسلام الحفاظ عليه .

ثم إن إقامة الجمع والجماعات، و جمع الزكوات من الاغنياء لترد على الفقراء والفصل بين الناس فى الخصومات وإقامة حدود الشريعة ، و حماية الثغور من اعداء الاسلام ، كل هذا وغيره مما يقيم المدنية التى حث الاسلام عليها ، لا يمكن إلا بنصب إمام يقوم بهذه الأمور الهامة و غيرها من مصالح المسلمين، تتوفر فيه الشروط على حسب ما سياتى من البيان، و لكن ما هى الطريقة فى نصب إمام يقوم بهذه المهمة؟ (1)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

الطريقــة فى اختــيار الامام

من المعلوم أن الخلافات معظمها تدور حول الامامة ، و هى السبب فى تفريق وحدة المسلمين ، قديما و حديثا، و لما للأمامة من الأهمية ، والمصالح العامة ، بدأ بها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، قبل تجهيز النبى -عليه الصلاة والسلام و دفنه ، الا أنهم

---

(1) انظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون ص ١٨٧ وما بعدها و تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ج ١ ص ٨٥ وما بعدها .

اختلفوا فى وجهات النظر يوم السقيفة المشهور فى التاريخ . (١)

١- فمن قائل : إنها ترجع لرأى الأمة فى اختيار الامام القادر ، على حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، لا فرق بين قرشى وغيره، وهذا هو رأى أغلب الأنصار - رضوان الله عليهم - اذ أرادوا سعد بن عبادة ، وتبعهم جمهور المعتزلة والخوارج لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى ذو زبيتين) هذا لفظ البخارى وفى رواية اخرى عن انس : (كأن رأسه زبيبة)(٢)

ولفظ مسلم من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال : (إن خليلى أُوصانى أن أسمع وأُطيع ، وإن كان عبدا مجدع الأطراف)(٣)

٢- ومن قائل : هى باختيار الأمة أُيضا ، ولكن لا تكون إلا فى قريش ، وهذا رأى أغلبية المهاجرين - رضوان الله عليهم - وتبعهم عامة اهل السنة ، وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل لحديث ابن عمر مرفوعا : (لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان) .

هذا لفظ البخارى ، ولفظ مسلم : (ما بقى من الناس اثنان)(٤)

ولحديث : (الأئمة فى من قريش ما إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا)(٥)

٣- ومن قائل : إن الاولى بها قرابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى مقدمتهم على بن ابى طالب رضى الله عنه لسابقته بالاسلام ، وحسن بلائه فيه ، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم - له لما خلفه على أهله فى غزوة تبوك : (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أُنه لا نبى بعدى)(٦)

---

(١) انظر التفاصيل فى السيرة النبوية ابن هشام جـ ٢ ص ٦٥٦ وما بعدها والسيرة النبوية لابن كثير جـ ٤ ص ٤٨٦ وما بعدها تحقيق مصطفى عبد الواحد بيروت ١٣٩٥ هـ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٢٨٥-٢٨٩ بيروت وفتح البارى جـ ٧ ص ٣٢ والصواعق لابن حجر المكى ص ١٠-١٢

(٢) البخارى جـ ١ كتاب الأذان باب إمامة العبد ص ١٧٠ جـ ٨ كتاب الأُحكام باب السمع والطاعة للامام ١٠٥

(٣) مسلم جـ ٣ كتاب الامارة باب وجوب طاعة الامراء ص ١٤٦٧

(٤) متفق عليه البخارى جـ ٨ كتاب الاحكام باب الأمراء من قريش ص ١٠٥ ومسلم جـ ٣ ، كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش ص ١٤٥٢

(٥) مسند احمد جـ ٣ ص ١٢٩ جـ ٤ ص ٤٢١ . قال الحافظ: إنه جمع طرقه عن نحو اربعين صحابيا كذا فى فتح البارى جـ ٧ ص ٣٤ جـ ١٣ ص ١١٩ وانظر كتاب السنة للامام احمد بن حنبل مع الرد على الجهمية ص ٧١

(٦) البخارى جـ٤ باب مناقب على بن ابى طالب ص ٢٠٨ و مسلم جـ٤ فضائل على ص ١٨٧٣ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ١٠ مناقب على ص ٢٣٥ وابن ماجه جـ١ ، المقدمة ص ٤٥ ومسند احمد جـ ١ ص ١٧٠ وتهذيب خصائص الامام على للنسائى ص ٢٤ تحقيق [illegible]

و هذا رأى الأغلبية من بنى هاشم ومن شايعهم، و من بعدهم عامة الشيعة ، ومنهم الزيدية و هى فى على و ولديه -عندهم - بالنص ، و فى ذريتهما من بعدهما ، لكن عن طريق الدعوة ، مع عدم المنازع ، و بالخروج مع وجوده ، فتحصل البيعة من الاكثرية بعد ترشيحه من ذوى الحل والعقد (١)

والدليل على أن هذا كان رأى على رضى الله عنه و أشياعه قوله لأبى بكر -رضى الله عنه - أثناء تبادل المعاذير والعتاب لما طلب على الاجتماع فى بيته بالصديق وحده ، و بعد وفاة السيدة فاطمه رضى الله عنها بنت النبى عليه الصلاة والسلام ، فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما : (... وكنا نحن نرى لنا حقا ، لقرابتنا من رسول الله - صلى الله عليه و سلم)(٢) ثم قالها على رضى الله عنه فى اليوم الثانى على المنبر أثناء تجديد البيعة لأبى بكر رضى الله عنه .

و قد اخرج الشيخان(٣) القصة بكاملها ، و فيها : أن كلا منهما اعترف بفضل الآخر و فيه دلالة على إنصاف كل منهما ، و أن قلوبهما متفقة على تبادل الإحترام والمحبة ، و إن كان الطبع البشرى قد يغلب أحيانا ، لكن الديانة تأبى ذلك .

قال الحافظ فى الفتح : (و قد تمسك الرافضة بتأخر على عن بيعة أبى بكر ، الى أن ماتت فاطمة ، و هذيانهم فى ذلك مشهور ... و قد صحح ابن حبان وغيره ، من حديث ابى سعيد الخدرى وغيره ، أن عليا بايع أبابكر فى أول الأمر ، و أما ما وقع فى مسلم عن الزهرى أن رجلا قال له : لم يبايع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة قال : لا ، ولا أحد من بنى هاشم ، فقد ضعفه البيهقى بأن الزهرى لم يسنده ، و أن الرواية الموصولة عن ابى سعيد أصح ، و جمع غيره بأنه بايعه ثانية ، مؤكدة للاولى ، لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث)(٤) و فى طريقة اختيار الامام أقوال أخر و تفاصيل ذكرها ابن حزم ٤٥٦هـ و ابن تيمية ، والخضرى ، و ابو زهرة و غيرهم(٥) لم اذكرها . هذا و لنرجع إلى تكملة الحديث - باختصار - على نتيجة يوم السقيفة ، لما اختلفوا فى اختيار الخليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال الأنصار - و على رأسهم سعد بن عبادة - مخاطبين المهاجرين

---

(١) انظر القلائد فى تصحيح العقائد للمهدى المرتضى ضمن مقدمة البحر الزخار ص ٩١-٩٤

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها البخارى ج ٥ كتاب المغازى باب غزوة خيبر ص ٨٢-٨٣ و مسلم ج ٣ كتاب الجهاد باب لا نورث ص ١٣٩٠

(٣) انظر المصدرين السابقين الجزء والصفحة بالذات وانظر التفاصيل فى الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٠٩

(٤) فتح البارى ج ٧ ص ٤٩٥ وانظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى ص ١٤-١٥

(٥) انظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٠٧-١١٠ و مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣٥ ص ٤٧ ، و ما بعدها و اتمام الوفاء للخضرى ص ٦-٧ و تاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة ج ١ ص ٢٥-٨٩

منا أمير و منكم أمير ، فقال المهاجرون : - وعلى رأسهم ابوبكرالصديق ، منا الأمراء و منكم الوزراء ، و غير ذلك من الاختلاف ، ثم حسم الصديق هذا الاختلاف بأن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش ، و أن النبى - صلى الله عليه و سلم - قال : (الأئمة من قريش)[1] فاذعنت الأنصار ، وعلى رأسهم سعد بن عباده ، و قال ، مخاطبا أبابكر : صدقت ، نحن الوزراء و أنتم الأمراء)[2]

كما شارك فى حسم الموقف عمر بن الخطاب ، لما سبق الى بيعة الصديق ، فتزاحم الناس على البيعة له حتى كاد يهلك بعضهم بعضا ، و تمت البيعة - و لله الحمد - لأبى بكر بالاختيار ، ثم تولى الخلافة بعده عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، ثم ابنه الحسن رضى الله عنهم اجمعين ، و هذه هى الخلافة النبوية ، أما بعدها فملك عضوض ، و إلى ذلك الاشارة بقوله - صلى الله عليه و سلم - (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك)[3] و فى رواية (ثم تكون ملكا عاضا)[4] غير أنها لم تصل الى الرابع إلا و هى مثخنة بالجراح ، متلطخة بالدماء مثقلة بالاضطرابات فاشتدت المحن و كثرت الفتن و كانت كارثة صفين والجمل و هى الفتن التى اخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام و لكن الفيصل فى ذلك حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا : (... ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ، و يدعونه إلى النار) هذا لفظ البخارى و لفظ مسلم من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعمار : (تقتلك الفئة الباغية) و فى سنن الترمذى : (أبشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية)[5] و ينطبق على الفئتين قوله تعالى : (و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله)[6] فسمى الله الجميع مؤمنين .

ولا حاجة بنا الى مثل هذا الذى يدمى القلوب والله المستعان ، أما مروق الخوارج فهو اشهر من أن يحتاج الى دليل .

ثم إنه يستفاد من خلاف الصحابة - رضى الله عنهم اجمعين - فى اختيار الخليفة ،

---

(١) سبق تخريجه قريبا ص ٥٤٧

(٢) انظر التفاصيل فى السيرة النبوية ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٦ وما بعدها والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٤٥-٢٤٧

(٣) سنن ابى داود بعون المعبود ج ١٢ ص ٣٩٩ و سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٤٧٧ و قال : (وفى الباب عن عمر و على قالا : لم يعهد النبى صلى الله عليه و سلم فى الخلافة شيئا .) و قال ايضا هذا حديث حسن .

(٤) مسند احمد ج ٤ ص ٢٧٣ ج ٥ ص ٢٢٠-٢٢١

(٥) البخارى ج ١ كتاب الصلاة باب التعاون فى بناء المسجد ص ١١٥ ج ٣ كتاب الجهاد باب مسح الغبار عن الناس ص ٢٠٧ و مسلم ج ٤ كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... ص ٢٢٣٢ و قد سقط من طبعة استانبول تركيا فى ج ١ من كتاب الصلاة قوله : (تقتله الفئة الباغية) وشبته فى ج ٣ كتاب الجهاد وهى ثابته فى فتح البارى ج ١ ص ٥٤١ وانظر سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٣٠١

(٦) سورة الحجرات : ٦

أنه لو كان عند أحد منهم نص من النبى -صلى الله عليه و سلم -على تعيين أحد للخلافة بعينه لما اختلفوا ، ولا تفاوضوا ، فإن الانصار لما سمعوا النص على قريش أذعنوا .

و هذا هو مذهب جمهور اهل السنة والجماعة كما هو المشهور.

حكم الامامة

لا خلاف فى وجوبها ، بل أجمعت الصحابة بعد أن لحق الرسول -عليه الصلاة والسلام -بالرفيق الأعلى ، على وجوب إقامة الخليفة قبل تجهيزه -صلى الله عليه و سلم - لأنه لا بد للناس من إمام يخلفه فى حمل الكافة على اتباع ما جاء به ، و ليقف الناس كل عند حده فيتساوى أمام الحق ضعفاؤهم ، و أقوياؤهم ، و شرفاؤهم ، و وضعاؤهم .

و قد تابع الصحابة جميع المسلمين ، و لم يشذ عن الاجماع إلا النجدات[1] من الخوارج والأصم من المعتزله ، و خلافهم هذا لا يعتد به كما قرره ابن حزم و غيره [2]

و إنما الخلاف هل وجوبها بالشرع او بالعقل؟ ذكر هذا الخلاف الماوردى ، والمرتضى الزبيدى و غيرهما .

و قد ذكر الماوردى الأدلة و مناقشتها ، و لم يرجح شيئا .

و ممن قال بوجوبها بالشرع أبو يعلى ، و علل ذلك بأن العقل لا يعلم به فرض شئ ولا إباحته ، ولا تحليل شئ ولا تحريمه. [3]

اما ابن الوزير فقد ذكر الخلاف و أدلته مستقصاة مع مناقشتها فى كتابه (الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور) خ صنعاء ، فليراجعه من شاء.

و قد رجح أنها حسنة عقلا ، بل واجبة عقلاء و لذلك فزع العقل الى الرياسة قبل الشرع ، والصحابة رضوان الله عليهم الى الخلافة بعد وفاة النبى -عليه الصلاة والسلام- من غير نص لما فى النظر من الضرورة إليها [4] ولما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم

---

(١) فرقة من الخوارج اتباع نجده بن عمير الحنفى القائم باليمامه كما فى الفصل لابن حزم ج٤ ص١٦٤
(٢) انظر الاحكام السلطانية للماوردى ص ٥ مراجعه دكتور محمد فهمى الناشر المكتبه التوفيقية والأحكام السلطانيه لأبى يعلى الحنبلى ص ١٩ تحقيق محمد حامد الفقى بيروت دار الفكر ط ثالثة ١٣٩٤ و مراتب الاجماع لابن حزم ص ١٤٤ بيروت دار الآفاق الجديده ط اولى ١٩٧٨م و إتمام الوفاء للخضرى ص ٥ دار الاتحاد العربى للطباعة بدون تاريخ، و تاريخ المذاهب الاسلاميه لأبى زهرة ج ١ ص ١٠ وما بعدها والصواعق المحرقه لابن حجر المكى ص ٧ ، والفصل لابن حزم ج٤ ص ١٠٦ وما بعدها و اتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدى ، ج ٢ ص ٢٢٢
(٣) انظر الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١٩
(٤) انظر التفاصيل فى الحسام المشهور لابن الوزير خ مكتبه جامع صنعاء الغربية ورقة ١١٣ وما بعدها م ٦ ٩-١١٩

يمنعهم من التظالم و يفصل بينهم فى التخاصم ، ولو لا الولاة لكانوا فوضى مهملين و قد قال الأفوه و هو شاعر جاهلى :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا (١)

وعند بعض الزيدية واجبة بالسمع ، وعند البعض الآخر بالعقل والسمع ، وكذلك المعتزلة. (٢)

والظاهر أن كفة القائلين بوجوبها بالشرع ثقلية ، بعموم الأوامر ، بطاعة أولى الأمر ، فى الكتاب والسنة ، و بالارشارات الواردة فى خلافة ابى بكر - رضى الله عنه - ، ولعل كفة الجامعين بين العقل والشرع أثقل ، لأن مبدأ الرياسة فى الجاهلية أقره الاسلام على نظامه. والله اعلم.

شروط الامامة

قد قارنت بين كثير من كلام الفقهاء فى شروط الإمامة ، فوجدتها - وإن اختلفت بعض الألفاظ - تكاد تكون متفقة و إليك بعض نصوصهم :

فعند الحنابلة يشترط فى الإمام ما يلى :

١- أن يكون قرشيا من الصميم ، قال أبو يعلى (: قال أحمد : لا يكون من غير قريش خليفة)
٢- أن تتوفر فيه شروط من يصلح للقضاء ، و هى الحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والعلم والعداله.
٣- أن يكون قيما بالحرب ، والسياسة ، و إقامة الحدود ، ولا تلحقه رأفة فى ذلك ، والذب عن الأمة.
٤- أن يكون أفضل الناس فى العلم والدين.
٥- أن يكون سليم الحواس. (٣)

وعند القاضى عياض المالكى ، لا يصح نصب الفاسق ابتداء كما فى شرح مسلم للنووى (٤)

وعند الشافعية أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا عالما ، مجتهدا ، شجاعا ، ذا رأى

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردى ص ٥ وانظر البيت المذكور فى ديوان الأفوه الاودى ضمن الطرائف الادبية جمع و تصحيح عبد العزيز الميمن ص ١٠ ط بيروت -
(٢) انظر الامامة فى عقائد الزيدية ص ١٩ صورة عن دار الكتب المصرية عقائد تيمور رقم ٢٩٢ و اتحاف السادة المتقين للزبيدى جـ ٢ ص ٢٢٢
(٣) انظر الاحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى ص ١٩-٢٠
(٤) شرح مسلم جـ ١٢ ص ٢١٩ و مقدمة ابن خلدون ص ١٩٣

وكفاءة، سميعا بصيرا، ناطقا، قرشيا [١] خلافا للزيدية من الشيعة، والعترة، فإنهم يشترطون أن يكون الامام علويا فاطميا، مع موافقتهم فى سائر الشروط. [٢]

وقد استوفى الكلام على هذا الحافظ فى الفتح، [٣] فلا نطيل الكلام فيه.

وقد سبقت الإشارة الى هذا فى فصل (الزيدية) دليلهم على إمامة على رضى الله عنه حديث: (من كنت مولاه فعلى مولاه) [٤] وحديث: (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى) [٥]

وجه استدلال الشيعة من الحديث الأول، أن المولى بمعنى المتصرف، وعلى يستحق التصرف فى كل ما يستحق الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - التصرف فيه، ومن ذلك امور المؤمنين فيكون إمامهم،

وأجيب بأنه لا يستقيم أن تحمل الولاية على الامامة التى هى التصرف فى امور المؤمنين، لأن المتصرف المستقل فى حياته - صلى الله عليه وآله وسلم - هو هو لا غيره، فيجب أن تحمل على المحبة والولاء فى الاسلام [٦] وبالجمله فإمامة على - رضى الله عنه - ثابته عند بعض الزيدية بالنص والوصية، وعند بعضهم بالوصف وممن قال بالوصية صاحب الجامع [٧] الكافى المعتمد فى فقه الزيدية، والإمام يحيى بن حمزه فى الرسالة الوازعة. [٨]

أما دليلهم على إمامة الحسنين فحديث: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما). [٩]

وقد ثبت لدى الزيدية كما قال صاحب الزيادات [١٠]: (ثبت بالاجماع أن مراعاة المنصب

---

(١) شرح المهذب للنووى ج ١٧ ص ٥٥٥ والأحكام السلطانية للماوردى ص ٦
(٢) مصباح العلوم المعروف بالثلاثين مسألة للرصاص ص ٢٢-٢٣ والأصول الخمسة لـلقاضى عبد الجبار ص ٧٥٢
(٣) فتح البارى لابن حجر ج ١٣ ص ١١٨
(٤) سنن الترمذى بتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٢١٥ وقال الترمذى حديث حسن صحيح
(٥) البخارى ج ٤ باب مناقب على بن ابى طالب ص ٢٠٨ ومسلم ج ٤ باب فضائل على ص ١٨٧٣ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ مناقب على ص ٢٣٥ وسنن ابن ماجه ج ١، المقدمة ص ٤٥ ومسند احمد ج ١ ص ١٧٠
(٦) انظر تحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٢١٥-٢١٦ مصباح العلوم المعروف بالثلاثين مسألة للرصاص ص ٢١-٢٢.
(٧) لمحمد بن على الزيدى العلوى خ يوجد بمكتبة جامع صنعاء الغربية ج ٦ ورقة ٣٢٨ رقم ١٣٠ فقه.
(٨) ص ٣٢
(٩) شرح الثلاثين مسألة للسحولى - الامامة فى عقائد الزيدية ولم اجد سندا لهذا الحديث فى كتب الزيدية ولا متنافى غيرها - حسب علمى - فتعذر الحكم عليه.
(١٠) للمؤيدى فى مكتبة الغربية جامع صنعاء ورقة ١٣٥ رقم ١٣٠ فقه، (ملحوظة) المؤيدى هو ابو القاسم الحسين بن الحسن الهوسى

شرط فى الإمامة و قد ثبت بالدليل أن المنصب يجب أن يكون من أفضل المناصب.

و ثبت أن لا منصب أفضل من منصب الحسن والحسين)

لكن الإمام يحيى بن حمزه ذهب إلى أن الاعتقاد للنص على إمامة الثلاثة على والحسنين من المسائل المتفق عليها لدى الزيدية (١)

و هذا موضع خلاف بين الزيدية انفسهم كما عرفت.

والآن و قد طال التمهيد لمسألة الامامة والسياسة فإنه يجدر بنا الدخول فى عرض موجز لأفكار ابن الوزير فى هذه المسألة/أما من أراد التفاصيل فعليه بمراجعة كتبه (العواصم والقواصم) و مختصره (الروض الباسم) وكتابه (الحسام المشهور فى الذب عن الإمام المنصور) ولكن لسائل أن يقول : هل مسألة الإمامة أصولية اعتقادية فتندرج ضمن الاعتقادات،أم فقهية ظنية اجتهادية مرجعها كتب الفقه؟

الجواب : إذا رجعنا إلى المراجع الحافلة للفقه فإنا نجد الفقهاء رحمهم الله تعالى جعلوها ضمن مؤلفاتهم و هذا يدل على أنها مسألة فقهية باعتبار شروط الإمامة و حكم الخروج على أئمة الظلم من حيث الجواز والمنع، و ما يترتب على ذلك وما يتعلق بعض احكام البغاة والخارجين و غير ذلك.

كذلك إذا رجعنا إلى كتب أهل الكلام فإنا نجدها ضمن مؤلفاتهم العقدية باعتبار ما تعتقده الشيعة على اختلافهم من النص أو الوصف او الوصية لعلى رضى الله عنه - و ما يترتب على ذلك من الموالاة والمعاداة.

والظاهر - والله اعلم - أنها مسألة ذات وجهين، أصولية اعتقادية باعتبار ماسبق ذكره.

و فقهية اجتهادية باعتبار ما سبق أيضا ، و قد أدخلها المتكلمون أيضا فى فنهم لكثرة الكلام فيمن هو الإمام الأعظم بعد النبى عليه الصلاة والسلام و هل هى ثابتة بالنص أو الوصف أو الاشارة و هل هى فى قريش أو فى العلويين الفاطميين و هل يستحقها الخارج او القاعد منهم و هل تصح للمفضول مع وجود الأفضل وغير ذلك من التسأولات حول الإمامة؟

كذلك إذا رجعنا إلى البحث عن الخلاف بين المسلمين فى الإمامة فسنجد له مظهرين :

أحدهما على كما وقع من الخارجين على عثمان و على رضى الله عنهما ، و كالخلاف بين ابن الزبير والأمويين والخوارج ايضا.

---

(١) الرسالة الوازعة لابن حمزه ص ٢٧

وثانيهما علمى وهو الخلاف النظرى المتصل بأصول الدين وفروعه ، وهذا الخلاف لم يتجاوز إلى امتشاق الحسام ، وهذا ما ذهب اليه أبو زهرة(١)

ويظهر من هذا التقسيم أنه لا علاقة لأحد المظهرين بالآخر ، لأن الخلاف النظرى فى رأيه لم يتجاوز الى امتشاق الحسام .

وفى نظرى - والله اعلم - أن المظهر العملى هو نتيجة الخلاف النظرى الاعتقادى ، وإلا لما حصل الصراع الدموى ، وما الداعى الى الصراع المسلح إذا ما اتفقت الأنظار ؟ !

المبحث الأول : إمامة الجائر والخروج عليه بين ابن الوزير وخصومه

إن ابن الوزير كعادته غالب مصنفاته ردود على خصومه الزيدية المعتزلة ، لا سيما كتابه (العواصم والقواصم) كله ردود على خصومه الزيدية ودفاع عن السنة وحملتها .

وقد أفرد مسألة الإمامة والسياسة فى الرد على الوهم الثالث والثلاثين من مصنفه المذكور حيث ذكر قول المعترض الزيدى (إن الفقهاء يجوّزون إمامة الجائر ، وحكى الاجماع عن ابن بطال أنهم مجمعون ان المتغلّب طاعته لازمة ، ما أقام الجمعات والأعياد والجهاد ، وأنصف المظلوم غالبا ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من تسكين الدهماء وحقن الدماء ، ولذلك قال - صلى الله عليه وآله وسلم - (أطيعوا السلطان ولو عبدا حبشيا)(٢)

ولا يمنع من الصلاة خلفه ، وكذلك المذموم ببدعة أو فسق ، إلى أن قال المعترض: (فإذا كان هذا مذهب القوم عرفت أنهم كانوا مع أئمة الجور الذين قتلوا الأئمة الأطهار وأنهم شيعة الحجاج بن يوسف ، بل شيعة يزيد قاتل الحسين ، لأنهم يعتقدون بغى من خرج على المتغلب الظالم كما صرّح به ابن بطال ، ويصوبون قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس لأنهم بغاة على قولهم)(٣)

قلت : وهذا الكلام الأخير هو بيت القصيد عند المعترض

وحاصل رد ابن الوزير فى مسألة الإمامة والسياسة يتلخص فيما يلى :

أولا : بيان أن الفقهاء لا يقولون بأن الخروج على أئمة الجور بغيا ولا إثما ، كما هو واضح فى أقوالهم لوجوه :

الوجه الأول : ما صرح به النووى فى الروضه بقوله : (الباغى فى اصطلاح العلماء هو

---

(١) انظر تاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة جـ ١ ص ١٦-١٧

(٢) هذا معنى حديث رواه البخارى كتاب الآذان باب امامة العبد ص ١٧٠

(٣) العواصم والقواصم جـ ٤ وهم ٣٣ ، الروض الباسم جـ ٢ ص ١٨٦

المخالف لإمام العدل ، الخارج عن طاعته ، بامتناعه ، من أداء[1] ما وجب عليه أو غيره.[2]
والمتبادر الى الذهن من لفظ (العلماء) الاستغراق ، وعلماء الشافعية ، تدخل فيه دخولا اوليا ، و هذا نص في موضع النزاع ، فالخارج على إمام الجور ، في اصطلاح العلماء ، لا ينطبق عليه هذا الكلام ،

قلت : يؤيد هذا ما قاله ابن الهمام الحنفى ٦٨١هـ : (الباغى فى عرف الفقهاء الخارج عن طاعة إمام الحق) [3]

لكن النووى صرح بخلاف هذا الاصطلاح ، من تحريم الخروج ، على الأئمة ، وإن كانوا فسقة ظالمين ، بل حكى تحريم ذلك بإجماع المسلمين ، كما حكى إجماع أهل السنة ، أن السلطان لا ينعزل بالفسق ، و قال :

(و أما الوجه المذكور فى كتب الفقه لبعض أصحابنا ، أنه ينعزل ، و حكى عن المعتزلة أيضا فغلط من قائله، مخالف للاجماع.) قال هذا فى أثناء شرحه لحديث عبادة بن الصامت فى وجوب طاعة الأمراء ، و فيه (و أن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)[4]

فأنت ترى أن ظاهر كلام النووى التعارض بين اصطلاح العلماء الذى ذكره فى الروضه ، و بين ما ذكره فى شرح مسلم المذكور آنفا من أن الوجه المذكور لبعض الشافعية ، أن السلطان الفاسق ينعزل هو غلط من قائله ، مخالف للاجماع و لست ادرى أى المصنفين المتأخر ليكون العمل به؟

و هذا الاجماع الذى حكاه النووى هو المعتمد عند اهل السنة ، و سيأتى توكيد هذا ما سيحكيه الحافظ فى الفتح من إجماع الفقهاء على ذلك ، لكن سياتى أيضا ما يخرقه ، أو يخالفه والله المستعان .

الوجه الثانى : أن الكلام ، فى الخروج على أئمة الجور عند الفقهاء من المسائل الظنية الفرعية التى لا يأثم المخالف فيها ، و للشافعية فى جواز ذلك وجهان معروفان ذكرهما النووى فى الروضة[5] ؟ ولو كان ذلك حراما قطعا ، كشرب الخمر ، لم يكن لهم فيه

---

(١) فى الروضة من أداء واجب عليه
(٢) روضة الطالبين للنووى جـ ١٠ ص ٥٠ و هذا نص العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ ، الفصل الثانى من الوهم ٣٣ و مختصره الروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٦
(٣) شرح فتح القدير على الهداية لابن الهمام جـ ٦ ص ٩٩ ط الحلبى ط اولى ١٣٨٩هـ
(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووى جـ ١٢ ص ٢٢٩
(٥) الروضه للنووى جـ ١٠ ص ٥٠-٥١ وانظر التفاصيل فى العواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ ، الفصل الأول .

قولان .

قلت : ولابى حنيفة قول واحد فى استحباب الخروج ، بل فى وجوبه على أهل الظلم[١]

الوجه الثالث: ان الذهبى صرح فى الكاشف[٢] ، أن الامام زيد بن على استشهد ، وهذا نص فى موضع النزاع ، فإن الباغى ليس بشهيد اجماعا ، ولم يذكره فى الميزان وعدم ذكره يدل على جلالته ، وعدم القدح فيه .

وقال الذهبى فى الكاشف ايضا :[٣] (الحسين الشهيد عن جده رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)

قلت : وقال شيخ الاسلام :[٤] (والحسين رضى الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادة فى هذا اليوم - أى يوم عاشوراء - وأهان بذلك من قتله أو أعان على قتله ، أو رضى بقتله ، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء ، فإنه وأخوه سيدا شباب أهل الجنة)[٥]

وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن الوزير من أن الباغى ليس بشهيد ، فالحسين وزيد ليسا باغيين ، فهما شهيدان ، والقصتان مشهورتان .

وفى موضع آخر قال شيخ الاسلام أيضا : (وأما مقتل الحسين رضى الله عنه ، فلا ريب أنه قتل مظلوما شهيدا ، كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء ، وقتل الحسين معصية لله ولرسوله ، ممن قتله ، أو رضى بذلك ، وهو مصيبة أصيب بها المسلمون ، من أهله وغير أهله ، وهو فى حقه ، شهادة له ، ورفع درجة ، وعلو منزلة) [٦]

قلت : وهذا يؤكد ما سبق من أن الحسين ليس باغيا ، بل شهيدا مظلوما ، ومعلوم أنه استشهد فى خروجه على يزيد آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، بل بعد إلحاح شديد من أهل العراق ، فلما خرج خذلوه ، بل قتلوه ، فهل فى كلام شيخ الاسلام هذا دلالة على جواز الخروج على أئمة الجور؟

قد يقال : فيه - على منهج المناطقة دلالة تضمنية ، أو التزامية ، مأخوذة من قوله :

---

(١) انظر التنكيل لعبد الرحمن المعلمى اليمانى ج ١ ص ٩٣-٩٤ ، تاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة ج ١ ص ٤٨

(٢) الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ج ١ ص ٣٤١ تحقيق عزت على عيد دار النصر للطباعة القاهره ط اولى ١٣٩٢

(٣) المرجع نفسه ج ١ ص ١٣٢

(٤) ابن تيمية فى مجموع فتاويه ج ٤ ص ٥١١

(٥) معنى حديث رواه الترمذى فى السنن مع تحفة الاحوذى وقال حديث صحيح حسن ج ١٠ ص ٢٧٢-٢٧٣

(٦) منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٧

(إنه قتل مظلوما شهيدا) وما في معناها في النص الذي قبل هذا، وإذا كان كذلك فسيأتي كلام لشيخ الاسلام يخالف هذا المفهوم إن كان صحيحا - يدل دلالة مطابقية، وهي مقدمة على التضمنية، والالتزامية، كما قرره المناطقة.

ثانيا: بيان أن منع الخروج على الظلمة استثني منه، من فحُش ظلمه، وعُظمت المفسدة بولايته مثل يزيد بن معاوية، والحجاج بن يوسف، إذ لم يقل أحد ممن يعتد به من الفقهاء بإمامة من هذه حاله، وممن أشار إلى ذلك إمام الحرمين الجويني، حيث ذكر، أن الامام لا يخلع لنوادر الفسوق بل لمواصلة العصيان، وظهور العدوان، والفساد، وتعطيل الحقوق، وغير ذلك حيث قال: (وهذا كله في نوادر الفسوق، فأما اذا تواصل منه العصيان، وفشا منه العدوان، وظهر الفساد، وزال السداد، وتعطلت الحقوق، والحدود، وارتفعت الصيانة، ووضحت الخيانة، فلا بد من استدراك هذا الأمر المتفاقم فان أمكن كف يده، وتوليةغيره، بالصفات المعتبرة، فالبدار البدار - الى أن قال - وإلا فلا يسوغ التشاغل بالدفع، بل يتعين الصبر، والابتهال إلى الله تعالى)(١).

قلت: وفي هذا الكلام تحفظ واحتياط، وهو ما يعبر عنه الفقهاء، بما تقتضيه المصلحة العامة، فليس هو خروج على إطلاقه، وإذا كان تغيير المنكر على أئمة الجور يؤدي إلى مفاسد عظيمة فتركه أولى، لما يترتب عليه من سفك دماء وهتك اعراض

أما الامام أحمد بن حنبل فإنه يمنع الخروج على الفسقة مرتكبي المحظورات، سواء كانت متعلقة بالجوارح أو المعتقدات، فالمعتصم، قد دعى الامام احمد، إلى القول بخلق القرآن، ومع هذا كان يدعوه بأمير المؤمنين، قال أبو يعلى: (ولما اجتمع فقهاء بغداد إليه - اى الى الامام احمد - وقالوا له: هذا أمر قد تفاقم، وفشا - اى القول بخلق القرآن - فلسنا نرضى بإمرته، وسلطانه، فقال: عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصى المسلمين)(٢)

---

(١) هكذا في العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ في الفصل الثاني من الوهم ٣٣، ومختصره الروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٧، وقد رجعت الى الأصل الذي نقل منه ابن الوزير فوجدته مطولا اختصره ابن الوزير بحذف الجمل الاعتراضيه والاستطرادية انظره بكامله في الغياثي للجويني ص ١٠٥-١١٠ تحقيق عبد العظيم الديب الشئون الاسلامية بقطر ط أولى ١٤٠٠هـ

(٢) الاحكام السلطانيه لأبي يعلى ص ٢٠-٢١ تحقيق محمد حامد الفقي الحلبي ط ثانية ١٣٨٦هـ كتاب السنة للامام احمد ص ٧١

و هذا مذهب جماهير أهل السنة من المحدثين والفقهاء و غيرهم ، كما سبق و ستأتى حكاية الاجماع على هذا مع حكاية خرقه او خلافه. وعند احمد بن عيسى بن زيد بن على ، إن امكن تقويم الظالم لم يخلع ، و إن لم يمكن خلع ، كذا قاله ابن الوزير و استشهد بجواز الخروج على من فحش ظلمه بخروج الحسين بن على و أصحابه على يزيد ، و بخروج ابن الأشعث ، و من معه من كبار التابعين ، والصدر الاول ، على الحجاج ، وابن الزبير ، و أهل المدينة على بنى أمية ، و زيد بن على على هشام بن عبد الملك ، و أن هؤلاء تأولوا حديث : (وألا ننازع الأمر أهله)[1] على أئمة العدل ، و أما هؤلاء فقد ملئو الأرض ظلما و جورا ، و هذا مذكور فى التاريخ مكشوف. و قد أيد ابن الوزير استشهاده الآنف الذكر على جواز الخروج على من فحش جوره بما يلى :

١- ما ذكر صاحب النهاية[2] من الحديث و لفظه : (فيه أنه ذكر الخلفاء بعده فقال : أوّه لفراخ محمد من خليفة يستخلف عتريف[3] مترف يقتل خلفى و خلف الخلف.) قال ابن الوزير : (قال الخطابى : قوله خلفى يتأول على ماكان من يزيد بن معاوية إلى الحسين بن على و أولاده الذين قتلوا معه ، و خلف الخلف ما كان منه يوم الحرّة إلى أولاد المهاجرين والانصار)[4]

هذا و إن مما تقشعر منه الجلود ، و تدمى منه القلوب ، ما وقع بالحسين الشهيد ، و أصحابه ، و أهله و وقعة الحرة ، و ما أدراك ما وقعة الحرة ، و استباحة المدينة ثلاثة أيام بأمر يزيد ، لا جزاه الله خيرا و جالت الخيل فى المسجد النبوى الشريف ، و راثت و بالت فى الروضة الشريفة ، و تركت صلاة الجماعة فيه ، و أكره الناس عقبةُ بنُ مسلم - قائدُ المعركة - على البيعة ليزيد ، على أنهم عبيد له ، و يحكم فى دمائهم ، وأموالهم ، و أهليهم ما شاء فكلمه رجل فى البيعة على الكتاب والسنة

---

(١) طرف من حديث عبادة انظر مسلم مع شرحه للنووى ج ١٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ وانظر خروج الحسين و ابن الأشعث و ابن الزبير و اهل المدينة فى البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٢٠ وما بعدها ج ٩ ص ٣٥ مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٤٩٨ ومابعدها و هذا أشهر من ان يشار الى مصادره التاريخية.

(٢) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨ وانظر مساوى يزيد بن معاوية فى تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٣٦٠-٣٦١.

(٣) العتريف الغاشم الظالم ، و قيل الداهى الخبيث ، و قيل هو قلب العفريت الشيطان الخبيث كذا فى نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨

(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والروض الباسم له ج ٢ ص ١٨٨

فأمر بقتله ، فضربت عنقه صبرا .(١)

٢- حديث ابى عبيدة مرفوعا : (لا يزال أمر أمتى قائما حتى يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد .) (٢)

٣- حديث سفينة مولى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - مرفوعا : (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك . قال سعيد بن جُهمان : إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم ، قال : كذبوا بنوا الزرقاء هم ملوك من شر الملوك)(٣)

٤- قول الكِيَا الهراسى الشافعى ٥٠٤ هـ لما سئل عن يزيد بن معاوية فقال : (إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - و أما قول السلف ففيه لأحمد قولان ، تلويح و تصريح ، و لمالك قولان ، تلويح و تصريح ، و لأبى حنيفة قولان تلويح و تصريح ، و لنا قول واحد ، التصريح دون التلويح ، و كيف لا يكون كذلك ، و هو اللاعب بالنرد ، والمتصيد بالفهود ، و مدمن الخمر ، و شعره فى الخمر معلوم)(٤)

و ذكر ثلاثة أبيات من شعره ، قال ابن خلكان (٦٨١ هـ) : (كتب فصلا طويلا ثم قلب الورقة و كتب اى الهراسى (لو مددت ببياض لمددت العَنان فى مخازى هذا الرجل (٥)

و قد أفتى أبو حامد الغزالى بما يخالف هذا و هى فتيا مطوله ذكرها ابن خلكان :

---

(١) انظر التفاصيل المؤلمة فى البداية والنهاية لابن كثير جـ ٨ ص ١٧٢-٢٢٤ فلم تطمئن نفسى فى هذه الوقائع كاطمئنانها لما نقله ابن كثير لما اشتهر به من تحرى الصواب والعدل فالرجل من أئمة الحديث و أهل السلف وانظر جوامع السيرة النبوية لابن حزم ص ٣٥٧-٣٥٨ تحقيق احسان عباسى و ناصرالدين مراجعة احمد شاكر ط باكستان والتذكرة فى أحوال الموتى و أمور الآخره لأبى عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر القرطبى ٦٧١ هـ جـ ٢ ص ٧١٠ وما بعدها تحقيق احمد حجازى بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٢ هـ والتنكيل للمعلمى جـ ١ ص ٩٤ و سائر كتب التاريخ الاسلامى .

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والروض الباسم له جـ ٢ ص ١٨٨ و قال رواه ابو يعلى فى مسنده ، و لم اقف عليه لأنه ما زال مخطوطا و رواه الذهبى فى سير اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٩ بالسند الذى اورده ابن الوزير و هو هكذا : روى الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن مكحول عن ابى عبيدة . والوليد بن مسلم ثقه و مدلس و قد عنعن ثم إن فيه انقطاعا بين مكحول و ابى عبيده فالخبر لا يصح انظر هامش النبلاء . و قال الذهبى : و يرويه صدقه السمين و ليس بحجة المرجع ذاته . و قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٩٤ ط بيروت سنده ضعيف ، و قال ابن حجر الهيتمى المكى فى تطهير الجنان مع الصواعق المحرقه له ص ٦٤ شركة الطباعة الفنية القاهرة ١٣٨٥ هـ رجاله رجال الصحيح . و قال ابن الوزير فى العواصم جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ رجاله متفق على الاحتجاج بهم فى الصحيحين .

(٣) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ٦ ص ٤٧٨ و قال الترمذى : هذا حديث حسن ، و سنن ابى داود مع عون المعبود جـ ١٢ ص ٣٩٩

(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والنص موجود كما اسنده ابن الوزير لصاحبه فى وفَيات الأعيان و أنباء ابناء الزمان لابن خلكان جـ ٣ ص ٢٨٨ وانظر مروج الذهب للمسعودى جـ ٣ ص ٧٧ وما بعدها

(٥) الوفيات ذاتها الجزء والصفحة .

وسيأتى دفاع ابن الوزير عن الغزالى ، وفيه ما فيه من التغطية والجدل ، والواقع أنها تخالف كلام الكيا الهراسى تماما ، ولولا التطويل لنقلتها فارجع إليهما إن شئت، وحاصلها أن يزيد بن معاوية مسلم ، وقتل الحسين لا تعرف حقيقته أصلا ، وإذا كان كذلك وجب إحسان الظن بكل مسلم ، والقتل ليس بكفر ، بل معصية ،وإذا مات القاتل او الكافر لم تجز لعنته ، ومن لعنه كان فاسقا عاصيا .

٥- قول الذهبى (٧٤٨هـ) : (يزيد بن معاوية كان ناصبيا ، فظا غليظا يتناول المسكر ويفعل المنكر ، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين بن على -رضى الله عنهما ، واختتمها بوقعة الحرة ، فمقته الناس، فلم يبارك فى عمره ، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين -رضى الله عنه- كأهل المدينة وغيرهم)(١)

ثم ذكر الذهبى كلام ابن مطيع أن يزيدا كان يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب، كما ذكر إنكار ابن الحنفية لذلك ، وقال أيضا : (يزيد بن معاوية مقدوح فى عدالته ، ليس بأهل أن يروى عنه ، وقال احمد بن حنبل : لا ينبغى أن يروى عنه)(٢)

والقول بأن الحسين -رضى الله عنه- قتل مظلوما شهيدا،هو مذهب أهل السنة كما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وعلل تعليلات قيّمة: منها أن الحسين ترك طلب الأمر ، وطلب أن يذهب الى يزيد أو الى الثغر ، أو الى بلده ، فلم يمكنوه ، وطلبوا منه ان يستأسر لهم ، وهذا لم يكن واجبا عليه.(٣)

وفى هذا دليل على براءة المحدثين وأهل السنة ، مما افتراه عليهم خصم ابن الوزير من نسبتهم الى التشيع ليزيد وتصويب قتلة الحسين -رضى الله عنه-

قلت : ومن ذلك ما قاله السيوطى : (ولما قتل الحسين وبنو أبيه ، بعث ابن زياد برؤسهم الى يزيد ،فسرّ بقتلهم أولا ، ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك ، وأبغضه الناس، وحق لهم أن يبغضوه)(٤)

وما رماه به المسعودى الشيعى (٣٤٦هـ) والحافظ السيوطى (٩١١هـ) من شرب الخمر وإتيانه المنكرات(٥) والله اعلم.

---

(١) سير اعلام النبلاء للذهبى ج ٤ ص ٣٧-٣٨ وقد ذكر ابن الوزير كلام الذهبى هذا بحروفه فى العواصم ج ٤ وهم ٣٣ فصل ٢

(٢) ميزان الاعتدال للذهبى ج ٤ ص ٤٤٠ هذا كلام الذهبى مع انه متهم عند الزيدية بالنصب انظر العلم الشامخ للمقبلى ص ٣٩٥

(٣) انظر منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٨

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٤-١٩٥ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص ١٩٢

(٥) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٥ وانظر مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٧٧-٧٩

و ما حكاه ابن الوزير عن ابن حزم من أنه عد خروم الاسلام أربعة ، قتل عثمان و قتل الحسين و يوم الحرّة و قتل ابن الزبير فى المسجد الحرام ، و لم يعد قتل عمر ولا قتل على منها ، تعظيما لقتل الحسين ، و اظهار البلوغه فى القبح فوق حد الكبائر.[1]

وعلق ابن الوزير على ما سبق بقوله : (واعلم أنى لا أعلم لأحد من المسلمين كلاما فى تحسين قتل الحسين ، و من ادعى ذلك على مسلم لم يصدق ، و من صح ذلك عنه ، فليس من الاسلام فى شئ ، و إذا وجد من أحد شئ فى هذا فذلك غير بعيد ، ممن لا يعرف بدين ولا علم ، فقد كان مع يزيد جيوش كثيرة ، كلهم على رأيه ، و كذلك جميع الشياطين على كثرتهم يحسنون الفجور والكذب ، و إنما الكلام فى نسبة ذلك إلى فقهاء الاسلام و ثقات الحفاظ ، كما ادعى الخصم)[2]

قلت : و مما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العماد[3] الحنبلى (١٠٨٩ هـ) فى شذراته من اتفاق العلماء على تحسين خروج الحسين على يزيد و خروج ابن الزبير ، و أهل الحرمين من الصحابة على بنى أمية ، و خروج ابن الأشعث ، و من معه من كبار التابعين ، و خيار المسلمين على الحجاج ، و أن الجمهور رأوا جواز الخروج على من كان مثل يزيد والحجاج و منهم من جوز الخروج على كل ظالم ثم قال بعد ذلك لائمًا قتلة الحسين : (وعلى الجملة فما نقل عن قتلة الحسين والمتحاملين عليه ، يدل على الزندقة ، و انحلال الإيمان من قلوبهم ، و تهاونهم بمنصب النبوة ، و ما أعظم ذلك ، فسبحان من حفظ الشريعة ، حينئذ ، و شيد أركانها ، حتى انقضت دولتهم ، وعلى فعل الأمويين و أمرائهم حمل قوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ : (هلاك أمتى على أيدى غلمة من قريش)[4] قال ابوهريرة: لو شئت ان اقول بنى فلان و بنى فلان لفعلت.)

و قد سبقت الاشارة إلى مراد ابى هريرة هذا فى (منهج ابن الوزير العلمى)

و قال التفتازانى فى شرح العقائد النسفيه بعد أن حكى الاتفاق على جواز لعن من قتل الحسين او أمر به ، أو أجازه ، أو رضى به ، قال : (والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين ، و استبشاره بذلك ، و إهانته أهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ مما تواتر معناه و ان كان تفصيله آحادا ، فنحن لا نتوقف فى شأنه ، و إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه[5]

---

(١) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ والروض الباسم له جـ٢ ص ١٨٩

(٢) العواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقه ٨٠ خ صنعاء

(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى جـ ١ ص ٦٨ وما بعدها .

(٤) البخارى جـ ٨ كتاب الفتن باب هلاك امتى . . . ص٨٨ وانظر مراد ابى هريره فى شرح الحديث نفسه فى فتح البارى جـ١٣ ص ٨-٩

(٥) شرح العقائد النسفيه لسعد الدين التفتازانى جـ ١ ص ٢٠٢ و ابن العماد الحنبلى نقل هذا النص عن التفتازانى ، و فيه عبارة (بل فى كفره) اى فنحن لا نتوقف فى شأنه بل فى كفره و إيمانه) فيحتمل أن تكون فى بعض الطبعات ، و يحتمل أن تكون مقحمة على النص و يحتمل غير هذا والله اعلم بالصواب.

هذا وما قرره ابن العماد الحنبلى من مخالفة إمامه السابق الذكر من صبره على القائل بخلق القرآن ولم ير الخروج عليه حين طلب منه الفتوى بجوازه ما يدل على ان المسألة اجتهادية، وبناء عليه فإنه لا ينبغى لمسلم أن يحط من قدر من خرج من السلف الصالح من أهل البيت وغيرهم على أئمة الجور، فانما فعلوا ذلك باجتهادهم، ولذلك قال الشوكانى بعد أن رجح عدم الخروج : (ولكنه لا ينبغى لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة وغيرهم على أئمة الجور فانهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم وهم أتقى وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم)(١)

أما ما نسبه خصم ابن الوزير إلى الغزالى من كلام مضمونه: تصويب يزيد فى قتل الحسين فقد برأه ابن الوزير من ذلك فى كلام طويل فى (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم)(٢)

وقد سبقت الاشارة إلى هذا قريبا، وإنما تكلم -فى نظر ابن الوزير- فى مسألتين فى غير ذلك إحداهما: تحريم اللعن، ولم يخص يزيد بن معاوية بذلك، فهو مذهبه فى كل فاسق، وكافر كما فى الأذكار(٣) وثانيتهما: القول بأن العلم برضا يزيد، بقتل الحسين، متعذر، وليس فى هذا نزاع.

وأما ما ادعاه أبوبكر بن مجاهد المتكلم الطائى، من الاجماع، على تحريم الخروج على الظلمة، فقد رد عليه ابن الوزير بكلام ابن حزم وغيره فى جواز الخروج على الظلمة، بخروج الحسين -عليه السلام-، وأهل المدينة، وابن الزبير على يزيد، وبخروج ابن الأشعث، ومن معه على الحجاج بن يوسف، وتاول الحديث: (ألّا ننازع الأمر أهله)(٤) على أئمة الدين والعدل، وأن هذا خلاف مشهور، يعرفه اكثر من فى الأسواق، والمخدرات فى بيوتهن، لاشتهاره. وقال القاضى: (قيل إن هذا الخلاف، كان أولا، ثم حصل الاجماع، على منع الخروج عليهم ... وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع، وأظهر من الكفر)(٥)

وعلق ابن الوزير على هذا بقوله: (وفيه بيان اتفاقهم على تحسين ما فعله

---

(١) نيل الاوطار للشوكانى جـ ٧ ص ١٩٩ ط الحلبى الاخيره
(٢) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ الفصل الثانى من الوهم ٣٢ ورقه ٨٠ خ صنعاء والروض الباسم له جـ ٢ ص ١٨٨
(٣) للنووى ص ٣١٥ الحلبى ط رابعة ١٣٧٥هـ
(٤) متفق عليه البخارى جـ ٨ كتاب الفتن ص ٨٧، مسلم جـ ٢ كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٧
(٥) العواصم والقواصم جـ ٤، الفصل الثانى من الوهم ٣٣ ورقة ٧٩ خ صنعاء والروض الباسم جـ ٢ ص ١٨٨ وانظر تفاصيل حكاية الاجماع والرد عليه فى شرح مسلم للنووى جـ ١٢ ص ٢٢٨-٢٢٩ وفيه كلام القاضى عياض بلفظه الا كلمة (أظهر) فهى (ظاهر)

الحسين رضى الله عنه ، وأصحابه مع يزيد وابن الأشعث واصحابه مع الحجاج ، وأن الجمهور ، قصّروا جواز الخروج ، على من كان على مثل تلك الصفة ، وأن منهم من جوّز الخروج على كل ظالم . . . ولم يقل مسلم ، منهم ، ولا من غيرهم ، إن يزيد مصيب ، والحسين باغٍ(×) ، إلاّ ما ألقاه الشيطان على السيد - يعني خصمه - إلى أن قال :

والمقصود أن قتل الحسين ، وأصحابه ، وأهل الحرة ، واستحلال ذلك مما احتج به من كفر يزيد بن معاوية ، لأن حرمة هؤلاء فى الاسلام ، كحرمة الزنا ، وسائر الفواحش بل أعظم ، فكما أن من استحل تلك الفواحش يكفر بلا خلاف ، فكذلك هذا)[1]

يؤيد هذا ما ذكره ابن العماد الحنبلى آنفا من أن الجمهور رأوا جواز الخروج على من كان مثل يزيد ، وأنهم استحسنوا خروج الحسين على يزيد ، وخروج ابن الزبير ، وأهل الحرمين على بنى أمية كما سبق قريبا .

ثم إنه ورد فى الخبر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من أخاف اهل المدينة أخافه الله) .

وفى رواية : (من أخاف أهل المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبى)[2]

وفى رواية لمسلم : (من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الطح فى الماء)[3]

واورد السيوطى هذا الخبر بلفظ : (من أخاف أهل المدينة اخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وقال رواه مسلم[4] ولم أجده فى صحيح مسلم بهذا اللفظ بل هذا اللفظ الذى رواه احمد فى مسنده وزاد فيه : (لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)[5] واورده ابن كثير من عدة طرق[6]

تفصيل الكلام فى يزيد بن معاوية

وقد فصل القول فى يزيد بن معاوية شيخ الاسلام ابن تيمية حاصله ما يلى :

---

(١) العواصم والقواصم ج ٤ ، الفصل الثانى من الوهم ٣٣ ورقة ٧٩ خ صنعاء والروض الباسم ج ٢ ص ١٨٨

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ٩ كتاب الأشربة باب من أخاف اهل المدينة ص ٢٦٥ تحقيق الأعظمى طبع المجلس العلمى ط اولى ١٣٩٢ هـ وصحيح الجامع الصغير للألبانى وجزم بصحته ج ٥ ص ٢٣١ ، المكتب الاسلامى ط الثالثة ١٤٠٢ هـ

(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن سعد بن ابى وقاص وغيره ج ٢ كتاب الحج باب من أراد اهل المدينة بسوء اذابه الله ص ١٠٠٧-١٠٠٨

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٥

(٥) مسند احمد ج ٤ ص ٥٥-٥٦

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣

(×) هكذا فى النص والصواب : باغ كما فى المصباح المنير للفيومى ج ١ ص ٦٤

افترق الناس فى يزيد بن معاوية ثلاث فرق ، طرفان و وسط:

أحد الطرفين قالوا : إنه كان كافرا منافقا ، و أنه سعى فى قتل الحسين تشفيا و انتقاما من رسول الله -صلى الله عليه و سلم - و أخذا بثأر جده عتبه ، و أخى جده شيبه ، و خاله الوليد بن عتبه ، و غيرهم ممن قتلهم الصحابة رضوان الله عليهم بيد على -رضى الله عنه - و غيره ، و قالوا تلك أحقاد بدرية ، و آثار جاهلية.

والطرف الثانى : يظنون أنه كان رجلا صالحا ، و إماما عادلا ، و أنه كان من الصحابة الذين ولدوا فى عهد النبى -صلى الله عليه و آله و سلم - و حمله على يديه و برّك عليه ، و ربما فضله بعض هؤلاء على أبى بكر و عمر و ربما جعله بعضهم نبيا ، و هذا قول أهل الضلال ، و كلا القولين ظاهر البطلان.

الطرف الثالث: أنه كان ملكا من ملوك المسلمين ، له حسنات و سيآت ، و لم يولد إلا فى خلافة عثمان رضى الله عنه - و لم يكن كافرا ، و لكن وقع بسببه ما وقع من مصرع الحسين -رضى الله عنه - و فعل ما فعل باهل الحرّة ، و لم يكن صحابيا ولا من أولياء الله الصالحين ، و هذا قول عامة اهل العقل والعلم والسنة والجماعة.

ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق.

فرقة لعنته ، و فرقة أحبته ، و فرقة لا تَسُبه ولا تحبه ، و هذا هو المنصوص عن الامام أحمد ، والمقتصدين من أصحابه ، و غيرهم من المسلمين ، و استحسن شيخ الاسلام هذا الأخير.

و لمّا قيل لشيخ الاسلام أما كان ظالما ؟ أما قتل الحسين ؟ افلا تلعنونه؟ أجاب: (نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف و أمثاله نقول كما قال الله تعالى فى القرآن (ألا لعنة الله على الظالمين)(1) ولا نحب أن نلعن أحدا بعينه ، و قد لعنه قوم من العلماء ، و هذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد ، لكن ذلك القول أحب الينا و أحسن و أما من قتل الحسين ، أو أعان على قتله ، أو رضى بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .)(2)

و فى أثناء كلامه على حمل رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ، و أنه نقل عنه أنه قال : لقد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين ، و أنه أكرم أهله ، و أنزلهم

---

(1) سورة هود : ١٨
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٤٨٧ و منهاج السنة له ج ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧

منزلا حسنا ، قال بعد ذلك :

(لكنه مع هذا لم يُقم حدّ الله على من قتل الحسين - رضى الله عنه - ولا انتصر له ، بل قتل أعوانه لإقامة ملكه وقد نقل عنه أنه تمثل فى قتل الحسين بأبيات تقتضى من قائلها الكفر الصريح كقوله :

لمّا بدت تلك الحُمول و أشرفت   تلك الرؤوس إلى رُبَى جَيرون
نعق الغراب فقلت نُح أو لا تنح   فلقد قضيتُ من النبى ديونى

و هذا الشعر كفر)(١)

قلت : و ليس فى كلام شيخ الاسلام هذا ما يدل على جواز الخروج على أُئمة الظلم ، ولا عدمه ولكن سيأتى رأيه فيما بعد، والغرض من إيراد كلامه هذا تاييد كلام ابن الوزير و من معه من العلماء السابق ذكرهم من أن الحسين - رضى الله عنه - لم يكن باغيا ، و أنه قتل مظلوما شهيدا ، و من كان كذلك فقاتله ظالم،وهل سجل التاريخ الاسلامى قاتل الحسين غير يزيد ؟ و قد سبق تصريح ابن تيمية وغيره بشهادة الحسين وأن له أسوة بمن سبقه

ثالثا : ان ابن الوزير قال : (إن السيد - يعنى خصمه - جهل موضع الخلاف بيننا و بين الفقهاء فى هذه المسألة فإن الفقهاء لم يخالفوا الزيدية فى شرائط الامامة كلها إلاّ فى النسب ، فمذهبهم فيه كمذهب المعتزلة)(٢)

أى كونهم لا يشترطون فى الامام أن يكون علويا فاطميا ، بل يكفى أن يكون قرشيا كما سبق فى ذكر الشروط و هذا هو السبب فى شق عصى الطاعة ، من جمهور الزيدية ، على مرضعتهم المعتزلة - كما سبق فى المقارنة بينهما - فان قيل أين موضع الخلاف بين الفقهاء والشيعة والمعتزلة؟ فيقال فى موضعين :

أحدهما : ان الفقهاء ذكروا أنه اذا تغلب الظالم ، و غلب على الظن أن الانكار يؤدى الى منكر اكبر من جوره حرم تحريما ظنيا اجتهاديا ، مختلفا فى صحته ، فلهذا منعوا الخروج على كثير من الظلمة لأجل ذلك.

وما ذهب اليه المعتزلة والزيدية فى النهى عن المنكر يلزمهم موافقة الفقهاء ، لأن النهى عن المنكر عندهم ، لا يحسن متى كان يؤدى الى وقوع منكر اكبر منه - كما سبق فى اصولهم الخمسة والمسألة واحدة.

و هذا كما قال ابن الوزير : (مما لا ينبغى ان يكون خلاف إجماع العترة(٣) - عليهم السلام -

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٥٠٥-٥٠٦ و منهاج السنة له جـ ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧
(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقة ٣٤
(٣) هل اجماع العترة حجة يجب اتباعها او لا ؟ فيه خلاف ذكره ابن تيمية فى مجموع فتاويه جـ ٢٨ ص ٤٩٣ و رجح حجيته كذلك اجماع الخلفاء.

بـل هـذا هـو المنصوص في كتبنا.)[١] أى كتب العترة.

قلت : و هذا هو الراجح للأحاديث الآتية الدالة على وجوب طاعة السلطان ، و فى بعضها ولو كان جائرا .

و قد أشار المؤيد بالله فى (الزيادات) كما ذكر ابن الوزير ـ الى اختلاف أهل البيت فى الخروج على الظلمة فقال فى مسائل الاجتهاد : (و كذلك خروج الأئمة مثل زيد بن على ـ عليه السلام ـ كان رأيه أن الخروج أولى ، و كان جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ رأيه بخلاف ذلك ، حتى كتب إليه بترك الخروج ، و رأى الحسن بن على تركه ، و رأى الحسين بن على خلافه)[٢]

و هذا يدل على ان المسألة اجتهادية عنده ، و لذلك ذكرها فى مسائل الاجتهاد .

و فى (الجامع الكافى)[٣] المعتمد فى فقه الزيديه قال محمد بن منصور[٤]: قلت لأحمد بن عيسى :[٥] اذا فعل الامام معصية كبيرة تزول عنه إمامته؟ قال : تزول عنه إمامة الهدى ، و يبقى العقد الذى يثبت من أحكامه ما وافق الحق .

المبحث الثانى : حكم الولاية لأئمة الجور

هذا هو محل الخلاف الحقيقى ، و هو هل يصح أخذ الولاية من أئمة الجور ،على ما يتعلق بمصالح المسلمين ، من القضاء و نحوه؟ .

و قد وافق الفقهاء على أخذ الولاية ، من أئمة الجور إمام الزيدية المؤيد بالله[٦] ذكره فى (الزيادات) ، والمسألة ظنية ليس فيها نص معلوم اللفظ ، ولا إجماع قطعى ـ اى جواز أخذ الولاية من أئمة الجور .

و قد تمسك جمهور الفقهاء فى هذا بظواهر الأحاديث الواردة فى طاعة السلطان ، و فى بعضها وإن كان جائرا .

قلت : و هذه الأحاديث الآتية ذاتها ، هى الدالة على منع الخروج على أئمة الجور

---

(١) العواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقة ٣٤-٣٥ والروض الباسم له جـ ٢ ص ١٩٥-١٩٦

(٢) العواصم لابن الوزير جـ ٤ وهم ٣٣ فصل ٢ ورقة ٣٤-٣٥

(٣) للسيد محمد بن على الزيدى العلوى يوجد خ صنعاء

(٤) المرادى علامة العراق والشيعى بالاتفاق ـ كما تقول الزيدية المتوفى ٢٥٦هـ

(٥) بن زيد بن على صاحب كتاب (الأمالى) من مراجع الزيدية فى الحديث و يسمى عندهم (علوم آل محمد) اودع فيه مروياته عن ابائه و اجداده توفى ٢٤٧هـ

(٦) يحيى بن حمزه أحد حكام اليمن و مجتهديها توفى ٦٦٩هـ

والظلم ، و استدلال ابن الوزير بها على جواز أخذ الولاية منهم له وجهته إلا أنه في هذه المسألة يميل الى المذهب الزيدى الثورى .

و قد سرد فى (العواصم) من الأحاديث الكثيرة ما يدل على طاعة السلطان منها :

١- حديث ابى هريرة -رضى الله عنه- مرفوعا و فيه : (وإنما الامام جُنة ، يقاتل من ورائه ، و يتقى به ، فان أمر بتقوى الله وعدل فان له بذلك أُجرا و إن قال بغيره فان عليه منه)[١]

٢- و حديث عبادة بن الصامت مرفوعا و فيه : (و ألّا نتازع الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)[٢]

٣- و حديث حذيفه مرفوعا أُيضا وفيه : (تسمع و تطيع للأمير ، و إن ضرب ظهرك ، و أخذ مالك)[٣]

٤- و حديث وائل الحضرمى عن أبيه مرفوعا وفيه : (أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، و يمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ . . . قال : اسمعوا و أطيعوا ، فانما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم)[٤] وغير ذلك من الأحاديث الدالة على طاعة السلطان و إن كان جائرا ، هذه الأدلة التى تمسك بها جمهور الفقهاء .

و اما المعتزلة والشيعة فاحتجوا بالسمع والرأى ، معارضين للفقهاء فى هل يصح أخذ الولاية من أئمة الجور؟

أما السمع فبعمومات كقوله تعالى : (قال إنى جاعلك للناس إماما قال و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين)[٥]

أى من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافى وعهدى إليه بالامامة ، وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم ، وفى هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للامامة ، وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه ولا تجب طاعته[٦]

---

(١) البخارى جـ ٦ كتاب الجهاد باب يقاتل من وراء الامام ص٨ و مسلم جـ٣ كتاب الامارة باب الامام جنة ص ١٤٧١

(٢) البخارى جـ ٨ كتاب الفتن ص ٨٧

(٣) مسلم جـ ٣ كتاب الأمارة ص ١٤٧٦

(٤) مسلم جـ ٣ كتاب الامارة باب فى طاعة الأمراء ص ١٤٧٤-١٤٧٥ وسنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ ٦ ص ٤٤٢-٤٤٣

(٥) سورة البقرة : ١٢٤

(٦) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشرى ٥٣٨هـ جـ١ ص ٣٠٩ دار المعرفة بيروت.

وللفقهاء ان يجيبوا فى هذه الآية بأجوبة :

أولها: إن الامامة فى الآية المذكوره هى النبوة لأن ابراهيم -عليه السلام- سأل لذريته الإمامة التى جعلها الله له وهى النبوة .

ثانيها : إن الإمامة التى فى الآية مجملة محتملة لإمامة النبوة ، وإمامة خلافة النبوة.

وأدلة الفقهاء المتقدمه أخص لأنها نصوص فى خلافة النبوة

ثالثها : إن الآية من شرع من قبلنا ، وقد ورد فى شرعنا ما يخالفها ، والعمل بذلك غير جائز إجماعا .(١)

وسائر أدلة المعتزلة والشيعة من هذا القبيل إما دليل صحيح فى لفظه ، لكنه غير نص، أو نص غير صحيح، وأما الرأى فقالوا : الامام راع منصوب للمصلحة ، فاذا كان مهلكا للرعية مفسدا فى الارض كان المسترعى له كالمسترعى للذئب على الغنم ، ومطفى مشبوب النيران بالضرم.

وللفقهاء أن يجيبوا عن ذلك بأنهم لم يخالفوا فى جواز اختيار الامام فقد تقدم كلام القاضى عياض على أنه لا يصح نصب الفاسق ابتداء ، ولا حرّموا الخروج عليه الآ اذا غلب على الظن أن المفسدة فى الخروج عليه أعظم من مفسدة ولايته.

وقد اجمع العقلاء على احتمال المضرة الخفيفة ، متى كانت مؤدية الى ما هو اعظم منها كقطع العضو المتآكل متى غلب على الظن سريانه الى سائر الجسد .

وبهذا كما قال ابن الوزير ، (بان ان الفقهاء قد تمسكوا فى هذا بالنص السمعى والرأى العقلى)(٢)

(رحم الله ابن الوزير ، لست ادرى ان هذا منه ميول لمذهب الزيديه الثورى الموافق لمذهب المعتزله والخوارج ام اجتهاد منه كما هى عادته فى الدعوة الى الاجتهاد والتنفير من التقليد والتعصب؟)(.:.)

وللشوكانى (١٢٥٠هـ) بحث قيم يتعلق بهذه المسألة ، ذكره عند تفسير قول الله تعالى : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)(٣) .

حاصله : معنى الركون الميل والسكون ، وحقيقة الركون ، الاستناد ، والاعتماد ،

---

(١) انظر هذا الخلاف فى تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٤٠-٢٤١ فتح القدير للشوكانى جـ ١ ص ١٣٨ والروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٩٦-١٩٧

(٢) الروض الباسم لابن الوزير جـ ٢ ص ١٩٧

(٣) سورة هود : ١١٣

(.:.) هذه السطور الثلاثه منحيه

والسكون الى الشىء الرضا به.ثم هل الآية خاصة بالمشركين أو عامة؟ وعلى فرض خصوصها ، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

وقد وردت الأدلة الصحيحة البالغة عدد التواتر ، الثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوجوب طاعة الأئمة والسلاطين ، وفى بعضها ، وإن كان عبدا حبشيا ، وفى بعضها ما أقاموا الصلاة ، وما لم يظهر منهم الكفر البواح وما لم يأمروا بمعصية الله ، وظاهرها ، وإن بلغوا فى الظلم الى أعلى مراتبه ، فان طاعتهم واجبة ، على كل من صار تحت أمرهم ، ونهيهم ، فى كل ما يأمرون مما لم يكن فى معصية الله تعالى ، كالمناصب الدينية ونحوها ، اذا وثق الانسان من نفسه بالقيام بما وكل إليه ، فذلك واجب عليه ، فضلا عن أن يقال جائز له ،

وأما ما ورد من النهى عن الدخول فى الامارة ، فمقيد بعدم وقوع الأمر ممن تجب طاعته من الأئمة ، جمعا بين الأدلة ، أو مع ضعف المأمور عن القيام بما أمر به ، كما ورد التعليل بذلك.

وأما مخالطتهم ، والدخول عليهم ، لجلب مصلحة عامة ، أو خاصة ، أو دفع مفسدة عامة أو خاصة ، مع كراهية ما هم عليه من الظلم ، وعدم ميل النفس اليهم ، ومحبتها لهم ، وكراهة المواصلة لهم ، لولا جلب تلك المصلحة ، أو دفع تلك المفسدة ، فعلى فرض صدق مسمى الركون ، فهو مخصص بالأدلة الدالة على مشروعية جلب المصالح ، ودفع المفاسد والأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى ، ولا تخفى على الله خافية.

وبالجملة فمن ابتلى بمخالطة من فيه جور ، فعليه أن يزن أقواله ، وأفعاله ، وما يأتى وما يذر ، بميزان الشرع ، فان زاغ عن ذلك (فعلى نفسها تجنى براقش[1]) ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته ، فهو الأولى له ، والأليق به ، ومقتضى التقوى ، هو الاجتناب عنهم بالكلية ، (أليس الله بكاف عبده)[2]

أقول : هذا الكلام صادر من الشوكانى ، عن علم وخبرة ، فقد تولى رياسة القضاء العام فى اليمن وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وسمى بقاضى قضاة القطر اليمانى ، ودرس الأمور دراسة كاملة لكن لا أدرى ، هل كلامه هذا قبل توليه القضا او بعده؟ والله اعلم.

ثم إن الفقهاء وإن قالوا بصحة اخذ الولاية من أئمة الجور ، فلم يجعلوهم مثل أئمة العدل فى جميع الامور لوجوه:

---

(١) فى مجمع الامثال : على أهلها بدل نفسها وهو مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره إليه. مجمع الأمثال جـ ٢ ص ١٤-١٥

(٢) سورة الزمر: ٣٦ وانظر فتح القدير للشوكانى جـ ٢ ص ٥٣٠-٥٣١

١- إنهم نصوا على اشتراط العداله والعلم في الامام

٢- إنه يحرم نصب الامام الجائر عندهم والرضا باختياره

٣- إنه يحرم على الجائر التغلب على الامامة و يأثم بها .

٤- إن الخارج على الجائر لا يكون باغيا كما سبق .

٥- إن بعضهم منع من تسليم بيت المال إليه على سبيل الاختيار.

وبهذا يتبين غلط المعترض على الفقهاء حيث ظن أنهم يصوبون أئمة الجور في قتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس، بل نظروا في المصالح العامة والخاصة، وعملوا بمقتضى قواعد الشريعة في رعاية المصالح ، فانه لا يشك من تأمل أن أكثر الاقطار الاسلامية قد غلب عليها أئمة الجور من بعد انقراض عصر الصحابه ، ولا شك أن في أقطار المملكة الاسلاميه من المسلمين عوالم لا يحصون ، ولا شك أنهم لو تركوا هملا لا تقام فيهم الحدود ولا يقضى فيهم بحق ، ولا يجاهد فيهم الطغاة ، ولا يؤدب منهم العصاة ، لغشا الفساد و تعطلت الاحكام.

و قد علمنا على الجملة أن الله تعالى أراد باقامة الحدود زجر أهل المعاصي ، و أراد بالجهاد حفظ حوزة الاسلام ، وإرغام أعدائه ، فمتى توقفت هذه المصالح على شرط و تعذر تحصيله لم يعتبر ذلك الشرط، نظير ذلك نكاح المرأة بغير إذن وليها متى غاب أو بعد مكانه أو جهلت حياته ، فقد ترك كثير من العلماء شرط العقد المشروع - و هو رضى الولي - لأجل مصلحة امرأة واحدة و خوف مضرتها ، و من ذلك تزويج امرأة المفقود والانتفاع باللقطة بعد تعريفها سنة لأن المال خلق للمنفعة غالبا و نظائر ذلك كثير.(١)

و يتوصل ابن الوزير الى ان أخذ الولاية من أئمة الجور في ممالك الاسلام - وإقامة الحدود و استخراج الحقوق ، والقضا بين الخصوم من اعظم المصالح و آكد الفرائض المهمة فان جواز العمل بالمصالح - ما لم تصادم النصوص - مما اتفق عليه الصحابة و من بعدهم كزيادة حد الخمر الى ثمانين في خلافة عمر ، و ذلك ثابت في الصحيحين وغيرهما .(٢)

ثم ان ابن الوزير قد صنف كتابا سماه (الحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور)(٣)

و كانت بينه و بين الامام المهدى منافسة على عرش الزيديه في اليمن و كلاهما من معاصرى ابن الوزير و قد تضمن هذا الكتاب المذكور الرد على من وصم الامام المنصور بانه

---

(١) العواصم جـ ٤ ، الوهم ٣٣ والروض الباسم جـ ٢ ص ١٩٩ و من اراد الاطلاع على تفاصيل مصالح الأنام فعليه بمراجعة قواعد الاحكام في مصالح الآنام لابن عبد السلام

(٢) البخارى جـ ٤ كتاب فضائل الصحابه باب مناقب عثمان ص ٢٠٢-٢٠٣ مسلم جـ ٣ كتاب الحدود باب حد الخمر ص ١٣٣١-١٣٣٢

(٣) خ يوجد بمكتبة جامع صنعاء الغربية م ٩٦

غير كفء للامامة ، لعدم توفر شروط الامامة فيه عند الزيديه و أهمها الاجتهاد والنسب فهما فى النسب سواء إلا أن الامام المهدى يفوق الامام الناصر بغزارة العلم التى أهلته للاجتهاد، فقد بلغت مصنفاته ٧٠ مصنفا أو أكثر .

أما الاجتهاد فقد سبق ذكره عن النووى و غيره و أما النسب ففى قريش باتفاق ما عدى جمهور المعتزله والخوارج كما سبق فى أول هذا الفصل .

و أما الشيعة و منهم الزيديه فلا بد أن يكون الامام عندهم علويا فاطميا كما سبق و حاصل رد ابن الوزير الذى حرره فى حسامه المشهور ما يلى :

١- ان الاجتهاد بل أقله - فى نظر ابن الوزير - أمر خفى قد اشتد الاختلاف بين علماء الاسلام فى تفسيره و تيسيره أو تعسيره .

و قد اطال الكلام فى مسألة الاجتهاد فى مقدمة كتابه (العواصم والقواصم) بما فيه الكفايـــة .

٢- لو كان الاجتهاد شرطا فى الامامة كما أن الوضوء شرط فى الصلاة لقضت العـادة بذكرهم له عند بيعة الخلفاء ، و لأنكر على الانصار قطعهم بصلاحية سعد بن عبادة لذلك من غير اشتهاره بفقه ، ولا نقل ذلك من وجه صحيح ولا ضعيف ولا شهـير ولا غريب[1]

٣- ان المعتبر فى الكتاب والسنة - فى نظر ابن الوزير - العدل ، و ترك الجور ، لما تواتر فى الكتاب والسنة ، فى الثناء على الامام العادل ، والذم والوعيد للجائر .

و لم يرد فى الكتاب ، ولا فى السنة الثناء على الامام العالم ، والوعيد للجاهل ، و إن كان العلم محمودا ، والجهل مذموما فلم يكن الظالم مذموما من جهة جهل القبح الـذى فى الظلم ، ولا جهل الحسن الذى فى العدل ، فان حسن العدل ، والتمكن منه ، أمر يستوى فيه ، المجتهد ، والمقلد ، و لذلك تمكن كسرى ، من العدل - مع كفره - حتى جرى المثل فيه بالعدل و اشتهر اسمه به ، و اختص باسم الملك العادل ، فكيف لا يعرفـه ، و يتمكن منه أمراء الاسلام ، و لذلك علق الثناء والوعد بالعدل ، والذم والوعيد بالظلم[2]

تعليق على مسألة الامامة ، والسياسة و تحقيقها

إن مسألة الامامة ، متشعبة الأطراف ، صعبة المسالك ، و شائكتها كما عرفت فمنذ يوم السقيفة والخلاف فيها مستمر ، مرورا بقتل عثمان ، و فتنة الجمل و صفين ، و تنازل الحسن عنها و مخالفة أخيه الحسين بالخروج على يزيد ، و كذلك ابن الزبير ، و أهل الحرمين

---

(١) الحسام المشهور لابن الوزير خ صنعاء ورقة ١١٠-١١١

(٢) انظر الحسام المشهور فى الذب عن الامام المنصور خ صنعاء ورقة ١١٠-١١١

من الصحابة والتابعين، و مخالفة الجماهير لرأيهم ، وما حصل من الفتن والمصائب والمفاسد ، و سفك الدماء حول الكعبة و حرّة المدينة،بل ما حصل فى المدينة المنورة ، و داخل المسجد النبوى الشريف، و خروج زيد بن على فى عهد هشام بن عبد الملك ، و من تبعه من العلويين فى عهد الأمويين والعباسيين ، و ما ترتب على ذلك من المفاسد . أما يمننا فقد نال الحظ الاوفر من المصائب والمفاسد الناتجه عن الامامة والسياسة،منذ أسس الامام الهادى يحيى بن الحسين الدولة الزيدية فى اليمن كما سبق بيانه فى فصل (الزيدية) وفى الحالة السياسية فى عصر ابن الوزير ، بل إلى عصرنا الحاضر فى اليمن وغيره ، فهذه الوقائع المعقدة ترشح المسألة لما ذكرت من الصعوبة،كما عرفت بعض الوقائع فيما سبق، فأهل السنة يقولون : الإمامة فى قريش، والشيعة و منهم الزيدية يقولون فى العلويين الفاطميين ، والمعتزلة والخوارج يخالفون هؤلاء و هؤلاء و هكذا . . .

والفقهاء والمتكلمون يتجاذبونها فيما بينهم ، و خصم ابن الوزير يلقى باللائمة على الفقهاء كما سبق و ابن الوزير يدافع عنهم ، و غيرهما هذا يحكى الاجماع ، على تحريم الخروج ، و هذا يحكى خرقه ، و هذا يحكى الاتفاق ، و ذاك يعارضه بالاختلاف المشهور و هؤلاء يستدلون على تحريم الخروج ، و هؤلاء يحملون و يؤولون ، و يستدلون بخروج بعض الصحابة والتابعين،و بخروج الحسين ، و هؤلاء يستدلون بفعل الحسن ، و بما يترتب على الخروج من المفاسد العظيمة و هكذا و كل هؤلاء المختلفين من أئمة المسلمين و كبار العلماء .

و جدال ابن الوزير و خصمه هو حول نسبة القول الى الفقهاء ، بأنهم يجوزون إمامة الجائر ، و أنهم كانوا مع الجورة الذين قتلوا أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ بل شيعتهم ، لأنهم يعتقدون بغى من خرج على الظلمة ، و يصوبون قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، كونهم بغاة ، و دفاع ابن الوزير عن الفقهاء بانهم لا يقولون بأن الخروج على من فحش جوره ، بغيا ولا إثما،فالباغى فى اصطلاحهم ، هو المخالف لإمام العدل ، الخارج عن طاعته .

و هذا لا ينطبق على الجورة ـ فى نظر ابن الوزير ـ و أن جواز الخروج على من فحش ظلمه ، مستثنى ، كيزيد والحجاج ، لما سبق من الشواهد .

و ليس هذا ـ فى نظر ابن الوزير ـ هو موضع الخلاف بين الزيدية والفقهاء ، لا تفاق الجميع فى شروط الإمامة ما عدا النسب ، و إنما هو فى تغلب الظالم ، و غلب على الظن أن الانكار يؤدى الى منكر اعظم منه .

فالفقهاء منعوا الخروج على كثير من الظلمة لأجل ذلك ، و هذا مذهب المعتزلة والزيدية ، المنبثق عن مبدء الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فانهم يشترطون شروطا يتفق بعضها مع مذهب الفقهاء ـ على حد تعبير ابن الوزير،و على حد تعبير بعض الفقهاء ـ

كما عرفت الخلاف سابقا ، وعليه فليس هذا محل الخلاف .

وإنما الخلاف الحقيقى ، هو هل يصح أخذ الولاية من الظلمة أو لا ؟

وقد وافق بعض أئمة الزيدية بعض الفقهاء على جوازها .

وقد سبق ذكر الأدلة للفقهاء والمعتزلة والزيدية ، الشرعية منها والعقلية ،ومناقشتها

والفقهاء أو بعضهم ، وإن قالوا بجواز أخذ الولاية ، من أئمة الجور ، فعلى التفصيل السابق .

وبهذا يتبين غلط المعترض على الفقهاء او بعضهم حيث ظن أنهم يصوبون أئمة الجور فى قتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وإنما نظروا فى المصالح العامة ، والخاصة ، وعملوا بمقتضى قواعد الشريعة فى رعاية المصالح ، وأن أخذ الولاية من أئمة الجور ، لاستخراج الحقوق ، وإقامة الحدود ، والقضاء بين الخصوم من أعظم المصالح .

أما مسألة شرط الاجتهاد فى الامام ، فذلك مما لا يوافق عليه ابن الوزير ، لما سبق من التعليل من أنه قد اشتد الاختلاف فى تيسيره وتعسيره ، وترجيح ابن الوزير لصحة إمامة المنصور على بن صلاح يخالف ما عليه الفقهاء او بعضهم بل الزيدية من أن الاجتهاد شرط فى الامامة .

فالامام المهدى - المنافس للامام المنصور - على عرش الزيدية فى اليمن تدل مصنفاته البالغة ٧٠ مصنفا ، على أنه بلغ درجة الاجتهاد ، بل البحر الزخار يكفيه . أما الامام المنصور ، صاحب ابن الوزير ، فلم أقف له على مصنف واحد ، ولم يذكر له الشوكانى كتابا واحدا أثناء ترجمته ، كذلك الحبشى ، لم يذكره فى (حكام اليمن المؤلفون المجتهدون)

ولكن الله تعالى أمده بالعون والتوفيق ، فقمع الظلمة واشتغل بالمعارف العلمية وقرب العلماء وكانت خلافته خيرا وبركة للبلاد والعباد .(1)

وأما ما ذهب اليه ابن الوزير من تقرير كلام الفقهاء او بعضهم ، على جواز الخروج ، على من فحش ظلمه من أئمة الجور فيحمل على ما كان عليه الأمر سابقا ، ممن كان يرى الخروج سائغا ، ثم لما رأى المسلمون عواقبه الوخيمه تقرر بل استقر الأمر على عدم الخروج ، وصاروا يذكرونه فى عقائدهم ، ولذلك أشار شيخ الاسلام ابن تيمية فى معرض كلامه على المفاسد التى ترتبت على القول الفاسد الذى يرى الخروج على أئمة الجور والظلم ، كما حصل من المفاسد العظيمة فى فتنة ابن الزبير وفى الحرة أيام يزيد ، وفتنة ابن الأشعث فى عهد عبد الملك بن مروان وغير ذلك فقال : (ولهذا استقر أمر أهل السنة ، على ترك

---

(1) انظر البدر الطالع للشوكانى ج ١ ص ٤٨٧ ترجمة الامام المنصور .

القتال فى الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاروا يذكرون هذا فى عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل فى الفتنة خلق كثير، من أهل العلم والدين، وباب قتال أهل البغى، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر يشتبه بالقتال فى الفتنة)(١)

لكن ظاهر كلام ابن الوزير السابق، لا يتفق مع احتمالى هذا لكلام الفقهاء أو بعضهم من الاستقرار على عدم الخروج، يعرف تاييده لجواز الخروج - وإن لم يصرح به - من تلمسه للأدلة المقوية له، والاجتهاد فى البحث عنها، وإن لم يصرح بذلك، كما هو المتبع فى الأسلوب الجدلى، فهو وإن كان ذكر الأحاديث الدالة على طاعة السلطان، فى (العواصم والقواصم) إلا أنه ناقشها على لسان المعارضين بأسلوب جدلى، وأنها محمولة على طاعة أهل العدل والدين، ولكن تصريح الأحاديث الصحيحة فى طاعة الأئمة والسلطان لا يساعد على هذا الاحتمال، كيف يحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع)(٢)

أما اذا أمر السلطان بمعصية الله تعالى - فلا سمع ولا طاعة - كما هو ظاهر النصوص.

وقد حكى الحافظ إجماع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان وإن كان متغلبا بقوله: (وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته فى ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها)(٣) لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا وفيه: (وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)(٤) هذا حجتهم على الكفر أما حجتهم على الصبر على الجورة والظلمة، فهو حديث ابن عباس مرفوعا: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية)(٥)

وهذا الاجماع هو الذى احتج به خصم ابن الوزير مستنكرا احتجاج الفقهاء به لأن مذهب الزيدية او جمهورهم جواز الخروج أو وجوبه على السلطان الجائر وقد ذكر فى أوائل هذه المسألة، وحكاه عن ابن بطال، ولم اجده عنه، بل عن الحافظ ابن حجر

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية جـ ٢ ص ٢٤١ وانظر العقيدة الطحاوية شرح وتحقيق الألبانى ص ٤٧

(٢) مسلم جـ ٢ كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٦

(٣) فتح البارى جـ ١٣ ص ٨ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٧ ص ١٩٩

(٤) البخارى جـ ٨ كتاب الفتن ص ٨٧

(٥) متفق عليه البخارى جـ ٨ كتاب الفتن ص ٨٧ مسلم جـ ٢ كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ص ١٤٧٧

كما بينته قريبا و يمكن أُنه نقله عن ابن بطال من شرح البخارى الذى ما زال مخطوطـــا ـ حسب ظنى ـ و لم يسنده الحافظ الى ابن بطال ، والله اعلم.و قد خرق هذا الاجماع ابن حزم ، و إمام الحرمين ، و ابن الوزير و ابن العماد الحنبلى ، بل حكى اتفاق العلماء على تحسين ما فعله الحسين .

و يظهر ـ والله اعلم ـ ان النكتة التى يهدف المعترض والمجيب اليها ، لم يذكرهـا الحافظ فى حكايته الاجماع ، و قد سبق ذكرها حاصلها : ان المعترض فرع من الاجماع المذكور ، أن الفقهاء كانوا شيعة الحجاج ، بل شيعة يزيد قاتل الحسين لأنهم يعتقدون بغى من خرج على المتغلب الظالم ، و يصوبون ، قتل الذين يأمرون بالقسط من النـاس لأنهم بغاة على قولهم ، و اجابة ابن الوزير المتضمنة عكس هذا ، و أن كلام بعض المحدثين والفقهاء صريح ، فى أن الأمر ليس كذلك ، و أن كلامهم يتضمن استنكارهم ، لما فعله يزيد ، والحجاج ، و أن الحسين و زيدا شهيدان لا باغيان .

و قد رأيت من المستحسن أن أختم هذه المسألة ، بكلام لشيخ الاسلام ، يتفق مـع مبادئ الأطراف المتنازعة فى المسألة ، فيتفق مع مبدأ المعتزلة والزيدية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، و يتفق ايضا مع اقوال الفقهاء السابق ذكرها ، أو إجماعهم الذى حكاه الحافظ .

أما المعتزلة والزيدية ، فان النهى عن المنكر عندهم ، لا يحسن اذا كان يؤدى الى وقوع منكر اكبر منه بخلاف الخوارج فانهم لم يتحفظوا .

و أما الفقهاء فللاجماع الذى حكاه ابن حجر ، و حاصل كلام ابن تيمية ما يلى :
(السلطان الجائر اذا قيل بوجوب الخروج عليه ، كما يفعله من يرى السيف ، فهذا رأى فاسد ، فان مفسدته اعظم من مصلحته ، و قلّ من خرج على امام ذى سلطان ، الا كـان ما تولد على فعله من الشر ، اعظم مما تولد من الخير ، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة و كابن الأشعث الذى خرج على عبد الملك ، بالعراق ، و غيرهم ، فهزموا ، و هزم اصحابهم ، فلا أقاموا دينا ، و لا أبقوا دنيا ، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين، و لا صلاح الدنيا ، و إن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ، و من اهل الجنة ، فليســوا أفضل من على ، و طلحة ، والزبير ، و عائشة ، و غيرهم ، و مع هذا لم يحمدوا ما فعـــلوه من القتال ، و هم أعظم قدرا عند الله ، و أحسن نية من غيرهم ، و كذلك اهل الحرة كـان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، و كذلك اصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من اهل العلم والدين ، والله يغفر لهم كلهم)[1]

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٠-٢٤١

قلت : و قد مدح النبى عليه الصلا والسلام الحسن بن على -رضى الله عنهما- على ترك القتال و تنازله عن الخلافه حقنا لدماء المسلمين و كان فى طاعته جيش كبير قال النبى عليه الصلاة والسلام مادحا له (إن ابنى هذا سيد و لعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) هذا لفظ البخارى ، وفى رواية الترمذى (... سيصلح الله على يديه بين فئتين)[1].

و هذه معجزة من معجزاته -صلى الله عليه و سلم-، و منقبة من مناقب الحسن رضى الله عنه ، وإلا فما فائدة المدح بدون ترك القتال، و أن الذين خرجوا من السلف من أهل البيت، و غيرهم لا يحط ذلك من قدرهم شيئا لأنهم اجتهدوا وحكمهم حكم المجتهد و أخيرا إن القائلين بوجوب الخروج أو جوازه ، على أئمة الجور ، أدلتهم عمومات من الكتاب والسنة ، فى وجوب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، لكن على ما سبق تقريره ، والصواب مع المانعين ، لأن أدلتهم أخص من العمومات ، و صريحة فى طاعة الأئمة والسلطان وقد قرر الحافظ والشوكانى[2] أنها متواترة مطلقا و هى إلى التواتر المعنوى أقرب ، فلا ينبغى العدول عنها ، لما تقرر فى الاصول والله اعلم.

---

(١) البخارى ج ٣ كتاب الصلح باب قول النبى للحسن ص ١٧٠ سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ١٠ ص ٢٧٧ مسند احمد ج ٥ ص ٤٩

(٢) انظر فتح البارى ج ١٣ ص ٨ و نيل الأوطار للشوكانى ج ٧ ص ١٩٩

الفصل السادس

موقف ابن الوزير من الابتداع والتقليد

معنى الابتداع والتقليد :

أصل مادة الابتداع - بدع - للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : (بديع السموات والارض)(١) اى مخترعهما على غير مثال سابق .

وأبدعت الشيء وابتدعته استخرجته وأُحدثته ، ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة وهى اسم من الابتداع ، كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص من الدين أو زيادة فيه .

والابتداع هو اسم الفعل اوالترك لما يخالف الشرع .

والبدعة : الحدث فى الدين بعد الاكمال (اليوم اكملت لكم دينكم وأُتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)(٢) .

والبدعة : ضد السنة ،وفاعل البدعة يسمى مبتدِعا ،والفعل مبتدَعا .

وفى صحيح مسلم عن جابر مرفوعا : (.. وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)(٣)

وقد تكلم الشاطبى فى معنى البدعة والابتداع بما لا يسع المقام تدوينه/وهو كلام مفيد فى بابه/من أراده فليراجعه . كذلك ابن الجوزى سنة ٥٩٤ هـ قد أجاد وأفاد فى ذم البدع والمبتدعين .

وأما معنى التقليد فهو : قبول قول الغير دون مطالبة بحجة(٤) .

والكلام على الابتداع والتقليد يشمل اصول الدين وفروعه ،إلا أن كلام ابن الوزير فى هذا الفصل اكثر مايندد بالمتكلمين أهل الاهواء الضالة والمقلدين لهم من اتباعهم فى اصول الدين كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الانعام : ١٠١ .
(٢) سورة المائدة : ٣ .
(٣) مسلم جـ٢ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ص ٥٩٢ .
(٤) انظر التفاصيل فى الاعتصام للشاطبى جـ١ ص ٣٦ ومابعدها ط. بيروت والقاموس للفيروز آبادى جـ٣ ص ٣-٤ والصحاح للجوهرى جـ٣ ص ١١٨٣-١١٨٤ والمصباح المنير للفيومى جـ١ ص ٤٤ وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص ٢٥٢-٢٥٤ الحلبى ط. رابعة سنة ١٣٩٣ هـ والسنن والمبتدعات للشقيرى ص ١٨ ومابعدها المطبعة اليوسفية والقول المفيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد للشوكانى ص ١٩ ، تحقيق عبد الرحمن عبد الخالق ، دار القلم ،الكويت ط. اولى سنة ١٣٩٦ هـ ، والبدر الطالع له جـ٢ ص ٩٠ ،وتلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١١ ومابعدها .

ثم ان الابتداع فى الدين قد صنفت فيه المصنفات العديدة كالاعتصام للشاطبي و(تلبيس ابليس) لابن الجوزى و(السنن والمبتدعات) للشقيرى .

وأحسن ما اطلعت عليه فيما يتعلق بالبدع فى اصول الدين كتاب (بيان تلبيس الجهمية) فى بدعهم الكلامية، لابن تيمية فقد فندها وردها بالبراهين النقلية والعقلية كذلك كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) فيه الكثير الطيب . ومعلوم شرعا أن كل بدعة ضلالة، ومن أحدث فى هذا الدين ماليس منه فهو مردود، لحديث : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) وفى رواية : (من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) (:.) . ومما يحسن التنبيه اليه أن يُعلم أنه لا ينبغى أن يخفى على أهل الاسلام دين رسولهم الذى بعث إليهم وأقام بين أظهرهم يبينه لهم حتى تواتر ، بيّن كل شىء حتى كيفية قضاء الحاجة والسواك . والعقائد أولى بذلك لأنه لا يجوز أن يتجدد للخلق مالم يكن واجبا على السلف بخلاف الفروع فقد تجدد الحوادث ويقع للمتأخر فيها مالم يقع للمتقدم وللاصوليين فى ذلك قواعد ومناهج مقررة فى اصول الفقه .

ولكن للسلف - لاسيما الصحابة - معرفة بامور السنة وأحوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يعرفها أكثر المتأخرين - لأنهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم إنه ينبغى أيضا على كل عاقل له صلة بالعلم أن يصحح النية ويطرح العصبية ، ويستعمل النظر بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ولا يقدم عليها مالقنه أهل مذهبه فإنه كما قال ابن الوزير : (إذا نظر كذلك فى أمرين متضادين فيما يحتاج إليه يجد ترجيح الحق منهما على الباطل بينا لا يُدفع مكشوفا لا يُقنَّع) (*).

وقد أفاض ابن الوزير فى قضية الابتداع فى الدين ومنشئه ومرجعه ، بل فصل القول فيه بدقة ، بيّن فيه أن منشأ معظم البدع التى تسربت إلى أهل الاسلام كلها ترجع إلى أمرين واضح بطلانهما :

أحدهما : الزيادة فى الدين بإثبات مالم يذكره الله تعالى ورسله عليهم السلام من مهمات الدين الواجبة .

(*) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٣٢ .

(:.) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها - البخارى جـ٣ كتاب البيوع باب النجش ص ٢٤ كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا . ص ١٦٧ ، مسلم جـ٣ كتاب الاقضية باب نقض الاحكام الباطلة ص ١٣٤٣-١٣٤٤ ، سنن ابن ماجة جـ١ المقدمة ص ٧ ، سنن ابى داود مع عون المعبود جـ١٢ كتاب السنة ص ٣٥٨ .

ثانيهما : النقص منه بنفي بعض ماذكره الله تعالى ورسله بالتأويل الباطل (١) .

ويلحق بهما كما قال ابن الوزير : (التصرف فيه - اى فى الدين - بالعبارات المبتدعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع ابن الوزير إلحاق التصرف فى الدين بالامرين السابقين على سبيل الاطلاق ، بل ينبه على ذلك بأنه ليس بأمر ثالث، ولكنه أفرده بالكلام وحده لطول القول فيه ، وعظم المفسدة المتولدة عنه ، وسيأتي الكلام عليه قريبا ان شاء الله تعالى . ولنذكر أولا :

الامر الاول : الزيادة في الدين وهي أنواع :

١ - رفع المظنون من العقليات أو الشرعيات إلى مرتبة المعلوم ، وهذا حرام بالاجماع، كما حكاه ابن الوزير - وإنما يختلف الناس فى التفطن لاسبابه (٢) منها :

أ - هل الأدلة العقلية الموجبة للتأويل قطعية ام لا ؟

ب - ومنها أنهم أسرفوا في التقصير في علم السمع .

جـ - ومنها أنّ طائفة من أهل السمع أتقنوه ، ثم نازعهم علماء المعقولات المقصرون فى السمع، فى نفي الشفاعة للموحدين، ونفي الرجاء للمذنبين، وإيجاب خلودهم فى النار مع المشركين، فظن أولئك الذين أتقنوا ماعلموا من السمع أن العلوم العقلية معارضة للسمع الحق فى ذلك لشبهة أن معارضيهم يدّعون التحقيق فى المعقولات فعادَوا علم المعقول وأهله، وظنوا أن النظر فيه يستلزم البدعة من غير بد ، ولو نظروا بعين التحقيق لعلموا أن خصومهم إنما أتوا من التقصير فى علم السمع ، وإقلال البحث عنه، وماشابوا به جدالهم من المعقولات ، فإنهم ادعوا على العقل ما هو بريء منه .

وفى هذا إشارة الى مذهب المعتزلة فى مرتكب الكبيرة - غير الشرك - من أهل القبلة، وقد سبق الكلام على ذلك فى الفصل الاول من الباب الثانى . وفى موقف ابن الوزير من اصول المعتزلة والزيدية .

ومعلوم أن العلوم العقلية الصريحة لا تعارض السمعيات الصحيحة، فقد صنف شيخ الاسلام ابن تيمية مصنفات خاصة بهذا ، منها (درء تعارض العقل والنقل) ومنها (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٦-٨٧ .

(٢) راجع تفاصيل الاسباب فى الصور الأربع التى ذكرها ابن الوزير فى كتابه ايثار الحق على الخلق ص ١١٧-١٢٧ .

٢ - أن يُدخل فيه مالم يكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهد أصحابه - رضى الله عنهم - مثل القول بأنه لا موجود إلا الله كما هو قول الإتحادية (١) وأنه لا فاعل ولا قادر إلا الله كالجبرية ، وكالقول بان لله صفة لم ترد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ولا هى فى أسمائه الحسنى، وأن معرفة هذه الصفة المخترع اسم لها واجبة، وهى الصفة الاخص عند بعض المعتزلة (٢) ، ويسمونها أيضا صفة المخالفة، وأنها المؤثر فى سائر صفات الكمال الذاتية الأربع ، وهى كونه حيا، قادرا، قديما، عالما، لا بعلم، وقدرة، وحياة، هى صفات قديمة ، ومعان قائمة به، وعللوا ذلك بانه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص أوصافه لشاركته فى الإلهية (٣) .

أما عند اهل السنة فالصفة الأخص مثل كونه تعالى رب العالمين وأنه بكل شىء عليم وأنه على كل شىء قدير وغير ذلك مما لا يجوز أن يتصف به غيره سبحانه وتعالى . كذلك ما انفردت به الاشعرية من دوام وصف الله تعالى بالكلام ووجود ذلك فى القدم والأبد وجعله مثل صفة العلم ، لا يجوز خلوه عنه طرفة عين وهو خلاف ماورد به الشرع .

فالشرع ورد بان الله متكلم ، وأنه كلم موسى تكليما ، ونحو ذلك ، فما زاد عن هذا فهو - فى نظر ابن الوزير - بدعة فى الدين قد أدت الى التفرق المنهى عنه (:.)

قال ابن تيمية : حكاية عن محمد بن الهيصم الكرامى (إن الكلابية وأصحاب الاشعرى زعموا أن الله كان لم يزل يتكلم بالقرآن) (*)

والمأثور عن ائمة الحديث والسنة (أن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء) هذا نص شارح الطحاوية (٤) .

٣ - الكذب فى الدين عمدا ، وهذا كما قال ابن الوزير : (يضر من لم يكن من أئمة الحديث والسير والتواريخ ، ولا يتوقف على نقدهم فيه بحيث لا يفرق بين مايتواتر عند اهل التحقيق وبين مايزوره غيرهم) (٥) .

---

(١) الإتحادية نسبة الى القول بالاتحاد وهو القول بوحدة الوجود فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق كما يقول ذلك اهل الوحدة كابن عربى وابن سبعين وابن الفارض انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص ٢٩٤ وعند بعضهم ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى المرجع نفسه ص ١٤٠ جـ ٨ ص ٢٠٣ . ص ١٤ جـ ٨ ص ٢٠٧ .

(٢) عند الشهرستانى هذا مما يعم المعتزلة كما فى الملل جـ١ ص ٤٣ والبغدادى والاشعرى لم اجد لهما مايدل على اجماع المعتزلة على هذا وجمهورهم عند ابن تيمية كما فى التدمرية ص ٤٧ . لابن الوزير

(٣) انظر إيثار الحق على الخلق/ص ١٠٣-١٠٤ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١١٤ ، والملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص ٤٤ .

(*) مجموع الفتاوى جـ٦ ص ١٨٤

(:.) ايثار الحق على الخلق ص ١٠٥ .

(٤) ص ١٨٠

(٥) ايثار الحق على الخلق ص ١٢٨

ثم يصف العلاج النافع بقوله : أيضا : (وليس له دواء إلا إتقان هذا الفن والرسوخ فيه ، وعدم المعارضة لأهله بمجرد الدعاوى الفارغة وهو علم صعب يحتاج الى طول المدة ومعرفة علوم الحديث . .) (١) .

٤ - اثبات أهل الاتحاد لما يثبته المعتزلة أو نحوه ، فإنهم يفرقون بين الله تعالى وبين اسمه الأحد ، فيجعلون الأحد مؤثرا فى الله الواحد وفى سائر أسمائه ، ويجعلون الأحد سابقا فى رتبة الوجود على الله ، ويجعلون الله فى الرتبة الثانية ، والاحد فى الاولى ، ويسمون الثانية هم والفلاسفة بأسماء مبتدَعة ، منها الحضرة العمائية والواحدية والأحدية ، وكثيرا مايفرقون بين الحضرة الأحدية والحضرة الواحدية ، ويعنون بالحضرة الأحدية الوجود المطلق وهو عندهم الحق الذى لا نعت له ولا وصف ، فليس للحق وجود أصلا ، كقول الملاحدة سواء فى نفى أسمائه (٢) تعالى .

نكتفى بهذه النماذج من البدع الكثيرة التى ذكرها ابن الوزير فما سبب تلك الزيادات فى الدين ؟

- أسباب الزيادات فى الدين :

لم أقف لابن الوزير إلّا على سبب واحد من أسباب الزيادة فى الدين وهو قوله : (سببه تجويز خلو كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ، ولو بالنظر الدقيق ، ليكون ثبوتها بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطريق النظر العقلى ، هذا مذهب اهل الكلام ، ومذهب أهل الأثر أنه ممنوع) (٣) لوجوه ذكرها نلخصها فيما يلى :

١ - قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (٤) والقول بوجوب ما أوجبه أهل الكلام يلزم منه أنه بقى أهم الدين من تقرير القواعد التى يجب بها تأويل السمع على التفصيل فى آيات الصفات وكثير من الاسماء الحسنى ، كالرحمن الرحيم الحكيم .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٨-١٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٤ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٧ .
(٤) سورة المائدة : جزء من اية ٣ .

والقول بهذا يتناقض مع مدلول الآية الكريمة الذى هو إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضا الله سبحانه بذلك .

٢ - إنه لا يجوز ان تثبت العقول زيادة فى الشريعة لا يدركها العقل بلا نزاع .
وإنما النزاع فيما تدركه العقول ، كنفى الولد عن الله - تعالى - ونفى الثانى، لكن الله تعالى قال فى نفى الثانى : (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا)[1] . (ماتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)[2] . وقال فى نفى الولد : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه)[3] وقال (لم يلد ولم يولد) وقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا ، وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا)[4] .

ففى هذه الآيات دلالة على أنه لا يجوز خلو كتب الله تعالى ورسله عن أمر كبير من مهمات الدين العقلية ، وكذلك قوله تعالى : (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون)[5] . وعلق ابن الوزير على هذه الآية بقوله (فثبت أن ماخلت عنه كتب الله تعالى فليس من مهمات الدين ، وأن زيادته فى الدين محرمة ،
ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذراً منه من فتنة الدجال وعظمها ، وأخبر عن الانبياء كلهم انهم حذروا أممهم منها ، مع أن بطلان دعواه معلوم بالعقل ، لانه يدعى الربوبية ، وهو بشر يحتاج الى الاكل والشرب و . و . . الخ بل زاد فى البيان انه أعور مكتوب بين عينيه كافر)[6] .

---

(١) سورة الانبياء : ٢٢ .
(٢) سورة المؤمنون : ٩١ .
(٣) سورة الانبياء : ٢٦ .
(٤) سورة مريم : ٨٨-٩٢ .
(٥) سورة النحل : ٦٤ .
(٦) هذا طرف من معنى حديث الدجال الطويل رواه البخارى جـ٨ كتاب الفتن باب ذكر الدجال ص ١٠١-١٠٣ جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ولتصنع على عينى ص ١٧١-١٧٢ ، مسلم جـ٤ كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد ص ٢٢٤٥ بـاب ذكر الدجال ص ٢٢٤٧-٢٢٤٨ ، سنن ابن ماجه جـ٢ كتاب الفتن باب فتنة الدجال ص ١٣٦٠ ، مسند احمد جـ١ ص ١٧٦-١٨٢ وانظر نص ابن الوزير فى الايثار ص ١٠٨-١٠٩ .

٣ - قوله تعالى : (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا)(١) (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)(٢) ولا معنى للإرسال كما يقول ابن الوزير (إلا البيان وإلا لصح أن يرسل الله رسولا أبكم غير ناطق .. وقد نص الله تعالى على أنه أرسل كل رسول بلسان قومه ليتم لهم البيان)(٣) . يشير ابن الوزير الى قوله تعالى : (وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)(٤) .

٤ - إن الله تعالى وصف القرآن بأنه تبيان لكل شىء فقال : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)(٥) .
وقال سبحانه : (مافرطنا فى الكتاب من شىء)(.) ، وفى هذا دلالة على أن القرآن الكريم لم يترك شيئا من مهمات الدين الاعتقادية ، وإن كانت عقلية ويدخل فيه مابينه النبى صلى الله عليه وسلم (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)(٦) وقال الله تعالى مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم (لتبين للناس ما نزل اليهم)(٧) وهذا بيان جلى .
ومن ذلك قوله تعالى : (وترى كل أمة جاثية كل امة تدعى الى كتابها)(٨) وجه الاستدلال من الآية أن كتابها هو موضع الحجة عليها فى أمور الدين ومهماته ، ولولا ذلك ما اختص بالدعاء اليه ، وأما الفروع العملية فكما قال ابن الوزير : (لا حرج فى الخوض فيها بالظنون بالنص والاجماع)(٩) .

٥ - الاجماع على تحريم البدعة فى الدين ، ومازال الصحابة والتابعون لهم باحسان يحذرون من ذلك وقد قامت الحجة بموافقة المتكلمين والغلاة على ذلك فى الجملة حتى رمى بعض المتكلمين بعضا بذلك كما يقول ابن الوزير : (عند الضجر من الخوض فى المباحث الشنيعة) .

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة النساء : ١٦٥ .
(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٩ .
(٤) سورة ابراهيم : ٤ .
(٥) سورة النحل : ٨٩ .
(٦) سورة الحشر : ٧ .
(٧) سورة النحل : ٤٤ .
(٨) سورة الجاثية : ٢٨ .
(٩) إيثار الحق ص ١٠٩-١١١ ، ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ١٧ .
(.) سورة الانعام : ٣٨ .

٦ - قوله صلى الله عليه وسلم - فى الصحيحين - (دعونى ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم) (١) وفى رواية (ذرونى) .
وفى هذا المعنى أحاديث جمة مجموعها كما يقول ابن الوزير : (يفيد العلم بان الشرع ورد بحصر الواجبات والمحرمات وان السؤال عما لم يرد به حرام) (٢) .

٧ - إن الدين قد جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفرغنه ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات الاتباع الدين المعلوم، الذى جاء به لااستنباطه بدقيق النظر ، كما صنعت الفلاسفة الذين لم يتبعوا الرسل .
وعلى هذا درج السلف ،ولذلك قال مالك : (أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجدله ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) (٣) . ولوكان الدين مأخوذا من النظر لكنا قبل النظر غير عالمين ما هو دين الاسلام وانما نخترعه نحن ، وهذا باطل ضرورة .

٨ - إن العقول بريئة مما ادعوا عليها من معرفة وجوب مالم يرد به كتاب الله تعالى ومن معرفة صحة ما يناقض القرآن الكريم ، فقد وضح للمحققين من نظار العقلاء وأذكيائهم أنه لا تعارض بين صحيح السمع وصحيح العقل ،وأن أصل البدع كلها يوهم التعارض بينهما) (٤) .

٩ - إن الله - سبحانه - قد أمر بالتحاكم عندا لنزاع الى الله ورسوله فى عدة مواضع من القرآن، لا فى الأحكام الفرعية العملية فقط بل فى جميع المجالات ،والاعتقاديات أولى ،اذ الفروع الفقهية مجال الاجتهاد فيها واسع ، ولا يقال للمخطئ فيها كافر ، وإنما سمعنا التكفير فى الخطأ بين أهل الكلام الخائضين فى أصول الدين .
وقد نفى الله - سبحانه - الإيمان عن المعرضين عن ذلك بقوله : (فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) ولم يكتف بذلك بل لابد من الإذعان والقبول (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٥) .

---

(١) متفق عليه البخارى ، جـ٨ كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١٤١-١٤٢ ،مسلم واللفظ له جـ٢ كتاب الحج باب فرض الحج مرة فى العمر ص ٩٧٥ جـ٤ كتاب الفضائل باب توقيره صلى الله عليه وسلم ص ١٨٣٠ .
(٢) الايثار لابن الوزير ص ١١٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ١١٥ وانظر العواصم له جـ٢ الوهم الخامس عشر ورقة ١٧ .
(٤) المصدر نفسه ص ١١٦-١١٧ .
(٥) سورة النساء : ٦٥ .

يؤكد ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (١) .

ولا شك أن القرآن العظيم أعظم ماقضى به صلى الله عليه وسلم ودعا اليه ، ثم سنته التى هى تفسير القرآن الكريم وبيانه ، كما اجمعت عليه الامة فى تفاصيل الصلاة والزكاة وسائر أركان الاسلام ، وفى المواريث وغيرها . قال تعالى : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمةً لقوم يؤمنون) (٢) .

قال ابن الوزير : (وما أبلغ قوله : (فصلناه على علم) وأعظم موقعه عند المتأملين ، لأن العلوم تقل وتتلاشى فى جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح من البراهين والأساليب ، ومايضر ويفسد فى ذلك بل قد جاء فى الحديث الصحيح: إن علم الخلائق فى علم الله تعالى كما يأخذ الطائر من البحر بمنقاره (٣) .

ومما جاء فى ذلك من طريق أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال فى القرآن الكريم (.. فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم ، من ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى الى صراط مستقيم) (٤) . وله شاهد من حديث زيد بن ارقم مرفوعا فى صحيح مسلم (٥) وفيه : (الا وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله -عز وجل- هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة)

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة الاعراف : ٥٢ .

(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٤-١١٥ وانظر الترجيح له ص ٣٣-٣٧ ، والحديث الذى اشار اليه ابن الوزير فى الصحيحين متفق عليه من حديث ابن عباس الطويل وهذا معنى طرف منه البخارى جـ ٥ كتاب التفسير سورة الكهف ص ٢٣٠-٢٣٥ ومسلم جـ٤ كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر ص ١٨٤٨-١٨٥٣ سنن الترمذى مع تحفة الاحوذى جـ٨ تفسير سورة الكهف ص ٥٨٨-٥٩٦ .

(٤) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى جـ٨ ص ٢١٨-٢٢١ ، سنن الدارمى جـ٢ ص ٣٠٩ ، تحقيق عبدالله هاشم اليمانى دار المحاسن للطباعة وقال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزه الزيات وإسناده مجهول وفى حديث الحارث مقال كذبه الشعبى ورمى بالرفض وفى حديثه ضعف كذا فى التحفة جـ٨ ص ٢٢١ وقال ابن الوزير مشهور كما فى الايثار ص ٩٦ . قلت: ومعناه صحيح لأنه يتفق مع اصول الشريعة وفروعها بل القرآن أصلها الأصيل ومنبعها المعين وله شواهد فى القرآن الكريم كثيرة كقوله تعالى (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) الاسراء : ٩ ومنها الوجوه التسعة السابقة قريبا وفيها الأدلة على ذلك ومنها حديث زيد المذكور.

(٥) جـ٤ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل على ص ١٨٧٤ .

قلت : وفي الوجوه السابقة قريبا - مايدحض شبهة المتكلمين من تجويز خلو كتاب الله تعالى عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ، واذا لم تكن هذه الوجوه براهين مقنعة فما بعد الحق إلّا الضلال ، ولم يبق للمتكلمين الغلاة إلا التشبث بزعمهم الذى فات ابن الوزير ذكره - حسب اطلاعى - فى كتابه (إيثار الحق على الخلق) ، لأنه من أواخر مؤلفاته ، وقد يكون فيه اوفى غيره ولم أهتد إليه . وقد نبه على هذا التشبث المزعوم شيخ الاسلام ابن تيمية فى معرض الرد على المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والاشعرية الزاعمين أن الصحابة لم يبينوا اصول الدين ، بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام - إما لاشتغالهم بالجهاد أو بغيره حيث رد عليهم بقوله : (.. قد بينها - اى اصول الدين - الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الى الادلة العقلية والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الالٰهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله تعالى ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله ، وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل ومايمكن بيانه بالأدلة العقلية ، وإن كان لا يحتاج إليها فإن كثيرا من الأمور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول - صلى الله عليه وسلم - بيّن الأدلة العقلية الدالة عليها ، فجمع بين الطريقين السمعى والعقلى) (١) .

هذا وليس فى كلام شيخ الاسلام هذا رد على تشبث غلاة المتكلمين فحسب ، بل ضمنه أن الاسلام لا يمنع استخدام العقل للبراهين التى يتوصل الى معرفة مدلولاتها اليقينية بواسطة العقل فى المسائل الالهية وغيرها . والله أعلم .

...

الامر الثانى : النقص من الدين وأسبابه :

وأما الامر الثانى وهو النقص من الدين فقد وضحه ابن الوزير بقوله : (بانه رد حقائق النصوص والظواهر الى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل إلا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام فى قواعد لم يتفقوا عليها ..) (٢) .

---

(١) معارج الوصول لابن تيمية ص ٥-٦ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٩ .

وقد اطال وأجاد الكلام فى هذا وأفاد بما لا يتسع المقام لذكره ،ولكن سنقتطف نماذج من ذلك على سبيل الاختصار:

١- مذهب القرامطة فى تاويل الاسماء الحسنى كلها ونفيها عن الله - تعالى - كما يزعمون -على سبيل التنزيه له عنها ،وتحقيق التوحيد بذلك ،وزعموا أنّ إطلاقها عليه يقتضى التشبيه ، وهذا غلو شديد ، بل بالغوا حتى قالوا إنه لا يقال : إنه موجود ولا معدوم ، وأن المراد بها إمام الزمان عندهم ،وهذا متواتر عنهم كما قال ابن الوزير (وقد تواتر هذا عنهم وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التى فى أيديهم وخزائنهم ، ومعاقلهم التى دخلت عليهم عنوة ،أو فتحت بعد طول محاصرة ، وأُخذ بعضها عليهم من بعض الطرقات ،وقد هربوا به ،ووُجد بعضها فى مواضع خفية قد أخفوه فيها) (١) .

وكل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح وانه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف المذكور فى قوله تعالى : (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها) (٢) أى أهل القرية وأُهل العير كذا قرره ابن الوزير (٣) .

٢ - طريقة بعض المتكلمين فى تأويل بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وردها الى المجاز ،كالرحمن ، والرحيم ، والسميع والبصير والحكيم ، فقد عظمت الشناعة فى انكار حقيقتها والتمدح بها ، حين وافق ذلك مذهب القرامطة الباطنية ومذهب أسلافهم المشركين فى إنكار الرحمن .

فقد اخبر الله عنهم قولهم : (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) بقوله : (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ، واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) (٤) وقال تعالى : (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو) (٥) وقال : (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) (٦) .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٢٩-١٣٠ .
(٢) سورة يوسف : ٨٢ .
(٣) ايثار الحق على الخلق ص ٣٠ .
(٤) سورة الفرقان : ٥٩-٦٠ .
(٥) سورة الرعد : ٣٠ .
(٦) سورة الانبياء : ٣٦ .

وقد عظم الله - تعالى - هذا الاسم الشريف وبالغ فى تعظيمه حيث قال : (قل ادعو الله او ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعو فله الاسماء الحسنى) (١) . وقد جاءت الصوادع القرآنية مادحة لله تعالى باعظم صيغ المبالغات فى هذه الصفة الشريفة الحميدة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم (٢) .

- أما السنة الصحيحة ففيها مالا يتسع له المقام ، وسنورد من ذلك شيئا يسيرا :

١- حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار) (٣) . وعند ابن ماجه (٤) : (وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) .

٢- حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله مائة رحمة فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة) . (٥) .

٣ - وفى رواية عنه مرفوعا : (إن الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والارض فجعل منها فى الارض رحمة ، فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) (٦) .

---

(١) سورة الاسراء : ١١٠ .
(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٣١- ١٣٢ .
(٣) البخارى ج٧ كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ص ١٨٣ ، مسلم ج٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله عز وجل ص ٢١٠٩ واللفظ للبخارى . وانظر مسند احمد ج٢ ص ٣٣٤ .
(٤) م كتاب الزهد ص ١٤٣٥ .
(٥) مسلم ج٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله .. ص ٢١٠٨-٢١٠٩ ، سنن ابن ماجة من حديث ابى سعيد الخدرى ج٢ ص ١٤٣٥ .
(٦) مسلم ج٤ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله ص ٢١٠٩ .

٤ - حديث أبي هريرة ايضا مرفوعا : (إن رحمتي تغلب غضبي) وفي رواية (سبقت غضبي) (١)

٥ - حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي ، فإذا امرأة من السبي تبتغي (٢) إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟) قلنا : لا والله . وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَلَّه أرحم بعباده من هذه بولدها) (٣) .

- الامر الثالث : التصرف في عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المبتدعة :

اذا نظرت في هذا الامر وقارنته بالأمرين السابقين ، اللذين هما الزيادة في الدين والنقص منه ، تجد أن هذا الأمر يرجع الى الأمر الأول وهو الزيادة في الدين .

وقد بسط ابن الوزير الكلام في هذا الأمر لعظم المفسدة المترتبة عليه ، ومضرتها لأن ذلك يؤدي إلى التفرق وقد نهى الله -عز وجل - عن التفرق فوجب تحريم ما أدى اليه (٤) .

وبما ان بعض كلام ابن الوزير هنا يتعلق بعلوم الحديث ، واصول الفقه فسنقتطف منه أهمه :

يقرر ابن الوزير أنه قد تفاحش الامر في التصرف في عبارات الكتاب والسنة ، بظن الترادف واعتقاده من غير يقين .

---

(١) متفق عليه البخاري جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (بل هو قرآن مجيد) ص ٢١٦ مسلم جـ ٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله عز وجل ص ٢١٠٧-٢١٠٨ ، سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب الزهد ص ١٤٣٥ .

(٢) هكذا في نسخ صحيح مسلم تبتغي من الابتغاء وهو الطلب قال القاضي عياض وهو وهم والصواب ما في رواية البخاري تسعى ولم اجد لفظ تسعى في البخاري بل تسقي اى الحليب من ثديها والسعي والطلب والابتغاء معان متقاربة . انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٤٣٠ وانظر شرح مسلم للنووي جـ ١٧ ص ٧٠ .

(٣) مسلم جـ ٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله عز وجل ص ٢١٠٩ - البخاري جـ ٧ كتاب الادب باب رحمة الولد وتقبيله ص ٧٤ واللفظ لمسلم .

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤١ .

والاختلاف فى معانى كتاب الله تعالى - ورواية ماقال الله عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بالمعنى ، قد أدى ذلك إلى الحرام المنصوص، ومن هنا تدخل أكثر البدع على السنن بخلاف الأمرين الأولين فقلّما تدخل عليه منهما .

ولم يكن من الإنصاف القول بأن الحق منحصر فى عبارات بعض الفرق الاسلامية دون بعض .

والعدل أن تُترك كل عبارة مبتدعة من عبارات فرق الاسلام كلها ، سواء علمنا بالعقل أنها حق أو باطل ، اذ لا يجب الاشتغال بكل حق كعلم التاريخ ، وعجائب أخبار البلدان ، وقد يكون من الحق ماهو حرام بالاجماع والنص كالغيبة والنميمة ، فالاشتغال بذلك حرام لما تضمنه من المفاسد ، وكذلك ماكان من أمور الدين التى لم يُنص على وجوب معرفتها فى كتاب الله ، ولا السنة النبوية المتفق على صحتها.(١)

ويمنع ابن الوزير التعبير بغير ماعبر به الكتاب والسنة لجواز الخطأ على العلماء فى فهم المعنى او التعبير عنه أو فيهما معا والدليل على جوازه من وجوه :

١- قوله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)(٢) .

٢ - إن الفتنة التى وقعت بين الصحابة سببها اختلافهم فى الفهم .

٣ - قصة عدى بن حاتم فى معنى قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر)(٣) .

٤- إن النبى صلى الله عليه وسلم ، شرط التعمد فقال : (من كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار)(٤) فلولا جواز الخطأ ماكان لذلك فائدة .

٥ - ثبت أن عمر بن الخطاب شك فى حديث فاطمة بنت قيس فى المطلقة ثلاثا، وفيه : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس لك عليه نفقة)(٥) .

وجه الاستدلال هو شك عمر رضى الله عنه فى ضمن قوله : (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة(٦) .

---

(١) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤١ .

(٢) هذا الحديث روى بعدة ألفاظ وهذا لفظ الترمذى بتحفة الاحوذى جـ٦ كتاب العلم ص ٤١٦-٤١٧ ، سنن ابى داود مع عون المعبود جـ١ كتاب العلم ص٩٤-٩٥ ، سنن ابن ماجه المقدمة ص ٨٤-٨٦ سنن الدارمى جـ١ المقدمة ص ٩٥-٩٦ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٧ والقصة فى صحيح البخارى جـ٥ تفسير سورة البقرة - باب قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض ..) ص ١٥٦ .

(٤) هذا الحديث متواتر ممن رواه البخارى جـ١ كتاب العلم باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ص٣٥ مسلم جـ٤ كتاب الزهد باب التثبت فى الحديث ص٢٢٩٨

(٥) مسلم جـ٢ كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ص ١١١٤ .

(٦) مسلم جـ٢ كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا ص ١١١٩ وانظر نيل الاوطار للشوكانى جـ٦ ص٣٤٠-٣٤١ سبل السلام للصنعانى جـ٣ ص ١٩٧ .

بل شك فى حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه فى التيمم لما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما يكفيك أن تضرب بيديك الارض ،ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك) (١) فقال عمر اتق الله ياعمار قال: إن شئت لم احدث به. وهذا من عمر رضى الله عنه لخوف الوهم فان عمارا لا يتهم بتعمد الكذب ولذلك اذن له فى روايته مع شكه فى صحته (٢) .

٦- ثبت عن على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال : (ماعندنا إلا كتاب الله تعالى ومافى هذه الصحيفة أو فهم أوتيه رجل) (٣) . فدل على التفاوت فى الفهم .

٧ - حديث ابن عمر مرفوعا : (أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس(٤)مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد) فوهل (٥)الناس فى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مايتحدثون فى هذه الأحاديث عن مائة سنة ،وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن (٦) .

٨ - قوله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) (٧) .

٩ - شدة اختلاف العلماء فى رواية الحديث بالمعنى حيث يستيقن الترادف والاستواء المحقق فى العموم والخصوص والخفا والجلاء وألا تنقل لفظة مشتركة الى لفظة غيرمشتركة ولا العكس ،ولا لفظة لهامجاز إلى لفظة لا مجاز لها، ولا العكس ، ولا يعبر بالحقيقة عن المجاز ولا العكس ولا بالمنطوق عن المفهوم ولا العكس ، ولا المطابقة عن التضمن والالتزام ولا العكس(٨) وامثال ذلك .

---

(١) مسلم ج١ كتاب الحيض باب التيمم ص ٢٨١ .
(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٣ .
(٣) البخارى ج١ كتاب العلم باب كتابة العلم ص ٣٦ مسند احمد ج١ ص٧٩ .
(٤) وللاصيلى فان على راس اىعند انتهاء مائة سنة كذا فى فتح البارى ج١ ص٢١٢ .
(٥) وهل بالفتح والكسر بمعنى وهم وقيل بالفتح غلط كذا فى الفتح ج٢ ص ٧٥ قال ابن الوزير حسبوه اراد القيامة الايثار له ص١٤٢ والروض له ج٢ ص ١١٧-١١٨ .
(٦) متفق عليه البخارى ج١ كتاب العلم باب السمر فى العلم ص ٣٧ كتاب المواقيت باب السمر فى الفقه ص ١٤٩ مسلم ج٤ كتاب فضائل الصحابة باب لا تاتى مائة سنة وعلى الارض نفس ص ١٩٦٥-١٩٦٧ مسند احمد ج٢ ص ٨٨-١٢١ جامع الاصول لابن الاثير وقال: الوَهَل الفزع وَهِلتُ أهِلُ وَهَلاً اذا فاجأك امر لم تعرفه فارتعت له وَوَهَل وَهْلا إذا ذهب وهمه إليه ج١ ص٣٨٩
(٧) سورة الانبياء : ٧٩ .
(٨) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٤٢-١٤٣ .

فاذا اجتمعت هذه الشروط وعُلم اجتماعها فهو محل الاختلاف الشديد في الرواية بالمعنى فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من منع خوفا من المفسدة، ومنهم من فصّل فقال: إن كان اللفظ النبوي محفوظا لم يجز سواه، ومنهم من عكس وقال: إن كان محفوظا جاز إذ معنى اللفظ المحفوظ معروف يتمكن من تبديله بمثله، ومعنى اللفظ المنسي غير معروف إلى غير ذلك من الاقوال (١).

قلت: وهذا التشدد من ابن الوزير المخالف لما عليه جمهور المحدثين والأصوليين والفقهاء من جواز الرواية بالمعنى للعالم بدلالات الألفاظ ومقاصدها خبيرا بما يحيل معانيها جاز ما بأداء المعنى (٢)، هذا التشدد المخالف لجمهور السلف والخلف يحمل على قاعدته المعروفة وهي الأخذ بالأحوط في الدين وهذه القاعدة التي التزمها ابن الوزير لا شك أنها مأمونة الخطر الناتج عن التصرف في عبارات الكتاب والسنة الواضحة لاسيما إذا كانت في باب الأسماء والصفات التي لم يؤثر الخوض فيها عن السلف الصالح لا بطريقة التأويل المؤدي الى التعطيل ولا بالتشبيه المؤدي إلى مماثلة المخلوق ولا بطريقة المقدمات والنتائج .

كذلك لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكلف أحدا ممن دخل في الاسلام بمعرفة دلالة الأكوان أو النظر، ومن جهة اخرى فان ابن الوزير إمام مجتهد بشهادة الأصاغر والأكابر ممن يعرفونه بل مؤلفاته شاهد عدل على ذلك .

فان قيل: إن مذهب ابن الوزير هذا يتعارض مع ما عليه العمل في تفسير كتاب الله تعالى، وشرح سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكيف السبيل الى المنع من التعبير بغير الكتاب والسنة ؟ لانه لابد من تفسير الكتاب والسنة بغير ألفاظهما ؟

فيقال: إن ابن الوزير قد أجاب عن هذا بقوله: (لم نمنع من ذلك مطلقا ، إنما منعنا منه حيث يضر ، ويستغنى عنه بعبارات الكتاب والسنة الجلية التي لا تحتاج الى تفسير .

واما التفسير فما كان من المعلومات بالضرورة من أركان الاسلام وأسماء الله تعالى منعنا من تفسيره لانه جلي صحيح المعنى وإنما يفسره من يريد تحريفه

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٣ .
(٢) انظر تفاصيل الخلاف في تدريب الراوي للسيوطي جـ٢ ص ٩٨- ١٠٥ ، علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٩٠-١٩٣ .

كالباطنية الملاحدة ، ومالم يكن معلوما ودخلته الدقة والغموض ،فان دخله بعد ذلك الخطر وخوف الإثم فى الخطأ مما يتعلق بالعقائد تركنا العبارات المبتدعة وسلكنا طريق الوقف والاحتياط إذ لا عمل يوجب معرفة معناه المعين ، وان لم يدخل فيه الخطر عملنا فيه بالظن المعتبر المجمع على وجوب العمل به أوجوازه والله الهادى) (١) .

فأنت ترى أن ابن الوزير إنما منع تبديل ألفاظ الكتاب والسنة فى مهمات الدين التى لاتحتاج الى تفسير ، حيث لم يكن ثمة ضرورة تلجىء الى التفسير، والنكتة فى ذلك كما اشار اليها ابن الوزير ، هى منع مايؤدى إلى الاختلاف المحرم، وتمييز مايجب قبوله ، وهو ألفاظ الكتاب والسنة عما لايجب قبوله على الجميع ، وهو ألفاظ من ليس بمعصوم ، والغلط فى تبديلها غير مأمون ، لاسيما مايتعلق بالعقائد إذ ليس هناك عمل يوجب معرفة معناه المعين .

فان قيل إن منهج ابن الوزير فى مؤلفاته لاسيما العواصم والقواصم والروض الباسم فإنه قد خاض فى التأويل بتبديل عبارات الكتاب والسنة فى حديث الشفاعة الطويل وفيه ذكر المجى والرجل والقدم والرؤية وغير ذلك ،

ومانهجه من القول هنا بعدم تبديل ألفاظ الكتاب والسنة إما أن يكون أحد المنهجين صحيح والآخر باطل ، وإما أن يكونا متناقضين . فنقول سلمنا بأنه خاض فى التأويل فى(العواصم)و(الروض الباسم)ولا يضر تسليمه،فالواقع يشهد بذلك ، ولكن ليس ذلك إلا من باب الجدل المبنى على مقدمات مشهورة او مسلمة عند الناس او الخصم، والغرض منه - كما هو معروف - إلزام الخصم وإفحامه ، وإقناع القاصر عن درجة البرهان سواء كانت المقدمات والنتائج حقة ام باطلة بخلاف ماقرره ابن الوزير هنا فى كتابه(إيثار الحق على الخلق)فإنه المختار عنده بدليل أنه شدد النكير على من يخالف هذا المنهج .

وقد اعتمدت هذا الكتاب لكونه ألفه قبل وفاته بثلاث سنين كما أشار الى ذلك ابن الوزير نفسه،وحينئذ فلا تعارض ولا مناقضة إلا عند من لم يدرس كلامه ويمعن النظر كما وقع لى أول الامر .

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٥٥ .

(٢) ايثار الحق على الخلق ص ١٥٠-١٥٢ .

أما عند من يمعن النظر فى أسلوبه الجدلى لا سيما لما يقف مؤيدا أو حاكيا أقوال أهل السنة فإنك تجده يسدد سهام البراهين العقلية والنقلية إلى نحور المخالفين لمذهبهم أيا كانوا، كما فعل فى إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة فقد ذكر عدة أدلة من القرآن العظيم، والسنة النبوية الصحيحة، بلغت الأحاديث سبعة وعشرين حديثا، عن سبعة وعشرين صحابيا، بل بلغت التواتر ونقل أربعين صفحة تقريبا عن ابن القيم من حادى الارواح فى مسألة الرؤية فى (العواصم والقواصم)(١).

- طريقة ابن الوزير فى تفسير القرآن الكريم :

قد عقد ابن الوزير فى كتابه (إيثار الحق) فصلا خاصا ، بين فيه منهجه فى تفسير كتاب الله تعالى :

كما ركز على الفرق بين التفسير والتحريف والتأويل ، والتبديل ، وحذر من عبارات أهل الاهواء والابتداع . وهذا هو السبب فى إعادة منهج ابن الوزير هنا لتفسير القرآن الكريم، وإلا فقد سبق الكلام عليه فى (منهجه فى البحث العلمى) .

ويبدو اهتمام ابن الوزير بالقرآن الكريم واضحا فى منهجه الآتى :

أولا : التعريف بمراتب المفسرين وهما عنده مرتبتان :

الاولى : مرتبة الصحابة ، وعلى رأسهم ابن عباس وابن مسعود - رضى الله عن الجميع - لما ثبت من الثناء عليهم فى القرآن الكريم .

الثانية : مرتبة التابعين ومن أشهرهم مجاهد بن جبر المكى ، وعطاء بن أبى رباح وقتادة بن دعامة وغيرهم ممن خُرِّج عنهم فى دواوين الاسلام الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها .

ثانيا : التعريف بمراتب التفسير فيما يرجع فيه إلى الدراية ، وهو عنده سبعة أنواع :

الاول : تفسير المتكررات تكريرا كثيرا، مثل آيات الاسماء الربانية والصفات والمشيئة ، والاسماء الدينية وهى الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، والمسلمون ،

---

(١) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٢ الوهم السادس عشر الفصل الثانى الروض الباسم له جـ٢ ص ٢٢٥ .

والمؤمنون ، والمحسنون ، وكذلك اسماء الظالمين والفاسقين والكافرين ،وسائر مايتعلق بالاعتقاد .

وهذا النوع - في نظر ابن الوزير - ينبغي أن يكون مفردا في مقدمات التفسير ،حتى يشبع فيه الكلام من غير تكرير فان اشتبه الصواب على أحد في هذا القسم ، أو خاف وقوع فتنة من الخوض والبحث عنه والمناظرة ترك ذلك، وكفاه الايمان الجُملي، لماثبت "" حديث جندب بن عبدالله مرفوعا : (إقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فاذا اختلفتم فيه فقوموا) (١) . والمراد عند ابن الوزير الاختلاف مع التعادي ، والتفرق ،دون الاختلاف مع التوالي والتصويب ،لما في حديث عمر مع هشام بن حكيم ، في اختلافهما في القراءة ،وتقرير النبي -صلى الله عليه وسلم- لهما على الاختلاف في القراءة ونهيهما عن الاختلاف في التخطئة والمناكرة (*).

النوع الثاني : تفسير القرآن بالقرآن ،حيث يتكرر ذكر الشيء في كتاب الله -تعالى- وتكون بعض الآيات أكثر بيانا وتفصيلا ومنه تفسير قوله تعالى : (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) (٢) بأهل الكتاب، كقول مجاهد لقوله تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل..) (٣) .

النوع الثالث : التفسير النبوي ، وهو مقبول بالنص والاجماع (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) (٤) . ومنه تخصيص العمومات ،مثل تحريم الصلاة على الحائض وتفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج وشروط قطع يد السارق ، ويلحق بذلك أسباب النزول) .

النوع الرابع : الآثار الصحابية الموقوفة عليهم وأجودها مالا تمكن معرفته بالرأي سواء رجعنا بالرأي الى العقل أو الى الاستنباط من اللغة وقد كانت عادتهم الإشعار بالرأي في ذلك ، كما ذكره ابوبكر رضى الله عنه حين فسر الكلالة برأيه (٥) . أما اذا جزموا بالتحريم ونحوه ، كان دليلا على رفعه ، وهذا

(١) متفق عليه البخاري جـ٦ كتاب فضائل القرآن باب اقرأوا القران ما ائتلفت قلوبكم ص ١١٥ ، مسلم جـ٤ كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القران ص٢٠٥٣ سنن الدارمي جـ٢ ص ٣١٨ وانظر ايثار الحق على الخلق ص ١٥٦ ومابعدها .

(٢) سورة النساء : ٢٧ . (٣) سورة النساء : ٤٤ .

(٤) سورة الحشر : ٧

(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٠٠ ،تفسير ابن جرير جـ٤ ص٢٨٤-٢٨٥ .

(*) انظر القصة في البخاري جـ٦ كتاب فضائل القران باب من لم ير بأسا ص ١١١ .

يحتاج الى معرفة الاسناد إليهم .

النوع الخامس : مايتعلق باللغة العربية على الحقيقة ، وتؤخذ من مصادرها الاصلية ، مع مراعاة تقديم الحقيقة الشرعية ، ثم العرفية ، ثم اللغوية ، كحقيقة الصلاة فى الشرع بأنها أقوال وأفعال مخصوصة ، مبتدأة بالتكبير مختتمة بالتسليم(١) ، على اللغوية التى هى الدعاء مأخوذة من قوله تعالى : (وصل عليهم)(٢) اى ادع لهم ، وكالدابة فى اللغة اسم لكل مايدب ، خصصها العرف بالبهائم(٣) ، ومعرفة تفسير المشترك كالقرء بالاطهار والحيض(٤) .

النوع السادس : المجاز ، وهذا النوع والذى بعده هو بيت القصيد ، لما يترتب على ذلك من تأويل بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وردها الى المجاز ، وهذا من البدع التى تسربت الى أهل الاسلام ، ولذلك اشترط ابن الوزير فى اعتبار المجاز القرائن الثلاث الآتية :

الاولى : العقلية التى يعرفها المخاطِب والمخاطَب ، كقوله تعالى : (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها)(٥) اى اهلها . وقيل ليس هذا من المجاز بل من باب حذف المضاف وهو من اللغة العربية ، كما قرره ابن قدامة(٦) قال ابن تيمية (والصواب أن المراد بالقرية نفس الناس المشتركين الساكنين فى ذلك المكان فلفظ القرية هنا أريد به هؤلاء كقوله تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد)(٧) .

الثانية : العرفية : مثل (ياهامان ابن لى صرحا)(٠) اى مر من يبن ، لأن مثله فى العرف لايبنى .

---

(١) كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتى جـ١ ص ٢٥٥ تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول ص١٩ .

(٢) سورة التوبة : جزء من آية ١٠٣ .

(٣) الصحاح للجوهرى جـ٦ ص ٢٤٠٢ والمصباح المنير جـ١ ص ٢٧١ ، تفسير القرطبى جـ١ ص١٤٨ ، روضة الناظر لابن قدامة ص٨٩ ط . بيروت .

(٤) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦١ ومابعدها .

(٥) سورة يوسف : ٨٢ .

(٦) روضة الناظر ص٩٠ .

(٠) سورة غافر : ٣٦ .

(٧) مجموع الفتاوى جـ٢٠ ص ٤٦٣ والاية فى سورة هود : ١٠٢ وقال فى قوله (تجرى من تحتها الانهار) النهر كالقرية والميزاب ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به المحل فاذا قيل حفر النهر أريد به المحل وإذا قيل جرى النهر أريد به الحال) المرجع نفسه ص ٤٦٤ جـ٢٠ .

الثالثة : اللفظية كدلالة لفظ الاسد على الرجل الشجاع ، فإنها استعملت في غير ماوضعت له أولاً إذ الوضع الاول الحيوان المفترس .

قلت : ومن المعلوم أن القول بالمجاز من المسائل المختلف فيها ، فبعض العلماء منع هذا التقسيم ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبعضهم يمنعه في القرآن الكريم ويجيزه في غيره ، وبعضهم يجيزه مطلقا ، ومنهم السيوطي وغيره من علماء الاصول والبلاغة (١) وكتبهم مشحونة بالقول به . والأولى تركه في القرآن الكريم والحديث ، فانه العصا العوجاء التي يتوكأ عليها أهل الكلام المؤولون للاسماء والصفات . والله أعلم .

النوع السابع : مالم يصح فيه شيء من جميع ماتقدم ، ويختلف فيه أهل التفسير كتفسير الحروف التي في أوائل السور ، وتفسير الروح ونحو ذلك مما لم يصح دليل على تفسيره ، وليس معنا ضرورة تلجئ إلى وجوب البحث عنه ، وهذا النوع قسمان : قسم فيه مخاطرة كبيرة ، وخوف البدعة والعذاب ، وهو مايتعلق بذات الله تعالى ونحو ذلك من المتشابهات ، وقسم دونه ، مثل تعيين الشجرة التي أكل منها آدم واسمها وأسماء أهل الكهف ، وأسماء سائر المبهمات ، وتطويل القصص والحكايات . فهذا - في راى ابن الوزير - لابأس بنقله مع بيان أنه لم يصح فيه شيء وعدم تعلق مفسدة به ، ولا دخول شبهة في تحليل أو تحريم (٢) . والله أعلم .

وأمارة الدعوى الباطلة تجردها عن إحدى هذه القرائن الثلاث ، وهذا خلاف لشيخ الاسلام ابن تيمية فانه لا يقول بالمجاز وأما مايدعيه أهل الكلام من الأدلة التي لم يتفقوا على صحة دليل واحد منها ، فلا يجوز تقليدهم في ذلك لاعندهم ولاعند غيرهم بل يجب البحث التام أو الامساك عن التأويل حتى يقع الارجاع .

ومثل للقرينة العقلية أيضا تخصيص قوله تعالى : (وأوتيت من كل شيء) (٣) ، على مايناسب ملوك البشر المعتاد في الدنيا دون العالم العلوي ، وأمور الاخرة

---

(١) انظر التفاصيل في الايمان لابن تيمية ص ٧٥ ومابعدها ، والإتقان للسيوطي جـ٢ ص ٣٦ ومابعدها . وقد أجاد وافاد ابن تيمية في الكلام على الحقيقة والمجاز في مجموع الفتاوى جـ٢٠ ص ٤٥١-٤٩٧ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦٦ ومابعدها ، والروض الباسم له جـ٢ ، ص ٢٠٥ وانظر تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول لعطية سالم ص ١٩ .

(٣) سورة النمل : ٢٣ .

والملائكة والنبوة وغير ذلك وأن هذا التخصيص جلى ومجمع عليه (١) .

وبما أنه قد تبين لنا أن معظم الابتداع فى الدين هو ناشىء عن الأمرين السابقين اللذين هما : الزيادة فى الدين والنقص منه، القائمان على تجويز خلو كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

كذلك الأمر الملحق بأولهما وهو التصرف فى عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المبتدعة كما تبين فساد ذلك وحرمة ما أدى اليه بالأدلة السمعية والعقلية، فلم يبق إلا الكلام عن أصل أو مستند الأمرين الباطلين السابقين اذا صح التعبير بأنهما يقومان على أساس أو أسس سواء كان هذا مبنيا على جرف هار او العكس فنقول :

- الاصول التى تقوم عليها الأمران السابقان :

اذا نظرت إلى الأمرين السابقين ، وهما الزيادة فى الدين ، والنقص منه ، والملحق باولهما ، وهو التصرف فى عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المبتدعة ، فانك تجد هما يقومان - بغض النظر عن الصحة والفساد - على أصلين - قررهما ابن الوزير ، أحدهما سمعى والاخر عقلى :

أما السمعى فهو اختلاف المتكلمين فى أمرين :

أحدهما : معرفة المحكم والمتشابه أنفسهما ، والتمييز بينهما حتى يُرد المتشابه الى المحكم .

ثانيهما : اختلافهم هل يعلمون تأويل المتشابه ؟ ثم اختلافهم فى تأويله على تسليم أنهم قد عرفوا المتشابه ؟ فما سبب وقوع المتشابه على المعقول من حيث الحكمة والدقة فى كتاب الله تعالى ؟

وقد أجاب ابن الوزير عن هذا بقوله : (والمشهور أن سببه الابتلاء بالزيادة فى مشقة التكليف لتعظيم الثواب ، وهذا أنسب بالمتشابه من حيث اللفظ) وبما أن ابن الوزير لم يوافق على هذا المشهور فقد عقب عليه بقوله :

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٦٧ .

(وأما أنا فوقع لى أن سببه زيادة علم الله على علم الخلائق)

وعلل ذلك بقوله : (فإن العوائد التجريبية والأدلة السمعية دلت على امتناع الاتفاق فى تفاصيل الحكم وتفاصيل التحسين والتقبيح ، ولذلك وقع الاختلاف بين أهل العصمة من الملائكة والأنبياء كما قال تعالى حاكيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماكان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) (١) وحكى الله تعالى اختلاف سليمان وداود .... وموسى والخضر) (٢) . كما صح فى الحديث اختلاف آدم وموسى ، واختلاف الملائكة فى قاتل المائة نفس(٣) وغير ذلك .

وأما الاصل الثانى وهو العقلى ، فانه عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول من الخفيات التى أعرض عنها السلف نحو ما عرض للبراهمة الذين قالوا برد النبوات من إيجاب أمور سكت الشرع عن بعضها ونهى عن بعضها ، واستقباح أمور ورد الشرع بتحسينها لكنهم خالفوا البراهمة بتصديقهم الشرع فى الجملة ، وصدقوا هذه القوادح فى تفاصيل الشرع - كما سبقت الاشارة الى ذلك فى النبوات - وراموا الجمع بينهما فوقعوا لذلك فى أشياء واهية، ولزمهم أن رسل الله - عليهم السلام - قد قصروا فى البيان عمدا امتحانا للمكلفين وتعريضا للعلماء الراسخين للثواب العظيم ، وهذا باطل .

- **الرد على هذا الزعم :**

قد سبقت الاشارة الى هذا قريبا .

وقد أفصح القرآن بأن الرسل إنما أرسلت ليبينوا للناس ما نزل إليهم من العقائد والشرائع ، ولئلا تكون لهم حجة يوم القيامة بعد التبليغ ، وذلك على لسان من أكمل الله برسالته الدين وختم به النبيين (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (٤) (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٥) (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٦) .

---

(١) سورة ص: ٦٩ واختصام الملأ الاعلى قيل فى شان آدم وامتناع ابليس من السجود وقيل فى نقل الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء عند الكريهات انظر تفسير ابن كثير جـ٧ ص ٧١-٧٢ .

(٢) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٨-٨٩ .

(٣) انظر البخارى جـ٨ كتاب التوحيد باب قوله وكلم الله موسى تكليما ص٢٠٣ ومسلم جـ٤ كتاب القدر باب حجاج ادم وموسى ص ٢٠٤٢ .

(٤) سورة المائدة : ٣ (٥) سورة النساء : ١٦٥ .

(٦) سورة النحل : ٦٤ .

والتحذير من البدع أوضح من أن يحتاج إلى ذكر الأدلة . فما السبيل إلى سد هذا الباب من الابتداع ؟ الجواب هو ما قرره ابن الوزير من أنه يجب علينا أن نصنع في القوادح في تفاصيل الاسلام التي عرضت لبعض اهل الكلام ، مثل ما صنعنا معا في الرد على البراهمة في القوادح التي قدحت في جملة الاسلام(١) ، وذلك أن نعتقد أن الحق في تلك القوادح التفصيلية هو فيما جاء من عند الله تعالى ، بدليل المعجزات الباهرات ، ونعلم ان للبصائر أوهاما في الخفيات من الأحكام مثل ما ثبت للأبصار في الخفيات من الأوهام ، فلا نتبع في الخفيات وهم البصائر ، ولا وهم الأبصار ، والجلي من المنقول والمعقول هو أولى بالاتباع ورد ما خفي على العقول اليه ، وننتفع بالجلي ونقف فيما دق وخفي ونصنع في الانتفاع بالبصائر كما صنعنا في الانتفاع بالابصار ، ولا نقف الجلي على الخفي ، ولا نرجحه على الجلي وبهذه الطريقة نكون قد أغلقنا منافذ يتسرب منها الاختلاف والابتداع في الدين(٢). والله أعلم .

ومن هذه المنافذ التي يتسرب منها الاختلاف والابتداع في الدين تاويل المتشابه وهذا هو الذي لا يرضاه ابن الوزير ، فقد أكثر من الكلام على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) . وقرر الوقف على لفظ الجلالة كما قرر أن قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) جملة مستأنفة لا معطوفة كما يقول البعض ذكر ذلك في معرض الرد على المعتزلة الذين ادعوا العلم بتأويل المتشابه ، واستدل بأقوال بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وبعض التابعين وبعض القراء وبعض أئمة العترة على ما ذهب إليه .

كما استدل بكلام ابن تيمية في القاعدة الخامسة من التدمرية في وجوه التأويل الثلاثة الآتي ذكرها قريبا إن شاء الله تعالى . كما ذكر أدلة القائلين أيضا بانهم يعلمون تأويل المتشابه ثم رد عليهم بأن الراسخين لا يعلمون تاويل المتشابه

---

(١) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٧-٨٨ .

(٢) راجع التفاصيل في ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٤١-١٦٧ ، ايثار الحق له ص ٨٨-٨٩-٩١ ، كتب التفسير الاية ٧ من سورة ال عمران .

الذى هومذهبه بل معتقده من ستة أوجه أيدهاباثنين وعشرين دليلا (١) معظمها غير موجود - حسب اطلاعى - فى كتب التفسير ، وإن وجد فمتفرق ، لكنى أظنه غير موجود . والله أعلم .

ومن أيد رأى ابن الوزير هذا من أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه ابن ابى زيد القيروانى حيث قال : (والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (٢) .

- لمحة سريعة عن المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم عند ابن الوزير :

قد وصف الله - تعالى - القرآن العظيم بأنه محكم كله بقوله تعالى : (كتاب أحكمت اياته) (٣) وبأنه متشابه بقول الله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى) (٤) وفى آية إن بعضه محكم وبعضه متشابه بقوله تعالى : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) (٥) .

فالإحكام الذى يعمه هو الإتقان ، وهو تمييز الصدق من الكذب فى أخباره والغى من الرشاد فى أوامره ، والتشابه الذى يعمه هو ضد الاختلاف المنفى عنه فى قوله تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٦) وهو الاختلاف المذكور فى قوله تعالى : (إنكم لفى قول مختلف ، يؤفك عنه من أفك) (٧) .

---

(١) راجع التفاصيل فى ترجيح أساليب القران على أساليب اليونان لابن الوزير ، ص ١٤١-١٦٧ ، إيثار الحق له ص ٨٨-٨٩-٩١ ، كتب التفسير الاية ٧ من سورة ال عمران .

(٢) كتاب الجامع فى السنن والاداب لعبد الله بن ابى زيد القيروانى ص ١١٤ .

(٣) سورة هود : ٢ .

(٤) سورة الزمر : ٢٣ ومعنى قوله تعالى (مثانى) مردد كذكر الانبياء وثنى الوعد والوعيد (إن الابرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) سورة الانفطار ، تفسير ابن كثير .

(٥) سورة ال عمران : ٧ .

(٦) سورة النساء : ٨٢ .

(٧) سورة الذاريات : ٨ - ٩ .

فالتشابه فى قوله (كتابا متشابها) هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا ،والاحكام العام فى معنى المتشابه العام ،بخلاف الاحكام الخاص والتشابه الخاص ،فانهما متنافيان .

والتشابه الخاص مشابهة الشئ لغيره من وجه ، ومخالفته من وجه آخر ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أومثله ، وليس كذلك . والاحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالاخر ، على من عرف ذلك الفصل .

وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدى إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبها عليه ،ومنهم من يهتدى له فيكون محكما فى حقه ، فحينئذ يكون التشابه من الامور الاضافية فاذا تمسك النصرانى بقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر) (١) ونحوه على تعدد الآلهة كان المحكم قوله تعالى : (وإلهكم إله واحد) (٢) ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحدا ،يزيل ماهنالك من الاشتباه (٣) .

وقبل الدخول فى الكلام على أوجه تاويل المتشابه نشير الى معنى المتشابه فى قوله تعالى : (هو الذى أُنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ، هن أُم الكتاب ،وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الا اولوا الالباب) (٤) .

فقيل المتشابه هو ما احتمل اكثر من معنى، وقيل هو مالا سبيل الى معرفته بحال كقيام الساعة ، والحكمة فى عدد حملة العرش ،وخزنة النار ،ومن الناس من قصر المتشابه على آيات مخصوصة ثم اختلفوا فمنهم من قال : هى الحروف المقطعة فى أوائل السور ، ومنهم من قال : آيات الشقاوة والسعادة ، ومنهم من قصره على آيات الصفات ومنهم من قال المنسوخ ،وغير ذلك من الاقوال التى شحنت بها كتب التفسير والاصول (٥) .

---

(١) سورة الحجر : ٩ .
(٢) سورة البقرة : ١٦٣ .
(٣) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩٢ والترجيح له ص ١٤٤ والتدمرية لابن تيمية ضمن مجموعة نفائس ص ٤٠-٤١ وانظر التفاصيل فى العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٢ وهم ١٥ والاتقان فى علوم القران للسيوطى جـ٢ ص٢ ومابعدها .
(٤) سورة العمران : ٧ .
(٥) انظر ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٩٠ والروض الباسم له جـ٢ ص ٢٠٤ ، والاتقان فى علوم القران للسيوطى جـ٢ ص ٢ ومابعدها وكتب التفسير لاية ٧ من سورة العمران منها تفسير الطبرى جـ٣ ص ١٧٠-١٨٤ وتفسير القرطبى جـ٢ ص١٥١-١٢٦١ - وتفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥-٦ .

أما ابن الوزير فالمتشابه عنده : هو مالا تدرك العقول معرفته وسياتى بيانه تحت عنوان : العلاج الذى وصفه ابن الوزير وفى اقسام التأويل أيضا .

وأما المحكم فهو البين الواضح الدلالة ، لا التباس فيها على أحد من الناس ، فمن رد ما اشتبه عليه الى الواضح منه فقد اهتدى ومن عكس انعكس ، كذا قرره ابن كثير(1) السلفى الشهير .

هذا وقد قسم ابن الوزير التأويل الى ثلاثة وجوه ، نقلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية كما صرح بذلك ، وبناء على ذلك فلا مانع من توضيح كلام ابن الوزير حيث انه اختصره من التدمرية لابن تيمية وهذا أعنى شيخ الاسلام اوجزه فى مواضع وبسطه فى مواضع وذلك كالاتى :

الوجه الاول : (كلام الاصوليين وهو ترجيح المرجوح لدليل) وعبارة شيخ الاسلام : (هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به) وهو مذهب طائفة من المتاخرين من أهل الكلام وأصول الفقه .

وفى موضع اخر : (صرف اللفظ عن ظاهره الذى يدل عليه ظاهره الى مايخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك ، وهذا التاويل لا يكون إلا مخالفا لمايدل عليه اللفظ ، ويبينه وتسمية هذا لم يكن فى عرف السلف) .

وعلى هذا الاصطلاح فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا .

وهذا التاويل فى نظر شيخ الاسلام - فى كثير من المواضع او عامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهو من جنس تاويلات الباطنية وهو التأويل الذى ذمه سلف الامة وأئمتها بالاتفاق ، بل صاحوا بأهله من اقطار الارض ، ورموا فى آثارهم بالشهب .

وهذا القسم من أقسام التاويل هو الذى صنف فى الرد على أهله الامام أحمد بن حنبل رحمه الله - كتابه المشهور بـ (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تاويله) .

---

(1) انظر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٤ .

الوجه الثاني : ان التاويل هو التفسير ، وهو اصطلاح المفسرين وفي تعبير ابن تيمية : وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقران كابن جرير وامثاله ، وهذا مما يعلمه الراسخون في العلم . قلت : ومنه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما بقوله : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (١) أي التفسير .

الوجه الثالث : أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ، لقوله تعالى : (هل ينظرون إلا تاويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) (٢) فتأويل أخبار المعاد وقوعها يوم القيامة كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته (هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) (٣) فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا ، ومنه قول عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي) (٤) يتأول القرآن تعني قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره) اى يفعل ما أمر به في القرآن ومنه قول ابن عيينه : السنة : (هي تاويل الامر والنهي فإن نفس الفعل المأمور به هو تاويل الأمر به ، ونفس الموجود المخبر به هو تأويل الخبر ، ولهذا يقول أبوعبيدة وغيره : الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة (٥) .

وعليه فتأويل ما أخبر به الله تعالى عن ذاته المقدسة بما لها من الأسماء والصفات ، هو حقيقة ذاته المقدسة .

وتأويل ما أخبر به الله - تعالى - من الوعد والوعيد ، هو نفس الثواب والعقاب ، وليس شيء منه مثل المسميات بأسمائه في الدنيا فكيف بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته ، لكن الإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها في الشاهد ، ويُعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع الفارق المميز .

---

(١) مسند احمد ج١ ص ٢٦٦-٣١٤ واصله في الصحيحين البخاري ج١ كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء ص ٤٥ ومسلم ج٤ فضائل الصحابة باب فضائل ابن عباس ص ١٩٢٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ ص٢٧٦ ولاحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح .

(٢) سورة الاعراف : ٥٢ (٣) سورة يوسف : ١٠٠

(٤) البخاري ج٦ تفسير (اذا جاء نصر الله والفتح) ص٩٣ .

(٥) ايثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٩١ وترجيح اساليب القران له ص ١٤٢-١٤٣ ، والتدمرية لابن تيمية ضمن مجموع نفائس ص٧٧-٣٨ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج٤ ص ٦٨ - ٦٩ - ج٥ ص ٣٥-٣٦ وانظر فتح الباري لابن حجر ج٣ ص٢٩٩ .

وفى الغائب مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما ورد فى صفة الجنة ، كيف بالذات المقدسة .. فنحن إذا أخبرنا الله تعالى بالغيب الذى اختص به - من الدارين ومافيهما - علمنا معنى ذلك الذى أريد منا فهمه وفسرناه . وأما نفس الحقيقة المخبر عنها التى لم تكن بعد ، وإنما تكون يوم القيامة ، فذلك من التأويل الذى لا يعلمه الا الله - سبحانه - ولذلك لما سئل مالك وغيره من السلف عن تأويل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)(1) قالوا الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وبمثل هذا قال ربيعة شيخ مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول وعلى الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا الإيمان ، ومثل هذا كثير يوجد فى كلام السلف فى نفى كيفية علم العباد بصفات الله تعالى(2) .

هذا وقد صرح ابن الوزير بأنه نقل هذا من التدمرية لابن تيمية .

وقد قابلت كلام ابن الوزير هذا بكلام ابن تيمية فوجدته كاملا فى (العواصم) فقد نقل الأصلين اللذين أحدهما : إن القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر ، وثانيهما : إن القول فى الصفات كالقول فى الذات كما نقل المثلين والخاتمة الجامعة ، بما فيها من القواعد الست المتضمنة لمنهج السلف فى الاسماء والصفات ، وذلك أربع وثلاثون صفحة (3) على التوالى ، واختصره فى (الترجيح) و (الايثار)(4) ، واستدرك على شيخ الاسلام ابن تيمية وجها رابعا فى تاويل المتشابه ، لا مانع من ذكره ، ليعرف مدى صوابه من عدمه ، حيث قال : بهذا الأدب والاجلال : (وقد ترك الشيخ والامام وجها من وجوه التأويل مما لا يعلمه إلا الله على الصحيح ، وذلك هو وجه الحِكَم(5) فيما لا تعرف العقول وجه حُسْنه ، مثل خلق أهل النار ، وترجيح عذابهم على العفو عنهم ، مع سبق العلم وسعة الرحمة ، وكما ل القدرة على كل شيء ، والدليل على أن الحكمة

---

(1) سورة طه : ٥

(2) ايثار الحق لابن الوزير ص ٩١-٩٢ والترجيح له ص ١٤٣-١٤٤ التدمرية لابن تيمية ص ٣٨-٣٩ - والكتاب الجامع فى السنن والآداب والمغازى والتاريخ لابن ابى زيد القيروانى سنة ٣٨٦ هـ ص ١٢٣ .

(3) وفى طبعة اخرى ٧٠ ص تقريبا .

(4) انظر العواصم والقواصم جـ٢ الوهم الخامس عشر والرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٥١-٤٩ وايثار الحق على الخلق ص ٩١-٩٢ ، الترجيح ص ١٤٢ ومابعدها .

(5) فى الترجيح بالافراد وفى الايثار بالجمع وهذا نصه . وفى نسخة اخرى منه : الحكمة المعينة وهو المناسب للسياق الآتى والله أعلم .

الخفية فيه تسمى تأويلا، ماذكره اللهتعالى فى قصة موسى والخضر ،فإن قوله : (سأنبئك بتأويل (١) مالم تستطع عليه صبرا) (٢) صريح فى ذلك . وهذا مراد فى الآية لأن اللهوصف الذين فى قلوبهم زيغ بابتغاء تأويله وذمهم بذلك وهم لا يبتغون علم العاقبة عاقبة الخبر عن الوعد والوعيد ، ومايؤول إليه على مافسره الشيخ ، فهم لا يبتغون الجنة والنار والقيامة وذات الرب - سبحانه - كما يبغيها طالب العيان إنما يستقبحون شيئا من الظواهر بعقولهم فيتكلفون لها معانى كثيرة يختلفون فيها وكل منهم ينفرد بمعنى من غير حجة صحيحة الا مجرد الاحتمال ، وربما خالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع ، فتأولوه ، وربما استلزم الوقوع فى أعظم مما فروا منه)(٣) .

وهذه المسألة هى أم المتشابهات ، وأغمض الخفيات ومحارة علماء المعقولات والمنقولات عند ابن الوزير ، فكيف يتعرض لمعرفتها حكيم ، بعد قوله تعالى (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) (٤) والجهل بها من جملة قدر الله تعالى السابق .

(ومن الناس من يسعى فيما لا ينفعه - بل يضره - من العلوم والاعمال كما قال تعالى : (ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم) (٥) .

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره جـ١٦ ص ٢٩١ : (أى بما يئول إليه عاقبة أفعالى التى فعلتها فلم تستطع على ترك المسالة عنها وعن النكير علىّ فيها صبرا)، وفى القاموس جـ٣ ص ٣٣١ اول الكلام تاويلا وتاوله دبره وقدره وفسره .

(٢) سورة الكهف : جزء من اية ٧٨ .

(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٢ وهم ١٥ جـ٣ وهم ٢٨ ص ٩٧-٢٩٩ ، ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان له ص ١٤٥ وايثار الحق على الخلق له ص ٩٢-٩٣ وهذا نصه والروض الباسم له جـ ٢ ص ٤٠٤ .

(٤) سورة البقرة : ١١٩ وفيها ثلاث قراءات وتوجيهات راجعها فى كتب التفسير منها تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٣٣-٢٣٤ وفتح القدير للشوكانى جـ١ ص ١٣٥ .

(٥) سورة البقرة : جزء من اية ١٠٢ . وانظر العواصم والقواصم لابن الوزير جـ٣، وهم ٢٨ ص ٢٩٩ .

ثم ان ابن الوزير لم يكتف بهذا ، بل يوجه نصيحته للسني بقوله : (والأولى بالسني الوقوف على ما أوقف الله عليه ملائكته الكرام، حيث أجاب عليهم أنه يعلم مالا يعلمون ،وترك التكليف فيما لم يؤمر به ، والتأدب بمثل قوله تعالى : (ولا تقف ماليس لك به علم) (١) والحذر من الشذوذ عن الجماعة والنفرة عن كل بدعة وشناعة) (٢) .

قلت : وجه الدلالة من الاية على منهج ابن الوزير - ان الخوض في تأويل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله - عز وجل - من القول على الله بلا علم ،بل من الظنون والاوهام ، وقد ورد النهي عن هذا النوع في الكتاب والسنة ،وهو الاولى والاحوط من التكلف بلا تكليف ،

- العلاج الذي وصفه ابن الوزير للابتداع والتقليد :

سبق أن ذكرت أن الزيادة في الدين والنقص منه وما يلحق بهما من التصرف في عبارات الكتاب والسنة من العبارات المبتدعة وأنها - مع بطلانها - تقوم على اصلين : سمعي وعقلي ، وأن السمعي هو اختلافهم في معرفة المحكم والمتشابه ،وهل يعلمون تأويل المتشابه ثم ما سبب وقوع المتشابه - على العقول من حيث الحكمة والدقة - في كتاب الله تعالى ،وذكرت ان المشهور هو الابتلاء بالزيادة في مشقة التكليف لتعظيم الثواب ومخالفة ابن الوزير ، لذلك المشهور ،بأن سببه زيادة علم الله تعالى على علم الخلائق ، مع ذكر التعليل كما ذكرت أن العقلي إنه إنما عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول من الخفيات التي اعرض عنها السلف ، ثم ذكرت الكلام على وجوه تأويل المتشابه الثلاثة التي نقلها ابن الوزير عن ابن تيمية ، والاستدراك بوجه رابع .

وبعد هذا كله لا يسع ابن الوزير السكوت على مثل هذه الامور ،التي لا ينبغي السكوت عنها بل نبه بأمور اربعة هي :

١- الكلام في ذات الله - تبارك وتعالى - على جهة التفصيل أو الاحاطة .

٢- النظر في سر القدر السابق في الشرور ،معظم رحمة الله - تعالى - وقدرته على مايشاء .

---

(١) سورة الاسراء : ٣٦ .

(٢) العواصم والقواصم جـ٣ وهم ٢٨ ص ٢٩٩ .

٣ - البحث فى فواتح بعض السور لمعرفة المراد منها .

٤ - البحث فى المجمل الذى لا يظهر معناه بعلم ولا ظن . وإليك بيانها :

أولا : إن الكلام فى ذات الله - جل وعلا - على جهة التفصيل والتصور والإحاطة ، على حد علم الله تعالى باطل ، بل من المتشابه الممنوع الذى لا يعلمه إلا الله تعالى ، لقوله - عز وجل - (ولا يحيطون به علما) (١) ، ولقوله تعالى : (ليس كمثله شىء) (٢) . وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها ، للنهى عن التفكر فى ذات الله (٣) - عز وجل - ولما اشتهر عن على رضى الله عنه فى امتناع معرفة الله عز وجل على العقول (امتنع منها بها وإليها حاكمها) (٤) .

ومن التفكر فى الله - سبحانه وتعالى - والدعوى الباطلة على العقول ، وتكليفها ما لا تطيقه ولا تعرفه ، حدثت البدع المتعلقة بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته .

وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) (٥) قالت فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم) (٦) فمن أكبر البدع :

قول البهاشمة من المعتزلة إن الله تعالى عن قولهم (لا يعلم من ذاته غير ما يعلمونه) (٧) .

---

(١) سورة طه : ١١٠ .
(٢) سورة الشورى : ١١ .
(٣) معنى حديث متفق عليه البخارى جـ٤ كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده ص ٩٢ مسلم جـ١ كتاب الايمان باب الوسوسة ص ١١٩-١٢٠ .
(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير الوهم الخامس عشر والسادس عشر وايثار الحق على الخلق له ص ٩٣ والترجيح له ايضا ص١٢٩ .
(٥) سورة آل عمران : ٧ .
(٦) سنن ابى داود مع عون المعبود جـ١٢ كتاب السنة باب النهى عن الجدال واتباع المتشابه من القران ص ٣٤٣-٣٤٥ والبخارى جـ٥ تفسير سورة آل عمران ص ١٦٦ بلفظ: (إذا رأيت...
(٧) انظر العواصم جـ٢ وهم ١٦ ، ايثار الحق ص ٩٣-٩٤ ، الترجيح ص ١٣١ .

قال ابن الوزير : (والمبتدعة يرون تصانيفهم اهدى من القران لبيانهم فيها - على زعمهم - المحكم والمتشابه ، فمنهم من صرح بذلك وقال : إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى ، وكتبه أهدى من كتب الله تعالى ، وهم الحسينية أصحاب الحسين بن القاسم العيانى[1] ت سنة ٤٠٤ هـ وقد حمله الامام المطهر ابن يحيى على الجنون ، وقيل لم يصح عنه ، ومنهم من يُلزمه ذلك ، وإن لم يصرح به)[2] .

وقد صرح ابن الوزير فى الروض الباسم أنه خرج من المذاهب الاسلامية ، وادعى أنه افضل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن كلامه أنفع من كلام الله عز وجل ، لأنه كان يناظر أهل العلم بهاتين المقدمتين : إنه قد ثبت أن الاعلم أفضل ، وأن علم الكلام أفضل العلوم ، فيلزم منهما أنه أفضل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه يقطع أنه أعلم منه بعلم الكلام[3] !!

وحاصل هذا الامر أنه من التحكم بالنظر فى ذات الله - سبحانه - وهو من المتشابه، والخوض فى ذلك من البدع المحرمة، فالعلم بكيفية الصفات غير حاصل لنا ، اذ العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف ، فاذا امتنع العلم بكيفية الموصوف فكذلك كيفية الصفة[4] .

ومما قاله ابن الوزير فى الرد على المبتدعين وعدم التمسك بسنة سيد المرسلين :

ماورث المختار غير حديثه ** فينا وذاك متاعه وأثاثه

فلنا الحديث وراثة نبوية ** ولكل محدث بدعة احداثه[5]

---

(١) احد حكام اليمن الزيدية المعتزلة، والحسينية أتباعه فرقة من الزيدية قد انقرضت بعد الانتشار والخذلان وقد خالف ابن الوزير فى هذا المؤرخ احمد بن محمد الشرفى ت سنة ١٠٥٥ هـ والله اعلم ، الروض الباسم جـ١ ص ١٥٨ ، حكام اليمن للحبشى ص ٦١ .

(٢) الروض الباسم لابن الوزير جـ ١ ص ١٥٨ .

(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٥٨ .

(٤) هكذا قرره شيخ الاسلام فى مجموع فتاويه جـ ٦ ص ٣٩٩ .

(٥) الروض الباسم لابن الوزير جـ ١ ص ٨ .

ثانيا : النظر في سر القدر السابق في الشرور مع عظم رحمة الله تعالى ، وقدرته على مايشاء ، وهذا من المتشابه الواضح تشابهه ومنعه ، فقد تحير الملائكة الكرام عليهم السلام مع قربهم من الله - عز وجل - واستفسروا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فكان الجواب الجملي (إني أعلم مالا تعلمون) [١] ، فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا : (لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم [*]) واذا كفى الملائكة العلم الجملي كفى كثيرا من المسلمين [٢] .

ثم ساق تعليم آدم الاسماء وتفضيله بالعلم عليهم الى قوله تعالى : (الم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون) [٣] . فهل قول الملائكة هذا من باب الاعتراض او الاستفسار والاستكشاف عن الحكمة في ذلك كما هو مضمون كلام ابن الوزير ؟

قال ابن كثير : (وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين ، وإنما هو استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون ياربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع ان منهم من يفسد في الارض ويسفك الدماء ، فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلّا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (إني أعلم مالا تعلمون) اي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها مالا تعلمون أنتم فإني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد ، والزهاد والاولياء ، والابرار والمقربون ، والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم) [٤] .

---

(١) سورة البقرة : ٣٠ .
(٢) الروض الباسم لابن الوزير جـ٢ ص ٢١٩ .
(٣) سورة البقرة : ٣٣ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٩٩-١٠٠ .
(*) سورة البقرة : ٣٢ .

وهذا يؤيد ما اشار اليه ابن الوزير من استغسار الملائكة وجواب الله تعالى - الجملى فى تحيرهم لماخفيت الحكمة عليهم فى ذلك ولهذا يقول ابن الوزير (وفى ذلك إشارة واضحة أن مراد الله تعالى بالخلق هم اهل الخير فالخلق كلهم كالشجرة وأهل الخير ثمرة تلك الشجرة وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (١) .

ويستمر ابن الوزير مبينا أن الله تعالى - لم يخلق الشر كونه شرا محضا ، بل فيه من الخير الكامن مالا يعلمه الا الله عز وجل بل لا يريده لكونه شرا قطعا ، ومثّل بأم الصبى التى ترى الحجامة شرا محضا، وبالغبى الذى يرى القصاص شرا محضا فيقول : (والسر فى ذلك أن الله تعالى لا يريد الشر لكونه شرا قطعا ، وانما يريده وسيلة الى الخير الراجح كما قال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب (٢)) .

وكما صح فى الحدود والمصائب - بغض النظر عن الخلاف فى الحدود هل هى كفارات ام لا (٣) - أنها كفارات ، فهذا سر القدر فى الجملة ، وانما الذى خفى تفصيله ومعرفته فى عذاب الاخرة ، وشقاوة الاشقياء .

فمن الناس من كبر ذلك عليه وأداه الى الحكم بنفى التحسين والتقبيح ، فقدحوا بنفى حكمة الله تعالى ، وهم غلاة الاشعرية الا بمعنى إحكام المصنوعات فى تصورها لا سواه .

ومن الناس من جعل الوجه فى تحسين ذلك من الله عدم قدرته سبحانه على هدايتهم وهم جمهور المعتزلة ، لكنهم يعتذرون عن تسميته عجزا ، ويسمونه غير مقدور .

ومنهم من جعل العذر فى ذلك ان الله لا يعلم الغيب ، وهم غلاة القدرية نفاة الاقدار .

ومن الناس من اداه ذلك الى القول بالجبر ونفى قدرة العباد واختيارهم (٤) .

---

(١) سورة الذاريات - ٥٦ ، الايثار ص ٩٧-٩٨ ، وانظر كلام ابن الوزير هذا فى العواصم والقواصم جـ ٣ الوهم الثامن والعشرون .

(٢) سورة البقرة : ١٥٢ .

(٣) انظر الخلاف فى فتح البارى جـ ١ ص ٦٥-٦٦ .

(٤) ايثار الحق لابن الوزير ص ١٩٨-١٩٩ ، الترجيح له ص ١٥٦ ، وانظر التفاصيل فى العواصم له جـ ٣ وهم ٢٨ .

وقد جمع ابن الوزير فى العواصم والقواصم ماهب ودب فى مسألة القدر، كما قال : (جمعت فى ذلك مالم اسبق اليه ولا الى قريب منه فى علمى) . وكان ينبغى عدم التعمق الى هذا الحد فى القدر الذى هو سر الله تعالى ولكن طبيعة الجدل وشدته فرضت عليه بأن جمع جزءاً كاملا فى القدر يزيد عن ٤٠٠ ص ردا على الوهم الثامن والعشرين ، أن أهل السنة ينكرون أفعال العباد، وتداعى الجدل إلى جميع متعلقات القدر من الافعال إلى الارادة والمشيئة والحكمة وغيرذلك .

وقد تقصى البراهين فى الردعلى المعترض المعتزلى ، وغيره حتى بلغت احاديث وجوب الايمان بالقدر اثنين وسبعين حديثا ، وأحاديث صحته مائة وخمسة وخمسون حديثا ، الجملة سبعة وعشرون حديثا ومائتا حديث ، من غير الآيات القرآنية (١) . ولم يكتف ابن الوزير بهذا فقد أشار الى مصنفات ابن تيمية (٢) وتلميذه ابن قيم الجوزية (٣) فى بيان الحكمة فى العذاب الاخروى ويقول ابن الوزير إنه أفرد ذلك فى جزء لطيف وزاد عليه ، وإلى كتابة هذه الأحرف لم أطلع عليه .

ومضمون كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مؤكد لمضمون كلام ابن الوزير من أنه لا يجوز اعتقاد أن الله لا يريد الشر لكونه شرا ، بل لابد من خير راجح يكون ذلك الشر وسيلة إليه ، وذلك الخير هو تأويل ذلك الشر السابق له، على نحو تأويل الخضر لموسى ، وأن ذلك مطرد فى شرور الدارين معا ، وأشار الى ذلك الغزالى فى شرح الرحمن الرحيم (٤) .

هذا ومن العجيب أن ابن الوزير يتقصى الأدلة فى النهى عن الخوض فى القدر ثم يسترسل فيه ! .

---

(١) انظر العواصم لابن الوزير جـ٣ وهم ٢٨-٢٩-٣٠ ، الايثار له ص ٩٩ .

(٢) انظر كلام ابن تيمية على سبيل المثال فى كتاب القدر جـ٨ من مجموع الفتاوى ص ٩٣ - ٩٥ - ١٢٣ - ١٢٥ - ٢٠٧ - ٢١٢ وغير ذلك .

(٣) انظر شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، الباب الثالث والعشرين منه .

(٤) المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى للغزالى ص ٦٧-٦٨ ط . بيروت .

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية أن السيئة إنما يخلقها الله بحكمة ،وهى باعتبار تلك الحكمة من إحسانه ، فإن الله لا يفعل سيئة قط ،بل فعله كله حسن وحسنات وفعله كله خير، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم فى دعاء الاستفتاح : (والخير بيديك والشر ليس إليك)(١) وقال معلقا على هذا الحديث مالفظه : (فانه لا يخلق شرا محضا بل كل مايخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس ،وهو شر جزئى اضافى ، فأما شر كلى أو شر مطلق ، فالرب منزه عنه ، وهذا هو الشر الذى ليس إليه ،

وأما الشر الجزئى الاضافى فهو خير باعتبار حكمته ،ولهذا لا يضاف الشر اليه مفردا قط بل إما أن يدخل فى عموم المخلوقات كقوله : (وخلق كل شىء فقدره تقديرا)(٢) .

وإما ان يضاف الى السبب كقوله : (من شر ماخلق)

واما ان يحذف فاعله كقول الجن : (وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا)(٣) .

قلت : وهذا مما يقوى قولى بأن مضمون كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مؤكد لمضمون كلام ابن الوزير من أنه لا يجوز اعتقاد أن الله لا يريد الشر لكونه شرا ، بل لابد من خير راجح يكون ذلك الشر وسيلة اليه الخ . فلله الحمد والمنة وكأن هذا الكلام بعضه من بعض،ولا غرابة فى ذلك فالحق واحد ،وإن اختلفت الأساليب والطرق الموصلة إليه ،وأيضا فابن تيمية يعتبر من شيوخ ابن الوزير - وإن كان بينهما أكثر من قرن - لكثرة ماينقل عنه ويستشهد بافكاره لا سيما فى معترك الانظار.

- ثالثا : فواتح بعض السور ، اذ لو كانت معلومة لأهل العلم لجاز أن تنزل سورة كبيرة يُكلِّف العلماء معرفة المراد منها وتفصيل مدلولاتها من وعد ووعيد ، وأوامر ونواهى ، بل كان يلزم تجويز أن يكون القرآن كله كذلك .

---

(١) مسلم ج١ كتاب صلاة المسافرين باب الدعاء فى صلاة الليل ص ٥٣٥.

(٢) سورة الفرقان جزء من آية : ٢ .

(٣) سورة الجن : ١٠ وانظر نص ابن تيمية فى مجموع فتاويه ج١٤ قسم التفسير ص ٢٦٦ وانظر مايتعلق بهذا فيما قبلها ومابعدها . وانظر مختصر الصواعق اختصره محمد الموصلى ج١ ص ٢٢١-٢٢٢ .

وكذلك كتب الله الى جميع الرسل ، كما يستلزم أن يفهم مثل هذا عن غير الله - تعالى - فيتخاطب العقلاء بذلك ، ولا ينكر على من دخل على قوم أن يكون أول كلامه لهم كذلك ولا يلام فى ذلك .

وهذا هو اختيار الامام زيد بن على ت سنة ١٢١ هـ (١) والقاسم ت سنة ٢٤٤ هـ والهادى سنة ٢٩٨ هـ والامام يحي ت سنة ٧٤٩ هـ كما حكاه ابن الوزير . وأما قول أهل التأويل إنا مخاطبون بها فيجب أن نفهمها هو مقلوب احتجوا به : أنا لا نفهمها فيجب ألّا تكون مخاطبين بفهمها ، إذ لم يرد يا أيها الذين آمنوا ا ل م كما ورد (يا ايها الذين آمنوا اقيموا الصلاة) (٢) فدل على أنها كلام لا خطاب .

وقد ذكر ابن الوزير فى ترجيح اساليب القرآن اثنتين وعشرين حجة على أن فواتح بعض السور بالحروف المقطعة غير معلومة (٣) وأنها من المتشابه .

والكلام على هذا لا يحتاج الى اكثر من هذا فقد شحنت به كتب التفسير فارجع إليها .

رابعا : المجمل الذى لا يظهر معناه بعلم ولا ظن سواء كان بسبب الاشتراك فى معناه أو لغرابته ، أو عدم صحة تفسيره فى اللغة والشرع وغير ذلك .

وقد وقع الوهم فى المجمل لنوح عليه السلام - كيف لغيره وذلك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله : (إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) (٤) .

---

(١) مقاتل الطالبين لابى الفرج الاصفهانى ص ١٤٤ .
(٢) هكذا فى ترجيح اساليب القران لابن الوزير ص ١٦٥ ولم اجد اية فى القرآن الكريم بهذا اللفظ وفى موضع آخر قال : لم يرد فى اية اخرى قط يا أيها الذين آمنوا (الٓمٓ) ص ١٤٧ .
(٣) انظر ترجيح اساليب القران على اساليب اليونان لابن الوزير ص ١٦٤-١٦٧ - ايثار الحق له ص ١٠١ ، عون المعبود ج ١٢ ص ٣٤٣-٣٤٥ .
(٤) سورة هود : ٤٥-٤٦ وانظر ايثار الحق لابن الوزير ص ١٠١ .

- تعليق على ماسبق :

قلت : اذا تأملت هذه الامور الاربعة التى اختارهاابن الوزير ونبه عليها أنها من المتشابه ، وذلك بعد ذكره لوجوه المتشابه الثلاثة التى نقلها عن ابن تيمية وإضافة رابع إليها ،اذا تأملت ذلك تجده موفقا من حيث الجملة للقاعدة التى نهجها فى اصول الدين ،بل فى كتابه (ايثارالحق) الذى هو -كما يبدو- آخر مؤلفاته وهى الأخذ بالاحوط ، وهو كذلك لانه مأمون الخطر على من اعتقد هذا من الزلل فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة .

أمامن ناحية التفصيل فالأمران الأولان اللذان أحدهما عدم الخوض فى ذات الله تعالى على جهة التفصيل أو الاحاطة فلا شك أن هذا من البدع فى الدين وليس النجاة من ذلك إلا اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وترك الوساوس والتخيلات المؤدية الى تشبيه الله - سبحانه - بمخلوقاته ، وعدم الخوض فى هذا هو مذهب السلف والخروج عنه يعتبر بدعة اذ لم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة الخوض فى ذلك .

وثانيهما النظر فى سر القدر ،وخفاء الحكمة فى خلق الشرور ،مع عظم رحمة الله تعالى .

وأصعب من ذلك عدم معرفتها فى خلق الاشقياء وترجيح عذابهم على العفو مع سبق علم الله وسعة رحمته ، وكمال قدرته ،فخفاء الحكمة فى الشرور الدنيوية قد تعرف ، كالفصاد والحجامة وقطع عضو المريض وسائر العمليات الجراحية والقصاص ونحو ذلك ، وقد لاتعرف ، فان عرفت ،والا آمنا بأن هذا الشر فيه حكمة كامنة يعلمها الله - عز وجل - كما قال تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)[1] وقوله : (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)[2].

أما خلق اهل النار فقد وردت بعض أدلة تشير الى شىء من الحكمة فى ذلك . منها أنهم فداء للمسلمين ،لحديث ابى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كان يوم القيامة دفع الله -عز وجل - الى كل مسلم يهوديا أونصرانيا فيقول هذا فكاكك[3] من النار[4]) .

---

(١) سورة النساء : ١٩ .
(٢) سورة البقرة : ٢١٦ .
(٣) فكاكك بفتح الفاء وكسرها والفتح افصح واشهر وهو الخلاص والفدا ،انظر شرح مسلم جـ١٧ ص ٨٥ .
(٤) مسلم جـ٤ كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ص ٢١١٩ .

ولكن الاحوط والاسلم أن نَكِلَ علمها الى الله - تعالى - لأنا لسنا مكلفين بمعرفتها فنرتاح ونريح والعكس بالعكس .

أما الامران الثالث والرابع اللذان أحدهما عدم معرفة الحروف المقطعة فى اوائل بعض السور ففى هذا خلاف مشهور بين العلماء قد شحنت به كتب التفسير فليراجع فيها ، ولكن الاحوط والاسلم عدم الخوض فيه إلا إذا كان على سبيل التعليم والحكاية لأقوال العلماء لا على سبيل الجزم بمعرفة المراد منه ، وهذا هو المعمول به عند بعض الناس - ولا مانع من ذلك اذ لا خوف على من وكل علمه الى الله تعالى .

فان قيل : هو كلام يجب أن نفهمه ، قلنا نعم هو كلام وليس بخطاب ، والخطاب مكلفون به لما فيه من الأوامر والنواهى ، والكلام الذى لا يتضمن خطابا ، ولا وعدا ولا وعيدا ، لسنا مكلفين به .

أما ثانيهما الذى هو المجمل الذى لا يظهر معناه بعلم ولا ظن و و و فهذا معظمه فى علم أصول الفقه ، ومنه الألفاظ المشتركة كالقرء والعين فهذه لها اكثر من معنى وهذا ليس هو موضوع بحثنا وإنما هو فى ماله علاقة باصول الدين غالبا ، وإذا وجد منه شىء فى العقائد كلفظ السماء ، فان لها عدة معان ، فان ظهر المعنى المراد للمجمل بمعنى شرعى أو لغوى فبها ونعمت ، مالم ، فالأولى عدم الخوض فيه . وهى القاعدة السليمة لانا لسنا مكلفين بمعرفة ما هو خارج عن طاقتنا (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (١) .

وقد رأيت من المستحسن أن أختم هذا الفصل بنصيحة قيمة أهداها ابن الوزير لطلاب العلم تتعلق بهذا الفصل ، خلاصتها كالاتى :

العلوم قسمان :

قسم مستحسن باتفاق ، مثل النصوص فى الحديث والاجماع من تفسير الاسلام والإيمان الواجب على الجميع دون ماعداه ، وعلم الزهد بما اشتملت عليه كتبه مما اجمع عليه دون ما اختلف فيه .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

ومن أنفس كتبه (رياض الصالحين) للنووى لاقتصاره على الحديث القوى ، وأنفس منه (الترغيب والترهيب) للمنذرى ونحوهما من الكتب الخالية عن البدع .

القسم الثانى : المختلف فيه اختلافا تخاف مضرته فى الاخرة ، فماكان الخوض فيه ليس بواجب شرعا مع عظم الخطر فى الخوض فيه فاضرب عنه وطالب من دعاك اليه بالدليل الواضح على الوجوب ، وأعرض ما اورد عليك فيه من الأدلة على النصحاء والأذكياء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينا من غير تقليد ، ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك فى معرفة الحق .

ومن القواعد المقربة إلى النجاة : كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الاخروى فى أحدهما دون الآخر ، فابعد عنه واحذره ، ألا تراك تخاف الكفر فى جحد العلوم لا فى ثبوتها ، وفى جحد الرب لا فى الايمان به ، وفى جحد النبوات لا فى اثباتها ، وفى التفريق بين الرسل لا فى الايمان بجميعهم ، وفى عدم الايمان بما جاءبه القرآن والسنة ، لأن خلاف السمع المعلوم كفر إجماعا ، لا فى خلاف العقل المعلوم، لانه ليس بكفر إجماعا، وبالفطرة تدرك القوى من الضعيف، فى تلك المباحث إلا مادق وغمض فاتركه لاسيما مع دقة الشبه المعارضة كما تترك مادق على بصرك من المرئيات(١) . والله أعلم .

...

(١) ايثار الحق لابن الوزير ص ٣٣-٣٤ .

الخاتمـــة : وفيها النتائج

بعد هذا العرض المستفيض لآراء ابن الوزير الاعتقادية ، لا أدعى أنى قد أحطت بها ، أو استقصيتها .

وإنما هذه كمعالم يهتدى بها الباحثون الى منهجه المتسم بقوة الحجة ، وشدة المعارضة ، فى سبيل الذب عن السنة النبوية الصحيحة وحملتها ، والى مميزاته الفذة المتسمة بوضوح الفكرة - عنده - لما منحه الله - تعالى - من المعرفة التامة بأقوال الطوائف الاسلامية ، واختلافاتهم ، وحسن عرض أدلتهم بدقة وأمانة مع المحافظة النادرة لنصوص الكتاب والسنة ، وأقوال أهل العلم ، وغير ذلك مما سبق ذكره فى مميزاته .

إن ابن الوزير ممن ظلمهم أهل بلدهم ، بغمط محاسنهم ، ودفن آثارهم ، اذ معظم مؤلفاته مطمورة فى زوايا مكتبتى جامع صنعاء ، الشرقية والغربية ، الغاصتين بالمخطوطات اليمنية وغيرها .

إن ثناء العلماء على ابن الوزير بل مؤلفاته لتؤهله وتسمو به الى أن يلقب بعلامة اليمن ، والمجتهد المطلق ، إلا أنه من الملاحظ عليه الخطأ أو النسيان فى بعض المسائل التى أشرت إليها فى مواضعها .

وهذا من المسلمات التى لا ينكرها المنصفون ، ولا يسلم منها أحد ، وإن عاند المعاندون ، فالكمال لله - عز وجل - وحده ، والعصمة للأنبياء وحدهم .

وابن الوزير ممن قرر هذا وكرره فى مصنفاته .

ولكن هذه الملاحظات لا تعد شيئا عند المنصف إذا غمرها فى بحر علمه الزخار ، بشتى الفنون .

وملاحظات تعد بأصابع اليدين تدل على سمو مكانة صاحبها ابن الوزير او غيره واتفاق العلماء فى كل المسائل - لا سيما فى الاجتهاديات - يكاد ان يكون مستحيلا ، للتفاوت فى العلوم والأفكار ، تلك سنة الله تعالى فى خلقه .

فالخلاف كائن - لا محالة - قديما وحديثا ، منذ خلق الله آدم عليه السلام - وأسجد له ملائكته ، وجعله خليفة فى الأرض ، فاختلاف الملاء الاعلى واختصامهم ، واختلاف ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فى قاتل المأة نفس ، وبين الأنبياء كاختلاف موسى والخضر وداود وسليمان عليهم السلام ، والاختلاف بين كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - وبين الائمة وغيرهم من العلماء ، هذا الخلاف غير خاف على أهل العلم ، مع اتفاق الجميع على الأصول المعلومة من الدين بالضرورة ، التى يعتبر الخلاف فيها - عند الجميع - خروج عن الملة .

إن ملاحظات لا تجاوز أصابع اليدين بعد التلمس الشديد وبعد تقرير ما سبق من أن الخطأ والنسيان من طبيعة البشر، لتعد مفخرة من مفاخر ابن الوزير، وقديما قيل: كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه.

وقد قسمت النتائج الى قسمين:

القسم الأول : الملاحظات

القسم الثانى : النتائج التى توصلت اليها من خلال البحث

أولا، الملاحظات: وهى مرتبة حسب ترتيب الرسالة.

١- ما صرّح به ابن الوزير من أنه وقع القلب عند مسلم فيما تفرد به من حديث أبى هريرة فى السبعة الذين يظلهم الله -عز وجل- بظل عرشه يوم القيامة، وذلك أثناء مناقشته للحديث الذى استدل به نفاة الحكمة، وذكر مسلم فى صحيحه منهم: (رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله)

قال ابن الوزير بعد إيراده لهذا اللفظ المقلوب: (وصوابه ما خرجاه معًا عن أبى هريرة فى هذا الحديث بعينه وفيه: (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)(١)

وأنا أقول: إن الصواب أنهما لم يخرجاه معا بهذا اللفظ، لأن هذا اللفظ ليس بموجود فى صحيح مسلم وإنما هذا لفظ البخارى فيما تفرد به، وهو الصواب، لأن اليمين هى المنفقة.

ولم أجد فى (صحيح مسلم) الا المقلوب لا غير، إذ قابلته على اكثر من نسخة.

وتبع ابن الوزير فى هذا الوهم الحافظ بن حجر ٨٥٢هـ (فى النزهة) لما مثل بحديث ابى هريرة المقلوب عند مسلم، ثم ذكر رواية البخارى باللفظ السابق الصواب، وقال: (كما فى الصحيحين) لكنه قرر فى الفتح عكس هذا، ولم ابحث عن أيهما المتأخر؟

وتبعهما فى الوهم صاحب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) فقد ذكر هذا الحديث المقلوب فى المتفق عليه.

وقد بينت أن الصواب ما تفرد به البخارى كما سبق فى (ميزات ابن الوزير)(٢)

٢- قدح ابن الوزير فى زيادة حديث افتراق الأمة الى ثلاث وسبعين ملة والزيادة هى: (كلها فى النار إلا ملة) قدح فيها من ناحية النقل والمعنى حيث قال: (وإياك

---

(١) انظر ص: ٦٣ من الرسالة

(٢) انظر ص: ١٦٧-١٦٨ من الرسالة

والاغترار بـ(كلها هالكة إلا واحدة) فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة ، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة ، وعن ابن حزم أنها موضوعة)

وليس هذا القدح في هذه الزيادة من ابن الوزير وحده بل القدح فيها من قبله ومن بعده كما بينته في موضعه(١)

وقد تتبعت كلام اهل هذا الشأن - حسب طاقتي - سندا ومتنا فوجدت هذه الزيادة مروية عن جماعة من الصحابة من عدة طرق كلها واهية إلا واحدة ، وهي التي رواها ابن ماجه بسنده عن أنس مرفوعا فسندها صحيح تحقيقا لا تقليدا ، فهي وإن كان فيها الوليد بن مسلم ثقة مدلس ، فقد صرح بالتحديث ، فارتفع التدليس حسب قواعد المحدثين ، وأقل درجته يكون حسنا ، لكن كثرة طرقة يقوى بعضها بعضا ، وبانضمامها إلى الطريق الصحيحة عن أنس بما فيها الزيادة المذكورة يرتقي الحديث الى درجة الصحة(٢) إن شاء الله تعالى .

وأما قول ابن الوزير : (لا يبعد أن تكون هذه الزيادة من دسيس الملاحدة) فأنا أقول : لا يبعد أن تكون هذه الزيادة من دسيس حساده وخصومه لما سبق في المعارك الكلامية من الشدة والحدّة .

وأما من ناحية المعنى ، فقد وُفقت بتوفيق الله - تعالى - بين الادلة والقواعد التي صرح ابن الوزير أنها تصادم هذه الزيادة ، منها الأحاديث الواردة في فضائل الأمة المرحومة ، وأنهم اكثر اهل الجنة ، وأنه يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب . . . مع أنهم كالشعرة البيضاء بالنسبة لسائر الامم - في الثور الأسود فلا معارضة لعدة وجوه ذكرتها في الفصل الاول من الباب الثاني من هذه الرسالة(٣)

٣- اسناد ابن الوزير كلاما ، الى ناصر السنة ابي اسمعيل عبد الله بن محمد الانصاري الهروي ٤٨١ هـ يتعلق بالأسماء والصفات وأسنده الى كتاب (منازل السائرين) للهروي المذكور ، وقد رجعت اليه وقرأته أكثر من مرّة ولم اجد فيه شيئا مما اسنده اليه ابن الوزير، وكل ما فيه يتعلق بالتصوف ومصطلحاته وهو الذي شرحه ابن القيم بمدارج السالكين ، ويبدو لي - والله اعلم - أن الكلام الذي أشار اليه ابن الوزير هنا هو للهروي المذكور في كتابه (ذم الكلام) وبحثت عنه في المخطوطات والمصورات - لأنه الى حين كتابة هذه السطور لم يطبع - ولم اقف عليه(٤) .

---

(١) انظر ص ١٨٠ وما بعدها من الرسالة

(٢) هذا من باب التطفل لأني لست من أهل هذا الشأن ولا من فرسان هذا الميدان ولكني بذلت جهدا غير قصير .

(٣) راجع ص ٢٠٩-٢١٤ من هذه الرسالة

(٤) سمعت انه يحقق في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

٤- اسناد ابن الوزير أيضا كلاما للبغوى (٥١٦هـ) فى تفسيره أثناء كلامه السابق على الفطرة، ولم اجده عند تفسير الآية المشار اليها، ولا فى شرح السنة عند حديث الفطرة أيضا، كما بينته فى الكلام على معانى الفطرة(١).

٥- قول ابن الوزير ايضا فى أبيات من (الاجادة) له فى مطلعها :

لى فى القديم مقال غير مبتكر....

وهذا لا يتفق وما ذكره فى كتابه (ايثار الحق على الخلق) أثناء كلامه على الأسماء الحسنى، بأن ما كان فى الحديث وجب الايمان به على من عرف صحته، وما نزل عن هذه المرتبة، او كان مختلفا فى صحته لم يصح استعماله، وفى ثبوت هذا الاسم خلاف كما بينته فى (الاسماء والصفات) بل حققت الكلام فيه ولله الحمد والمنه(٢)

٦- قول ابن الوزير ايضا فى مبحث (الاسماء والصفات) فى أبيات يرد بها على اللائمين له باتباع السنة ومحبته للحديث من تلك الأبيات:

وحق حبى له انى به كلف يكفينى الطبع فيه عن تكلفه

وهذا يتنافى مع توحيد الألوهية للتدليل والتعليل الذى اشرت اليه هناك(٣).

٧- إسناد ابن الوزير (حادى الارواح) أحيانا الى شيخ الاسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) وأحيانا الى تلميذه ابن القيم (٧٥١هـ)(٤)، وعلى هذا الوهم ترتب الوهم الآتى

٨- اسناده وغيره القول بفناء النار الى شيخ الاسلام ابن تيمية، وقد سبق تحقيق ذلك فى فصل (الغيبيات)(٥) وستأتى الاشارة الى ذلك فى النتائج الآتية.

وابن الوزير معذور فى هذا كله، لأنه كثير ما يكتب من حفظه، وهو فى رؤس الجبال، وبطون الاودية للظروف القاسية التى عانها من خصومه كما سبق مقررا ومكررا فى (حياته العلمية) و(فى ميزاته الفكرية) وغير ذلك.

ثانيا : النتائج التى توصلت اليها من خلال البحث، وهى :

١- إن ابن الوزير - رحمه الله - يتصل نسبه الى ريحانة الرسول - عليه الصلاة والسلام - الحسن بن على بن ابى طالب - رضى الله عنهم اجمعين، وكفى بذلك شرفا، كيف لا وهو من اغصان تلك الدوحة المتصلة بالنبى عليه الصلاة والسلام وأنه نشأ فى أسرته آل الوزير، المشهورة بالعلم، والجاه والحسب والنسب.

---

(١) راجع ص ٣٧٠ وما بعدها من هذه الرسالة
(٢) راجع ص ٤٥٠ وما بعدها من هذه الرسالة
(٣) راجع ص ٤٦٣ وما بعدها من هذه الرسالة
(٤) راجع ص ٤٧٠ من هذه الرسالة
(٥) راجع ص ٤٧٤ وما بعدها من هذه الرسالة

٢- لم يزل ابن الوزير منذ عرف شماله من يمينه مشمرا فى طلب العلم ، و بنانه للطائف المعارف قواطف ، يتنقل بين أيدى الشيوخ من درجة الى درجة ، حتى بلغ درجة الاجتهاد .

٣- قضى معظم شبابه فى البحث عن العلوم العقلية الجدلية ، و لما علم أنها لا توصل إلى المطلوب رجع الى علوم الكتاب والسنة ، فوجد فى ذلك الغناء والهدى والنور ، و ما يثلج الصدور ، فأناخ و ألقى رحله ، و استقر به المقام فى تلك الرياض النضره ، فاقتطف من شتى ثمارها الحلوة الدانية ، وارتوى من أنهارها العذبة الصافية فطاب له المقام ، و حق له أن يطيب ، و ما ألذ الراحة عقب التعب الطويل .

فقد عانى تلك المعاناة الشديدة ، و ما أدراك ما تلك المعاناة الشديدة ، فى البحث عن الأساليب اليونانية المقيتة .

٤- لما بلغ درجة الاجتهاد ، أعلن رجوعه الى الصواب ، فحسده أهل عصره ، وعلى رأسهم أحد شيوخه فى التفسير و أصول الفقه ، فجرت بينهم خصومات ، و قلاقل ، و معارك جدلية ، كان النصر فيها حليفه ، لنصرة سنة رسول الله - صلى الله عليه و سلم- وذبه عنها وعن حملتها ، وأئمة الاسلام والمسلمين ، لأنه استخدم سلاحهم العقلى فى الميدان الجدلى ، الذى يعتبر التبريز فيه - عندهم - مئنة الذكاء والنجابة ، فقهرهم بالحجج السمعية التى يعتبر الاقتصار فى البحث عنها - فى نظرهم - علامة البله والبلادة .

٥- إن ابن الوزير اشتغل بالذب عن السنة النبوية ، تدريسا ، و تصنيفا ، و مناظرة ، و مناضلة لأهل البدع ، و استطاع أن ينشر علم الحديث ، و سائر العلوم الشرعية ، فى أرض لم يألف أهلها ذلك لا سيما فى عصره ، صرح بذلك الامام الشوكانى (١٢٥٠ هـ) و أن مدرسة ابن الوزير ، لا زالت تشع[1] بأنوار السنة النبوية الصحيحة ، منذ عصره إلى عصر الشوكانى مرورا بالمقبلى (١١٠٨ هـ) والصنعانى (١١٨٢ هـ) .

٦- كانت نتيجة الصراعات المذهبية الدينية عداوة و بغضاء ، و تفسيقا و تكفيرا ، نتج عنه الصراع المسلح ، الذى كانت نتيجته الخراب والدمار ، والنهب والقتل بين صفوف الدويلات ، التى جرّت الويلات ، على أبناء اليمن ، منذ تأسيس المذهب الزيدى

---

(١) كادت أن تنطفئ ، فقيض الله - تعالى - لها من يبعثر مقبورها ، و يجدد ما انطمس من معالمها ، من الباحثين والدارسين والمحققين ، فها هو ذا (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابى القاسم) ظهر منه الجزء الأول ، يميس فى حلله الخضراء ، وقد زفه الى المكتبة الاسلامية الشيخ المحقق شعيب الأرناؤط ، طبع دار البشير عمان جزا الله الجميع خيرا .

ودولته، على أيدى الامامين القاسم بن ابراهيم الرسى (٢٤٤هـ) وحفيده الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم (٢٩٨هـ) العلويين.

صراع مسلح مستمر، بين أئمة الزيدية فى (صعدة) و (صنعاء) وبين سلاطين اليمن السافل، بسواحله وجنوبه من جهة، والباطنية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا من جهة أخرى، وكان الحرب سجالا، وأحيانا يتصاعد، حتى يكون بين أصحاب المذهب الواحد والأسرة الواحدة كما حصل بين الامامين المهدى (٨٤٠هـ) والمنصور (٨٤٠هـ) على عرش (صنعاء) فى عهد ابن الوزير (٨٤٠هـ) وقد يكون الصراع بين الآباء والأبناء على عرش (صنعاء) كما حصل بين الامام شرف الدين يحيى بن شمس الدين (٩٦٥هـ) وابنه المطهر (٩٨٠هـ) الصراع نفسه على عرش (صنعاء)

وكان لسان حال بعض الأئمة يقول، على لسان أحد شعراء اليمن:

ولأضربنّ قبيلة بقبيلة   ولأملأن بيوتهن نياحا

٧- إن ميزات ابن الوزير الفكرية لتبهر لب من يطلع عليها فى كتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابى القاسم) - الذى صنفه فى رؤوس الجبال العوالى وبطون الاودية الخوالى - لكثرة ما يسرده فى المسألة الواحدة من الاشكالات المحيرة، والتنبيهات اللاذعة والبراهين المقنعة، العقلية منها والنقلية بحيث أن الباحث فيه عن مسألة مّا لا يحتاج الى النظر فى غيره - غالبا - وأن كلامه من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية وابن القيم.

وقد يأتى فى كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره، ومصنفاته شاهد عدل على ذلك وتوكيد لذلك ثناء العلماء المشار اليه فى موضعه.[1]

٨- توفى - رحمه الله - فى العزلة الأخيرة التى صنف فيها (ايثار الحق على الخلق) الذى صانه عن الاساليب الجدلية، إذ ألقى الاسلوب الجدلى، واستخدم أسلوب العاطفة الدينية، والغيرة الاسلامية لما رآه من الاختلاف المؤدى الى التباعد والتقاطع، والتفسيق، والتكفير، بين طوائف المسلمين والمحاولة إلى رد الخلافات إلى المذهب الحق، والدعوة إلى الائتلاف والتآخى بين طوائف المسلمين.

٩- إن ما قرره ابن الوزير، وذهب إليه من التوقف، وعدم التكفير للمتأولين المخطئين من أهل القبلة، هو الصواب للوجوه التى ذكرها ابن الوزير، وللوجوه التى اضفتها إليها وأكدتها بها فى أواخر الفصل الاول من الباب الثانى[2] منها:

أ- إن ذلك يتمشى مع القواعد العامة، لأهل السنة والجماعة من عدم التكفير لأحد

---

(١) انظر ص ١٠١ وما بعدها ١٤٧ وما بعدها من الرسالة

(٢) انظر ص ١٩٠ وما بعدها ٢٠٩-٢١٤ من الرسالة

من المصلين ، بذنب ، ما لم يستحله ولأنه الأحوط ، لما يترتب على التكفير من الخطر العظيم ، والوعيد الشديد ، وما يترتب على ذلك من العداوة والتقاطع ، فهل الشرارة الأولى للصراع الدموى ، فى الماضى والحاضر بين طوائف المسلمين غير الصراع العقدى ؟ ! وهل هناك شئ من هذا النمط بين المسلمين وأعدائهم الحقيقيين ؟ ! أم طوائف المسلمين قلبوا ظهر المجن (١) لإخوانهم المسلمين أم هؤلاء تستروا باسم الاسلام ليكيدوا له كيدا بتدمير المسلمين الحقيقيين ؟ !

آهٍ آه واحسرتاه . . .

ب - إن الله - عزو جل - قد صنف الأمة المحمدية - من فوق سبع سموات - ثلاثة أصناف ، وميزهم واصطفاهم من عباده لوراثة كتابه بقوله : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)(٢) فالظالم لنفسه بترك بعض الواجبات ، وفعل بعض المحرمات ، من هذه الأمة ، وقد سبق التدليل والتعليل وافيا شافيا(٣) ولله الحمد والمنه .

١٠- من كذب بشئ من الكتاب أو السنة الصحيحة ، أو كذب أحدا من الرسل ، أو جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة ولو تستر باسم التأويل - كائنا من كان - كتأويل الباطنية الملحدة ، الذين انكروا البعث والجزاء ، وتأولوا الرب جل جلاله ، وأسماءه بإمام الزمان ، وحرفوا نصوص القرآن ، وأباحوا المحرمات ، فهذا التكفير لا غبار عليه عند ابن الوزير وغيره من علماء الاسلام والمسلمين أجمعين .

ويستثنى من جحد أمرا معلوما من الدين بالضرورة من لم يبلغه الخطاب كمن هو حديث عهد بالاسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه الدعوة فهذا لا يحكم بكفره كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية - للتعليلات السابقة فى موضعها(٤) .

وأما تكفير شخص معين من أهل القبلة ، فهذا أشد خطرا ، لعدم توفر الشروط ، ووجود المانع .

١١- اطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا ، فهو كذا مأثور عن بعض السلف كنفى الصفات ، والتكذيب بأن الله -عزوجل- يرى فى الآخرة ، أو أنه على العرش ، أو أن القرآن كلام الله -عزوجل- ، أو أن الله كلم موسى تكليما ، أو اتخذ ابراهيم خليلا ، كل ذلك كفر ، إذ اصدر من مكلف عاقل مختار عامد ، بلغته شرائع الاسلام ، وأصر على ذلك ،

---

(١) مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد ، ولفظه : (قلب له ظهر المجن) مجمع الامثال للميدانى جـ ٢ ص ١٠١

(٢) سورة فاطر : ٣٢

(٣) انظر ص ٢١٨ وما بعدها من هذه الرسالة

(٤) انظر ص ١٩٠ وما بعدها ٢٠٤ وما بعدها من هذه الرسالة

لأن هذه الأمور ثابتة و متواترة فى الكتاب والسنة ، فسعادة الدارين فيهما ، وفى العمل بهما (١) .

١٢- ان الفرقة الناجية - وان تنازعتها طوائف المسلمين - هى التى ترد المتشابه الى المحكم ، والمجمل الى المبين ، من الكتاب والسنة ، وتجعل ما فيهما هو الأصل الذى تعتقده ، لا تنصب مقالة ، وتجعلها من أصول دينها وترد ما اختلف فيه اليها ، والفيصل فى هذا قوله - عليه الصلاة والسلام -: (ما أنا عليه واصحابى)(٢)

١٣- ان علامة اهل الأهواء والضلال ترك المحكم وتتبع المتشابه ، بقصد التضليل والتشكيك للمسلمين فى عقائدهم والتحريف للدين عن طريق أساليب اليونان .

وهؤلاء هم الذين وصفهم الله بقوله : (... فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله)(٣)

١٤- إن زيدية اليمن من الشيعة ، وأن مؤسس المذهب الزيدى ودولته فى اليمن هو الامام القاسم الرسى (٢٤٤هـ) وقيل ٢٤٦هـ وحفيده الامام الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم العلوى (٢٩٨هـ)

وبين المعتزلة والزيدية ارتباط قوى ، فالأولى هى الأم المغذية بالأفكار ، والأخرى هى التى تبنت واحتفظت بالتراث وافتخرت به ، فالزيدية فى اليمن معتزلة فى الأصول الخمسة ما عدا مسألة الإمامة - وخلاف لبعض أئمة الزيدية فى حكم مرتكب الكبيرة - فقد تبنى غالب الزيدية أصولا أربعة من أصول المعتزلة ، واستبدلوا المنزلة بين المنزلتين بمسألة الإمامة التى هى الشغل الشاغل لهم ، وهى امتداد لمبدء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن أجلها حصل الانشقاق بين بعض الزيدية والمعتزلة ، ومذهب الزيدية فى الامامة النص على على وولديه رضى الله عنهم ، وفى الدعوة والخروج لمن بعدهم من أولادهم ، وعليه فعقيدتهم خليط من المعتزلة والشيعة . (٤)

أما فى الفروع فهم هادوية - غالبا - مع ما فيهم من الأئمة المجتهدين المشهورين .

وموقف ابن الوزير من المعتزلة والزيدية خصومات وقلاقل ومحن ومعارك جدلية وموقفه من أصولهم الخمسة موقف أهل السنة من أهل البدعة إلا أنه فرّع سؤالا عن مصير مرتكب الكبيرة إذا مات مصرا عليها - بعد أن قرر مذهب السلف فيها وأيده

---

(١) انظر ص ٢٢٠ وما بعدها من الرسالة

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٧

(٣) سورة آل عمران : ٧

(٤) راجع ص ٢٧٩ وما بعدها - ٢٧٢ وما بعدها من الرسالة

بآية النساء المخصصة لعموم آية الزمر ، فرّع استفهاما هو : هل عذاب الأشقياء دائم ؟[1]
و هذا الاستفهام ناتج عن مدى تأثره بكلام العلامة ابن القيم ، و مناقشته للأقـوال
المتعلقة بهذا الاستفهام ، المحير لعقول النظار، و ستاتى الاجابة فى نتائج فصـل
(الغيبيات) ان شاء الله تعالى .

١٥- ان للامام أبى الحسن الأشعرى ثلاثة أُطوار : الأول : كان يعتقد عقيدة المعتزلـة
استمر عليها أربعين سنة، والأخير استقر على العقيدة السلفية ، وما بينهما كان عـلى
ما عليه الأشعرية من الايمان بالصفات الذاتية و تأويل ماسواها من الخبرية و ثبت أن (الابانة)
من مؤلفاته ، و أن من كان على مذهبه فى طوره الثانى فهو أشعرى ، و من كان على مذهبه
فى طوره الأخير فهو سلفى ، و عليه فالأشعرية غير الأشعرى .

و أن المذهب الأشعرى فى اليمن هو مذهب الأشعرى فى طوره الثانى .

و موقف ابن الوزير من الأشعرية - عموما - متعدد :

فأحيانا يكون كالحكم بينهم و بين خصومهم المعتزلة ، و أحيانا يكون كالخصـم
للأشعرية بل لغلاتهم نفاة الحكمة، إذ أثبتها ابن الوزير ، كما أُثبتها السلف من قبله
بالأدلة العقلية والنقلية ، حتى أنه أُثبت الحكمة فى الشرور ، و فى خلق الأشقـياء
و استشهد بكلام أُبى حامد الغزالى كما بينته فى موضعه .[2]

أما أشعرية اليمن فلم أقف له على مراسلات او مناظرات معهم .

١٦- إن إثبات حكمة الله - تعالى - فى أُقواله و أُفعاله كثيرة ، شاهدة له - سبحانـه -
بالحكمة البالغة ، والنعمة السابغة والحجة الدامغة ، و منزهة له عن العبث والظلم ،
و ذلك واضح فى الكتاب والسنة ، كالاسماء الحسنى ، و قصة آدم والملائكة فى سـورة
البقرة ، و قصة موسى والخضر، و غير ذلك مما سبقت الإشارة الى بعضه .

و أن الشر الذى يضج به العالَم ، فيه من الخير الكامن ما لا يحصيه إلا اللـه -
عزوجل- و خاصة ما يضج به عالمنا الحاضر، من الشرور والمجاعات، والحروب الطاحنة
بين المسلمين و أعدائهم ، و بين المسلمين انفسهم، (ليميز الله الخبيث من الطيب
و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم)[3] (و لولا دفـع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)[4] (ولـو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض، ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير)[5]

---

(١) انظر ص ٢٦٩ من الرسالة
(٢) انظر ص ٢٩٩-٣٠٠ وما بعدها ٣٢٢ وما بعدها ص ٤٦٨-٤٦٩ و مابعدها من الرسالة
(٣) سورة الانفال : ٣٧
(٤) سورة البقرة : ٢٥١
(٥) سورة الشورى : ٥٧

سنة الله فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا)[1] و صدق رسول الله - صلى الله عليه و سلم- القائل : (إنى سألت الله ثلاثا فاعطانى اثنتين و منعنى واحدة ، سألته ألا يهلك أمتى بسنة فأعطانيها ، و سألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها و سألته ألا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها)[2] والقائل : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : و من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، و لكنكم غثاء كغثاء السيل ، و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، و ليقذفن الله فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن؟ قال : حب الدنيا و كراهية الموت)[3]

مع الاعتقاد أن هذا كله قد تضمنه القدر ، و منه علم الله السابق - فى خلقه قبل أن يبرأ البرية - و إرادته بقسميها[4] (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)[5]

١٧- ان تسرب الباطنية إلى اليمن كان عن طريق العراق ، من جوار قبر الحسين بن على رضى الله عنهما بتوجيهات ميمون القداح - المجوسى او اليهودى - لعلى بن الفضل

---

(١) سورة الاحزاب: ٦٢

(٢) سنن الترمذى بتحفة الاحوذى ج ٦ ص ٣٩٧-٣٩٨ و قال الترمذى : هذا حديث صحيح و مسند احمد ج ٥ ص ١٠٨-١٠٩

(٣) سنن ابى داود مع عون المعبود ج ١١ ص ٤٠٤-٤٠٥ وفى سنده ابو عبد السلام قال الحافظ المنذرى فى مختصر سنن ابى داود ج ٦ ص ١٦٥ ، هو صالح بن رستم الهاشمى . . . سئل عنه ابو حاتم الرازى فقال : مجهول لا نعرفه ، و رواه احمد فى مسنده ج ٢ ص ٣٥٩ من طريق آخر عن ابى هريرة مرفوعا .

(٤) الارادة فى كتاب الله تعالى نوعان : ارادة قدرية كونية خَلْقية ، و هى الشاملة لجميع الموجودات من الخير والشر (إنا كل شئ خلقناه بقدر) القمر ٢٩ و قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن، و من ذلك قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) الانعام : ١٢٥ و قوله تعالى عن نوح عليه السلام (ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) هود : ٣٤
و ارادة دينية شرعية أمرية كقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ١٨٥ من سورة البقرة، و قوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم والله عليم حكيم) ٢٦ من سورة النساء والفرق بين الارادتين أن الدينية الشرعية تستلزم المحبة إذ هى متعلقة بالامور التى يحبها الله تعالى و يثيب اصحابها و يدخلهم الجنة و ينصرهم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، بخلاف الكونية القدرية المتعلقة بالحوادث التى يشترك فيها المومن والكافر والبر والفاجر والكفر والفسوق والعصيان فالله عزوجل - و إن قدر الكفر فإنه لا يرضاه ولا يحبه (ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم) ٧ من سورة الزمر انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٨ ص ٨٥ وما بعدها و شرح الطحاوية ص ١١٦ وما بعدها .

(٥) سورة الحديد : ٢٢

الحميرى (٣٠٣هـ) اثناء زيارته قبر الحسين ، و أُرسل معه رجلا من كبار الشيعة يُدعى الحسن بن فرج الكوفى، ثم اشتهر بمنصور اليمن ، و كلفهما القداح بنشر الدعوة باسم ابنه عبيد الله المهدى، مع التظاهر بالزهد ، و كثرة التعبد، والاعتزال عن الناس، بغرض المكيدة للاسلام ، و ذلك فى ٢٦٧هـ و قيل ٢٦٨هـ و قيل غير ذلك و استمرت إلى تاريخ وفاة على بن الفضل و ظاهر الدعوة الى الله تعالى و رسوله عليه الصلاة والسلام ، و اختصاص على رضى الله عنه بالامامة ، والطعن فى جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

و قد نجحا فى دعوتهما باستمالة العامة باسم الدين ، و استولى كل منهما على البلاد التى استقر بها .

و كان اشدهما على بن الفضل الحميرى و كانت الحرب سجالا بين أئمة الزيدية والباطنية فى جهة المناطق الجبلية الشمالية و بينها و بين الأُمراء من آل يُعفر الحواليين و غيرهم من جهة أُخرى حتى سيطرت الباطنية على معظم البلاد اليمنية فى عهد على بن الفضل الحميرى .

أُما فى عهد الصليحى الباطنى (٤٥٧هـ) فقد سيطرت على جميع اليمن من سنة ٤٣٩ - الى سنة ٤٥٧ - أو ٤٥٩ هـ .

و فى العهدين المذكورين أزهقت الباطنية الأرواح وسفكت الدماء وأباحت المحرمات ، و قد وقف منهم أُئمة الزيدية موقفا حازما سياسيا و عسكريا و ثقافيا حتى كادت أن تخمد نار فتنتهم ، و لكنها تخمد مرة و تذكو مرات .

و من المؤسف أن بقاياهم لا زالت فى اليمن و غيره من سائر بلاد الاسلام .

و أنهم تركوا آثارا سيئة فى الاعتقاد والأخلاق ، ولا تزال باقية الى يوم الناس هذا مقررة و مدرسة بينهم .

و أخطر من هذا الاتصال المباشر بينهم من بلد الى بلد للتربص بالاسلام والمسلمين ، مع تغافل العلماء والحكام عن حركاتهم الإلحادية فى بلاد المسلمين .

و موقف ابن الوزير منهم هو موقف كل مسلم غيور على دينه و أمته كما بينته فى موضعه (١)

١٨- إن الاصل فى الانسان التدين الفطرى ، و أن الوثنية أمر طارئ (... و إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم) (٢)

والفطرة تتضمن الإقرار بوجود الله عزوجل .

و أن إنكار الصانع أمر غريب لم يذكر إلا عن فرعون ، و نمروذ ابراهيم على خلاف

---

(١) انظر ص ٣٢٨-٣٤٧ من هذه الرسالة

(٢) سبق تخريجه فى ص ٣٥٣-٣٥٩-٣٦٠-٣٧١ من هذه الرسالة

فى الأخير.

وأن الاسلام قسمان: فطرى: وهو التهيؤ والاستعداد للاسلام الشرعى، لأن الفطرى موجود فى كل انسان حتى فى الكفار (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم...)[1] و(كل مولود يولد على الفطرة)[2] وقسم شرعى مكتسب بالارادة والتعلم والعمل، بعد توفيق الله -عزوجل-.

وبناء عليه فان الفطرة هى الاسلام فيما قبل البلوغ.

أما بعده فلا بد من أمرين:

إما الاستمرار فى الاسلام الفطرى الموصل الى الاسلام الشرعى، وينطبق على ذلك حديث: (كل مولود يولد على الفطرة) وطبقا لما سبق فى علم الله السابق من السعادة.

وإما الخروج عن الفطرة بكل معانيها، باتباع شياطين الجن والانس بما فيهم الأبوان (وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) (فأبواه يهودانه وينصرانه و يمجسانه)[3] وطبقا أيضا لما سبق فى علم الله من الشقاوة.[4]

١٩- ان الطريقة التى سلكها ابن الوزير فى اثبات وجود الله -عزوجل- هى طريقة السلف الصالح، طريقة القرآن الكريم البحتة وهى:

دلالة الفطرة - دلالة الأنفس - دلالة الآفاق - دلالة المعجزات

وأنه ينكر الاعتماد على النظر العقلى فى الوصول الى العقائد الالهية المخالفة لطريقة الرسل، وإنما يستخدم العقل فى فهم النصوص، وفيما للعقل فيه مجال، كالتفكر فى المصنوع لا فى الصانع.

وأن أول واجب على المكلف -فى نظره- الايمان بالله تعالى -بدون نظر ولا استدلال، لأن الأنبياء كافة، ما كانوا يأمرون الصبى، اذا بلغ التكليف، بالنظر ولا الكافر اذا أراد الدخول فى الاسلام.

وأن الطريق الى معرفة الله -تعالى- لا تحتاج الى الطرق اليونانية الطتوية المعقدة، ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء إنه أمر ضرورى، لا يحتاج الى نظر، وإنما يحتاج الى تذكر يوقظ من سنة الغفلة، كتذكر الموت الذى تقع الغفلة عنه

---

(١) سورة الروم : ٣٠

(٢) سبق تخريجه فى ص٣٥٠ من هذه الرسالة

(٣) سبق تخريجه فى ص٣٥٠ من هذه الرسالة

(٤) انظر ص ٣٧٢ -٣٧٣ من هذه الرسالة.

و هو ضرورى (إنك ميت و إنهم ميتون)[1]

٢٠- ان ابن الوزير نهج منهج السلف فى الاستدلال على اثبات الاسماء والصفات، لكن على الطريقة الاجمالية لأنها الطريقة المتفق عليها ، و هذا مطابق لما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من السلف و قد بينته فى ذلك المبحث[2]

و أن أفكار ابن الوزير هنا مستقاة من أفكار أئمة السلف بدليل المقارنة بين الأفكار ، و أنه برئ مما قيل فيه إنه معتزلى أو توجد رائحة الاعتزال فى كلامه.

و قد تبين لى أنه برئ مما اتهم به براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

و لو كان معتزليا فما فائدة الجدال والخصومه والمناظرات والمراسلات بينه و بين المعتزلة والزيدية التى كانت نتيجتها كتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) و مختصره (الروض الباسم) و غير ذلك من مؤلفاته القيمة.

٢١- الاستفاضة عن شيخ الاسلام ابن تيمية بالقول بفناء النار غير صحيحة ، و من هذا تبين أن المستفيض من كلام الناس قد يكون غير مطابق للواقع.

وما أثاره ابن الوزير والصنعانى وغيرهما عن ابن تيمية فى المسألة ذاتها ،فعمدتهم فيه (حادى الارواح) وهو لابن القيم لا لشيخه ابن تيمية.

و أن ابن القيم له فى هذه المسألة ثلاث مراحل :

الاولى : الميل الى القول بفناء النار لكثرة الوجوه والأدلة المحيرة للعقول التى أوردها مؤيدة لذلك ، و زاد ابن الوزير الطين بلة

الثانية : التوقف كما هو صريح كلامه فى (الحادى) و قد سبق ذلك.

الثالثة : الرجوع عن هذا والجزم بعدم فناء النار صرح بذلك فى (الوابل الصيب)[3]

اما ابن الوزير فقد تأثر بكلام ابن القيم فى (الحادى) و استماله الى القول بفنائها أحيانا،ثم ذلك من كلامه ، و فى النهاية تحير فتوقف لأن هذه المسألة فى نظره - بعد أن حير عقله كلام ابن القيم - من أشبه المتشابهات، والتوقف عند المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه - من مذهب أهل السنة والجماعة ، ولابن الوزير مؤلف خاص بهذه المسألة سماه (الاجادة فى الارادة) و قد اقتطفت أبياتا منها فى (الغيبيات)

و أما ابن تيمية ، و إن شهد أخص تلاميذه بمصنفه المشهور - الذى لم يبين ابن القيم فيه نفيا ولا اثباتا - فلم يصل الينا شئ من مؤلفاته فى هذه المسألة

---

(١) سورة الزمر : ٣٠

(٢) انظر مبحث الاسماء والصفات بكامله من هذه الرسالة

(٣) انظر ص ٤٧٥-٤٧٦ من هذه الرسالة

العظيمة ، سوى الورقات الثلاث - على فرض صحتها انها من كلام ابن تيمية - و قد تضمنها كلام ابن القيم فى (حادى الارواح) على سبيل الحكاية لأقوال الناس.

والموجود فى فتاواه المعتمدة يناقض ما نسب اليه ، لذلك لم استطع الحكم عليه غيابيا .

ولا يسعنى إلا أن أقول كما قال يوسف عليه السلام (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا اذا لظالمون)(١)

و قد سبق بيان فتواه بدوام النار ، وعدم فنائها كما حكى الاجماع عن سلف الأمة و أئمتها ، و سائر اهل السنة والجماعة على ذلك و أن القول بفنائها قول طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهمية و من وافقهم ، و هو قول باطل يخالف الكتاب والسنة و إجماع سلف الامة(٢) فماذا بعد الحق الا الضلال .

٢٢- ان دفاع ابن الوزير عن السنة يدل على أنه من أهلها و ذبه عن أهل الحديث و أئمة الاسلام يدل أيضا على أنه منهم ، وإلا فما فائدة تلك المعارك الجدلية بينه و بين المعتزلة والزيدية ، و أن ذمه للكلام يهدف الى حدوثه ، وعدم الحاجة اليه لا إلى تقبيحه مطلقا، كما يهدف أيضا الى ترك الخوض فيما لا تمس الحاجة الى معرفته من الكلام ، و خاصة التعمق فيما يتعلق بذات الله - عزوجل - و صفاته لما ورد من النهى عن ذلك .

و هذا ما عليه العقلاء الحازمون من الاشتغال بالأهم فالمهم ، و لجواز أن ترد شبهة على دقائق الكلام تحير المبرز فيه وتبلد المعجب به ، و يكون الناظر فيه كالباحث عن حتفه بظلفه .

و أن المتعرضين للشبه المجهولة بتقديم النظر فى الدلائل ، كمن يتعرض للسموم القاتلة بشرب الأدوية الحادة ، التى ربما قتلت شاربها حين لا يجد ضدا يدفع طبيعتها ، و يستحيل تقديم التداوى من داء لم يتعين ولم يعرف.

و قد أثبت ابن الوزير بالأدلة النقلية الصحيحة الدالة على حيرة فحول المتكلمين ثم حسرتهم ثم رجوعهم الى مذهب أهل الأثر بل تمنى البعض ان يكون على دين العجائز(٣)

٢٣- السلف لم يذموا جنس الكلام ، ولا ذموا الاستدلال والنظر ، والجدل الذى أمر الله به رسوله ، بل و لا ذموا كلاما هو حق ، بل ذموا الكلام المخالف للكتاب والسنة والعقل ، فالجدال قد يكون فى ابتداء الدعوة ، كما كان النبى - صلى الله عليه و سلم - يجاهد الكفار بالقرآن و قد يكون لبيان الحق ، و شفاء القلوب من الشُبه ، مع من يطلب

---

(١) سورة يوسف : ٧٩

(٢) انظر ص ٤٧٤-٤٨٧ من هذه الرسالة

(٣) انظر ص ٥٣٣ ، ٥٢٨ من هذه الرسالة و انظر ترجيح اساليب القرآن لابن الوزير ص ٤٥

الاستهداء والبيان ، وقد يكون الجدال مع من لا يجوز قتالهم من اهل الذمة ، والهدنة والأمان ، كما فعل الامام احمد بن حنبل (١٤٢ هـ) في الرد على الزنادقة والجهمية. ومخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ليس بمكروه ، اذا احتيج اليه وكانت المعاني صحيحة(١)

وحينئذ ينقسم الجدل الى قسمين جائز ومكروه.

أما المكروه فكما يلي :

أ- ما يقصد به صاحبه مدافعة الحق باثارة الشكوك ، والشبه الموهمة بالطرق المبتدعة.

ب- اللجاج الذي يعرف صاحبه أنه غير مفيد ، وقد يكون مثيرا للشر.

ج- عدم الاقتصار في الانتصار للحق على أساليب القرآن الكريم ، والأنبياء عليهم السلام - والسلف الصالح - رضي الله عنهم أجمعين -

وأما الجائز فكما يلي أيضا :

أ- ان تكون المجادلة بقصد إيضاح الحق ، أو طمعا في اتباع الخصم.

ب- ان يكون على نمط الجدال الذي أمر الله - تعالى - به رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله : (وجادلهم بالتي هي احسن)(٢) اى بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة ، كما قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)(٣)

٢٤- ان ابن الوزير قد بيض وجوه المحدثين على بياضها ، فازدادت نورا على نورها ، وأماط عنهم كل ما وصمهم به خصمه المعترض من القدح الهادف الى القدح في السنة النبوية ، كما زاد وجوه المعتزلة المعطلة والمؤولة سوادا على سوادها ، فشاهت الوجوه، كما أن نتيجة هذه الخصومات والمعارك الكلامية أضافت الى التراث الاسلامي ثروة لا يستهان بها ، ألا وهو كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم) ، ومختصره (الروض الباسم) الذي لم تعرف البلاد اليمنية مثله ، ولم تقدره حق قدره ، لأنه مفخرة من مفاخر اليمن وأهله ، بل مفخرة من مفاخر علماء الاسلام والمسلمين.

٢٥- مسألة الامامة تجاذبها الفقهاء والمتكلمون فهي ذات وجوه.

أصولية أدخلها المتكلمون في أصول الدين من جهة الخلافة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن هي ، ومن الأحق بها ، وما طريقها ؟ وما يتعلق بذلك ، والصواب في هذا ما عليه أهل السنة من أنها في قريش ، ومن ترتيب الخلفاء الاربعة في

---

(١) مقتبس من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية النبوات ص ١٤٦-١٤٧ ومجموع الفتاوى جـ ٣ ص ٦
(٢) سورة النحل : ١٢٥
(٣) سورة العنكبوت : ٤٦

الخلافة والفضل على خلاف فى التفاضل بين الثالث والرابع ، خلافا للشيعة ومنهم الزيدية القائلون بأنها فى العلويين الفاطميين و أفضلية الرابع، و أحقيته بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و اجتهادية فقهية من جهة شروط الامامة وما يتعلق بذلك.

و مشتركة بين الفقهاء والمتكلمين من جهة جواز الخروج على أئمة الجور وعدمه ، و ما يتعلق بذلك.

و هذا الوجه - فى نظرى - من المسائل الاجتهادية ، كما قرره ابن الوزير و غيره للخلاف المشهور السابق ذكره.

ولكن باعتبار القاعدة التى تقضى بأن الخروج على الجائر ، متى كان يؤدى إلى مفسدة أعظم ، أو أن إنكار المنكر يؤدى الى منكر أعظم منه ، فالصبر أولى من الخروج والانكار ، بل هو الصواب، للأدلة الراجحة والصريحة فى طاعة الأئمة. و أن من خرج على أئمة الجور متأولا مجتهدا ، كما فعل الحسين بن على ، و أهل المدينة ، من كبار الصحابة ، وكبار التابعين و ابن الزبير ، و زيد بن على مع بنى أمية من فعل ذلك ليس باغيا و قد سبق التدليل والتعليل[1] و حساب الجميع على الله عزوجل.

أما أئمة العدل المتوفرة فيهم شروط الامامة ، فلايجوز الخروج عليهم قولا واحدا، والخارج عليهم باغيا.

و أما هل يصح أخذ الولاية من أهل الجور أو لا ؟ فالراجح عندى جواز ذلك لمن وثق من نفسه بالقيام بما وكل إليه للأدلة الواردة فى طاعة السلطان ، وفى بعضها و إن كان جائرا ، و هذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء إلا أنهم لم يجعلوا طاعة أهل الجور مثل طاعة أهل العدل، وأن المعترض على ابن الوزير واهم فيما ظنه من أن الفقهاء يصوبون أئمة الجور ، فى قتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس كما بينته فى موضعه[2] و إنما نظروا الى المصالح العامة والخاصة ، وعملوا بمقتضى قواعد الشريعة ، فى رعاية المصالح.

و أما كون الاجتهاد شرطا فى الامام فقد خالف ابن الوزير جمهور الفقهاء ، بل خالف آباءه وأجداده من أئمة العترة ، لشدة الاختلاف - عنده - فى تيسيره و تعسيره ، كما رجح صحة إمامة المنصور الذى لم يبلغ درجة الاجتهاد ، على إمامة المهدى الذى بلغ درجة الاجتهاد ، وفى هذا دلالة على أن مسألة الامامة ومتعلقاتها الفقهية اجتهادية ، و ابن الوزير له اجتهاد ، أما جواز الخروج على من فحش جوره فالمفهوم من كلامه أنه يؤيد ذلك ، و هو مذهب الجمهور من آبائه و أجداده ، خلافا للحسن

---

(١) انظر ص ٥٧١ وما بعدها من هذه الرسالة

(٢) انظر ص ٥٧١ وما بعدها من هذه الرسالة

بن على بن ابى طالب و محمد الباقر بن زين العابدين رضى الله عنهم ، و من معهما ، و ان الذين خرجوا من السلف من اهل البيت وغيرهم لا يحط ذلك من قدرهم شيئا و حكمهم حكم المجتهد ، و لكن الاولى بل الصواب عدم الخروج لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة. والقائلون بالخروج ينبغى لهم أن يعتبروا باستباحة المدينة المنورة ثلاثة ايام بعد قتل كبار الصحابة والتابعين ، و بعد أن راثت الخيل و جالت فى المسجد النبوى الشريف و مُنعت الصلاة فيه ، و بايع من بقى من أهل المدينة أنهم خول ليزيد بن معاوية.

و ليعتبروا قبل هذا بقتل الحسين بن على رضى الله عنهما ريحانة النبى عليه الصلاة والسلام و بقتل أصحابه ، و من معه من الاطفال من أهل البيت عليهم السلام و حمل رأس الحسين و صلبه و إرساله الى يزيد وما إلى ذلك من الويلات.

و إذا لم يعتبر القائلون بالخروج بهذه النكبات والمفاسد العظيمة فأدلتهم مرجوحة لأنها عمومات من الكتاب والسنة فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن على القاعدة المتفق عليها عند الفقهاء والشيعة والمعتزلة من أن إنكار المنكر متى كان يؤدى الى منكر أعظم منه فالترك أولى ، والصواب مع المانعين اذ أدلتهم مخصصة للعمومات ، و صريحة فى طاعة الأئمة والسلطان و هى متواترة فلا ينبغى العدول عنها لما تقرر فى الاصول . والله اعلم.

٢٦- التحذير من البدع أوضح من أن يحتاج إلى دليل ، و إنما الذى ينبغى أن ينبه اليه هو سد المنافذ التى يتسرب منها الابتداع و هى :

أ- الخوض فيما لا تدركه العقول من الخفيات التى أعرض عنها السلف ، لا سيما فى ذات الله - تعالى - و صفاته لورود النهى عن ذلك.

ب - النظر فى سر القدر السابق فى الشرور - لخفاء الحكمة فى ذلك - مع عظم رحمة الله تعالى و قدرته و لورود النهى عن ذلك.

ج - البحث عن أشياء سكت عنها الشرع لورود النهى عن ذلك.

د - الزيادة فى الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه و سلم من مهمات الدين الواجبة بزعم المتكلمين .

هـ - تجويز خلو كتب الله تعالى و رسله عليهم السلام عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها ، ولو بالنظر الدقيق .

و - عدم التحاكم - عند النزاع - الى الكتاب والسنة، كيف و فيهما تبيان أصول الدين احسن تبيان ، خلافا لتشبث أهل الكلام الزاعمين بأن الصحابة لم يبينوا أصول الدين ، بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام - لاشتغالهم بالجهاد أو غيره و هذه فرية عظيمة ، فقد دل الناس عليه الصلاة والسلام ، و هداهم الى

الأدلة العقلية ، والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الإلهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله - تعالى - ووحدانيته ، وصفاته وصدق رسوله ، ومع هذا فالاسلام لا يمنع استخدام العقل فى البراهين السمعية التى يتوصل الى معرفة مدلولاتها اليقينية بواسطة العقل، من المطالب الإلهية وغيرها ، وهل يتدبر القرآن إلا بالعقل ؟ وهل يكلف غير العاقل ؟

ز - إن التأويل والقول بالمجاز بدون إحدى القرائن الثلاث ، العقلية واللفظية والعرفية - كما فى نظر ابن الوزير - هى العصا العوجاء التى يتوكؤ عليها أهل الكلام لتحريف الكلم عن مواضعه ، فيتكلفون لها معانى كثيرة ، يختلفون فيها، وكل منهم ينفرد بمعنى من غير حجة إلا مجرد الاحتمال ،

وقد يخالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع ، وقد يستلزم الوقوع مما فروا منه كتأويل آيات وأحاديث الصفات والرؤية .

٢٧- أن نعلم أن للبصائر أوهاما فى الخفيات من الأحكام ، مثل ما ثبت للأبصار فى الخفيات من الأوهام ، فلا نُتبع فى الخفيات وهم البصائر ، ولا وهم الأبصار ، وأن الجلى من المنقول والمعقول أُولى بالاتباع، ورد ما خفى على العقول إليه ، ولا نقف الجلى على الخفى ، ولا نرجحه عليه ، وأن نقف عند المتشابه الذى لا يعلمه الا الله -عزوجل-

٢٨- وأُخيرا هذه النصيحة القيمة الموجهة من ابن الوزير الى طلاب العلم ، حاصلها ما يلى :

الابتعاد عن المختلف فيه اختلافا تخاف مضرته فى الآخرة ، لعظم الخطر فى الخوض فيه ، ولعدم وجوبه شرعا ، ومطالبة من دعاك إليه بالدليل الواضح على الوجوب ، مع عرض تلك الادلة على العلماء النصحاء الأذكياء ، حتى تعرف الوجوب يقينا من غير تقليد ، ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك فى معرفة الحق .

وكل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الأخروى فى أُحدهما دون الآخر ، فابعد عنه واحذره اى المخوف وأن خلاف السمع المعلوم كفر بالاجماع ، وخلاف العقل المعلوم ليس بكفر إجماعا ، وبالفطرة تدرك القوى من الضعيف فى تلك المباحث إلاّ ما دق وغمض فاتركه ، لا سيما مع دقة الشبه المعارضة ، كما تترك ما دق على بصرك فى المرئيات .

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا)[1] (إن أريد إلاّ الاصلاح ما استطعت وما

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦

توفيقى الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)[1] (وفوق كل ذى علم عليم)[2] حتى ينتهى إلى علام الغيوب ، المنزه عن النقائص والعيوب والمتصف بالكمال المطلق فى الوجود.

هذا وإنى وأنا أختم هذا البحث عمن كدت أن أغرق فى بحر علمه ، لولا أن تداركنى الله - عزوجل - بلطفه ، وأمدنى - من فوق سبع سموات - بعونه ، لما ظهر هذا البحث ، على ما هو عليه ، فلله الحمد والمنة.

ومع بذلى المضنى لما فى وسعى لا أقول إنى قد أوفيت الموضوع حقه ، ولكن حسبى أنى مهدت الطريق ، ووضعت المعالم وأرسيت السفينة على الساحل ، وفتحت الباب لمن يريد البحث عن النفائس، والتعمق لالتقاط الفوائد والفرائد من بحر علم ابن الوزير.

وقد اثبتت التجارب أن الباحث القوى ، يكتب بحثا اليوم ، ثم يراجعه غدا ، فاذا هو يقول : لو أننى قدمت هذا لكان أحسن ، ولو أخرت هذا لكان يستحسن ، ولو أضفت ذلك لكان أكمل ، ولو حذفت ذاك لكان أجمل ، وإذا كان الأمر كذلك ، فما بالك بباحث ضعيف كاد أن يثنيه الجهد عن بلوغ القصد .

ولكن حسبى أنى حاولت - جاهدا - إخراج الموضوع على هذه الصورة ، فما كان من الاصابات ، فبتوفيق الله - تعالى - وله الحمد والمنه ، وما كان من قصور أو خطأ أو نسيان ، فعزائى أنى من البشر ،

ومن فقد الماء تيمم بالتراب.

وقد ثبت أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا)[3] فلك الحمد ربنا ، أنت كما أثنيت على نفسك، وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن دعا بدعوته ، وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

بعون الله - جل وعلا - تم هذا البحث عصر يوم الثلاثاء
الموافق ٢٤ من شهر محرم مطلع العام الهجرى ١٤٠٦هـ
ستة وأربعمائة وألف هجرية

---

(١) سورة هود : ٨٨
(٢) سورة يوسف : ٧٦
(٣) سورة البقرة : ٢٨٦ وانظر ثبوت اجابة هذا الدعاء صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب بيان أنه سبحانه لا يكلف الا ما يطاق ص ١١٥-١١٦

فهرس الاحاديث والاثار على ترتيب الحروف الهجائية كما وردت فى الرسالـــة

لفظ الحديث أو الأثـــر	رقم الصفحة

((ى))

ملاحظة :

بعض الاحاديث كان يذكرها ابن الوزير بالمعنى ، وبعضها بالاشارة ، وقد خرجتها جميعا فى الحاشية من هذه الرسالـــة .

ولله الحمد والمنـــة .!!!

البـاحـــث

المراجـــــع

أولا : المخطوطات والمصورات :

١ - الإرشاد الهادى الى عقائد الزيديـــة ،
للهادى بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ ، صورة عن دار الكتـــب المصرية رقم ٥٨٧ عقائد تيمور .

٢ - الأساس فى عقائد الاكيـــاس ،
للامام القاسم بن محمد بن على سنة ١٠٢٩ هـ (خ) يوجد فى قســم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة ام القرى رقم ٣٠٧ .

٣ - الأمر بالعزلة فى آخر الزمان ،
لابن الوزير (خ) صنعاء ، مكتبة الجامع الغربية رقم ٨٥-٩١-٩٦ مجاميع

٤ - البدر المنير فى تخريج احاديث الرافعى الكبير ،
لابن الملقن النحوى الشافعى سنة ٨٠٤ هـ ، توجد نسخة كاملـــة مصورة فى قسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنـــورة رقم ٢٩٢٦ ، والجزء الاول والثانى (خ) فى مكتبة الملك عبد العزيـــز بالمدينة المنورة رقم ٥٠٤

٥ - بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ،
لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى (خ) يوجد بمكتبة مركز البحـــث العلمى بجامعة ام القرى . وقد طبع سنة ١٩٦٥م بتحقيق مصطفـــى حجازى .

٦ - تاريخ بنى الوزير ،
لاحمد بن عبد الله بن احمد الوزير سنة مصور عن ميكروفيلـــم رقم ٦ بمعهد المخطوطات العربية . يوجد فى مكتبتى الخاصة نسخـــة كاملة .

٧ - تاريخ بنى الوزير ،
للهادى بن صارم الدين الوزير سنة ٩٢٣ هـ (خ) صنعاء ، مكتبـــة الجامع الغربية رقم ٤١ مجاميع . ويوجد فى مكتبتى الخاصة نسخـــة كاملة مصورة .

٨ - ترجمة ابن الوزير ، فى اواخر المجلد الثانى من (العواصم والقواصم) ،
لمحمد بن عبد الله بن الهادى الوزير الاتى رقمه فى (العواصـــم)

٩ - ترجمـــــة محمد بن ابراهيم الوزير (خ) صنعاء ، المكتبة الغربيـــــة رقم ٥٢ مجاميع من ورقة ١٢٦-١٤٤ .

١٠ - التحفة العنبرية فى المجددين من أبناء خير البرية ،
لمحمد بن عبد الله أبى علامة سنة ١١٤٤ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية رقم ٥٦-٥٧ تاريخ .

١١ - تهذيب الكمال ،
للحافظ يوسف بن الزكي المزي سنة ٧٤٢ هـ توجد نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى قسم المخطوطات ، صورة عن دار المأمون للتراث .

١٢ - تحفة الزمن بذكر سادات اليمن ،
لعبد الرحمن بن حسن الأهدل سنة ٨٥٥ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية رقم ٥٥ تاريخ .

١٣ - الجامع الكافي في فقه الزيدية ،
لمحمد بن علي بن الحسن العلوي (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية رقم ١٠٦ فقه .

١٤ - الحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، مكتبة الجامع الغربية رقم ٩٦-١١٩ مجاميع .

١٥ - ديوان المرتضى ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية رقم ١٢٠-١٣٠ مجاميع .

١٦ - رياض الأبصار في ذكر الائمة الاقمار والعلماء الابرار ،
للهادي بن ابراهيم الوزير سنة ٨٢٢ هـ (خ) صنعاء مكتبة الجامع الغربية رقم ١٩٧ مجاميع .

١٧ - الزيادات ،
لابي القاسم الحسين بن الحسن الهوسمي المؤيدي ، (خ) صنعاء المكتبة الغربية رقم ١٣٠ فقه .

١٨ - السلوك في طبقات العلماء والملوك ،
لمحمد بن يعقوب الشهير ببهاء الدين الجندي ، يوجد بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى ميكروفيلم رقم ٣٠٨ تراجم وتاريخ اليمن الى سنة ٧٢٤ هـ.

١٩ - شرح الثلاثين مسألة ،
لابراهيم بن يحي السحولي (خ) صنعاء ، مكتبة الجامع الغربية ، رقم ١٦٧ .

٢٠- طبقات الزيدية ،
لابراهيم بن محمد بن القاسم الشهاري ، فرغ من تأليفه سنة ١١٣٤هـ
(خ) صنعاء المكتبة الغربية رقم ٢٦٤ تاريخ .

٢١- العواصم والقواصم فى الذب عن سنة ابى القاسم ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية
رقم ٢٢٦ ونسخة اخرى رقم ٧٦ واخرى رقم ٤٣٥ كلام . وتوجد نسخة
فى مكتبة مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى ميكروفيلم رقم
٣٢٠-٢١٠-٢٤٤ وهو تحت الطبع والتحقيق . وقد ظهر منه الجزء
الاول تحقيق شعيب الارنؤوط ، دار البشير ، عمان سنة ١٤٠٥هـ .

٢٢- العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ،
لابى الحسن على بن الحسن بن ابى بكر الخزرجى سنة ٨١٢ هـ ، توجد
منه نسخة فى مكتبة مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى رقم ٧٠ صورة ،
عن مخطوطة تركيا .

٢٣- كتاب البالغ المدرك ، بحث فيما يجب على العاقل اذا دخل بلاد الكفر ، فى بيروت
للامام الهادى يحيى بن الحسين العلوى سنة ٢٩٨ هـ ، وقد طبع سنة
١٤٠٤ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية رقم ١٧٦ مجاميع .

٢٤- الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ،
مصور يوجد فى قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة ام القرى
تحت رقم ٣٩٧ .

٢٥- كتاب العزلة ،
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ (خ) صنعاء ، المكتبة الغربية ،
رقم ٢٨-٧١ مجاميع .

٢٦- مآثر الابرار فى تفصيل مجملات جواهر الاخبار ،
لمحمد بن على الزحيف ، توفى فى القرن العاشر الهجرى (خ) صنعاء ،
مكتبة الجامع الغربية رقم ١٦٥ - الشرقية ١٤ .

٢٧- مطلع البدور ومجمع البحور ،
لاحمد بن صالح بن ابى الرجال سنة ١٠٩٢ (خ) صنعاء ، مكتبة
الجامع الشرقية رقم ١١٢ وتوجد نسخة منه فى مكتبة مركز البحث العلمى
بجامعة ام القرى ميكروفيلم ، وعندى منه صورة خاصة بترجمة ابن الوزير
رقمها ٣٦٧ .

٢٨ - المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم ،
لابى العباس احمد بن الشيخ صالح الانصارى القرطبى سنة ٦٥٦ هـ،
يوجد فى المكتبة المركزية بجامعة ام القرى قسم المخطوطات رقم
٢٨٠٨ مصور عن مخطوطة دار المامون للتراث بدمشق .

...

ثانيا : المطبوعات :

١ - القرآن الكريم .

٢ - الابانة عن اصول الديانة ،
للامام ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى سنة ٣٣٠ هـ ، وقيل
سنة ٣٢٤ هـ ، حققه وخرج احاديثه عبدالقادر الارنؤوط ، مكتبة
دار البيان ، دمشق ط. اولى سنة ١٤٠١هـ.

٣ - أبجد العلوم المسمى بالرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم ،
لصديق حسن خان القنوجى الهندى سنة ١٣٠٧ هـ ط. بيروت ،
دار الكتب العلمية.

٤ - إتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ،
لمحمد بن محمد الحسينى الشهير بمرتضى الزبيدى سنة ١٢٠٥ هـ ، دار
الفكر بيروت .

٥ - الاتقان فى علوم القرآن ،
لجلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى سنة ٩١١ هـ ، مطبعة
حجازى بالقاهرة .

٦ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء ،
للشيخ محمد الخضرى ، دار الاتحاد العربى للطباعة ، بدون تاريخ .

٧ - اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ،
للامام محمد بن ابى بكر بن ايوب الشهير بابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ هـ،
بيروت ، دار الكتب العلمية ط. اولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٨ - إحكام الاحكام شرح عمدة الاحكام
للحافظ تقى الدين بن دقيق العيد سنة ٧٠٢ هـ ، تحقيق طه سعد
وزميله مطابع دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٩٦ هـ .

٩ - الأحكام السلطانيـــة
لابى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى سنة ٤٥٠هـ
راجعه الدكتور محمد فهمى الناشر ، المكتبة التوفيقية .

١٠ - الأحكام السلطانيـــة
لابى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى سنة ٤٥٨ هـ ، صححه
وعلق عليه محمد حامد الفقى ، دار الفكر ، بيروت ، ط. ثالثـــة ،
سنة ١٣٩٤ هـ .

١١ - إحياء علوم الديـــن
لابى حامد محمد بن محمد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ ، ط. بيـــروت ،
دار المعرفة .

١٢ - أخبار القرامطـــة ،
للدكتور سهيل زكار ، نشر دار حسان ، ط. ثانية سنة ١٤٠٢ هـ .

١٣ - الأدب المفـــرد ،
للامام الحافظ ابى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى سنة ٢٥٦ هـ ،
مع شرحه فضل الله الصمد ، لفضل الله الجيلانى ، المطبعـــة
السلفية بالقاهرة ، ط. ثالثة .

١٤ - الأديان والفـــرق ،
لعبدالقادر شيبة الحمد ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشـــر ،
جـدة .

١٥ - الاذكار المنتخبة من كلام سيد الابـــرار ،
للحافظ ابى زكريا يحيى بن شرف النووى سنة ٦٧٦ هـ ، الحلبـــى
ط. رابعة سنة ١٣٧٥ هـ .

١٦ - الاربعين فى أصول الديـــن ،
لابى حامد محمد بن محمد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ ، الناشر المكتبـــة
التجارية بمصر ، بدون تاريخ .

١٧ - الاربعين النووية ،
لابى زكريا محي الدين النووى سنة ٦٧٦ هـ مع شرحها لعبدالرحمن بن
شهاب الدين ، الشهير بابن رجب الحنبلى من علماء القرن الثامـــن
الهجرى ط. الحلبى ط. رابعة سنة ١٣٩٣هـ.

١٨ - الاسئلة والاجوبة الاصولية
للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان ، ط. سادسة ،
سنة ١٣٩٧ هـ.

١٩ - أساس البلاغة ،
لمحمود بن عمر الزمخشرى ، دار ومطابع الشعب بالقاهرة ،
سنة ١٩٦٠م.

٢٠ - أساس التقديس ،
لمحمد بن عمر الشهير بالفخر الرازى سنة ٦٠٦ هـ ، ط. كردستان
العلمية سنة ١٣٢٨ هـ .

٢١ - الاسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب ،
لاحمد بن حجر آل ابوطامى ، الناشر مكتبة الثقافة قطر، ط. ثالثة ،
سنة ١٣٩٨ هـ .

٢٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة ،
للحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق
طه الزينى الناشر مكتبة الكليات الازهرية .

٢٣ - اصول العدل والتوحيد
للامام القاسم بن ابراهيم الرسى سنة ٢٤٤ هـ وقيل سنة ٢٤٦ هـ ضمن
رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة طبع دار الهلال .

٢٤ - اصول الدين ،
لعبدالقاهر البغدادى سنة ٤٢٩ هـ طبع استانبول ، تركيا ،
ط . اولى سنة ١٣٤٦هـ.

٢٥ - اضاءة الدجنة فى اعتقاد اهل السنة
لاحمد المغربى المالكى الاشعرى مع الشرح لمحمد بن احمد الملقب
بالداه الشنقيطى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،
بدون تاريخ .

٢٦ - الاعتصام ،
لابى اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبى الغرناطى سنة ٧٩٠ هـ ،
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٧ - الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف واصحاب الحديث ،
للحافظ ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى سنة ٤٥٨ هـ ،تحقيق
احمد عصام الكاتب ، بيروت ،ط.اولى سنة ١٤٠١هـ.

٢٨ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة
لشيخنا حافظ بن احمد الحكمى سنة ١٣٧٧ هـ ط. الافتاء
ط. ثالثة سنة ١٣٩٩هـ .

٢٩ - الإعلان والتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ
للامام محمد بن عبدالرحمن السخاوى سنة ٩٠٢ هـ ضمن مجموعة
من كتب التاريخ بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين) لفرانتزروزنتشال
ترجمة الدكتور صالح احمد العلى مؤسسة الرسالة ، بيروت ط.ثانية
سنة ١٤٠٣هـ.

٣٠ - الأعلام
لخير الدين الزركلى ، بيروت ،ط. رابعة سنة ١٩٧٩م.

٣١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم ،
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨هـ.

٣٢ - الإكليل
لابى محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى سنة ٣٥٠ هـ ،
حققه وعلق حواشيه محمد بن على الاكوع الحوالى بدون ذكر
المطبعة والتأريخ .

٣٣ - الله جل جلاله ،
لسعيد حوى ، بيروت ، ط. اولى سنة ١٣٨٩هـ.

٣٤ - أنباء الغمر بابناء العمر ،
للحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق عاشور
وزميله ط. دار الشعب بمصر .

٣٥ - إنجيل يوحنا ،
ط. بيروت .

٣٦ - إنجيل متى ،
ط. بيروت .

٣٧ - إيثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ،
للامام المجتهد محمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ ،ط. بيروت ،

٣٨ - الايمـــــان ،
لشيخ الاسلام ابى العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، سنة ٧٢٨ هـ ، صححه وعلق عليه محمد خليل هراس ، دار الطباعة المحمدية بالازهر .

٣٩ - أئمة اليمـــن
للمؤرخ محمد بن محمد بن يحي زباره الصنعانى ، المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٦هـ.

٤٠ - الايمـان
للحافظ محمد بن اسحق بن يحي الشهير بابن منده سنة ٣٩٥ هـ ، تحقيق الدكتور على بن ناصر الفقيهى ط. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . ط. اولى سنة ١٤٠١ هـ .

٤١ - الايمـــان ، أركانه ، حقيقته ، نواقضه .
للدكتور محمد نعيم ياسين ، جمعية عمال المطابع . ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ.

((ب))

٤٢ - البداية والنهايـــة
للحافظ ابى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى سنة ٧٧٤ هـ . ط. بيروت.

٤٣ - البدر الطالع فى محاسن من بعد القرن السابع
للامام محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ مطبعة السعـــادة بالقاهرة ط. اولى سنة ١٣٤٨ هـ .

٤٤ - البرهان فى اصول الفقـــه ،
لامام الحرمين ابى المعالى عبد الملك الجوينى تحقيق عبد العظيم الديب قطر ، ط. اولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٤٥ - البرهان القاطع فى معرفة او اثبات الصانع وجميع ماجاءت به الشرائع
لمحمد بن ابراهيم الوزير سنة ٨٤٠ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهـرة ، سنة ١٣٤٩ هـ.

٤٦ - بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فيمن تولى اليمن من ملك وامام
للقاضى حسين بن احمد العرشى ط. البريترى بالقاهرة سنة ١٩٣٩م.

٤٧ - بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة السعودية مكة المكرمة ط. اولى سنة ١٣٩٢هـ.

((ت))

٤٨ - التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الاخر والاول
للشيخ صديق حسن خان القنوجى الهندى سنة ١٣٠٧ هـ ، المطبعة الهندية العربية ، بومباى ، ط. ثانية سنة ١٣٨٣هـ.

٤٩ - تاريخ اليمن الثقافى ،
لاحمد حسين شرف الدين اليمانى ، مطبعة الكيلانى الصغير .

٥٠ - تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن/ وتاريخ اليمن ، (فى حوادث)
لعبد الواسع بن يحي الواسعى ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط. رابعة سنة ١٤٠٤ هـ .

٥١ - تاريخ حضر موت السياسى ،
لصلاح عبد القادر البكرى الحلبى ، ط. ثالثة سنة ١٣٧٥هـ.

٥٢ - تاريخ المخلاف السليمانى ،
لمحمد بن احمد العقيلى ، راجعه واشرف على طبعه حمد الجاسر ، ط. ثانية سنة ١٤٠٢ هـ ، منشورات اليمامة ، الرياض .

٥٣ - تاريخ ثغر عدن
لابا مخرمه ، مطبعة بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م .

٥٤ - تاريخ الفكر العربى الاسلامى فى اليمن ،
لاحمد حسين شرف الدين ، مطبعة الكيلانى .

٥٥ - تاريخ مدينة صنعـــــاء ،
لاحمد بن عبدالله الرازى الصنعانى سنة ٤٦٠ هـ ، تحقيق حسيـــن العمرى وعبدالجبار زكار ط. اولى سنة ١٩٧٤م .

٥٦ - تأريخ المذاهب الاسلاميـــة ،
لمحمد أبوزهرة ، مطبعة السعـادة .

٥٧ - تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والدينى والاجتماعى ،
لحسن ابراهيم حسن الناشر ،مكتبةالنهضة المصرية ،ط. ثانيـــة ، سنة ١٩٧٤م.

٥٨ - تاريـــخ الغرق الاسلاميـــة ،
لعلى الغرابى ، مطبعة محمد على صبيح .

٥٩ - تاريخ اليمن السياســى ،
لمحمد بن يحيى الحداد ، دار الهناء للطباعة سنة ١٣٩٦هـ.

٦٠ - التاريخ الكبيـــــر ،
للامام محمد بن اسماعيل البخارى سنة ٢٥٦ هـ ،تصوير لبنــــان عن طبعة المكتبةالاسلامية ،تركيـــا .

٦١ - تاريخ بغـــداد ،
للحافظ ابى بكر احمد بن على البغدادى ، سنة ٤٦٢ هـ ،ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٦٢ - تاريخ ابن خلدون المسمى بالمبتدأ والخبـــر
بدون تاريخ ولا ذكر للطبعة .

٦٣ - تاريخ اليمن المسمى المفيد باخبار صنعاء وزبيـــد
لنجم الدين عمارة بن على اليمنى سنة ٥٦٩ هـ ، حققه وعلق عليـــه محمد الاكوع ، مطبعة السعادة ،ط. ثانية سنة ١٣٩٦ هـ .

٦٤ - تاريخ الخلفـــاء ،
لجلال الـدين السيوطى ، سنة ٩١١ هـ ط. بيروت .

٦٥ - تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام ابى الحسن الاشعرى
لابى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكـــر الدمشقى سنة ٥٧١ هـ . الناشر دار الكتاب العربى ،بيـــروت ، سنة ١٣٩٩ هـ.

٦٦ - تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى ،
للامام الحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفورى سنة ١٣٥٣ هـ ،
اشرف على مراجعة اصوله وتصحيحه عبدالرحمن محمد عثمان ، الناشر
محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٦٧ - تدريب الراوى
لجلال الدين السيوطى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق عبدالوهاب
عبداللطيف ، مطبعة السعادة بمصر ،ط. ثانية سنة ١٣٨٥هـ.

٦٨ - تذكرة الحفاظ
للحافظ محمد بن احمد بن عثمان الذهبى سنة ٧٤٨ هـ .

٦٩ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان
لمحمد بن ابراهيم الوزير ، مطبعة المعاهد بمصر ،بدون تاريخ .

٧٠ - تسهيل الوصول الى فهم علم الاصول
للشيخ عطيه محمد سالم ،مطبعة المدنى .

٧١ - تطهير الجنان مع الصواعق المحرقة
للمحدث الشهير احمد بن حجر الهيتمى المكى سنة ٩٧٤ هـ ،خرج
احاديثه وعلق حواشيه وقدم له عبدالوهاب عبداللطيف شركة الطباعة
الفنية المتحدة ط. ثانية سنة ١٣٨٥ هـ .

٧٢ - تفسير القران العظيم ،
لابى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى سنة ٧٧٤ هـ تحقيق البناء
وزميله ط. دار الشعب بالقاهرة .

٧٣ - تفسير القرطبى الجامع لاحكام القران
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى سنة ٦٧١ هـ ، دار
الشعب بالقاهرة .

٧٤ - تفسير البغوى مع الخازن ،
للحسين بن مسعود الفراء سنة ٥١٦ هـ ، الحلبى ط. ثانية
سنة ١٣٧٥ هـ.

٧٥ - التفسير الكبير ، ومفاتيح الغيب
لمحمد بن عمر الشهير بالفخر الرازى سنة ٦٠٦ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط.اولى سنة ١٤٠١هـ.

٧٦ - تقريب التهذيب ،
للحافظ بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، الناشر مكتبة النمنكانى بالمدينة المنورة .

٧٧ - تلبيس ابليس
للامام ابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى سنة ٥٩٦ هـ عنى بنشره وقدم له وخرج احاديثه محمود مهدى الاستانبولى ط. اولى سنة ١٤٠١ هـ.

٧٨ - تلخيص الحبير فى تخريج احاديث الرافعى الكبير
للحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ تصحيح عبدالله هاشم اليمانى ، شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ.

٧٩ - تنقيح الانظار فى علوم الاثار ،
لابن الوزير مع شرحه توضيح الافكار للصنعانى . الناشر مكتبة الخانجى ط.اولى سنة ١٣٦٦ هـ .

٨٠ - التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الاباطيل
لعبدالرحمن بن يحي المعلمى اليمانى ، حققه وعلق عليه محمد ناصر الدين الالبانى لاهور ،باكستان ،ط. اولى سنة ١٤٠١هـ.

٨١ - توحيد الخالق
للشيخ عبدالمجيد الزندانى ، ط. ثالثة بقطر سنة ١٣٩٧هـ.

٨٢ - توضيح الافكار
لمحمد بن اسماعيل الامير الصنعانى سنة ١١٨٢ هـ ،شرح تنقيح الانظار لابن الوزير تحقيق محمد محي الدين ط. السعادة ط. اولى سنة ١٣٦٦ هـ .

٨٣ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، شرح القصيدة النونية ،
لاحمد بن ابراهيم بن عيسى ، المكتب الاسلامى ، ط. ثانية سنة ١٣٩٢هـ.

٨٤ - تهذيب الاثـــار
للامام محمد بن جرير الطبرى سنة ٣١٠هـ تحقيق د. ناصر بن سعد الرشيـــد وزميله ، مطابع الصفا بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢هـ.

٨٥ - تهذيب التهذيـــب
للحافظ بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ،الهند ط. اولـــى ، سنة ١٣٢٧هـ.

٨٦ - تهذيب خصائص الامام علـــى
للحافظ احمد بن شعيب المعروف بالنسائى سنة ٣٠٣ هـ تحقيـــق حجازى محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط. اولى سنة ١٤٠٥هـ.

٨٧ - تهذيب معالم السنـــن
لابن قيم الجوزيه مع مختصر السنن للحافظ المنذرى ، تحقيق محمـــد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية .

((ج))

٨٨ - جامع الاصول فى احاديث الرســول
لمجد الدين المبارك بن محمد بن الاثير سنة ٦٠٦ هـ ، حققه وخـــرج احاديثه عبد القادر الارنؤوط مطبعة الملاح سنة ١٣٨٩ هـ .

٨٩ - جامع البيان عن تاويل آى القران
لامام المفسرين محمد بن جرير الطبرى ٣١٠هـ طبعة مصطفى الحلبـــــى ط. ثالثة سنة ١٣٨٨هـ.

٩٠ - جامع العلوم والحكم لابى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجـــب الحنبلى سنة ٧٩٥ هـ ط. الحلبى ط. رابعة سنة ١٣٩٣هـ.

٩١ - الجرح والتعديـــل
للامام الحافظ عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى سنة ٣٢٧ هـ .

٩٢ - جلاء الافهام فى الصلاة والسلام على خير الانام
للامام ابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ هـ المطبعة السلفية ط. ثالثـــــة سنة ١٤٠٠ هـ .

٩٣ - جواهر البلاغـــة
لاحمد الهاشمى ، بيروت ط. الثانية عشرة .

٩٤ - جوهرة التوحيد مع حاشية البيجورى
طبع العامرية الشرفية سنة ١٣١٤هـ.

٩٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ مطابع المجد التجارية .

٩٦ - الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى
للامام محمد بن ابى بكر الشهير بابن القيم سنة ٧٥١ هـ ، المطبعة السلفية ط. ثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

((ح))

٩٧ - حادى الارواح الى بلاد الافراح
للامام ابن قيم الجوزية مطابع لرجوى بالقاهرة .

٩٨ - حكام اليمن المؤلفون المجتهدون
لعبدالله بن محمد الحبشى تقديم زيد بن على الوزير ، بيروت ، ط. دار القران ط. اولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٩٩ - الحكمة فى مخلوقات الله تعالى
لابى حامد محمد بن محمد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ تحقيق محمد رشيد رضا قبانى . بيروت ط. ثانية سنة ١٤٠٤هـ.

((خ))

١٠٠- الخصائص الكبرى او كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب
لجلال الدين السيوطى سنة ٩١١ هـ تحقيق محمد خليل هراس مطبعة المدنى بدون تاريخ .

١٠١- الخطوط العريضة للاسس التى قام عليها دين الشيعة الامامية الاثنى عشرية
لمحب الدين الخطيب ، مؤسسة مكة للطباعة .

١٠٢- خلق افعال العباد
للامام محمد بن اسماعيل البخارى تحقيق عبدالرحمن عميره ، الناشر دار عكاظ ط. ثانية .

((د))

١٠٣- دراسات قرانية
لشيخنا محمد قطب ، دار الشروق .

١٠٤- دراسات عن المجدد الاسلامى محمد بن ابراهيم الوزير
لابراهيم بن على الوزيـــر

١٠٥- دراسات فى التراث اليمنى
لعبدالله بن محمد الحبشى ، ط. بيروت .

١٠٦- درء تعارض العقل والنقل
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ، طبـــع
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ط. اولى سنة ١٤٠٣هـ.

١٠٧- ديوان المتنبى شرح ابى البقاء العكبرى
الناشر دار المعرفة . بيروت . سنة ١٣٩٧هـ.

١٠٨- ديوان ابى العتاهيـــة
بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر سنة ١٣٨٤هـ.

١٠٩- الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنـــة
للحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ حققه محمد سيـــد
جاد المولى مطبعة المدنى بدون تاريخ .

١١٠- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور
لجلال الدين السيوطى سنة ٩١١ هـ الناشر محمد امين دمج ط. بيروت.

١١١- الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب
لابن فرحون المالكى سنة ٧٩٩ هـ تحقيق محمد ابوالنور الناشـــــر
دار التراث للطبع والنشر - القاهرة .

١١٢- ديوان الأفوة الأودى ضمن الطرائف الادبيـــة
جمع عبدالعزيز الميمنى ط. بيروت . دار الكتب العلمية .

((ذ))

١١٣- الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الاسلام
للدكتور بشار معروف بشار ط. الحلبى ط. اولى سنة ١٣٨٦هـ.

١١٤- ذيل المستدرك ويسمى التلخيص
للامام محمد بن احمد بن عثمان الشهير بالذهبى سنة ٧٤٨ هـ ،
ط. بيروت .

١١٥ - ذيل طبقات الحنابلـــة
لعبدالرحمن بن شهاب الحنبلى سنة ٧٩٥ هـ ، ط. بيروت .

١١٦ - الذيل على كشف الظنـــون
لاسماعيل باشا البغدادى - ط. بيروت.

((ر))

١١٧ - رجال الفكر والدعوة فى الاسـلام
لابى الحسن الندوى ، الناشر دار القلم ، الكويت سنة ١٣٩٤هـ.

١١٨ - الرد على المنطقييـن
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية، مطبعة معارف لاهور ، باكستـــان
سنة ١٣٩٦هـ.

١١٩ - الردعلى الجهمية والزنادقـة
للامام احمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ تصحيح اسماعيل الانصـــارى
توزيع الافتاء .

١٢٠ - رسالةالحور العيـــن ،
لنشوان الحميرى سنة ٥٧٣ هـ ، تحقيق كمال مصطفى ،ط. السعادة
بمصر سنة ١٣٤٨هـ.

١٢١ - الرسالة التدميريةضمن مجموعة نفائس
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨هـ.

١٢٢ - الرسالة الحموية ضمن مجموعة نفائس
لابن تيميـــة .

١٢٣ - الرسالة الوازعة للمعتدينعن سب صحابة سيد المرسلين
للامام يحي بن حمزه سنة ٧٤٩ هـ ادارة الطباعة المنيرية سنة١٣٤٨هـ.

١٢٤ - الرسالة التاسعة ضمن الرسائل المنيرية ،
عنيت بنشرها للمرة الاولى ادارة الطباعة المنيريةسنة١٣٤٦هـ.

١٢٥ - الرسالة المحمديـــة
لمحمود عبدالوهاب فايد ، دار الطباعة المحمدية بالازهر الشريـــف ،
ط.اولى سنة ١٣٨٩هـ.

١٢٦ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ،
لابى الفضل محمود الالوسى ط. بيروت .

١٢٧ - روضة الناظر وجنة المناظر في اصول الفقه
لعبدالله بن احمد بن قدامه المقدسي سنة ٦٢٠ هـ . بيروت ، ط. اولى سنة ١٤٠١هـ.

١٢٨ - الروض النظير شرح مجموع الفقه الكبير
للقاضي شرف الدين الحسين بن احمد السياغي سنة ١٢٢١ هـ ، دار البيان دمشق ط. ثالثة سنة ١٣٨٨ هـ.

١٢٩ - الروح
لابن قيم الجوزية ، مطبعة صبيح ، سنة ١٣٨٦هـ.

١٣٠ - رفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار
لمحمد بن اسماعيل الشهير بالامير الصنعاني سنة ١١٨٢ هـ تحقيق الالباني ط. المكتب الاسلامي ط. اولى سنة ١٤٠٥هـ.

١٣١ - روضة الطالبين
للامام ابي زكريا يحي بن شرف النووي . ط. المكتب الاسلامي .

١٣٢ - الروض الباسم في الذب عن سنة ابي القاسم
لابن الوزير سنة ٨٤٠ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٥هـ.

١٣٣ - رياح التغيير في اليمن
لاحمد محمد الشامي ط. اولى سنة ١٤٠٥هـ.

((ز))

١٣٤ - زاد المعاد في هدى خير العباد ،
لشمس الدين بن قيم الجوزية راجعه وقدم له طه عبدالرؤف . ط. الحلبي ، سنة ١٣٩٠هـ.

١٣٥ - مكرر الزيدية
لاحمد محمود صبحي ، الناشر مكتبة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٠م.

((س))

١٣٦ - سفر التثنية ضمن الكتاب المقدس
ط. بيروت سنة ١٨٧٠م.

١٣٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة
للشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، الناشر المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ.

١٣٨ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيء في الامة
للالباني ، الناشر المكتب الاسلامي .

١٣٩ - سنن البيهقي الكبـــرى ،
للحافظ ابى بكر احمد بن الحسين البيهقي سنة ٤٥٨ هـ ط. الهند .

١٤٠ - سنن ابى داود مع عون المعبود
للحافظ سليمان بن الاشعث بن اسحق سنة ٢٧٥ هـ ، الناشـــر
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٨ هـ.

١٤١ - سنن الدارمـــي
للحافظ ابى عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي سنة ٢٥٥ هـ مع تخريـج
الدارمي وتصحيحه للسيد عبدالله هاشم يماني ، دار المحاسن للطباعـة

١٤٢ - سنن الترمذى بتحفة الاحــوذى ،
للحافظ ابى عيسى محمد بن عيسى الترمذى سنة ٢٧٩ هـ ، الناشـــر
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٤ هـ.

١٤٣ - سنن النسائى ،
للحافظ احمد بن شعيب بن على الشهير بالنسائى سنة ٣٠٣ هـ ،
ط. الحلبى ط. اولى سنة ١٣٨٣ هـ.

١٤٤ - سنن ابن ماجــه ،
للحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى الشهير بابن ماجـــه
سنة ٢٧٥ هـ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى ط. الحلبى .

١٤٥ - السنة ومكانتهـــا
لمصطفى السباعى ، المكتب الاسلامى . ط. ثانية .

١٤٦ - السنن والمبتدعـــات ،
لمحمد عبدالسلام الشقيرى ، المطبعة اليوسفية .

١٤٧ - سير أعلام النبـــلاء
للحافظ ابى عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى سنة ٧٤٨ هـ
تحقيق شعيب الارنؤوط مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٢ هـ .

١٤٨ - السير والمغـــازى
لمحمد بن اسحق المطلبى سنة ١٥١ هـ تحقيق د . سهيل زكار ، بيروت
ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ.

١٤٩ - السيرة النبوية
لابن هشام ٢١٨ هـ تحقيق شلبى وزميليه ط. الحلبى ، ط. ثانية ١٣٧٥ هـ.

١٥٠ - السيـرة النبويـة
لابى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى سنة ٧٧٤ هـ ، الناشـر دار المعرفة ، بيروت سنة ١٣٩٥هـ .

((ش))

١٥١ - الشامل فى اصول الفقـه
لامام الحرمين ابى المعالى عبدالملك الجوينى ، تحقيق على سامى النشار الناشر منشاة المعارف بالاسكندريـة .

١٥٢ - شذرات الذهب فى أُخبار من ذهـب
لعبدالحى بن العماد الحنبلى سنة ١٠٨٩ هـ ط. بيروت، دارصادر.

١٥٣ - شرح مسلـم
للامام ابى زكريا يحي بن شرف النووى سنة ٦٧٦ هـ ،الناشر المطبعـة المصرية ومكتبتها .

١٥٤ - شرف اصحاب الحديـث ،
للامام احمد بن على الخطيب البغدادى سنة ٤٦٣ هـ ، تحقيـق د .محمد سعيد خطيب ،نشرته دار احياء السنة النبوية .

١٥٥ - شرح الاصول الخمسـة
للقاضى عبدالجبار بن احمد سنة ٤١٥ هـ ، حققه عبدالكريم عثمـان مطبعة الاستقلال ط. اولى سنة ١٣٨٤هـ.

١٥٦ - شرح اصول اعتقاد اهل السنـة
للحافظ هبة الله بن الحسن الطبرى اللالكائى سنة ٤١٨ هـ ، تحقيـق د . احمد سعد حمدان دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .

١٥٧ - الشريعـة
للامام ابى بكر محمد بن الحسين الاجرى سنة ٣٦٠ هـ ، تحقيـق محمد حامد الفقى ،الناشر انصار السنة المحمدية ط. لاهـور ، باكستان .

١٥٨ - شرح العقيدة الواسطيـة ،
لمحمد خليل هراس ،راجعه الاستاذ الكبير عبدالرزاق عفيفى ،مؤسسـة مكة للطباعة والاعلام . ط. خامسة .

١٥٩ - شرح السنـة
للحسين بن مسعود الفراء الشهير بالبغوى سنة ٥١٦ هـ حققه وعلـق عليه وخرج احاديثه شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش ، المكتـب الاسلامى ، ط. اولى سنة ١٣٩٠هـ.

١٦٠ - شرح حديث النزول
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ، منشورات المكتب الاسلامي
ط. رابعة سنة ١٣٨٩ هـ.

١٦١ - شرح الاصفهانية
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، مطبعة كردستان العلمية
بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ.

١٦٢ - شرح فتح القدير على الهداية
للامام محمد بن عبد الواحد السكندرى المعروف بابن الهمام الحنفي
سنة ٦٨١ هـ ، مصطفى الحلبي ط. اولى سنة ١٣٨٩ هـ.

١٦٣ - شرح العقيدة الطحاوية
لابن ابى العز الحنفى حققها وراجعها جماعة من العلماء وخرج
احاديثها محمد ناصر الدين الالبانى .ط. المكتب الاسلامى ط. رابعة سنة ١٣٩١ هـ

١٦٤ - شرح العقائد النسفية
لسعد الدين التفتازانى ، مطبعة كردستان العلمية بمصر المحمية
سنة ١٣٢٩ هـ.

١٦٥ - الشوكانى مفسرا
لمحمد بن حسن الغمارى ، دار الشروق للنشر والتوزيع ط. اولى سنة ١٤٠١ هـ

١٦٦ - شفاء العليل فى مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل
للامام الشهير بابن قيم الجوزية سنة ٧٥١ مطبعة السنة المحمدية
بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م.

((ص))

١٦٧ - الصحاح
لاسماعيل بن حماد الجوهرى سنة ٣٩٣ هـ وقيل سنة ٤٠٠ هـ تحقيق
عبد الغفور العطار ط. ثانية ، القاهرة سنة ١٤٠٢ هـ.

١٦٨ - صحيح البخارى
لامام المحدثين الحافظ ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ،
سنة ٢٥٦ هـ ، طبع استانبول تركيا سنة ١٩٧٩ م مرقم الكتب والابواب .

١٦٩ - صحيح مسلم
للامام الحافظ ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ،
سنة ٢٦١ هـ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى توزيع الافتاء سنة
١٤٠٠ هـ.

١٧٠ - صحيح ابن حبـــان
للحافظ ابى حاتم بن حبان بن احمد التميمى سنة ٣٥٤ هـ ، ترتيب الامير علاء الدين الفارسى سنة ٧٣٩ هـ ضبط وتحقيق عبد الرحمـــن محمد عثمان مطبعة المجد ط. اولى سنة ١٣٩٠هـ.

١٧١ - صحيح الجامع الصغير وزيادتـــه
للشيخ محمد بن ناصر الدين الالبانى طبع المكتب الاسلامـــى ، ط. ثالثة سنة ١٤٠٢هـ.

١٧٢ - الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمــــن
لحسين بن فيض الله الهمدانى الحرازى دار المختار للطباعة والنشـــر دمشـــق .

١٧٣ - الصواعق المحرقة فى الرد على اهل البدع والزندقـــة
للمحدث الشهير احمد بن حجر الهيتمى المكى سنة ٩٧٤ هـ خـــرج احاديثه وعلق حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف شركة الطباعـــة الفنية المتحدة ، ط. ثانية سنة ١٣٨٥هـ.

١٧٤ - صوت المنطق والكلام عن فن المنطق والكـــلام
لجلال الدين السيوطى سنة ٩١١ هـ علق عليه على سامى النشـــار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

((ض))

١٧٥ - ضحى الاسلام
لاحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط. سابعة سنة ١٩٦٤م.

١٧٦ - الضعفاء والمتروكيـــن
للامام محمد بن اسماعيل البخارى سنة ٢٥٦ هـ ، تحقيق محمود ابراهيم زايد ، دار الوعى بحلب ط. اولى سنة ١٣٩٦ هـ .

١٧٧ - الضوء اللامع لاهل القرن التاســع
لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى سنة ٩٠٢ هـ ط. بيروت.

((ط))

١٧٨ - الطبقات الكبرى
لمحمد بن سعد سنة ٢٣٠ هـ الشهير بابن سعد تقديم احســـان عباس ط. بيروت ، دار صادر .

١٧٩ - طبقات الخواص اهل الصدق والاخـــلاص
لاحمد بن احمد بن عبد اللطيف الزبيدى الحنفى سنة ٧٩٣هـ طبـــع الميمنية بمصر بدون تاريخ .

١٨٠ - طبقات الحنابلة
للقاضي ابى الحسين محمد بن ابى يعلى سنة ٤٥٨ هـ ط. بيروت.

١٨١ - طبقات الشافعية الكبرى
لعبد الوهاب السبكى سنة ٧٧١ هـ تحقيق الطناحى وزميله
ط. الحلبى ط. اولى سنة ١٣٨٤ هـ.

١٨٢ - طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهى
لعبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكى اليمانى سنة ٩٠٤ هـ تحقيق عبد الله
محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث باليمن ، صنعاء .

١٨٣ - طبقات فقهاء اليمن
لعمر بن على بن سمرة الجعدى الفه عام ٥٨٦ هـ تحقيق فؤاد سيد
بيروت ط. ثانية سنة ١٤٠١ هـ .

١٨٤ - طريق الهجرتين وباب السعادتين
لابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد الله ابراهيم الانصارى ، مطابع الدوحة
الحديثة ، قطر.

((ع))

١٨٥ - العرف الطيب شرح ديوان ابى الطيب المتنبى
للشيخ ناصف اليازجى ، بيروت ط. ثانية .

١٨٦ - العصمة من الضلال
للحسن بن احمد الجلال الصنعانى سنة ١٠٨٤ هـ .

١٨٧ - العقد الثمين تاريخ البلد الامين
لتقى الدين محمد بن احمد بن على الحسنى الشهير بالفاسى سنة ٨٣٢ هـ
تحقيق فؤاد سيد طبع القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ.

١٨٨ - العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية
لعلى بن الحسن الخزرجى سنة ٨١٢ هـ ، عنى بتصحيحه محمد بسيونى ،
مطبعة الهلال بمصر سنة ١٣٢٩ هـ.

١٨٩ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ،
لمحمد فؤاد عبد الباقى ، ط. الحلبى .

١٩٠ - العقيدة الطحاوية
للامام ابى جعفر احمد بن محمد الازدى الطحاوى سنة ٣٢١ هـ ، شرح
وتعليق الالبانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ.

١٩١ - العقيدة الواسطيـــة
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ مع شرحها لمحمد خليـــل هراس مراجعة الاستاذ الكبير عبد الرزاق عفيفى ، مؤسسة مكة للطباعـــة والاعلام ، ط. خامسة .

١٩٢ - العقيدة النظامية فى الاركان الاسلاميـة
لابى المعالى عبد الملك الجوينى سنة ٤٧٨ هـ ، تحقيق احمد حجـازى مطبعة دار الشباب بمصر ط. اولى سنة ١٣٩٨ هـ.

١٩٣ - عقيدة السلف وأُصحاب الحديـــث
لشيخ الاسلام اسماعيل الصابونى سنة ٤٤٩ هـ ، ضمن الرسائـــل المنيرية بيروت سنة ١٩٧٠ م.

١٩٤ - العلل المتناهية فى الاحاديث الواهيـــة ،
للامام ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى سنة ٥٩٦ هـ ، حققه وعلـــق عليه ارشاد الحق الاثرى ، الناشر ادارة ترجمان السنة ، لاهور.

١٩٥ - العلَم الشامخ فى تفضيل الحق على الاباء والمشايخ
لصالح بن مهدى المقبلى اليمانى سنة ١١٠٨ هـ ط. اولى بمصـــر واخرى طبع دار البيان ، دمشق ، تحقيق عبد الرحمن الارياني .

١٩٦ - العلو للعلى الغفـــار
للحافظ ابى عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى سنة ٧٤٨ هـ ، قدم له وصححه وراجع اصوله عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبـــة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٨ هـ.

١٩٧ - علوم الحديـــث ،
للامام ابى عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح سنة ٦٤٣ هـ ، تحقيق نور الدين عتر مطبعة الاصيل حلب سنـــة ١٣٨٤ هـ .

١٩٨ - عون المعبود شرح سنن ابى داود
لابى الطيب محمد شمس الحق ابادى تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط. ثانية سنة ١٣٨٨ هـ .

((غ))

١٩٩ - غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانـــى
ليحي بن الحسين بن محمد بن القاسم الشهارى الزيدى ، سنة ١٠٩٠ هـ تحقيق عاشور ، دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ .

٢٠٠ - غاية المرام فى علم الكلام
لسيف الدين الامدى سنة ٦٣١ هـ تحقيق حسن محمود عبد اللطيـــف ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية المصرية واخرى نشر المكتبة الكبرى بمصر.

٢٠١ - الغياثـــــــى
لعبد الملك الجوينى امام الحرمين سنة ٤٧٨ هـ تحقيق عبد العظيـــم الديب ، الشئون الاسلامية بقطر ط. اولى سنة ١٤٠٠ هـ .

((ف))

٢٠٢ - فتح البارى شرح صحيح البخـــارى
للحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، اشرف علــــى مقابلة نسخه وتحقيقها الشيخ عبد العزيز بن باز ، رقم كتبه وابوابـــه واحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى ، اشرف على طبعه محب الديـــن الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.

٢٠٣ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التغسيـــر
للامام محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ ط. الحلبى .

٢٠٤ - الفتح العثمانـــى الاول
لمصطفى سالم ، معهد البحوث والدراسات العربية ط. ثانية ، ١٩٧٤م .

٢٠٥ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى
تاليف محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. اولى سنة ١٤٠٣ هـ.

٢٠٦ - الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموعة نفائـــس
لشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ.

٢٠٧ - الغتوحات الالهية بتوضيح تغسير الجلالين للدقائق الخفيـــة
لسليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل سنة ١٢٠٤ هـ ط. عيسى الحلبى .

٢٠٨ - فجر الاســـــلام
لاحمد امين ، مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م .

٢٠٩ - الفرق بين الفـــرق
لعبد القاهر بن طاهر البغدادى سنة ٤٢٩ هـ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى بالقاهرة .

٢١٠ - فصل الخطاب بنقد كتاب المغنى عن الحفظ والكتاب
لابى اسحق حجازى بن محمد بن شريف الحوينى ، بيروت ط. اولـــى ، ١٤٠٥ هـ .

٢١١ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل
لابى محمد على بن سعيد بن احمد الشهير بابن حزم الاندلسى الظاهرى سنة ٤٥٦ هـ مع الملل والنحل للشهرستانى ، مطبعة صبيح بالقاهرة .

٢١٢ - فضائح الباطنية
لابى حامد محمد بن محمد الغزالى سنة ٥٠٥ هـ ، حققه وقدم له عبدالرحمن بدوى ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .

٢١٣ - فقه السيرة
للشيخ محمد الغزالى مع تخريج احاديثها وتصحيحها للالبانى الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ، ط. سابعة سنة ١٩٧٦م .

٢١٤ - الفقه الاكبر
للامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ١٥٠هـ مع شرحه للملا على القارى الحنفى صححه جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط. اولى سنة ١٤٠٤هـ .

٢١٥ - الفوائد المجموعة فى الاحاديث الضعيفة والموضوعة
لشيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى تحقيق عبدالرحمن المعلمى اليمانى ، بيروت ط. ثانية سنة ١٣٩٢هـ .

٢١٦ - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
لابى حامد الغزالى ، تحقيق شيخنا سليمان دنيا ط. الحلبى ط. اولى سنة ١٣٨١ هـ .

٢١٧ - الفوائد
لابن قيم الجوزية ، بيروت ، ط. ثانية سنة ١٣٩٣ هـ .

٢١٨ - الفهرست
لابن النديم ، الناشر ، دار المعرفة ، بيروت .

٢١٩ - فى ظلال القرآن
للشهيد سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الرابعة ، سنة ١٣٩٧ هـ .

٢٢٠ - فيض القدير شرح الجامع الصغير
لعبدالرؤوف المناوى على الجامع الصغير للسيوطى سنة ٩١١ هـ ، بيروت ، دار المعرفة ، ط. ثانية سنة ١٣٩١ هـ .

((ق))

٢٢١ - القاموس المحيط
لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادى سنة ٨١٧ هـ ، الناشر مؤسسة الحلبى بالقاهرة .

٢٢٢ - قراءة فى فكر الزيدية
لعبدالعزيز المقالح ،ط. بيروت سنة ١٩٨٢م.

٢٢٣ - القرامطة
للامام عبدالرحمن بن الجوزى سنة ٥٩٧ هـ ،تحقيق محمد الصباغ المكتب الاسلامى ط. رابعة سنة ١٣٩٧هـ.

٢٢٤ - قطر الندى وبل الصدى
لعبدالله جمال الدين المعروف بابن هشام الانصارى سنة ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، ط. الحادية عشرة ، سنة ١٣٨٣هـ.

٢٢٥ - القلائد فى تصحيح العقائد ضمن مقدمة البحر الزخار
للامام المهدى احمد بن يحي المرتضى سنة ٨٤٠ هـ ط. بيروت .

٢٢٦ - قواعد الاحكام فى مصالح الانام
للامام عبدالعزيز بن عبدالسلام سنة ٦٦٠ هـ ،ط. بيروت ،دارالكتب العلمية .

٢٢٧ - قواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية)
لمحمد بن الحسن الديلمى اليمانى احد علماء القرن الثامن الهجرى ، تحقيق الكوثرى ، مطبعة السعادة سنة ١٩٥٠م.

٢٢٨ - القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد
للامام محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ تحقيق عبدالرحمن عبدالخالق ،دار القلم ، ط.اولى ،الكويت سنة ١٣٩٦هـ .

((ك))

٢٢٩ - الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة
للحافظ محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالذهبى ،تحقيق عزت على عيد ،دار النصر للطباعة بالقاهرة ،ط. اولى سنة ١٣٩٢هـ.

٢٣٠ - كتاب الامثال
للامام الحافظ ابى عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٤ هـ ،حققه الدكتور عبدالمجيد قطامش ،دار المأمون للتراث ط. اولى سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٣١ - كتاب الامثال فى الحديث النبوى
لابى محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بابى الشيخ الاصبهانى سنة ٣٦٩ هـ ، تحقيق عبدالعلى عبدالحميد ط. الدار السلفية بالهند ط. اولى سنة ١٤٠٢هـ .

٢٣٢ - كتاب الزيدية
د . احمد محمود صبحى ، الناشر مكتبة المعارف بالاسكندرية ، سنة ١٩٨٠م.

٢٣٣ - كتاب الموضوعات
للامام عبدالرحمن بن على المعروف بان الجوزى سنة ٥٩٧ هـ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، مطبعة المجد ط. اولى سنة ١٣٨٦هـ .

٢٣٤ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب
للحافظ محمد بن اسحق المعروف بابن خزيمة سنة ٣١١ هـ راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس ، الناشر مكتبة الكليات الازهرية سنة ١٣٨٧هـ.

٢٣٥ - كتاب الجوائز والصلاة فى جمع الاسامى والصفات
للسيد نور الحسن خان ط. الفارقى بدلهى .

٢٣٦ - الكتاب الجامع فى السنن والاداب والمغازى والتاريخ
لابن ابى زيد القيروانى سنة ٣٨٦ هـ تحقيق ابو الاجفاف ط. بيروت، ط. مؤسسة الرسالة .

٢٣٧ - كتاب السنة مع الرد على الجهمية
للامام احمد بن حنبل ، تحقيق الانصارى .

٢٣٨ - كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد ضمن رسائل العدل والتوحيد ، للامام الهادى يحي بن الحسينى سنة ٢٩٨ هـ ، تحقيق محمد عمارة ، ط. دار الهلال .

٢٣٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل
لمحمود بن عمر الزمخشرى سنة ٥٣٨ هـ دار المعرفة ،بيروت .

٢٤٠ - كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة
لمحمد بن مالك الحمادى اليمانى من علماء القرن الخامس الهجرى ، تحقيق الكوثرى مطبعة الانوار سنة ١٣٥٧ هـ .

٢٤١ - كشف الشبهات فى التوحيد
للمجدد محمد بن عبدالوهاب سنة ١٢٠٦ هـ .

٢٤٢- كشاف القنـــاع
لمنصور بن يونس البهوتى سنة ١٠٥١ هـ ،راجعه وعلق عليـــه
الشيخ هلال مصيلحى الناشر مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

٢٤٣- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس
للمحدث اسماعيل بن محمد العجلونى سنة ١١٦٢ هـ اشرف علـــى
طبعه وتصحيحه احمد القلاسى مطبعة الفنون ، حلب .

٢٤٤- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون
لحاجى خليفه ، ط. بيروت .

٢٤٥- الكواشف الجلية عن معانى الواسطيـــة
لعبد العزيز بن محمد السلمان مؤسسة مكة للطباعة ،ط. رابعة .

((ل))

٢٤٦- اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعـــة
لجلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى سنة ٩١١ هـ ،ط.ثانية
سنة ١٣٩٥ هـ .

٢٤٧- لسان الميزان
للحافظ احمد بن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ،صورة عن الطبعـــة
الهندية ، الناشر مؤسسة الاعلمى بيروت ،ط. ثانية سنة ١٣٩٠هـ.

٢٤٨- لمع الادلة فى قواعد عقائد اهل السنة والجماعـــة
لامام الحرمين عبد الملك الجوينى سنة ٤٧٨ هـ ،تحقيق فوقية حسيـــن
محمود ،المؤسسة المصرية للتاليف والانباء والنشر ،ط. اولى سنـــة
١٣٨٥ هـ .

((م))

٢٤٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائـــد
للحافظ نور الدين على بن ابى بكر الهيثمى سنة ٨٠٧ هـ منشـــورات
دار الكتاب العربى ، بيروت ،ط. ثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٥٠- مجمع الامثـــال
لابى الفضل احمد بن محمد الميدانى سنة ٥١٨ هـ ، مطبعة السنـــة
المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ .

٢٥١ - مجموع زيد بن على ويسمى مسند الامام زيد
جمعه عبدالعزيز بن اسحق البغدادى ط. بيروت ، دار الكتب العلمية ط. اولى سنة ١٤٠١ هـ .

٢٥٢ - المجددون فى الاسلام
لعبد المتعال الصعيدى دار الحمامى للطباعة .

٢٥٣ - مجموعة الرسائل والمسائل
لشيخ الاسلام احمد بن تيمية سنة ٧٢٨ هـ علق عليها وصححها جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. اولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٥٤ - المجموع شرح المهذب
للامام محي الدين يحي بن شرف النووى ، حققه وعلق عليه وأكمله محمد نجيب المطيعى ، الناشر مكتبة الارشاد ، جدة .

٢٥٥ - المحيط بالتكليف فى العقائد
لعبد الجبار بن أحمد سنة ٤١٥ هـ ، حققه عمر السيد وراجعه احمد فؤاد الاهوانى المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر .

٢٥٦ - مجموع فتاوى ابن تيمية ،
جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدى لمساعدة ابنه محمد ، صورة عن الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ ، توزيع الافتاء .

٢٥٧ - المحلى
لابى محمد على بن سعيد بن احمد المعروف بابن حزم الاندلسى الظاهرى سنة ٤٥٦ هـ ، تحقيق وتصحيح احمد شاكر وزميليه ، دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٧ هـ .

٢٥٨ - المحدث الفاصل بين الراوى والواعى
للقاضى الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى سنة ٣٦٠ هـ تحقيق محمد عجاج الخطيب ، بيروت ط. اولى سنة ١٣٩١ هـ .

٢٥٩ - مختصر سنن ابى داود
للحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى سنة ٦٥٦ هـ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٨ هـ .

٢٦٠ - مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم
اختصره محمد الموصلى ، بيروت ، دار الندوة الجديدة سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٦١ - مذكرة اصول الفقـــه
للشيخ محمد الامين الشنقيطى سنة ١٣٩٣ هـ ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٢٦٢ - مراتب الاجمـاع
لابن حزم الظاهرى سنة ٤٥٦ هـ ، دار الافاق الجديدة ، بيـروت، ط. اولى سنة ١٣٧٨هـ.

٢٦٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهـــر
لابى الحسن على بن الحسين المسعودى سنة ٣٦٤ هـ ،تحقيق محمد محيي الدين مطبعة السعادة بمصر ط. رابعة، سنة ١٣٨٥هـ.

٢٦٤ - مسند الامام احمد بن حنبـــل سنة ٢٤١هـ
ط. المكتب الاسلامى .

٢٦٥ - المستدرك على الصحيحين
لابى عبدالله محمد بن عبدالله النيسابورى سنة ٤٠٥ هـ ط. بيروت.

٢٦٦ - مصادر تاريخ اليمن فى العصر الاسلامـــى
لأيمن فؤاد سيد ط. المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقيـــــة بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٦٧ - مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمـــن
لعبدالله محمد الحبشـــى .

٢٦٨ - المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى
تاليف العلامة احمد بن محمد الفيومى سنة ٧٧٠ هـ ط. الحلبى .

٢٦٩ - مصباح العلوم المعروف بالثلاثين مسألة
لاحمد بن الحسن الرصاص سنة ٦٥٦ هـ وقيل ٦٠٠ هـ ط. بيروت، ١٩٧١م.

٢٧٠ - مصنف عبدالرزاق الصنعانـــى له سنة ٢١١هـ
تحقيق الاعظمى الناشر المجلس العلمى ط. اولى سنة ١٣٩٢هـ.

٢٧١ - المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع
للامام المحدث على القارى الهروى سنة ١٠١٤ هـ ، تحقيق ابوغـدة ، بيروت ،ط. رابعة سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٧٢ - معارج القبول شرح سلم الوصول
لشيخنا حافظ بن احمد الحكمى سنة ١٣٧٧ هـ من منشورات دار الافتاء .

٢٧٣ - معالم السنن
لابي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي سنة ٣٨٨ هـ مع مختصر سنن ابي داود للمنذري تحقيق الفقي مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٦٨م.

٢٧٤ - معارج الوصول الى ان اصول الدين وفروعه قد بينها الرسول
لشيخ الاسلام احمدبنتيمية الحراني ،المطبعة السلفية بالقاهرة،١٣٨٧هـ.

٢٧٥ - معجم المؤلفين
لعمر رضا كحالة ، ط. بيروت .

٢٧٦ - المغني عن الحفظ والكتاب فيما لميصح فيه شيء من الاحاديث
للحافظ عمر بن بدرالدين الموصلي الحنفي سنة ٦٢٣ هـ ط. السلفية، سنة ١٣٤٢هـ.

٢٧٧ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
للامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري سنة ٣٣٠ هـ ، تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ط. ثانية سنة ١٣٨٩هـ.

٢٧٨ - مقاتل الطالبيين
لابي الفرج علي بن الحسينبن محمد الاصفهاني سنة ٣٥٦ هـ ، شرح وتحقيق السيد احمد صقر الناشر دار المعرفة بيروت.

٢٧٩ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة
للسخاوي سنة ٩٠٢ هـ صححهوعلق حواشيه محمد الصديق . بيروت ، ط. اولى سنة ١٣٩٩هـ.

٢٨٠ - المقصد الاسنى شرح الاسماءالحسنى
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي سنة ٥٠٥ هـ . ط. بيروت .

٢٨١ - مقدمة ابن خلدون
للعلامة عبدالرحمن بن خلدون المغربي . الناشر المكتبة التجارية بمصر.

٢٨٢ - مقدمة توضيح الافكار
للصنعاني ، تقديم المحقق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط. بيروت .

٢٨٣ - مقدمة السيل الجرار
للمحققين قاسم غالب وزملائه ،مطابع الاهرام التجارية بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ

٢٨٤ - مقدمة ايثار الحق على الخلق
لابن الوزير تحقيق احمد مصطفى حسين ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، سنة ١٤٠٥هـ.

٢٨٥ - مقدمة ترجيح اساليبالقران على اساليباليونان
لمحمد بن محمد زبارة الحسني مطبعة المعاهد المصرية .

٢٨٦ - ملحق البدر الطالع
لمحمد بن محمد زبارة ، مطبعة السعادة بالقاهرة ط. اولى سنة١٣٤٨هـ.

٢٨٧ - الملل والنحـــل
للامام المهدى احمد بن يحي المرتضى سنة ٨٤٠ هـ ،ضمن مقدمة البحر الزخار له ط. بيروت .

٢٨٨ - الملل والنحـــل
لمحمد بن عبدالكريم الشهرستانى سنة ٥٤٨ هـ ط. بيـــروت ، ط. ثانية سنة ١٣٩٥ هـ.

٢٨٩ - مناهج الادلة
لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم .

٢٩٠ - المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام اهل الرفض والاعتزال مختصر منهاج السنة لابن تيمية ،اختصره الحافظ الذهبى سنة ٧٤٨ هـ ،حققه وعلـــق حواشيه محب الدين الخطيب .

٢٩١ - منهج ودراسات لايات الاسماء والصفات
للشيخ محمد الامين الشنقيطى سنة ١٣٩٣ هـ،مؤسسة مكة للطباعـــة والاعلام .

٢٩٢ - المواقـــف
للايجى ،تحقيق د . احمد المهدى ، دار الحمامى للطباعة .

٢٩٣ - الموطـــأ
للامام مالك بن أنس ١٧٩هـ، ط. الحلبى .

٢٩٤ - المهذب فى اختصار السنـــن
للحافظ محمد بن احمد بن عثمان الذهبى ، تحقيق حامد ابراهيـــم وزميله ، مطبعة الامام بمصر .

٢٩٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجـــال
للحافظ الذهبى تحقيق البجاوى دار المعرفة ، بيروت ، ط. اولـــى، سنة ١٣٨٢ هـ.

((ن))

٢٩٦ - النبوات
لشيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٢٨ هـ ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

٢٩٧ - نزهة النظر شرح نخبة الفكـــر
للحافظ ابن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ تقديم اسحاق عزوز، الناشر المكتبة العلمية .

٢٩٨- نهج البلاغة ،
وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضى من كلام امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه مع شرح الامام محمد عبده ، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات . بيروت .

٢٩٩- نهاية الأقدام فى علم الكلام
لمحمد بن عبد الكريم الشهرستانى سنة ٥٤٨ هـ ، حرره وصححه الفردجيوم .

٣٠٠- النهاية فى غريب الحديث
لابى السعادات المبارك محمد الجزرى المعروف بابن الاثير ٦٠٦ هـ تحقيق الطناحى ط. الحلبى .

٣٠١- نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار
لقاضى قضاة القطر اليمانى محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٥٠ هـ ، ط. الحلبى الاخيرة .

٣٠٢- نوادر المخطوطات
جمع وتحقيق عبد السلام هارون الحلبى ط. ثانية سنة ١٣٩٢ هـ .

((و))

٣٠٣- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب
للامام ابى عبد الله محمد بن بكر بن ايوب الشهير بابن قيم الجوزية ، سنة ٧٥١ هـ ، تحقيق اسماعيل الانصارى ، توزيع الافتاء .

٣٠٤- وَفَيَات الاعيان وأنباء أبناء الزمان
لشمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر المعروف بابن خلكان ، سنة ٦٨١ هـ ، حققه احسان عباس ، ط. بيروت ، دار صادر .

((هـ))

٣٠٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
لاسماعيل باشا البغدادى ، استانبول سنة ١٩٨١م ، أعادت طبعه بالاوفسيت دار العلوم الحديثة ، بيروت .

٣٠٦- هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن
لاحمد مقبل العبدلى ، ط. السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ .

٣٠٧- هدى السارى مقدمة فتح البارى
للحافظ ابن حجر العسقلانى سنة ٨٥٢ هـ ، تصحيح محب الدين الخطيب ، ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٣٠٨- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى
للامام ابن قيم الجوزية ، الناشر مؤسسة مكة للطباعة والاعلام.

((ى))

٣٠٩- اليمن عبر التأريخ
لاحمد حسين شرف الدين ، ط. ثانية سنة ١٤٠٠ هـ.

٣١٠- اليمن فى ظل الاسلام منذ فجره الى قيام دولة بنى رسول
لعصام الدين عبدالرؤوف الفقى ، الناشر دار الفكر العربى ،
ط. اولى سنة ١٩٨٢م.

ثالثا : الدوريات :

١ - مجلة البلاغ ، عدد ٧٣٣ ، جمادى الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

٢ - مجلة الحوادث ، عدد ١٣١٤ ، ١٣ يناير سنة ١٩٨٢م.

٣ - مجلة اليمن الجديد ، العدد الخامس سنة ١٣٩٢ هـ ، اغسطس ١٩٧٢م ، تصدرها وزارة الاعلام اليمنية .

...

فهرس الموضوعـــات

الموضـــــوع	رقم الصفحــــــــة

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــــوع	رقم الصفحـة

الموضــــــوع	رقم الصفحـة

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة

-o-